

الأوراق البحثية المقدمة للمؤتمر الدولي الثاني

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

المنظم من طرف

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

بشراكة مع

كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار بصربيا



يومي 8-9 أبريل / نيسان 2019

بمدينة نوفي بازار / جمهورية صربيا

المؤتمر الدولي الثاني:

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار

وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

نوفي بازار-صربيا : 8-9 أبريل / نيسان 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤتمر الدولي الثاني

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار

وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

8-9 أبريل / نيسان 2019

نوفي بازار-صربيا

الأوراق البحثية المقدمة



منشورات المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية (ICEFS)

■ بيانات الفهرسة:

الأوراق البحثية المقدمة للمؤتمر الدولي الثاني: منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية
2019

تنسيق: د. مصطفى الحكيم / د. رشيد كهوس

الطبعة الأولى: أكتوبر 2019 - المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية (ICEFS) / المملكة المتحدة

الرقم الدولي المعياري (ردمك): 978-1-9160489-1-1

ملحوظة: جميع الحقوق محفوظة للمركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية، ويمنع نسخ أو إنتاج المواد الواردة في الكتاب كله أو بعضه بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة أخرى من وسائل النشر إلا بموجب إذن كتابي من المركز.

وتبقى الأفكار والآراء المعبر عنها في الكتاب وجهة نظر لأصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن سياسة المركز.

البريد الإلكتروني: www.info@icefs.net

الهاتف: 00447470188659

الموقع الرسمي للمركز: www.icefs.net

العنوان: United Kingdom , London , 27 Old Gloucester Street , WC1N3AX

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار . جمهورية صربيا

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس المؤتمر

رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية الأسرية

تمثل منظومة القيم في تاريخ المجتمعات الروح السارية، والجوهر الأصيل، والأساس المتين الذي تتأسس عليه العلاقات الإنسانية، والروابط الاجتماعية، وتشكل الحصن الحصين من التأثيرات السلبية الوافدة، والضابط للتصرفات والمواقف والقرارات، فضلا عن عوائدها التنموية والحضارية. وقد حوت رسالة الإسلام قيما بانية، ومبادئ سامية، كانت الموجه لحضارته، والمحرك لهضته، والمحصن لمجتمعه، في إطار منظومة قيمية شاملة تتنوع إلى قيم تربوية، وحقوقية، واجتماعية، واقتصادية، وبيئية، وسلوكية...

وقد تأسست ثقافة الحوار في الإسلام على قيم ثابتة، ومبادئ راسخة في إطار منظومة قيمية منسجمة ومتكاملة يرتبط بعضها ببعضها، ولا يجوز إخضاعها للمقاربة التجزيئية والنظرة الضيقة، لذلك كان طموح هذا المؤتمر استحضار هذه القيم المؤسسة ووصل أجزائها، والوعي بعناصرها ومكوناتها، وإدراك تأثيراتها وفوائدها على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

وقد اقتضت إرادة الله جل وعلا أن يختلف البشر ويتباينوا منهجا وفكرا وطريقة ووجهة، وأن تتفاوت قدراتهم، وأفهامهم ومداركهم، وتتعدد مشاربهم وروافدهم، وتختلف شعوبهم وقبائلهم وألسنتهم وألوانهم وهيئاتهم؛ وهي إرادة ناجزة، وأمر واقع ما له من دافع.

مما يستلزم البحث عن قواعد ناظمة، وضوابط حاكمة تساعد على تنظيم العلاقة بين المختلفين وفق مبادئ التعايش والتساكن والتواصل، حتى لا تتحول ساحات الوجود الإنساني إلى ساحات قتل وحرب ومصادرة واعتداء بسبب الاختلاف والتغاير. فهل من سبيل إلى تدبير سليم يضبط العلاقة بين المختلفين بضابط الاحترام المتبادل والتقدير المشترك، وتسيير لهذه العلاقة على مدارج الخدمة والتسخير والتعاون؟

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لذا كان الحوار في منظومة القيم الإسلامية معلما راسخا، وأساسا مهما، ومبدأ ثابتا، فالناظر للقرآن يجده قد أخلَّ الحوار مقاما أثيرا، ومنزلا رفيعا، حيث تبرز شواهد ومشاهد في كثير من الآيات والسور التي تجلى فيها الحوار بين المختلفين على قدم التواصل والتعايش تجليا ظاهرا، حيث حفظ لنا القرآن حوارات عديدة في سياقات مختلفة يُستفاد منها، ويُعتمد عليها في بناء قواعد ناظمة للاجتماع الإنساني.

كما يطمح هذا المؤتمر إلى إبراز أثر منظومة القيم الإسلامية في تعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية؛ بالنظر لما غشي مجتمعاتنا المسلمة من أمراض نفسية، وآفات اجتماعية، وأعراض مرضية، وما يشهده عصرنا من اضطرابات نفسية، وتشوهات خلقية، وانحرافات سلوكية أنتجت عللا شتى وظواهر جمّة غريبة.

في هذا الواقع الذي اشتدت أزماته، وتسارعت متغيراته، وازدادت مشاكله، وتعاضمت إكراهاته ومتطلباته؛ تُمسي معه الحاجة ملحة إلى إرساء منظومة توجيهية إرشادية، والاستفادة من الحكمة البشرية، والاستمداد من الإرث التربوي من داخل نسقنا المعرفي، ومنظومتنا القيمية، وتراثنا الفكري والتربوي للبحث عن أدوية شافية، وأجوبة كافية، وحلول منقذة لشبابنا من الوقوع في براثن الانحراف، ومصائد الإدمان، وخنادق التخريب والتدمير للطاقات الفتية التي عليها المعول في نهضة أمتنا، ورفع بلداننا، ومناعة مجتمعاتنا.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كلمة الدكتور أنور غيتسييتش

رئيس اللجنة العليا للمؤتمر

عميد كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار بصربيا

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:

أصحاب الفضيلة الباحثون الأجلاء

أحمد الله سبحانه وجل جلاله وأصلي وأسلم على خاتم النبيين محمداً وعلى سائر أنبياء الله ورسله والآل والصحب الكرام وبعد؛

اسمحو لي باسمي واسم كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار جمهورية صربيا أن أحييكم جميعاً وأرحب بكم في هذا المؤتمر الدولي.

أولاً أتوجه من هذا المكان بأطيب التحيات والشكر الجزيل إلى الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم الذي أحبيناه قبل أن نراه، فهو رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية ومنسق هذا المؤتمر مع كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار - صربيا، ونشكره على تعاونه معنا في إقامة هذا المؤتمر القيم، وفي هذا المكان المبارك.

كما نرغب هنا في تقديم الشكر والتقدير لأعضاء الهيئة العليا للمؤتمر، وأعضاء اللجنة التنظيمية، وأعضاء اللجنة العلمية في هذا المؤتمر المبارك، نشكركم جميعاً على حضوركم ومساهماتكم الهامة في هذا المؤتمر.

ينعقد مؤتمرا الذي هو بعنوان " منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد الأسري والوساطة التربوية" المنظم من طرف المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية بشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار - صربيا - ونحن في وقت الناس بحاجة ماسة لمن يضيء لهم الطريق ويُنقي لهم الماء الذي يشربونه عنيتُ به الفكر وفهم النصوص وجلب المصلحة ودرء المفسدة.

أيها العلماء :

العالم متغير، وبتغير الأحوال تتغير الأحكام وكذا المكان، طبيعة المجتمع الذي يعيش الناس فيه فلا يمكن لمن لم يشاهد الحدث ويعيش في المحيط والبيئة وصف علاج وتفسير مفاهيم كما أن الفرق شاسع بين من بيدهم مقاليد الأمور ومن يفد إليهم مهاجراً من بيئة مغايرة ونمط حياة مختلف يحمل في مشاعره ووجدانه إرثاً سمع عنه الكثير

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لكنه موجود في مُضْطَرَبٍ تَنَاحِرٍ وَتَخْبِطٍ في مختلف ضروب مرتكزات مجتمعه السياسية والاجتماعية مما جعل فضائه أدكناً وبيئته يعتمرها التخلف والإهمال .

إن هذا الواقع، منغصات عيش في مسقط الرأس والمصدر وعدم تكيف في الملاذات التي ارتحل إليها المتعبون أو من انكشف سقفهم عقب التحولات التي حدثت في زمن بعيد بمقياس الزمن إلا أنه لازال مركزاً في الوجدان وثقافة تداعياته الفتن ومفردات أحقاد التاريخ وعدم توفر علماء أصحاب خبرة يضيئون المصاييح ويرشدون الى أسهل الطرق وأسلم السبل .

-واليوم في جمهورية صربيا وفي مدينة نوفي بازار حيث نجدُ نحن وشركائنا في الجيرة والعيش معاً لبلورة حياة يتنافس فيها الجميع لصياغة منهج حياة يُكرم إنسانية الإنسان بالتفاعل مع الحاضر الذي هو حصيلة الماضي بكل سلبياته وإيجابياته يتم البناء على الحسن منها وتجنب كل أخطاء ارتكبت لبناء صرح جديد تحفه ورودٌ ويعلو في فضائه أريج العطر والعنبر وتفرح الأجيال القادمة بفجر جديد .

أيها الذين سهروا الليالي وهم ينهلون من العلم ويفكرون بحال المجتمع الذي يعيشون فيه بالتأكيد وقف كل واحدٍ منكم أمام قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) سورة هود: 117-119.

إن الشرك لا يمنع بقاء العمران إذا وُجد المصلحون وليس الصالحين

إن أغلب الجهود تُركز على تربية إنسان صالح ونادراً من يُفكر بالمصلح كما أن مفاهيم تُنشر بحسب أصحابها أنها إصلاحية فتكون نتيجتها عكس ذلك لافتقارهم لفهم الظاهرة.

إن أسس الشريعة الإسلامية التعدد تلك هي صبغة الله عز وجل والمفاصلة في الإيمان وليس في التجاور والسكنى والعمل ((لكم دينكم ولي دين)) سورة الكافرون.

ويتلون الجو العام بالزهر والجمال إذا كان صانعه زراع ورد وتربية متألقين: الطبيب الأفضل، المهندس الثاقب الرؤية والمرعف الحس المتعشق للمناظر الخلافة، المربي الخبير الذي يستشعر نعمة الله الرحمن الرحيم من يتربى ويشرب من كأس علمه ومحبهه ويهنأ الأهل بأبنائهم ويستقر المجتمع بأدائهم، العامل الشريف الأمين، الجندي المشبع بالرفقة والمودة، الجار الذي يطمئن بقربه ولا يتنازل عن التفيء بحسن معشره وغيرته، ورحم الله تعالى القائل: لا يمكنك أن تعيش أماناً وجيرانك لا يفيدون منك.

وباختصار عندما تكون الأجمال تعمر المطارح حولك ويقصدك الناس وتبارك في نظرم تُربة الأرض في محيط أنت شاغله.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فهذا المؤتمر له أهمية كبيرة في حياتنا ومجتمعاتنا، حيث أن الإنسان يُكَوَّنُ القيمَ الخاصة به من خلال المواقف التي تقابله والتجارب التي يمر بها، حيث أن الإنسان العاقل هو من يخرج من كل تجربة بدرس يفيده في حياته. وبذلك فإن أهمية القيم في حياتنا وتأثيرها هي دليل على تقدم الإنسان ورفعته.

عندما تنتشر القيم والأخلاق الحميدة في البلاد يعلو شأنها بين الأمم وتحقق النجاح في كافة المجالات.

يجب على أفراد المجتمع تبني نشر القيم بين الأفراد، خاصة إذا كانت تلك القيم هي قيم ديننا الإسلامي الحنيف، حيث أن ذلك سيساهم في نشر الخير وإعمار المجتمع.

فلنا في شريعة الإسلام درراً تحتاج إلى من يظهرها؛ هذا دوركم وليبارك الله مؤتمرکم ولتسعدون بالالتقاء بأشقاء لكم ولينفع الله تبارك وتعالى بجهودكم واجتهاداتكم وسلامة فهمكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كلمة الدكتور رشيد كهوس

منسق المجلس الأكاديمي الاستشاري للمركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

الحمد لله رب العالمين خالق الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن القيم ضرورة للإنسان ضرورة للأسرة ضرورة للمجتمع والأمة.. وهي اللبنة الأساس في حفظ التماسك الاجتماعي والروح التي تمد المجتمع والأسرة والحضارة بالحياة..
فما شرعت منظومة القيم التي نزلت بها الكتب السماوية إلا ليتحلى بها الإنسان في سلوكه، وتضبط علاقاته الخاصة والعامة. إذ ترسيخها في النفوس وتربية الإنسان عليها ضرورة شرعية وواجب ديني واجتماعي وحضاري. لكونها تسعى إلى تنمية الإنسان في حركته داخل الأسرة والمجتمع والارتقاء به مراتب الكمال العقلي والخلقي.
وليست منظومة القيم في الإسلام شرطاً لقوة الأسرة والمجتمع والحضارة فحسب؛ ولكنها أيضاً ضرورة لتنمية الحوار الديني والحضاري والاجتماعي والأسري وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية وبناء الأسرة الآمنة والمجتمع الآمن والأمة الشامخة والعمران الأخوي الإنساني..

من أجل ذلك جاء هذا المؤتمر الدولي الذي نظمه المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية، وكلية الدراسات الإسلامية بنوفي-بازار-صربيا، في موضوع: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية". إسهاما منهما في تقديم منظومة القيم المرجعية المؤطرة للإنسان والأسرة والمجتمع والعمران في صياغة جديدة، قائمة على التأصيل وبيان طرائق التنزيل، وبمنهجية قائمة على الإفادة من علوم الوحي وعلوم الكون. هذا فضلا عن تحليل القيم التي فقدت أبعادها ودلالاتها في الوعي الجمعي والفردى المعاصر؛ والحمد لله رب العالمين

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار . جمهورية صربيا

ورقة تعريفية بالجهتين المنظمتين

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية **ICEFS**: مؤسسة بحثية استشارية مسجلة في المملكة المتحدة؛ ذات مجلس إدارة، وهيئتين تحكيميتين دوليتين هما: المجلس الأكاديمي الاستشاري، والهيئة العلمية؛ واللتين تضمنا أكثر من 30 شخصية علمية وأكاديمية مرموقة من أكثر من 20 بلدا من ثلاث قارات، ولها شراكات واتفاقيات تعاون مع جامعات رسمية، ومؤسسات علمية دولية. ويهدف إلى تحديد الوظائف المشتركة، والمسؤوليات المتبادلة بين مؤسسات التربية والتعليم ومؤسسة التنشئة الأسرية، ومواجهة المخاطر التي تستهدف أبنائنا وبناتنا، كما يروم تقديم المقترحات الناجعة، وسبل العلاج الكفيلة بتخفيف حدة التأثيرات السلبية لهذا الواقع، وبناء قواعد واستراتيجيات تساعد على التحصين والحماية.

الموقع الإلكتروني:

www.icefs.net

الصفحة الرسمية في الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/internationalcenter.icefs>

قناة المركز على يوتيوب:

<https://www.youtube.com/channel/UCRtT8x9YjdCINnOxFzz96iQ>

صفحة المركز على تويتر:

<https://twitter.com/icefscenter>

– كلية الدراسات الإسلامية: مؤسسة علمية أكاديمية تمنح شواهد بكالوريوس، وماجستير، ودكتوراه؛ وتقع في مدينة نوفي بازار عاصمة إقليم السنجق في جمهورية صربيا.

الموقع الإلكتروني: <http://fis.edu>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أرضية المؤتمر

الإشكالية، الأهداف، المحاور، والضوابط:

تمثل منظومة القيم في تاريخ المجتمعات الروح السارية، والجوهر الأصيل، والأساس المتين الذي تتأسس عليه العلاقات الإنسانية، والروابط الاجتماعية، وتشكل الحصن الحصين من التأثيرات السلبية الوافدة، والضابط للتصرفات والمواقف والقرارات، فضلا عن عوائدها التنموية والحضارية.

وتقوم القيم بوظيفة محورية في حياتنا البشرية؛ فهي التي تبني سلوكنا، وعلاقاتنا، وحياتنا، وحتى شعورنا بمن نحن؟ وكلما زادت الإيجابية في قيمنا زادت الإيجابية في أفعالنا أيضاً. ويأخذ الحوار موقعا متميزا ضمن مجموع القيم الإنسانية والحضارية المعاصرة؛ وذلك بسبب تحول المجتمعات البشرية إلى قرية كونية صغيرة، وبعد أن تهاوت الأسوار والحدود الجغرافية، وفُتحت أبواب الاتصال على مصراعيها، حيث صار من غير الممكن لأي مجتمع أن يعزل نفسه، ويتفوق داخل ثقافته الخاصة... وسواء تعلق الأمر بتمدين المجتمع أو انفتاحه على المجتمعات الأخرى، والثقاف معها، سوف يبقى الحوار هو أحد المداخل الأساسية لتحقيق هذا الهدف.

وتشهد الحوارات القرآنية والنبوية على نجاح الحوار البناء في كشف الحقائق، وتدبير الاختلاف، وتحقيق الوساطة، والرقى بالإنسان إلى أعلى المراتب من أجل بناء عالم أفضل. ويشهد التاريخ أيضاً بالنجاح الباهر - في كثير من الأحيان - في تحقيق هذه القيم على أرض الواقع عن طريق نماذج مضيئة للحوار؛ كما يشهدان أيضاً على ما أنتجه النكوص عنها من مصادماتٍ داميةٍ، وطمسٍ للحقائق، ونقضٍ لحقوق الإنسان.

ولقد مثَّل الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - النموذج الأعلى للوساطة التربوية، حيث سعوا لتحقيق هذه القيم الحوارية على أرضية الواقع المتغيرة، بتطبيقاتٍ متنوعةٍ ومتعددةٍ في أشكالها، متحددةٍ في قيمها، كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ومن فروع تلك الشجرة الأسرة المسلمة البانية، والمسجد القرآني المعلم والمربي، والمدرسة الراحية والموجهة.

ولذلك فالحاجة ماسة إلى بعث قيم الحوار، وتنمية مهارة استثمارها، وتطوير مخرجاتها، ليظهر بعدها الكوني المتجاوز للزمان والمكان؛ ولتخلص من التجارب التاريخية السلبية؛ والتفسيرات النمطية الضيقة - والتوظيفات

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التجزئية الانتقائية، والانتهازية الدنيوية الساقطة. واستشراف آفاق تحقيقها على الواقع المعاصر عبر الوساطة التربوية والاجتماعية، من أسرة ومدرسة ومسجد ووسائل إعلام.

كما يضطلع الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية بوظائف مهمة، وأدوار حاسمة من شأنها تحصين مجتمعاتنا، وتقوية منظومة الأمن القومي، والحفاظ على السلم الاجتماعي الذي يعد الأطفال والشباب لبنته الأساسية، ولحمته الرئيسة، وبنيتة التكوينية باعتباره ضامنا لاستمرارية الوجود الإنساني، ورافعة للاقتصاد المنتج، واليد العاملة المدربة، والعقول المفكرة.

وتبرز أهميتهما وضرورتهما والحاجة إليهما بالنظر لما غشي مجتمعاتنا المسلمة من أمراض نفسية، وآفات اجتماعية، وأعراض مرضية، وما يشهده عصرنا من اضطرابات نفسية، وتشوهات خلقية، وانحرافات سلوكية أنتجت عللا شتى وظواهر جمّة غريبة.

انطلاقاً مما تقدم، يسعى هذا المؤتمر إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أهداف المؤتمر:

- إبراز أهمية الحوار وقيمه في تعزيز الإرشاد الأسري والوساطة التربوية في ضوء المتغيرات والتحديات العالمية والمحلية المعاصرة.

- إبراز القيم الحوارية (العدل، التسامح، المساواة، الحرية، التواضع...) ومقاصدها الكلية.

- استشراف وسائل استثمار القيم الحوارية وتطوير مخرجاتها، وتجلية مظاهر رahnيتها وكونيتها.

- تقديم نماذج تاريخية للتطبيق السليم للقيم الحوارية، وإبراز عناصر تميزها ونجاحاتها.

- تحديد دور المؤسسات الاجتماعية والتربوية (الأسرة، المدرسة، المسجد، والإعلام) في تمثل القيم الحوارية وغرسها وتنميتها في الناشئة والشباب لخلق جيل مؤمن بالحوار فناعة وممارسة.

- تقييم الواقع الحالي لمدى قيام المؤسسات الاجتماعية والتربوية بدورها في نشر قيم وثقافة الحوار والمعوقات التي تواجهها، وكيفية تفعيل هذا الدور.

- تحديد دور المؤسسات والأوساط التربوية في التصدي لظاهرة التعصب والانغلاق.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار . جمهورية صربيا

- بعث قيم الحوار واستثمار مخرجاته خدمة للبعد الكوني فيه.
- إبراز وظيفة القيم في تعزيز الإرشاد الأسري، والوساطة التربوية.

محاوّر المؤتمر:

- 1- ثقافة الحوار وقيمته ودواعي الاهتمام به في ضوء التحديات والمتغيرات المعاصرة .
- 2- القيم الحوارية الدينية والاجتماعية والإنسانية (العدل، التسامح، المساواة، الحرية، التواضع، قبول الرأي الآخر، التعايش، التفاهم...): مضامينها، ومقاصدها، وأبعادها.
- 3- القيم الحوارية الدينية والاجتماعية والإنسانية: نماذج تطبيقية، واستنباطات منهجية .
- 4- مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية.
- 5- أدوار المؤسسات التربوية والاجتماعية (الأسرة / المسجد / المدرسة / وسائل الإعلام) في غرس وتنمية القيم الحوارية في الأجيال الناشئة: الواقع - المعوقات - وآفاق التفعيل.
- 6- الوساطة التربوية: المفهوم والوظائف.
- 7- الوساطة الأسرية: المفهوم والوظائف .
- 8- الوساطة التربوية: التجارب العربية والإسلامية والدولية.
- 9- دور القيم الدينية والاجتماعية في تعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية: مقاربات شرعية ونفسية واجتماعية...

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أعضاء الهيئة العليا للمؤتمر:

- رئيس اللجنة العليا للمؤتمر: د.أنور غيتسيتش
- رئيس المؤتمر: د.مصطفى بن أحمد الحكيم
- المشرف العام: د.ماجد بن عبد الله العصيمي
- نائب المشرف العام: د.حمادي نايت شريف
- رئيس اللجنة التنظيمية: د.رشيد كهوس

أعضاء اللجنة التنظيمية

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| ▪ د. عادل مطرب /المغرب | ▪ د. آدمر موراثويتش /صربيا |
| ▪ د. سهام موعد /صربيا | ▪ د.مصطفى الشيكور / المغرب |
| ▪ د. محمد البدوي /المغرب | ▪ د. نجاد إسماعيل رجبوفيتش/صربيا |
| ▪ د. سناد ساراتوتش /صربيا | ▪ د. محمد الشاوي /المغرب |
| ▪ ذة. زهدية زوكورلتش /صربيا | ▪ د. سيد حاجتش /صربيا |
| ▪ د. المير برامنكوفيتش /صربيا | ▪ د. خير الدين باليتش /صربيا |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أعضاء اللجنة العلمية الذين حَكَمُوا الملخصات والأوراق البحثية

| الدولة | مؤسسة الانتساب | الاسم |
|--------------|--|---|
| الأردن | جامعة اليرموك | د.سميرة الرفاعي (رئيسة اللجنة العلمية) |
| العراق / قطر | جامعة قطر | د.حسن غرباوي (النائب الأول) |
| المغرب | جامعة المولى إسماعيل | د.إدريس جويليل (النائب الثاني) |
| صربيا | كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار | د.سهام موعد |
| مصر/السعودية | جامعة نجران | د.هشام العربي |
| مصر/ماليزيا | جامعة المدينة العالمية | د.محمود سعد مهدي |
| صربيا | كلية الدراسات الإسلامية | د.نزار عمران |
| المغرب | جامعة عبد المالك السعدي-تطوان | د.أحمد الفراك |
| المغرب | مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات | د.عبد الحق دادي |
| العراق | جامعة البصرة | د.رحيم حلو البهادلي |
| العراق | جامعة ميسان | د.نجم عبد الله الموسوي |
| المغرب | المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين | د.إبراهيم بورشاشن |
| البحرين | جامعة البحرين | د.رقية طه جابر العلواني |
| المغرب | جامعة محمد بن عبد الله-فاس | د.محمد البنعيادي |
| السعودية | جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية | د.محمد عبد اللطيف البنا |
| لبنان | الهيئة الإدارية للمؤسسة العالية للبحث العلمي | د.علي لاغا |
| النمسا | معهد العلوم الإسلامية بفيينا | د.أمير زيدان |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| الدولة | مؤسسة الانتساب | الاسم |
|------------------|--|------------------------|
| الجزائر | مركز البحث العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط | د. بلخير عمراني |
| الجزائر | مركز البحث العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط | د. أحمد شطة |
| الجزائر | جامعة عمار ثليجي الأغواط | د. علي عدلاوي |
| المغرب | جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس | د. خالد وزاني |
| المغرب | جامعة شعيب الدكالي - الجديدة | د. فؤاد بلمودن |
| أندونيسيا | جامعة الشافعية الإسلامية | د. أحمد مرادي |
| مصر | عضو الهيئة العلمية للمركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية | د. أشرف سالم |
| المغرب | جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء | د. محمد بوشركة |
| الجزائر/السعودية | رابطة العالم الإسلامي | د. محمد سكحال |
| السودان | جامعة أم درمان الإسلامية | د. إبراهيم الكاروري |
| المغرب | جامعة محمد الأول - وجدة | د. عبد الباسط المستعين |
| فلندا | About Åbo Akademi University Finland | د. إبراهيم أوزدمير |
| الجزائر | جامعة الوادي | د. إبراهيم رحماني |
| الجزائر | جامعة الوادي | د. قويدر قيطون |
| المغرب | جامعة المولى إسماعيل - مكناس | د. عبد الحق حنشي |
| المغرب | جامعة ابن زهر - أكادير | د. حسن بنعبو |
| المغرب/قطر | جامعة قطر | د. عبد العظيم صغييري |
| المغرب | جامعة محمد بن عبد الله - فاس | د. محماد رفيع |
| مصر/قطر | مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان | د. أحمد عبد الرحيم |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| الدولة | مؤسسة الانتساب | الاسم |
|-------------|---|-------------------------|
| المغرب | جامعة محمد بن عبد الله-فاس | د.حسن حمدوشي |
| المغرب | جامعة محمد بن عبد الله-فاس | د.عبد الرزاق الصالحي |
| المغرب | جامعة عبد المالك السعدي-تطوان | د.يوسف بنلمهدي |
| المغرب | جامعة عبد المالك السعدي-تطوان | د.أحمد الفقيري |
| المغرب | جامعة محمد الأول-وجدة | د.لخضر بن يحيى زحوط |
| الجزائر/قطر | جامعة حمد بن خليفة | د.بدران بن مسعود الحسني |
| المغرب | مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث | د.محمد الصادقي العماري |
| المغرب | وزارة التربية | د.وفاء توفيق |
| ألمانيا | جامعة توبنجن | د.محمود عبد الله |
| ألمانيا | المجلس الأعلى للمسلمين بألمانيا | د.عبد الحق الكواني |
| اليمن | المنظمة اليمنية لحوار الأديان والثقافات | د.أحمد الصباري |
| موريتانيا | جامعة نواكشوط | د.ولد الزين الإمام |
| السودان | جامعة أم درمان الإسلامية-الخرطوم | د.عثمان النظيف |
| المغرب | جامعة المولى إسماعيل-مكناس | د.العربي لخنيك |
| السودان | جامعة الجزيرة | د.عبد الله محمد الأمين |

مجموع الأوراق البحثية المحكمة

المجازة من طرف اللجنة العلمية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دور القرآن الكريم في تفعيل ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع

د. أحمد عبد الكريم شوكة الكبيسي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك ورئيس قسم أصول الدين

بكلية الشريعة / جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مقدمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

وبعد: فإن من بين المشكلات والمعضلات الكبيرة التي تواجهنا اليوم، قلة فهم ثقافة التسامح وتجنب الآخر ومقاطعته وذلك خوفاً من مواجهته عقدياً أو ثقافياً أو سياسياً؛ حتى حرص بعضهم على استمرار توجيه التهم إليه بالتآمر والابتعاد عنه من غير تفاهم أو تقارب وهو مرض فكري يُؤثر سلباً على نقاوة هذا الدين وانفتاحه، ممّا يقف حائلاً تجاه بثّ روح التسامح والتفاعل بين الأجيال ولا سيّما بين الأسرة الواحدة؛ حتى أمسى سبباً واضحاً وجلياً في نشر ظاهرة التشدد والتطرف وإيقاد فتيل العنف. وإذا ما نظرنا إلى منهج القرآن الكريم وجدناه قد تميّز بالبعد عن هذا كله، بل قد تميّز منذ فجر دعوته بالتوسط والاعتدال والسّماحة واليسر ودفع الحرج والمشقة في الأحكام الصّالحة لكلّ زمان ومكان. لذا اجتذب هذا الدّين السّمع أنظار الناس المعتدلين في المشارق والمغرب ولا يزال ينمو بقوّته الذاتية وسيظلّ شرع الله تعالى ملاذاً للمجتمعات عامّة والأسر خاصة، وملجأ العقلاء، كلما احتدمت الأزمات، وكثرت الخلافات، واستحكمت المشكلات وتكاثرت الهموم والقلق والاضطرابات.

ففي الإسلام السّمع العلاج والإنقاذ، وبه تصلح البشرية ويعمّ الرّخاء والخير والاستقرار والسّلم والأمان، ومن خلاله يتحقق التقدّم والازدهار، وهذا من أهمّ الأساليب في القضاء على ضعف ثقافة التسامح ، ممّا يدعوننا إلى إلقاء الضوء على أهمّ معطيات القرآن وخصائصه وأبرز مزاياه، ألا وهو بثّ روح التسامح في الأسرة والمجتمع.

مشكلة البحث : تحتاج المجتمعات والأسر العربية والإسلامية إلى تخطيط وتنظيم علمي مقنن لتعزيز ثقافة التسامح بينها وبين الآخرين أسوة بالعصور الذهبية الإسلامية المتقدّمة، إذ الملاحظ حالياً ضعف تلك الثقافة ونشر الأحقاد والضعيفة، ممّا يؤدي إلى منشأ الكراهية والعنف بأنواعه، ذلك أنّ من ضمن أسباب هذا الضعف عدم توظيف رسالة القرآن توظيفاً فاعلاً إيجابياً، على الرّغم من أنّ المسلمين هم الأوّل والأمثل لتطبيق روح التسامح. وقناعة الكثير من الناس اليوم بأهمية نشر وفهم ثقافة التسامح بين الشعوب ودور ذلك في استقرار المجتمع وأمنه، إلا أنّه لا توجد استراتيجية فاعلة لبثّ روح التسامح لرفع الضعيفة والأحقاد والابتعاد عن العنف أو الصراعات. لذا فإنّ دراسة هذا الموضوع والوقوف عنده أصبح من أكثر الأولويات إلحاحاً، ومن أكبر القضايا التي تستدعي اهتماماً خاصاً ورعاية فائقة؛ لما يحتله من موقع ودور حاسم في التطلع إلى حفظ الأمن والاستقرار والتواصل السّلمي بين الناس فضلاً عن استنهاض أمّتنا وتوجيه طاقاتها نحو ميادين الخير والصّلاح.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

.. من هذه المنطلقات نبعت مشكلة الدراسة، وتتمثل في أنّ بعض الكتابات تتسم بالتقليدية والمحاكاة دون اللجوء إلى التفعيل والاهتمام المباشر بقضايا المجتمع، الأمر الذي أدّى إلى عزل المسلمين عن محيط الواقع.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى إحياء ثقافة التسامح، وتعزيز آليات التواصل، واحترام الآخرين ومراعاة خصوصياتهم، والتنبه على ما يترتب من تفریط في ضعف ثقافة التسامح مع الآخرين وعدم الالتفات إليها من نتائج عكسيّة تؤدي بضعاف النفوس من المسلمين وغير المسلمين إلى التهجم والتنع على نقاوة الإسلام وشموليّة دعوته، فضلاً عن التأكيد على أنّ غاية التسامح، هي ترسيخ قيم التفاهم ونشر روح التعايش ونبذ التطرّف بجميع أشكاله، والتأكيد على أنّ القرآن الكريم لا يعمط ثقافة الآخرين ومعارفهم وتجاربهم وخبراتهم، بل يُصحح المعوجّ منها أو الضارّ ويوجّه الناس إلى الخير دون إجبار.

.. وانطلاقاً من هذا الشعور يجيء هذا البحث، والذي يرجع الفضل في تحديده وتلمس أهميّته واستشعار فائدته بعد الله جلّ وعلا إلى الذين قاموا بإعداد هذا المؤتمر الدولي، والسّباقيين إلى كلّ خير، وفي مقدّمهم بالقطع القائمين على المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية، وكلية الدراسات الإسلامية وكافة رعاة ومنظمي المؤتمر في جمهورية صربيا، ذات الجهود المشكورة والأعمال الفاضلة.

منهج البحث: ولتحقيق الأهداف المرسومة سلفاً لهذه الدراسة، يستخدم الباحث المنهج الوصفي، مع التركيز على منهج التحليل لیسهم في تقديم صورة صادقة عن الوضع الرّاهن لقضية ضعف ثقافة التسامح؛ بعد استقراء مجموعة من الآيات القرآنية، ومراجعة كتب التفسير ذات الصّلة بالموضوع. ومحاولة إبراز مفاصد هذا الضعف وعلاقته بنشأة الخلاف السّلبی وتأثيره على الأفراد والمجتمع، مع معالجة ذلك.

خطة البحث: انتظمت خطة البحث في ثلاثة مطالب يتقدمها مقدمة وتمهيد، ويقفوها خاتمة:

* التمهيد: ويشمل التعريف بعنوان مصطلح البحث.

* المطلب الأول: ويتضمّن الحديث فيه عن دور القرآن في إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع.

* وعقدت المطلب الثاني: للتعرف على إشارات القرآن حول ضعف ثقافة التسامح وأثر ذلك في تكريس ظاهرة التقاطع والتناحر.

* وتحدّث في المطلب الثالث: عن أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية العنف ومعالجة ذلك.

.. وفي الأخير تبعث هذه المطالب خاتمة يذكر الباحث فيها ملخص ما سيتوصّل إليه من نتائج خلال جولته لدراسة هذا الموضوع بحول الله وقوته.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تمهيد

جرت المنهجية العلمية عند أهل الاختصاص من الباحثين أن يبدؤا بتوضيح مفهوم ما يُريدون البحث فيه، ومعناه من حيث المصطلح للعلم .. ومن هنا وجب عليّ إيضاح مفردتين غالبتين على مصطلح عنوان بحثي هذا، هما:

أولاً: تعريف التسامح، ففي اللغة: مأخوذ من السَّماح والسَّماحة. والسَّماحة وهي المساهلة وتسامحوا أي: تساهلوا وجادوا بما لديهم.⁽¹⁾

وفي الاصطلاح: فهو التساهل والابتعاد عن التضييق والشدة، وقبول الآخر، وبذل الاحترام للتنوع الثقافي وأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، ويُمكن أن يكون على مستوى الأفراد والجماعات والدول . وهو صفة تدل على سلامة الفكر ونقاء الوجدان. أمّا التعصب فيكاد يكون مرضاً نفسياً يُقيد العقل ويحول بين الانسان وفطرته، وبينه وبين مجتمعه فيتفرد وينفرد منكمشاً شاكاً في كل ما حواليه، يستضعف كل رأي غير رأيه، يفقد الثقة بغيره ويرفض التعايش والتعاون. والتسامح وسيلة الانسجام، وعملية تصفية لعرض الأفكار، وفهم آراء الآخرين، وبذلك يتنازل الإنسان عمّا علق برأيه من أنانيّةٍ ويُصحح أخطائه ليُحقق الانسجام العادل . فالتسامح بعد هذا كله حُلُقٌ مكتسبٌ ويكاد يكون في الإسلام خلقاً طبيعياً ؛ لأنَّ الاسلام دين التسامح يمد الإنسان المسلم بهذه الشحنة فيصبح متسامحاً وتسمو نفسه وترتفع عن الضغائن والصغائر ، ويسعد بالتحاور الذي هو: " مراجعة للكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر ، دون وجود خصومةٍ بينهم بالضرورة " .⁽²⁾ فهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه وبه يُقضى على الانفرادية والتطرف⁽³⁾ .

ومن هذا المفهوم يمكن أن يطلق التسامح على تقريب وتلافح الثقافات بين بعضها الآخر وما يحصل من جراء ذلك من تلاقي وتفاعل وتأثير وتصويب بعضهم لبعض ، والتخلص من المنازعة في البيان وشدة الكلام والتشاجر، والابتعاد عن التمسك بالرأي والتعصب له. وعلى الرغم من الطبيعة المتشعبة للتسامح، فإنه ليس دعوة في بعض الأحيان، ولا مجادلة ولكنّه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتعايش والتفاعل .. ومن هنا

1- ينظر: تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت370هـ) ، تج. محمد عوض ، ط1 دار إحياء التراث العربي - بيروت 2001م : مادة (سمح) : 200/4 ؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) ، تج. أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 دار العلم للملايين - بيروت 1407هـ - 1987م : مادة (سمح) : 386/1 ، معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت395هـ) ، تج. عبد السلام هارون، ط دار الفكر - بيروت 1399هـ - 1979م : مادة (سمح) : 99/3 ، لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) ، ط1 دار صادر - بيروت : مادة: (سمح) : 489/2.

2- ينظر: التعريفات للجرجاني: علي بن محمد ، والمعروف ب(الشرىف الجرجاني ت816هـ) ، تج. إبراهيم الأبياري ، ط1 دار الكتاب العربي - بيروت 1405هـ : 106,287 ، التوقيف على مهّمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت1390هـ) ، تج. د. محمد رضوان الداية ط1 دار الفكر - بيروت ، ودمشق 1410 : 299/1 ، آداب البحث والمناظرة : للشىخ محمد الأمين الشنقيطي، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : 3.

3- وهي كلمة تُطلق على المخاليف لقواعد الشرع ، والتسامح من الشرع . ويكون التطرف في الدين ، كما يكون في الفكر والسياسة ، والأخلاق والسلوك، وهو إتيان غاية الشيء ومنتهاه . ينظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب : د. سليمان بن عبد الرحمن الحقييل ، ط1 الحميضي، 1422هـ-2001م : 9 .. هذا وينشأ التطرف بسبب التباغض والتناقض الحاد بين التصوّرات والمثل الذهني ، وبين الواقع الفعلي الذي يستحيل على الفرد ، أو الأفراد التوافق معه .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فسيكون منطلق حديثي في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - ما يعني التساهل والابتعاد عن التصديق والشدّة ، وقبول الآخر ومصالحته ، وضعف بثّ تلك الثقافة وما يؤول إليه من تبعات خطيرة.

❖ **أشكال التسامح:** للتسامح عدة أشكال تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والعلاقات بين

الدول، ومن أبرزها:

* **التسامح الديني:** قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8] وهذا مُنتهى التّسامح في الدّين، إذ قد أباح الإسلام بِرَّ المخالِف في الدّين، والعدْل والقِسْطَ في مُعاملته. وعليه فإنّ ثقافة التّسامح الدّيني ضرورة ملحة لترصين وحدة المجتمع، إذ التّسامح هو انسجام في الاختلاف القائم على العدل ونبد الظلم.

* **التسامح في المعاملات:** قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]. "أي: إذا أساء إليك أعداؤك بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإنّ ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عمّا فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان ويقهر بذلك عدوه الشيطان وليستوجب الثواب من الرّب ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40]. (1)

* **التسامح العرقي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ؟... » (2).

* **التسامح السياسي:** وهو الاعتراف بالآخر وممارسة حقوقه السياسية بعيداً عن الإكراه والعنف. وثقافة التسامح في السياسة تعطي الحق للجميع أغلبية وأقلية للمشاركة في كلّ شيء كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، ممّا يفتح آفاقاً جديدة في فهم حقوق الآخرين وواجباتهم تجاه الغير ، وعدم فرض قيود على الآخرين، وهذا ما ينتج تحول الأفراد والجماعات إلى التمدن، ويُسهّم بجديّة في تكريس الأطر الديمقراطية المشروعة .

* **التسامح الثقافي:** ولكل مجتمع ثقافة ، والتي من حقه أن يعتزّ بها .

❖ **شروط التسامح:** لا يمكن أن يكون التسامح مثمرًا وفعالًا إلا إذا توفرت الشروط الآتية :

(1) أن يكون تقبل الآخر ومحاورته منهجاً أصيلاً يفوق العصبية ، ولا يمكن أن ينجح أيُّ تلاقٍ ما لم يقم على أسس سليمة راسخة وعلى قاعدة العدالة والتسامح .

1- سورة غافر : 40 . تفسير السعدي : 558 .

2- مسند الإمام أحمد بن حنبل : ط مؤسسة قرطبة - القاهرة ، (من حديث أبي نضرة عن رجل من الصحابة) : رقم الحديث: (23536) : 411/5 .. قال عنه الشيخ الألباني: (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم ، غير من سمع خطبته صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يسم ، و ذلك ممّا لا يضرّ ؛ لأنه صحابي ، و الصحابة كلهم عدول) . السلسلة الصحيحة: للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني ط مكتبة المعارف - الرياض : برقم : (2700) : 203 /6 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

(2) الوعي بثقافة التسامح ، والاستعداد لممارسته مع الآخرين .

(3) تحكيم العدالة الإنسانيّة ، من أجل الوصول إلى نتائج مرضية يقبلها جميع أفراد المجتمع .

✻ **أهداف التسامح:** إنّ الوقوف عند أهداف التسامح له أهميّة الكبرى في تناول هذا الموضوع؛ ذلك لأنّ

الهدف ثمرة كلّ شيء والأمر بمقاصدها فمعرفة الأهداف يعني تحديد مدى نجاح ثقافة التسامح ، فضلاً عن تحديد الهدف والذي يُعدّ الخطوة الأولى في كلّ محاولة يريد أن يقوم بها الإنسان، ومنها:

1. تضيق هوة الخلاف وتقريب وجهات النظر ، من أجل الوصول إلى الحق ، وهذا من أهمّ الأهداف ولاسيّما في هذا العصر الذي كثرت فيه الخلافات .

2. تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من سماحة هذا الدين .

3. تشييد جسر للتواصل السلمي البناء ، وسدّ الطريق أمام المواجهات والمصادمات .

4. إنّ التسامح يُساعد على التوقد الذهني ونقاوته ، وهي صفة ملازمة لأجواء التحدي الفكري والثقافي وهو مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس.

5. فهم التطوّرات والمتغيّرات المحيطة بنا، إذ العالم يعيش بصورة متصاعدة، تغيّرات متسارعة في مكوّناته الحضاريّة والثقافيّة نتيجة للثورة التكنولوجيّة والمعلوماتيّة التي أنتجت نماذج فريدة في تشكيل العالم يصعب اللحاق بها أو فهمها .

فمع وجود الشكّ في الآخر وعدم قبوله والتواصل معه يصبح من العسير التجانس مع تلك التغيّرات والتطوّرات، بل وتسيطر لغة التصادم والقطيعة والشحناء وتعصب الرأْي على التعايش والتفاعل والانفتاح المنضبط شرعاً .

المطلب الأول

دور القرآن في إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع

إنّ المجتمع البشري بحاجة بها ماسّة إلى نشر وتأصيل قيم التسامح كمنظور إنساني وأخلاقي، وتعميم فكرة قبول الآخر المختلف في ميادين الدين والسياسة والاجتماع ؛ ذلك لأنّ أيّ تعصبٍ أو تطرّفٍ سيجعل الحياة قلقة وغير آمنة ، فبدون التسامح وثقافة التصالح لا يُمكن بناء مستقبل يسوده السلام والأمان واحترام حقوق الإنسان .

وإنّ نشر التسامح بين أجيالنا أضحى اليوم ضرورة حتميّة من أجل تفعيل الحقوق الأساسية وعدم حرمان أيّ جماعةٍ من حقوقها وإذا ما صار العكس غُطلت تلك الحقوق وبالتالي فقد يكون أحد عوامل التعصب هو غياب ثقافة التسامح في المجتمع ، والذي بدوره يُؤدي إلى ذهاب قوّة المجتمع، وازدراء الحركات الاجتماعية ونشر لغة الإقصائية، حينئذٍ يزداد التعصب وتنعدم ثقافة التسامح. والتسامح ليس كلاماً نظرياً أو خطاباً شكلياً إنما هو سلوك عملي يحتاج إلى تدريب قاسٍ ومكابدة وعناء من أجل استيعاب الآخرين باعتبار التسامح انتصاراً للذات على الذات، وقيم التسامح والانفتاح واحترام الاختلاف لا تنشأ بمقتضى أمر أو طلب ولكنها تنبع من عقليّة وأسلوب تفكير ذاتي وتظهر في سلوكيات الفرد أو المجموعة ذات الخصائص الحضارية المشتركة .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والقرآن الكريم قد عالج مشكلة التطبيق، من خلال ثقافة أصيلة أسسها وأرساها، وهي ثقافة تؤسس: التسامح لا التعصب، والتعارف لا التناكر، والحوار لا الصدام، والرِّفق لا العنف، والسلام لا الحرب، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99].

والحقيقة أنَّ الواقع اليوم يُشير إلى ضعف انتشار تلك الثقافة في المجتمعات إذ يتضح ذلك من خلال زعزعة الاستقرار والدخول في صراعات بين أبناء الوطن الواحد، وعليه فلا بد من تسامح ينطوي على الأبعاد التي تستهدف التغيير في القناعات وإزالة بعض الأفكار المريضة وإحلال الفكر النَّبِيِّ المَبْنِي على التسامح والعفو والتصالح من أجل استقرار وأمنٍ دائمين بعيدين عن الإكراه والقمع والمصادرة، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:35].

والتسامح النَّاجع المراعى فيه الأهداف المسبقة، يمكن أن يكون مفتاحاً وطريقاً إلى الأفضة، محققاً النَّتَاج الإيجابية والتي قد يخسرها الإنسان إذا لم يسلك سبيله، مبتعداً عن التطرُّف بجميع أشكاله والذي هو أخذ الأمور بشدَّة من غير لين أو يُسر ممَّا يؤدي إلى تجاوز حدِّ الاعتدال. ولهذا قد يتحوَّل الخصام بغير حق والتقاطع إلى صدامٍ؛ لترابطهما المعنوي من حيث فقدان الوسطية، والاحتقان وشدَّة الانفعال أو ردِّ الفعل، وكراهية الآخر المُعارض والتخلص من فكرته وإزاحته.

لذا فإنَّ إنكار التسامح وعدم تفعيله يعني عملية تؤشر على وجود خللٍ ما في النفس الإنسانية، أو في الظروف التي تحيط بتلك النفس. والإنسان السَّوي بطبيعته يرفض التعصب أو التشدد؛ لأنَّ الفطرة السَّليمة تأبى ذلك وتنفر منه؛ ولأنَّها ظاهرة مرفوضة قطعاً؛ بل هي حالة سلبية غير صحيحة على المجتمعات المعتدلة والأمنة المستقرة والله جلَّ جلاله قد ذمَّ التشدُّد المفرط، بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:31،32]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:87].

وذمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التشدُّد ونهى عنه، وقد صرَّح بذلك في حديث -إسناده حسن- يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه، إذ قال: « لا تشدّدوا على أنفسكم ، فيشدّد الله عليكم فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّد عليهم، فنلك بقاياهم في الصّوامع والديارات: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ (1) ». (2). وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة)) . وقال: ((إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ولن نضلّ ما تمسكنا بالأثر)) . وقال أيضاً: ((إياكم والتبدع، وإياكم والتنطع ، وإياكم والتعمق، وعليكم بالدين العتيق)) . (3).

1- سورة الحديد : 27 .

2- سنن ابي داود : باب: (في الحسد) ، رقم الحديث: (4904) : 4/ 428 ، مسند ابي يعلى : أحمد بن علي الموصلي(ت307هـ)، تح. حسين سليم أسد ، ط1 دار المأمون للتراث - دمشق1404هـ - 1984م : رقم : (3694) : 6/ 365 .

3- إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين : للإمام ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، تح. طه عبد الرؤوف سعد ، ط دار الجيل - بيروت 1973م : 4/ 150 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قال الحافظ ابن حجر: " وفيه التحذير من الغلو في الديانة ، والتنطع في العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشارح الشريعة بأنها سهلة سمحة ، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج ... وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الإمام العادل ، ومن نصب الحرب فقاتل على اعتقاد فاسد ، ومن خرج يقطع الطرق ، ويخيف السبيل ويسعى في الأرض بالفساد".⁽¹⁾

إن القرآن الكريم بأحكامه المجملة والتفصيلية يؤسس لمبدأ المسامحة، ويُسجّع عليه، ولا يُمكن وعي هذا إلا من خلال الوقوف على مبدأ التنوع والتعدد، حتى يُمهّد السبيل للاعتراف بالغير، وهذا ما يلّمسه كلُّ دارس لكتاب الله جلّ وعلا ويعلمه كلُّ من يرى التسامح آلة يطرحها القرآن لإثبات العقائد ، ووسيلة لقبول الآخر وطريقة لاحتوائه وإن كان مخالفاً ..

يقول جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:119،118]. قال الحسن البصري: (وللاختلاف خلقهم).⁽²⁾

فعلاماً إذاً نجعل هذا الاختلاف سبباً للتنافر وللخصام!! ونحن نعلم أنّ عدم تقبل الآخر ورفضه سيؤدي بالمجتمع إلى الإخلال بالأمن والسّلام وسيلحق ضرراً كبيراً بالإنسانية وسينسف جميع جسور التفاهم والتقارب .. علام نغض الطرف عن التعددية هذه!! وهي سنة إلهية كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات. فالتعددية والتنوع الثقافي حالتان صحيّتان ينتج منهما التلاقي، وتبادل الأفكار والخبرات التي من شأنهما تطوير أنماط الحياة وازدهارها وتلطيف الناس من مشاعرهم السلبية تجاه الآخرين، فضلاً عن تخلصهم من كلِّ تحيّز - غير مشروع- أو حقد، أو عصبية جاهلية.

وبإعلان التسامح وترسيخ ثقافته على جميع الأصعدة: الدينية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يتعلم أفراد المجتمع احترام الآخر وكسبه بكلِّ مودة ورفق ، رافضين أنواع التطرف والتشدد والتشردم ؛ حتى تزداد بينهم حالة الوثام واللقاء والتعارف الوثيق، وتفتح مغاليق الفكر وأبواب حُرّيّة الاجتهاد والتجديد والإبداع الذي يستحيل تحقيقه دون تمايز واختلاف: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:148].

ولهذا كانت " المبادئ السّامية التي تأسست عليها الدولة الإسلامية، تهدف إلى حماية جميع رعاياها ولا تقيم وزناً لاختلاف معتقداتهم أو أجناسهم أو ألوانهم من منطلق دعوة الدين الإسلامي الحنيف إلى التعايش والاحترام المتبادل مع أبناء الأديان الأخرى وشارك الجميع في صنع الحضارة العربية الإسلامية ، وكانت الحضارة العالمية الأولى في تاريخ البشرية وأيقظت الأمم الأخرى من سباتها العميق ؛ لتخرج إلى عالم النور ولتستقبل عصر العلم والحضارة ".⁽³⁾

1- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) ، ط دار المعرفة - بيروت 1379هـ : 301 / 12 .
2- أورده الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : وهو ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت774هـ) ، تح. سامي محمد سلامة ، ط2 دار طيبة 1420هـ - 1999م : 362/4 .
3- جزء من مقولة الدكتور شعبان محمّد سلام - المتخصّص في اللغة العبرية من جامعة عين شمس في القاهرة- ، إذ ذكرها الأستاذ ناصر العلي ، ضمن مقالته : (سماحة الإسلام ودوره في تقدّم الحضارات الإنسانية) ، والمنشورة في جريدة الشرق الأوسط - جريدة العرب الدولية- : العدد (8515) ، من يوم الجمعة ، الموافق : 9 / محرم / 1422 هـ - 22 / مارس / 2002م .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حينئذٍ يجب أن تظلَّ علاقة المختلفين والمتعدِّدين في إطار الجامعة الواحدة، وعند مستوى العدل والوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143]. والوسط - بنصِّ الحديث الصَّحيح - هو: «العدل» (1).

الذي يجب أن يحكم علاقات الفرقاء المختلفين؛ ممَّا يؤدي إلى نقلهم من مستوى الظلم والعدوان والتطرف والانغلاق، إلى مستوى العدل والتسامح والسَّلم والانفتاح، فضلاً عن المحافظة على بقاء التَّنوع والتمايز والتعدد والاختلاف: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:96]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:34].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصَّبْر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوُّهم)). (2) فالله تعالى يأمر بمصانعة العدوِّ والإحسان إليه ليردَّه عنه طبعه الطَّيب الأصل إلى المودَّة والمصاف. (3) وهو ما يدلُّ على: " أنَّ مُقابلة إساءة العدوِّ بالإحسان إليه تذهب عداوته، وتكسب صداقته " (4).

وهذا هو خُلُق المسلم الحقِّ بل إعلان التسامح والانفتاح، ورفع شعار المودَّة والأخوة الإنسانيَّة؛ غاية عُليا في حفظ الأمن والسَّلام ونتيجة فضلى في تحقيق العدل على مستوى الوسطية الجامعة عن غيرها من نزعات الكراهية والتطرف التي تفضي إلى الانفراد بالسَّاحة، مع نشر الأنانية والغلوِّ فضلاً عن نقض التعددية والاختلاف في النهاية، قال جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:13]. ولا عجب أن يكون هنالك أخوة إنسانية آدمية بحكم الانتساب إلى آدم أبي البشر، حتى نادانا جميعاً بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف:26] في القرآن الكريم خمس مرات.

فهذه سُنَّة لا سبيل إلى إلغائها وتجاوزها بل ينبغي فهمها واستيعابها، وهذا دليلٌ على أنَّ التعارف والتسامح والتعاون بين الشعوب سمة أساسية من سمات الإسلام الحنيف، وأنَّ أصل دعوة الإسلام هو الالتقاء بين الأمم والشعوب للاعتراف بالغير.

فلا يُمكن لأيِّ مجتمع من المجتمعات، أن يتقدَّم إلى الأمام إلا من خلال إيجاد أرضية للتعددية والتعايش، والتفاعل الحرِّ بكلِّ مكُوناته. ولا يُمكن له أن ينهضَ من دون أن تتوفر فيه ثقافة التسامح، وحرية الفكر والتفكير وحق الاختلاف في الرأى، فضلاً عن نبد أشكال التطرف والتخلي عن ثقافة الإقصاء والاستتصال باعتبار أنَّ ذلك يُشكِّل الأساس الأوَّل لتقدُّم المجتمعات وتطوُّرها.

1- صحيح البخاري (الجامع الصَّحيح) : للإمام محمَّد بن اسماعيل (ت256هـ) : تح. د. مصطفى البغا ، ط3 دار ابن كثير - بيروت 1407هـ - 1987م : باب : {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...} رقم الحديث: (4217): 1632/4 ، سنن الترمذي (الجامع) : محمَّد بن عيسى (ت279هـ)، تح. أحمد محمَّد شاكر ، وأحاديثه مذبلة بأحكام الألباني عليها ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت : باب: (ومن سورة البقرة) ، برقم: (2961): 207/5 ، وقال عنه: (حديث حسن صحيح) ، مسند أحمد : برقمي : (11068، 11283): 17/122 - 383 .. وكله من حديث أبي سعيد الخدري ؓ .

2- صحيح البخاري : باب : (تفسير حم السجدة) ، رقم الحديث : (4537) : 1814/4 .

3- ينظر : تفسير القرآن العظيم : 110/1 .

4- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : للشيخ محمَّد الأمين الجكني الشنقيطي (ت1393هـ) ، تح. مكتب البحوث والدراسات، ط دار الفكر - بيروت 1415هـ - 1995م : 190/9 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وبهذا يكون المسلمون قد تجاوزوا عوامل الصِّراع ودعوات التِّراع تجاه بعضهم أو غيرهم ، وذلك بتقبلهم وسعة آفاقهم ونظرتهم إلى المخالف برؤية شمولية واضحة تتيح تقارب وجهات النَّظر وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل العنف والغلو والتشدد والحقد الذي طالما أنهك الإنسانية برمتها ، والذي أثر على مستوى التفاعل والتقارب بين الشعوب والأمم حتى أمست متنافرة متباعدة .

لذا فإنَّ ظاهرة إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين الشعوب والأديان والثقافات ظاهرة صحيحة نافعة، بل هي الوسطى العادلة والمتوازنة بين غلو الإفراط والتفريط في الانغلاق والعزلة، وهي الظاهرة التي تدفع حالة التطرف، وتُبعثُ شبح الإرهاب العالمي والمحلي على حدِّ سواء، وهي ظاهرة إصلاحية ثورية تتجاوز الاعتراف بالآخر والقبول به والتمكين له، إلى حيث إنه جزءٌ من الذات الدينية الواحدة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 64].

.. وانطلاقاً من هذه الآية يوضح الأستاذ حسان تحتوت طبيعة الإسلام ورؤيته إلى الآخر بقوله : "ليس ثمة أبلغ وأوفى بالقصد من الآية الكريمة في الدلالة على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الإسلام ، ذلك أنَّ المسافة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة واسعة ، وإذا كان الإسلام قد جعل في قلوب المسلمين متسعاً للتعايش مع بني الإنسان كافة ، ففيه من بابٍ أولى متسع للتعايش بين المؤمنين، وإن كان هذا التعايش لا يعني أننا متفوقون في كلِّ شيءٍ " (1).

ومع هذا كله فإنَّ القرآن الكريم قد قرَّرَ لكلِّ هؤلاء الفرقاء ذات الحقوق وذات الواجبات التي قرَّرها للمسلمين المؤمنين بالكتب والنبؤات والرِّسالات كلها. وإذا كان القرآن قد أكد على القيم الإنسانية التي من شأنها أن تجمع ولا تفرِّق، وتبني ولا تهدم، وتحض على التعاون لتحقيق الخير للبشر كافة، فإنَّ من أولويات تلك القيم وأساسها ترسيخ التسامح والصَّفح، وعالمنا اليوم بأمرٍ الحاجة إلى التقارب والتعاون من أجل مواجهة تحديات العصر، وفي مقدمتها التطرف والعنف. وإذا لم تترسخ ثقافة التسامح ولم يعترف بعضنا بالآخر ، فإنه ستتغلب المصالح الذاتية على المصلحة الإنسانية ، ممَّا يزيد الأمور تعقيداً وتتفاقم المشكلات ، الأمر الذي يُندُرُ بانتشار التطرف والفوضى ، وعدم الاستقرار في أوطاننا.

ومن هنا يبدو لنا ضرورة التفكير الجدي في قضية دفع الاحتواء إلى الأمام ، وإذكاء روح التسامح ، لاسيما وأنَّ الأمة الإسلامية التي تُنعت اليوم بالتأزم والتخلف، بحاجة ماسية إلى الدُّخول في مشروع تجديدي حضاري شامل يُعيد لها حيويَّتها وفعاليتها التاريخية والاجتماعية، وأصالتها الثقافية والنفسية ..

ومن هنا ينبغي لعلماء الأمة ورجالها المخلصين أن يُفكروا ملياً في تقوية موضوع التسامح بوصفه عملاً علمياً حضارياً ومنهجياً شاملاً في تحقيق الوسطية وفعالاً اجتماعياً يتطلب أعلى مستويات الذكاء والوعي والفاعلية والأصالة والإلتقان، ويخضع لمنهج حضاري واضح ومتناسبٍ مع حجم الواقع المطلوب تغييره.(2)

1- رسالة إلى العقل العربي المسلم : حسان تحتوت ، ط1 دار الحياة - القاهرة 1998م : ص153 .

2- ينظر: الشاكلة الثقافية - مساهمة في إعادة البناء- : عمر عبيد حسنة ، ط1 المكتب الإسلامي - بيروت : 98- 99 ، نحو فهم أعمق للواقع

الإسلامي : د. عبد الكريم بكار ، ط1 دار البشري - جدة / المملكة العربية السعودية : 13- 14 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ولا يُمكن للأُمَّة الإسلاميَّة اليوم أن تزدهرَ ما لم تفهم كيفيَّة التطبيق العملي لحقوق الإنسان، لاسيَّما وأنَّ الأعاصير الاستبداديَّة المعاديَّة للحرِّيَّة تتربص بهم الدوائر ، وتريد منهم الانقضاء على عناصر هذه الحرِّيَّة ، وفي مقدِّمتها حق الاختلاف واحترام ممارسته في الحياة اليوميَّة للناس، حتى تأخذ ثقافة التسامح والاختلاف بالانحسار، وتحلَّ محلها ثقافة الصَّوت الواحد واللون الواحد والفكر الضالَّ التي لا تقبل الاختلاف، بل تُلقِي بالمختلف الآخر في حظيرة التآمر أو الخيانة ولا يمكن لهذا أن يحدث إلا إذا ضعفت ثقافة التسامح والمواطنة في المجتمع ، وحينئذٍ تتغلب لغة العنف والنزاع، وتمتد بين الناس العاديِّين أنفسهم حتى يتحوَّلوا إلى وقودٍ للصِّراعات ، بعد أن أصبحوا مجرد صدى ومتلقٍ للتوجَّهات الفكرية المنحرفة لذا فالمسلمون اليوم في حاجةٍ بهم ماسَّة إلى تنشيط ذاكرتهم والالتفات إلى القيم التي تزرع بها حضارتهم، والعودة إلى تطبيقها في دنيا الواقع من أجل تطوير حياتهم ، وإصلاح مجتمعاتهم وتغيير الأوضاع التي لم تعد تتلاءم مع ظروف العصر ومستجدات الحياة والإسلام إذ يُشجِّع على ذلك كله فإنَّه يُبيِّن في الوقت نفسه أنَّ قانون التغيير يقضي بأنَّ أيَّ تغيير أو تطوير لا بُدَّ أن ينبع من الدَّاخل لا من الخارج كما يُشيرُ إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]. لا يُغيِّر ما يقوم من عافيةٍ ونعمةٍ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يُغيِّروا من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض (1).

إنَّ عمليَّة التأثير والتأثر بين الحضارات والمجتمعات عمليَّة واقعيَّة لا مجال لإنكارها ، وهذا لن يستقرَّ ما لم نعلن التسامح ، ونحیی ثقافته؛ كي نستجيب لفهم ذاتنا وفهم الآخرين ونبتعد عن الانعزاليَّة الممقوتة التي تفقدنا خصوصيَّتنا الحضاريَّة وتحوَّلنا إلى مجرد هامش يكاد أن يضيع .

ولا شكَّ أنَّ الخيار البديل للتطرّف ولصدام الحضارات وصراع الدُّول ، هو ترسيخ ثقافة التسامح وبثَّ روح التصالح بين الشعوب والأمم بما يكفل للإنسان والبشريَّة جمعاء الخير والفائدة ، ويُحقِّق العيش المشترك في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقدي والثقافي والحضاري ، بيِّد أنَّ هذه الرُّوح الحضاريَّة لا يُمكن أن تتمَّ أو تتحقَّق إلا عن طريق حوار بنَّاءٍ وفَعَّالٍ بين المختلفين مع إعلان حسن التَّوأيأ علماً أنَّ الحوار لا يُمكن فرضه بالقوَّة ، إذ هو كالحبِّ والصَّدقة لا يولد بالضغط ولا بالترغيب، إنما يولد بالتسامح والانفتاح على الآخرين المختلفين واحترام وجهة نظرهم، وتفهمهم وعدم رفضهم وقبولهم كما هم ، وكما يرغبوا أن يكونوا .

والإسلام يسعى إلى أن يكون العالم مننتدى حضارات متعدد الأطراف ، ومع ذلك فإنَّه لا يُريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزيَّة القسريَّة ، إنما يُريد لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كلِّ ما هو مشترك إنسانيَّ عام.(2)

فالدين الإسلامي يقوم على أساس التسامح والألفة ، ولا نُغالي إذا أكدنا هنا على أنَّ الإسلام إذا ما نظرنا إليه من حيث مبادئه وتعاليمه الأصيلة وجدناه أرقى الأديان في تحقيق مبدأ التسامح والتواصل ، ويشهد التاريخ لهذا، وذلك من خلال مُعاملة المسلمين لغيرهم في البلاد المفتوحة ، والتي كانت مثلاً رائعاً من التسامح يُحتذى به ،

1- ينظر: تفسير الطبري : 382/16 .

2- ينظر: العطاء الحضاري للإسلام : للمؤلف نفسه ، ط دار المعارف - مصر 1997م : 121 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مما يرمي إلى القضاء على أسباب التطرف والصدّام، وزعزعة الأمن والسّلام . وليس بدعاً أن يكون الإسلام بهذا التفرد دين الوسطيّة ، دين (التسامح) وليس دين التطرف أو العنف والصدّام كما يُتهم بذلك ، وقد استطاع أن يُقيم أمة عاش في كنفها المسلمون وغيرهم وعاشت هي في علاقات مع غيرها أساسها التعارف بعيدة عن الإقصاء والانزليّة، ممّا جعل للإسلام رسالة تبدأ من التوحيد وتنتهي بالدعوة إلى الوحدة التي يتعايش داخلها البشر كله تحقيقاً للوسطيّة والمساواة والكرامة الإنسانيّة ، بعيداً عن أيّ لون من ألوان الصّراع ، وفي منأى عن أيّ مظهر من مظاهر التشدد الذي يستحيل أن يكون الإسلام يحمل شيئاً من بذوره . ولهذا كفلت شريعة الإسلام حرّيّة الاعتقاد لغير المسلمين، وكفلت حقوقهم وراعاتهم؛ استجابة لهدف الإسلام وأمله في تحقيق العدالة والإنصاف، وهما سمتا الحياة فيه؛ وذلك لتستقرّ الأمم والشعوب، وتعيش في أمن وأمان. (1)

والله جلّ وعلا وحده يتولّى حساب المختلفين في دياناتهم ومذاهبهم، ولسنا نحن، وهذا ما قرّره القرآن الكريم في مواضع شتى:

يقول سبحانه مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ جَادُلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: 67-69]. وفي سياق آخر يقول له في شأن أهل الكتاب: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15]. وعن أصحاب الديانات الأخرى يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

إذن على المجتمعات كافة أن تعمل جاهدة على عدم ضعف ثقافة التسامح في المعاملة مع أيّ طرف، وعدم نشر نزعات الكراهيّة والأنايّة والحقّد. إذ إنّ من أبرز معالم التعايش السّلمي الذي يُقرّه القرآن للآخر هو إعلانه للغير بالتسامح، وتوفيره له بوجود اندماجي يُحافظ فيه على جميع مكّونات شخصيّته ، وفي طبيعتها المكوّن الدّيني وما يرتبط به من ممارسات وعادات بها يؤكّد ذاته عقدياً وثقافياً ونفسياً ، ومعها يُثبت خصوصيات هويّته ممّا يتحقق به الانتماء إلى ذلك المجتمع .

ويذكر رسول الإنسانية مُحمّد صلى الله عليه وسلم بطريقة واضحة هذه القيمة فيقول: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ؟...» (2) فساوى بينهم في كلّ حق دينيّ ودنيويّ، ولم يجعل لأحد منهم ميزة في نسب أو حسب أو مال أو حسن صورة ، إنما الميزة والتفضيل بالمعاني العالية في التقوى وتوابعها. (3)

1- ينظر: نظام الأمان في الشريعة الإسلاميّة وأوضاع المستأمنين : سامي الصقار ، ط جامعة محمد الخامس - الرباط / المغرب 1977م : 69 ، مفهوم العدل في الإسلام : مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الدّيني - دمشق / سورية : 131.

2- مسند أحمد: (من حديث أبي نضرة عن رجل من الصحابة) : رقم الحديث: (23489) : 474 / 38 .. قال عنه الشيخ الألباني : (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم ، غير من سمع خطبته صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يسم ، و ذلك ممّا لا يضّر ؛ لأنه صحابي ، و الصحابة كلهم عدول). السلسلة الصّحيحة : للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني ، ط مكتبة المعارف - الرياض : برقم : (2700) : 203 / 6 .

3- كمال الدّين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جار الله ابراهيم آل جار الله ، ط1 وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد -

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار -جمهورية صربيا

ولهذا جعل الإسلام المساواة ومبدأ التسامح والحوار أصلاً من أصول التعامل والتعايش بين الناس ، ويؤكد على ذلك ؛ لأنه دين عام شامل لشئون الحياة كلها فهو بحق دين الإنسانيّة قاطبة حتى قيام السّاعة .⁽¹⁾

فلن نستطيع إذاً استيعاب المعطيات والوقائع المكوّنة لمواقفنا وآراءنا بدون مسامحةٍ وتلاقي، ولن نستطيع أبداً نحن أبناء الوطن الواحد أن نتقارب أو نتفاهم دون أن نتسامح ونتحاور فإذا لم يكن هنالك مسامحة بيننا فسوف ينطوي كلُّ واحد منّا على ذاته وتقع القطيعة بيننا ؛ لأنّ البديل الوحيد عن المسامحة هو القطيعة والضعينة اللتان ستؤديان إلى انتشار ثقافة الشكِّ والحذر التي ستقودنا إلى الفوضى والتصادم والتقاتل .

لذا " ينبغي علينا أن نُفعلَ في حياتنا نصوص الوحي التي تدعونا إلى العفو والتسامح والمصالحة الاجتماعية والتواصل الإنساني والرّحمة بيني البشر، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134]. ويبدأ هذا التسامح بالتسامح مع النَّفس، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن، ولا نعذبها بالكراهية والعدوانية بل نغرس فيها شجرة الرّحمة والمحبة والإيمان والسلام، ونتسامح مع الديننا وقرابتنا وأهلنا وذوينا، فنصل ما أمر الله بوصله ، ونرعاهم بالبر ونحوظهم بالرّفق والرّعاية، ونعفو عن زلاتهم، ونتحمل أذيتهم، ونتسامح مع أبناء مجتمعا، حتى إذا أخطأوا أو أذنبوا أرشدناهم برفق، ونصحناهم بلين معتقدين أننا مثلهم ، يقع منا ما يقع منهم وعلينا أن نرسل للعالم رسالة التسامح وتقديم رسالتنا في حلة السلام، والحرص على نجاتهم وفلاحهم ليأمنوا جانبنا، فحن وإيّاهم نعيش على كوكب واحد ، وبيننا مصالح مشتركة ، ومنافع متداخلة، ويربطنا بهم حق الإنسان على الإنسان، وواجب البشر تجاه البشر ، فيحسن بنا أن نريهم الوجه الجميل للإسلام البريء من العنف والفظاظة والغلظة والاحتقار والكبت والقهر؛ لأنّ الله أمرنا بالحكمة في الدعوة واللين في الخطاب والرفق في المعاملة مع حسن الحوار ، بل نهانا عن الإرهاب الفكري ، والسيطرة على العقول بالقوّة فقال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية:22]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]. الإقناع والحوار والحجة هي طريقنا الصّحيح لتقديم رسالتنا وعرض مبادئنا " .⁽²⁾

وليعلم الجميع أنّ ممارسة التسامح لا تتعارض مع احترام حقوق الإنسان ولا تعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن حقوقه ومعتقداته أو التهاون بشأنها ، بل مبدأ ينبثق عنه الاستعداد للسّماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا. وهنا لا بد من تهذيب المطالب الحقوقية ، وتهذيب لغة الخطاب حتى يتمّ الخروج بحلول عملية تصهر الجميع في بوتقة المجتمع والدولة، وبهذا حينئذٍ ستستمر الإخفاقات الواحدة تلو الأخرى. فعلى اعتماد خطاب ثقافي وفكري علني يتناول جوهر الإشكاليات ويتبنّى نسقاً جديداً من مفاهيم التسامح والاعتراف بالآخر ؛ كي يتمكن المجتمع من تجاوز محنته .

المملكة العربيّة السّعوديّة 1418هـ : 91 .

1- ينظر: الضوابط الأخلاقيّة : د. محمود بابلي ، بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة / المملكة العربيّة السّعوديّة، العدد: (8)، لسنة 1423هـ- 2002م : 54.

2- ثقافة التسامح: وهي مقولة للدكتور عائض القرني، جريدة الشرق الأوسط ، العدد (112000)، الثلاثاء 5/شعبان/ 1430هـ- 28/ يوليو/ 2009م

المطلب الثاني

إشارات القرآن حول ضعف ثقافة التسامح وأثره في تكريس ظاهرة التقاطع والتناحر

بات من المؤكد والضروري أنّ نشر ثقافة التسامح وقبول الآخر المختلف حاجة أساسية وملحة لاسيّما في ظل هذه الظروف الحساسة والحرجة التي نمر بها من كافة النواحي التي نحن فيها، ويجب زرع هذه الثقافة في نفوس وعقول الجيل الناشئ؛ لأنّها تساهم بشكل فعّال في خلق جيل واع قادر على تحمل أعباء المسؤولية وقيادة المرحلة القادمة بشكل ايجابي وسليم؛ لأن مثل هذه الثقافة تشكل ترسيخاً قوياً لمعالم الوحدة الوطنية التي ينبغي بناؤها على أساس من الثقة وبعيداً عن الشك والهواجس.

والقرآن لا يُريد إقصاء الآخر ولا إلغاء شخصه ولا الانتقام منه وقهره وازدراءه، بل التفاهم معه في جو يكفل المساواة في الفرص والإمكانات والتسامح قيمة جوهرية في العلاقات والاتصال بالآخر، وهو أسلوب تفكير ونظرة إلى الآخر تقوم على الاحترام وتقدير التنوع للمفاهيم والآراء وإن اختلفت، يقول جلّ وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم:22].

وتأريخنا الإسلامي في كافة عهوده يشهد بأنّ المسلمين لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها، وأنّه كان من حق أيّ إنسان أن يظلّ على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدّين وتقوم الدّولة بكفالة هذا الحق والدّفاع عنه، ويُفوّض أمره إلى الله تعالى.

ولهذا يقول العلامة ابن قدامة رحمه الله: " وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمّي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدلّ على إسلامه طوعاً، مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه فان مات قبل ذلك فحكمه حكم الكفار، وإن رجع إلى دين الكفر لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام " (1). فتلك خاصيّة ديننا وتلك هي مرتكزات قبول الآخر واحترام خصوصيّاته، وتلك هي خلاص الأُمّة من ظاهرة التنافر والتناحر. وقد شهد لهذا غير المسلمين حتى قال غوستاف: " إنّ القوّة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانيّة الإسلام واتخذ العربيّة لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السّهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى " (2).

وهذا أعظم ردّ من مستشرق منصف إلى الذين يُطلبون بأنّ هذا الدّين قد انتشر بالسيف، وليس بالتسامح والحوار.. ولم يقتصر على هذا حتى قال: " والحق أنّ الأمم لم تعرف فاتحين رُحماء متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم " (3).

1- المغني (في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت241هـ): للإمام موفق الدّين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت620هـ)، ط1 دار الفكر - بيروت 1405هـ: 96/10.

2- حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتير، ط3 دار إحياء الكتب العلميّة - القاهرة/مصر 1956م: 127.

3- حضارة العرب: غوستاف لوبون: 605.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وها هو السير توماس آرنولد يقول: " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة واستمرَّ هذا التسامح في القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم بحقِّ أنَّ القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حُرَّة، وأنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهدٌ على هذا التسامح " (1).

ومن هنا فلا ريب أنَّ التفاهم عن طريق بثِّ روح التسامح حُرِّيَّة تؤكد كرامة الإنسان أيّاً كان، ويشجعه على التفكير والعمل والتعايش والتفاعل والتعاون مع غيره؛ لتحقيق الخير والتقدُّم للمجتمع. فإذا ما رُفض التسامح وحُوربت ثقافته سيؤدى بالمجتمع نحو الخراب والدِّمار وانتهاك حقوق الآخرين وعدم تقبلهم، فضلاً عن انتشار التطرُّف والصِّراع.

لذا فإنَّ قيم التسامح كانت سبباً من أسباب وحدة الشعوب وترباطها وتعاونها في كافة المجالات المختلفة، ونحن في هذا العصر نُدرك أنَّ التسامح بأشكاله المختلفة، يُمثل أهمَّ الانجازات التي حققها الإنسان لنفسه في العصر الحديث، ونؤمن أنها أساس كلِّ حياة إنسانيةٍ كريمةٍ ولا غنى عنها لأيِّ حضارة تنشُد التقدُّم العلمي والاجتماعي والإنساني ، فكانت من أهمِّ أسباب القضاء على الانعزاليَّة والتشدد والتقوقع.

.. وإذا استطعنا أن نستوعب هذا وحركنا قضية العفو والتسامح بمعزل عن التشدد والانفعال وتراكم الاحتقان وتعاملنا معه على أساس كونه وسيلة لسلوك الإنسان ، ومن ثمَّ القدرة على إبداء ما توصل إليه هذا الفكر دون قيد أو مؤثر ، وصولاً إلى بلورة منهج حضاري إسلامي في أعمال العقل والقلب لنيل المعارف والصِّفاء.

"و عالميَّة الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميين منفتحين على حضارات الأمم ومتجاوبتين مع ثقافات الشعوب مؤثرتين ومتأثرتين ... يهدف أولاً وقبل كلِّ شيء إلى الوحدة الإنسانية العامة، والزمانة العالميَّة الشاملة بأن يكون الناس جميعاً إخوة متوآدين متحابين متساوين متكافئين حتى يستطيعوا أن يحققوا الرِّسالة العظمى التي خلقهم الله من أجلها". (2) فبالعفو والتسامح تفتح مغاليق الأحقاد والضغائن، وتدرأ الكثير من مكونات النفس وتراكمات الجاهليَّة .

والأمة العربيَّة والإسلاميَّة لا يُمكن أن تكون لها رسالة حضاريَّة باتجاه العودة إلى الرِّيادة والسِّيادة قبل أن تتحقق روح التسامح في ذواتنا وواقعنا وثقافتنا ومعارفنا ونظمتنا التربويَّة والأسريَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وفي ضوء الإطار الدَّعوي المخلص، الذي يؤسِّس لإنسانيَّة تتفاعل على أساس التقوى والصِّلاح والنفع العام للبشريَّة (3).

إذن فكيف يمكننا أن نتخلى عن قيم التسامح ولاسيما الحوار، والله جلَّ وعلا يأمرنا بالدَّعوة إلى إقامة الحجج على الآخرين وبالتالي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:53]. وهذا يعني قل يا مُحَمَّد لعبادي إذا أردتم إيراد الحجَّة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجَّة مخلوطاً بالشتم والسَّب ؛ ذلك لأنَّ ذكر الحجَّة لو اختلط به شيء من السَّب والشتم لقبولكم بمثله كما قال : ﴿وَلَا

1- الدَّعوة إلى الإسلام : سير توماس آرنولد ، ط القاهرة 1970م : 59 .

2- الإسلام دين المدنيَّة القادمة : مصطفى الرَّافعي ، ط الشركة العالميَّة للكتاب - بيروت 1990م : 14 ، 106 .

3- ينظر : دراسة قرآنيَّة في فقه التجديد الحضاري : سيد دسوقي حسن ، ط دار نهضة مصر - القاهرة 1998م : 23- 24 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿108﴾ [الأنعام:108] فيزداد الغضب والاحتقان وتكامل التفرقة ، ويمتنع حصول المقصود. أمّا إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجّة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء، أثر في القلب تأثيراً شديداً.⁽¹⁾

والملاحظ اليوم أنّ من بين المعضلات الكبيرة التي تواجه المجتمعات هو الخوف من الآخر وتجنّب تلاقيه ومصارحته، وتسعى لهذا بعض الفئات الضالة فتضع الحواجز أمام أيّ تقارب مع الآخر وباستمرار ؛ خوفاً من مواجهته فكرياً ، وتحصّناً ضد انفتاح تابعيه على الرأى الآخر ، وخشية ضياع مصالحه ، وتقوُّص سلطته الداخليّة على جماعته ؛ لذلك حرص بعضهم وباستمرار على مخاصمة الآخرين ، وعدم دعوتهم إلى الحق والصّواب ، وتوجيه التهم لهم بالتآمر ، عبر تطرفهم وغلوهم وتذرّعهم بأدلة تافهة لا نصّ لها في الكتاب أو السنّة ، ممّا يؤثّر سلباً على سماحة هذا الدّين الحنيف .

لذلك بات لزاماً على كافة المجتمعات البحث عن سبل التلاقي والتواصل عن طريق البحث عن أرضيّة مشتركة للتعاون بدل المجابهة، والانفتاح بدل الانغلاق، والتفاهم بدل التجاهل. والعالم اليوم مُطالب بالعودة إلى قيم المحبة والحوار والتسامح ورفع الظلم والعدوان والاستكبار من أجل تهيئة المناخ الملائم لإقامة جسور التواصل المثمر والبناء . وإنّ لدراسة مسألة ثقافة التسامح والتجاوز أطراً منهجيّة أساسيّة من أهمّها، ترسيخ الوعي على ضرورة المُعالجة المنهجية الاستراتيجية لمسألة التفاعل الحضاري . وإنّ أهمّ شيءٍ ينبغي التفكير فيه -اليوم- هو صياغة الوحدة التحليليّة الأساسيّة أو الإطار التحليلي والمناسب لمُعالجة قضايا التفاعل الحضاري.⁽²⁾

ومن الأطر أيضاً ضرورة الوعي بطبيعة تشكيل الإنسانيّة في وضعها الحضاري العالمي، إذ تعيش الإنسانيّة - اليوم- وضعاً عالمياً حسّاساً ومُعقداً ومُخرجاً للغاية . والإنسان الذي يُعاصر في هذه اللحظات التاريخيّة الكبرى يرى تحوّلات ضخمة ، ومعقدة وسريعة في مجال المعرفة والمعلومات والوعي، وفي ميدان الوسائل والتقنيّة والتكنولوجيّة، وفي مجالات أخرى.⁽³⁾

والعالم المعاصر لن ينصت لنا إذا فهم منا أنّنا نريد سلب حقوقه والانتقام منه وتهديد حياته وتخويفه ، بل علينا قبل أن نقدم له الحقيقة الناصعة والحجة البينة عن ديننا، أن نجعله يشعر بحرصنا على حياته ونجاحه وسعادته، فإنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم أتى لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولنجاة الناس لا لهلاكهم، ولسلامتهم وحرمة نفوسهم المعصومة، لا لإزهاق أرواحهم إلا بحقها الشرعي .

إذن ما ينقذ العالم بأسره ويخلصه من الاختزال المتطرّف والمتشدد، هو اللجوء إلى حتميّة التسامح وتثقيف المجتمعات بهذا المبدأ الطموح ، إذ لا يُمكن للحاقدين المتطرّفين تهميش مبادئ الإسلام وسماحته عن طريق نشر التخوّف منه، والإيهام بأنّه يسعى إلى إقصاء الآخرين وإشعال فتيل النزاع معهم .. لذا فقد آن الأوان لوضع حدٍّ

1- ينظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدّين الرّازي (ت604هـ) ، ط1 دار الكتب العلميّة - بيروت 1411هـ- 1990م : 73 / 10

2- ينظر : مناهج التجديد - سلسلة آفاق التجديد: عبد الجبار الرّفاعي، ط1 دار الفكر- بيروت ودمشق 2000م: 57- 58

3- ينظر : مقوّمات التجديد الحضاري عند بديع الزمان النورسي : عبد العزيز برغوث ، ط1 مركز الفكر الحضاري والتربية - كوالالمبور / ماليزيا 1999م : 19.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

للتطبيقات المتشددة التي تتوهم وتريد أن تُوهَم بأنَّ ديننا لا يُسامح ولا يصلح التعامل معه كتيارٍ رئيسيٍّ يصبُّ في الحضارة الإنسانيَّة الشاملة .

المطلب الثالث:

أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية العنف ومعالجة ذلك

وممَّا سبق فإنَّ غياب ثقافة التسامح وقبول الآخر المختلف هو من أكثر عوامل الواقع الذي تعاني منه مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وهذا يُمثل مسؤولية يجب أن يضطلع بها الجميع من قوى سياسية ومنظمات مجتمعية ومؤسسات ثقافية وحتى علماء الدين، إذ إنَّ الإقرار بثقافة التسامح والاعتراف بالآخر هو أمر محمود ومقبول نظرياً ولكن يجب التَّهوض والعمل من أجل ترسيخ قيمة هذه الثقافة وتطبيقها في الحياة اليومية بشكل يعود بالفائدة على الجميع دون استثناء .. وللتعرُّف أكثر على أسباب ضعف تلك الثقافة ، وكيفية معالجتها وتحديدها، التركيز على هذين المحورين:

المحور الأوَّل: أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية التطرُّف والعنف

إنَّ ركافة نشر ثقافة التسامح وهشاشتها تعد سبباً وعائقاً اجتماعياً ، تؤثر سلباً على العلاقات داخل المجتمع المدني الذي يفترض التعدد والتنوع وحتى الاختلاف في مكُوناته ، وأنها تعوِّق إمكانيَّات تبادل الرؤى والأفكار بين فئاته وطبقاته الاجتماعية ، ممَّا تنتشر ثقافة التَّقْي والإقصاء .. والمتأمل في هذا الضعف يجده في واقع الأمر راجع إلى أسباب كثيرة كلها تزيد في منشئة الانعزال والكرامية ، وأسلوب الفكر الضالِّ ، وإقصاء الآخرين وعدم احتوائهم .. وسأكتفي بالإشارة من بين تلك الأسباب إلى أهمِّها :

أوَّلًا: ضعف الوعي الديني والثقافة الشرعيَّة في بثِّ روح التلاقي والتحاوُر مع الآخرين ولاسيَّما مع غير المسلمين فضلاً عن قلة الوسائل الإعلاميّة في الدَّعوة إلى استقطاب الآخر واحتوائه ، وانعدام تحصين المسلمين بالثقافة الإسلاميَّة الصَّحيحة التَّقِيَّة ضد الفكر المعادي ؛ ممَّا يُفضي إلى انتشار التطرُّف والغلوِّ في المجتمع.

ثانياً: الابتعاد عن الوسطيَّة الإسلاميَّة في تقريب وجهات النَّظر ، وانعدام روح الثقة والاعتدال والانتصاف ، ممَّا يكون مدعاة للتنافر والتناحر والميل إلى التطرُّف الفكري والسُّلوكي ، والانحراف عن الفطرة ، فلا يحفظ حينذاك للنفس نشاطها وإقبالها على الطاعة ، ولا يحميها من الأفكار الهدَّامة .

ثالثاً: التعصُّب للرأي ، وهو من أهمِّ دلائل الانعزالية ، إذ لا يعترف للآخر بوجود، فيبتعد عن ملائمة ظروف العصر وفقه الواقع ممَّا يجعل صاحبه بعيداً عن روح العفو والمسالمة، ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرُّأي على الآخرين بشدَّة، حتى يتجرَّأ فيتَّهمهم بالاستخفاف بالدين، أو بالكفر والمروق، فيبعد بهذا الأفكار ولا ينسج أواصر التقارب، بل يُهدِّدهما ويهدفُ إلى زعزعة الأوضاع واستخدام سبل الاعتداء والصِّدام .

رابعاً: إدكاء روح الانتقام والثأر بغير حقِّ ، وانعدام التربية الإيمانيَّة الحقة القائمة على مرتكزات نصوص الوحي، وعدم ترجيح المصلحة العامَّة ، أو الإفادة من قاعدة درء المفسد ، وقلة إدراك التاريخ الصَّحيح وسنن الحياة في واقع الناس.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

خامساً: قلة فهم نصوص الوحيين في تدبر مصطلحاتهما الداعية إلى التسامح ، والابتعاد عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العملية ، وسيرة السلف الصالح فضلاً عن انعدام القدوة الناصحة المخلصة لله تعالى ودينها ووطنها؛ ممّا يدعو المنقّرين والمتشددين المفرطين إلى الأفكار الهدّامة والتخريب والتدمير والتخبط والعنف .

سادساً: وجود رموز فكرية تُنظر للسلوك المنحرف ، وتدعوا إلى الغرور والكرهية والاعتداد بالنفس ، وعدم الأمن والاستقرار ونشر الفوضى وترويع الأمنين في المجتمعات المستقرّة ، وفرض أفكارهم بالقوة والتهديد بالسلاح، فضلاً عن رفض ثقافة النقاش والتنازل للحق ، وإنكار ذلك غلواً وعناداً واستكباراً ، مع بثّ روح الفرقة والحقد والضغينة.

سابعاً: الخوف من تبعات الاختلاف في الرأي ، لاسيّما وأنّ ثقافتنا الاجتماعية والبيئية تأنف من سماع النقد حتى لو كان بناءً ومحترماً ولم تعتد على قبوله بروح عالية ونفسية رحيمة، بل تصرّ للانتصار الشخصي، وترفض النفع الموضوعي وتنكر ثقافة التسامح ومبدأ التبادل المعرفي والثقافي والرؤى ، وتعلن فكرة الإقصاء والتهميش.

ثامناً: الدخول في متاهة ردود الأفعال وعدم القدرة على صناعة الفعل وتوجيهه بالصورة التي تخدم مصالح الأمة، مع غياب الرؤى الاستراتيجية البعيدة المدى على جميع المستويات وكافة الأصعدة ، فضلاً عن غلبة منطق الانفرادية وحب الحسم الفردي والحزبي للقضايا المصيرية ، حتى ينتج عن ذلك المنطق الإقصائي: (أنا أو لا شيء) ، أو منطق العداء لكل من لا يتفق معنا .

تاسعاً: تطبيق ثقافة التسامح من غير وعي بأساسياته وأدبياته ، ممّا يُشجّع الارتداد السلبي والثفرة ، وتوتر العلاقات وإفساد مناخ الحرية وبالتالي يتحفّز الأقوى في مصادرة حرية الأضعف ، بحجة كسبه للجولة ، حتى يصبح جوّ اللقاء مشحوناً بالمشادة الكلامية الباحثة عن الأحادية والانغلاق .

عاشراً: عدم توفر الإمكانيات المطلوبة للتعرف على ثقافة التسامح في الجامعات والمدارس التعليمية ، فضلاً عن اعتبار التسامح خضوعاً وخنوعاً من الأستاذ تجاه طلبته ، استناداً إلى فكرة التسلط التي تحكم علاقة الأستاذ بتلميذه، ممّا يُقيّد طاقات المتعلم الإبداعية ويدعوه إلى التسلط مستقبلاً .

.. إنّ تلك المظاهر أو الأسباب ، التي إن بقيت فسوف تقودنا في نهاية الأمر إلى الهاوية ، ولن يكون بمقدورنا التخلص منها، وإزالة آثارها، إلا من خلال نشر ثقافة العفو والتسامح المبنية على التسليم بحق الاختلاف والتنوّع وترسيخ أدبيات التسامح لدى الناس جميعاً ، ولا يكون هذا إلا من خلال المحور التالي..

المحور الثاني: دور إحياء ثقافة التسامح وترسيخها في معالجة ظاهرة الانغلاق والتناحر

إنّ الطريق الصحيح لتجاوز حالة ضعف ثقافة التسامح والتي تعاني منها المجتمعات المعاصرة لا بد من اتخاذ بعض الخطوات العملية المستنبطة من القرآن والسنة في هذا المجال، أهمّها:

أولاً: إذكاء روح التسامح بين الناس؛ تحقيقاً لعدالة الإسلام ، ووسطيته واعتداله ومُحاربتة لكل أنواع التطرّف والغلوّ والدعوة إلى التعارف والتعايش الإيجابيين بين الشعوب والأمم ، مُلقياً الضوء على نظرة القرآن الكريم والسنة النبوية في التعدد البشريّ ومساواتهما المطلقة للناس وحرّيتهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1] وهو أحد أسباب القضاء على ظاهرة الأنفة والاستكبار في المجتمع.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثانياً: وضع مناهج تعليمية جديدة لإعداد جيل واع قادر على تحمل أعباء المرحلة ، ونشر العلم الشرعي المبني على القرآن والسنة بين الناس والوقوف على كفيّة دراسة ثقافة التسامح ، وفهم أطره وأسباب ضعفه ، فضلاً عن ربط شباب المسلمين بعلمائهم الموثوقين ، من خلال عقد اللقاءات المفتوحة معهم ، وسهولة الوصول إليهم . مع وجوب الاهتمام ببناء المجتمع على أسس عقديّة إيمانيّة صحيحة ؛ تفتح عقولهم ، وتبثّ فيهم روح الدّين الحقيقيّ ، وتمحور حياتهم حول هدف واحد ، ألا وهو تحقيق العبوديّة لله وحده . والاهتمام بالمناهج والتربية الدّينيّة الإسلاميّة المعتدلة، ولتكن تلك المناهج واضحة المعالم بعيدة عن الغموض ، مع إعلان محاربة الفكر الفاسد للتفرّد والتطرف من خلال نشر فتاوى دينيّة عصريّة ملائمة توفق بين قواعد الإسلام الأصيلة ، وبين متطلبات الحياة الضروريّة فضلاً عن مسايرة تطوّرات العصر . وعليه فيجب مراجعة أنفسنا ومناهجنا التعليمية ، إذ المراجعة فرصة جديدة لتفحص مفاهيمنا ومحاولة جادة للوقوف على نقاط الضعف واكتشاف مراكز القوة والضعف وبالتالي سندرك أننا أمام مفاهيم تحتاج إلى تصحيح وليس غريباً في أصول ديننا وعقيدتنا .

ثالثاً: فتح مغاليق أبواب الحوار مع كلٍّ مُخالف، ودعوته إلى الحق بهدوء ولطف ولين واحترام؛ ليتسنى له معرفة رسالة الإسلام العالميّة الموجهة إلى الشعوب كافة ، والتي تعترف بجميع الدّينانات السّماويّة وتحترمها، يقول جلّ وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125].

وهذا ما يدعونا إلى كفيّة الاستفادة من فرصة الحوار وطرح الآراء مع الآخرين ولاسيّما غير المسلمين بعيداً عن الإكراه والقسر: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَاللَّهُ وَاللَّهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46].

رابعاً: تحديد منابع التشدد المفرط، والتضييق على أهله وعمّاله ومروّجيه، وعدم تمكينهم من نشر استبدادهم وكراهيّتهم ومذهبهم المخالف لشرعة السّماحة والتيسير، ودعوتهم آنذاك عن طريق الإقناع ، وتأصيل معاني الخير في نفوسهم ليكونوا عنصراً بنّاءً معتدلاً ولا يتمّ هذا إلا من خلال منظومة الإسلام العقديّة والفكرية والأخلاقيّة التي تركز إلى القرآن الكريم والسنة النبويّة ، وهذا ما يحدّ من انتشار الأنانيّة والتطرف بجميع أشكاله.

خامساً: ضرورة تطوير الآليات الرّسميّة بنشر ثقافة التسامح على أساس من الانسجام، استجابة لمتطلبات التنمية السياسيّة والتعدديّة والتشجيع على الحوار الديمقراطي الهادف، والموضوعي بين أبناء الوطن الواحد حول مختلف القضايا.

سادساً: عدم تأطير عمليّة نشر ثقافة التسامح والاختلاف في أزمّة معيّنة ، أو أماكن محدّدة ، إذ لا يمكن أن تكون هذه العمليّة عمليّة موسميّة أو منحصرّة في جانب معيّن ؛ وذلك لأنّ هذه الثقافة يجب أن تسري كالريح في جسد جميع أفراد المجتمع ومؤسّساته وفي كلّ مكان وزمان فهي عمليّة متكاملة مترابطة ودائمة مستمرّة ، وشاملة لمختلف نواحي الحياة وميادينها ، ولن تتحقق هذه العمليّة دفعة واحدة ، بل تحتاج إلى وقتٍ طويلٍ حتى توتّي ثمارها، كما أنّ العداوة لا تدوم أبد الدهر، يقول جلّ وعلا: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة:7] والله قدير على تغيير القلوب، فهو الذي يُقَلِّبها كيف يشاء.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

سابعاً: تعزيز قنوات الاتصال والتواصل، وإقرار التعامل بالبرِّ والقسط مع غير المسلمين - غير المحاربين-، ممَّا يُساعد على تحسين الأمن والاستقرار العالمي، فضلاً عن تقوية آصرة القرب والتحدث عن مشاكل المجتمعات وهمومها، ممَّا يُسهّم في قبول الآخر، يقول عزَّ وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة:8،9].

ثامناً: التأكيد على أهميّة تفعيل ثقافة التسامح واللقاء بين الكادر التدريسي أنفسهم ، وبينهم وبين طلاب الجامعات والمدارس التعليميّة وذلك من خلال نشر ثقافة التسامح وتقبل الآخر التي تسعى المجتمعات العربيّة والإسلاميّة إلى تحقيقها ، فضلاً عن ضرورة الاستفادة من التقنيّة الحديثة في بناء مشروع ثقافة التسامح وتقويته.

تاسعاً: لمواجهة الاستكبار والمقاطعة لا بد من الاهتمام بالتعليم، وتطويره بما يتناسب مع روح الاعتدال والوسطيّة المنبثقة من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، مع نشر الوعي الإسلامي الحقيقي والمتسامح، ومراجعة برامج التعليم الحاليّة؛ لأنّها أحد أسباب ظهور جيل يستنكف استعمال العقل ومنطق التفكير السليم، ويحجم عن أعمالهما ويستحقّر الآخرين بل يستهين بهم، ويجهل تواصل تاريخه الإسلامي الصّحيح، وتنوّعه وتعدد انتماءاته، الهادف للقضاء على مُشكلات التعصب والعنصريّة الممقوتة .

لذا يجب تطوير المناهج وتركيزها -في المراحل المختلفة- على تدريس مواد متخصصة في تقوية مفاهيم لغة الحوار والتسامح وترسيخها لدى الطلاب، بما في ذلك تثبيت مفاهيم التحدث لديهم أمام الآخرين ، فضلاً عن تأكيدها على موضوعيّة هذه الثقافة وتركيزها على كينيّة احتواء الآخر.. وهذه المناهج إذ بها حاجة ماسّة إلى تطوير جدّيّ تشارك فيه جميع المؤسسات الوطنيّة والشعبية والرّسمية؛ لإنتاج روح ثقافيّة متطورة سويّة غير مأزومة ممَّا سيُسهّم بشكل كبير في تعميق ثقافة التسامح بين مكوّنات المجتمع بدءاً من الناشئة .

عاشراً: نبذ كل أشكال التشدد والتخلف في المجتمع عن طريق إقامة دورات تعليمية وندوات تثقيفية ، إذ إنّ من واجبات وسائل الإعلام اليوم إيصال الفكر التّبرّ للناشئة ، مع تحريك وإثارة روح العفو والمسامحة والحوارات الموضوعيّة البناءة حول القضايا المصيريّة، إذ إنّها معنيّة بالإسهام في تربية الأجيال وربطهم بقضايا وطنهم وشعبهم وأمتهم.

كما أنّ جميع القوى الاجتماعيّة معنيّة بالتواصل والتحوار مع الثقافات العربيّة والعالميّة والاستفادة من كلّ ما أنتجه التقدّم العلمي، إذ ليس من المعقول أنّ كلّ ما يصل إلينا من خارج الحدود الوطنيّة مشكوك بأهدافه .. إنّ تحقيق ذلك كله سيُعزّز من شأن رفع مستوى المواطنين خصوصاً والشعوب عامّة، وسيُساهم في خلق مناخ ديمقراطي وحراك مجتمعي آمن، وسيتمتع في ظلّ تلك الأجواء كلّ الشعوب على حدّ سواء.

أهمُّ النتائج

وممَّا سبق يتضح لنا جليّاً أهميّة هذا الموضوع الشيق .. وبعد تلك الجولة المتواضعة أخلص إلى ما يأتي:

- 1- إنّ التسامح مبدأ من مبادئ وقيم الإسلام الذي يؤكد على النّظام والاستقرار والوئام والتماسك الاجتماعي وتعميم مشاعر الرّضا ونبذ التعصب الذي يؤدي إلى الفرقة والانقسام.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 2- إنَّ الواقع التاريخي والسياسي يُؤكِّد في جلاءٍ وصدق ووضوح أنَّ القرآن الكريم هو الدَّاعي والمؤسِّس الأوَّل لقواعد وأسس التفاعل والسِّلم بين الأمم، وقد بيَّنهما وأوضحهما وطبَّقهما على أرض الواقع، رسول البشريَّة مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم في تعاملٍ إنسانيٍّ وتسامح هادف منشود في الغايات والوسائل والأهداف.
- 3- التأكيد على الاعتراف بالغير وتسامحه، وهي ضرورة حتميةٌ وواجب أخلاقي، تحتاج إلى الممارسة الفعلية الحقة وليس على مستوى الكلمات أو الشعارات فحسب، بدءاً من البيت والمدرسة والجامعة والعمل والمسجد وصولاً إلى المؤسسات الرِّسميَّة، ممَّا يهدف إلى أمن واستقرار جميع المجتمعات والثقافات .
- 4- أوضحت هذه الدِّراسة أنَّ التعددية الثقافية والفكرية على ما فيها من تنوع واختلافٍ، إنما هي مكسب كبير للبشريَّة يجب أن يستثمر في تقدِّمها وتطورها وراثتها، في عدم استجابةٍ للأفكار الضالة والمنحرفة.
- 5- بيَّنت هذه الجولة وبشكل واضح وصریح رفض الدِّين الإسلامي ومواجهته للتعصب والرأي المتشدد المفرط، وحثه للمسلمين على الابتعاد عن كلِّ ما يؤدِّي إلى التطرّف والغلوِّ. ولما كان الانغلاق والتشدد بمجاوزتهما الاعتدال ومخالفتهما أصل الشريعة المبنية على الرِّفق والتيسير والسَّماحة، فهما ليس من الإسلام وحضارته، بل الإسلام منهما براء.
- 6- إنَّ ما يبرز من حالة تشدد في الدِّين لا بدَّ وأن يكون مرجعه الشرع نفسه المبني على القرآن والسُّنة، لا على اصطلاح الناس ومفاهيمهم وأهوائهم وإطلاقاتهم، مع ضرورة اعتماد مناهج تعليمية تقوم على تعزيز مفاهيم التسامح والتعايش السِّلمي وتطورها بما يتناسب وقضايا العصر.
- 7- أوضحت هذه الجولة ضرورة إيجاد روح التسامح بين المجتمعات كافة، واستدكار أوجه التقارب بينها للعيش بسلام وأمن واستقرار، وأنَّ رسالة القرآن الكريم عالميةٌ موجَّهة لجميع الشعوب، وهي تعترف بجميع الدِّيانات السماوية وتحترمها وتعترف بالأنبياء والرُّسل كافة، والحضارة الإسلامية جزء من الحضارة الإنسانية، تقوم على الوسطية والاعتدال وتقارب الثقافات والإيمان بالقيم المشتركة الثابتة، والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات والثقافات.
- 8- إنَّ إحياء ثقافة التسامح، وتعزيز آليات التواصل، واحترام الآخرين، ومراعاة خصوصياتهم، تقرير المنهج العادل والوسطية القرآنية تجاه التفاعل الإنساني، والتعايش السِّلمي. وهو الحلُّ البديل والأنسب في وقاية الأفراد والشعوب من التقاطع والصِّدام، التي لا ينتج عنهما إلا الويل والدمار.
- 9- إنَّ الدُّعاة اليوم أمام مسؤوليةٍ عظيمةٍ تتطلب منهم إثارة قضايا التسامح وثقافة الاختلاف وتعميق مفهوم المواطنة لتقديم رسالة دعوية فاعلة تعمل على فهم الآخرين واحتوائهم والرُّجوع بالشعوب إلى الحركة التفاعلية البعيدة عن الإقصاء والتهميش والأنانية، ووفق الأسلوب الصَّحيح الحق.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين

الإنسان والقيم في ظل التحديات المعاصرة

أ.د. إدريس اجويلل

أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق - جامعة مولاي إسماعيل - مكناس/المغرب

تقديم

يعيش الإنسان في عالمنا اليوم متغيرات على مستوى منظومة القيم، وذلك بفعل تغلغل تيار العولمة داخل المجتمعات البشرية ومحاولتها تلمس معالم وخصوصيات شعوب ضاربة في عمق التاريخ وفرض قيم جديدة على المجتمعات البشرية تحت ذريعة الحرية والمساواة وحقوق الإنسان أو ما يختزل في منظومة القيم الكونية الواحدة.

جميع المجتمعات القديمة اعتزت بقيمها ودافعت عنها ووظفتها في منظومتها المجتمعية والتربوية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، إلا أن قيم البشرية عرفت في السنوات الأخيرة اهتزازا وتصدعا انعكس كل ذلك على تقدم المجتمعات بل تراجعت قيم الأخوة والمحبة للمجتمعات بفعل التغيرات التي بات يعرفها العالم اليوم نتيجة التقدم المذهل للتكنولوجيا المعاصر. وهذا ما سنتطرق إليه بنوع من الاقتضاب والاختصار في المباحث الآتية :

المبحث الأول : مفهوم القيم وأثرها في تنمية المجتمع.

المبحث الثاني : الإطار التاريخي للتربية على القيم.

المبحث الثالث : التربية على القيم في ظل عالم متغير.

المبحث الرابع : أزمة القيم ومسؤولية الإنسان.

خاتمة

المبحث الأول : مفهوم القيم وأثرها في تنمية المجتمع

مصطلح القيم مصدر من الفعل الرباعي : قَيَّمَ يُقَيِّمُ تقييما : الشيء قدر قيمته، تقييم مصدر قِيمَ، فكلمة "قيم" مشتقة من القيمة، والتي تعني : الشيء العالي والتمين. كما يقال : قوم الشيء تقويما فهو قويم، أي مستقيم⁽¹⁾.

أما اصطلاحا، فالملاحظ أن مصطلح "القيم" يختلف مفهومه حسب المرجعيات المحددة له⁽¹⁾، فالمصطلح في المفهوم الإسلامي ليس هو المصطلح في المفهوم الفلسفي والماركسي والرأسمالي والليبرالي، حيث إن مفاهيم القيم

(1) المعجم العربي الأساسي (ق.ي.م)، ص. 1020، لسان العرب، مادة (ق.و.م).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تختلف في هذه المرجعيات والذي يهم من تعريف القيم في المنحى الاصطلاحي هو المقاربة التربوية للمصطلح باعتباره المجال الأساسي لتنمية الإنسان داخل المحيط الذي يعيش فيه ويتعايش مع أفرادها فيتأثر ويؤثر سلبا وإيجابا، ومن هنا نجد علماء التربية قد أسهموا مساهمة كبيرة في بلورة مفهوم متنوع لمصطلح القيم، من ذلك قولهم: "القيم مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا أو هي مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز فيها البشر وتقوم الحياة الاجتماعية عليها ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال أو هي مجموعة الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي يؤمن بها الناس ويتفوقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"⁽²⁾.

وهكذا، يمكن أن نستنتج من تعريف القيم أنها ما ينتجه الفكر من مثل عليا لصالح الإنسان تتدخل في تصرفاته فيحتكم إليها وينضبط بضوابطها خدمة للمجتمع وأهدافه التنموية النبيلة.

ومهما يكن من اختلاف بين المفكرين والباحثين في تحديد مفهوم القيم حسب المحددات المرجعية كما سبق، فإنها تعني: "ذلك النتاج الفكري الذي يحافظ على طبيعة الإنسان وتوازنه داخل مجتمعه، وقد تكون تلك القيم مصدرها الدين أو الأعراف والتقاليد يتخذها الإنسان أنموذجا في تنمية مجتمعه والمحافظة عليه من الانحرافات كيفما كان شكلها ونوعها. فبالقيم ينضبط الفرد الذي يشبعه انضباط المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وتربويا، وهكذا تعتبر القيم التربوية رافعة أساسية في تكوين المجتمعات وتعتبر بعضا من هذه القيم قوة دافعة على أساسها ينبعث السلوك الحضاري للمجتمع فينمو ويزدهر في ظل قيم حضارية لها أهدافها ودلالاتها العميقة في تنمية المجتمع"⁽³⁾. ومن هذه القيم الحضارية التي تعتبر الركيزة الأساسية في التنمية يمكن الإشارة إلى ما يلي:

(أ) قيمة الحياة :

لا يجادل اثنان في كون حياة الإنسان حياة مقدسة ومصونة في إطار الشريعة الإسلامية، إذ ليس لأحد مهما علا شأنه أن يسلب إنسانا حق الحياة إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقرها، ويستوي في هذه نفوس جميع البشر، جاء في سورة المائدة الآية 32 : ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالكعبة ويقول : "ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظك حرمتك، والذي

(1) أنظر التربية على القيم، ص. 49، عالم التربية، مجموعة من الباحثين، الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد فروخ، ص. 6.

(2) أنظر منظومة القيم، د. محمد الكتاني، ص. 5 وما بعدها، القيم الإسلامية ودورها في تقديم حل للمشكلات البيئية العالمية، د. أحمد الخليلي، ص. 7، الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، أحمد فروخ، ص. 6، التربية على القيم، مجموعة من الباحثين، ص. 49.

(3) أنظر منظومة القيم وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر، د. محمد كامل أبو حزم، ص. 13، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، د. محمد الكتاني، ص. 13 وما بعدها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

نفس محمد بيده لحرمة المومن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرا⁽¹⁾. صيانة النفس البشرية والمحافظة عليها يتساوى أمامها كل البشر، فحياة اللاجئين والأقليات وأهل الذمة تتساوى مع المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي وللأحداث التي عرفها المسلمون، يلاحظ أن المسلمين لم يرسموا للبشرية طريقا واحدا أو وجهة واحدة وحكما واحدا ونظاما واحدا وعالما واحدا بقيادة واحدة بالإجبار والإكراه، بل المسلمون اعترفوا بواقع الأديان واللغات والقوميات عاملوها معاملة كريمة بلا خداع ولا سفه ولا طعن من الخلف، ولذا عاش في المجتمع الإسلامي كل أنواع البشر وحافظوا على حياتهم جنبا إلى جنب مع المسلمين فعاش اليهودي والنصراني والصابئي والمجوسي وسائر أهل البشر بأمان واطمئنان⁽²⁾. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽³⁾، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽⁴⁾.

فصيانة النفس البشرية والمحافظة عليها يتساوى في ذلك كل أنواع البشر، وجرى العرف على تسمية المواطنين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي بأهل الذمة، والذمة كلمة: "معناها العهد والأمان والضمان"، وسموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المجتمع آمنين مطمئنين⁽⁵⁾.

ثانيا : قيمة الأامن

الأمن من القيم الإنسانية النبيلة ومن حق كل إنسان أن يعيش آمنا مطمئنا أينما حل وارتحل، آمنا على ماله وعلى نفسه وعلى عرضه وأهله، والشريعة الإسلامية اهتمت اهتماما كبيرا بعنصر الأمن باعتباره اللبنة الأساس في بناء المجتمعات، وفي هذا الصدد نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "المومن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"⁽⁶⁾. كما حذر صلى الله عليه وسلم من ترويع الأمنيين وإخافتهم وإشاعة الذعر والخوف في نفوسهم بمختلف الوسائل والأسباب فَجُرِّمَتْ "الحرابة"⁽⁷⁾ التي تعني خروج جماعي أو فردي عن شوكة إلى الطريق العام بغية

(1) رواه ابن ماجة في كتاب الفتن والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجراح، وأبو داود في كتاب الأدب.

(2) الحوار بين العالمية والعولمة، ص. 154، كتاب الأمة، ع. 99، 1425 هـ.

(3) الممتحنة/8.

(4) البقرة/256.

(5) منظومة القيم الإسلامية وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر، د. محمد كامل أبو حزم، ص. 13.

(6) رواه البخاري في كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب الإيمان، ومسلم في كتاب البر والصلة.

(7) الحرابة عند الفقهاء هي: "إشهار السلاح وقطع السبيل خارج المصر"، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص. 83.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

منع السفر فيه، أو سرقة أموال المسافرين أو الاعتداء على أرواحهم وأعراضهم وأسرهم، حيث كانت العقوبات التي فرضت على المحاربين من أقسى العقوبات، كل ذلك من أجل تحقيق قوة الردع داخل المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، قال ابن العربي⁽²⁾ : الحراة تكون بالاعتقاد الفاسد، وقد تكون بالمعصية، فيجازى بمثلها .. وقد اتفقت الأمة على أن من يفعل المعصية يحارب، كما لو اتفق أهل بلد على العمل بالربا وعلى ترك الجمعة والجماعة".

ومن مظاهر حماية الشريعة لحق الإنسان في الأمن مظاهر عدة منها :

أ . الأمن من قيم المجتمع ومن حق الإنسان أن يعيش في مجتمعه آمناً على نفسه ودينه وعرضه، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا في خطبة الوداع عندما قال: "أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا". كما حذر من الاعتداء على حق الإنسان في الأمن وقال : "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"⁽³⁾.

ب . يتساوى جميع الناس في قيمة الأمن لا فرق بين هذا وذاك، يقول الإمام علي كرم الله وجهه عن المعاهدين وكل أجنبي يعيش في الدولة "أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا"⁽⁴⁾. ويقول الإمام القرافي في الفروق⁽⁵⁾ : "إن عقد الذمة موجب لعصمة الدماء وصيانة الأموال والأعراض إلى غير ذلك مما يترتب عليه وعلينا أن نلتزم لهم بذلك".

ثالثاً : قيمة العدالة

لقد قررت الشريعة الإسلامية مبدأ العدالة باعتبارها من القيم الإنسانية المثلى التي تحكم العلاقات والسلوك الإنساني، فالعدالة هي الميزان التي تثبت به الحقوق والواجبات ولها دور ريادي في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ويسجل للدين الإسلامي الحنيف قصب السبق في تحقيق العدالة وتجسيدها واقعياً سواء تعلق الأمر بجانب المعاملات التي تدخل فيها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أو بجانب العبادات التي يدخل في إطارها علاقة الإنسان بخالقه الذي خلقه فأحسن خلقه، فالشريعة كما قال ابن القيم الجوزية⁽⁶⁾ رحمه

(1) المائدة/35.

(2) أنظر أحكام القرآن، 2/596.

(3) رواه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

(4) أنظر فقه التعايش (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حقوقهم وواجباتهم)، روح الله شريعتي، ص. 163 وما بعدها، الإسلام والقانون الدولي الإنساني، مجموعة من الباحثين، ص. 305 وما بعدها.

(5) 11/3.

(6) إعلام الموقعين، 3/14.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الله تعالى : "مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل".

وتتجلى عناية الإسلام بقيمة العدل⁽¹⁾ في حماية حقوق الإنسان وحرياته بحقه في الأمن العام والسكينة العامة، وحقه في اللجوء إلى القضاء وحقه في التعليم، وحقه في التنمية المستدامة إلى غير ذلك ..

رابعا : قيمة المساواة

يعتبر مبدأ المساواة من الأسس العامة التي تحكم العلاقات بين جميع الناس داخل الوطن الواحد الذي يجب أن يتساوى مواطنوه في الحقوق والحرريات والواجبات دون اعتبار لفارق الجنس أو اللون أو اللغة أو العقيدة حيث تتجلى قيمة المساواة بين جميع الناس في القيمة الإنسانية لكل واحد أمام أحكام الشرع وأمام أحكام القانون في المسؤولية والجزاء والحقوق المدنية والسياسية، والمساواة قاطرة للحرية التي يجب أن يتمتع بها كل واحد داخل المجتمع من قبيل الحرية الشخصية والحرية الدينية وحرية التعبير وما إلى ذلك.

إن هذه القيم تهدف إلى الرقي بالإنسان والسمو به داخل المجتمع الواحد الذي ينعم فيه جميع الأفراد على مختلف أجناسهم وألوانهم بهذه الحقوق التي تنمي المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتسمو به نحو التقدم والازدهار.

وإذا كان الطابع الإيجابي لهذه القيم مصلحة الإنسان أولا، فإن الأديان السماوية جاءت لهذا الغرض وحافظت على هذه القيم وحثت الإنسانية على التقيد بها كل ذلك لهدف واحد ألا وهو حسن التعايش والتآلف والتعارف بين جميع الناس، وإذا تمادت البشرية في عدم بلورة هذه القيم داخل مجتمعاتها فقد تحصل هناك ردة ثقافية وفكرية وتعود البشرية إلى عصور الجاهلية والظلمة التي لم يكن لها إطار أخلاقي وروحي ينظم الأفكار والسلوكيات ويضع لها الضوابط الحاكمة، ولن نجني من ذلك إلا المزيد من التدهور والضعف بل والانهيان، فظن البعض أن أخطاء المسلمين يتحملها الإسلام، وأخطاء المسيحيين تتحملها المسيحية، لا ثم لا، فالإسلام والمسيحية دينان سماويان أما التطبيق البشري فهو الذي يمكن أن يتصف بالقصور وأن تقع فيه التجاوزات والأخطاء⁽²⁾ للأفراد في حين أنها تزعزعهم وتخلخل استقرارهم وأمنهم، كذلك ازدياد الأديان والرموز الدينية أدى إلى فوضى عارمة في مجال منظومة القيم، ولا أدل على هذا من فرض مجلس حقوق الإنسان في جنيف مؤخرا للزواج المثلي ضدا على قيم مجتمعات وشعوب مسلمة وغير مسلمة لها مواقف سلبية من هذا الأمر.

(1) لقد تنبه كثير من الفلاسفة إلى دور العدل وقيمه في المجتمع وفي حياة البشر، فهذا الدكتور الكسيس كارل في كتابه : الإنسان ذلك المجهول، ص. 152، يقول "إن كل إنسان يولد وهو مزود بقدر محدد من حب الخير أو الاعتدال أو الولع بالشر .. إلى أن يقول : إن الخير مرادف للعدل والشر مرادف للأناية والضعف والكآبة".

(2) موسوعة بيان الإسلام، مجموعة من العلماء، 21/1.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المبحث الثاني : الإطار التاريخي للتربية على القيم

إن المتتبع والدارس لمنظومة القيم عبر مسارها التاريخي الطويل، يلاحظ ذلك التنوع بين الديانات السماوية والخصوصيات المجتمعية، لكنها في الحين تتفق على هدف واحد ونبيل هو السعي إلى حماية الإنسان من كل مكروه؛ إذ القيم الكونية جاءت لصالح الإنسان إلا للتأمر عليه؛ فقبل ظهور الحضارة الإسلامية كانت المرجعية المهيمنة على التربية على القيم في المقام الأول هي الحضارة اليونانية باعتبار هذه الأخيرة ساهمت وبشكل كبير في مأسسة مرجعية خاصة للقيم، لكن بعد ظهور الإسلام عرفت التربية على القيم إنتاجات غزيرة صاغها منظرون ومسلمون في المجال التربوي كابن سحنون، وابن جماعة، والقابسي والماوردي والغزالي وابن خلدون وغيرهم، وهكذا نلاحظ أن التربية على القيم مرت بأطوار تاريخية يمكن تصنيفها في ثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى : عند قدماء الصينيين كوتفوشيوس (451 . 479 ق.م)⁽¹⁾

لم يهتم كوفوشيوس بالإنسان من حيث عقله وروحه بل اهتم به من حيث أخلاقه باعتباره يساهم في النهوض بالعلاقات والروابط الاجتماعية، كان يؤكد كوتفوشيوس على ممارسة الإنسان لقواعد الأدب والمجاملة والحد من الغرائز والشهوات بكل صرامة، وكان يؤكد لتلامذته ضرورة احترام قواعد الأدب والمجاملة والحد من قوة الغرائز والشهوات وكان يعلم تلامذته أن الظلم أشد وحشية من النمر، كان يعتقد أن مصدر الفوضى هو فساد الأخلاق وضعف الإيمان بالقيم أو المعايير القديمة في معرفة الصواب والخطأ.

المرحلة الثانية : عند اليونان⁽²⁾

لقد ساهم الفكر اليوناني في بناء حضارة عالمية ما زالت معالمها شاهدة إلى يومنا هذا؛ فهذا أفلاطون (428 . 447 ق.م) الفيلسوف الكبير وبعد إعدام أستاذه سقراط اتجه تفكيره إلى الشروط التي ينبغي توفرها لإقامة حكومة عادلة حيث هيأ الأسس النظرية في مؤلفاته من خلال الشروط التربوية التي ينبغي توفرها وذلك بتوجيه التعليم وتربية الأفراد تربية اجتماعية وسياسية وعسكرية وعلمية تجعل منهم مواطنين صالحين في الحكومة العادلة داخل المدينة الفاضلة التي كان يحكم فيها.

المرحلة الثالثة : في الحضارة الإسلامية

العقيدة الإسلامية منبع القيم وهي ثابتة بثباتها، بل هي نتاج لنظام اجتماعي يعبر عن روح الإسلام ومبادئه ويسعى إلى تحقيقها انطلاقاً من مصدرين أساسيين هما : القرآن الكريم حيث تم في أكثر من 600 إشارة قرآنية إلى مصطلح القيم، والتي تركز على مدلولات من أبرزها الحق والقسط والوزن والثبات والاستقامة والمسؤولية والعدل. ويضع القرآن الكريم منظومة القيم في إطار من القداسة ويعتبرها الطاقة الكبرى لترقية الإنسان والمجتمع. والسنة

(1) التربية على القيم، ص. 36.

(2) نفسه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

النبوية حيث كان الرسول المعلم الأول للقيم، "أدبني ربي فأحسن تأديبي" ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾. حيث إن التربية على القيم في ميزان الشريعة تؤكد على حماية المقاصد الخمس في الشريعة: الدين، النفس، المال، العقل، النسل، حيث إن التربية تنطلق أساساً في حماية هذه المقاصد انطلاقاً من الأسرة والمسجد والمدرسة.

إن التربية على القيم في المرجعية الإسلامية ليست مقتصرة على شعب أو أمة من الأمم، بل هي لكافة الناس باعتبار الإسلام دين وسطي عالمي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽³⁾ إلى غير ذلك من الآيات ذات الدلالة في الموضوع، فالتربية على القيم التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم تتجلى أساساً في الصدق والأمانة والقوة والصبر وتحمل اختبار البلاء.

لقد دخل الإسلام بلاداً شتى واعتنقه الملايين بفعل قيمه المثلى وثقافات متغايرة فأعاد بناء القيم العقديّة والأخلاقية والتشريعية مع مساحة كبيرة للحفاظ على الخصوصية الثقافية وظل العرف مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي وظل المسلم الهندي والصيني يأكل طعاماً ويلبس لباساً يختلف عن الخليجي الذي جاء الإسلام من قبله، وظل هؤلاء يختلفون عن العادات اليومية والحياتية لأهل إفريقيا شمالها وجنوبها، وعندما غزا أوروبا لم يبلغ الخصوصيات الثقافية ولم يفرض اللغة العربية مثلما صارت الإنجليزية الآن لغة الاقتصاد والسياسة والإعلام في المستعمرات البريطانية، أو مثلما حدث في الفرنسية في بلاد المغرب العربي وسوريا ولبنان، وفرض اللغة الإنجليزية في مصر على يد الاحتلال البريطاني، أو الإيطالية على أهل ليبيا⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: التربية على القيم في ظل عالم متغير

إن التربية على القيم في ظل التحولات المعاصرة عرفت تجاذبات متعددة ابتدأت مع فلاسفة الأنوار، جان جاك روسو وهوبس وفرويد ودوركايم وتوماس هوبس ومونتيسكيو، ومكيا فيلي صاحب نظرية "الغاية تبرر الوسيلة"، وغير هؤلاء كثير من الفلاسفة والمنظرين في مجال التربية على القيم بالمفهوم المادي لا المعنوي. وإذا كان العالم الآن بفعل انتشار ظاهرة العولمة أو المعمعة كما يسميها البعض قد تحول إلى قرية صغيرة بفعل الانتشار الكثيف للشبكة العنكبوتية، فإن القيم الإنسانية الكونية المعاصرة الآن هي محط رعاية واهتمام كبيرين من طرف الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ومحكمة العدل الدولية وأصبحت تنحصر فيما يلي:

- التربية على قيم حقوق الإنسان (المساواة، الحرية...).

- التربية على احترام البيئة السكانية.

(1) القلم/04.

(2) الأنبياء/107.

(3) سبأ/28.

(4) مخاطر العولمة، د. صلاح الدين سلطان، ص. 7.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

. التربية على الحكامة الجيدة في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

. التربية على المواطنة.

. التربية على الحوار الحضاري والديني والتواصل بين مختلف الحضارات والشعوب.

ويمكن تصنيف التربية على القيم ضمن الأهداف المتوخاة منها إلى ما يلي :

. التربية على القيم الخلقية : الهدف الإنساني والقيمي الذي يعنى بالإنسان كقيمة عليا وهدف.

. التربية على القيم الجمالية : الهدف الديني الذي يعنى بترسيخ الإيمان بالله وبرسالة الإسلام.

. التربية على القيم الثقافية : الهدف الوطني الذي يعنى بالانتماء الوطني والتماسك الاجتماعي⁽¹⁾.

. التربية على القيم العلمية : الهدف العلمي العقلاني الذي يؤكد العلم منهجا وفكرا.

. التربية على القيم الاقتصادية.

. التربية على القيم السياسية.

إننا نعيش اليوم في أحضان الثورات العلمية الثقافية المتلاحقة، حيث يشهد العالم الآن أخطر أزمة قيمة عرفتھا الإنسانية في تاريخھا الطويل تحت تأثير الثورات المتواصلة لتكنولوجيا الإعلام والعقول الإلكترونية وثورة الاتصالات، وثورة الجينات البشرية والاستنساخ البشري وهلم جرا.

إن التربية على القيم مسؤولية الأسرة والمدرسة والجامعة، والمسجد بل هي مسؤولية العلماء والمفكرين والمجتمع المدني بصفة عامة الذين يجب عليهم أن ينزلوا من بروجهم العاجية لتحمل مسؤولياتهم نحو ما يمكن أن يؤدي إليه الاستغلال غير الأخلاقي لنتاج فكرهم في ظل ثورة معرفية وتكنولوجية أصبح فيها الفكر سلعة تباع وتشتري وأصبحت أطرافا على المستوى العالمي تريد صياغة جديدة لقيم جديدة في عالم الأسرة والمجتمع والاقتصاد والسياسة.

حتى نقيم التوازن في مجال القيم لابد من إعادة الاعتبار للدين وإشراكه في جميع دواليب الحياة انطلاقا من الأسرة إلى المدرسة إلى الجامعة إلى الإدارة إلى المقاول والتصدي بكل حزم لتسويق القيم العالمية السلبية التي تتنافى وخصوصيات شعوب ضاربة في عمق التاريخ ونفي جملة من القيم وتهميشها في حقل التعامل الدولي وبروز قيم كما سبق القول فتتوافق مع تأسيس الدعوة إلى العالمية من خلال المركزية الغربية والأمريكية التي تحاول أن تفرض صراعا مع قيم الحدائث والقيم التقليدية حيث إن قيم الحدائث ترتبط بمذهبية جديدة تنادي بنهاية التاريخ وصراع الحضارات والتي تقوم على تركية النسق القيمي الغربي الأمريكي وتعميمه وكونيته وعولمته مع نهج سياسة الإبادة لإلغاء الآخر

(1) المجلة العربية للتربية، ص. 43.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقتل الآخر⁽¹⁾ ووصف قيمه بالمتخلفة والقديمة والتقليدية ويقصدون بذلك الشعوب المسلمة بوصف قيمها بالسلبية والتخلف والعنف والتسلط والإكراه والإرهاب، ووظفت في هذه الإبادة مختلف أنواع الأسلحة من إعلانات واتصالات وفضائيات وجمعيات.

المبحث الرابع : أزمة القيم ومسؤولية الإنسان

الآن ونحن نعيش في عالم متغير تحكمه الآلة وأضحى الإنسان يوصف بأنه عبد للآلة، عرفت القيم في ظل هذه الثورة أزمة عبر عنها بعض الباحثين بأنها أخطر أزمة قيمية تعرفها الإنسانية، وهنا لابد من تدخل الإنسان لتحمل مسؤوليته في هذه الأزمة، إذ لا يمكن إنكار أصلا الوجود الحقيقي للقيم داخل المجتمع، هذه القيم التي يدرك الإنسان بفطرته أو بضميره أو بحكم عقيدته الدينية أنها يجب أن تظل مستهدفة لذاتها في حياته سواء استطاع الإجابة لندائها وتحققها على أرض الواقع أو حيل بينه وبين تحقيقها بعائق من العوائق⁽²⁾.

ولعل في مقدمتها المسؤولية الأخلاقية التي هي عبارة عن التزام الإنسان عن ضميره أو عن عقيدته أو عن تقاليد مجتمعه، إذ لا نتصور الإنسان مسؤولا بدون أن نتصور قبل ذلك تعهده بقبول إزمائه من لدن جهة من هذه الجهات، وبأنه يتحمل المسؤولية عن طواعية واقتناع. فكأننا هنا أمام ميثاق أو عقد بين ضمير الإنسان وبين من يخاطبه بالالتزام، وهذا الميثاق هو الذي تعبر عنه التربية الإسلامية بالتكليف، قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَفْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾⁽³⁾ وقال : ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ اللَّهُ مَسْئُولًا﴾⁽⁵⁾.

إن مصير التنمية البشرية والتنشئة الاجتماعية، يعاني حاليا من خلل عويص يمكن تشخيصه ب : أزمة القيم، ولكن هذا يختلف من مجتمع إلى آخر فأزمة القيم التي تعاني منها المدرسة المغربية ليست هي أزمة القيم التي تعاني منها المدرسة الكندية أو الأمريكية أو الفرنسية على سبيل المثال.

خاتمة:

(1) التربية على القيم، ص. 185.

(2) منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص. 132.

(3) منظومة القيم، ص. 133.

(4) الصفات/22.

(5) الأحزاب/15.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تبين لنا مما سبق أن منظومة القيم تعاني اختلالات متعددة الأوجه ومن زوايا مختلفة يتحكم في تلك الاختلالات ما هو اقتصادي وما هو سياسي وما هو مجتمعي وما هو تكنولوجي، حيث بات من الواضح الآن أن البشرية تعاني اضطرابات بنيوية معقدة انعكس كل ذلك على الأسرة والمجتمع.

والإسلام بمثله العليا وقيمه الأصيلة المتجذرة في عمق التاريخ أسهم في بناء الحضارة الإنسانية شرقا وغربا ولا أدل على ذلك من التراث الإسلامي العظيم الذي كان له دور أساسي في بناء الإنسان على سلوك قويم. والإسلام هو من أعلن عن منظومة القيم الحضارية واقعا ونظريا وله قصب السبق في ذلك وهو أول من جسدها بدليل ما هو ثابت قرآنا وسنة وإجماعا واجتهادا.

إن جميع أفراد المجتمع الإسلامي على اختلاف ألوانهم وديانتهم عاشوا في أمن وأمان وسلامة واطمئنان لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، كل ذلك بفعل الضمانات التي وفرها الإسلام والإجراءات الكفيلة بتنفيذ تلك الضمانات الموثوقة في نصوص الشريعة والعمل على تطبيقها بدون إكراه ولا تمييز الكل يتمتع بالمساواة في الحقوق والواجبات.

أكتفي بهذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مرتكزات الحوار في القرآن الكريم

د. توفيق العمراني

وزارة التربية الوطنية /المغرب

تمهيد:

إن الواقع الذي تعيشه البشرية اليوم يتصف بالتجاذب والتصارع المتجذر بين أقطابه ومكوناته، هذا التجاذب والتصارع مرده إلى الاختلاف الحاصل في الأيديولوجيات والمرجعيات والفهوم التي تنطلق منها القناعات باتجاه تحليل الواقع واستشراف المستقبل. في ظل هذا الاختلاف الحاصل فلا أدعى من الرجوع إلى نقطة ارتكاز المختلفين، وحلقة الوصل بين المتجاذبين؛ قصد التوافق لحل هذا الاختلاف وتدييره، وتمثل هذه النقطة والحلقة في عملية الحوار المبني على أسس ومبادئ تجعل منه منطلقا لمناقشة الأفكار والقناعات بأسلوب يضمن تقبل المخالف واحترامه قصد الوصول إلى نتيجة مرضية موضوعية تضمن لكل طرف حقه، وتجلي سوء الفهم الواقع. لقد عني القرآن الكريم بعناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والافتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان، والقرآن الكريم قدم لنا نماذج كثيرة من الحوارات، حيث ينطلق في التأصيل للحوار من كون الخلاف حقيقة فطرية بشرية؛ لذا شرع الحوار وحدد مرتكزاته للوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"¹.

يحتاج الناس اليوم للتعايش وقبول الآخر والعيش على هذه البسيطة بحب وسلام، بعيدا عن العنف، والتحيز، والتعصب، وتذليل الصعوبات لبروز منصات علمية وثقافية نستطيع من خلالها الوصول للحقيقة، وتحقيقا لذلك لا بد من الحوار الذي لا يتأتى تحقيق هذه الغايات إلا به، من أجل هذا اخترت هذا البحث قصد التطرق إلى أهم مرتكزات الحوار في القرآن الكريم التي غيب عموما المجتمع الإنساني أغلبها والمسلم على وجه الخصوص، وقد سمت هذا البحث ب: "مرتكزات الحوار في القرآن الكريم".

المحور الأول: التعريف بالحوار والتفريق بينه وبين الجدل

أولا: تعريف الحوار

1. تعريف الحوار لغة

يرجع لفظ الحوار لمادة (ح.و.ر) " وهي ثلاثة أصول:

أحدها: لون

والآخر: الرجوع

¹ سورة هود الآية 118/119.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والثالث: أن يدور الشيء دوراً¹وجاء في لسان العرب: " الحور الرجوع عن الشيء إلى الشيء"²

انطلاقاً من التعاريف الواردة في معاجم اللغة فالمعنى اللغوي للحوار الذي نود دراسته مبني على الرجوع، وكأن كلا من المتحاورين يمكن أن يرجع أحدهما إلى فكرة الآخر بحثاً عن الحقيقة، وإقراراً بالحق، وهذا هو معنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

2. تعريف الحوار اصطلاحاً.

عرف الحوار في الاصطلاح بتعاريف عدة منها:

✓ "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به

أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة"³

✓ "أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في

منطقه وفكره، قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"⁴

مما يلاحظ على التعريفين كون:

الأول: عرف الحوار باعتبار آدابه وضوابطه.

الثاني: باعتبار طريقة إجرائه والغاية منه.

انطلاقاً مما سبق يمكن القول إن التعريفين معا يتكاملهما يشكلان تعريفاً للحوار، إذ لا بد من ذكر الآداب والغاية والكيفية حتى يكون التعريف جامعاً مانعاً؛ وعليه يمكن أن نضع تعريفاً مبسطاً للحوار فنقول: الحوار شكل من أشكال الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة تقريراً للحق فيها، يتم فيه تداول الكلام بينهما بمراعاة جملة من الآداب والضوابط.

3. الحوار في القرآن الكريم.

وردت مادة (ح.و.ر) في القرآن الكريم بصيغ اشتقاقية هي: "يحاوّر" مرتين، و"تحاوّر" مرة واحدة، فهذه صيغ صريحة في إيراد اللفظ، أما الصيغ التي تدل على الحوار معنى وليس لفظاً فكثيرة في القرآن الكريم. أما الصيغ الصريحة فوردت في الآيات الآتية:

➤ قال تعالى: "واضرب لهم مثلاً رجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ

¹ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ح.و.ر).

² لسان العرب لابن منظور مادة (ح.و.ر).

³ في أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 11.

⁴ الحوار: الذات والآخر لعبد الستار الهيتي ص 40.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا¹

➤ قال تعالى: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "2.

إن الاستعمال القرآني للفظ الحوار ورد في سياق تبادل الحديث وفق آداب وضوابط بعيدة عن الخصومة والتعصب، ولهذا فسياق التصريح بلفظ الحوار في القرآن الكريم مرده إلى تبادل الحديث بين طرفين قصد إظهار فكرة معينة بمراعاة ضوابط مخصوصة.

ثانياً: تعريف الجدل

1. تعريف الجدل لغة.

أصل واحد من مادة (ج.د.ل) "وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"³.

وعليه فالجدل لغة فيه معنى مراجعة الكلام مع شيء من الحدة.

2. تعريف الجدل اصطلاحاً

عرفه الخطيب البغدادي بقوله: "الجدل تردد الكلام بين الخصمين إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه، وهو مأخوذ من الإحكام، يقال: درع الجدولة الفتل، والجدالة وجه الأرض إذا كان صلباً ولا يصح الجدل إلا من اثنين"⁴.

3. الجدل في القرآن الكريم

جاء الجدل في القرآن الكريم على نوعين: أحدهما محمود والآخر مذموم.

النوع الأول: الجدل المحمود ومنه:

➤ قوله تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "5.

➤ قوله تعالى أيضاً: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "6.

¹ سورة الكهف من الآية 32 إلى الآية 37.

² سورة المجادلة الآية 1.

³ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ج.د.ل).

⁴ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص 551.

⁵ سورة العنكبوت الآية 46

⁶ سورة النحل الآية 125

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

النوع الثاني: الجدل المذموم ومنه:

- قوله تعالى: " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ¹"
- قوله تعالى: " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُؤًا ²"
- قوله تعالى: " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا ³."

انطلاقاً من هذه الآيات القرآنية وغيرها فالأصل في الجدل الشدة والخصومة تقريراً لباطل أو دفاعاً عن شيءٍ بجهل وغير ذلك، لكن الجدل المحمود استعمله القرآن الكريم مع قرائن أخرجته عن دلالاته الأصلية إلى شيءٍ مرغوب فيه، فالله تعالى دعا في الآية الأولى أعلاه إلى مجادلة أهل الكتاب، وقيد هذه المجادلة بالتي هي أحسن، وقرنه أيضاً بها عند الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: الفرق بين الحوار والجدال

يمكن التفريق بين الحوار والجدل باعتبارين:

الاعتبار الأول: الغاية؛ حيث إذا كانت الغاية إقرار الحق والدعوة إلى الله تعالى اعتبر حواراً، وإذا كان دفاعاً عن الباطل فهذا جدال.

الاعتبار الثاني: الوسائل والآداب؛ فإذا روعيت فيه الضوابط التواصلية من احترام وتقبل للمخالف وحسن قول وعلم وغير ذلك من الضوابط المنهجية والموضوعية اعتبر حواراً، وإذا كان فيه ازدراء وسوء قول وجهل وغيرهم اعتبر جدالاً.

بعد هذه التوطئة عن مفهوم الحوار والتميز بينه وبين الجدل، ننتقل الآن إلى إيراد أهم مرتكزاته في القرآن الكريم.

المحور الثاني: مرتكز الالتزام بالموضوعية والبعد عن التعصب.

إن الالتزام بالموضوعية من أهم القواعد التي تحكم العملية الحوارية أثناء سيرها وعند الانتهاء منها، فهي التي تضبط مجرى الحوار، وقبل الحديث عن بعض التجليات والنماذج في القرآن، لابد من التعريف بالموضوعية والتفريق بينها وبين الذاتية.

تعريف الموضوعية

يقصد بالموضوعية من منظور فلسفي أن المعرفة إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة.⁴

¹ سورة غافر الآية 5

² سورة الكهف الآية 56

³ سورة غافر الآية 35.

⁴ المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار 1040/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وعليه فالموضوعية في الحوار مبدأ يتم الالتزام فيه بالقضية المتحاور حولها من حيث حدودها وضوابطها، والبعد فيها عن كل صور التحيز...

الفرق بين الموضوعية والذاتية

الذاتية مدارها على الشخصية؛ إذ المنطلق فيها ما يحكم الإنسان من أهواء ومصالح ودوافع تجعل التحكم في الحوار وبناء أساليبه ونتائجه على هذا الاعتبار، وعليه فالموضوعية تجسيد لمبدأ العدل في الحوار عكس الذاتية. ومن الآداب التي تندرج تحت هذا المركز:

أولاً: التجرد عن الذاتية في احتمالية الصواب والخطأ بين أطراف الحوار

من الآيات الدالة على هذا المركز:

➤ قوله تعالى: "وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"¹

فهذه الآية دليل قوي في كتاب الله تعالى على قمة الموضوعية التي أرشد الله تعالى عباده المؤمنين في محاوره المنكرين لمبادئ الإيمان، فقد جعلت المؤمن ومحاوره على مسافة واحدة من الحق؛ إذ الحق لا يتعدد هنا، فلم يجعل المجاور محاوره في دائرة الخطأ، بل أعطاه احتمالية أن يكون على صواب إذا أقام حجة وبرهانا على صدق قوله، على الرغم من أن المحاور متيقن بصحة اعتقاده.

قال قتادة في تفسير هذه الآية: "قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد"².

ثانياً: الالتزام بدائرة الموضوع وعدم الخروج عنه لذاتية في المحاور.

إن المحاور في بعض الأحيان قد يخرج عن دائرة موضوع الحوار إما من خلال طعن في محاوره، أو تشتيتنا لتركيزه، أو تكبرا، وما إلى ذلك من عيوب الحوار.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

➤ قوله تعالى في قصة نوح مع قومه: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ

وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"³

فهذه الآية جاءت تلقينا لنوح عليه السلام بعدما اتهمه قومه بالضلال المبين أثناء دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وتحذيرهم من عذاب الله، فعوض مناقشته في ادعائه الذي أقام عليه الأدلة والبراهين قاموا بالطعن في شخصه واتهامه بالعتة تكبرا وحسدا من عند أنفسهم، كل هذا سببه الهوى وحظ النفس، ولهذا قال تعالى:

¹ سورة سبأ الآية 24.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي 517/6، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ/1999م.

³ سورة الأعراف من الآية 61/62.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَفَّلَهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ
اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ¹

فهذه الآية بعمومها تبين أن محرك الشخص في كل تصرفاته وأقواله واعتقاداته مبناه على الهوى لا على ما يظهر من الحق بسبب الأدلة والبراهين.

ثالثا: إظهار ماله وما عليه من أدلة وحجج وعدم تلبيس الحق بالباطل.

إن عدم إظهار المحاور لمحاورة الأدلة والحجج على حقيقتها وتلبيسه الحق بالباطل يعد مظهرا من مظاهر حب الذات، حيث يقوم الملبس بتكليف الحوار حتى يتناسب مع القناعات والمبادئ التي يؤمن بها ، ومن الآيات الواردة في سياق ذم ذلك:

➤ قوله تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"².

➤ قوله تعالى: " وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "³.

جاء في تفسير الآية الأخيرة عن ابن عباس: " لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم"⁴.

رابعا: الإنصاف والعدل عند المحاورة حتى وإن ظهر الحق مع المحاور.

من الأدلة الدالة بعمومها على ذلك:

➤ قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ"⁵

➤ قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"⁶

فهذه الآيات وغيرها تدل بعمومها على أصل من أصول الإسلام في التعامل مع الغير محاورا كان أو غيره، وهذا الأصل يتمثل في العدل من خلال الاعتراف بصحة معتقد المخالف أو قوله أو فعله، لكن الاعتراف بذلك أمر ثقيل على النفس، لا يقوم به إلا من تشرب الأدب مع غيره، فصار سجية له حتى ولو في حق نفسه.

المحور الثالث: مرتكز الرفق في الحوار قولاً وفعلاً.

¹ سورة الجاثية الآية 23.

² سورة آل عمران الآية 71.

³ سورة البقرة الآية 42.

⁴ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 245/1.

⁵ سورة النساء الآية 135.

⁶ سورة المائدة الآية 8.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن من أهم مرتكزات اجتماع قلب المحاور وإقباله على محاوره رفقه به، وهذا المبدأ مطلوب في كل المعاملات الإنسانية عموماً؛ لذا مدح الله تعالى نبيه الكريم بالرفق ونفى عنه صفة الغلظة التي تنفر من حوله محاوراً كان أو غيره، فقد قال تعالى " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"¹. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح بصيغة العموم كل أمر اقترن بالرفق وحذر من تغييب هذا الخلق فقال عليه السلام: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه"². ونذكر من أهم مبادئ وآداب مرتكز الرفق في الحوار:

أولاً: القول الحسن

إن من أهم أسس انتشار دعوة التوحيد زمن الرسل والأنبياء صفة القول التي نهجوها في دعوتهم لعبادة الله تعالى، وهذه الخصلة على سبيل الوجوب والإلزام من حيث الاتصاف بها في مخاطبة الغير؛ لأن الخطاب القرآني ورد بصيغة الأمر الموجه لكل مؤمن من خلال قوله تعالى: "وقولوا للناس حسناً"³. وقد جعل الإسلام القول الحسن تعبداً يجازى عليه، ففي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: "والكلمة الطيبة صدقة"⁴.

ومن الآيات الدالة على إعمال هذا المبدأ في الحوار:

➤ قوله تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"⁵

➤ قوله تعالى: " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى"⁶.

قال القرطبي في تفسير الآية الأولى: "فيه مسألة واحدة، هذه الآية نزلت في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة"⁷. أما الآية الثانية فقد تحدثت عن أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون بالقول اللين الذي يقتضي القول الحسن رجاء استمالته إلى التوحيد والحق، وقد قيل في تفسير هذه الآية: (والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يُظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به

¹ سورة آل عمران الآية 159

² صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق رقم الحديث 2594.

³ سورة البقرة الآية 83

⁴ صحيح مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم الحديث 1009

⁵ سورة النحل الآية 125

⁶ سورة طه الآية 43 . 44

⁷ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 177/10

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الحق ويميز به بين الحق والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله، فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين. واللين من شعار الدعوة إلى الحق، قال تعالى: "وجادلهم بالتي هي أحسن"¹، وقال "فيما رحمه من الله لنت لهم"²(3).

وعليه فإن القول الحسن أثناء الحوار مدعاة لامتلاك قلب المحاور قبل عقله حتى تنتهياً أجواء الحوار الهادئ الهادف.

ثانياً: الرحمة بالمحاور حرصاً على إظهار الحق له.

إن أكد ما انبنت عليه الدعوة الإسلامية في مهدها رحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الصديق والعدو، الموافق والمخالف، كيف لا وقد زكاه الله تعالى بقوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"⁴. وقد بين القرآن الكريم صفة الرحمة في دعوة الأنبياء أقوامهم كخلق تبليغي قصد إخراج محاورهم من براثن الشرك والكفر إلى رحاب التوحيد والإيمان. ومن ذلك:

• خوف الأنبياء على أقوامهم من العذاب.

- ✓ خوف نوح عليه السلام على قومه عند دعوتهم إلى عبادة الله تعالى، قال عز وجل: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"⁵.
- ✓ خوف إبراهيم عليه السلام على والده، قال تعالى: "يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا"⁶.

ففي هذه الآيات وغيرها جسّد الخوف على المحاورين من المخالفين مظهراً من مظاهر الرحمة التي تميز بها أنبياء الله تعالى اتجاه أقوامهم وأقربائهم حتى لا يطالهم عذاب الله وغضبه. فرغم مخالفة غيرهم لهم معتقداً لم يجعل ذلك صفة القسوة والانتقام والغلظة ميزة لهم، بل كان هدفهم محاورة مخالفينهم إخراجاً لهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

• رحمة المحاور بنصحهم. ومن ذلك:

- ✓ قوله تعالى: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا"¹

¹ سورة النحل من الآية 29

² سورة آل عمران من الآية 159.

³ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 225/16

⁴ سورة الأنبياء الآية 107

⁵ سورة الأعراف الآية 59

⁶ سورة مريم الآية 45

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وصف الله العبد الصالح عليه السلام بالرحمة، ومن صور الرحمة في هذه الآية نصحه لموسى المحاور عليه السلام بعدم قدرته الصبر على اتباع الخضر عليه السلام.

✓ قوله تعالى: " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ"²

ففي هذه الآية نصح الرجل الصالح قومه الذين خالفوا نبيهم المعتقد، فأرادوا التنكيل به وتعذيبه، وهذا قمة الرحمة بهم.

إن الرحمة بين المحاور ومحاوره وسيلة لفتح مغلق القلوب، وطرق موصل العقول، بعيدا عن كل الأمراض النفسية من كبر وعجب وحقد وغيرها، فيشرح الصدر بهذه الرحمة، ويُقبل المحاور على محاوره قاصدا بذلك الاقتناع عن طريق الاحترام المبني على سلوك الراحم، وقد كان لهذا الأسلوب الأثر البارز في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"³

قال الرازي في تفسير هذه الآية: " فإن قيل ما الفرق بين الفظ وبين غليظ القلب، قلنا الفظ الذي يكون سيئ الخلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء، فقد لا يكون الإنسان سيئ الخلق ولا يؤدي أحدا، ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظهر الفرق من هذا الوجه"⁴.

ثالثا: الحلم والصبر في الحوار بين أطرافه.

إن مما تتميز به الشخصية القوية عن غيرها من الأنفس المندفعة المنفعلة؛ خصلتا الحلم والصبر، فهما علامة على القدرة على التحكم في الانفعالات والأحاسيس التي قد تضر بالنفس والغير، ولهذا مدح النبي صلى الله عليه وسلم الحليم فقال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"⁵.

قد أثنى الله على الصابرين فقال عز وجل: " وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ"⁶، وقال تعالى أيضا: " إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"⁷

¹ سورة الكهف الآيات 65 / 68

² سورة يس الآيات 20 . 21

³ سورة آل عمران من الآية 159

⁴ مفاتيح الغيب لفجر الدين الرازي 52/9.

⁵ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب برقم 2609، والبحاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب رقم الحديث 5763، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁶ سورة النحل من الآية 6 12

⁷ سورة الزمر من الآية 10

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ما المقصود بالحلم؟ جاء الحلم بما يخالف الطيش، قال المناوي في تعريفه: "الحلم احتمال الأعلى الأذى من الأدنى، وهو رفع المؤاخدة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم، وهو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"¹ وقال الجرحاني "الحلم هو الطمأنينة عند سؤرة الغضب، وقيل تأخر مكافأة الظالم"². أما الصبر فقد عرفه ابن القيم بأنه "حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية"³.

انطلاقاً من التعريفين يمكن القول: إن الحلم والصبر صفتان نفسيتان تتمظهر في سلوكات تضبط الشخص فيكون هو المستفيد الأول ثم غيره، وصفة الضبط لازمة لهما معاً، لكن فرق البعض بينهما بكون الحلم إمهال بتأخير العقاب المستحق، ولا يصح الحلم إلا ممن يقدر على العقوبة وما يجري مجراها، أما الصبر فحبس النفس لمصادفة المكروه، وهذا الحبس يكون من خلال عدم إظهار الجزع.⁴ وعليه فإن الحلم والصبر يمكنهما إفادة المتحاورين خلال الحوار من خلال:

- منع التسرع منهما في الرد الذي قد يكون جارحاً للطرف الآخر كرد فعل عن قول للطرف الأول لم يتقبله الطرف الآخر.
- كونهما وسيلة للأخذ بناصية المجاور وملك مشاعره بالأخلاق التي يقابل بها، فعوض الانتقام والمعاقبة الحلم، وعوض الغضب الصبر.
- منح المواقف والأدلة وتناسبها موضوعياً من خلال كونها مبنية عن تعقل وتوادة تجعل صاحبها يفكر فيها، ويُقلب أوجهها قبل التلفظ بها.
- إبعاد الطرفين عن الذاتية التي تعتبر ناسفة للحوار من أصله.

المحور الرابع: مرتكز الهدوء وحسن الإنصات والإقبال على المخاطب أثناء الحوار.

الهدوء وحسن الإنصات والإقبال أثناء الحوار أي الجوانب الشكلية في محيط الحوار تكون حكماً في الغالب على استمرارية الحوار وموضوعيته، ذلك أن تصرفات المتحاورين إما أن تكون عائقاً في استمرارية الحوار وإنتاجيته، أو تكون محفزاً لأطرافه على المضي فيه وإدامته، ومن المرتكزات التي لاعلاقة لها بموضوع الحوار وإنما بطريقة إجرائه وهي مؤثرة وفعالة، الهدوء أثناء الحوار وحسن الإنصات إلى المحاور والإقبال عليه أثناء الحوار.

أولاً: الهدوء أثناء الحوار.

إن صفة الهدوء أثناء الحوار علامة على رزانة نفسية يتميز بها الهادئ، وثقة في النفس تجعل قوله سديداً ومركزاً، أما الانفعال والتوتر فهما علامة على الارتباك والاضطراب، وهذا مظنة الانهزام، والقرآن الكريم بالقصص

¹ التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي 294/1.

² التعريفات لعلي بن محمد الجرحاني 125/1.

³ الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية تحقيق محمد عبد الرحمان عوض ص 11/1.

⁴ ينظر معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 99.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الحوارية التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم جسّد فيها الأنبياء قمة الهدوء في دعوة أقوامهم إلى عبادة الله وتوحيده، ومن أمثلة ذلك:

➤ قوله تعالى: " وَإِلَىٰ عَادِٰٓرِهِمْ هُوْدًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"¹

فهذا السياق الحواري ورد في القرآن بكثرة، توحدت فيه كيفية رد الأنبياء على أقوامهم، وإن اختلفت ردودهم، فبعد أن قامت عاد باتهام هود عليه السلام بالسفه وخفة الرأي والعقل والكذب، وفي هذا من الاستفزاز مالا تقوى عليه النفوس الزكية التي تأبى الانصياع وراء السفهاء وأساليبيهم، أجابهم بكل هدوء بعيدا عن الانفعال فقال "يا قوم"²، فجعلهم منه ليثبت رابطهم به وربطه بهم "ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين"³، وعلى أساس هذا الجواب يحقق الهدوء مجموعة الفوائد أثناء الحوار أهمها:

- استمرارية الحوار بين الأطراف.

- دفع الطرف الآخر إلى مراجعة طريقة حديثه مع الآخر

- كسب قلب الآخر من خلال السمو الأخلاقي الذي عومل به.

ومن عوائق الهدوء ومنغصاته أثناء العملية الحوارية:

- رفع الصوت من طرف أحد المتحاورين أو منهما معا، وكلما ارتفعت الأصوات ارتفع وذهب معها التعقل والتركيز والأدب، لذا ذم الله تعالى على لسان لقمان عليه السلام رفع الصوت عموما فقال تعالى: " وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"⁴.

ففي الآية السابقة ذم لرفع الأصوات حوارا كانت أو غيره، وعليه على المحاور عدم رفع الصوت جدا، لأنه مخل بمرتكز الهدوء أثناء الحوار، قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "وجملة إن أنكر الأصوات لصوت الحمير تعليل علل به الأمر بالغض من صوته باعتبارها متضمنة تشبيها بليغا، أي لأن صوت الحمير أنكر الأصوات، ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير، فله حظ من النكارة"⁵.

وليس من الهدوء وخفض الصوت أن يخفضه لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لابد من التوسط والاعتدال، وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأنى من غير صراخ أو صيا، ومن غير إسرار وإخفات هو الأدخل في النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم، ومن

¹ سورة الأعراف الآية 65/67.

² سورة الأعراف الآية من الآية 65.

³ سورة الأعراف الآية 67.

⁴ سورة لقمان الآية 19.

⁵ التحرير والتنوير 169/21

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة؛ لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفع انفعالا مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دورا في تجديد الانتباه"¹

ثانيا: حسن الإقبال على المحاور.

إن من كمال خلق المرء عموما والمحاور خصوصا حسن الإقبال على محاوره، ويقصد بحسن الإقبال توجيه العين والوجه وتجنب الالتفات، وهذا من مقتضيات حسن الإنصات وإظهار الاحترام، كما أنه يؤدي إلى توحيد التفكير وتقوية التركيز، قال الإمام الجويني رحمه الله تعالى: "وعلى كل واحد منهما أن يقبل على خصمه الذي يكلمه بوجهه في خطابه، المتكلم في كلامه والمستمع في استماعه، فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه، فإن لم يقبل قطع مناظرته؛ لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتقطع عليه مادة الفهم"².

وقد تمثل هذا الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاءاته عموما، فقد ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه"³، قال الطيبي في شرح هذا الحديث: "كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعليم لأئمة في إكرام صاحبه وتعظيمه"⁴، وعليه فالإقبال تعظيم واحترام لأطراف الحوار بعضهما لبعض، زمن الأدلة الدالة على ذلك ما سنورده في حسن الإنصات لتلائم حسن الإقبال بها، فلا يتصور أحدهما دون الآخر.

ثالثا: حسن الإنصات والاستماع.

إن استيعاب القضايا المتحاور حولها فهما وتفهما يقتضى سماعها والإنصات لصاحبها، وحسن الإنصات مظهر من مظاهر احترام المخاطب، فهو مؤذن للمتكلم بأهمية كلامه عند المتكلم معه، وهو الطريق إلى التفكير والتأمل في المقال قصد الفهم، قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"⁵، "فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال والاهتداء بما يحتوي عليه القرآن من الدلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم المفضي إلى الإيمان به، ولما جاء به من إصلاح النفوس، فالأمر بالاستماع مقصود به التبليغ واستدعاء النظر والعمل بما فيه، فالاستماع والإنصات مراتب بحسب مراتب المستمعين"⁶

¹ في أصول الحوار، الندوة العالمية ص94.

² الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني ص 533/534.

³ أخرجه الترمذي في سنة رقم الحديث 2490.

⁴ شرح المشكاة للطيبي 3709/12.

⁵ سورة الأعراف من الآية 204.

⁶ التحرير والتنوير 239/9.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وعليه فالغاية من الإنصات والاستماع تدبر الكلام عن طريق التفكير فيه والتدبر قصد الوصول إلى كنهه وحقيقته، وهذه غاية لا يبلغها من انشغلت جوارحه عن سماع الكلام والإنصات له، فهو دلالة على إرادة الفهم والقصد إليه، قال أبو هلال العسكري: "قوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له"¹ إشارة إلى قصدهم إلى ذلك وميلهم إلى السماع الخالي عن القصد"².

ولابد أثناء الاستماع والإنصات من إطالة السكوت وعدم المقاطعة؛ لأن ذلك يتنافى مع مقاصد الحوار وغاياته، قال الخطيب البغدادي في أدب الجدل المناظرة: "ويستشعر في مجلسه الوقار ويستعمل الهدى وحسن السميت وطول الصمت إلا عند الحاجة"³.

وقد أعمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المرتكز كثيرا في حواراته مع المخالفين، ومن أمثلة ذلك ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة عند محاورته إياه، ففي سيرة ابن اسحاق بسنده "أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حلما قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضي من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد شرفا شرفناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك، فإنكم لعمرى يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: أفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس

¹ سورة الأعراف من الآية 204.

² الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 118/1.

³ الفقيه والمتفقه 27/2

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي، إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزمكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم¹.

فقد تميز رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحوار بصفات عدة أهمها حسن الإنصات والاستماع جعلاً منه مستوعباً للقضايا المطروحة ومعالجاً لها علاجاً موضوعياً أساسه التعقل والتروي والحسم لا العجلة والمقاطعة. مهما كان عليه الخصم من خطأ وزلل فعلى محاوره أن يلتزم بحسن الإنصات حتى ينهي الطرف الآخر كلامه، ولنا في الهدى القرآني خير مثال على ذلك، فمن الحوارات الواردة في القرآن الكريم والتي تؤصل لهذا المركز على الرغم من مخالفة المخاطب لمخاطبه في الاعتقاد والسلوك:

➤ قال تعالى في قصة نوح عليه السلام مع قومه: " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"²

➤ قال تعالى عن قوم هود عليه السلام: " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"³.

➤ قال تعالى في قومه شعيب المتكبرين: " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ"⁴.

➤ قال تعالى في قول فرعون وقومه لموسى عليه السلام: " فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ"⁵

هذه بعض الآيات الدالة على حسن استماع الأنبياء عليهم السلام وإنصاتهم لأقوامهم رغم ضلالتهم، والدلالة على حسن الإنصات والاستماع من طرف الأنبياء ردودهم المتسممة بالرحمة والشفقة على أقوامهم، ولا يمكن الرد بتلك الصيغ إلا بعد استيعاب اعتراضات محاورهم، كيف لا والمنهج القرآني يعرض لنا طلب إبليس من الله تعالى إنظاره بعد حوار طويل بين الله واللعين، حيث ترك الله تعالى له الفرصة للتحدث والطلب، قال تعالى: " قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ

¹ السيرة النبوية لابن إسحاق 72/1

² سورة الأعراف من الآية 60 إلى 62.

³ سورة الأعراف من الآية 66

⁴ سورة الأعراف من الآية 88

⁵ سورة غافر الآية 25 . 26

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

1"

وعليه فإن من فوائد حسن الإنصات والسماع:

- حصول الفهم والافهام بين الطرفين
- التركيز والدقة.
- عدم التشويش على المتحدث حتى يتسنى له بسط أفكاره ومواقفه.

أهم النتائج المتوصل إليها:

- لما جعل القرآن الكريم وسيلة دعوة غير الموحدين هي الحوار اتضح من ذلك أهمية الوسيلة في تحقيق الغاية، فما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.
 - من غايات الحوار في القرآن الكريم مجارة الكلام وتداوله بين المتحاورين، حتى تقام الحجج والبراهين تمهيدا للوصول إلى الحقيقة.
 - الحوارات القرآنية بنيت على أدلة عقلية انتهت في غالبها إما بالانبهار والتسليم بالحقائق، وفي بعض الأحيان بالانبهار دون التسليم مكابرة وجحودا، لكن طريقة عرض الحقائق بنيت دائما على البرهان والدليل المنطقي.
 - تنوعت حوارات القرآن ومرتكزاته، ولم تشمل الجانب الإيماني فقط فإن كان هو الغالب فقد تعدت إلى مجالات أخرى كالجانب الاجتماعي كما في سورة يوسف.
 - الحوار في القرآن الكريم بنيت مرتكزاته على التواضع في مقابل التكبر، والجهل عوض العلم.
 - مرتكزات الحوار في القرآن الكريم نبذت وحذرت من اتباع الآباء والأجداد تقليدا وإلغاء للعقل.
 - مرتكزات الحوار في القرآن الكريم تنقسم إلى أقسام منها:
- الأول :** مرتكزات منهجية شكلية خارجة عن موضوع التحاور من حسن إنصات واستماع وهدوء وإقبال على المخاطب وغير ذلك.
- الثاني:** مرتكزات موضوعية تتعلق بالموضوع المتحاور حوله من حيث علاقة الأدلة والبراهين به، ومدى تناسبها مع محاولة إقناع الآخر.
- الثالث:** مرتكزات تتعلق بالجانب النفسي كالإقرار بالحق حالة ظهوره، حيث يتجلى ذلك في الموضوعية البعيدة كل البعد عن الذاتية.
- إن حوارات القرآن الكريم ومرتكزات تؤصل لتقبل الآخر المخالف، وأن لغة التواصل معه هي الحوار، لا نبذه واعتماد مبدأ الإلغاء.

¹ سورة الأعراف من الآية 12 إلى الآية 18

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أهم التوصيات

- إنشاء مراكز ومجموعات بحث تعنى بالبحث في الأساليب الحوارية ومركزاتها في أصول التشريع عموماً والقرآن الكريم على وجه الخصوص.
- إقامة ندوات ومؤتمرات تهدف إلى تسليط الضوء على مرتكزات الحوار في القرآن الكريم.
- إقامة ملتقيات حوارية تجمع كل الفاعلين وأطراف الاختلاف من السلمين مع غيرهم.
- التركيز على تعليم الناشئة فنون الحوار من خلال تلقينه لهم نظرياً وتطبيقه على أرض الواقع.
- تشجيع الأبحاث العلمية الهادفة إلى خلق ثقافة الحوار بين الأمم والشعوب.
- إقامة قنوات إعلامية خاصة بالحوار بين مختلف الأطراف المختلفة وفق ضوابط تشاركية لا إقصائية.

لائحة المصادر والمراجع

1. التحرير والتنوير المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر الطبعة الأولى 1984م.
2. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى 1405هـ/1985م
3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ/1999م.
4. التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد رضوان دار الفكر المعاصر بيروت الطبعة الأولى 1410هـ.
5. الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي تحقيق وتعليق محمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية 1395/1975.
6. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422هـ.
7. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 1423هـ/2003م.
8. الحوار: الذات والآخر لعبد الستار الهيبي ص 40 مجلة الأمة العدد 99 طبعة 1425هـ.
9. السيرة النبوية (كتاب السير والمغازي) لمحمد ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1498هـ/1978م.
10. شرح المشكاة للطيب، تحقيق عبد الحميد هندواوي، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة الطبعة الأولى 1417/1997.
11. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
12. الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي دار ابن الجوزي بالسعودية الطبعة الأولى 1417هـ/1996م
13. في أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض الطبعة الخامسة 1419هـ/1998م.
14. كتاب الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1409/1989.
15. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي دار صادر بيروت الطبعة الأولى.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

16. معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق وطباعة مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى 1412هـ.
17. المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة دون تاريخ.
18. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ/1979م.
19. مفاتيح الغيب لفجر الدين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.
20. الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية تحقيق محمد عبد الرحمان عوض دار الكتاب العربي، بيروت 1985/1405.

خلق التسامح في ضوء السنة النبوية

د. أحمد بن علي الحندودي الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم السنة كلية الشريعة - جامعة الملك خالد/السعودية

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الأخلاق من الدين، وأعلى بها شأن المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين وبعد:

فالأخلاق الفاضلة إحدى الركائز التي أهتم بها الإسلام وأولاهها عناية خاصة، فلقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين من دعوته بقوله عليه الصلاة والسلام: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ "(1).

كما بين أن أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق، وأن أقرب الناس في الجنة مجلساً منه أحاسنهم أخلاقاً.

وذلك أن الأخلاق الفاضلة تضبط الفرد وتوجه سلوكه إلى ما يعود عليه بالخير وعلى مجتمعه، كما أنها تضمن للناس في المجتمعات التعايش في أمن واستقرار وسعادة، وقد قيل: ذهب حسن الخلق بخير الدنيا وخير الآخرة.

ومن الأخلاق الفاضلة والحميدة التي حث عليها الإسلام ورغب بها خلق التسامح، وهو ذو أهمية كبيرة للتعايش بين أفراد المجتمع الواحد وبين غيرهم، ولكونه من الصفات النبيلة التي تعزز الترابط بين أفراد المجتمع وتساعد على نشر ثقافة المحبة، وأيضاً يساهم في نشر الدين الإسلامي وتعريف غير المسلمين بروح الإسلام الحقيقية التي تمثلت في خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولما كان خلق التسامح بهذه الأهمية أحببت أن أشارك ببحث بعنوان (خلق التسامح في ضوء السنة النبوية) في المؤتمر الدولي الثاني: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار" والذي سينعقد بمدينة نوفي بازار بجمهورية صربيا.

(1) رواه ابن سعد في " الطبقات " 1/192، و أحمد في المسند 2/318، والبخاري في " الأدب المفرد " (ح 273)، والحاكم في المستدرک 2/613 من طريق ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم "، ووافقه الذهبي، قال ابن عبد البر: " هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

خطة العمل في البحث:

تتكون الخطة من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن بيان أهمية الموضوع، وخطة العمل في البحث.

المبحث الأول: تعريف الأخلاق، ومنزلتها في الإسلام

المبحث الثاني: تعريف التسامح.

المبحث الثالث: ضوابط التسامح مع غير المسلمين.

المبحث الرابع: صور من سماحة الإسلام في العلاقة مع غير المسلمين.

الخاتمة: أهم النتائج.

المبحث الأول**الأخلاق لغة واصطلاحاً، ومنزلتها في الإسلام****لغة:**

جمع خُلُق، والخُلُق: بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام وضمها: السجية، والطبع، والمروءة، والدين⁽¹⁾.

قال ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء... ومن ذلك: الخُلُق وهو السجية؛ لأن صاحبه قدر عليه"⁽²⁾.

وقال الراغب الأصفهاني: "الخُلُق والخُلُق في الأصل واحد... لكن خصَّ الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصَّ الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"⁽³⁾.

اصطلاحاً:

قال الغزالي: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"⁽⁴⁾.

(1) انظر: القاموس المحيط ص137، والمصباح المنير 1/180.

(2) معجم مقاييس اللغة 2/214 مادة: خلق.

(3) انظر: الذريعة إلى مكارم الأخلاق ص39، لسان العرب 10/86.

(4) إحياء علوم الدين 3/53، التعريفات للجرجاني ص104.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقال الجاحظ: "إن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلم، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة"⁽¹⁾.

وقال الماوردي: "هي غرائز كامنة تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار"⁽²⁾.

وقال ابن صدر الدين الشروان: "هو علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتحلى النفس بها وبالرذائل وكيفية توقيها لتتحلى عنها"⁽³⁾.

وعليه يمكن تعريف الأخلاق اصطلاحاً: بأنه علم يشغل بالخير والفضائل وسبل اكتسابها ويحذر من الرذائل ويوجه إلى اجتنابها⁽⁴⁾.

منزلتها في الإسلام:

إن أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية في نظر الإسلام أكثر من أهمية العلوم الأخرى، لما لها من تأثير كبير في حياة الأفراد والجماعات والأمم، فمكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها مجتمع ولا أمة من الأمم، ومتى فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ولهذا فقد حفل القرآن الكريم واعتنى بها أيما عناية؛ فقد بينت آياته أسس الأخلاق ومكارمها، واعتنت السنة المطهرة بالأخلاق والمعاملات فكانت حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽⁵⁾

وتظهر هذه العناية والمنزلة من وجوه كثيرة منها:

أولاً: أن الإسلام جعل حسن الخلق قرينة تساوي بعض القرب العظيمة؛ فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"⁽⁶⁾، بل عده ركن من أركان الدين فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ما الدين؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "حسن الخلق"⁽⁷⁾.

(1) تهذيب الأخلاق ص 12.

(2) تسهيل النظر وتعجيل الظفر ص 5.

(3) دائرة المعارف الإسلامية ص 445، الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص 27.

(4) الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص 28.

(5) سورة الجمعة آية: 2.

(6) رواه أبو داود 252/4 (4798)، وأحمد 133/6، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(7) رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة 864/2 (878) من طريق أبي العلاء بن الشيخير عن رسول الله مرسلًا.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قال الفيروزبادي: "اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"⁽¹⁾

ثانياً: أن الإسلام بين أن أعمال العباد وقلوبهم هي محل نظر الرب سبحانه وتعالى: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"⁽²⁾.

قال ابن تيمية: "فعلّم أن مجرّد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فإن كان الظاهر مزيناً مجملاً بحال الباطن أحبه الله، وإن كان مقبحاً مدنساً بقبح الباطن أبغضه الله"⁽³⁾.

وقال ابن القيم: "اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وهذا الجمال الباطن يزيّن الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطى مهابةً وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان. فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذو الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورةً، وإن كان أسود أو غير جميل"⁽⁴⁾.

ثالثاً: أن الإسلام بين أن الأخلاق تؤثر على العمل صلاحاً أو فساداً؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله: أي العباد أحب إلى الله، قال: "أنفع الناس للناس"، قيل: فأبي العمل أفضل، قال: "إدخال السرور على قلب المؤمن"، قيل: وما سرور المؤمن، قال: "إشباع جوعته، وتنفيذ كربته، وقضاء دينه، ومن مشى مع أخيه في حاجته كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام، ومن كف غضبه ستر الله عورته، وإن الخلق السيئ يفسد الأعمال كما يفسد الخل العسل"⁽⁵⁾.

رابعاً: أن الإسلام رغب في الأخلاق الفاضلة، وحذر من ضدها، ويبرز ذلك في نصوص عدة، منها:

أ- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"⁽⁶⁾.

(1) بصائر ذوي التمييز 568/2.

(2) رواه مسلم 1986/4 (2564).

(3) الاستقامة ص 357.

(4) روضة المحبين ص 221.

(5) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص 36 (36)، وأبو نعيم في حلية الأولياء 348/6، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (176).

(6) رواه البخاري 1305/3 (3366)، ومسلم 1810/4 (2321).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قال ابن تيمية: "ومن المعلوم أن أحبَّ خلقه إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً كان أعظمهم محبة له أحسنهم خلقاً، والخلق الدين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾" (1).

ب- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ" (2).

ج- عَنْ أَبِي نُعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَفْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا، التَّرْتَارُونَ الْمُتَفَيْهُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ" (3)؛ وهذا ما يجعل المسلم يلتزم بمكارم الأخلاق .

المبحث الثاني

تعريف التسامح لغة واصطلاحاً، وأهميته

لغة: السّماحة :مصدر سمح يسمح سماحة وسُمُوحا : جاد ، ورجل سمح ، وامرأة سمحة ، والمُسَامَحة: المُسَاهلة. وتسامحوا: تساهلوا. وفي الحديث المَشْهُور: "السَّمَاحُ رَبَاحٌ" (4)، أي المُسَاهلة في الأشياء يَرِيحُ صاحبُها (5).

قال ابن فارس: "السين والميم والحاء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة" (6).
وفي الحديث: "أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة" (7)

(1) الاستقامة ص442.

(2) رواه الترمذي 362/4 (2002)، وأحمد 446/6 قال الترمذي: "وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وهذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (2641).

(3) رواه الترمذي 370/4 (2018)، وأحمد 193/4، وابن أبي شيبة في المصنف 210/5، وابن حبان 231/2 (482)، قال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال المنذري في الترغيب (277/3): "رواه أحمد، ورواه رواة الصحيح". وبمنثله قال الهيثمي في المجمع (21/8). وحسنه الألباني في الصحيحة (379/2) بشواهده.

(4) رواه القضاعي في مسند الشهاب (ح23) من حديث عبد الله بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رفعه به، وهو عند الديلمي في مسنده من حديث الحجاج بن فرافصة، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة به مرفوعاً. قال الدارقطني: منكر. انظر: المقاصد الحسنة (ح570)، وأسنى المطالب (ح781).

(5) انظر: لسان العرب 489/2 مادة (سمح)، والنهية في غريب الحديث لابن الأثير 398/2.

(6) معجم مقاييس اللغة 99/3 مادة: سمح.

(7) أخرجه أحمد في المسند (ح2107)، وعبد بن حميد في المسند (ح569)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ح287)، وعلقه البخاري في الصحيح في الإيمان: باب الدين يسر، وحسن الحافظ إسناده في الفتح 20/1، وله شاهد بسند قوي من حديث عائشة مرفوعاً: "إني أرسلتُ بحنيفة سَمَّحة" أخرجه أحمد، وآخر من حديث أبي أمامة عند أحمد في المسند (ح22292)، والطبراني في الكبير (ح7868) كما له شواهد أخرى يرتقي بها. انظر المداوي لعلل الجامع الصغير 201/1.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

اصطلاحاً: قال مسكويه: السماح هي بذل بعض ما لا يجب ، وأما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالإرادة والإختيار⁽¹⁾

وقال الجرجاني: هي بذل ما لا يجب تفضلاً⁽²⁾.

وقال ابن عاشور: فالسماحة السهولة المحمودة فيما يظنّ الناس التشديد فيه. ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد⁽³⁾.

وقيل: هي التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف⁽⁴⁾.

ويمكن تعريفه بأنه: التعايش مع الآخر واحترامه دينياً وثقافياً.

أهميته:

يعدُّ خُلُقَ التَّسامح من أهمِّ القيم الإنسانيَّة الحياتيَّة العالميَّة؛ إذ يُنظر إليه على صعيد الفرد كمُكتسبٍ قيمِي راقٍ؛ يُعزِّز احترام الفرد لذاته وارتباطه بالآخرين، كما يُنظر إلى التَّسامح مجتمعياً على أنَّه تشريعٌ ذاتيٌّ مُستحقٌّ؛ يضمن تحصيل الحقوق وأداء الواجبات ليخلق مجتمعاً مُتراحماً مُلتحماً، وتُشكِّل هذه النُّظرة تجاه التَّسامح مسؤوليَّةً سياسيَّةً وكياناً قيمياً، يُحتِّم على الجميع احترامه والالتزام بمضمانيه وأخلاقيَّاته.

وتتجلَّى قيمة التَّسامح في الإسلام من خلال تعميم النُّظرة الأخلاقيَّة والإنسانيَّة إلى ركائز مختلفة وأخلاق شتى تُحقِّق مجتمعةً المساواة والعدل، وتُرسِّخ مبادئ الاعتراف بالآخر واحترام المناهج والأفكار والمعتقدات والاختلافات مهما تنوعت وتعدَّد أتباعها، وتجمعُ ذلك كلَّه إنسانيَّة البشر وتكافلهم، ليرسخ الإسلام من خلال التَّسامح مبادئ الإخاء الإنسانيِّ، ويُنظِّم تعاملات النَّاس وتعايشهم بما يتناسب مع تنوع دياناتهم وأعرافهم وانتماؤاتهم وألوانهم، وأكَّدت الفلسفة الإسلاميَّة على سُلطة كلِّ تلك المفاهيم وارتباطها بالتَّسامح كقيمة في العديد من المقديَّات التي أبرزها فلاسفة الإسلام ومنطلقاتهم التي شرحوا التَّسامح من خلالها، فالتَّسامح ضمانُ التقدُّم وأساسُ بنائه

وقد ضمن الإسلام حقوق النَّاس وأكَّد على تمامها وعدم الانتقاص من حقوقهم شيئاً مهما كانت مستوياتهم ودرجاتهم بالنسب والمال والشرف وغير ذلك، بل إنَّه رعى الأطراف جميعاً دون انتقاصٍ لحقٍّ أو مُراوغةٍ وميلٍ لفئة، حتَّى إنَّه منح النَّاس من أصحاب الديانات الذين يعيشون في أرض الإسلام حقوقهم كاملةً، وأولها حقُّ اختيار الدين والأمن على اختياره. والإسلام بصفته دين الإنسانيَّة والتَّسامح يسعى إلى تحقيق التواؤم والتَّوادِّ والتَّعاطف والإحسان بين النَّاس جميعاً دون حصرٍ لهذه القيم لأفراده أو أتباعه فقط، وبذلك فقد تميَّز الإسلام بقيمة التَّسامح حتَّى جعلها سِمته البارزة، ونظَّم هذه القيمة بما يتوافق مع معناها الإنسانيِّ الشموليِّ، ففضى بضمان الحقوق أولاً، ثمَّ

(1) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ص 31 .

(2) التعريفات ص 121 .

(3) مقاصد الشريعة الإسلامية 189/3 .

(4) الثقافة والعالم الآخر للطريفي ص 58 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

عمم العدل، ودعا إلى التّراحم والتّنازل عن الحقوق، والعفو عند القدرة، والعدل بما يملك كلُّ فردٍ من قدرته وسلطته.

المبحث الثالث: ضوابط التسامح مع غير المسلمين

إن إقرار الإسلام لخلق التسامح مع غير المسلمين لا يعني إلغاء الثوابت أو تميمها إذ أن للتسامح الإسلامي معالم تميّزه في الفهم وعمق النظر وما يتصل بكل هذا من مقاصد وضبطٍ تشريعي يوجهه ويعمق رسمه المميز له ومن ثمّ كان لا بُدَّ من ضوابط لهذا التسامح مع أهل الأديان، منها:

1- عدم اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، وإن كان حبه على ثلاثة أقسام قسم ينقض عقيدة الولاء والبراء من الأساس كحُب الكافر لكُفْرِهِ ، ويكفُرُ صاحبه بمجردِهِ. وقسم ينقص من الولاء والبراء ولا يَنْقُضُهُ، فيكون معصيةً تَنْقُصُ الإيمانَ ولا تنفيه كمحبة الشخص (كافراً أو مسلماً) لفسقه أو لمعصية يقترفها. فهذا إثمٌ ولا شك، ولكنه لا يصل إلى درجة الكفر لكونه لا ينافي أصل الإيمان؛ إذ لا يزال في المسلمين من يحبّ المعاصي ويقترفها، ولم يكفّرهم أحدٌ من أهل السنة. وهذا الحبّ قد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وقد لا يكون كذلك، بحسب حال المحبوب ومعصيته، فمن أحبّ محبوباً لارتكابه الكبائر، فهذا الحب كبيرة، ومن أحبّه لصغيرة يرتكبها، فلا يزيد إثمه على إثم من ارتكبها. وقسم لا يؤثر في كمال الإيمان وفي معتقد الولاء والبراء ، لكونه مباحاً من المباحات.

فهو الحب الطبيعي، الخارج عما سبق. كحبّ الوالد لولده الكافر، أو الولد لوالديه الكافرين، أو الرجل لزوجته الكنائية، أو المرء لمن أحسن إليه وأعانه من الكفار. فهذا الحبّ مباح، ما دام لم يؤثر في بُغْضه لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين. أمّا إذا أثر في بُغْضه، فإنه يعود إلى أحد القسمين السابقين، بما فيهما من تفصيل.

والدليل على أن الحبّ الطبيعي للكافر قد لا يؤثر في كمال الإيمان، لكونه مباحاً، بالشرط الآنف ذكره: قوله تعالى عن نبيّه صلى الله عليه وسلم في وصف حاله مع عمّه أبي طالب الذي مات على الكفر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (1).

فأثبت الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم محبة عمّه الكافر، ولم يعتب عليه هذه المحبة، ولا لامة عليها؛ فدلّ ذلك على عدم مخالفتها لكمال الإيمان، وأنّي تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيماناً صلى الله عليه وسلم؟! (2)

ومن ثمّ يجب أن ندرك الفارق بين عقيدة الولاء والتسامح فالذين يحاولون تميم عقيدة الولاء والبراء ، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام

(1) القصص آية: 56 .

(2) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة ص 14-15.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلا ولا يقبل فيه تعديلا - ولو طفيفا - هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»⁽¹⁾.

فحسن المعاملة ليس معناها الولاء والتناصر في الدين وليس معناها اعتراف المسلم أن دين أهل الكتاب بعد بعثة نبينا هو دين يقبله الله.

2- أن يشهد لاعتباره والعمل به دليل خاص أو أصل كلي عام يندرج تحته أو قياس وعمل السلف، مثل السلام عليهم عند من جوز ابتداءه، فإنه يندرج تحت قوله تعالى ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ ومن ثم جوزه بعض السلف كأبي أمامة وأبي الدرداء وابن عون وسفيان واختاره ابن تيمية.

3- أن لا يعارض نضا خاصا ثابتا في الشرع إن لم يشهد له أصل، كالذي روي عن عمر رضي الله عنه أنه لما قدم الحجابية من أرض الشام صنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها وقال لعلي رضي الله عنه: اذهب بالناس، فذهب علي رضي الله عنه بالمسلمين فدخلوا فأكلوا، وجعل علي رضي الله عنه ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل!

فأما إن عارض فلا يسوغ هذا التسامح كبناء الكنائس والمعابد في جزيرة العرب كونها حرم الإسلام ومعقله وقاعدته الأولى وقد وردت أحاديث صحيحة تحريم الإذن بوجود دين آخر مع الإسلام في جزيرة العرب، وهي تقتضي تحريم بناء معابد لغير المسلمين من كنائس وغيرها من باب أولى، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: "لا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ"⁽²⁾ ، وكنكاح المسلمات وغير ذلك.

4- أن لا يعارض إجماعا مقطوعا بصحته مثل الاحتفال بالكريسمس على سبيل المواساة لهم والتسامح معهم كما يقع فيه بعض أهل الإسلام، فإنه معارض للإجماع على تحريم ذلك، بخلاف تهنئتهم به فإنه جائز في إحدى الروايتين عن أحمد قياسا على تعزيتهم بميت وتهنئتهم بمولود وعرس.

5- أن لا يكون في التسامح معهم إعلان شعائر الكفر الظاهرة، مثل لبس الصليب ونحو ذلك، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس الأحمر وعلمه الفقهاء كالخطابي وغيره بأنه صار يومئذ شعارا لغير المسلمين.

6- أن يكون التسامح على وجه لا يؤدي إلى تعطيل حكم من الأحكام الشرعية، مثل التحاكم إلى قاضيه في خصومة مع مسلم فإنه من التحاكم إلى الطاغوت، بخلاف التحاكم فيما بينهم إلى قاضيه فقد رخص فيه مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد في رواية، وأفتى به الحافظ أبو طاهر السلفي للناصر صلاح الدين حين افتتح القدس، وهو من تسامح الإسلام.

(1) في ظلال القرآن 912/2 .

(2) رواه أحمد في المسند (ح26352)، والطبراني في "الأوسط" (ح1070) وأورده الهيثمي في "المجمع" 325/5، وقال: "رواه أحمد، والطبراني في "الأوسط"، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

7- أن لا يؤدي التسامح معهم إلى ضرر يلحق بمسلم في أهل ومال وعرض، مثل قتل المسلم بغير المسلم في قول الجمهور.

وفي الجملة فالأصل في هذا الباب أن لا يكون في المسامحة معهم ذريعة إلى مخالفة أحكام الشارع أو تعطيلها وإبطالها، والله أعلم.

المبحث الرابع: صور من سماحة الإسلام في العلاقة مع غير المسلمين

لقد كانت سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره، وكانت تلك السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل؛ كان راجعاً إلى عدل هذه الشريعة وحكمتها ولقد راعى الإسلام السماحة في معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، فقال الله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (1).

فنرى في الآية كيف ميّز الإسلام بين المحاربين له، وغيرهم ممن لا ينتصبون لقتاله، بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا في دار الإسلام، حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصري الأمة، وقد أكد الإسلام على حسن معاملة غير المسلمين في مواطن كثيرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" (2).

ومن السماحة أن شرع العدل مع المخالف أيا كان وجعل ذلك دليلاً على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (3).

ومن أرقى وأوضح صور التسامح ما حدث في يوم الفتح عندما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة الذين أخرجوه منها وكانوا قد منعه من إبلاغ دين الله بينهم، وحالوا دون إيصال الدعوة إلى غيرهم فكفروا هم وصدوا غيرهم عن سبيل الله، ماذا فعل بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدر عليهم؟ هل أخذ بيوتهم؟ هل سفك دمائهم بغير قتال، هل ذبح نسائهم وأطفالهم، أم أنه أطلقهم لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا أنتم الطلقاء (4).

(1) الممتحنة آية: 8 .

(2) أخرجه أبو داود في السنن (ح3052)، والبيهقي في السنن الكبرى 205 / 9 ، قال ابن حجر في موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر 184/2: حديث حسن رجاله ثقات ولا يضر الجهل بحال الأبناء المذكورين فإن كثرتهم تجبر ذلك.

(3) المائدة آية: 8 .

(4) السيرة النبوية 53/4.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومما يروى في تسامحه - صلى الله عليه وسلم - مع غير المسلمين ولين جانبه، ما ذكره ابن كثير في البداية، أن نصارى نجران وفدوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ودخلوا المسجد وعليهم ثياب حسان، وقد حانت صلاة العصر، فقاموا يصلون إلى المشرق، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: دعوهم⁽¹⁾.

كذلك من أعظم المواقف موقف الرسول مع أهل الطائف فقد لقي كل ألوان الأذى والبطش والاضطهاد، أثناء عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف، لكنه صبر على الأذى وتحلى بخلق التسامح، حيث قال لملك الجبال لعل الله ان يخرج من اصلاهم من يقول لا اله الا الله.

فمن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال: " لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبي إلي ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم"، قال: " فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا مُحَمَّد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثي ربك إليك لتأمرني بأمر، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»⁽²⁾.

والآثار في هذا الباب كثيرة، ويكفي من القلادة ما أحاطت بالعنق ومن السوار ما أحاط بالمعصم.

هذا التسامح من نبينا صلى الله عليه وسلم جعل العديد من علماء الغرب يُثنون عليه ويشيدون بتسامحه، منهم "غوستاف لوبون" الذي قال في كتابه "حضارة العرب" وعلى النقيض من الاعتقاد السائد، ظهر محمد معهم - يعني: اليهود والنصارى - في منتهى التسامح والرحمة⁽³⁾.

ويقول الأديب البريطاني جورج ويلز في بحثه «معالم تاريخ الإنسانية» محمد أعظم من أقام دولة للعدل والتسامح....- إلى أن قال في جانب التعاليم الإسلامية- إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وانها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة⁽⁴⁾.

ومن صور التسامح العظيمة، الوثيقة التي وقعها أمير المؤمنين عمر الفاروق مع سكان آيليا حينما فتح بيت المقدس، يقول المؤرخ أنجليو سرايو بورت في مؤلفه (تاريخ فلسطين): "يجب أن نعترف بأن إعلاناً كهذا في

(1) السيرة النبوية 160/2، قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة 397/1: وقد «صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أنزل وفد نصارى نجران في مسجده وحانت صلاتهم فصلوا فيه .

(2) رواه البخاري (ح3231)، ومسلم (ح1795).

(3) <http://change.mlsspace.com/?p=2888>

(4) المرجع السابق.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بداية القرن الوسيط - وقد التزمت به كل الجيوش الإسلامية عامة- هو إعلان حافل بالإنصاف، فهو يتنفس عدالة وتسامحاً⁽¹⁾.

وهكذا كانت فتوحات المسلمين في البلاد الأخرى، فنقرأ مصالحات أبي عبيدة بن الجراح لأهل الشام على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصنونة لا يُهدم منها شيء وصالحهم على حقن دمائهم وحفظ حياتهم.

وكذا ما سطره القائد صلاح الدين الأيوبي عند فتح بيت المقدس يقول جيمس ريستون: "اكتسب صلاح الدين مديحاً كثيراً باعتباره قائداً حكيماً.... وتسامحه مع الديانات الأخرى بقيت هذه الأمور عالقة بالأذهان لزمان طويل، ويبدو أن أعماله كانت تحدد ما المقصود من أن يكون المرء مسلماً صالحاً، وبصفحه عن أعدائه"⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول سير توماس أرنولد في كتابه لدعوة إلى الإسلام: "وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق... وإنما كان يدفع الناس إلى الإسلام بقوة ويجذبهم إليه هي تلك العقيدة... ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم"⁽³⁾.

الخاتمة

يطيب لي في نهاية المطاف أن أذكر ثمرات البحث وأضعها في نقاط :

- 1- أن مصدر الأخلاق الإسلامية الوحي الإلهي قرآناً وسنة .
- 2- أن للأخلاق الإسلامية الفاضلة ومنها خلق التسامح أهمية في نشر الدعوة ، فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما هو شائع بل انتشر بالأخلاق الفاضلة التي تمثلها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ومن بعدهم من سلف هذه الأمة.
- 3- أن خلق التسامح يعد من مبادئ الإسلام الثابتة، بل هو ركن في العلاقات الإنسانية.
- 4- أن الإسلام له قصب السبق في إرساء قيمة التسامح بين أفراد المجتمع المسلم بعضهم ببعض وبينهم وبين غيرهم من غير المسلمين كما تدل عليه النصوص من الكتاب والسنة.
- 5- إن التسامح من أعظم قيم التعايش وإذكاء روح المحبة ، والحوار بين الأديان والثقافات.
- 6- إن التسامح مع الآخر له ضوابط تقيده.

(1) فلسطين أرض الرسالات الإلهية / رجاء جارودي- ترجمة عبد الصبور شاهين. ص 144 .

(2)القدس لمن ؟. ص111، 110 - نقلا عن جيمس روستون ص95.

(3)سماحة الإسلام د. عمر بن عبد العزيز القرشي-ص148، 147-نقلاً عن(الدعوة إلى الإسلام/ توماس أرنولد.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المصادر والمراجع:

أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاعر بن توفيق العاروري ، رمادى للنشر - الدمام ، ط1 1418هـ.

إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة - بيروت.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

الاستقامة لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - 1403، ط1، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الجيل - بيروت - 1973، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي تحقيق : محي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية - بيروت - 1981 .

التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي ، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، ط1، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ط1 1406.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر - بيروت - 1401.

تهذيب الأخلاق ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الصحابة للتراث ط1 1410هـ .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1421هـ - .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، دار الفكر - بيروت - 1405.

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1417هـ - ط7 ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .

الحلم لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - 1413، ط1 تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.

الخصائص العامة في الإسلام ، د/ يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط3 1415هـ / 1985م.

الذريعة إلى مكارم الأخلاق لأبي القاسم الراغب الأصبهاني المطبعة الشرقية مصر .

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1412 - .

سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : أحمد محمد شاکر وآخرون.

سنن أبي داود لأ داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت 1407 ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى مذبلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للقاضي عياض اليحصبي.

شرح النووي على صحيح مسلم ، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1392.

علم الأخلاق الإسلامية د. مقداد يالجن ، دار عالم الكتب الرياض ط 1 1413.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

الفصول في سيرة الرسول ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: باسم الجوابرة، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1 1420 هـ.

القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، ط 1 .

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، دار الكتاب العربي - بيروت - 1393 - ط 2 تحقيق: محمد حامد الفقي.

مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، دون تاريخ، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - 1999م، ط 2 ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

موافقة الخبر الخبر في تخریح أحاديث المختصر، ابن حجر أحمد بن علي بن محمد ب العسقلاني ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط 2 1414 هـ

موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم " مجموعة علماء " دار الوسيلة ، جدة / السعودية ط 1 1418هـ/ 1998م.

الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في تربية النشء: نماذج مختارة

ذ. سيرين دادّه / ذ. ليلي شبرو

جامعة الشهيد: حمّه لخضر، الوادي - الجزائر

ملخص البحث

الحوار التربوي هو الوسيلة التّواصلية الفعّالة بين أفراد المجتمع، وهو الذي التزم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله وتربية الصّحابة الكرام التّربية الإسلاميّة الصّحيحة، وتكوين مجتمعٍ راقٍ مبنّي على المودّة والرّحمة والاعتدال والوسطية.

لذا جاء هذا البحث ليرز جانباً مشرفاً من هذه الحوارات ويعرض نماذج عطرة عن ذلك، مع استنباط القيم المثلّي منها، حتى تتمكّن من تربية نشئنا عليها وتطبيقها في حياتنا اليومية التي باتت مُهدّدة بالضّياع والانهيّار من كل الجوانب بسبب صراع الحضارات.

Research Summary

The educational dialogue is the effective means of communication between the members of society, which is committed by the Messenger of Allah in his invitation to God and the education of the Companions honorable Islamic education and the formation of a healthy society based on affection and mercy and moderation.

Therefore, this research comes to highlight a bright aspect of these dialogues and presents the most beautiful examples of this, while devising the best values from them, so that we can raise them and apply them in our daily lives that are threatened by loss and collapse from all sides due to the clash of civilizations.

مُقَدِّمة:

الحمد لله ذي العزّة والجلال، والقدرة والإنعام، الواحد الأحد الفرد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصّلاة والسّلام على معلّم النّاس الخير، محمّد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، أمّا بعد:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

في ظل العولمة والمدنية ومصارعة الأفكار واختلاف وجهات النظر تعقدت الحياة تعقداً كبيراً داخل الأسرة والمجتمعات وبين الأمم والحضارات.

فغدا النشء بين هذا وذاك لا يعرف للحقّ سبيلاً في ظل المعوقات والحواجز التي تقف أمامه وتعترض حياته. ولنا في حلّ هذه المعضلة أسوة حسنة وقدوة عظيمة من سيّد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ استعمل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أسلوباً راقياً يتمثل في الحوار الهادف في الأمور كلها، ونلّمس ذلك من خلال دعوته وتربيته وتعليمه للصّحابة الكرام، إذ تميز حوارُه صلى الله عليه وسلم بالحلم والأناة، والصّبر والتّواضع، وقوة الحجّة والبرهان، والتّمسك بأدب الحوار وحسن الكلام.

والتأمّل لسيرته العطرة يرى بعين البصيرة المنهج النبوي في استعمال أسلوب الحوار الهادف والفعّال المؤدّي إلى الأهداف التربوية والتّعليمية النّاجحة.

إشكالية البحث: يُعتبر الحوار النبوي وسيلة فعالة في حياة المسلمين ومن المواقف التربوية الهامّة، وذلك من خلال القيم المثبوتة في حواراته صلى الله عليه وسلم، والتي يجب أن نطبّقها في مختلف المجالات والأحوال، فجاء هذا البحث ليجيب عن التّساؤلات الآتية:

فيما تتمثّل القيم الحوارية النبوية؟ ما المنهج الذي اتّبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترسيخ هذه القيم؟ وكيف يمكن تطبيق هذه القيم في تربية النّشء على الوسطية والاعتدال؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان ما يأتي:

1. بيان المنهج النبوي في ترسيخ القيم الحسنة من خلال الحوار.
2. عرض نماذج نبوية في تطبيق هذه القيم.
3. الاستفادة من التّجربة النبوية وتطبيقاتها على النّاشئة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كون الحوار النبوي منبعاً عذباً يرتوي منه الضمآن لتبتل عروقه بالقيم الأخلاقية السّامية فيحيا حياة الوسطية والاعتدال، فكان حريّاً بنا أن نبرز هذا الجانب لنستفيد منه.

منهج البحث: سيّبع هذا البحث المنهج الوصفي وذلك عند الكلام عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تطبيقاته للقيم الحوارية، والمنهج التحليلي وذلك أثناء عرض نماذج نبوية ودراستها واستنباط كيفية تطبيق هذا المنهج في التربية.

خطّة البحث: وتتمثّل فيما يأتي:

أولاً: تعريف الحوار والقيم الحوارية

ثانياً: أهمية الحوار وأدائه وفوائده

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثالثاً: القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة الكرام، وذلك من خلال ستة مجالات:

1. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال التشريع.
2. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال التعليمي.
3. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الاجتماعي.
4. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال السياسي والحربي.
5. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الأخلاق.
6. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين.
7. كيفية الاستفادة من التجربة النبوية في وقتنا الحاضر

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث

1. تعريف الحوار

خلق الله البشر مختلفين وجعل بينهم الحوار كوسيلة للتواصل فيما بينهم، وفيما يأتي تعريف لهذا المصطلح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فنقول وبالله التوفيق:

أ. **الحوار لغةً:** الحاء والواو والراء ثلاثة أصول؛ بمعنى: اللون، الرجوع، أن يدور الشيء دوراً¹.

والحوار: الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء حار إلى الشيء، وعنه حوراً ومحاوراً ومحارة وخوراً رجع عنه وإليه. والخور: الثقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال. والمحاور: المجاورة، والتحاور: التجاور، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة².

فالحوار في اللغة إذا: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر.

ب. **الحوار اصطلاحاً:** تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح الحوار ولكن أغلبها يخرج من مشكاة واحدة، وفيما يأتي ذكر لبعضها:

1. الحوار بمعنى: الخطاب والكلام، يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: (فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [الكهف: 37]: وهو يخاطبه ويكلمه¹.

¹ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399هـ/ 1979م، دار الفكر، بيروت، لبنان، (2/ 115).

² لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، د ط، د ت، دار المعارف، القاهرة، مصر، (13/ 1042، 1043).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2. الحوار أسلوب يجري بين طرفين يسوق كلٌ منهما من الحديث ما يراه ويفتتح به، ويراجع الطرف الآخر في منطقته وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره².

3. الحوار آلية من آليات في التفاعل مع الوجود بأكمله أخذاً وعطاءً من غير إكراه ولا قهر، ضمن سنن التنوع والتدافع من أجل تحقيق التوازن الكوني³.

4. الحوار يمثل نوعاً من التفكير بصوت مسموع أو مقروء، وهو جوهر دعوة الأنبياء للناس والتي تُريد منهم أن يدخلوا في مناقشة جدية لما يطرحونه من أفكار⁴.

5. الحوار هو الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، قال تعالى: (فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [الكهف: 37]، أي يراجعه في الكلام⁵.

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أنّ الحوار هو: تبادل أطراف الحديث ومراجعته بين طرفين أو أكثر لعرض الأفكار ومناقشتها، مع تبين وتوضيح الآراء المختلفة، بليين ولطفٍ في ظلّ من الأدب والاحترام.

وأما الحوار النبوي . وهو المفضّل في هذه المداخلة . هو: تبادل النبي صلى الله عليه وسلم الكلام والخطابات مع مختلف أفراد الأمة وفي مختلف المواضيع ليصل في الأخير إلى أهداف جلييلة، وغايات سامية.

2. تعريف القيم

أ. القيم لغةً: جاء في مختار الصحاح في مادة [ق و م]، القيمة واحدة القيم (قَوْم) السِّلعة (تقويمها)، وأهل مكة يقولون (استقام) له الأمر و(قوم) الشيء (تقويماً) فهو (قويم) أي مستقيم⁶. وأَقَمْتُ الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه. والقيم الاستقامة، وفي الحديث: (قل آمنْتُ بالله ثم استقم)⁷.

¹ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد شاكر، ط: 1، 1420هـ/ 2000م، مؤسسة الرسالة، (23 / 18).

² ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعاطية، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 3، ع: 1، 1423هـ/ 2007م، ص: 48

³ آلية الحوار في ضوء سني التنوع والتدافع، زهير بن أحمنه عبد السلام، مقال منشور في موقع الحوار، /http://www.alhiwartoday.net/، تاريخ الزيارة: 25 جانفي 2019.

⁴ أسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال منشور في موقع الحوار، /http://www.alhiwartoday.net/، تاريخ الزيارة: 25 جانفي 2019.

⁵ مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، إعداد: محمد عدنان علي القضاة، إشراف: أ د: حسن أحمد الحياوي، كلية التربية، قسم الإدارة وأصول التربية، جامعة اليرموك، 1423هـ/ 2003م.

⁶ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، د ط، 1986م، مكتبة لبنان، بيروت، مادة: [ق و م]، ص: 440.

⁷ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة [ق و م]، (3782 / 42).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ب. القيم اصطلاحاً:

تأتي لفظة "قيم" في اللغة بمعنى التقدير، كما تأتي بمعنى الثبات على أمر، أو تأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال¹.

فالقيم هي معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعمامة وتتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الخارجية، ويقوم منها موازين يبرز فيها أفعاله ويتخذها هادياً مرشداً له ولتصرفاته².

أما مفهوم القيم من منظور إسلامي فهو: أن صفات الله تعالى هي الصلّة التي تربط بين التصور القرآني للكون والحياة والإنسان، وبين قيم الحياة، عقيدة وفكراً وسلوكاً، فمن هذه الصفات المثلى يقيم الإسلام ميزاناً للقيم وضوابط للأخلاق³.

وعليه فالقيم الحوارية: هي تلك الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة المبنية على الاعتدال والتوسط والتي تميّزت بها حوارات النبي صلى الله عليه وسلم والتزم بها؛ بل وأصبحت من السمات البارزة في حواراته صلى الله عليه وسلم مهما كانت الظروف والأحوال.

ثانياً: أهمية الحوار وآدابه

خلق الله البشر مختلفين لحكمة يعلمها سبحانه، فقد قال في محكم تنزيله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) [هود: 118]، ثم أمرهم بالتعارف بينهم وتبادل العلوم والمعارف لتحصل المنفعة فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13]. فكيف يمكن أن تتعارف الشعوب والقبايل فيما بينها؟ فلا يكون ذلك إلا عن طريق الحوار؛ الذي يُعتبر الوسيلة الفعّالة للتواصل بينهم، ونتيجة للاختلاف بين طبيعة البشر سواء في أفكارهم أو في معتقداتهم يلجؤون لفلّ هذه الاختلافات وللإلتلاف إلى الحوار، فهو الهمة الوصلية بين مختلف البشر، والجسر الموصل إلى التوافق والتعارف والانسجام. لذلك فهو ذو أهمية كبرى نذكر من بينها ما يأتي:

1. الحوار وسيلة لإقناع المخالف إن كان ممن يقبل الحق، يقول الدكتور صالح بن حميد: (الغاية من الحوار إقامة الحجّة، ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي، فهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق)⁴.

¹ القيم الإسلامية ودورها في تقديم حلّ للمشكلات البيئية العالمية، أحمد بن حمد الخليفي، المؤتمر العام الخامس عشر لمؤسسة آل البيت المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ/2010م، ص: 7.

² الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح، ص: 6.

³ القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م، ص: 45.

⁴ أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، مقال منشور في الموقع الآتي: www.saaaid.net/mktarat/.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2. أهمية اجتماعية تتمثل في التعاون بين الأبناء وأهلهم والطلبة ومعلميهم والشعب وحكومته عن طريق الحوار والاقتناع وزيادة في التفاعل بينهم من أجل الوصول إلى أفضل الحوارات وأحسنها¹.
 3. الحوار وسيلة لتنمية الفكر بالاتصال بالآخرين وعرض الأفكار عليهم والأخذ والرد، مما يمحص الفكر ويزيده ثباتاً ورسوخاً².
 4. يرى الشيخ سلمان العودة أن الحوار تبرز أهميته من جانبين: الأول: دعوة الناس إلى الإسلام، أي دعوة الكفار إلى الإسلام، ودعوة المبتدعين من المسلمين إلى السنة النبوية. والثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية، حيث يُعدُّ الحوار وسيلة للوصول إلى اليقين في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين³.
 5. الحوار هو مصدر للتعبير عن الأفكار وتنمية الاتجاهات وإزالة الأوهام⁴.
 6. بفضل الحوار كان رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم يوقظ النفوس اللوامة ويكسب أصحابها شحنات من الإيمان والعزم والتصميم، يستطيعون بفضلها مقاومة القوى الشيطانية وتهذيب الشهوات البشرية وبسط سلطان العقل والإيمان على أقوال المؤمنين وأعمالهم، وبفضله كان يقيم الحجّة والبرهان على المشركين وأهل الكتاب وغيرهم⁵.
- ولهذا الأسلوب آدابٌ على المُحاور والمُتَحاور أن يلتزم بها حتى يكون حواراً ناجحاً وذو قيمة، يهدف إلى غايات سامية، فمن بين هذه الآداب ما يأتي:

1. الإخلاص في النية من أجل الوصول إلى الحق.
2. البعد عن التعصب والتمسك بالرأي ولو كان خاطئاً.
3. احترام شخصية المحاور وأفكاره.
4. الحرص على لين القول وطيب الكلام بعيداً عن الطعن والتجريح.
5. استعمال الحجج الصحيحة والبراهين القاطعة لأجل إقناع الطرف الآخر.
6. اعتماد الهدوء والرؤية والتحلي بالحلم والأناة والصبر والسكينة.

¹ أهمية الحوار وأثره على الدعوة والتعليم، محمود يوسف الشويكي، سامي عبد الله قاسم، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، غزة، ص: 103.

² الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح، ص: 10.

³ ينظر: أدب الحوار، سلمان بن فهد العودة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1424هـ، ص: 16، 17.

⁴ الحوار المتسامح، عبد الكريم بكار، مقال بمجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، ع: 121، ربيع الآخر 1426هـ/2005م، ص: 13.

⁵ حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، محسن بن محمد بن عبد الناظر، ط: 1، 1409هـ/1989م، دار الدعوة، الكويت، ص: 5.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

7. اعتماد مبدأ الحرّية في إبداء الرّأي مع حقّ الدّفاع عن وجهة النّظر.
8. صدق اللّهجة والالتزام بالعدل والإنصاف.
9. مخاطبة المحاور على قدر عقله.
10. الاطّلاع والإلمام بموضوع الحوار حتى تتحد الرّؤى¹.

ثالثاً: فوائد الحوار

للحوار فوائد جلييلة نذكر أهمها:

1. الحوار يساهم في نقل الأفكار وتبادلها بين مختلف الفئات والأفراد.
2. الحوار وسيلة للتعارف بين الناس كما أمر سبحانه وتعالى في الآية السّابقة.
3. الحوار وسيلة ناجعة وفعّالة للتّعلم واكتساب الخبرات والمعارف.
4. الحوار يساهم في حلّ التّزاعات والشقاق بالطّرق السّلمية، ويقوي الرّوابط الاجتماعية.
5. الحوار باب لفتح آفاق التّفكير السليم والتأمل الصّائب.

رابعاً: القيم الحوارية من خلال حوارات النّبي صلى الله عليه وسلم مع الصّحابة الكرام رضي الله عنهم

إنّ مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر بصورة متكافئة في جوّ من الهدوء والسّكينة والرّغبة في الوصول إلى الحقّ والبعد عمّا سواه هو الحوار الفعّال والتّاجح الذي يُنشِط العقل ويحرك الذهن، ويحفّزه للتّعلم ويسمو بالفكر إلى العلياء.

فالحوار النبوي ذو أهمية بالغة للبشرية، ففيه من سداد الرّأي وعمق النّظر ونفاذ الأبصار ما يرجي منه الخير والإصلاح، والتّناظر في سيرة النّبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يرى خلال كل أطوارها الحيّة مواقف حوارية تربوية مضيئة تُرشد الدّاعية اللبيب إلى أرقى مشاهد الرّحمة والإحسان وتُعينه على صيانة ما استحفظ من نزاهة دين الإسلام ورؤيته، وعرضه نقياً صافياً كما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان صلى الله عليه وسلم أفضل من استخدم أسلوب الحوار بعد كتاب الله، فهو يعلم وظيفة الحوار وفوائده وأساليبه وآدابه وفنونه وقد مارسها على أحسن ما يكون طوال حياته مع المسلم والكافر، ومع الرّجل والمرأة، ومع الشّيخ والطفّل على حدّ سواء، لأنّه

¹ ينظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد المغامسي، رسالة ماجستير، إشراف: نايف بن حامد بن همام الشريف، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، م ع س، 1423هـ، ص: 147 وما بعدها. الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، محمد مصلح الرّعبي، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 5، ع: 3، 25 / 06 / 2008م، ص: 6، 7. آداب الحوار وآفاقه في السّنة المطهّرة، عبد السّلام حمدان اللوح، مقال منشور ضمن موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday>، ص: 3، 4، 5.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الحوار الهادف في هذين الحديثين حفاظاً على الروابط الأسرية، فنراه صلى الله عليه وسلم يتدرج في الحوار مع السائلين ليصل في آخره إلى نتائج تعليمية تربوية تشريعية؛ إذ الأصل في الدين اليسر لا العسر، ومما يلاحظ على حوار ما يأتي:

- امتصاص غضب الطرف الآخر . كما في حديث خويلة بنت ثعلبة . بالحلم والحكمة .
- التماس العذر لزوجها بتذكيرها بالروابط العائلية بينها وبينه .
- المبادرة في إيجاد الحلول بالتدرج مع تقديم المساعدة .
- جعل الطرف الآخر يبادر أيضاً في مساعدة خصمه .
- تعليم السائل وغيره حكم شرعي عن طريق الحوار .
- الخلق النبوي الرفيع والتمثل في تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ومحاورته للنساء دون تمييز أو تعصب .
- تكوين شخصية المسلم الحوارية وذلك عن طريق بناء ملكة قوية بواسطة الأخذ والرد في الكلام دون أن يستبد الطرف الأقوى بزمام الموضوع المحاور .

2. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال التعليمي

لقد شُغِف الصحابة رضوان الله عليهم بالتفقه في أمور دينهم ومحاوره النبي صلى الله عليه وسلم في أدق التفاصيل.

فعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا ممّا علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمهنّ ممّا علمه الله، ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهنّ: يا رسول الله، أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: واثنين واثنين واثنين»¹.

وعن معاذ بن جبل قال: أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً: هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟ قلت: لا، قال: حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته، رقم: 7310، (9/ 101). ومسلم في صحيحه، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: 3633، (4/ 2028).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

شيئا، ثم سار ساعة، فقال: يا معاذ قلت: لبيك وسعديك، قال: هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يعذبهم»¹.

إنَّ المتأملَ لهذينَ الحديثينَ يُلحظُ مدىَ حبِّ الصَّحابةِ لِلتَّعَلُّمِ وَالتَّفَهُهِ فِي الدِّينِ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْحِوَارِ التَّعْلِيمِيِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمِنْ خِلَالِهِ نَلْمَسُ الْقِيَمَ الْحِوَارِيَّةَ الْآتِيَةَ:

• استجابة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب السائل بغض النظر عن كونه رجلاً أم امرأة، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على تواضعه والإحساس بالمسؤولية تجاه أفراد أمته، دون التفریق بينهم.

• الأدب الذي يتمتع به الصَّحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونلمس ذلك في قول معاذ بن جبل " لبيك وسعديك"، وهذا نتيجة لفتح باب الحوار معهم.

• استعمال الحوار كطريقة فعّالة لتعليم الصَّحابة.

• حسن الاستماع والإصغاء من قبل المتحاورين.

• طرح رسول الله صلى الله عليه وسلم السؤال على المتعلِّم لترك له فرصة للتفكير والتأمل، وهذا ما يسمى في مجال التدريس بوضع المتعلِّم في وضعية مُشكَل؛ ليشير الدافعية لدى المتعلِّم ليزداد شوقاً للمعرفة².

3. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الاجتماعي:

لم تقتصر حوارات النبي صلى الله عليه وسلم على التشريع والتَّعليم فحسب بل تعدَّاه إلى المجال الاجتماعي والأسري، من ذلك حوارُه مع زواجه أمهات المؤمنين عندما نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) [الأحزاب: 28] فبدأ بعائشة ^{البنينا} فقال: «يا عائشة، إنِّي أريد أن أعرض عليك أمراً أحبُّ أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تُخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إنَّ الله لم يعثني معنيتاً، ولا متعنيتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»³.

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده إليهن بالسَّلام قال: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَانَ الْمُتَعَمِّينَ، إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَانَ الْمُتَعَمِّينَ، قالت إحداهنَّ: يا رسول

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بليك وسعديك، رقم: 6267، (8/ 60).

² هذا الأسلوب معتمد في طريقة التدريس عندنا بالجزائر في منهج المقاربة بالكفاءات، حيث يضع المعلم المتعلم في وضعية مشكل أو سؤال محير قبل أن يتلقى المتعلم أي معلومة أو معرفة جديدة، وهذا الأسلوب يثير دافعية المتعلمين أكثر مما تقدّم لهم المعرفة جاهزة.

³ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم: 1478، (2/ 1104).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الله أعوذ بالله يا نبي الله من كفران نِعَمِ الله، قال: بلى، إِنَّ إِحْدَاكَرَنَّ تَطُولُ أَيَّمُتُهَا، وَيَطُولُ تَعْنِيسُهَا، ثم يزوجه الله البعل، ويُفِيدُهَا الولد، وَفَرَّةُ العَيْنِ، ثم تغضبُ العَضْبَةَ، فَتُقْسَمُ بالله ما رأت منه ساعة خيراً قطُّ، فذلك من كفران نِعَمِ الله، وذلك من كفران المنعمين»¹.

من خلال هذين الحديثين نلاحظ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يراعي دوماً الرّوابط الأسرية ويحاول جاهداً المحافظة عليها؛ إذ نراه في الأزمة التي أصابت البيت النبوي وهو يحاور زوجاته الواحدة تلو الأخرى ويخبرها بين البقاء معه وتحمل شدة العيش أو الرجوع إلى بيت أبيها. وفي الحديث الثاني يعلم المرأة الحرّة كيف تحفظ الوُدَّ لزوجهما بذكر جميل صنيعه ونعمه عليها، وتحذيرها من كفران المنعم، لأجل الحفاظ على مملكتها، فالقيم الحوارية المستفادة من ذلك تتمثل فيما يأتي:

● الحوار مع الزّوجة أمر ضروري لمعرفة رأيها في أمرٍ يخصُّها ويخصُّ أسرتها، فهذا أدعى للمحافظة عن الرّوابط الأسرية، وعلى الوُدِّ والمحبة بين الزّوجين.

● استعمال الحوار بين الزّوجين فيه تعليمٌ للأبناء على مبدئ الحوار والتّفاهم.

● بناء شخصية المرأة المسلمة والزوجة المؤمنة عن طريق الحوار معها، وإعطائها فرصة لإبداء رأيها والتّساؤل عن أمور دينها وديناها ممّا يساعد في بناء مجتمع راقٍ الفكر عالٍ الهمة، فلله درُّ الحافظ إبراهيم حين قال:

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّدَتْهَا
أَعَدَّدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

4. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال السياسي والحربي

اتّصف النبي صلى الله عليه وسلم بالحلم والحكمة والشورى في أموره كلها، ولم يترك مجالاً متعلّقاً بالحياة وأهدافها إلّا وحاور فيه أصحابه أو أهله، ممّا يدلُّ على حنكته وفطنته وتواضعه، من ذلك ما حصل في صلح الحديبية الذي كان ظاهره الجور وتعدي على حقوق المسلمين، ممّا أثار حفيظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحاور النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: «ألست نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ، وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنّيّة في ديننا إذا؟ قال: إنّي رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام، قال: قلت: لا، قال: فإنّك آتية ومطوّف به، قال: فأنتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنّيّة في ديننا إذا؟ قال: أيّها الرّجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصني ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنّه على الحقِّ، قلت: أليس كان يحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنّك آتية ومطوّف به. قال الزُّهري: قال عمر -: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّاتٍ، فلمّا لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة،

¹ الحديث أخرجه أحمد في مسنده، من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية، رقم: 27589، (45/ 569).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حتى تنحر بُدْنَكْ، وتدعو حالكك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمًا»¹.

وفي غزوة الأحزاب لما اشتد الأمر على المسلمين أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا إلى عيينة بن حصن الفزاري وهو يومئذ رأس الكفار من غطفان وهو مع أبي سفيان، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث ثمر نخل المدينة، على أن يخذل بين الأحزاب وينصرف بمن معه من غطفان فقال عيينة: بل أعطني شطر ثمرها وأفعل ذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وإلى سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فقال لهما: «إن عيينة بن حصن قد سألني نصف ثمر نخلكم على أن ينصرف بمن معه من غطفان ويخذل بين الأحزاب، وإني أعطيته الثلث فأبى إلا يتصف فما تريان؟ قالوا: يا رسول الله، إن كنت أمرت بشيء فافعله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أمرت بشيء لم أستأمركما فيه، ولكن هذا رأي أعرضه عليكما قالوا: فإننا لا نرى أن نعطيهم إلا السيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنعم»².

هذا هو خلق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب المبني على الشورى لأهل الرأي، ففي صلح الحديبية نراه استعمل الحوار مع الصحابة بلين ولطف، ولم يأمرهم بالقوة عندما لم يطبقوا ما أمرهم، على الرغم من كونه الحاكم وبيده زمام الأمور كلها، ولكنه شد من أزره وكنم غيظه وباح بذلك لأقرب الناس إليه؛ زوجته أم سلمة فكان من سداد رأيها ورجاحة عقلها أن دلت النبي على الحل الأمثل وهو بدوره يطبق ما قالته بتواضع، ولم تأخذه الكبرياء كما يفعل بعض الناس من إهمال رأي المرأة وعدم الأخذ بنصيحتها، وهذا جانب مشرق في حواراته صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الثاني نراه يستدعي أولي الأمر ويعرض عليهم فكرته ثم ينزل تحت حكمهما راض غير متكبر ولا متعصب لرأيه، وهذه قيمة عالية قل من يأخذ بها في الحوار، وعليه فالقيم الحوارية المستفادة من الحديثين السابقين ما يأتي:

● صفة التواضع للمحاور، فلا يكون محاوراً ناجحاً إذا لم يتصف بهذه الصفة، فالتبني صلى الله عليه وسلم من تواضعه أخذ برأي أم سلمة ^{النبينا} عننك وهي امرأة.

● الشورى وهي صفة رفيعة، على المحاور أن يلتزم بها، فالتبني صلى الله عليه وسلم التزم بها في محاورتها السياسية والحريية فقد أوصى الله نبيه بقوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159].

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: 2731، (3/ 193).

² الحديث أخرجه ابن زنجويه في الأموال، باب: الصلح والمهادنة تكون بين المسلمين، رقم: 657، (1/ 398).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- كظم الغيظ، فالمُحاور لا بدَّ أن يتَّصف به، ليصل في نهاية محاورته إلى نتيجة إيجابية.
- التزام المحاور بالطَّاعة لمن هو أعلى منه قدرًا ومرتبةً، وهذا واضح من خلال ردِّ الصحابيِّين الجليلين، فهذا نتيجة تربية نبوية صِرفة.

5. حوارات النَّبي صلى الله عليه وسلم في مجال الأخلاق

ركزَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجانب الأخلاقي وأوَّلى له العناية البالغة، فقد قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»¹.

فالأخلاق هي قِوَامُ الأمم وعماد الحضارات، فبها يُقاس تقدمها من تأخرها، فقد قال الشَّاعر أحمد شوقي:

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنَّ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وفيما يأتي بعض الأحاديث الدَّالة على ذلك، والتي تُبيِّن حرص النَّبي صلى الله عليه وسلم على بناء صرح الأخلاق انطلاقاً من قاعدة الحوار.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»، فقال الغلام: لا، والله لا أُؤثر بنصبي منك أحداً، قال: فتلَّه -وضعه في يده- رسولُ الله صلى الله عليه وسلم»².

وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته»³.

وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ترموه دعوه فتركوه حتى بال، ثمَّ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول، ولا القدر إنَّما هي لذكر الله، والصَّلَاة وقرآءة القرآن، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»⁴.

¹ الحديث أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، رقم: 8952، (512/14).

² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، رقم: 2605، (3/161). ومسلم في صحيحه، باب: استحباب إدارة الماء والبن، رقم: 2030، (3/1604).

³ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تحريم الغيبة، رقم: 2589، (4/2001).

⁴ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: وجوب غسل البول وغيره من النَّجاسات، رقم: 285، (1/236).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفي يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه وفي يده قرح يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن عُزَيَّة - حليف بني عدي بن النجار - وهو مستتل من الصَّفِّ قطعنه في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسنَّ جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير¹.

ولما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسَّم في الناس في المؤلفه قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضاللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن قال: لو شئتم قلت جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب النَّاسُ بالشَّاةِ والبعير وتذهبون بالنَّبيِّ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعارٌ والنَّاسُ دثارٌ، إنَّكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»².

في هذه الأحاديث جملة من الأخلاق السَّامية المنبثقة من الحوارات النَّبوية نذكر منها:

- احترام الصَّغير وإعطائه فرصة للتَّحاور مع من أسنَّ منه وأعلى قدراً لإبداء رأيه، وهذا ما لاحظناه من خلال حوار النَّبي صلى الله عليه وسلم للغلام؛ فقد بدأ بطلب الإذن منه وسماع رأيه، ثم تنفيذ طلبه.
- الاستئذان؛ وهو خلقٌ سامٍ لا يتَّصف به إلا من كُمَلت نفسه وتشبَّعت بالأخلاق الفاضلة، فالنَّبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره يستأذن غلاماً بالسَّماح له بأن يُناول الشَّراب من هو أسنَّ منه.
- التَّحذير من سيِّئ الأخلاق عن طريق الحوار كما فعل في التَّحذير من الغيبة؛ إذ هي خلق ذميم يهدم أواصر الأخوة والرَّوابط العائلية، فهي كالسوس تنخر جسم المجتمع وتضعفه.
- خلق الرِّفق؛ وهذا ما نلمسه في حوار النَّبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد والذي يعلمنا من خلال حوارهِ مع الصَّحابة الرِّفق بالجاهل والإغضاء عنه، بل وتعليمه آداباً يجهلها³.

¹ السلسلة الصحيحة، ناصر الدين الألباني، رقم: 2835، (6/ 808). وقال ناصر الدين الألباني: وهذا إسناد حسن.

² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، رق: 4330، (5/ 175). ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام، رقم: 1061، (2/ 738).

³ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطَّال، باب: الرِّفق في الأمر كله، (9/ 229).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

● المحبة الصادقة بين الرّاعي ورعيته، فلولا باب الحوار المفتوح لكل الرّعية دون تمييز ولا تفريق لما قبل سواد بن غزية رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضر ما حضر في غزوة بدر؛ فالحوار ينشر المحبة والموودة بين الجميع.

6. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين:

بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سبأ: 28].

ولتبليغ الدعوة لجميع الناس استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار مع المشركين وأهل الكتاب لإيصال صوت الحق والعدل، وفيما يأتي نماذج من ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشعراء: 214]، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: رأيتم لو أخبرتمكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [المسد: 1، 2]¹.

وعن عبد الله بن سلام أنّه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فقال: «يا رسول الله إنّي سائلك عن ثلاث خصال، لا يعلمهنّ إلا نبي قال: سل، قال: ما أوّل أسرار السّاعة؟ وما أوّل ما يأكل منه أهل الجنّة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرني بهنّ جبريل عليه السّلام آنفاً. قال: ذلك عدوُّ اليهود من الملائكة، قال: أمّا أوّل أسرار السّاعة فنارٌ تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأمّا أوّل ما يأكل منه أهل الجنّة زيادة كبد حوت، وأمّا شبه الولد أباه وأمه، فإذا سبق ماء الرّجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرّجل نزع إليها، قال: أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله»².

هذه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين في مجال الدعوة فقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الحوار لتبليغ كلمة الحق؛ إذ هو الأسلوب الفعّال والتّاجع، فقد قال سبحانه آمراً نبيّه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) [التّحل: 125].

فالقيم الحوارية المستفادة من الأحاديث تتمثّل فيما يأتي:

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: "وأندر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"، رقم: 4770، (6/ 111).

² الحديث أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 12057، (19/ 113).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار -جمهورية صربيا

● فتح باب الحوار مع المشاركين بذكر ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من حسن الأخلاق كالصديق، ويعتبر هذا كوسيلة لشد انتباه المُحاور.

● حسن الاستماع للطرف الآخر وفهم تساؤلاته، وهذا ما لمسناه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن سلام؛ إذ استمع لمقالته كلها دون أن يقاطعه ولو بكلمة.

● الصديق في الحوار من الصفات التي يجب أن يتصف بها المُحاور والمُحاور، حتى يقتنع الطرف الآخر بمقالته ورأيه، وهذا ما لمسناه من رد النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال عبد الله بن سلام.

وبعد سرد هذه الأحاديث النبوية واستنباط القيم الحوارية نلخص ما فصلناه، فنقول:

اتصف الحوار النبوي بقيم حوارية عالية ورفيعة لا يتصف بها إلا نبي مرسل، ولنا في رسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، قال سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب:21]. ولقد كان هدفه صلى الله عليه وسلم من ذلك كله تعليمنا وإرشادنا لما فيه صلاح الفرد والأسرة والأمة جميعاً.

إن القيم الحوارية المستفادة من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم قيم ضرورية ومهمّة في حياتنا؛ إذ من الواجب تعليمها للنشء حتى يكتسبها ويتحلّى بها لينشأ نشأة إسلامية صحيحة قوامها الوسطية والاعتدال كما أمرنا بذلك رب العزة والجلال، وفيما يأتي ذكر لأهم هذه القيم:

● الإخلاص في النية، إذ أن أساس قبول الأعمال الإخلاص؛ فإذا بُني الحوار على الإخلاص كان ناجحاً.

● التواضع، وهو من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المُحاور ويترنّى عليها.

● الصديق في الحوار، فلغة الحوار لا بد أن تكون لغة صادقة لا يشوبها كذب ولا زيف.

● حسن الاستماع والإنصات؛ فهذه قيمة تجعل المُحاور قادرٌ على استيعاب ما يسمع ومن ثم الرد المناسب على ما سمعه.

● الحوار مع كل طبقات المجتمع، صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونسائهم وحتى أطفالهم، مسلمهم وكافرهم، من سكن الحضر أو البادية، لا فرق بينهم، لأن فتح باب الحوار مع أصناف المجتمع يعزز الروابط الاجتماعية وتماسك الأمة، وتبليغ الدعوة وحسن الأخلاق والفكر الرّاقى للجميع.

● الرفق والتلطف في الكلام ولين الجانب مع المُحاور حتى يأنس بمُحاوره.

● تحديد الهدف بدقة أثناء الحوار لتسهيل طريق الوصول إليه.

● قبول رأي الطرف الآخر واحترام وجهة نظره.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

7. كيفية الاستفادة من التجربة النبوية في وقتنا الحاضر:

بعد عرض النماذج النبوية عن القيم الحوارية، لا بُد لنا من تطبيقها والاستفادة منها في مجال التربية والتعليم، حتى يرتوي منها النشء المسلم، فتكون له حصناً منيعاً يتقي به صدمات العولمة وغيرها، وسنورد كيفية الاستفادة منها على شكل نقاط نذكرها على النحو الآتي:

1. إدراج درس الحوار وقيمه في برنامج التربية الدينية في جميع الأطوار وفي كل السنوات، من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية، وذلك بتكليفه حسب أفهام ومدارك التلاميذ.
2. استغلال الإعلام، فالإعلام اليوم له تأثير بالغ على النفوس خاصة الأطفال، فلو لخصنا المواقف الحوارية النبوية وبلورناها وكيفناها للنشء على شكل مقاطع فيديو قصيرة تعرض على التلاميذ أثناء تدريسهم، أو على شكل صور متحركة تُبثُّ على قنواتنا، يكون ذلك أدعى للتأثير على أخلاقهم وتربيتهم.
3. إقامة دورات تدريبية للآباء والأمهات والمربين متعلقة بالحوار وقيمه، وكيفية الاستفادة منه.
4. يتكفل المعلم والمربي بتخصيص وقت يسير في بعض الحصص يسرد فيها مواقف حوارية من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بشكل مبسط ويكون ذلك بطريقة الحوار بين المعلم والمتعلم، مع استنباط القيم.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث ذكرنا لأهم النتائج المتوصل إليها، وبعض التوصيات المقترحة:

- الحوار هو: تبادل أطراف الحديث ومراجعته بين طرفين أو أكثر لعرض الأفكار ومناقشتها، مع تبيين وتوضيح الآراء المختلفة، بليين ولطفٍ في ظلٍ من الأدب والاحترام.
- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالحوار الهادف واستعماله كوسيلة تربوية ناجحة.
- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بناء شخصية الفرد المسلم عن طريق الحوار لأنه اللبنة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي.
- الحوار مع كل أصناف المجتمع يقوي الروابط الأسرية والاجتماعية ويعززها.
- لا غنى لأي مربيٍّ أو معلمٍ عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهي المنبع الصافي للقيم والأخلاق السامية.
- الحوار التربوي يفتح الأفق أمام المسلم لإعمال عقله وتنمية تفكيره.
- منهج الحوار النبوي التربوي وأسلوبه هو الوسيلة المثلى في تربية النشء المسلم على قيم الوسطية والاعتدال، وحماية فكره من التشدد والانحراف.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وأما التوصيات التي نراها ضرورية فتمثل فيما يأتي:

- إنَّ أهمَّ شيءٍ نوصي به بعد تقوى الله العودة إلى السُّنَّة النَّبوية المطهَّرة والارتواء من معينها، فهي المنبع العذب والموارد الصَّافي للتَّربية والتَّعليم.
- ضرورة تعليم النَّشء المنهج النَّبوي في التَّربية والتَّعليم من خلال عرض سيرته العطرة وحواراته الهادفة.
- إدراج القيم الحوارية والأخلاق الإسلامية في مناهج التَّعليم في المدارس، خاصَّةً في الأطوار الأولى إذ تُعدُّ هذه الفترة ثروة خصبة لبناء الأخلاق السَّامية والتَّربية الصَّحيحة.
- معالجة المستجدات في عصرنا الرَّاهن بتوظيف الأحداث النَّبوية والاستفادة منها.
- الاهتمام بدراسة السُّنَّة النَّبوية المطهَّرة والتُّراث الإسلامي وإبراز الجوانب التَّربوية الهادفة واستثمارها في العملية التَّربوية والتَّعليمية.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم . رحمهما الله . (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي).

1. أدب الحوار، سلمان بن فهد العودة، ط: 1، 1424هـ مكتبة الرشد، الرياض، م ع س.
2. آداب الحوار وآفاقه في السُّنَّة المطهَّرة، عبد السَّلام حمدان اللوح، مقال منشور ضمن موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday>
3. أسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال منشور في موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday.net>.
4. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، مقال منشور في الموقع الآتي: [/www.saaaid.net/mkatarat](http://www.saaaid.net/mkatarat)
5. آلية الحوار في ضوء سنتي التنوع والتَّدافع، زهير بن أحمنه عبد السَّلام، مقال منشور في موقع الحوار، [/http://www.alhiwartoday.net](http://www.alhiwartoday.net)
6. الأموال لابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه تح: شاعر ذيب فياض، ط: 1، 1406 هـ / 1986 م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية.
7. أهمية الحوار وأثره على الدَّعوة والتَّعليم، محمود يوسف الشويكي، سامي عبد الله قاسم، مؤتمر الدَّعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، غزة، 2005م.
8. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد شاعر، ط: 1، 1420 هـ / 2000 م، مؤسسة الرِّسالة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

9. الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد المغامسي، رسالة ماجستير، إشراف: نايف بن حامد بن همام الشريف، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، م ع س، 1423هـ.
10. الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح.
11. الحوار المتسامح، عبد الكريم بكار، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية ع: 121، ربيع الآخر 1426هـ/2005 م.
12. الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، محمد مصلح الزعبي، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 5، ع: 3، 25/06/2008م.
13. حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، محسن بن محمد بن عبد الناظر، ط: 1، 1409هـ/1989م، دار الدعوة، الكويت.
14. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد، د ط، د ت، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
15. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: 2، 1395هـ/1975 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
16. شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: 2، 1423هـ/2003م، دار مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
17. ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعاطية، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 3، ع: 1، 1423هـ/2007م.
18. القيم الإسلامية ودورها في تقديم حلّ للمشكلات البيئية العالمية، أحمد بن حمد الخليبي، المؤتمر العام الخامس عشر لمؤسسة آل البيت المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ/2010 م.
19. القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م.
20. لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: 1، 1422هـ، دار طوق النجاة، د م.
21. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، د ط، د ت، دار المعارف، القاهرة، مصر.
22. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، د ط، 1986م، مكتبة لبنان، بيروت.
23. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط: 1، 1421 هـ / 2001 م، مؤسسة الرسالة، د م.
24. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، د ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

25. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399هـ / 1979م، دار الفكر، بيروت،

لبنان.

26. مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، إعداد: محمد عدنان علي القضاة، إشراف: أ د: حسن أحمد

الحياري، كلية التربية، قسم الإدارة وأصول التربية، جامعة اليرموك، 1423هـ / 2003م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار

د. إبراهيم بن عبد الله المعثم

الأستاذ المشارك كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم / المملكة العربية السعودية

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما

بعد:

فقد شرع الله تعالى الحوار والجدال مع المخالفين، وجاء القرآن الكريم بالحوار والجدال تطبيقاً وتأسيساً، كما مارس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحوار مع أصحابه، ومن هذا المنطلق ولأهمية الحوار ومنزلته اخترت التعريف بأحد المراكز العالمية للحوار وبيان دوره في الحوار ليكون موضوعاً لبحثي بعنوان: (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار).

أولاً: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مركز الملك عبد الله العالمي للحوار؟
- 2- ما دور المركز في تنمية ثقافة الحوار بين أتباع الأديان المختلفة؟
- 3- هل لمراكز الحوار أثر في إبطال نظريات الصدام الحضاري؟
- 4- هل أسهم المركز في المشاركات المجتمعية؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال ما يلي:

- 1- أهمية الحوار وكونه وسيلة لإقناع المخالف.
- 2- أن الإسلام جاء بالحوار والجدال بالتي هي أحسن.
- 3- الجهود التي بذلها المركز للتأسيس للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

ثالثاً: أهداف البحث:

تظهر أهداف البحث من خلال عدد من الأمور هي:

- 1- التعريف بمركز الملك عبد الله العالمي للحوار.
- 2- إظهار دور المركز في تنمية ثقافة الحوار بين أتباع الأديان المختلفة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

3- بيان أثر مراكز الحوار في إبطال نظريات الصدام الحضاري.

4- التعريف بإسهامات المركز في المشاركات المجتمعية.

رابعاً: منهج البحث:

سأستخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعريف بالمركز وبيان دوره في تنمية ثقافة الحوار.

خامساً: إجراءات البحث:

1- حرصت على أخذ المعلومات المتعلقة بالمركز من خلال موقعه الرسمي على شبكة الانترنت (<https://www.kaiciid.org/ar>) ومن خلال نشرات أصدرها المركز حصلت عليها من خلال تواصل مع د. حمد الماجد عضو مجلس إدارة المركز.

2- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني ووضعتها بين قوسين مزهرين {}، وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية..

3- عزوت النقول بنسبتها إلى مصادرها.

4- التزمت بعلامات الترقيم، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

5- ذيلت البحث بفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

سادساً: خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث -تضمن كل منها مطالب- وخاتمة وفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات كما يلي:

المقدمة، وتشمل ما يلي:

أولاً: مشكلة البحث

ثانياً: أهمية البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: منهج البحث

خامساً: إجراءات البحث.

سادساً: خطة البحث.

التمهيد، ويشمل:

أولاً: التعريف بالحوار لغة واصطلاحاً.

ثانياً: سنة الله تعالى في الاختلاف والتنوع في الرؤى والمفاهيم.

المبحث الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه وأهدافه وطبيعته، وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه.

المطلب الثاني: أهداف المركز.

المطلب الثالث: رؤية المركز.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المطلب الرابع: الهيكل التنظيمي للمركز.

المطلب الخامس: اتفاقية تأسيس المركز.

المطلب السادس: شركاء المركز.

المبحث الثاني: دور المركز في تنمية ثقافة الحوار، وتحتة خمسة مطالب:

المطلب الأول: تدشين المنصة الإلكترونية للمعرفة والحوار.

المطلب الثاني: تأسيس برنامج الزمالة الدولية.

المطلب الثالث: عقد المؤتمرات الدولية والمحلية وتنظيم الاجتماعات وورش العمل لخدمة الحوار.

المطلب الرابع: الإسهام في تأسيس منصات وبرامج الحوار المختلفة.

المطلب الخامس: تأسيس شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية والمسيحية في العالم العربي.

المبحث الثالث: دور المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية، وتحتة أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنديد بالتحريض المؤدي إلى الجرائم الوحشية

المطلب الثاني: برنامج اللاجئين في أوروبا

المطلب الثالث: برامج الزيارات لعدد من القيادات والمؤسسات التي تمثل رمزاً دينياً

المطلب الرابع: التعريف بجهود المركز ونشاطاته للمجتمع النمساوي

الخاتمة، وتشمل أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: التعريف بالحوار لغة واصطلاحاً

أ- الحوار في اللغة:

الحوار أصله من مادة (حور) ومعناها: الرجوع إلى الشيء وعنه، والحوار هو مراجعة الكلام وجوابه، يقال:

حاورت فلاناً في المنطق، وأحرت إليه جواباً، وما أحر بكلمة، وحاورت فلاناً محاورَةً وحواراً وحويراً إذا كلمك فأجبتَه⁽¹⁾.

ب- الحوار في الاصطلاح:

قال أبو عبيد الهروي: يقال: «تحوارا الرجلان إذا رد كل واحد منهما على صاحبه والحوار والمحاورة

المخاطبة بين اثنين فما فوقهما»⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) [سورة المجادلة:1]، وقوله سبحانه:

(1) انظر: العين للخليل (287/3)، وجمهرة اللغة لابن دريد (525/1)، وتهذيب اللغة للأزهري (146/5).

(2) الغريبين في القرآن والحديث (508/2).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [سورة الكهف:37]، فالحوار هو حديث بين شخصين أو أكثر حول موضوع معين⁽¹⁾.

ثانياً: سنة الله تعالى في الاختلاف والتنوع

اختلاف الناس وتنوعهم في الرؤى والمفاهيم والألوان واللغات سنة من سنن الله تعالى الكونية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ اَللسَّنَتِكُمْ وَأَللَّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ) [سورة الروم:22]، وقال سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَللَّانِعَامِ مُخْتَلِفٌ أَللَّوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْشَى اللّهُ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [سورة فاطر:28]، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [سورة هود:118-119] قال الطبري: «أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم، وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، { إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ } فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار»⁽²⁾.

وما دامت هذه سنة من سنن الله الكونية الواقعة كان لا بد من التعامل مع هذا الاختلاف بالدعوة إلى الله تعالى وإلى الدين الحق من خلال الحوار والجدال كما قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [سورة النحل:125]، وقال سبحانه: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت:46]، ولا ينبغي أن يكون الاختلاف مدعاة للنزاع والصراع والصدام بين أتباع الأديان المختلفة، بل أمر الله تعالى بالبر والإفراط مع مخالفيها ما دام شرهم لم يمس المسلمين قال تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [سورة الممتحنة:8].

(1) انظر: المعجم الوسيط (205/1).

(2) جامع البيان (637-636/12).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المبحث الأول: التعريف بالمركز وأهدافه وتأسيسه وطبيعته

يمكن التعريف بالمركز وأهدافه وتأسيسه وطبيعته من خلال عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه

يعدُّ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات منظمة دولية تأسست عام ٢٠١٢م، ويُعرف اختصاراً باسم (KAICIID) (كايسيد).

وقصة إنشاء المركز بدأت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م وتوتر بين الغرب والعالم الإسلامي إثر اتهام الدين الإسلامي بالإرهاب والعنف فقد انطلقت فكرة المركز من عرابها الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله بدعوة للحوار أطلقها في الدورة الاستثنائية الثالثة للمؤتمر الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة 5-6 ذي القعدة 1426هـ الموافق 7 و8 ديسمبر 2005م، وقد تبنتها القمة آنذاك في بيانها الختامي الذي أُطلق عليه (بلاغ مكة المكرمة)، ثم أتبع ذلك قيام الملك عبدالله بزيارة لبابا الفاتيكان عام 2007م، ثم دعوة الملك عبدالله لإنشاء مركز للحوار بين أتباع الأديان عبر كلمته في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي عقد في رحاب رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من 30-5 إلى 2-6-1429هـ الموافق 4-2008/6/7م، وتبني المؤتمر له في بيانه الختامي الذي أُطلق عليه (نداء مكة المكرمة) وتضمن ما نصه: «الدعوة إلى إنشاء (مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي للتواصل بين الحضارات) بهدف إشاعة ثقافة الحوار، وإنشاء جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للحوار الحضاري، ومنحها للشخصيات والهيئات التي تسهم في تطوير الحوار، وشدد المؤتمر في بيانه الختامي على ضرورة التزام آداب الإسلام في الحوار، محذراً من أن الحوار الهادف مع أتباع الرسالات لا يعني التنازل عن المسلمات، ولا التفريط في الثوابت الدينية».

ثم جاءت توصية المؤتمر العالمي للحوار الذي نظّمته رابطة العالم الإسلامي وعُقد في مدريد برعاية الملك عبدالله بن عبدالعزيز وملك أسبانيا خوان كارلوس خلال الفترة 13-15 رجب 1429هـ الموافق 16-18 يوليو 2008م الذي أُطلق عليه (إعلان مدريد) بإنشاء مجلس عالمي للحوار، وقد شارك في المؤتمر مسلمين ومسيحيين ويهود وبوذيين وهندوس وسيخ ويزيديين وغيرهم.

ثم أكد الملك عبدالله بن عبدالعزيز على هذه القضية من خلال كلمته التي ألقاها في مؤتمر حوار الأديان المنعقد في مقر الأمم المتحدة بنيويورك في نوفمبر عام 2008م، وقد أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ذلك الاجتماع توصيات مؤتمر مدريد من خلال التأكيد على أن التفاهم المتبادل والحوار بين أتباع الأديان والثقافات ضرورة لتحقيق السلام العالمي.

وفي شهر رجب 1429هـ الموافق يوليو 2009م نظمت رابطة العالم الإسلامي المؤتمر العالمي للحوار في فيينا شارك فيه رؤساء مؤسسات الحوار في العالم من ممثلي الأديان والثقافات والحضارات الإنسانية، وكان من نتائج المؤتمر تشكيل لجنة لمتابعة مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله، ووضع الأسس اللازمة لتنفيذ المبادرة ودراسة الآلية التي يمكن بها تأسيس مركز عالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثم في أكتوبر 2009م نظمت رابطة العالم الإسلامي في جنيف مؤتمراً عالمياً للحوار بعنوان: (مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وأثرها في إشاعة القيم الإنسانية) شارك فيه أكثر من 150 شخصية دينية أكاديمية يمثلون مختلف أتباع الأديان والثقافات في العالم، والذين أعلنوا دعمهم للمبادرة وإنشاء المركز. وفي 13 من أكتوبر 2011م، وإدراكاً منها لأهمية الحوار، وبناء على مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وقّعت ثلاث دول: هي المملكة العربية السعودية، وجمهورية النمسا، ومملكة إسبانيا، على اتفاقية تأسيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي (KAICIID) للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في فيينا، ونالت هذه المبادرة دعم الفاتيكان منذ البداية، وفي 23 من أبريل عام 2012م أسست الدول الموقعة هيئة تحضيرية لوضع الأطر الأساسية لتنفيذ أهداف اتفاقية تأسيس المركز تم فيها تعيين الأمين العام المؤقت وانتخاب أعضاء مجلس الإدارة المؤقت.

ثم افتتح المركز في 26 نوفمبر عام 2012م افتتح المركز في فيينا عاصمة النمسا، وهي تعتبر أول مؤسسة عالمية للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وحضر الافتتاح قرابة 800 شخصية من القيادات الدينية والسياسية وممثلي المؤسسات الدولية⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أهداف المركز

يهدف هذا المركز العالمي إلى عدد من الأهداف:

- 1- تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتشجيع التفاهم والتعاون المشترك بين الناس ودعم العدل والسلام، والتصدي لسوء استخدام الدين لتسويغ الاضطهاد والعنف والصراع، والسعي لتأسيس تفاهم مشترك أفضل يكفل التعايش الديني والروحي بين الأفراد والمجتمع ويعزز الاحترام والمحافظة على قدسية المواقع والرموز الدينية.
- 2- معالجة التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمع مثل تلك المتعلقة بالكرامة الإنسانية والمحافظة على البيئة بالاستخدام المستدام والأمثل للموارد الطبيعية، والتربية الدينية والأخلاقية، والحد من الفقر.
- 3- نشر قيم التسامح والمحبة والأمن والسلام والتعايش، من خلال ثلاثة محاور، هي: احترام الاختلاف من خلال الحوار، تأسيس قواسم مشتركة بين مختلف الجماعات، وتحقيق المشاركة الدينية والحضارية والمدنية بين القيادات الدينية والسياسية.

المطلب الثالث: رؤية المركز

يرى المركز أن الدين قوة فاعلة لتعزيز ثقافة الحوار والتعاون لتحقيق الخير للبشرية؛ حيث يعمل على معالجة التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات، بما في ذلك التصدي لتبرير الاضطهاد والعنف والصراع باسم الدين وتعزيز ثقافة الحوار والعيش معاً.

(1) النظر: صحيفة عكاظ <https://www.okaz.com.sa/article/533325> بتاريخ الخميس 2/21 / 1434هـ تاريخ الزيارة 30 / 4

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المطلب الرابع: الهيكل التنظيمي للمركز

يتكون الهيكل التنظيمي للمركز من:

1- مجلس الأطراف: يتكون من الدول المؤسسة للمركز وهي المملكة العربية السعودية، وجمهورية النمسا،

ومملكة إسبانيا، والفاتيكان بصفة مؤسس مراقب.

تتضمن مهامه: التنظيمات المالية للمركز، وبرنامج العمل، والميزانية السنوية، كما يرشّح مجلس الأطراف -بناء على مقترحات مجلس الإدارة- أفراد من الأديان الرئيسية والمؤسسات الثقافية والدينية للمنتدى الاستشاري، وكذا الموافقة على الاتفاقيات الدولية، وعلى إنشاء علاقات تعاون مع مؤسسات حكومية أو خاصة، والتي من الممكن أن تسهم في عمل المركز، ويتخذ مجلس الأطراف القرار حول الموافقة على قبول أطراف جدد ومراقبين للاتفاقية.

2- مجلس الإدارة: يتألف من عدد من الأعضاء لا يزيد على اثني عشر عضواً يمثلون قيادات دينية لأتباع

الأديان الرئيسية في العالم مع مراعاة تنوعها، ويتم تمثيل أتباع الأديان المذكورة أدناه بحد من الأعضاء على النحو الآتي:

1- عضو واحد عن أتباع اليهودية.

2- ثلاثة أعضاء عن أتباع المسيحية.

3- ثلاثة أعضاء عن أتباع الإسلام.

4- عضو واحد عن أتباع الهندوسية.

5- عضو واحد عن أتباع البوذية.

ويجتمع المجلس مرة واحدة سنوياً على الأقل، تتضمن مهامه: انتخاب أعضاء مجلس الإدارة، وتعيين الأمين

العام ونائبه.

3- المنتدى الاستشاري: نصت الاتفاقية التأسيسية للمركز على إنشاء منتدى استشاري مكون من (100)

عضو من أتباع الأديان الرئيسية في العالم والمؤسسات والمجتمعات الدينية والثقافية.

ويجتمع أعضاء المنتدى الاستشاري -الذين يتم تسميتهم لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد- مرة واحدة في

السنة على الأقل، ويعملون بصفتهم الفردية، ويتخذون قرارات مستقلة قدر الإمكان بالإجماع، وفي حالة تعذر ذلك، فتكون بأغلبية الثلثين.

وتتمثل أبرز مهام أعضاء المنتدى فيما يلي:

-دعم أنشطة مجلس الإدارة.

-تقديم الاستشارة فيما يتعلق ببرامجها.

-توفير محتوى لأنشطة المركز من خلال تقديم منظور عالمي من جميع مناطق العالم.

-تشكيل أعضاء فرق العمل التي يعتمدها مجلس الإدارة لمعالجة قضايا معينة.

4- الأمانة العامة: ويديرها الأمين العام ونائبه والمدير العام.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقد عيّن ممثلو مجلس الأطراف معالي الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن بن معمر في منصب الأمين العام في دورته الأولى في أكتوبر عام 2012م، ولا زال يشغل هذا المنصب.

المطلب الخامس: اتفاقية تأسيس المركز

حررت اتفاقية تأسيس المركز بعدد من اللغات هي: العربية، والصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، تضمنت اتفاقية المركز تسعة عشر مادة تفصيلية، حيث تعلقت المادة الأولى بالتأسيس والشكل القانوني للمركز، والثانية بالأهداف والأنشطة، والثالثة بالمقر الرئيس، والرابعة بالأجهزة الإدارية، والخامسة بمجلس الأطراف، والسادسة بمجلس الإدارة، والسابعة بالمنتدى الاستشاري، والثامنة بالأمانة العامة، والتاسعة بالتمويل، والعاشر بعلاقات التعاون، والحادية عشرة بالمزايا والحصانات للمركز وأعضاء مجالسه والعاملين به، والثانية عشرة بالمسؤولية، والثالثة عشرة بالتعديلات، والرابعة عشرة بالأحكام الانتقالية، والخامسة عشرة بالنفاذ وجهة الإيداع، والسادسة عشرة: بالمراقبين، والسابعة عشرة: بتسوية النزاعات، والثامنة عشرة بالانسحاب من الاتفاقية، والتاسعة عشرة بالإنهاء.

المطلب السادس: شركاء المركز

عقد المركز عدداً من الشراكات مع عدة جهات أهمها:

- 1-الاتحاد الأفريقي.
- 2-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).
- 3-برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- 4-الشراكة العالمية بخصوص الدين والتنمية المستدامة.
- 5-مكتب الأمم المتحدة المعني بمنع الإبادة الجماعية ومسؤولية الحماية.
- 6-منظمة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات.
- 7-شبكة صانعي السلام.
- 8-منظمة التعاون الإسلامي.
- 9-جامعة كومبلوتنسي في مدريد.
- 10-المعهد العالي للعلوم الدينية في برشلونة.
- 11-المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).
- 12-منظمة أديان من أجل السلام.
- 13-جامعة مونتريال.
- 14-المنظمة العالمية للحركة الكشفية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المبحث الثاني: دور المركز في تنمية ثقافة الحوار

يمكن بيان هذا الدور من خلال عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: تدشين المنصة الإلكترونية للمعرفة والحوار

وهي منصة إلكترونية للمهتمين بالحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ توفر مصادر وآليات تعليمية، مثل: الخرائط التفاعلية ومنتجات التعليم الإلكتروني، وقواعد البيانات المتعلقة بالمادة، مُصممة خصيصاً من أجل تعزيز ونشر وتنقيف وتدريب ودعم شبكة حوار أتباع الأديان والثقافات حول العالم، وهي متوفرة حالياً باللغة الانجليزية فقط.

المطلب الثاني: تأسيس برنامج الزمالة الدولية

وهو برنامج تعليمي تدريبي، يسعى المركز من خلاله لإدخال لغة الحوار في عمل المؤسسات التعليمية الدينية، وبناء قدرات القيادات الدينية المستقبلية على نشر ثقافة التفاهم المتبادل في مجتمعاتهم. أطلق المركز برنامج الزمالة الدولية عام 2015م، بمجموعة دولية واحدة، ضمت زملاء من أنحاء العالم من مؤسسات دينية وتعليمية رائدة وممثلين عن ديانات وثقافات متنوعة. مع نجاح هذه التجربة؛ توسع البرنامج عام 2016م ليضم مجموعتين كل عام -لكي تعم الفائدة على أوسع نطاق-: مجموعة دولية، ومجموعة أخرى بتركيز إقليمي ركزت على منطقة جنوب شرق آسيا عام 2016م، والمنطقة العربية عام 2017م، ودول أفريقيا عام 2018م.

يتكون برنامج الزمالة من ثلاثة مراحل تدريبات رئيسية على مدار العام الواحد:

التدريب الأول: يهدف إلى تنمية المهارات في مجال الحوار والتعرف على الآخر.

التدريب الثاني: يركز على بلورة الأفكار لتكوين مبادرات حوارية مستدامة بهدف نشر ثقافة الحوار في مجتمعات الزملاء المشاركين من خلال المؤسسات التي ينتمون إليها.

التدريب الثالث: يلتقي فيه الزملاء لاستعراض مبادراتهم والنتائج الناجمة عنها، وللمناقش حول أفضل الممارسات لتطبيق الحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

وفي الفترة ما بين التدريبات المقررة؛ يحضر المشاركون محاضرات نظرية واجتماعات شهرية عبر شبكة الإنترنت.

بعد تخرج كل دفعة من برنامج الزمالة، ينضم أعضاؤها لشبكة الزمالة الدولية التي ضمت حتى الفترة ما بين عامي 2015م إلى 2017م: (112) زميلاً وزميلة من (34) بلدًا و(8) ديانات، متوسط أعمارهم: (38) عامًا، يمثل الذكور 60%، والإناث 40%.

وقد وصل عدد المبادرات المحلية الحوارية التي قام بها الزملاء إلى ما يقارب (110) مبادرة، وقد كان لهم تأثير مباشر على ما يقارب (7000) شخص.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وتشهد شبكة الزمالة ازدهاراً، ليس فقط في الكمّ، ولكن بتنوع أعضائها واختلاف خلفياتهم ساعياً لتعزيز قيم التعددية ورعاية التربية الحاضنة للتنوع ودعم قيم المواطنة المشتركة، ويتطلع المركز إلى توسعة شبكة الزمالة الدولية عاماً بعد عام ولرعاية الشراكات الناتجة عنها لخدمة الإنسانية ونشر ثقافة الحوار.

المطلب الثالث: عقد المؤتمرات الدولية والمحلية وتنظيم الاجتماعات وورش العمل لخدمة الحوار

وتتمثل فيما يلي:

1- عقد المركز بمقره بفيينا في 20-21 أبريل 2014م، اجتماعاً تشاورياً تحت عنوان «المواطنة المشتركة: المسلمون والمسيحيون في المجتمعات العربية» وذلك لمناقشة الآثار المترتبة على الأوضاع السياسية في المنطقة العربية، ومدى تأثيرها على تماسك المجتمعات، وبالأخص مدى تأثيرها على العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار المواطنة، وأكد المشاركون أن الاجتماع شكل فرصة هامة للمؤسسات المشاركة للتعرف على نماذج جديدة لتفعيل الحوار في المجتمعات العربية وتبادل الخبرات، وبناء على ذلك أشار المشاركون إلى أن هذا الاجتماع لا بد من أن يتبع بخطوات عملية، وكان ضمن الاقتراحات عقد مؤتمر موسع للمنظمات التي تسهم في دعم الحوار الإسلامي المسيحي من خلال تعزيز قيم المواطنة والعيش المشترك بهدف تبادل الخبرات وتدعيم مفهوم المواطنة وتوسيع نطاق المبادرات الناجحة.

2- المؤتمر الدولي الأول: بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» وهو أول مؤتمر رفيع المستوى للقيادات الدينية عقد في العاصمة النمساوية فيينا خلال شهر نوفمبر عام 2014م، وقد شكّل المؤتمر انطلاقة مهمة في مسيرة المركز، لتأكيد على توحيد جهود الأفراد والقيادات والمؤسسات الدينية مع جهود صانعي السياسات، واصطفافهم لترسيخ التعايش والحوار والتفاهم المتبادل، جنباً إلى جنب مع الوقوف ضد العنف. وتبنت القيادات الدينية في ختام المؤتمر «بيان فيينا» لنبذ العنف باسم الدين، الذي تضمن توصيات عملية متنوعة، والدعوة إلى تطوير خطة العمل في مؤتمرات لاحقة؛ نتج عنها برامج متعددة، تحت مظلة المركز تمثلت في ثلاثة توجهات هي: تعزيز التماسك الاجتماعي، والتعليم، والإعلام الجديد.

3- مؤتمر المركز حول الحوار بين أفراد الطوائف في جمهورية أفريقيا الوسطى في شهر فبراير 2016م. وقد عقد المركز ثلاثة مؤتمرات بين: أتباع الأديان المتنوعة، وبين أتباع الدين الواحد في فيينا كجزء من مشروع «تعزيز السلام والتعاون بين المسلمين»، حيث جرى نشر خطة العمل المطورة خلال مؤتمر المركز حول الحوار بين أفراد الطائفة المسلمة، في مختلف أنحاء جمهورية أفريقيا الوسطى، وعمل المركز على تنمية قدرات القيادات الدينية المسلمة من خلال التدريب على تيسير الحوار، ولهذا الغرض أصدر المركز دليلاً حوارياً مخصصاً لجمهورية أفريقيا الوسطى ووزعه في تلك الدولة.

ودعم المركز منصة الحوار بين أتباع الأديان في جمهورية أفريقيا الوسطى، وهي مبادرة قام بها قيادات دينية للمسلمين والنصارى، وقد ساعد المركز في تنفيذ مشروعات المنصة التي تعزز التعايش والحوار بين أتباع الأديان.

4- مؤتمر المركز بعنوان: «التنسيق للإنجاز» حول التفاهم بين أتباع الأديان المتعددة وبين أتباع الدين الواحد في نيجيريا بالتعاون مع الجماعات والمؤسسات الدينية النيجيرية في يناير عام 2017م، أسهم المركز من خلال

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هذا المؤتمر في تأسيس «منتدى الحوار بين أتباع الأديان من أجل السلام» وصاغ خطة العمل الخاصة به، وتعاون المركز مع الشركاء النيجيريين لبناء منصة حوار مستدامة وشاملة من أجل السلام، من خلال التركيز على التحديات القائمة في نيجيريا؛ وجمع المركز بين القيادات الدينية وصانعي السياسات والأطراف المعنية الإقليمية والخبراء في سلسلة من الاجتماعات.

وأسهم المؤتمر وورش العمل والاجتماعات في تبني مدخل شامل ومستدام، يمثل الأطراف كافة نحو الحوار بين أتباع الأديان كوسيلة للسلام في الدولة، وحظيت هذه العملية باعتراف وترحيب من مسؤولي نيجيريا البارزين.

5- المؤتمر الدولي الثاني بعنوان: «الحوار بين أتباع الأديان من أجل السلام: تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة» عقد في العاصمة النمساوية فيينا، خلال الفترة من 26-27 فبراير عام 2018م.

كان الهدف من هذا المؤتمر الدولي: تبادل الآراء والتجارب بين عدد كبير من الأفراد والمؤسسات والقيادات الدينية وصانعي السياسات والمنظمات الدولية عالية المستوى من مختلف مناطق العالم في مجالات تفعيل التعاون والعمل المشترك لتعزيز التماسك الاجتماعي والعيش المشترك القائم على أسس التفاهم والحوار لبناء السلام بين أتباع الأديان والثقافات، من خلال التركيز على عدد من المحاور الرئيسة وهي:

- إطلاق منصة الحوار الإقليمية للمؤسسات والقيادات الدينية في العالم العربي.

- سبل تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة وبناء التماسك الاجتماعي بين أتباع الأديان والثقافات من خلال الحوار.

- العلاقة بين القيادات والمؤسسات الدينية وصانعي السياسات: سبل تعزيز التعاون والعمل المشترك والنجاحات.

- الإعلام الجديد ودوره في تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة.

المطلب الرابع: الإسهام في تأسيس منصات وبرامج الحوار المختلفة

ومن تلك المنصات والبرامج التي أسهم فيها المركز:

1- منصة تعزيز الحوار بين أتباع الأديان في ميانمار، فقد ساعد المركز في تأسيس «مبادرة ميانمار السلمية» وهي شبكة شاملة ومتعددة للأديان، تضم قيادات دينية: بورمية بوذية؛ ومسيحية؛ وهندوسية؛ ومسلمة، بالإضافة لمنظمات المجتمع المدني؛ لتعزيز الحوار السلمي في مختلف أنحاء ميانمار، بقيادة رهبان بارزين وأئمة مسلمين من المجتمع المدني.

تقدم «مبادرة ميانمار السلمية» تدريباً على الحوار بين أتباع الأديان، وكيفية تفعيله عبر وسائل التواصل الاجتماعي في ميانمار، ومن خلال هذه المبادرة؛ تدرب (320) مشاركاً بهدف التوصل للسلام بين أتباع الأديان من خلال الحوار الشامل في خمس مناطق مختارة من ميانمار، كما درّب المركز مجموعة من خمسة عشر مرشداً للسلام.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2-برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»: انطلاقاً من تنفيذ توصيات المؤتمر الدولي الأول الذي عقد المركز بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» التي خرجت بتوصيات عدة كان من أهمها في مجال الإعلام الجديد: تدريب الشباب على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر ثقافة الحوار. وقد خرجت تلك التوصية؛ نتيجة تفشي ظاهرة مؤسفة هي: توظيف المتطرفين لوسائل التواصل الاجتماعي؛ لنشر ثقافة الإقصاء وتصدير خطاب التطرف.

فانطلاقاً من كون وسائل التواصل الاجتماعي إذا استُعملت بحكمة فهي تسهم في تعزيز علاقات الفهم والانسجام والتعايش ونشر ثقافة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، ولوجود الحاجة لإعداد خطاب مضاد لخطاب التطرف يدعو إلى التماسك الاجتماعي والتسامح؛ فقد استهدف المركز فئة الشباب مباشرة ليوفر لهم آليات الحوار في تلك الوسائل ليتمكنوا من استخدامها بالطريقة الصحيحة.

وكانت بداية هذا البرنامج بتدريب (120) شاباً وفتاة في عمّان في 2015م، ونظراً لنجاح ذلك اللقاء؛ فقد تبنى المركز برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»، الذي يتكون من سلسلة تدريبات، درب المركز من خلالها ما يقارب (400) مشارك ومشاركة من مختلف بلدان المنطقة العربية.

ومن منطلق اهتمام المركز بتعزيز روح التعاون بين الأطراف المعنية بنشر ثقافة الحوار حول العالم؛ فإن برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»؛ يُنفَّذ بالشراكة مع المنظمات المحلية.

وقام المركز حتى الآن بتدريب أكثر من (80) متدرّباً ومتدربة في عمّان في عام 2016م من سوريا والأردن وفلسطين ولبنان، وأكثر من (60) متدرّباً ومتدربة في القاهرة من جميع مكونات المجتمع المصري، وما يزيد عن (80) مشاركاً ومشاركة في أربيل ومن جميع محافظات العراق يمثلون (7) ديانات و(6) مجموعات عرقية. كما عقد المركز لقاء في جزيرة جربة في تونس لتدريب أكثر من (40) متدرّباً ومتدربة من تونس والجزائر وموريتانيا وليبيا والمغرب.

ومن نتائج اللقاءات التدريبية أصدر المركز دليلاً تدريبياً على الحوار وكيفية تفعيله على وسائل التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى شبكة ناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، تضم المشاركين والمشاركات من مخرجات الدورات التدريبية التي عُقدت في عمان والقاهرة وأربيل وجربة؛ لإرساء لغة الحوار في وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الخامس: تأسيس شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية والمسيحية في العالم العربي

انطلاقاً من تنفيذ توصيات المؤتمر الدولي الأول الذي عقد المركز بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» وبعد أكثر من عامين من الاجتماعات والعمل والتنسيق؛ أسس المركز شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية والمسيحية في العالم العربي في مايو عام 2017م، ويعتبر هذا التأسيس حدثاً ريادياً غير مسبوق في المنطقة العربية، ذلك أن المجتمعات العربية بأمرّ الحاجة لتعميق الحوار والتأكيد عليه، وتقديم حلول مستدامة لا مؤقتة، لتعزيز التعايش والحوار في مجتمعاتنا؛ وتمثل الشبكة مساحة عمل مستمر ومنظم للقيادات الدينية والتربوية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من القائمين على المؤسسات التعليمية الدينية الجامعية في المنطقة، انطلاقاً من الأدوار الأساسية لهذه المؤسسات التربوية، والأكاديمية في الانفتاح على الآخر وترسيخ قيم الحوار والعيش المشترك.

ويؤسس هذا المشروع مجتمعاً كبيراً ومتربطاً من القيادات الدينية والمعلمين والطلاب من مختلف المعاهد والكليات الدينية في المنطقة العربية، الذين يستخدمون آليات الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في تعليمهم؛ كما تدعم الشبكة تطوير الأدوات التعليمية التي بدورها تعزز التنوع الديني والثقافي وتدعم السلام والتعايش المشترك.

المبحث الثالث: دور المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية

أسهم المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية في الأحداث المعاصرة في مواكبة للأحداث المعاصرة، ومن ذلك عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: التنديد بالتحريض المؤدي إلى الجرائم الوحشية

نظّم المركز بالشراكة مع مكتب الأمم المتحدة المعني بمنع الإبادة الجماعية؛ ومنتدى القيادات الدينية بمدينة فاس المغربية عام 2015م، منتدىً دولياً حول دور القيادات الدينية في منع التحريض الذي من شأنه أن يؤدي إلى الجرائم الوحشية، والذي نتج عنه خطة عمل لمنع التحريض على الجرائم الوحشية، ومكافحة الخطاب المحرّض على الكراهية والعنف؛ وتعزيز التعليم بين أتباع الأديان؛ وإشراك القيادات السياسية.

وتم تعديل هذه الخطة من قبل قيادات دينية في المؤتمرات الإقليمية بأفريقيا والأميركتين وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقد اعتُمدت النسخة النهائية من الخطة في مؤتمر الأمم المتحدة عام 2017م. ومن هنا فقد إدان مجلس إدارة المركز كثيراً من الأعمال الإجرامية والإرهابية نظراً لكونها تعد انتهاكاً جسيماً لحقوق الإنسان، وانتشاراً لظاهرة مقلقة متزايدة حول العالم وهي العنف والإرهاب باسم الدين، التي تهدف للتلاعب بالدين من أجل تبرير العنف باسم الدين فالإرهاب لا دين له، ولأنه من غير المقبول أن يعيش أعضاء المجتمع الواحد في خوف من بعضهم البعض، ودعا المركز إلى تفعيل لغة الحوار والاحترام المتبادل لكونها أصبحت أكثر إلحاحاً وأهمية من أي وقت مضى، ومنها تلك الإدانات:

- إدانة الهجوم على المسيحيين الأقباط العائدين من دير في منطقة المنيا في مصر، في مايو عام 2017م.
- إدانة الهجمات المرتكبة في مدينة السويداء السورية على الطائفة الدرزية من قبل ما يُسمى: تنظيم «داعش» الإرهابي في يوليو عام 2018م

- إدانة الهجمات العنيفة التي وقعت على ثلاث كنائس في سورابايا بإندونيسيا في مايو ٢٠١٨م.
- إدانة حادثة طعن المصلين في إحدى المساجد في دوربان بجنوب إفريقيا في مايو ٢٠١٨م.
- إدانة جريمة الطعن للمصلين في أحد مساجد فرنسا في مايو ٢٠١٨م.

المطلب الثاني: برنامج اللاجئيين في أوروبا

يدعم المركز اللاجئيين للاندماج في نسيج المجتمعات المستضيفة من أجل حماية التنوع الديني وتعزيز التماسك الاجتماعي وتعزيز جهود السلام والتعايش المشترك، وتركزت أعمال البرنامج على ركيزتين أساسيتين، هما:
- التكامل من خلال الحوار

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

-تنسيق العمل لمكافحة خطاب الكراهية والاستقطاب.

وتتضمن جهود المركز ضمن برنامج اللاجئين في أوروبا، تدريبات لبناء قدرات من فئة النساء والفتيات على الحوار من أجل تمكينهن من مساعدة اللاجئين الجدد على الاندماج في مجتمعاتهن الجديدة، ولتسهيل عملية الاستقرار من خلال إرشادهن حول الأمور اليومية، مثل: مراجع تعلم اللغة المحلية، وكيفية جمع المعلومات عن تسجيل الأطفال في المدارس، والحصول على تأمين طبي، وغير ذلك.

المطلب الثالث: برامج الزيارات لعدد من القيادات والمؤسسات التي تمثل رمزاً دينياً

ومن تلك الزيارات ما يلي:

-زيارة وفد المركز برئاسة المدير العام للمركز فهد أبو النصر لفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية الأستاذ الدكتور شوقي علام في مايو عام 2018م، حيث أكد فيها فضيلة المفتي ومدير عام المركز على أهمية الحوار والتقارب والعيش المشترك؛ لأن العيش في الكون يحتاج لوجود أرضية مشتركة وتقارب وتعارف بين الناس جميعاً باختلاف معتقداتهم من أجل تحقيق الغرض الأسمى وهو عمارة الأرض، واستنكار الفهم الخاطئ للنصوص الدينية عند أتباع الأديان التي قد يفهم منها ضرورة الصراع بين أتباع الأديان، وهذا الفهم مخالف لما جاءت به الشرائع والفضيلة الإنسانية السليمة.

-مشاركة مدير عام المركز في يونيو عام 2018م في مؤتمر في العاصمة اليونانية أثينا بعنوان: «نحو أتينا أكثر خضرة، الحفاظ على الأرض وحماية البيئة» الذي نظّمته البطريركية المسكونية في أثينا، حيث ألقى كلمته مؤكداً فيها على أهمية التعاون فيما بين أتباع الأديان والثقافات في مجال التنمية المستدامة من أجل المحافظة على البيئة، وأضاف أن كافة الأديان تتقاسم مبادئ التسامح والتعايش واحترام الآخر، بما في ذلك الحفاظ على البيئة، منوهاً على أهمية إشراك القيادات الدينية والجماعات الدينية في الحوار حول التنمية المستدامة للحفاظ على التراث المشترك.

المطلب الرابع: التعريف بجهود المركز ونشاطاته للمجتمع النمساوي

حيث إن العاصمة النمساوية فيينا هي دولة مقر مركز الحوار العالمي، فقد أصبح عمله مع المجتمع المحلي جزءاً لا يتجزأ من أنشطته، حيث سعى المركز إلى إشراك الأفراد والمؤسسات المحلية المعنية من خلفيات متنوعة في أنشطته الحوارية، حيث يهدف إلى تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتعزيز تأثيره في المجتمعات، وأخذت أنشطة المركز التوعوية بالنمسا شكل المحاضرات حول مواضيع متعلقة بالحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وكذلك مجموعة من الفعاليات والمعارض الثقافية

الخاتمة

بعد التعريف الموجز بمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وبيان أثره في تنمية ثقافة الحوار، يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- أن فكرة المركز قامت على أساس الحوار بين الأديان، لا على فكرة التقارب بين الأديان وردم الهوية بينها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2- يدعم المركز قضايا المشتركات الإنسانية كالسلام العالمي، والتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات، بما في ذلك التصدي للاضطهاد والعنف والصراع باسم الدين.
3- يقوم المركز على بدور كبير في التدريب على الحوار وممارسته بين أتباع الدين الواحد وبين أتباع الديانات المختلفة.

4- أن المركز ثمرة من ثمرة جهود الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله، ويمثل أحد جهود المملكة العربية السعودية لنشر ثقافة الحوار والاعتدال والوسطية في العالم.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط1، 1422هـ، دار هجر، القاهرة.
- نشرة تعريفية بمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، من إصدارات المركز، بلا رقم للطبعة أو تاريخ لها.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين.
- صحيفة عكاظ، العدد الصادر يوم الخميس 1434/2/21 هـ الموافق 2013/1/3م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الغربيين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، 1419هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- موقع مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات «كايسيد» على الرابط: <https://www.kaiciid.org/ar>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ وَأَثَارُهَا السَّلْبِيَّةِ عَلَى عَقِيدَةِ الأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ وَفِكْرِهَا وَكَيْفِيَّةِ التَّصَدِّي لَهَا

د. محمد شافعي مفتاح بوشية

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون جامعة السلطان عبد الحلیم معظم شاه الإسلامية العالمية/ ماليزيا

ملخص البحث:

وسائل التواصل الاجتماعي نتاجٌ غربيٌّ انتشر حديثاً بشكل واسع في كل بلاد العالم، وأصبح يحتل مكانة كبيرة في المجتمع، ويخترق كل مجالات الحياة/ ولا يقتصر رؤاؤ هذه الوسائل على فئة عمرية معينة أو نوع معين، بل يرتادها الناس على اختلاف أعمارهم وأنواعهم وثقافتهم، وقد أسرفت المجتمعات الإسلامية في استعمال هذه الوسائل؛ مما ترك آثاراً واضحة على الأسرة المسلمة في شتى المجالات، بعض هذه الآثار إيجابيٌّ يحقق نفعاً للأسرة والمجتمع، وبعضها سلبيٌّ، يحقق ضرراً. وفي هذا البحث أتناول - على مدار مبحثين - مدى تأثير هذه الوسائل على الجانب العقدي والفكري لأفراد الأسرة المسلمة كباراً وصغاراً، وذلك لما للعقيدة والفكر من أهمية كبيرة في حياة المسلمين، حيث لوحظ أنّ هذه الوسائل تستخدم في تشويه العقيدة الإسلامية، ومحاربتها، ونشر ما يسيء إليها، كما لوحظ أنها أكسبت فئات كثيرة من أبناء المسلمين ثقافات أجنبية، وقللت من استفاداتهم من الثقافة الإسلامية، وغرست فيهم قيماً وسلوكيات ومبادئ تختلف عن قيم وسلوكيات الإسلام ومبادئه، مما ترك بصمات سيئة على مجتمعاتنا المسلمة، ثم أختتم البحث بخاتمة تبين كيفية محاربة هذه السلبيات والتصدي لها، لينجو المجتمع من شرورها.

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الاجتماعي - الأسرة - العقيدة - الفكر - آثار سلبية.

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران:102]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء:1].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب:70].

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وبعد... فإن وسائل التواصل الاجتماعي نتاجٌ غربيٌّ انتشرت انتشارًا واسعًا في كل بلاد العالم خلال السنوات القليلة الماضية، وأضحت تحتل مرتبة هامة في المجتمع، وتخترق جميع مجالات الحياة. ولا يقتصر روادها على فئة عمرية معينة أو نوع معين من الناس، بل يرتادها الناس على اختلاف أعمارهم وثقافتهم، حيث أسرفت المجتمعات الإسلامية في استعمال هذه الوسائل؛ مما ترك آثارًا واضحة على الأسرة المسلمة في شتى المجالات، بعض هذه الآثار إيجابي يحقق نفعًا للأسرة والمجتمع، وبعضها سلبي، يحقق ضررًا. ولما كان المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية (icefs) بصدد عقده لمؤتمر "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية" الذي ينظمه بالشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية بمدينة نوفي بازار عاصمة إقليم السنجق في جمهورية صربيا.

لما كان الأمر كذلك فقد استخرت الله تعالى في الإسهام فيه ببحث في المحور الرابع: مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية، عنوانه:

"وسائل التواصل الاجتماعي وآثارها السلبية على عقيدة الأسرة المسلمة وفكرها"

ولا يتسع المقام لتناول هذه الآثار بنوعيتها، بل يتناول هذا البحث فقط أبرز الآثار السلبية لهذه الوسائل على عقيدة الأسرة المسلمة وفكرها.

أهداف البحث: يمكن القول بوجود أربعة أهداف رئيسة من هذا البحث وهي:

- 1- التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي وبيان مدى تنوعها وتغلغلها في المجتمع المسلم.
- 2- إبراز أهم الآثار الواقعة على عقيدة الأسرة المسلمة نتيجة الإفراط فيها.
- 3- بيان أبرز السلبيات الفكرية الناتجة عن استعمال تلك الوسائل، وانعكاساتها على سلوكيات الأسرة.
- 4- بيان كيفية التصدي لهذه الآثار السلبية، سواء بالطرق الرسمية أو غيرها.

منهج البحث: يقوم منهج البحث على جانبين:

أولاً: الجانب الوصفي؛ وهو يتمثل في وصف وسائل التواصل الاجتماعي ومدى انتشارها، ووصف استخدام الناس لها، وبيان الرؤية الشرعية لذلك الاستخدام. **والثاني:** الجانب التحليلي، المتمثل في معرفة مدى الآثار التي تخلفها تلك الوسائل، وكيفية التصدي لها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهداف البحث وخطته ومنهجه.

التمهيد: التعريف بشكبات التواصل الاجتماعي وأنواعها.

المبحث الأول: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة.

أولاً: إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإثارة الشبهات حولها.

ثانياً: الوقوع في المخالفات العقدية الجسيمة.

ثالثاً: الترويج للعقائد الفاسدة ونشر مبادئها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

رابعاً: نشر التطرف الديني واستقطاب الشباب إليه.

خامساً: التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية.

المبحث الثاني: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على فكر الأسرة المسلمة.

أولاً: انتشار التطبع الثقافي بين فئات المجتمع المسلم.

ثانياً: نشر ثقافة التسليح بين فئات المجتمع المسلم (الشباب نموذجاً).

ثالثاً: الغزو المعلوماتي وتأثيره السيء على فكر المسلم.

أ - تدني مستوى القدرات الإبداعية لدى الشباب.

ب- تلقي العلوم والمعارف والآراء من غير المختصين.

ج- إضاعة الوقت وإهدار استثماره.

د- الإضرار بالثقافة المحلية واللغة العربية في الدول الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمن التوصيات بشأن سبل التصدي للآثار السلبية الواقعة على عقيدة الأسرة وفكرها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه ووقف عليه، وأن يعفو عن زلاتي ويقلل

عثراتي، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد: التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي وأنواعها وانتشارها

تمثل وسائل التواصل الاجتماعي معلماً كبيراً من معالم التكنولوجيا المعاصرة، فرضت نفسها على الساحات

المختلفة ودخلت معظم البيوت والمؤسسات، وأضحت جزءاً لا يتجزء من عالمنا المعاصر، يعتمد عليها في الكثير

من الأمور، وتستخدم في أكثر المناسبات، وأشير هنا تعريفها وأنواعها، ومدى انتشارها، على هذا النحو:

أولاً: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي ونشأتها وتطورها.

التواصل: معناه فعل لإيصال شيء ما سواء كان رأياً أو رسالةً أو معلومةً، وفي علم النفس هو: نقل الخبر داخل

مجموعة ما، والنظر إليه في علاقاته مع بنية هذه المجموعة⁽¹⁾.

ووسائل التواصل الاجتماعي - على حد تعبير بعض الباحثين - " مفهوم مثير للجدل، نظراً لتداخل الآراء والاتجاهات

في دراسته، ولقد عكس هذا المفهوم، التطور التقني الذي طرأ على استخدام التكنولوجيا، وأطلق على كل ما يمكن

استخدامه من قبل الأفراد والجماعات على الشبكة العنكبوتية العملاقة⁽²⁾.

ووسائل التواصل الاجتماعي لها في اللغة الإنجليزية مصطلحان شائع وهو (Social Media) ومصطلح أدق

في التعبير وهو الترابط الشبكي الاجتماعي (Social Networking)، والتعبير العربي الدقيق هو " مواقع

التواصل الاجتماعي"⁽¹⁾. ولوسائل التواصل الاجتماعي تعريفات متعددة نشير إلى اثنين منها :

(1) فتح محمد، علي محمد، مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الأخلاقية والقيمية، ماجستير في الدعوة من الجامعة الإسلامية (الملخص ص2).

(2) بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الأول للقضايا المعاصرة ومقاصد الشريعة، جامعة

السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية، ماليزيا، ديسمبر 2018م (280/1).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأول: أنها: منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها⁽²⁾.

الثاني: أنها: مواقع تتشكل من خلال الإنترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع لآخر⁽³⁾.

وسميت هذه الوسائل "اجتماعية" لأنها أتت من مفهوم "بناء مجتمعات"؛ فبهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة في تصفح الإنترنت والتعرف على المزيد من المواقع في المجالات التي تهتمه، وأخيراً مشاركة هذه المواقع مع أصدقائه⁽⁴⁾.

ثانياً: أنواع وسائل التواصل الاجتماعي: هذه لمحة موجزة عن أنواع وسائل التواصل الاجتماعي:

أولاً: مواقع الاتصالات وإيجاد وتبادل المعلومات.

ويشمل: أ - المدونات. ب - المدونات الجزئية. ج - خدمات تحديد المواقع الجغرافية.

د - مواقع الفعاليات. هـ - مواقع الترابط الشبكي الاجتماعي. و - مواقع تجميع المعلومات.

ز - مواقع مشاركة الاهتمامات. ح - مواقع جمع التبرعات والقضايا المهمة.

وكل نوع من هذه الأنواع له تعريفه ومهمته، ويقع الفيس بوك - وهو أشهر مواقع التواصل الاجتماعي - ضمن الفئة (هـ) مواقع الترابط الشبكي الاجتماعي.

ثانياً: مواقع التعاون وبناء فرق العمل: وتشمل: الويكي، والتي فيها الموسوعات مثل ويكيبيديا (الموسوعة العلمية)، ومواقع المرجعيات، والأخبار الاجتماعية، والملاحة الاجتماعية، وإدارة الملفات وتحرير النصوص.

ثالثاً: مواقع الوسائط المتعددة: وتشمل: مواقع التصوير والفن، ومشاركة الفيديو والبت المباشر، ومشاركة المواقع الصوتية والموسيقى ونحوها.

رابعاً: مواقع الرأي والاستعراض: وتشمل: مواقع استعراضات السلع، والأسئلة والأجوبة الاجتماعية.

خامساً: المواقع الترفيهية الاجتماعية: وتشمل: مواقع العوالم الافتراضية، ومشاركة الألعاب الاجتماعية⁽⁵⁾.

والناظر لما تقدم ذكره يجد أن الشباب يعيش بين هذا الكم الهائل من المواقع والشبكات والصفحات الإلكترونية؛ ويجد أن لكل قسم رواده، وكثير من الشباب تجده مشتركاً في عدة مواقع أو متابعاً لها. وإن كانت بعض الوسائل

(1) فتح محمد، علي محمد، مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الأخلاقية والقيمية.

(2) ينظر: راضي، زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، 15، جامعة عمان الأهلية، عَمَّان، 2003، ص 23.

(3) زمان، صفاء، الشبكات الاجتماعية تعريفها وتأثيرها وأنواعها. موقع www.kse.org.kw/Al-Mohandesoon/issue/113/article/365

(4) ينظر: الحكمي، عائشة يحيى، موقع د عائشة يحيى الحكمي بتاريخ 19/4/1436هـ.

(5) تم الرجوع في التقسيم إلى: فتح محمد، علي محمد، مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها...، زمان، صفاء، الشبكات الاجتماعية...

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أو المواقع أكثر من بعضها الآخر في اجتذاب أكبر قدر ممكن من المستخدمين من الفئات العمرية المختلفة وخاصة الشباب.

وهذه صورة لأبرز وأشهر وسائل التواصل الاجتماعي:



المبحث الأول: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة

أولاً: إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإثارة الشبهات حولها.

إن الناظر إلى ما يثار على مواقع التواصل الاجتماعي وما ينشر فيها من إشكاليات وجدليات عقديّة، ليجد أنها تدعو إلى إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين، وتشويهها بإثارة الشبهات حولها، لاسيما وأنّ كثيراً الناس لديهم ضحالة في الفكر المتعلق بالعقيدة، ويغلب عليهم الجهل بأصول دينهم، ويمكن الدخول إلى عقولهم وإفساد عقيدتهم من خلال هذه الضحالة، وذلك الجهل، لأنهما نقاط ضعف في الإنسان حينئذٍ. "والراغب في إقناع شريحة معينة، وكسب تأييدهم وتغيير سلوكهم ومعتقداتهم، ينتظر دائماً لحظة الضعف في تلك الشريحة، فالكمل معرض للتأثر في لحظة الضعف، بغض النظر كان من الشريحة المستهدفة أم لا"⁽¹⁾.

فعلى سبيل المثال طرُح بعض الناس أسئلةً تشكك في العقيدة على الملأ، يدفع بدوره إلى الاستهانة بأمر العقيدة أو الشك فيها، حتى ولو لم يكن ذلك الشك مقصوداً بل يأتي أحياناً بصورة عارضة.

يقول أحد العلماء: "إن الكثير من الشباب الذين لا زالوا في بداية طلب العلم ينبرون ويخوضون غمار النقاشات والحوارات مع كثيرٍ من أهل البدع، وكثيرٍ من أهل الأفكار المنحرفة، فبضغطة زرٍ واحدة تستطيع التواصل مع مبتدع ومنحرف بدعوى النقاش والدعوة إلى الله (ولا تستطيع أن تعرف طبيعة هذا الشخص)، وسرعان ما يتحول هذا

(1) الحسني، محسن بن موسى، ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، منشور بموقع الهيئة العالمية لعلماء المسلمين، ربيع الأول 1438 هـ .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

النقاش إلى كابوس مزعج يقلق صاحبنا، بفعل شبهة أقيمت عليه ولم يستطع ردها، فلا هو الذي حرص على تنمية علمه وتقوية ديانته... ولا هو بالذي سلم من ضرر نقاش أهل البدع والأفكار المنحرفة⁽¹⁾. ولا شك أن مجرد التواصل أهل البدع أو قبول صداقاتهم أو مجادلتهم، يؤدي إلى مشاكل عقدية لدى أولئك الشباب ولغيرهم من المتابعين والتي تصلهم تلك الحوارات، ويؤدي في نفس الوقت إلى انتشار بدع هؤلاء ورواجها⁽²⁾.

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خير الحديث هو كتاب الله تعالى، وخير الهدى هديه عليه السلام، وحذرنا من البدعة التي هي أصل الضلال. ففي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»⁽³⁾.

وحذر السلف من مجالسة أهل البدع ومجادلتهم، قال أبو قلابة (ت104هـ) "لا تجالسوا أهل الأهواء، أو: أصحاب الخصومات، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون"⁽⁴⁾. ولعل من أخطر ما يضر بالعقيدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي هو وجود دعوات لاعتناق دين غير دين الإسلام عبر هذه الوسائل يستخدمه طائفة من أعداء الدين من المنصرين ونحوهم. فقد توصلت إحدى الدراسات التي أجريت على طائفة من الشباب الجزائري يبلغ عددهم (220 فردًا) إلى نتائج خطيرة تتعلق بهذا الجانب منها:

- أن أغلبية المبحوثين (52%) قالوا بأنهم تناقشوا مع شخص غير مسلم عبر منتدى (فايسبوك) حول أمور العقيدة والدين، ومعظمهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و20 سنة.
- أن من بين الذين تناقشوا مع شخص غير مسلم، تبين أن هناك 19% منهم قد حاول هذا الشخص أن يستميلهم لاعتناق ديانته، من خلال القدح والتشكيك في الإسلام، وقد كان أغليبتهم من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و20 سنة⁽⁵⁾.

ثانيًا: الوقوع في المخالفات العقدية الجسيمة.

(1) ينظر: العتيبي، محمد بن مشعل، مواقع التواصل الاجتماعي ونقاش المتبذعة، موقع صيد الفوائد (<http://www.saaaid.net/Minute/394.htm>).

(2) ينظر: الحدادي، محمد علي يحيى، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم، ماجستير بجامعة الملك خالد-السعودية (ص102).

(3) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الشهير بـ "صحيح مسلم" تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت- بيروت، في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (592/2) رقم (867).

(4) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق- بيروت) الطبعة الثانية: 1403هـ. (227/1).

(5) ينظر: جابري، سارة، دور مواقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري، دراسة في دوافع الاستخدام والإشباع المتحققة لمنتدى فايسبوك (Facebook) منشورة على عدة مواقع إلكترونية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي وقوع بعض روادها في مخالفات عقديّة، وذلك بنشر الأمور التي تخالف الشريعة الإسلامية في الجانب العقدي ومن ذلك ما يلي:

1 - الربط بين الأذكار والأدعية وبين منشورات بقصد الترويج وجمع الإعجابات والتعليقات والمشاركات، كما يقع فيه كثير من الناس من نشر صور لكائنات أو غيرها من عجيب صنع الله تعالى، واستحلاف الناس أن ينشروها، ومن لم ينشرها يدعى عليه بكذا أو بكذا أو يوصف بكونه كذا أو كذا.

وهذا مخالف للنصوص القرآنية التي تحذرنا من استخدام اسم الله تعالى في اللغو، واتخاذة عرضة لليمين كما في قول الله تعالى (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:242].

كما أنه نوع من المتاجرة بالدين، وجلب الناس إليه بصورة رخيصة، فالدين عزيز بنفسه، غني عن الناس، والله تعالى لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا.

2- نشر ما يتعلق بالدجل والشعوذة وتصديق المنجمين والعرافين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مثل الأبراج، والحظ، وقراءة الكف ونحوها من المخالفات العقدية.

وهذا مخالف لحديث السيدة صفية رضي الله عنها، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»⁽¹⁾.

3- نشر ما يثير السخرية والاستهزاء بالشعائر والمعتقدات وثوابت الدين، كالاستهزاء بالأضاحي ونشر النكات والدعابات عنها، والاستهزاء بالصائمين ونشر الفكاهات عنهم وغير ذلك.

وهذا مخالف لنصوص الأحاديث والآثار التي تحذر من الكذب في الحديث، وإطلاق الفكاهات الكاذبة بقصد إضحاك الناس، ومنها ما رواه بهزؤ بن حكيم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلٌ لَهُ وَيَلٌ لَهُ»⁽²⁾.

4- نشر الأحاديث الموضوعية والضعيفة والشاذة والقصص المكذوبة، لاسيما ما يتعلق منها بأمور عقديّة، مما يؤثر بصورة كبيرة على عقيدة المسلمين؛ ويمثل كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حيث يلاحظ في وسائل التواصل الاجتماعي كثرة تداول الأحاديث والآثار الموضوعية والشاذة...دون التأكد من صحتها، مما يؤثر سلبياً على عقيدة المجتمع، وهذا أمر خطير ينبغي التنبيه له⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (1751/4) رقم (2230).

(2) أخرجه الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد (ت255هـ) في مسنده المعروف بـ "سنن الدارمي"، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى: 1412هـ - 2000م، (1771/3) رقم (2744) وقال محققه: "إسناده جيد". وأبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير (ت275هـ)، السنن، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. د.ت، د.ط، كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (277/4) رقم (4990)، وسكت عنه، وما سكت عنه فهو حسن، وحسنه الألباني. والترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت279هـ) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية: 1395هـ - 1975م، في أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (557/4) رقم (2315) وقال: "هذا حديث حسن".

(3) ينظر: الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص99-100).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والمعروف أن التقول على رسول الله صلى الله عليه بما لم يقله، سقطة عقديّة، وسوءة دينية كبيرة، وخطرها شديد في الدنيا والآخرة، مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المروي عن سلمة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

5 - انتشار بعض الرسائل والصور على أساس أنها من الدين، وهي بدع ما أنزل الله بها من سلطان⁽²⁾.

ومن أمثلة ذلك: نشر صور لبعض الأشجار المتلاصقة التي تعطي إيحاء بأنها تكتب جملة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وادعاء أنها صور لأشجار حقيقية في بعض الغابات، وصور لطيور، وحيوانات، أو نشر صور لتكوينات صخرية تشبه كتابات ورسومات دينية، أو نشر صور ملتقطة لمكة المكرمة أو الكعبة الكشرفة بالأقمار الصناعية، أو نشر صور لعمامة، ونعل، وسيف وادعاء أنها صورة عمامة النبي عليه السلام أو نعله أو سيفه، مما هو غير ثابت، وخال من الدليل المؤكد على صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك مما تزخر به صفحات التواصل الاجتماعي، ومما يعتبره ناشروه أنه وسيلة للتفكير في صنع الله، أو للدعوة إلى الإسلام، أو لإطلاق الألسنة بالذكر والتسبيح.

وهذه كلها بلايا عجت بها وسائل التواصل الاجتماعي، لاسيما وسيلة "Facebook"، وأصبحت تياراً جارفاً ينساق فيه كثير من المسلمين والمسلمات، لاسيما فئات الشباب، وبعض الكبار ممن لديهم فراغ وقتي يقتلونهم من خلال المكوث أمام هذه الوسائل، ويحسون بذلك أنهم يجنون نفعاً، أو يكتسبون أجراً وثواباً، في حين أن هذا يعد نشرًا للبدع والخرافات، وإهانة لشعائر الإسلام.

فهذه الأمور كلها، حتى لو ثبت كونها حقيقية، فإنه لا ينبغي المتاجرة بالدين والدعوة إليه بمثل هذه الصور والدعايات الرخيصة، لاسيما وفي ديننا الكثير والكثير من الأمور الإعجازية، والصحيحة التي تغني عن هذا السقيم، كما أن في ديننا العزة والأنفة التي تمنعه من أن يكون مبتذلاً بهذه الصورة.

ففي القرآن الكريم ما يغني عن ذلك من الآيات الكريمة التي تحثنا على إعمال الفكر، والتدبر في خلق الله عز وجل، نحو قول الله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 20-21]، وقوله (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت: 19-20].

ثالثاً: الترويج للعقائد الفاسدة ونشر مبادئها.

تسعى كثير من وسائل التواصل الاجتماعي إلى الترويج لطائفة من العقائد الفاسدة، والعمل على نشر أفكارها ومبادئها بين المسلمين، بهدف زعزعة استقرار العقيدة في نفوس المسلمين، وبخاصة جيل الشباب، وهذه أبرز الآثار المترتبة على ذلك:

(1) أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ)، في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير بـ "صحيح البخاري"، تحقيق وترقيم محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ، في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (33/1) رقم (109).

(2) الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص102).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 1 - تشكيك الشباب في عقديتهم بعرض الفرق المنحرفة، لمحاربة الإسلام وإيقاف مده، وتشويه حقائقه، والتبليس على المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وزعزعة الإيمان بنشر الشبهات للتشكيك في المبادئ والقيم⁽¹⁾.
- 2 - إفساد العقيدة والوقوع في البدع والأفكار الهدامة المخالفة لتعاليم الإسلام⁽²⁾.
- 3 - انتشار العديد من مواقع الدعوة للنصرانية والبوذية والوثنية، متخذة صوراً شتى صوتاً وصورةً وكتابةً.
- 4 - الدعوة إلى الإلحاد ومحاولة صرف الناس عن الدين الحنيف والعقيدة الصحيحة والتشكيك في الثوابت لدى الأمة وتكذيب بعض الأحاديث النبوية أو الطعن فيها والمزايدة في صحتها ولوي أعناق النصوص⁽³⁾.
- 5 - العمل على نشر السحر وتعليمه، والكهانة والشعوذة والدعوة إليها والدعوة إلى عبادة القبور وتعظيم الأموات والقبور والأولياء والصالحين ودعائهم في قبورهم، وهذا ما يتنافى مع قول الله تعالى (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر: ٤٤] ⁽⁴⁾.
- 6 - تشكيك المسلمين في العقيدة الصحيحة وذلك من خلال ادعاء محبة أهل البيت، واستغلال محبة المسلمين لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة خلخلة عقيدتهم وتشكيكهم في الصحابة، وفي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

قلت: وهذا الترويج الفاسد يجد من يموله، وينفق عليه، ويعمل على نشره في أوساط المجتمع المسلم، للنيل من عقيدته، وإفسادها، نظراً لكون العقيدة هي الركيزة الأساسية التي ينطلق المسلم من خلالها، وإذا استطاع أعداء الأمة خلخلة هذه الركيزة كان ما سواها أيسر وأسهل.

رابعاً: نشر التطرف الديني واستقطاب الشباب إليه.

التطرف الديني من أبرز المشاكل التي تواجه الأمة، وتحدث فرقة وانقساماً كبيراً بين طوائف المجتمع، وتعد وسائل التواصل الاجتماعي مرتعاً خصباً لنشر أفكار التطرف وتنميتها واستقطاب الشباب إليها. ويعتمد المروجون لهذه الأفكار إلى وسائل التواصل الاجتماعي كالبريد الإلكتروني والفيس بوك وغيرها لاستخدامها في نشر أفكارهم والترويج لها والسعي لتكثير الأتباع والمتعاطفين معهم عبر المراسلات. وعلى حد تعبير بعض المعاصرين - إذا كان التقاء الإرهابيين والمجرمين في مكان معين لتعلم طرق الإرهاب والإجرام، وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات صعباً في الواقع فإن الإنترنت تُسهل هذه العملية كثيراً، إذ يمكن أن يلتقي عدة أشخاص في أماكن متعددة في وقت واحد، ويتبادلوا الحديث والاستماع لبعضهم عبر الإنترنت، بل

(1) العقيل، رياض، تحقيق: محتويات الإنترنت خطر على العقيدة، موقع (http://www.aldaawah.com) مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.
(2) المجرشي، طاهر محمد (إمام خطيب جامع الخراشي بالرياض) تحت عنوان "زمن الفتن والمحن"، المرجع السابق.
(3) ينظر: السندي، إبراهيم بن عبد الكريم (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحت عنوان "هل الإنترنت خطر على العقيدة" مجلة اليمامة 2014/2/25م.
(4) السبر، سعد بن عبدالله السبر (إمام وخطيب جامع الجارالله بالرياض) تحت عنوان "حروب على العقيدة" تقرير "محتويات الإنترنت خطر على العقيدة".
(5) العتيبي، نهار بن عبدالرحمن العتيبي (عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء) التقرير السابق.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يمكن أن يجمعوا لهم أتباعًا وأنصارًا عبر إشاعة أفكارهم ومبادئهم من خلال مواقع الإنترنت، ومنتديات الحوار، وما يسمى بـ"غرف الدردشة (Chat Room)" أو غرف المشاهدة الجماعية (Watch2Gether)⁽¹⁾.

وقد أشارت دراسة أجريت على طائفة من الشباب الجزائري يبلغ عددهم (220 فردًا) - سبق ذكرها في المبحث الأول إلى أن نسبة معتبرة من المبحوثين (24.5%) من مستخدمي وسيلة (Facebook) ذكروا أنهم تعرضوا أثناء الدردشة لمحاولات دعوية من طرف جماعات مشبوهة، تنشط في مجال المخدرات، الجنس أو الأنشطة الإرهابية، وقد كان أغلبهم من صغار السن (18 إلى 20 سنة)⁽²⁾.

وتشير بعض التقارير الحديثة إلى أن شركة فيسبوك Facebook قد رصدت كميات كبيرة من المشاركات الداعية للتطرف والعنف والإرهاب، والداعمة له؛ حيث شكّلت المشاركات التي ترتبط بالعنف من 0.22% إلى 0.27% من المشاهدات، بزيادة من 0.16% إلى 0.19% في الربع السابق، واتخذت الشركة إجراءات الحذف والإزالة لـ 3.4 مليون مشاركة، وهو ما يمثل ارتفاعاً بالنسبة من 1.2 مليون في الربع السابق، حيث أرجع التقرير هذه الزيادة إلى الصراع المتصاعد في الشرق الأوسط⁽³⁾.

وكإجراء وقائي وعلاجي في نفس الوقت - فقد قامت الشركة مؤخراً "بإزالة ما يقارب 1.9 مليون منشور على الموقع بسبب ارتباطه بمحتوى يدعم الإرهاب أو المنظمات الإرهابية، ويُعتبر هذا الرقم زيادة كبيرة عن الإحصائيات السابقة بسبب تطور الأدوات والتقنيات التي تعمل على كشف مثل هذا النوع من المنشورات المخالفة". كما "أضافت الشركة مؤخراً مجموعة من التقنيات المحسّنة الخاصة بالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والتي ساعدت على اكتشاف عدة منشورات مخالفة جديدة أو قديمة، ونتيجةً لذلك، قامت إدارة الموقع بإزالة عدة حسابات أو تعليقها أو حظرها لقيامها بنشر مثل هذه الصور والمشاركات"⁽⁴⁾.

خامساً: التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية.

الإسلام دين القيم والمبادئ السامية، والمثل العالية، التي من خلالها يكون صلاح الفرد والجماعة، وقيم الإسلام تستمد من تعاليمه السمحة، وشريعته الغراء، وهي تدعو إلى الفضيلة بكل جوانبها، وتحارب الرذيلة بكل صنوفها. والطفرة التقنية المعاصرة، وما أفرزته وسائل التواصل الاجتماعي، وولع الناس بها - لاسيما جيل الشباب - تؤديان إلى التمرد على قيم الإسلام ونبد تعاليمه، والإقبال على القيم الواردة من المجتمعات المختلفة، وذلك حين تتلاقى طبيعة القيم الوافدة مع رغبات الشباب، وتتفق مع أهوائهم. والمسلم ينطلق في حياته من عقيدته الإسلامية وأنه عبد لله سبحانه وتعالى ملتزم بشرعه؛ فالإسلام لا يعطي الفرد الحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء وكيفما يشاء... فالحرية المطلقة رذيلة ممقوتة حيث إنها تؤدي بالإنسان إلى الشرود والجموح والانفلات من جميع القيم والمبادئ⁽¹⁾.

(1) السند، عبد الرحمن بن عبد الله، وسائل الإرهاب الإلكتروني حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها، موقع وزارة الأوقاف السعودية (13، 16).

(2) ينظر: جابري، سارة، دور مواقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري (ص 16).

(3) ينظر: موقع التقنية السورية "https://syriantech.com" تقرير "فيسبوك كشفت عن كمية المخالفات هذا العام" أرقام مرعبة لمنشورات العنف والإرهاب والحسابات المزيفة، منشور بتاريخ 2018/5/16م على الموقع المذكور.

(4) موقع التقنية السورية، تقرير "فيسبوك كشفت عن كمية المخالفات هذا العام".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فقيم الإسلام ترفض أي علاقة بين ذكر وأنثى إلا إذا كانت في إطار شرعي من زواج أو محرمية، أو ضرورة من علم أو عمل أو تداوٍ أو تجارة أو نحو ذلك؛ فتأتي وسائل التواصل الاجتماعي وتربط المرأة بالرجل تحت مسمى الصداقة، وحوارات غرف الدردشة، التي تكشف الأستار، وتنتهك الحُجُب، وتحقق خلوة إلكترونية - إن صح التعبير⁽²⁾ - بين رجل وامرأة، أو شاب وفتاة، تبعدهم المسافات المكانية، وتقربهم تلك الوسائل، مع أنه عالم وهمي، فلا التقاء بالأجساد، ولا أبواب تغلق عليهما.

وقد حذر رجال دين من الخلوة الإلكترونية وظهرت العديد من المبادرات التي تنادي بالعهدة الإلكترونية، ركزت على أهمية زيادة الوعي والتذكير بمعاني العفة عند الشباب والفتاة في ظل التواصل الإلكتروني المفتوح بين الجنسين. ومن ذلك ما قاله أحد أساتذة الشريعة: "إن الخلوة الإلكترونية محرمة بما يتم تبادلته من حديث أو أفلام أو صور أو مقاطع فيديو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بين الذكور والإناث بصورة غير مشروعة أو محرمة، وهذه الخلوة خطيرة جداً؛ وهي أخطر من الخلوة بين الرجل والمرأة في الحقيقة لأن المرونة فيها أكبر وإمكانية فعل ما يريدون أو ما يشتهون أكبر، وهي بدون حسيب ولا رقيب وبالتالي ما يدور عبر هذه الشبكات الإلكترونية سريعاً ما يتحول إلى واقع على الأرض"⁽³⁾.

وإذا صح إطلاق لفظ الخلوة على هذا التصرف، فإنه يكفي في حرمتها حديث ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي حَرَجْتُ حَاجَةً، وَكُتِبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «ارْجِعْ فَحُجِّ مَعَ امْرَأَتِكَ»⁽⁴⁾.

وقيم الإسلام كذلك تحيط البيوت والأسر بحرمات وصيانة، وترفض إفشاء الأسرار الزوجية، وطرح مشاكل الأسرة على الغير إلا بقصد الإصلاح بين الزوجين.

فتصل وسائل التواصل الاجتماعي بالناس إلى طرح مشكلاتهم الزوجية بكل تفاصيلها على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة بأحد الزوجين أو كلاهما على الفيس بك على سبيل المثال، مما يعد إفشاء لأسرار البيوت على الملأ، وفيه فتح لباب كبير من الفساد.

وهذا يتنافى مع قدسية الحياة الزوجية ومكانتها، ويؤدي بالأسرة المسلمة إلى التفرق والشتات، واستغلال فرصة وجود مشاكل أسرية - من قبل أناس لا خلاق لهم - فيفسدون على هذا الأسرة حياتها، ويطرحون عليها الحلول المضطربة والمتضاربة لمشكلته، لأن كل من يبدي حلاً أو تعليقا أو تحليلاً أو توجيهاً أو نصحاً، إنما يبديه بفكره هو، ومن واقع ظروفه أو تجربته هو، ومن واقع مجتمعه، والمعروف أن الأفكار تختلف والظروف تختلف، فما

(1) عفانة، حسام الدين بن موسى، فتاوى يسألونك (157/5).

(2) هي وسيلة معاصرة لاستقطاب الشباب العربي نحو التطرف ونحو الشهوات الجنسية المراد منها استغلال الشباب من خلال تهديدهم بإفشاء أمور وأسرار شخصية من صور وفيديوهات تحول الشباب إلى ضحية لمافيات خطيرة تدخل البيوت من خلال الأجهزة الإلكترونية ومواقع التواصل التي تطورت بدرجة سريعة سمحت في انتشار الكثير من الجرائم الأخلاقية والمالية والسياسية. ينظر: موقع القدس مقال: حرية «الخلوة الإلكترونية» حين تصبح وسيلة لاستقطاب الشباب نحو التطرف والفضائح الأخلاقية، منشور على الموقع المذكور (www.alquds.co.uk) بتاريخ 2018/2/17 م.

(3) مقال: حرية "الخلوة الإلكترونية"...

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، (37/7) رقم (5233)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يصلح حلاً لمشكلة أسرية في الشرق لا يعني بالضرورة صلاحه في الغرب، وما يصلح إنقاذاً لموقف أو إزالة لمشكلة أسرية لدى أسرة ناشئة، لا يصلح بالضرورة لأن يكون حلاً لمشكلة مشابهة في أسرة عمرها طويل، وفيها أولاد، فالوضع مختلف.

"العلاقات الأسرية وعلاقات وجدانية قوية خاصة بين الزوجين، وهذه كلها تحاط-عادة- بنوع من السرية والكتمان، ويتحرج كل من الطرفين من البوح بها أو نشرها، وهذا مما يحمى ويمدح، فما ينبغي أن تكون الأسرار الزوجية والعلاقات بين الزوجين دعوة جفلى⁽¹⁾ يُدعى إليها العامة دون اختصاص، ولا حقاً مشاعاً بين الناس من فضوليين وغيرهم"⁽²⁾.

استشكال والرد عليه: قد يقول قائل (من زوج أو زوجة أو غيرهما): إن المنهي عنه في السنة هو إفشاء الأسرار المتعلقة بالمعاشرة الزوجية فحسب، والتي وردت في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَسْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»⁽³⁾.

أو في حديث أسماء بنت يزيد، قَالَتْ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَقَالَ: «عَسَى رَجُلٌ يُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، أَوْ عَسَى امْرَأَةٌ تُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا» فَأَرَمَ الْقَوْمُ⁽⁴⁾ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلْنَ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ شَيْطَانٍ لَقِي شَيْطَانَةً فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَعَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»⁽⁵⁾.

وعليه، فما المانع من أن يفشي الرجل أو المرأة أسرار مشاكلهم الأسرية على صفحات التواصل الاجتماعي باعتبارها عالم افتراضي وليس واقعي، لعله أو لعلها يجد أو تجد الحل لها عند الأصدقاء والمتابعين لصفحاتهم؟. وللدرد عليه نورد قول بعض أهل الفتوى المعاصرين "إن ثمت أسرار أخرى للبيوت غير هذا لا ينبغي إفشاؤها لغير من تهمهم مصلحة الأسرة من الأقارب، بل إن البيوت الكريمة تحاول أن تخفي أسرارها حتى عن أقرب الناس إليها، لأن السر إذا خرج أوغر الصدر، إلى جانب ما يترتب عليه من آثار ضارة، أقلها الشماتة عند معرفة العيوب التي يشكو منها أحد الزوجين، وكثير من الناس يتصيدون أخبار البيوت للإفساد، وللنساء في مجالسهن الخاصة أحاديث متشعبة وخبر أم زرع بشأن النسوة اللاتي تحدثن عن أزواجهن معروف"⁽⁶⁾.

(1) الجفلى: هي دعوة الناس إلى الطعام عامة، أو الدعوة العامة، قَالَ طَرْفَةُ بن العَبْد: نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى... لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت211هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1404هـ (114/11).

(2) ضميرية، عثمان جمعة، عمل المرأة والاختلاط وأثره في انتشار الطلاق، مجلة البحوث الإسلامية (365/77).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة (1060/2) رقم (1437).

(4) " فَأَرَمَ الْقَوْمُ " أي: سكتوا مطرقين، ومثله أيضاً: فَأَرَمَ الْقَوْمُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب . (18/12).

(5) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت360هـ)، في المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، مسند النساء، باب الألف، حفص بن أبي حفص أبو معمر التميمي (162/24) رقم (414).

(6) صقر، عطية محمد عطية (ت1427هـ)، أسرار الزوجين، فتاوى دار الإفتاء المصرية، مايو 1997م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وكذلك فإن قيم الإسلام تحذر من إشاعة الفواحش، وتنبذ المجاهرة بالمعاصي والآثام، ففي القرآن الكريم (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور:19].

وقد أكدت بعض الدراسات التي تناولت تأثير هذه الوسائل على الشباب على ضرورة مراعاة القيم والمبادئ، والمصلحة الإيجابية للإنسان، ولن يفيد إلا التحصين الأخلاقي، والوازع الديني، وتعليم الشباب، و تثقيفهم، وإعانتهم، وتقديم الخبرة لهم، وتقويم سلوكهم، وتأمين عمل لهم، واحترامهم، والاعتراف بقدراتهم⁽¹⁾.

ومن صور التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية - تأثرا بهذه الوسائل - ما لوحظ من ازدياد تقليد أبناء المجتمع الإسلامي لتلك الثقافات العالمية التي لا تنتمي بوجه من الأوجه لثقافة المسلمين وأمثلة ذلك : انتشار الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية(الكريسماس) في المجتمعات الإسلامية، وعيد الحب(الفلاتاين)، وغيرها من البدع التي لاقت رواجاً في المجتمعات الإسلامية خاصة بعد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة، بالإضافة إلى أن تلك المواقع مثل الفيس بوك يرسل لمستخدميه تذكيرات بمواعيد هذه الأعياد مما ساهم في نشر البدع⁽²⁾.

المبحث الثاني: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على فكر الأسرة المسلمة

أولاً: انتشار التطبع الثقافي بين فئات المجتمع المسلم.

التطبع مصطلح معاصر نشأ عن مصطلح "التطبيع" المستخدم في الميادين السياسية ونحوها⁽³⁾، وأصله اللغوي مادة "طبع" يقال: تَطَبَعَ أمرًا: إذا تَكَلَّفَ غيرَ طَبْعِهِ، يقال: الطَّبْعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ، والتطبيع مفرد، مصدر للفعل تَطَبَّعَ⁽⁴⁾. وعرف مجمع اللغة العربية المصري التطبع الثقافي بأنه "فن عملية اكتساب شخص ثقافة دون ثقافة قومه وبيئته⁽⁵⁾". ويرى البعض أن التطبع يدخل شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ولكن التطبع الثقافي هو الأخطر لأنه يُسَوِّقُ السلعة الفكرية والثقافية والنظرية، وهذه تعيش أكثر من السلع المعمرة، نستورد سيارة وعمرها الافتراضي 10 سنوات، أما الثقافة فلا عمر افتراضي لها، يمكن نقلها من جيل إلى جيل⁽⁶⁾.

(1) العوش، سالم، وسائل التقنية وأثرها في الشباب وسبل استثمارها، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحوث المؤتمر العالمي التاسع (159/1).

(2) الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص98).

(3) اعتمد مجمع اللغة المصري على كثرة اشتقاق العرب من الأسماء الجامدة مثل: «أثث» بمعنى وطأ، و «تَبَعْدَد» بمعنى انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها... وقد أقرّ المجمع جواز الاستعمال المعاصر «تطبيع العلاقات» على أن يكون التطبيع مأخوذاً من الطبيعة، والفعل منه «طَبَّعَ» بالتضعيف على معنى الجعل والتصيير، وقد أثبتت المعاجم الحديثة هذا الاستعمال. تنظر المادة رقم: 3362 - (طَبَّعَ)، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، ط: أولى 1429هـ - 2008م، (503/1).

(4) ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد(ت573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، د. حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق. ط: أولى : 1420هـ - 1999م، (4065/7)، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م. (1384/2).

(5) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1384/2)

(6) ينظر: سمارة، عادل (كاتب ومفكر متخصص في التطبيع ومقاومته) التطبيع الثقافي هو الأخطر لأنه يسوق السلعة الفكرية والثقافية والنظرية، في تقرير توفيق العيسى منشور بموقع الحياة الجديدة http://www.alhaya.ps/arch_page.php?id=149471 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإدمان الشباب لوسائل التواصل الاجتماعي، وانهماكهم في استخدامها، يضيف عليهم مسحة من ثقافات الغير، سواء كان الغير هذا مجتمعات مسلمة غير محافظة، أو مجتمعات غير مسلمة، فينسلخ المرء رويداً رويداً من ثقافته، وسلوكياته، ويحاول التشبه بغيره، لاسيما حين يجد أن الغير متقدم ومزدهر في المجالات المختلفة. ولا ينبغي أن يغتر شباب المسلمين بثقافات الغير، ولا ينظر إليها على أنها كسب أو ربح، فإن كان ولا بد فليأخذ من الغير تقدمه، ووسائل ازدهاره، وعلومه ومعارفه، ولا يقتبس منه ثقافات ضحلة، وطبائع فاسدة.

ثانياً: نشر ثقافة التسطيح بين فئات المجتمع المسلم (الشباب نموذجاً).

من الآثار الفكرية السيئة التي تنتاب رواد ومستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، انحسار عقول بعض مستخدميها في أفكار سطحية⁽¹⁾ ومعلومات تفتقد المصداقية والقيمة، فضلاً عن "كثرة تداول الإشاعات والأخبار المغلوطة؛ نظراً لعدم اشتراط التأكد من المعلومة قبل نشرها، أو نشر مصدر الخبر على تلك المواقع، إضافة إلى غياب الرقابة على ما يُكتب أو ما يُنشر في تلك المواقع، فهناك كثير من الشباب يقومون بنشر مواد ليست لها أي أهمية، بل إنها ضارة"⁽²⁾.

والدين الإسلامي يأمر باستقاء المعلومة من مصادرها الصحيحة، وسؤال أهل الخبرة والاختصاص الذين هم أهل الذكر في كل فن، يقول المولى عز وجل في موضعين من كتاب الله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل:43، الأنبياء:7].

كذلك فإنه ينهى عن ترويح الشائعات، وإطلاق الألسنة فيما لا علم للمرء به، فيقول المولى عز وجل (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:36]، حيث بينت الآية الكريمة، أن ثلاثة أعضاء من بدن الإنسان مسؤولة يوم القيامة عما يصدر منها من القول بغير علم.

قال قتادة رحمه الله في معناها: «لَا تَقُلْ رَأَيْتُ وَلَمْ تَرَ ، وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ»⁽³⁾. وفي الحديث الشريف: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»⁽⁴⁾.

ثالثاً: الغزو المعلوماتي وتأثيره السيء على فكر المسلم.

(1) السطحيّة مفرد، يشمل أمرين: أحدهما: اسم مؤنث منسوب إلى سَطَحَ: "أراء/ قراءة/ سطحيّة" معرفة سطحيّة: ظاهريّة. والثاني: مصدر صناعي من سَطَحَ: عدم جدّيّة "يتسم معظم الشباب الآن بالسطحيّة واللامبالاة". أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1064).

(2) موقع الألوكة الثقافي، مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها وما هو الاستخدام الصحيح لها؟ منشور بتاريخ: 1436/1/26هـ - 2013/11/30م.

(3) عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت211هـ)، تفسير عبد الرزاق، تحقيق/د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ (2/299).

(4) أخرجه ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت181هـ) في الزهد والرفائق، تحقيق/حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. د. ط باب من كذب في حديثه ليضحك به الناس (1/255) رقم (735)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (4/298)، رقم (4992) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «ولم يسنده إلا هذا الشيخ يعني علي بن حفص المدائني»، وضححه الألباني، والنسائي في السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت303هـ)، تحقيق وتخريج/حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001م، كتاب المواعظ (10/403) رقم (11845).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لا شك أن حصول المرء على معلومة عن أمر ما يشكل أهمية كبيرة، فقد حثنا الإسلام على التعلم، وبذل الجهد في سبيل التوصل لحقائق العلم ومعارفه المختلفة، حتى نستفيد بها في أمور حياتنا، والسائد عبر تاريخ البشرية هو السعي في طلب العلم بالقراءة والاستماع والمناقشة والتلقي عن الغير والتجربة والتطبيق، كل ذلك لا غبار عليه بل هي أسس العلم الصحيحة.

ومع طفرة الإليكترونية الهائلة التي شهدتها العصر الحديث، لاسيما شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" وما فيها من وسائل ومواقع ظهر ما يسمى بمصطلح "الغزو المعلوماتي" وهي مسألة تتطلب مواجهتها من الدول العربية والإسلامية، حيث من حق كل دولة وكنوع من أنواع السيادة على أراضيها قبول أو رفض ما قد يوجه إليها من الخارج، وهذا الأمر قد أصبح حاليًا محل إعادة نظر بسبب الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت، بحيث لم تعد الدول قادرة على رفض ما ييثر لها من الخارج⁽¹⁾.

وقد أدى الغزو المعلوماتي إلى التأثير على ثقافة وفكر المجتمعات والأسر المسلمة تأثيرًا متعدد الجوانب أشير إلى طرف منه على النحو الآتي:

أ- تدني مستوى القدرات الإبداعية لدى الشباب.

مما جنته وسائل التواصل الاجتماعي على فكر المجتمع المسلم، لاسيما فئة الشباب، هو اعتماد الكثيرين منهم على هذه الوسائل لحل المشكلات التي تقابلهم والاعتماد على أفكار غيرهم، فإنه حينما تقابل الشخص مشكلة ما؛ فنيًا في حاسوبه على سبيل المثال، أو علميًا في دراسته، أو حياتيًا في وظيفته أو نحو ذلك؛ فإنه يطرحها على وسيلة التواصل الاجتماعية المفضلة لديه أو التي يتابعه عليها أشخاص كثيرون، فيسألهم ماذا أفعل؟. وتساءل الفتاة أو ربة البيت صديقاتها: ماذا ألبس، ماذا أختار؟ إلى أين أخرج، ماذا أطهي اليوم؟ وغيرها من الأسئلة.

وهذه التصرفات في حد ذاتها إيقاف للعقل والفكر عن بذل الجهد والسعي للتوصل للمعلومة أو حل المشكلة، وهذا مما يتنافى مع آيات كتاب الله تعالى التي تأمر بالتعقل والتفكير والتدبر والعمل.

نحو قوله تعالى (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) في 13 موضعًا في القرآن الكريم، وقوله (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الانعام: 50].

ومما يجدر ذكره إن ذلك الاعتماد على فكر الغير يؤدي إلى ركود العقول، وتوقفها عن التفكير والتطوير والابتكار، والاكتفاء بما يقدم إليه من حلول ونحوها، وفي ذلك إهمال لنعمة العقل التي وهبها الله سبحانه وتعالى لنا.

ب- تلقي العلوم والمعارف والآراء من غير المختصين.

يعمد كثير من أفراد المجتمع - من رواد هذه الوسائل - إلى تلقي علومهم ومعارفهم من خلالها، وقلة منهم تتلقى تلك العلوم عن المختصين، والكثرة الغالبة لا تنتبه لهذا الأمر، حيث تتلقى المعلومة من أي مصدر بغض النظر عن قوته أو ضعفه، أو تخصصه وعدم تخصصه، أو صحة المعلومة أو عدم صحتها.

(1) ينظر: مراد، بركات محمد، موقف الإسلام من حقوق الملكية الفكرية، منشور بموقع <https://books.google.com.my> (ص217).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يقول أحد المتخصصين في مجال الإعلام عن هذه السلبية: "... والجانب السلبي للأسف أن معظم المعلومات التي تُبثُّ عبر تلك المواقع هي معلومات غير محقَّقة، فأنا مثلما أنه متاح لي أن أنشر المعلومة الصادقة فيمكنني أيضًا - وبسهولة- أن أنشر الشائعة أو المعلومة المغلوطة، ويترتب على ذلك إحداث البلبلة، وعدم المصادقية"⁽¹⁾.

ج- إضاعة الوقت وإهدار استثماره.

كذلك من الآثار المرتبطة بهذا العنصر أيضًا "إضاعة الشباب للوقت في التنقل عبر صفحات تلك المواقع، والتحدُّث في أمور ليس لها قيمة ولا فائدة، وهذا الجانب هو أخطر الجوانب السلبية؛ حيث إن مضيعة الوقت تأتي بالسلب على المجتمع كله وعلى تقدُّمه، وليس على الشخص فقط"⁽²⁾.

والمعروف أن الإسلام يُعلي من قيمة الوقت ويعززها، ويوصي الأمة بالحرص عليه وحسن استثماره فيما يفيد، ففي الحديث: «اغْتَنِمِ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»⁽³⁾.

د- الإضرار بالثقافة المحلية واللغة العربية في الدول الإسلامية:

كذلك مما يضر بفكر الأسرة والمجتمع المسلم جراء الإفراط في هذه الوسائل، هو تأثر الثقافة المحلية، واللغة العربية تأثرًا سيئًا يؤدي إلى الضعف، حيث لوحظ "ظهور بعض الألفاظ واللغات الغريبة التي هي مزيج بين العربية والإنجليزية، ويُطلق عليها "الفرانكو"، ومثل هذه اللغات من شأنها أن تُضعف مستوى اللغة العربية لدى الأجيال القادمة، وتؤدي إلى اندثار لغتنا الأصيلة"⁽⁴⁾.

وقد طرحت دراسات متعددة (نظرية وميدانية) لباحثين من دول عربية لبيان مدى التأثير السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية، وخُصِّصت أغلب هذه الدراسات إلى النتائج الآتية:

(1) مكاوي، حسن عماد (عميد كلية الإعلام بجامعة القاهرة) تحت عنوان "يجب الابتعاد عن نشر الأخبار الكاذبة" تقرير مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافي.

(2) عبد الرؤوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلون- مصر) تحت عنوان "سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها" - تقرير مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافي.

(3) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق، باب التحضيض على طاعة الله عز وجل (2/1) رقم(2)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المواعظ (400/10) رقم (11832)، والحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم(ت405هـ) في المستدرک علی الصحیحین، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ - 1990م، كتاب الرقاق (341/4) رقم(7846)، وضححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(4) ينظر: عبد الرؤوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلون- مصر) تحت عنوان "سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها" - تقرير مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أ - لاحظت بعض الدراسات أنَّ هذه الوسائل أثَّرت بشكلٍ سلبيٍّ في اللغة العربيَّة، كما لاحظت أنَّ هناك إهمالاً كبيراً في الكتابة باللغة العربية الصحيحة في وسائل التواصل الحديثة، حتى من قِبَل المتلقِّين لتعليمٍ جيدٍ، والملمِّين بقواعد اللغة العربية الصحيحة وإملائها⁽¹⁾.

ب - انتشار ظاهرة (الفرنكو آرب)، وهو استبدال الأحرف العربية بأحرف لاتينية، فيستبدل بالحرف العربي ما يقابله في اللاتينية، وبحكم ثراء اللغة العربية، فقد وجدوا أن هناك من الأحرف العربية ما لا يقابله حرف في اللاتينية، فاستبدلوا به رقمًا؛ وذلك لتغطية القصور في الأحرف اللاتينية؛ كاستبدالهم بحرف الحاء الرقم (7)، فيكتب اسم محمد هكذا (mo7amad)، ومن ذلك كتابة رقم "2" بدلًا من الهمزة، و"3" بدلًا من العين، الخ⁽²⁾.

وحول خطورة هذا الأمر ترى إحدى أساتذة علم الاجتماع أن هذه الظاهرة ما هي إلا عبث لفظي، لا يصح أن يطلق عليه لغة حيث إنها - على حد قولها - مجرد ظاهرة كتابية حيث إنها تفتقر إلى مقومات اللغة فهي مجرد طريقة كتابية تخلط فيها الأرقام بالحروف اللاتينية لتكون كلمات قد تكون مفهومة للبعض من مستخدميها، أو أنها قد تمثل شفرات لمن لا يعرفها، حيث نسمع كلمات جديدة على مجتمعنا يتفوه بها الشباب ويتحدثون بها إلى بعضهم البعض، ولكن ظهر هذا عبر تواصلهم كتابياً عبر المحادثات الإلكترونية أو ما يعرف "الشات"⁽³⁾.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى طرح بعض الجوانب السلبية التي تجنيها الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم من الإفراط في استعمال وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يعني هذا بالضرورة أن كل ما في هذه الوسائل سلبي، أو شر محض، بل فيها - لا شك - طائفة أخرى من الإيجابيات والمنافع، ولكن إن احسن استخدامها، وروعت الضوابط الشرعية في التعامل معها، فتكون حينئذ معاول بناء لا معاول هدم.

وإذا كان قد اتضح لنا خطر سلبيات هذه الوسائل، فإن السؤال حينئذ يطرح نفسه وبكل قوة، ما الحل؟ ما السبيل إلى استثمار هذه الأدوات الاستثمار الصحيح؟ كيف يمكن التصدي لهذه السلبيات والقضاء عليها، سواء كان ذلك على المستوى الرسمي (للدول والحكومات والمؤسسات) أو على المستوى الشعبي والفردى للأفراد والأسر؟.

هذا ما سنختتم به بحثنا في نقاط موجزة على النحو الآتي:

الخاتمة

وتتضمن توصيات البحث بشأن سبل التصدي للآثار السلبية الواقعة على عقيدة الأسرة وفكرها حتى يتسنى لنا التصدي لهذه الآثار السلبية التي تخلفها وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة، وفكرها يمكن اتخاذ إجراءات رسمية، وإجراءات غير رسمية:

(1) ينظر: الأحمرى، ظافرة سعيد آل زيان، "اللغة العربية وأثرها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة"، كلية العلوم والآداب بمدينة عسير السعودية (قسم نظم المعلومات)، جامعة الملك خالد، السعودية، المركز الإعلامي على الإنترنت، بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية (ص286).

(2) ينظر: بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية (ص285)..

(3) ينظر: المرجع السابق (ص294) نقلا عن بعض أساتذة علم الاجتماع من خلال مقابلة شخصية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- فمن أبرز ما يمكن اتخاذه رسميًا حجب بعض وسائل التواصل الاجتماعي أو تعطيلها إن تثبت إساءتها للعقيدة الإسلامية، وهذا أمر ميسور على المؤسسات الرسمية التي تمتلك آليات فحص وتتبع لهذه المواقع والوسائل.
 - تطبيق العقوبات على من ينال من العقيدة الإسلامية، بعد ثبوت إدانته، والتأكد من شخصيته، والتحقق من قصده، والمعروف أن العقوبات في الشريعة الإسلامية تدور بين كونها زواجر عما ارتكب، أو جوابر لما حصل من نقص أو خلل.
 - استخدام سلاح الخصم نفسه، ولكن فيما يفيد، بأن تسخر هذه الوسائل أو توجه بعض المواقع الإلكترونية المتصلة بها في نشر العقيدة الصحيحة، ونقد ما عداها، وبيان زيف ما ينشر من إساءات تتعلق بالعقيدة.
 - إبراز دور العلماء العاملين، المدركين لأمر العقيدة الصحيحة، والقادرين على دحض الشبهات، وتفنيذ المزامع، والرد على الأباطيل، ونشر أفكارهم بين فئات المجتمع، وتمكينهم من الظهور في القنوات الإعلامية، والمواقع الإلكترونية حتى يكونوا بمثابة حائط صد لشبهات المشككين، وأباطيل المتحججين المتجرأين على العقيدة وثوابت الدين.
 - تفعيل دور المساجد والمؤسسات الدعوية والتربوية حتى تقوم بمثابة الملجأ والملاذ الذي يهرع إليه شباب الأمة ليستفيدوا منها، ويتلقوا معارفهم الدينية الصحيحة من خلالها، بدلا من تلقيها من وسائل التواصل الاجتماعي بصورة خاطئة.
 - العمل على وضع ضوابط لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في البلاد الإسلامية حتى تكون هذه الوسائل متناسبة مع الشريعة الإسلامية ومراعية للعادات والتقاليد الصحيحة المنتشرة في مجتمعاتنا.
- ومن أبرز ما يمكن اتخاذه بصورة غير رسمية:**
- اهتمام علماء الاجتماع والتربية بنشر الأفكار التربوية الصحيحة، والتواصل مع فئات المجتمع المختلفة، لخلق حوارات بناءة بينهم، يتم من خلالها توجيه المجتمع توجيهها صحيحا نحو التمسك بالعقيدة والحفاظ عليها
 - قيام الأسرة المسلمة بدورها البناء في رعاية النشء رعاية صحيحة، وتوجيهه التوجيه الفكري الصحيح، ومتابعة صفحات الأولاد التي ينشأونها على شبكات التواصل تتبع الناصح المرشد الموجه.
 - العمل على التثام شمل الأسرة التثامًا صحيحًا، من خلال خلق ثقافة الحوار بين أفراد الأسرة، فيما يطرح على أبنائها من تساؤلات وأفكار، وعدم تركهم فريسة للتشتت والحيرة في أمور العقيدة والفكر.
 - سعي الشباب إلى تلقي المعلومات الصحيحة من مصادرها الصحيحة، وعدم اعتماد وسائل التواصل الاجتماعي مصدرًا لاتخاذ المعلومات الدينية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- إمكانية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي - وعلى وجه الأخص - منتدى الدردشة الالكترونية (فيسبوك) للدعوة الإسلامية ونقل الصورة الحقيقية عن الإسلام من خلال النقاش مع أجنب، ومحاولة استمالتهم لاعتناق الإسلام، وقد حدث هذا بالفعل مع كثير من الأشخاص⁽¹⁾.
- إشغال أوقات الفراغ لدى النشء والشباب بممارسات أكثر فائدةً وأحسن أثرًا من إدمان هذه الوسائل، كممارسة القراءة، والرياضة، ونحوهما.

المراجع:

القرآن الكريم:

- ❖ ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت181هـ) *الزهدة والرفائق*، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، د. ط.
- ❖ ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت211هـ)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1404هـ.
- ❖ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير (ت275هـ)، *سنن أبي داود*، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. د. ت، د. ط.
- ❖ الأحمرى، ظفيرة سعيد آل زيان، *اللغة العربية وأثرها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة*، كلية العلوم والآداب بمدينة عسير السعودية (قسم نظم المعلومات)، جامعة الملك خالد، السعودية، المركز الإعلامي على الإنترنت.
- ❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ)، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير بـ "صحيح البخاري"*، تحقيق وترقيم محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- ❖ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، *شرح السنة*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق - بيروت) الطبعة الثانية: 1403هـ.
- ❖ بهي الدين، مبروك رمضان، *أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية*، المؤتمر الدولي الأول للقضايا المعاصرة ومقاصد الشريعة، جامعة السلطان عبد الحلیم معظم شاه الإسلامية العالمية - ماليزيا ديسمبر 2018م.
- ❖ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت279هـ) *سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية: 1395هـ - 1975م.
- ❖ جابري، سارة، *دور مواقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري*، دراسة في دوافع الاستخدام والإشباع المتحققة لمنتدى فايسبوك (Facebook) - منشورة على عدة مواقع إلكترونية.
- ❖ الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم (ت405هـ) *المستدرک على الصحيحين*، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ - 1990م.
- ❖ الحدادي، محمد علي يحيى، *أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم*، ماجستير في العقيدة جامعة الملك خالد - السعودية.

(1) ينظر: جابري، سارة، دور مواقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري (ص 21).

8-9 أبريل 2019 - نوفيل بازار - جمهورية صربيا

- ❖ الحسني، محسن بن موسى، **ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي**، منشور بموقع الهيئة العالمية لعلماء المسلمين، ربيع الأول 1438هـ.
- ❖ الحكمي، عائشة يحيى، **موقع د عائشة يحيى الحكمي بتاريخ 19/4/1436هـ**.
- ❖ الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق، د. حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق. ط: أولى: 1420هـ - 1999م.
- ❖ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد (ت255هـ) في مسنده المعروف بـ "سنن الدارمي"، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى: 1412هـ - 2000م.
- ❖ راضي، زاهر، **استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي**، مجلة التربية، عدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان - الأردن.
- ❖ زمان، صفاء، **الشبكات الاجتماعية تعريفها وتأثيرها وأنواعها**. موقع www.kse.org.kw/Al-Mohandesoon/issue/113/article/365
- ❖ السبر، سعد بن عبدالله السبر (إمام وخطيب جامع الجارالله بالرياض) تحت عنوان "حروب على العقيدة" تقرير "محتويات الإنترنت خطر على العقيدة".
- ❖ سمارة، عادل (كاتب ومفكر متخصص في التطبيع ومقاومته) **التطبيع الثقافي هو الأخطر لأنه يسوق السلعة الفكرية والثقافية والنظرية**، في تقرير توفيق العيسى، منشور بموقع الحياة الجديدة http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=149471
- ❖ السند، عبد الرحمن بن عبد الله، **وسائل الإرهاب الإلكتروني حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها**، موقع وزارة الأوقاف السعودية.
- ❖ السندي، إبراهيم بن عبدالكريم (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحت عنوان "هل الإنترنت خطر على العقيدة" مجلة الإمامة 2014/2/25م.
- ❖ صقر، عطية محمد عطية، **فتوى أسرار الزوجين، فتاوى دار الإفتاء المصرية** مايو 1997م.
- ❖ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ❖ عبد الرؤوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلون - مصر) تحت عنوان " **سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها** " - **تقرير مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها** - موقع الألوكة الثقافي.
- ❖ عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت211هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، تحقيق/ د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ.
- ❖ العنبي، نهار بن عبدالرحمن العنبي (عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء) **تقرير "محتويات الإنترنت خطر على العقيدة"**.
- ❖ العنبي، محمد بن مشعل، **مواقع التواصل الاجتماعي ونقاش المبتدعة**، موقع صيد الفوائد (<http://www.said.net/Minute/394.htm>).
- ❖ عفانة، حسام الدين بن موسى، **موقع فتاوى يسألونك**.
- ❖ العقيل، رياض، **تحقيق بعنوان: محتويات الإنترنت خطر على العقيدة**، موقع (<http://www.aldaawah.com>) مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.
- ❖ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم الصواب اللغوي**، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- ❖ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م.
- ❖ العوش، سالم، *وسائل التقنية وأثرها في الشباب وسبل استثمارها*، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحوث المؤتمر العالمي التاسع.
- ❖ فتح محمد، علي محمد، *مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الأخلاقية والقيمية*، ماجستير في الدعوة من الجامعة الإسلامية.
- ❖ مراد، بركات محمد، *موقف الإسلام من حقوق الملكية الفكرية*، منشور بموقع <https://books.google.com.my>
- ❖ مكاي، حسن عماد (عميد كلية الإعلام بجامعة القاهرة) تحت عنوان "يجب الابتعاد عن نشر الأخبار الكاذبة" تقرير *مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها* - موقع الألوكة الثقافي.
- ❖ موقع التقنية السورية "<https://syriantech.com>" تقرير "قيسوك كشفت عن كمية المخالفات هذا العام" أرقام مرعبة لمنشورات العنف والإرهاب والحسابات المزيفة منشور بتاريخ 2018/5/16م.
- ❖ موقع الألوكة الثقافي، *مواقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها وما هو الاستخدام الصحيح لها؟* منشور بتاريخ: 1436/1/26هـ - 2013/11/30م.
- ❖ موقع القدس، *حرية «الخلوة الإلكترونية» حين تصبح وسيلة لاستقطاب الشباب نحو التطرف والفضائح الأخلاقية*، منشور على (www.alquds.co.uk) بتاريخ 2018/2/17م.
- ❖ النسائي في *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ)، تحقيق وتخريج/حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ممارسة القيم بنوعها التقليدي أو العصري وعلاقتها بتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي

د. بلخير رشيد

جامعة تيزي وزو - الجزائر

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى البحث عن مدى وجود علاقة بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطلبة الجامعيين، وعن نوعية هذه العلاقة، سالبة أم موجبة. كما تهدف إلى معرفة نوعية القيم الممارسة لدى هذه الفئة، قيم تقليدية أم عصرية. تم اتباع المنهج الوصفي المناسب لهذه الدراسة، على عينة قدرها 155 طالب وطالبة من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، والتي اختيرت بطريقة عرضية. وتم الاعتماد على أداتين للقياس، مقياس ممارسة القيم ل برنس، ومقياس توكيد الذات ل راتسون، المقننين على البيئة الجزائرية في الدراسة الحالية. وتم تفرغ البيانات وتحليلها بالاعتماد على البرنامج الإحصائي في العلوم الاجتماعية (SPSS). وجاءت نتائج هذه الدراسة لتبين وجود علاقة موجبة بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطلبة الجامعيين، عينة البحث. كما بينت كذلك أنّ الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية مقارنة بالقيم التقليدية.

Resume :

The present study aims to examine the link between the practice of values and the assertiveness of university students and the quality of this relationship, whether negative or positive. It also aims to know the quality of the values practiced in this category, traditional or modern values.

The descriptive method was applied to a sample of 155 students from the Faculty of Humanities and Social Sciences of Mouloud Maamri University of Tizi Ouzou, which was randomly selected. Two tools were used to measure, Prince's Values Practice Test and Rathus's Assertiveness Test, which are adapted to the Algerian environment in this study. The data was published and analyzed on the basis of the Social Science Statistical Program (SPSS).

The results of this study showed a positive relationship between the practice of values and assertiveness among university students. He also showed that university students tend to put modern values into practice in relation to traditional values.

مقدمة:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن التغيير المفاجيء الذي تتميز به الحضارة الحديثة وانتشار الصناعة والوسائل التكنولوجية، والتسابق والتنافس على الملكية الفردية ساهم في انتشار النفعية والمادية والأنانية لدى أجيال اليوم، ما ساهم في تدهور منظومة القيم لديهم، خاصة لدى فئة الشباب منهم الطلبة الجامعيين الذين يعول عليهم بناء وقيادة المجتمعات وتلاحمها واستمراريتها خلقا وحُلُقًا.

فلاهتمام بمنظومة القيم لدى الطلبة انطلاقا مما يسود مجتمعاتنا من معتقدات وأفكار وعادات وتقاليد وممارسات سلوكية يبدو ضروريا أكثر من أي وقت مضى، لما لهذه الأخيرة من أهمية في تشكيل شخصية الشاب وبناء الثقة في نفسه، وتكوين صورة واضحة عن ذاته تجعله على قدرة في توكيدها والاعتزاز بها في ضلّ عالم متنافس.

1- إشكالية البحث:

يشهد مجتمعنا العربي المعاصر تغيرات اجتماعية واسعة النطاق من حيث عمقها واتجاهاتها ونتائجها، وليس من شك أن أكثر ما يعنى به المنشغلون بالمسائل النفسية والاجتماعية هو كيف نستطيع أن نخضع هذه التغيرات لتوجيه يسهم في تحقيق مزيد من التقدم والنماء والإشباع لحاجات الجماهير العريضة في هذا المجتمع. (محمد شفيق، 2003، ص 58)

هذه التغيرات السريعة أحدثت تغيرات في مختلف جوانب حياة الفرد حيث شملت مجال الأسرة والعمل والحياة الاجتماعية والمجال التربوي والدراسي، وأدت إلى حدوث تغيرا في أساليب حياة الأفراد إذ تغيرت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وكذا الفرد وأسرته، وانعكست على قيم الأفراد وسلوكياتهم وأنماط تفكيرهم، حيث طغى الجانب المادي على تفكير الأفراد وتدهور النسق القيمي، كما اختفت القيم الإيجابية مثل حب الناس والتعاطف والإيثار والشجاعة في مواجهة الحق وغيرها بدلا منها ظهرت قيم مستوردة وغريبة عن مجتمعنا مثل الرياء والنفاق والنفعية وغيرها وأصبح التفكير الخلقى والابتعاد عن حياة الصواب هو الطابع الذي اتسم به العصر الحديث، كما أدت هذه التغيرات إلى حدوث تفكك في الروابط الأسرية والعلاقات وتفاقت المشكلات الاجتماعية وصاحب ذلك ارتفاع معدلات القلق والاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية بين الأفراد وزادت الضغوط النفسية والتوترات. (طه عبد العظيم حسين، 2004، ص 9)

إنّ هذا التغيير المفاجيء الذي تتميز به الحضارة الحديثة وما صاحبه من قتال وكفاح في سبيل الحصول على لقمة العيش أهدر كثير من القيم والمثل التي كان الناس لا يحدون عنها إلا في الحالات النادرة (أحمد رجب الأسمر، 1997، ص 59)، إذ بات هذا الواقع الاجتماعي الذي يروج فيه كثيرا من القيم الدخيلة يفرض على الشخص أنماطا من السلوكات يسعى من خلالها إلى تحقيق نوع من التوافق والانسجام مع التغيرات الثقافية والاجتماعية ومع متطلبات المعاصرة، ولكن هذا المسعى قد يترتب عنه توترات وصراعات يمكن أن تخلّ بوحدة الفرد واستقراره النفسي بسبب المعايير الثقافية المتناقضة، فقد تكون عملية التوافق أمرا سهلا يقوم به الفرد دون

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مشقة أو عناء، وقد تكون في أحيان أخرى أمراً شاقاً، فإذا لاقى الفرد تعارضاً مع قيم المجتمع فهذا يؤدي إلى خلق عوائق في سبيل تحقيق الدوافع كما في حالات الصراع النفسي. (بركات، 1984، ص 324)

تفيد معرفة القيم في فهم الشخصية وفي تشخيص الاضطرابات النفسية، إذا تعتبر القيم من المفاهيم الأساسية في جميع مجالات الحياة وكافة جوانب النشاط الإنساني وهي ضرورة اجتماعية باعتبارها معايير وأهداف نجدها في المجتمعات باختلاف مستوياتها الحضارية. (بشير معمري، 2007، ص 47، 45)، لهذا يعدّ غرس القيم في النشء أحد الأهداف الرئيسية التي يجب أن تعني بها التربية ذلك أن الفرد الذي يفقد قيمة يفقد اتزانه، فالقيم بالنسبة للمجتمع كأعمدة البناء التي تحمل البنية، فغرس القيم ضرورة فردية واجتماعية في آن واحد. (احمد الشافعي، 1971، ص 73)

يكتسب الفرد قيمه ابتداءً من الأسرة والمدرسة، فجماعة الأقران ووسائل الإعلام والجامعة والمهنة والتخصص ووسائل فرعية أخرى ضمن المجتمع. وكل هذه الوسائط تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي بدوره يتلقح من ثقافات أخرى بحدود معينة، حيث يعيش الطالب بين الأسرة والجامعة والمجتمع كإبن وكطالب وك مواطن من خلال علاقاته مع الأفراد وتفاعله معهم من أجل تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته.

الجامعة مؤسسة تربوية رسمية يستكمل فيها الطالب نموه وهو يتفاعل مع مدرسته وزملائه ويتأثر بالمنهج الدراسي وتنمو شخصيته في كافة جوانبها. (الأشول، 1987، ص 76)، وصارت مؤسسة إنتاج للفكر والعلم والمعرفة والقيم والاتجاهات، فهي تعمل ليل نهار في سباق مع الزمن لتستأثر من خلال البحوث بمعرفة أسباب حدوث الظواهر الطبيعية والإنسانية للاستفادة من هذه المعرفة من أجل تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي. (بشير معمري، ب س، 136، 135)، إذ يتأثر الطالب الجامعي خلال هذه المرحلة الجامعية، بالعديد من المشكلات النفسية والاجتماعية كالرغبة في إثبات الذات أو تحقيق الاستقلالية الشخصية أو الاعتماد على النفس ومواجهة الحياة بكل ثقة واقتدار، والواقع يظهر أن تلك المشكلات النفسية والاجتماعية تعكس نفسها مستويات الذات لدى طلبة الجامعة. (انس صلح الضالعين، 2011، ص 18)، إضافة إلى أعباء الدراسة ونوعيتها ومدى المواءمة بينها وبين الميول والقدرات وما يواجهونه في الواقع، كل هذا يؤثر على توكيد الذات لديهم. (فواز بن محارب المحيطري، 2009، ص 74)

وعليه جاءت الدراسة الحالية لمعرفة علاقة القيم لدى الطالب الجامعي بتوكيد الذات، وذلك من خلال التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة بين القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي؟
- ما نوع القيم الممارسة من طرف طلبة الجامعة (عصرية وتقليدية)؟

2- فرضيات البحث:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي.
- الطلبة الجامعيون يميلون إلى القيم العصرية.

3- تحديد المفاهيم الأساسية إجرائياً:

3-1- القيم: هي المعايير التي تتحكم في تصرفات الإنسان وتصورات، فتوجه سلوكه في الحياة وفقاً لمعطياته، مما يساعده على تشكيل شخصيته وتحديد هويته التي تميّزه عن الآخرين.

3-2- توكيد الذات: هو تعبير الفرد عن ذاته والدفاع عن حقوقه دون المساس بحقوق الآخرين، وقيامه بتصرفات تؤدي إلى تحقيق مصالحه وحاجاته مع مراعاة القيم والمعايير.

3-3- الطالب الجامعي: الطالب الجامعي هو طالب علم ويعدّ أحد مكونات الجامعة حيث يسمح له الانتقال من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية وفق عدّة معايير حيث تكون له حرية اختيار التخصص الذي يريده وفقاً لميوله ورغباته فهو يسعى للحصول على المعرفة في أحد الفروع التي يودّ اختيارها.

4- أهداف الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة بشكل رئيسي على تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على العلاقة في ممارسة القيم بتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي.
- التعرف على نوع القيم الممارسة من طرف طلبة الجامعة (عصرية - تقليدية).

5- أهمية الدراسة:

إنّ دراسة القيم من أهم الدراسات النفسية الاجتماعية، باعتبار القيم إحدى المحددات الهامة للسلوك الفردي والاجتماعي على السواء، ذلك أن القيم جزء لا يتجزأ من الإطار الحضاري والثقافي للمجتمع، ومعرفتنا بقيم مجتمع ما تجعلنا نتعرف على الأيديولوجية والفلسفة العامة لهذا المجتمع لأن القيم ما هي إلا انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص في ثقافة معينة وفي فترة زمنية معينة.

معرفتنا بقيم المجتمع تفيد بالنسبة للتربية والتعليم في وضع برامج تربوية أخرى لتغييرها إذا كانت قيماً غير مرغوبة، وتوقع كذلك القيم التي سيعلمها المعلمون لتلاميذهم من خلال أدائهم العملية التعليمية.

معرفتنا بقيم المجتمع يجعلنا نتنبأ بالقيم التي سينشئ عليها الآباء أبنائهم والميول والتفضيلات والالتزامات التي ستوجه سلوك الأبناء في المجتمع.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تعتبر القيم ذات أهمية بالغة بالنسبة للفرد والمجتمع فهي دعامة أساسية تساهم في تكوين شخصيات متكاملة ومتميزة ومتوافقة، كما تزود أفراد المجتمع بمعنى الحياة وبمعنى الوحدة ومن ثم الرقي بمجتمعهم.

من خلال ملاحظات الباحث الميدانية ظهر جليا أن القيم لدى الطلبة تراجعت وتغيرت بشكل لافت في المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة عما كانت عليه في السابق، فبذلك برزت أهمية الاهتمام بهذه الشريحة الاجتماعية التي تنتمي إلى فئة الشباب وتعاني مشكلات وأزمات عديدة في هذه المرحلة العمرية منها مستوى توكيدهم لذاتهم، وصراع القيم....، فهذا القطاع الشبابي يحمل على عاتقه مسؤولية التنمية والنهوض بالبلاد في الحاضر والمستقبل إذا كان يتمتع بصحة نفسية جيدة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة كذلك فيما تسفر عليه من نتائج تساهم في معرفة مدى ارتباط القيم بتوكيد الذات، وقد تفيد في نواحي العلاج النفسي والإرشاد والتوجيه وكيفية التعامل مع الطلبة وإعادة استبصارهم بأنفسهم وقيم مجتمعاتهم وصولا إلى تحقيق الصحة النفسية والدراسية.

6- منهج البحث:

اختلاف المواضيع المدروسة يقود إلى اختلاف الوسائل المستعملة في البحث عن الحقيقة، فأى باحث يريد القيام بدراسة معينة حول موضوع معين يتوجب عليه اختيار المنهج المناسب للدراسة. ويكون اختيار المنهج حسب طبيعة الموضوع.

المنهج يعني مجموعة من القواعد التي يتم وضعها قصد الوصول إلى الحقيقة في العمل وهو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لاكتشاف الحقيقة.

لوصف الظاهرة التي نحن بصدد البحث عنها، استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتبر طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منتظم من أجل الوصول إلى أعراض محددة وذلك بوضعها وتطويرها كميًا عن طريق جمع البيانات وإخضاعها للدراسة الدقيقة.

فالدراسات الوصفية تستهدف تقرير خصائص مشكلة معينة ودراسة ظروفها المحيطة بها أي كشف ارتباطاتها الأخرى، بهدف وصف الظاهرة وصفا دقيقا شاملا من كافة جوانبها ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة. (محمد بوعلاق، 2009، ص 18)

7- مكان وزمان إجراء البحث:

7-1- مكان إجراء البحث:

لقد تم إجراء البحث الحالي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تقع بالقرب الجامعي "تامدة"، الملحق لجامعة مولود معمري لولاية تيزي وزو، الجزائر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يقع القطب الجامعي "تامدة" بدائرة "واقنون" التي تبعد عن مقر ولاية تيزي وزو بحوالي 16 كلم، وقد افتتح هذا القطب الجامعي سنة 2009، ويشمل على عدّة تخصصات من بينها: العلوم الإنسانية والاجتماعية، علوم الطبيعة والأرض، الهندسة المعمارية، الطب... إلخ.

7-2- زمان إجراء البحث:

أجريت الدراسة هذه خلال السنة الجامعية (2017-2018)، وبذلك بتوزيع أدوات البحث (مقياس القيم، ومقياس توكيد الذات) على عينة الدراسة الأساسية.

8- عينة البحث:

لقد اعتمدنا على الطريقة العرضية في اختيار عينة البحث، وهي جزء من المجتمع الإحصائي الذي يمثل المجتمع أحسن تمثيل، ويختلف حجم العينة حسب أهمية الدراسة، وحسب الإمكانية المادية والبشرية المتاحة للقيام بهذه الدراسة.

بلغ حجم عينة بحثنا 155 طالب وطالبة يدرسون بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الواقعة بالقطب الجامعي "تامدة"، الملحقة لجامعة مولود معمري لولاية تيزي وزو، الجزائر، وذلك في مختلف تخصصات هذه الكلية.

وتتميز هذه العينة بالخصائص الممثلة في الجداول أدناه:

8-1- خصائص عينة البحث حسب الجنس:

جدول رقم (01): توزيع عينة البحث حسب الجنس

| الجنس | التكرار | النسبة المئوية |
|---------|---------|----------------|
| ذكور | 63 | 40,64% |
| إناث | 92 | 59,36% |
| المجموع | 155 | 100% |

نلاحظ من خلال الجدول رقم (01) أنّ عدد الذكور يقدرّون بـ 63 طالب أي بنسبة 40,64%، وهم أقلّ من عدد الإناث التي يقدرّون بـ 92 طالبة أي بنسبة 59,36%.

فنسبة الإناث تفوق نسبة الذكور، وهذا يعود إلى تزايد عدد الإناث بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة خاصة، وبجامعة مولود معمري بصفة عامة مقارنة بعدد الذكور.

8-2- خصائص عينة البحث حسب السن:

جدول رقم (02): توزيع عينة البحث حسب السن

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| الفئات | التكرار | النسبة المئوية |
|---------|---------|----------------|
| [19-22] | 55 | 35,48% |
| [22-24] | 60 | 38,70% |
| [24-26] | 40 | 25,82% |
| المجموع | 155 | 100% |

نلاحظ من خلال الجدول رقم (02) أن أعمار الطلبة تتراوح ما بين 19 إلى 26 سنة حيث أن عدد الطلبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين [19-22] سنة يقدر بـ 55 طالب وطالبة أي بنسبة 35,48%، والطلبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين [22-24] سنة يقدر بـ 60 طالب وطالبة أي بنسبة 38,70%، أما بالنسبة لعدد الطلبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين [24-26] سنة تقدر بـ 40 طالب وطالبة أي بنسبة 25,82%.

9- أدوات البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على مقياس القيم ومقياس تأكيد الذات، والذين يتميزين بما يلي:

9-1- مقياس القيم:

9-1-1- نبذة عن مقياس القيم:

وضع برنس (Prince R.) مقياس القيم وسماه **Differential values inventory** ونقله جابر عبد الحميد (1977) إلى اللغة العربية، ويتكون من 64 زوجاً من العبارات تدور حول أشياء قد يرى الفرد أنّ من الواجب عملها أو الشعور بها أو من غير الواجب عملها أو الشعور بها، ويتكون كل عنصر من الأربع وستين من عبارتين على المجيب أن يختار واحد منهما، إحداهما تمثل قيمة تقليدية (Traditionnel) أخرى تمثل قيمة منبثة أو عصرية (Emergent). ويتحدد اتجاه المجيب عن المقياس بغلبة القيم المنبثة أو الأصلية باختياره لأربعة وستين عبارة تمثل قيمة من بين 128.

9-1-2- تصحيح مقياس القيم:

بعد أن يختار الطالب عبارة من العبارتين في كل فقرة إما (أ) أو (ب)، يضع علامة (X) أمام العبارة التي يختارها. يصحح الاختبار وتحسب كل عبارة تمثل القيم التقليدية بدرجة واحدة أي أنّ أعلى درجة في الاختبار هي 64 واقل درجة هي صفر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فإذا اختار الشخص العبارات الدالة على القيم التقليدية جميعا يحصل على النهاية العظمى 64، وإذا اختار جميع العبارات الدالة على القيم العصرية يحصل على درجة الصفر، وعلى الرغم من أن هذه الدرجات ممكنة إلا أنّ الفرد عامة يختار عددا من هذه العبارات وعددا من تلك العبارات.

9-1-3- الخصائص السيكومترية لمقياس القيم:

تم إعادة حساب الخصائص السيكومترية لمقياس القيم في البحث الحالي وذلك بحساب الصدق والثبات، وذلك كما هو موضح فيما يلي:

أ- حساب صدق مقياس القيم: يقصد بالصدق أن يقيس فعلا القدرة أو السمة، الاتجاه أو الاستعداد الذي وضع الاختبار لقياسه، أي يقيس فعلا ما يقصد أن يقيسه. (فيصل عباس، 1996، ص 22)

• **صدق المحكمين:** للتحقق من صدق المقياس تم عرضه على عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الواقعة بالقطب الجامعي "تامدة"، الملحق لجامعة مولود معمري لولاية تيزي وزو، وطلب منهم الحكم على مدى ملائمة فقرات مقياس ممارسة القيام، ومدى سلامة ووضوح عباراته. وبعد الاطلاع عليها من طرفهم أبدوا رأيهم وملاحظاتهم حول المقياس، أعربوا في مجملهم عن صدق المقياس.

• **الصدق الذاتي:** يحسب الصدق الذاتي للاختبار بحساب الجذر التربيعي للثبات. (بشير معمري، 2009، ص 198)

$$\text{معامل الثبات} = 0.84$$

$$\text{الصدق الذاتي} = 0.92$$

وتعبّر النتائج المتحصل عليها أن مقياس القيم يتميز بصدق عال.

ب- حساب ثبات مقياس القيم: يقصد بالثبات قدرة الأداة على تقدير السلوك الذي لا يتغير بتغير الظروف والزمن. والمقياس الثابت هو الذي ينتج قيما متساوية إذا ما تكرر إجراءه عدّة مرات. نقول أن المقياس ثابتا إذا كانت نتائجه مستقرة بتكرار تطبيقه عبر الزمن. (محمد مزبان، 1990، ص 55)

وتم الاعتماد في الدراسة الحالية في حساب الثبات على طريقة ألفا كرونباخ، وطريقة التجزئة النصفية بالاعتماد على معامل برسن، وتعديل النتيجة بمعامل سبيرمان براون، وكذلك بطريقة معامل فوتمان.

جدول رقم (03): قيم معامل الثبات لمقياس القيم

| الاختبارات | درجة الثبات |
|--------------------|-------------|
| معامل ألفا كرونباخ | 0.73 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | |
|--------------------|------|
| معامل سبرمان براون | 0.84 |
| معامل فوتمان | 0.81 |

من خلال الجدول رقم (03) يتضح أن قيمة ألفا كرونباخ لمقياس القيم وصلت إلى 0.73، وكانت قيمة الثبات بمعامل سبرمان براون وصلت 0.84، وبلغت قيمته بمعامل فوتمان 0.81، وعليه نستنتج أن قيم الثبات عالية ومرتفعة، مما يؤكد على تمتع مقياس القيم بمستوى جيد من الثبات.

إنّ النتائج المتحصّل عليها من خلال حساب الصدق والثبات جعلتنا نطمئن لاستخدام مقياس القيم في الدراسة الأساسية، فالبتالي اعتمدناه وطبقناه على العينة الدراسية.

9-2- مقياس توكيد الذات:

9-2-1- نبذة عن مقياس توكيد الذات:

وضع راتوس (**Rathus**) مقياس توكيد الذات عام 1978، وتمّ ترجمته إلى اللغة العربية من طرف محمد الشناوي عام 1986 بالمملكة العربية السعودية، وقد تمّ تقنينه على طلبة الجامعة.

استخدم هذا المقياس في دراسات عربية عديدة، فضلاً عن أنّ المقياس في صورته الأجنبية ما زال يستخلم حتى الآن في كثير من البحوث والدراسات، كما أنه يتمتع بخصائص سيكومترية جيدة، ويتكون من 29 عبارة تقيس السلوك التوكيدي. (مهدي العوض، 2017، ص 51)

يتألف مقياس توكيد الذات من (29) عبارة والمطلوب منك أن تقرأ تلك العبارات ووضع إشارة (X) في المكان المناسب على ورقة الإجابة من بين الإجابات الستة التالية: تعبّر عني تماماً، تعبّر عني، لا تعبّر عني إلى حدّ ما، لا تعبّر عني إلى حدّ ما، لا تعبّر عني، لا تعبّر عني على الإطلاق.

9-2-1- تصحيح المقياس مقياس توكيد الذات:

العلامة الكلية على المقياس تتراوح بين (+87، -87)، ويمكن الحصول على العلامة الكلية للمقياس بتغيير إشارة كل العبارات المتبوعة (*) وإضافة علامة هذه الفقرات لباقي الفقرات.

مثال: إذا كانت إجابة عبارة متبوعة بنجمة (+2) ضع إشارة (-) قبل الاثنين، وإذا كانت إجابة عبارة متبوعة بنجمة (-3) غير إشارة السالب إلى إشارة (+) لتصبح (+3).

العلامة على كل بعد من أبعاد المقياس يمكن الحصول عليها بنفس الطريقة السابقة مع الأخذ بعين الاعتبار عدد عبارات كل بعد.

عرف المستوى المطلوب للتحسن بزيادة في العلامة لا تقل عن (20).

جدول رقم (04): عبارات مقياس توكيد الذات

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| العبارات | رقم العبارات |
|---|--|
| العبارات السالبة المتبوعة بنجمة (*) | 01-02-04-05-09-11-12-13-14-15-16-17-19-23-24-26-29 |
| العبارات الموجبة غير المتبوعة بنجمة (*) | 03-06-07-08-10-18-20-21-22-25-27-28 |

(ناصر الدين أبو حماد، 2008، ص 34)

9-2-3- الخصائص السيكومترية لمقياس توكيد الذات:

تم إعادة حساب الخصائص السيكومترية لمقياس توكيد الذات في البحث الحالي وذلك بحساب الصدق والثبات، وذلك كما هو موضح فيما يلي:

أ- حساب صدق مقياس توكيد الذات: وتم ذلك بحساب صدق المحتوي (صدق المحكمين) والصدق الذاتي.

- **صدق المحكمين:** للتحقق من صدق المقياس تم عرضه على عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الواقعة بالقطب الجامعي "تامدة"، الملحق لجامعة مولود معمري لولاية تيزي وزو، وطلب منهم الحكم على مدى ملائمة فقرات لمقياس ممارسة القيام، ومدى سلامة ووضوح عباراته. وبعد الاطلاع عليها من طرفهم أبدوا رأيهم وملاحظتهم حول المقياس، أعربوا في مجملهم عن صدق المقياس، وذلك بالاعتماد على طريقة لوتشي الإحصائية للحصول على معادلة اتفاق المحكمين للعبارة باعتبارها أساسية في قياس المهارة التي تندرج تحته. وقد تم حسابه على النحو التالي:

$$CVR = \frac{We - \frac{n}{2}}{\frac{n}{2}} \quad CVR = \frac{9 - \frac{10}{2}}{\frac{10}{2}} \quad CVR = 0.80$$

حيث تشير CVR الى نسبة صدق المحتوى.

اما We : فتعبر عن عدد المحكومين الذين اتفقوا على ان العبارة أساسية في قياس المهارة التي تنتج تحته.

$\frac{n}{2}$: العدد الكلي للمحكمين مقسوم 2.

أسفرت المعالجة الإحصائية لدرجة اتفاق المحكمين أنّ نسبة صدق محتوى الفقرات تتراوح ما بين 0.80 إلى (1) وفي كل دالة عند مستوى 0.05، وهذا بعد إجراء التعديلات المناسبة في ضوء ما أبدوه من مقترحات وتوجيهات.

- **الصدق الذاتي:** يحسب الصدق الذاتي للاختبار بحساب الجذر التربيعي للثبات.

$$\text{معامل الثبات} = 0.96$$

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الصدق الذاتي = 0.98

وتعبّر النتائج المتحصل عليها أن مقياس توكيد الذات يتميز بصدق عال.

ب- حساب ثبات مقياس توكيد الذات:

وتم الاعتماد في الدراسة الحالية في حساب الثبات على طريقة ألفا كرونباخ، طريقة التجزئة النصفية بالاعتماد على معامل برسن، وتعديل النتيجة بمعامل سبيرمان براون.

جدول رقم (05): قيم معامل الثبات لمقياس توكيد الذات

| الاختبارات | درجة الثبات |
|---------------------|-------------|
| معامل ألفا كرونباخ | 0.96 |
| معامل سبيرمان براون | 0.89 |

من خلال الجدول رقم (05) يتضح أن قيمة ألفا كرونباخ لمقياس القيم وصلت إلى 0.96، وكانت قيمة الثبات بمعامل سبيرمان براون وصلت 0.89. وعليه نستنتج أن قيم الثبات عالية ومرتفعة، مما يؤكد على تمتع مقياس القيم بمستوى جيد من الثبات.

إنّ النتائج المتحصل عليها من خلال حساب الصدق والثبات جعلتنا نطمئن لاستخدام مقياس توكيد الذات في الدراسة الأساسية، فالتالي اعتمدها وطبقناه على العينة الدراسية.

10- عرض وتحليل ومناقشة نتائج البحث:

بعد تطبيق مقياس "القيم" ومقياس "توكيد الذات"، تم جمع المعطيات وفرزها وفق الإطار المنهجي المحدد ثم تبويب البيانات في جداول.

10-1- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

ولقد كانت تنص على أنه:

"توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي".

للتحقق من صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام معامل ارتباط بيرسن لاختبار طبيعة العلاقة بين الدرجات التي تحصل عليها أفراد العينة على مقياس القيم والدرجات التي تحصلوا عليها على مقياس توكيد الذات. وذلك لدى عينة من طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري، تيزي وزو.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هذا وقد جاء معامل الارتباط بين ممارسة القيم وتوكيد الذات بعد إخضاع معطيات الدراسة العددية للمعالجة الإحصائية كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (06): معامل الارتباط بين ممارسة القيم وتوكيد الذات.

| العينة | متغير الدراسة | قيمة معامل الارتباط | مستوى الدلالة المحسوبة | مستوى الدلالة المعتمدة | القرار |
|--------|---------------|---------------------|------------------------|------------------------|-----------------|
| 155 | ممارسة القيم | 0.60 | 0.003 | 0.01 | توجد علاقة دالة |
| | توكيد الذات | | | | |

نلاحظ من خلال الجدول رقم (06) أنّ مستوى الدلالة المحسوب والمقدر بـ (0.003) أصغر من مستوى الدلالة المعتمد والمقدر (0,01)، مما يؤكد أن المتغير المستقل يؤثر في المتغير التابع، وهذا يعني أنه توجد علاقة دالة إحصائية بين متغيري الدراسة، أي بين متغير ممارسة القيم ومتغير توكيد الذات. ويظهر ذلك من خلال قيمة معامل الارتباط التي تساوي 0.60.

أثبتت إذن نتائج الفرضية الأولى وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي، وهذا يتضح من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (06)، وجاءت هذه العلاقة موجبة، بمعنى ممارسة القيم يتناسب تناسباً طردياً مع توكيد الذات لدى طلبة عينة الدراسة. فالقيم تكتسي أهمية بالغة في تكوين شخصية الفرد وتثبيت دعائمها، وتجعل منه إنسان متوافق مع نفسه ومع مجتمعه، يسعى جاهداً لخدمته لما فيه صلح لنفسه، لأسرته، ولكافة أفراد مجتمعه بصفة عامة، مما يجعله أكثر توكيداً لذاته وهويته الداخلية، لأن القيم كما عرّفها الباحثة إليوت (Elliott C., 1999) هي: "المادة التي بنيت من هوياتنا".

وتقول أوديل جينوز (Odile Geinoz, 2016) أنّ القيم هي معتقدات عميقة الجذور فينا والتي تفسّر دوافعنا ويمكن استخدامها لفهم احتياجاتنا بشكل أفضل. وهي أي القيم هي التي توجه خيارات أنماط حياتنا، وسلوكياتنا، وأفعالنا.

فالقيم ليست تفاهات ورثناها من حقب ماضية، وإنما تعبّر مفرداتها القوية والمصممة عن قناعات عميقة حول توجهاتنا المعيارية وعلى ما يجب أن نفعله. (A. Edel, 1988)

وهي متعلقة بالأسرة والمدرسة ودور العبادة والمؤسسات الأهلية التي تدعم القضايا الاجتماعية، حيث إن القيم ترتبط بالأفكار والمبادئ والاتجاهات المقبولة في المجتمع في توضيح الطرق والوسائل المختلفة التي يجب أن

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يسلك في ضوءها الطالب حتى يحقق أهدافه. لأن تأكيد الذات ما هو إلا التعبير الملائم عن أي انفعال نحو موقف وأشخاص والتعبير الصادق والمباشر عن الأفكار والمشاعر الشخصية، فالسلوك التوكيدي، سلوك متصل بالعلاقات الشخصية وذلك من خلال التساوي والتوافق بين المشاعر الداخلية والسيكولوجية الظاهرية والقدرة على التواصل مع الآخرين بطريقة كيفية، والذي يتداخل مع مواضيع أخرى (كالحاجات، الدوافع، الاهتمامات، المعتقدات، الاتجاهات، مستوى الطموح، التنشئة الاجتماعية، التوافق النفسي.. الخ).

بيّنت دراسات علم النفس أنّ هناك ارتباط وثيقا بين القيم والشخصية، فإذا عرفنا قيم الشخص فإننا نعرف شخصيته جيدا، فالقيم تعتبر تفسيراً للسلوك، وهي من أهم الوسائل التي تزيد فهمنا للشخصية الانسانية وتمكننا من تفسير الاختلافات في السلوك. ويمكن ربطه أيضا بالسمات الشخصية.

جاءت دراسة **فتحى مصطفى الزيات (1990)** لتبحث عن العلاقة بين النسق القيمي ووجهة الضبط والدافعية للإنجاز لدى عينة من طلاب جامعة المنصور، ولقد أشارت نتائج البحث إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين دافعية الإنجاز ووجهة الضبط على القيم الست وهي قيم سياسية، اجتماعية، اقتصادية، جمالية ونظرية.

هدفت دراسة **أمين سعد (2003)** إلى وقوف على أثر استخدام الانترنت على القيم والاتجاهات الأخلاقية للشباب الجامعي والتي توصلت إلى أن حوالي 74% من الشباب يعتقدون أن هناك مخاطر أخلاقية للانترنت، وهناك استخدام من طرف الشباب للمواقع الإباحية والمحادثات وتحميل الأغاني والنعيمات والانضمام لجماعات عالمية مشبوهة وقد جاء الترفيه على رأس الموضوعات. (مخلوف بومدين، 2010، ص 23)

جاءت دراسة **بنت علوي هاشم الخصاب (2004)** نقلا عن إبراهيم حمد المبرز (2011)، لتبين الإتجاهات نحو التغيير الذي قد يحدث في القيم نتيجة مشاهدة القنوات الفضائية، وهذه القيم هي (قيمة العلاقات الأسرية، قيمة التفكيك الاجتماعي، التعاطف، القيم المتعلقة باختيار المهنة، الصداقة، والسلوك الاستهلاكي الاجتماعي).

10-2- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

ولقد كانت تنص على أنه: " الطلبة الجامعيون يميلون إلى القيم العصرية "

للتحقق من صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام النسب المئوية لمجموع عينة البحث المتمثلة في طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، بالنسبة لمتغير ممارسة القيم، والنتائج كما هي موضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم (07): مدى ممارسة الطلبة للقيم العصرية والتقليدية

| القيم التقليدية | | القيم الحديثة | | المجموع | |
|-----------------|----------------|---------------|--------|---------|--------|
| العدد | النسبة المئوية | العدد | النسبة | العدد | النسبة |
| | | | | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | |
|---------|-----|---------|----|-------|----|
| المئوية | | المئوية | | | |
| %100 | 155 | %59.5 | 63 | %40.5 | 92 |

يتضح من خلال الجدول رقم (07) أن 92 من طلبة عينة البحث أي ما يعادل 40.5 % يمارسون القيم التقليدية، و63 من طلبة عينة ما يعادل 59.5 % يمارسون القيم العصرية، وهذا يعني أنّ الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية أكثر من القيم التقليدية.

توصلت إذن نتائج الفرضية الثانية أنّ الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية بنسبة أكبر من القيم التقليدية، وأنهم يحبون الإستمتاع بالحياة وبكل ملذّاتها وبالحاضر، والاستمتاع بالصحة والأصدقاء والاختلاط مع الآخرين، ويتميزون بالتساهل في العمل بدلا من التشدد بالخلق، والاهتمام والقلق من أجل المستقبل، والانضباط الأخلاقي والديني وذلك توفقا مع المرحلة العمرية الدراسية التي يعيشونها وهي المرحلة الجامعية.

وتتميز هذه الفئة العمرية بمرحلة المراهقة المتأخرة (19-26 سنة) وبداية مرحلة الرشد، لذا نجد عندهم بعض سلوكيات المراهقة المتأخرة، ولا يبدوون بعد إهتمام في تحمل المسؤوليات الاجتماعية (العمل، تكوين الأسرة، الأولاد... الخ). كما أنّ الجامعة مجال مفتوح وعالم جديد للاستكشاف والتثقيف بالنسبة للطلاب، ومناخ لاستعمال وسائل وتقنيات متفتحة جديدة (الانترنت، التواصل مع العالم الخارجي... الخ) مما جعل الطلبة يفضلون القيم العصرية على التقليدية لأنها توافق أكثر عصرهم وطموحاتهم، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه بعض الدراسات من بينها دراسة ستوانق لو (Lou Setoung, 1992) التي تعطي فكرة عن القيم السائدة لدى الطلبة في المجتمع الصيني، وأظهرت نتائج هذه الدراسة التفصيل القيمي للعينة من الطلبة الصينيين، وأنّ استخدام مسح القيم لروكيش أظهر تشددا عظيما على القيم الشخصية، ويتسم بالكفاءة وميل الطلاب لتفضيل نمط الحياة المبهج والمريح والحر في المجتمع، ولقد وجد أن أهم أربع قيم نهائية هي: الحرية والصدقة والسعادة والحياة المريحة، وكانت أقل القيم الغائبة في الحب العاطفي الناضج، الأمن القومي، الحياة المثيرة، الخلاص (التطهير من الخطيئة)، والقيم الوسيلة الأربعة الهامة في القدرة، المرح، التفتح، العمل، العقلانية، أما القيم الوسيلة الأقل أهمية في المنطقية، التخيلية، النظافة، الطاعة.

قام الباحث هاشم عبد الرحمن (2011) بقياس ثلاثة أنواع من القيم في الجمالية والسياسية والاقتصادية، ثم قياس تفضيلات العينة للقيم العصرية أمام القيم التقليدية، وقدمت اتجاهات القيم العصرية، التي فضلها الشباب وعينة الدراسة من حيث كونها قيم عصرية إيجابية أم سلبية.

من أهم النتائج التي توصلت إليه الدراسة، أن التفكير في القيم لدى الشباب اليمني كان بشكل كبير، حيث كان العدد الإجمالي للقيم العصرية المنبثقة من قبلهم يساوي (22) قيمة عصرية من أصل (30) قيمة كانت لوضوح البحث، وجدت التفكير القيمي في القيم الاجتماعية بشكل أكبر من القيم السياسية والاقتصادية، وجود ارتباط قوي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بين كثافة القنوات الفضائية وحدوث تغيير قيمي لدى الشباب في القيم الإجمالية والقيم الاقتصادية وأنّ عامل القنوات الفضائية كان أكبر عامل أحدث تغييراً قيمياً.

لكن بالنظر إلى الجدول رقم (06) تبين لنا أن هناك نسبة معتبرة من الطلبة 40.5% يميلون إلى ممارسة القيم التقليدية، وهذا أيضاً يعبر على مدى تمسك أفراد المجتمع الجزائري منهم الطلبة بتقاليدهم الأصلية كون مجتمعنا مجتمع تقليدي بالأصل رغم التطور والاحتكاك بالعالم الخارجي، وهذا ملاحظ في منطقة القبائل كونها منطقة قروية أكثر، والطلبة مجبرون على التمسك ببعض القيم وممارستها على الأقل أثناء تواجدهم مع الأهل خارج إطار الجامعة، مثل السكن مع الأسرة الممتدة من بعد الزواج والإنجاب، ذلك للعناية بالوالدين، التعاون مع الآخرين في أمور كثيرة، الإلتزام بلباس معين (محتشم مع الأهل)، الجانب التراثي، وإذا إتبعنا العلاقات الاجتماعية قبل 20 عام والقيم الجميلة التي كانت مغلقة بالحب والتعاون والمشاركة في الأفراح والأحزان، حيث كان المجتمع كأسرة واحدة لا تهنأ أسرة بطعام أو شراب إلا إذا تناوله الجميع، ولا يرتاح بال شخص إذا كان جاره مهموم، حيث كانت المحبة تسود وكان الحقد والحسد مرفوض وكان مستوى الصحة النفسية مرتفع، واليوم للأسف حدث تراجع شديد في هذه القيم بدعوى أعباء الحياة وضغوطاتها التي تجعلنا نبتعد عن صلة أقرب الأقربين، وأيضاً أشكال الاحتفال بالمناسبات، ففي السابق كان يسودها البساطة والعشوائية والسرعة أحياناً، واليوم نجد الاحتفالات أخذت طابعا مختلفا فهي مادية ومكلفة وتحتاج إلى تخطيط وجهد وحتى المشاركة الوجدانية بها تغيرت واختلفت.

خاتمة:

تعتبر القيم من العوامل الأساسية التي تنبع من داخل شخصية الطالب حيث تؤثر على توكيد ذاته. تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصيته، سلوكه، إعادة تشكيل أفكاره، مفاهيمه عن الحياة وكذلك تسمح له بالتنبؤ بردود أفعاله وتصرفاته والتعبير عن آرائه لما يجول في خاطره من معتقدات، مشاعر وأحاسيس. الطالب الجامعي جزء من المجتمع الذي يعيش فيه والذي يشكل شخصيته كما يتأثر بالعوامل، المتغيرات والظروف ذات العلاقة في جوانب الحياة المختلفة. بالرغم من عدم تحقيق الفرضية المطروحة في البحث الحالي جدول إلا أنّ النتائج المتحصل عليها أثبتت مدى وجود تغيير في نسق القيم الممارسة من طرف الطلبة الجامعة في مجتمعنا، حيث أنه أصبح التركيز أكثر على القيم العصرية وهذا طبعاً متماشياً مع متغيرات العصر، رغم تمسك نسبة معتبرة من أفراد عينة البحث بقيمهم التقليدية كون المجتمع الجزائري مجتمع تقليدي رغم العصرية.

مراجع البحث:

- بركات حليم (1984)، المجتمع العربي المعاصر، بحث إستطلاعي إجتماعي، بيروت، الطبعة الثامنة 2004.
- أحمد رجب الأسمر (1997)، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- بشير معمري (2007)، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، منشورات الحبر.
- محمد شفيق (2003)، الإضطرابات النفسية للأطفال، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والتعليمية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- محمد بوعلاق (2009)، **الموجه في الإحصاء الوصفي والاستدلالي في العلوم النفسية والاجتماعية**، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر.
- طه حسين عبد العظيم (2006)، **مهارات توكيد الذات**، الإسكندرية، الوفاء لدنيا للطباعة والنشر.
- فواز بن محارب المطري (2009)، **توكيد الذات وعلاقته بالتوافق البدنية العسكرية**، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية، الرياض.
- مهدي العوض (2017)، **توكيد الذات وعلاقته باتخاذ القرار لدى عينة من طلبة جامعة دمشق**، مجلة جامعة البعث، المجلد 39، العدد 69، ص 37-73.
- Odile Geinoz, **L'IMPORTANT DES VALEURS**, 15 JANUARY 2016, <http://www.cheminement.com>.
- C. Elliott, 1999, **A Philosophical Disease : Bioethics Culture and Identity**, New York et Londres, Routledge.
- A. Edel, 1988, **Values and Value Theory in Twentieth-Century America**, Philadelphia, Temple University Press.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار

أ.د عواريب الاخضر

مخبر علم النفس وجودة الحياة-جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

مقدمة البحث:

من المعلوم منذ القدم أن أي مجتمع تحكمه منظومة قيم تميزه عن بقية المجتمعات وأن هذه المنظومة القيمية تؤثر تأثيرا بالغا في الحياة الاجتماعية ، في جميع مجالاتها ، ومن أهم القيم التي تتشكل منها هذه المنظومة قيم الحوار ، ونقصد بذلك ممارسة الحوار في مختلف التعاملات وفي جميع الأوساط الاجتماعية ، ومن المعلوم كذلك أنه متى شاعت قيم الحوار ووجدت لها انتشارا وتجسيديا بين أفراد المجتمع انعكس ذلك عليه باللحمة والاستقرار وبالتالي التطور والازدهار وبالمقابل متى غابت هذه القيم وطغت عليها قيم التسلط والاستبداد أدى ذلك لا محالة إلى ضرب وحدة المجتمع واستقراره والنتيجة المحتومة في النهاية هي التخلف والانحدار. ولعل أبرز مثال على ذلك هو حال المجتمعات العربية التي تعصف بها الفتن والحروب في العديد من البلدان ، ومما لاشك فيه أن من أهم الأسباب التي أفرزت هذه الحال هي غياب ثقافة الحوار أو بعبارة أخرى فإنه لا يمكن تفسير هذه الحالة من التنافر والاحتراب التي تشهدها بعض البلاد العربية بعيدا عن غياب الممارسة الحوارية.

وتلعب المنظومة التربوية إن في البيت أو في المدرسة أو في المسجد أو غير ذلك من مؤسسات المجتمع الأخرى دورا بارزا في ترسيخ ثقافة الحوار وإشاعتها بين أفراد المجتمع ، وليس ذلك فحسب بل وتوريثها كعنصر من العناصر الثقافية المهمة التي ينبغي أن تتشربها الأجيال صاغرا عن كابر ، وهذه هي في الحقيقة المهمة الأساسية للتربية ، إذ التربية كما يعرفها (دور كايم) أنها العمل الذي تقوم به أجيال الكهول على تلك التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية وتهدف أساسا إلى تطوير عدد من الملكات الجسدية والفكرية والروحانية والأخلاقية لدى الطفل أي الملكات التي يتطلبها منه المجتمع المدني عامة والوسط الاجتماعي الذي سيعيش فيه خاصة . (شيشوب .1991 ص 22) . ولا شك أن من أهم الملكات التي ينبغي أن يتزود بها الفرد من خلال العملية التربوية التي يتلقاها في جميع المؤسسات التربوية ملكة الحوار والتواصل بصورة ايجابية مع أبناء مجتمعه .

وهذا يفيد بأن مجرد وجود مرجعية معينة تتضمن قيم الحوار وتحث عليه لا يكفي لتحقيق هذه الغاية العظمى ، بل لا بد من تجسيد هذه القيم وترجمتها في السلوك الاجتماعي اليومي .

وهذا ما يطرح إشكالية النظرية والتطبيق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فنحن نمتلك ثروة هائلة في القرآن والسنة بخصوص قيم الحوار، ولكن هذه القيم تكاد تكون معدومة في حياتنا الاجتماعية بداية من أبسط علاقة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كتلك العلاقة التي تربط الطفل بوالديه في البيت مروراً بعلاقة التلميذ بمعلمه في المدرسة وصولاً إلى علاقة الحاكم بالمحكوم.

أي إننا حينما نعود إلى واقعنا الاجتماعي فإننا نلاحظ نوعاً من الغياب لثقافة الحوار في التعامل اليومي. ففي الأسرة مثلاً ليس هناك تجسيد لقيم الحوار بين الطفل ووالديه وإنما في الغالب هناك أوامر تملى عليه ليس له الحق في أن يردّها أو أن يكون له رأي فيها مع العلم أن الطفل كما تثبت كثير من الدراسات يقتدي بهما في كل شيء بما في ذلك أسلوب الحوار معه خاصة منها تلك الدراسات التي أجريت في مجال القدوة والتي كشفت عن أهمية القدوة في مواقف عديدة من الحياة .

وقد لاحظت سوزان في دراسة لها في هذا المجال أن الأسرة تعتبر من العوامل الأساسية التي تُحدث تأثيراً كبيراً على الأطفال ويظهر هذا التأثير خاصة في تشجيع بعض الأطفال بقيم الحوار دون غيرهم (صالح عبد العزيز ص86)

ونفس الأمر ينطبق على المدرسة فالمناهج الدراسية المعتمدة في مدارسنا اليوم في غالب الأحيان لا تشجع على الحوار داخل المدرسة أو بعبارة أخرى لا زالت المناهج الدراسية في واقعنا التعليمي مقيدة بحبال التربية التقليدية التي تقوم على ما يسمى في علوم التربية ب(العلاقة التسلطية) بين المعلم والمتعلم والتي تعني أن يكون المعلم هو المهيمن والمسيطر على العملية التعليمية وأن المتعلم لا دور له في ذلك سوى الاستماع والتلقي . وما يقال عن الأسرة والمدرسة يقال كذلك عن المسجد كمؤسسة تربوية تؤثر تأثيراً بالغاً في الحياة الاجتماعية .

هذه هي الإشكالية التي نريد معالجتها في هذه الورقة للتأكيد على دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار عند الطفل ومن ثم فإن الأهداف المتوخاة من خلال هذا البحث هي كالتالي :

أهداف البحث : يهدف هذا البحث الى

إبراز أهمية القيم الحوارية في الحياة الاجتماعية

إبراز دور المؤسسات التربوية الفاعلة في تنمية القيم الحوارية

إبراز دور الأسرة في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

إبراز دور المدرسة في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

إبراز دور المسجد في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

ولمعالجة هذه الإشكالية لقد اعتمدنا الخطة التالية :

أولاً : تعريف الحوار لغة واصطلاحاً

ثانياً : أهمية الحوار في الحياة الاجتماعية على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي

ثالثاً : دور المؤسسات التربوية في تنمية القيم الحوارية مركزين في ذلك على الأسرة والمدرسة والمسجد

باعتبارها المؤسسات الأكثر تأثيراً وارتباطاً بالحياة الاجتماعية .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفيما يخص المنهج المتبع في هذا البحث فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة الظاهرة كما هي في الواقع ، ثم ذكر أسبابها وخصائصها وصفاتها ونتائجها ومقدار تأثيرها على الإنسان . هذه هي الإشكالية التي نريد أن نعالجها في هذه الورقة لنؤكد من خلالها على اثر التربية في تنمية القيم الاجتماعية النبيلة التي يسعى كل مجتمع إلى ترسيخها في سلوك أفرادها ، كما نؤكد في نفس الوقت على الدور المنوط بالمؤسسات التربوية المتمثلة خاصة في الأسرة والمدرسة والمسجد ، وقبل ذلك يجدر بنا أن نتعرف على مفهوم الحوار وأهميته في الحياة الاجتماعية .

أولاً : مفهوم الحوار :

يعرف الحوار لغة بأنه الرجوع عن الشيء والى الشيء ، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظ (حوار) التي تدل على التحادث والتجاوب القولي . (ابن منظور ص 750)

والمحاورة حسن الحوار ، ومنها أيضا كلمته فما رد على محورة أي كلام (الزمخشري ص 98) وتتسع دلالة الحوار معجميا فتكون بمعنى جادله ، ذلك لان الجدل يعطي فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين ، وتساق هذه المادة إلى معنى آخر هو التغيير فنقول حور الكلام أي غيره . والحوار حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس . (جبور 1979 ص 100)

أما من الناحية الاصطلاحية فهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر احدهما دون الآخر (الفيافي 1427 ص 30)

ولقد ورد لفظ الحوار في قوله تعالى في سورة الكهف:

« وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا » الكهف الآية رقم 34.

وكذلك في قوله تعالى في سورة المجادلة :

« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ » المجادلة الآية رقم 01.

ثانيا : أهمية الحوار في الحياة الاجتماعية :

يكتسي الحوار أهمية بالغة في حياة الإنسان ، وإنما لا نستطيع أن نتصور حياة إنسانية بدون وجود حوار يحقق ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي داخل المجتمع ، ولولا الحوار الذي يُعد ظاهرة إنسانية لتعطلت الكثير من المصالح التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها سواء على مستوى حياته الفردية أو الجماعية ، وبهذا تبرز حكمة الله عز وجل في أنه خلق الإنسان وزوده بالأداة التي تساعده على التحاور مع غيره والتواصل معهم، وتتمثل هذه الأداة في اللغة التي تولد مع الإنسان كاستعداد فطري ثم ينمو هذا الاستعداد مع نمو الإنسان وتقدمه في السن ليتحول إلى لغة يعتمد عليها الإنسان في عملية التواصل ، ويلعب الحوار دورا هائلا في إحالة هذا الاستعداد إلى أداة للتواصل الاجتماعي .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والاهم من هذا أن الحوار لم يعد ينظر إليه على أنه مجرد أداة للتواصل الطبيعي بين الأفراد في المجتمع وإنما بات ينظر إليه على أنه مؤشر للتحضر وعامل من عوامل التطور لأي مجتمع من المجتمعات ، فمتى انتشرت ثقافة الحوار في جميع الأوساط والمؤسسات الاجتماعية ، في الأسرة وفي المدرسة وفي العمل وفي الإدارة ، ومتى مدت جسور الحوار بين الهيئات النقابية وأرباب العمل وكذلك بين الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني مع الهيئات الحاكمة ومتى سادت ثقافة التشاور وتبادل وجهات النظر بين جميع الأطراف الفاعلة في المجتمع كانت النتيجة في النهاية هي تحقيق التطور المنشود في شتى مجالات الحياة . يقول بدر بن محمد مؤكداً على هذا المعنى: "ما أكثر الدول التي قفزت قفزات كبيرة في التطور التقني وأصبحت يشار إليها بالبنان عندما تبنت الحوار وآمنت به" (بدر . 2011 . ص 19)

إذا هكذا صار ينظر إلى الحوار على أنه ليس مجرد أداة للتحادث في شأن من الشؤون أو قضية من القضايا وإنما هو قيمة من القيم التي تساهم مساهمة فعالة في تحقيق النهضة الاجتماعية والصناعية معا. وعلى أية حال يمكن تلخيص أهمية الحوار في النقاط التالية:

1- على المستوى الفردي:

- هو وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس.
- هو وسيلة لنقل الأفكار والانشغالات والاهتمامات.
- يساعد على انفتاح الفرد على الغير والتحرر من الانعزالية التي قد تفضي إلى حالة من الحالات النفسية التي يصعب علاجها.
- يعتبر الحوار عاملاً من عوامل نمو الشخصية خاصة في جانبها اللغوي والاجتماعي.

2- على المستوى الجماعي:

- يساعد على تحقيق التآلف والتعاون اللذين أمر الله عز وجل بهما في سورة الحجرات حيث يقول : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الحجرات الآية رقم 13.
- ولا شك أن الحوار هو الأداة التي يتم الاعتماد عليها لتحقيق التعارف بين الناس مهما اختلفت أجناسهم وألسنتهم وأديانهم ومشاربهم الثقافية.
- يساعد على حل الخلافات والنزاعات بين الأفراد والجماعات التي كثيرا ما تنجم عن سوء التفاهم وغياب لغة الحوار.

- يعتبر أداة فعالة لتحقيق التطور والازدهار في جميع الميادين كما بينا سابقا .
- وباعتبار أن المؤسسات التربوية الممثلة في الأسرة والمدرسة والمسجد تلعب دورا مهما في تنمية قيم الحوار في الحياة الاجتماعية ، فإننا نريد أن نسلط الضوء على الدور الذي يمكن أن تقوم به كل مؤسسة من هذه المؤسسات للقيام بهذه المهمة وللوصول إلى هذه الغاية العظمى.

ثالثا: دور الأسرة في تنمية قيم الحوار :

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تُعتبر الأسرة المؤسسة الأولى التي تحتضن الطفل وتستقبله بعد عملية الميلاد مباشرة ثم يقضي الطفل بعد ذلك طفولته الأولى التي تمتد إلى ثلاث سنوات تقريبا مرتبطين بأسرته من أجل إشباع حاجاته البيولوجية والنفسية ، ومن المعلوم أن هذه السنوات الأولى التي يقضيها الطفل في أسرته تؤثر تأثيراً بالغاً في تكوين شخصيته . ويؤكد علماء النفس والمربون على حساسية هذه المرحلة وأهميتها في تربية الطفل وإعداده للمستقبل ، ولقد أثبتت الدراسات النفسية أن كثيراً من الأزمات والاضطرابات التي تصيب الطفل بعد ذلك بأنها ترتبط بشكل أو بآخر بنوعية التربية التي تلقاها في الصغر وبالظروف الأسرية التي عاشها وبأسلوب التنشئة الاجتماعية التي عومل بها. ولقد أظهرت الدراسات العلمية التي أجريت عن الأطفال الجانحين أن السبب الأساسي في جنوح الأطفال هو تفكك الأسرة إذ أن أكثرية هؤلاء الأطفال إنما يأتون من بيوت تكون فيها الأم مطلقة أو يكون فيها الأب سكيراً أو قليل العناية ببيته وأولاده....(حداد 1977 ص 32)

ويختلف دور الأسرة في تربية الطفل بحسب التغيرات التي تحدث في الحياة الاجتماعية ، فلئن كانت الأسرة سابقاً تنفرد إلى فترة طويلة في تربية الطفل وتنشئته اجتماعياً ، فإن الأمر لم يعد كذلك الآن فلقد برزت إلى الوجود مؤسسات أخرى صارت تنافس الأسرة وتشاطرها في هذه العملية ذلك أن التطور الاجتماعي الذي عرفته مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين قد جعل الدور التربوي يتقلص لفائدة مؤسسات اجتماعية أخرى مثل المدرسة ودور الحضانة ورياض الأطفال . (شيشوب 1991 ص 167)

يضاف إلى ذلك ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة من وسائل مختلفة ومتعددة صارت هي الأخرى مصدراً من مصادر التربية والتوجيه وتمثل هذه الوسائل في التلفزيون والقنوات الفضائية المختلفة والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وغير ذلك من الوسائل التي أصبح الأطفال في سن الطفولة والمراهقة يرتبطون بها ارتباطاً كبيراً ويقضون جزءاً مهماً من الوقت في متابعة ما تبثه من برامج وما تعرضه من مشاهد ونشاطات، ولا شك أن هذا الوضع أفرز الكثير من القيم الاجتماعية التي لم تكن موجودة من قبل والتي أثرت بشكل أو بآخر في التعاملات الاجتماعية ، وكان من آثارها الخطيرة غياب لغة الحوار داخل الأسرة مما أدى إلى حالة التفكك والبرودة في العلاقة الأسرية . أمام هذا الواقع وهذه التحديات يصعب على الأسرة أن تقوم بمهمتها المنوطة بها وحدها وإنما هي بحاجة إلى أن تجد دعماً وسنداً من بقية المؤسسات الاجتماعية .

ومهما يكن الأمر يبقى على الأسرة أن تتحمل مسؤوليتها وأن تفرض نفسها وأن تتكيف مع الظروف التي تحيط بها ليكون لها النصيب الأوفر في رعاية أبنائها ووقايتهم مما يتهددهم من الأخطار . من خلال ما سبق بيانه يتأكد لنا بأن وظيفة الأسرة تجاه أبنائها ليست وظيفة مادية صرفة تقتصر على النفقة وإشباع الحاجات المادية كما هو حال كثير من الأسر الآن ، وإنما تتعدى ذلك إلى العديد من الوظائف الأخرى والتي من أهمها ما يرتبط بموضوعنا وهوان يتشرب الطفل القيم الاجتماعية النبيلة وان يتعلم كيف يتعايش مع الغير وكيف يتعامل معهم اجتماعياً ، وهذا يتطلب حتماً أن يمتلك قيم الحوار وأن يكون قادراً على ممارستها بإيجابية في حياته الاجتماعية .

وحتى يتسنى للأسرة إعداد الطفل من هذه الناحية ينبغي أن تبني ممارسة تربوية تقوم على الأسس التالية:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار .جمهورية صربيا

1- توفير مناخ أسري مفعم بالحب والموودة والمشاعر الطيبة التي تشجع على التواصل داخل الأسرة ذلك أن قيم الحوار لا تنمو نموًا سليمًا ولا تنبت نباتًا حسنًا إلا في مناخ من هذا النوع بخلاف ما إذا كانت الحياة الأسرية تعاني حالة من الاضطراب و الاستقرار فإن هذا يُعد من أكبر العوائق التي تعوق تنمية قيم الحوار عند الأطفال.

2- أن يكون هناك مستوى معين من الانسجام والتفاهم بين الزوجين ، بحيث يظهر ذلك في العلاقة الزوجية السائدة، وفي لغة الحوار التي تبرز في حديثهما ، فيلاحظها الطفل عن كثب ويتعلمها كما يتعلم بقية القيم والعادات ، وهذا ما يسمى في علوم التربية بالتعلم الاجتماعي الذي يعتمد على ملاحظة السلوك كما يجري في الموقف الاجتماعي ثم محاكاته بعد ذلك وهو ما يسمى في التربية الإسلامية بالتعلم عن طريق القدوة.

3- منح الطفل ما يحتاجه من الحرية والأمن وتشجيعه دوما على الحديث والتعبير عن وجهة نظره ، والتحرر من آثار التربية التقليدية التسلطية التي تقوم على الاعتقاد بأن الطفل لا ينبغي أن يتكلم أو أن يكون له رأي في حضرة من هو أكبر منه ، وأن ذلك يعد من قلة الحياء وسوء الأدب ، كما تقوم على فكرة أن كل ما يقوله الطفل ما هو إلا لغو وليست له أية قيمة . ولا يعلم الوالدان أن طفل هذه الأيام غير طفل الأيام الماضية ، فلقد استطاعت وسائل الإعلام من المذياع إلى الفيديو والتلفزيون والألعاب الالكترونية إضافة إلى السينما والمجلات تزويد الطفل بحقائق كثيرة عن الحياة بحيث يمكن القول أن طفلا في العاشرة في أيامنا هذه يعرف من المعلومات والمعارف ما يفوق عشرات المرات ما كان يعرفه رجل راشد عاش في أجيال سابقة . (حمزة 2002 ص 247) .
وفي نفس الإطار دائما ينبغي استغلال بعض المواقف الاجتماعية في إتاحة الفرصة للطفل ليعبر عن نفسه بدلا من التكلم مكانه كما إذا كان عند الطبيب وسأله عن حاله وعما يؤلمه فالأفضل تربويا أن نرفع عنه الوصاية الوالدية وأن ندعه يتكلم بنفسه، حتى يتدرب على ممارسة الحوار منذ صغره، وهكذا الحال بالنسبة لجميع المواقف الاجتماعية التي يكون الطفل فيها قادرا على التعبير عن نفسه.

4- استشارة الأبناء وإعطائهم الفرصة لإبداء وجهات نظرهم في بعض القضايا والمواضيع التي تتناسب طبعاً مع سنهم ومع مستوى تفكيرهم. ومن الأمثلة على ذلك التشاور معهم في قضايا الدراسة والعمل والزواج وهلم جر من المواضيع التي يقتضي الأمر إشراكهم فيها والإصغاء إلى آرائهم . وهاهو القرآن الكريم يضع بين أيدينا مثلاً رائعاً في التربية الأسرية التي تقوم على الحوار و الصراحة في إبداء الرأي وهذا نجده في قصة سيدنا موسى كما وردت في سورة القصص وذلك حينما التقى مع الرجل الصالح الذي دعاه ليكافئه على عمله فتدخلت البنت طالبة من أبيها أن يستأجره لِمَا رآته من قوة بدنه وقوة خلقه (أمانته) ولعل هذا العرض كان يعبر عن رغبة البنت في الزواج من هذا الشاب الذي جمع بين قوة البدن وقوة الخلق وهذا ما ترغب فيه البنت عادة ، فلم يعترض عليها ابوها ولم يعنفها ولم يعتبر ذلك تدخلا فيما لا يعنيهها ، بل إنه عرض مباشرة على نبي الله موسى بأن يُنكحها إياها.

قال سبحانه وتعالى في سورة القصص:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ' (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّحٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ » القصص الآية رقم 26-27 .

ممارسة الحوار في كل خلاف يحدث سواء داخل الأسرة أو خارجها، فقد يحدث هناك خلاف بين الأب والأم مثلا أو مع الجيران أو مع الأقارب ، فعندما تسود لغة الحوار في حل النزاعات وتجاوز الخلافات ، فإن ذلك يكون بمثابة التربية والتدريب للطفل حتى يتشرب الثقافة الحوارية من خلال التربية الأسرية ليمارسها بعد ذلك في المواقف الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها .

إذا في مثل هذا المناخ الأسري يمكن أن تتعرض قيم الحوار التي نتطلع إليها الآن في واقعنا الاجتماعي ، وبمثل هذه المعاملة الأسرية يمكننا أن نُعد أطفالا قادرين على التعايش مع غيرهم والتشارك معهم في بناء حياة اجتماعية آمنة و مستقرة يسودها الود والحب والإخاء .

رابعا: دور المدرسة في تنمية قيم الحوار عند الطفل:

بعد أن يقضي الطفل سنواته الأولى في أسرته بين أحضان والديه وإخوته ، وبعد أن يصل إلى السن الدراسي فإنه يلتحق بالمدرسة ليجد نفسه في محيط آخر يختلف تماما عن محيط الأسرة ويوجد نفسه مضطرا لأن يتعامل مع أطفال غير الذين كان يتعامل معهم في السابق، ذلك أن المدرسة تضم في العادة أطفالا من مختلف الأحياء ، يكون الطفل بحاجة إلى أن يبني معهم علاقات اجتماعية تساعد على التعايش معهم في المستقبل .

و المدرسة كما هو معلوم هي مؤسسة نظامية لها أهدافها ومناهجها الدراسية التي تسعى من خلالها إلى بناء شخصية الطفل بما يعده ليكون مواطنا صالحا في مجتمعه وفي وطنه الكبير .

وإذا كانت المواطنة تحمل العديد من المعاني، فإن من أهم معانيها أن يتعلم الطفل كيف يتعامل مع غيره باحترام وأن يتشبع بقيم المحبة والتآلف والتسامح والمساواة...إلخ .

ويندرج ضمن هذه القيم بطبيعة الحال أن يتزود الطفل بالقدر الكافي من الثقافة التواصلية الحوارية التي تمكنه من الاندماج بسهولة في مجتمعه وبالتالي التعايش بكل ايجابية مع أفراد، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ينتظر من المدرسة أن تتبنى منظومة تعليمية تقوم على الأسس التالية:

1- وضع مناهج دراسية تخصص مساحة كافية للمواضيع التي تدعم القيم الاجتماعية وتعزز قيم الحوار وتعلي من شأنها وتحث على ممارستها في جميع مجالات الحياة ، ويمكن الحديث هنا بصفة خاصة عن المواد اللغوية والمواد الاجتماعية ولا سيما مادة التربية الإسلامية ، فهذه المواد يمكنها أن تنمي هذه القيم في شخصية الطفل شريطة أن يتم استغلالها استغلالا حسنا .

2- اعتماد الطرائق التدريسية الحديثة التي تتفق كلها على أن العملية التعليمية بمفهومها الحديث ليست مجرد عملية تلقين للمعارف والخبرات ، وأن المتعلم لا دور له سوى أنه يستقبل ما يلقي عليه من طرف المدرس ليقوم باسترجاعه يوم الامتحان ، وإنما تعتبر المتعلم عنصرا شريكا في العملية التعليمية وبالتالي فمن حقه أن يتحاور مع معلمه وأن يسأل وأن يستفسر وأن يكون على تواصل دائم مع مدرسه بحيث يكون هذا التواصل مبنيا على الثقة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والمحبة والاحترام المتبادل ، إذ المقصود في العملية التعليمية التي تجري في المدرسة ليس ما يحفظه المتعلم وما يخزنه من معارف في ذاكرته وإنما ما يتجسد بعد ذلك من قيم في سلوكاته وتصرفاته وما يمكن ان يستثمره في حياته الخاصة والعامة . ولذلك فإن من الطرائق التدريسية الحديثة المعتمدة في تدريس اللغة ما يسمى بالطريقة التواصلية (Communicative Approach) والتي تسند إلى أن اللغة في حقيقتها سواء كانت أصلية أو أجنبية فإنها تؤدي وظيفة تواصلية .

3- الاهتمام بالأنشطة اللاصفية ويقصد بالأنشطة اللاصفية تلك الأعمال المدرسية التي تجري خارج الفصل الدراسي ، والتي تعطى للمتعلم فرصة أكبر للتعامل مع زملائه والتحاور معهم، ومن الأمثلة على هذه الأنشطة الأعمال المسرحية والأدبية والفنية والرياضية والإذاعية التي تبث عن طريق الإذاعة المدرسية والتي يشرف عليها بطبيعة الحال بعض المدرسين والأساتذة حتى يتم توجيهها لخدمة هذه القيم . ويضاف إلى ذلك المسابقات والمنافسات الثقافية والرحلات المدرسية التي تنظم بين الحين والآخر، وغير ذلك من الأنشطة الأخرى التي يتطلب الأمر إعطاؤها أولوية معينة ، واعتبارها محورًا مهمًا في المنهاج الدراسي ، والتي يكون القصد منها دوماً كما بينا إتاحة الفرصة للمتعلمين في مختلف المراحل التعليمية ليتدربوا على ممارسة القيم الحوارية داخل المدرسة من أجل الوصول بهم إلى مستوى من الوعي الاجتماعي يؤهلهم لممارسة هذه القيم كما تتطلبه المواقف الاجتماعية وبالتالي الانخراط بسهولة وبإيجابية في الحياة الاجتماعية.

4- تجسيد مبدأ الحوار في جميع العلاقات التربوية داخل المدرسة ، بداية بعلاقة المعلم بالمتعلم داخل الفصل الدراسي وخارجه و في علاقة المتعلمين بهيئة التدريس و بالإدارة المدرسية ممثلة في مديرها وأعاونها، وكذلك في علاقة الإدارة مع الهيئات الأخرى مثل جمعية أولياء التلاميذ . ومن المفيد في هذا المجال تنظيم لقاءات دورية تلتقي فيها إدارة المدرسة وهيئة التدريس مع أولياء التلاميذ لمناقشة بعض القضايا التي ترتبط بتدريس التلاميذ وبوضعهم الدراسي ، بحيث يفسح المجال للجميع لتداول الآراء حول هذه القضايا ، وإبداء وجهات النظر من اجل والوصول في النهاية إلى علاجات للمشكلات التي تحول دون تحقيق الأهداف الدراسية المرجوة.

هذه هي المدرسة المثالية في جميع علاقاتها وتعاملاتها والتي يتشرب فيها الطفل المتعلم قيم الحوار من خلال الممارسة اليومية وليس من خلال التلقين النظري الذي لا يكون له أي أثر في السلوك.

ومما لا شك فيه أن المرشد المدرسي يساهم مساهمة فعالة في تنمية قيم الحوار عند المتعلمين ، وذلك من خلال الحملات الإعلامية الإرشادية التي ينظمها بين الحين والآخر بحسب البرنامج الذي يسطره في كل موسم دراسي والتي يفسح فيها المجال للتلاميذ ليعبروا عن آرائهم ووجهات نظرهم في كل ما له علاقة بالعملية التدريسية والمناخ التعليمي لي طرحها هو بدوره بعد ذلك في اللقاءات التي تجتمع مع هيئة التدريس والهيئة الإدارية . ومن أهم الخدمات التي يمكن أن يقدمها المرشد المدرسي في هذا المجال والتي تعتبر من صميم عمله أن يتواصل مع اسر التلاميذ لمتابعة حالات بعض الأطفال الذين يواجهون صعوبات في التكيف مع الجو الدراسي ، بما في ذلك صعوبات التواصل مع زملائهم ومع مدرسيهم بغرض تشخيص الأوضاع التي تفرز مثل هذه الحالات ثم البحث بعد ذلك عن العلاج المناسب .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

خامسا: دور المسجد في تنمية قيم الحوار:

إن أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إلى المدينة مهاجراً إليها من مكة المكرمة أنه بنى مسجده الذي يعرف الآن بالمسجد النبوي، ولقد كان المسجد حينها أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار ولتربية الرجال والنساء (النحلاوي 1979 ص 130). وهذا العمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أهمية المسجد ومكانته في المجتمع الإسلامي، كما يدل كذلك على دور المسجد في إرساء القيم الاجتماعية النبيلة التي تحفظ للمجتمع وحدته وتماسكه، ولقد ظهر ذلك جلياً في أول مشروع احتضنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك حينما آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار، تلك الأخوة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، هذه الأخوة التي بلغت إلى حد التوارث حيث صار الأخ يرث أخاه المسلم دون أن تكون بينهما قرابة في النسب، وظلت حقوق هذه الأخوة التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر، حيث نزل في أعقابها قوله تعالى:

« وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » الأنفال الآية 75.

فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث. (البوطي. 1979. ص 199).

ولقد أثنى القرآن الكريم على هذه الأخوة في سورة الحشر في قوله تعالى:

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الحشر الآية 09.

فهذه القيم الاجتماعية العظيمة المتمثلة في الحب والإيثار والإحساس بالآخر كلها تتطلب أن تتعاون جميع مؤسسات المجتمع لإرسائها وإشاعتها بين أفراد المجتمع. ولا شك أن المسجد لما له من قدسية في نفوس المسلمين ولما له من مكانة في المجتمع فإنه يلعب دوراً محورياً ويساهم مساهمة فعالة في بث هذه القيم. وفيه يخص الدور المنوط بالمسجد في تنمية قيم الحوار لدى أفراد المجتمع فإنه يكون من خلال اعتماد منظومة مسجدية تقوم على الأسس التالية:

1- تخصيص جزء مهم من خطب الجمعة للمواضيع التي تتضمن مثل هذه القيم وتؤكد عليها في العلاقات والتعاملات الاجتماعية المختلفة، ولعل من أبرزها موضوع الأخوة والتسامح والمحبة والعفو والتعاون والتكافل والاحترام وغير ذلك من المواضيع التي تحت الفرد المسلم بأن يكون إيجابياً وأن تربطه علاقة اجتماعية طيبة مع جميع أفراد مجتمعه، ومن خلال معالجة هذه المواضيع يمكن التأكيد على الحوار كقيمة اجتماعية وكأسلوب حضاري إسلامي لمعالجة أي نزاع يحدث بين طرفين أو عدة أطراف في المجتمع والتحذير في نفس الوقت من عواقب اللجوء إلى الأساليب الأخرى كبديل عن الحوار. وهذا يتطلب بطبيعة الحال أن يكون إمام المسجد محتكاً بالمجتمع وعلى علم بكل ما يجري فيه من أحداث ترتبط بهذا الجانب حتى يُحسن معالجة هذه المواضيع معالجة سليمة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومن الشروط التي ينبغي على الخطيب أن يأخذها بعين الاعتبار أن يتحاشى قدر الإمكان الخوض في المواضيع الخلافية مهما كان نوعها، لأن ذلك من شأنه أن يثير بعض الحساسيات ويؤجج نار الفتنة بين المسلمين وهذا كما هو معلوم يتعارض تماما مع رسالة المجتمع ووظيفته، ويزداد الأمر خطورة إذا كان الإمام يتحيز في طرحه إلى مذهب من المذاهب أو فكرة من الأفكار. فالإمام يفترض فيه عندما يقف على المنبر أن يكون إماما للجميع وقدوة لجميع المصلين حتى وإن كان يحمل انتماء لمذهب من المذاهب.

2- تجسيد قيم الحوار وترجمتها من خلال انفتاح المسجد ممثلا في إمامه على المجتمع والتحاور مع جميع فئاته وشرائحه والإصغاء إلى ما يبدو منه من آراء وملاحظات وربما انتقادات لكل ما يتعلق برسالة المسجد وكذا المواضيع التي يطرحها الإمام من على المنبر يوم الجمعة وطريقة معالجتها.

ولقد ضرب سيدنا عمر بن الخطاب مثلا رائعا في هذا المجال وذلك حينما اعترضته امرأة من قريش عن المغالاة في المهور وقالت له بعدما نزل من المنبر، يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال بل كتاب الله . بم ذلك؟ قالت إنك نهيت الناس أنفا ان يغالوا في صدق النساء والله يقول في كتابه >>

« وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا

« النساء: 20.

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه منك يا عمر ... ثم رجع إلى المنبر فقال إنني كنت نهيتكم أن تغالوا في صدقات النساء فليفعل كل رجل في ماله ما يشاء (ابن عاشور. 1984. ص 289).

3- مد جسور التواصل بين المسجد والمؤسسات الأخرى مثل المدرسة والنوادي الثقافية وغيرهما والتعاون معها بهدف توعية أفراد المجتمع بالقيم الاجتماعية التي تزرع المحبة والمودة والأخوة وغير ذلك من القيم التي من شأنها توطيد العلاقات الاجتماعية. ويتأتى ذلك من خلال التشارك معها في الأنشطة الاجتماعية والثقافية. وتعطي الفرصة في هذه المناسبة للتحاور وتبادل الآراء من أجل تهيئة فضاء يشجع على ممارسة الثقافة الحوارية بين أفراد المجتمع بمختلف مستوياته وفئاته.

وبنفس الطريقة يمكن أن تنظم منافسات ومسابقات دينية حول القرآن والسنة والسيرة النبوية والثقافة الإسلامية ويمكن أن تتوسع لتشمل مجالات أخرى، المهم في ذلك أن تستغل هذه الأنشطة في إرساء القيم الاجتماعية التي تُنمي ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع وأن يكون للمسجد حضور دائم في كل ما يجري من أحداث في المجتمع.

ونفس الجسور يمكن أن يمددها المسجد مع الهيئات والمنظمات الاجتماعية أو ما يسمى اليوم بالمجتمع المدني ويعني ذلك أن يكون للإمام دور في كل ما تقوم به هذه الجمعيات من أنشطة وخدمات، فلا ينبغي أن يتأخر أو يعزل نفسه بل على العكس من ذلك عليه أن يكون هو من يأخذ زمام المبادرة حتى يمثل المسجد تمثيلا يتناسب مع رسالة المسجد، وحتى يعطي انطبعا للجميع بأن المسجد ليس مجرد دار للعبادة يلتقي فيه المسلمون في أوقات معينة لأداء الصلاة ثم ينصرفون بعدها لا تربطهم أية علاقة ببعضهم البعض كما حال كثير من المساجد في بلاد العرب والمسلمين.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وحتى يرتقي المسجد إلى هذا المستوى من الأداء يتطلب أن يكون الإمام واعيا بمسؤولية الإمامة، وأن يكون مدركاً بأن الإمام في المجتمع المسلم ليس هو الذي يؤم المسلمين في الصلاة فقط وإنما هو الذي يؤمهم في كل أعمال البر والخير، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله أن نقتدي به في حياتنا وفي تعاملاتنا. قال تعالى:

« قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » الأحزاب: 21.

ويتطلب الأمر كذلك أن يكون مؤهلاً لهذا المنصب العظيم وأن تتوفر فيه شروط الإمامة الحقيقية والتي من ضمنها أن تكون لديه قدرة على التواصل حتى يتسنى له التحاور مع جميع فئات المجتمع وشرائحه، وحتى يؤدي رسالة المسجد على النحو الذي بينا.

هكذا يمكن للمسجد أن يخرج من عزلته وأن يسجل حضوره في الحياة الاجتماعية كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان كذلك في السابق قبل أن يغزو الاستعمار الحديث بلاد العرب والمسلمين.

وان أهم ما نخلص إليه في نهاية هذه الورقة هو أن الحالة الاجتماعية لأي مجتمع في بعدها العلائقي والمعاملاتي مرتبطة بنوعية القيم التي تسوده وتحكمه. فمتى كانت هذه الأخيرة مشبعة بروح المحبة والمودة والأخوة والاحترام وغير ذلك من المعاني التي يطلق عليها في ديننا الحنيف بالأخلاق الإسلامية فإن الثمرة التي نجنيها في نهاية الأمر هي معاملة اجتماعية راقية و مجتمع متماسك ومستقر وآمن . ومن المؤكد بان هذه القيم لا تنشأ من فراغ وإنما هي عمل تربوي جبار تتعاون عليه جميع المؤسسات التربوية التي ذكرناها وغير ذلك من مؤسسات المجتمع حتى ينخرط الجميع في هذه المنظومة القيمية وتصبح سلوكا راسخا في المعاملات الاجتماعية.

خاتمة البحث:

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكن أن نخلص إلى أن القيم الحوارية تكتسي أهمية بالغة في المجتمع وانه متى شاعت هذه القيم بين الأفراد والجماعات كان ذلك مظهرا من مظاهر التطور والازدهار. ولذلك تحرص المجتمعات على ترسيخها في سلوكات الأفراد منذ طفولتهم حتى يشبوا عليها. وهذا يتطلب أن تظلع المؤسسات التربوية والاجتماعية بهذه المهمة الخطيرة. ولقد تبين لنا من خلال هذا البحث بان المؤسسات التربوية المتمثلة في كل من الأسرة والمدرسة والمسجد يمكن أن تقوم بدور فعال في غرس قيم الحوار في شخصية الطفل وفي تربيته تربية سليمة تجعل منه مواطنا صالحا ونافعا في مجتمعه وأتمته.

وانطلاقا من ذلك فانه يمكن ان نخلص إلى التوصيات التالية:

أولا : فيما يخص الأسرة

ينبغي إعداد الأزواج وتأهيلهم للحياة الأسرية من خلال القيام بتبرصات تكوينية تأخذ بعين الاعتبار القيم الحوارية وكيفية ممارستها بين الزوجين وفي نفس الوقت مع الأولاد ويمكن الاستفادة في هذا المجال من الدراسات التي أجريت في الإرشاد الأسري والإرشاد الزواجي

ثانيا : فيما يخص المدرسة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ينبغي التخلص قدر الإمكان من المناهج التربوية التقليدية والعمل بالمناهج التربوية الحديثة التي تؤكد على القيم الحوارية التي تعطي الفرصة للطفل ليمارس قيم الحوار في المدرسة حتى يسهل عليها تجسيدها وممارستها في الحياة الاجتماعية .

ثالثا : فيما يخص المسجد: ينبغي تكوين أئمة المساجد و إعدادهم بما يؤهلهم للقيام برسالة المسجد ، و يؤخذ بعين الاعتبار توعيتهم بأهمية الحوار كقيمة من القيم الاجتماعية التي يجب التأكيد عليها في جميع الأنشطة المسجدية التي يشرف عليها إمام المسجد.

قائمة المراجع :

- ابن عاشور الطاهر 1984 التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر تونس .
- ابن منظور لسان العرب دار صادر و دار لسان العرب بيروت لبنان
- بختي العربي (1991) التربية العائلية في الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- البوطي محمد سعيد رمضان 1979 فقه السيرة دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر .
- تركي رابع (1990) أصول التربية والتعليم ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- جبور عبد النور 1979 المعجم الادبي دار العلم للملايين بيروت لبنان .
- حجازي مصطفى 2000 الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والإدارة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
- حداد توفيق 1977 التربية العامة وزارة التعليم الابتدائي والثانوي الجزائر.
- حمزة سعيد مجلة التربية عدد 140 ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم.
- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- حوت دوري (1970) المدرسة والمجتمع ترجمة أحمد حسن الرحيم ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
- الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر (1981) مختار الصحاح دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- الزمخشري أساس البلاغة دار المعرفة بيروت لبنان
- شبشوب أحمد (1991) علوم التربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- صالح عبد العزيز وعبد المجيد عبد العزيز (1982) التربية وطرق التدريس ج1 ، دار المعارف القاهرة مصر.
- عبد الرحمان النحلاوي (1979) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دار الفكر دمشق سوريا.
- عبد الله ناصح علوان (1983) تربية الأولاد في الإسلام ص6. دار السلامة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة مصر.
- عشوي مصطفى (1994) مدخل إلى علم النفس المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- الفيفي موسى بن يحيى 1427 الحوار اسلوبه وآدابه وكيف نربي ابناءنا عليه ؟ الخضير للنشر والتوزيع المدينة المنورة .
- لويس معلوف .المنجد في اللغة والادب والعلوم المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان
- نايف خرما 1988 اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها 1988 عالم المعرفة الكويت.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تعزيز وتنمية الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالجزائر

د. نورية سوامية/ د. كلثوم صدراتي

جامعة معسكر، الجزائر

مقدمة:

تعد المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، إذ تؤدي دوراً أساسياً في غرس القيم والسلوكيات المرغوب بها في المجتمع، ومن بين هذه القيم الحوار كأساس لبناء مجتمع منسجم.

لقد سعت الجزائر من خلال التغييرات التي أحدثتها على البرامج التعليمية والطرائق التدريسية إلى إشراك التلميذ في العملية التعليمية التعلمية وإعطائه فرصة لأن يكون محوراً فيها، وجاء كل ذلك في سياق الإصلاح التربوي الذي بدأ تطبيقه مع بداية الموسم الدراسي 2004، ولعل أبرز مبدأ جاء في هذا الإصلاح بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، التي أعادت صياغة نمط الاتصال في المثلث البيداغوجي أثناء الموقف التعليمي وأصبحت غايته تحسين فعالية التعليم والتعلم، بما يحويه هذا النمط من مهارات وأساليب تحسن من أداء المعلم وتكثيف مهامه حسب متطلبات الموقف وتداعيات أنماط شخصيات المتعلمين.

على هذا الأساس يقع على العملية التعليمية بمكوناتها وعناصرها المتداخلة والمتفاعلة دور كبير في تنمية الحوار، ومن بين هذه العناصر الكتاب المدرسي والمعلم، الذي له أهمية في العملية التعليمية فهو المسئول على كبت أو تشجيع الحوار، والملاحظ لطبيعة التفاعل بين المكونات المختلفة للعملية التعليمية، يدرك أنه مهما سطرت مناهج وبرامج دراسية ووفرت إمكانات مادية ومالية، ولم يتوفر المعلم الكفاء ذو المهارات والخصائص القادر على تفعيل الحوار في الموقف التعليمي أو حجرة الصف خلال العملية الاتصالية التعليمية، فإن ذلك يعد تعليماً يؤثر على بلوغ الأهداف المخطط الوصول إليها في كل البرامج التعليمية، وعليه فإن فعالية تنمية الحوار رهينة على فعالية الاتصال الصفّي، الذي يتوقف على تكوين المعلم ومدى مهاراته ووعيه بمسؤولياته.

ومنه تلخصت تساؤلات هذه الدراسة في سؤالين هاميين هما:

- كيف تقوم المدرسة بتعزيز الحوار وتنميته لدى التلاميذ؟

- كيف تصنع المدرسة تلميذاً يؤمن بالقيم الحوارية ويجسدها في ممارساته وسلوكياته اليومية؟

افتراضنا أن المدرسة يمكنها أن تغرس قيم الحوار في التلاميذ باعتمادها على خطاب متماسك يبرز في الكتاب المدرسي ومضامينه التربوية التعليمية، وأيضاً من خلال التفاعل والاتصال الصفّي الذي يحوّل القنوات إلى ممارسات.

تتجلى أهداف هذه الدراسة في الآتي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- إبراز أهمية ودور بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في تنمية الحوار لدى التلميذ
- التعرف على واقع الحوار في مضامين الكتاب المدرسي.
- الكشف عن واقع الحوار في الممارسات الصفية.

ولبلوغ الأهداف المسطرة نعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، بهدف الوصول إلى نتائج علمية وموضوعية بعيدة عن الذاتية والأحكام المسبقة، معتمدين أساساً على تقنية الملاحظة، وتقنية المقابلة مع المعلمين (أساتذة التعليم الابتدائي)، وعلى تقنية تحليل مضمون كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي.

أولاً: الإصلاح التعليمي في الجزائر: من التدريس بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات

1. الإصلاح التعليمي في الجزائر وتدابيره

عرفت الجزائر منذ الاستقلال إصلاحات تربوية متتالية، بغرض التكيف مع الأهداف وإستراتيجية الخطط الإنمائية المتبعة، وكذا محاولة تحسين النظام التعليمي بشكل عام. وكان الإصلاح التربوي سنة 2002 (شرع في تطبيقه سنة 2003) من أجل مواجهة التحديات المطروحة لجودة وملائمة التربية، عن طريق التخطيط والتكوين وإثراء محتوى مناهج التعليم وإدخال تكنولوجيات الإعلام والاتصال. واعتبرت التغييرات البيداغوجية رؤية جديدة للتربية، محددة بالمقاربة بالكفاءات تضع المتعلم في مركز العملية التعليمية التعلمية.

وبرز هذا الإصلاح في ثلاث مستويات أساسية، وهي: تجديد البرامج الدراسية ووسائل وأدوات التدريب، كفاءة وحركية الأساتذة من خلال التكوين، إعادة تنظيم مدة وشعب التعليم والتدريب. مع الأخذ بالاعتبار المقاربات البيداغوجية الجديدة للبرامج الدراسية والوسائل وتقييمات التلاميذ والوسائل الخاصة المقدمة.

لقد هدفت تلك الإصلاحات التربوية إلى وضع التلميذ في قلب العلاقة التربوية باعتباره عنصر من القسم الدراسي ويجب أن تأخذ ميولاته ورغباته ومكتسباته ووتيرة نموه بعين الاعتبار، فهو عضواً مشاركاً في عملية التعلم بقصد احتكاكه بخبرات وأنشطة المجتمع التي تقدمها المدرسة، سعت أيضاً هذه الإصلاحات إلى فتح المؤسسة التربوية على المحيط وتغيير المقاربة البيداغوجية لتشمل كل العمليات التكوينية التي يساهم فيها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة التعلم، بمعنى أن التلميذ لديه الحق في اختيار مشروعه الفردي على دراية ووعي، فيتمكن من النضج والاستقلالية وإقامة علاقات مع المحيط الذي يعيش فيه، وإكساب المعلم والمتعلم أدوار جديدة، و"يرى المنظور الجديد أن المعلم يجب أن ينتقل إلى دور الباحث عن السبل والطرق والمنهجيات التي تسمح برفع كفاءات تلاميذه المعرفية والمنهجية وتوعيته بكيفيات تعلمهم ومساعدتهم على تطوير هذه الكيفيات بالبناء السليم لتفكيرهم، أما بالنسبة للمتعلم في المنظور الجديد يعتبره جوهر الفعل التعليمي" (بودوح محمد والزغير حميد رشيد. 2012 : 115).

2. المقاربة بالكفاءات: مفهوم وخصائص

تعد المقاربة بالكفاءات (أو كما تعرف في بعض الدول بـ"الكفايات") إحدى البيداغوجيات التي تبنتها وزارة التربية الوطنية، وعلى أساسها تم بناء المناهج التي شرع في تطبيقها ابتداءً من السنة الدراسية 2003/2004 وهي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مجموعة من المعارف والمهارات والوجدان تسمح بالممارسة اللائقة لدور أو وظيفة أو نشاط، وتعمل هذه المقاربة على جعل التلميذ هو سيد الموقف التعليمي فيقوم باستغلال قدراته في التعامل مع الوضعيات المعاشة والمشكلات التي تواجهه، وهي تقوم على تكوين شخصية الطفل بصورة سوية بمعنى يقوم بتعليم نفسه بنفسه. إن المقاربة بالكفاءات مبنية على منطلق التعلم المتمركز على نشاطات واستجابات التلميذ الذي يواجه وضعيات إشكالية، فالمهم ليس في تلقين التلميذ معارف فحسب، بل أيضا وبالخصوص في استعمال قدراته في وضعيات يومية تنطبق على حياته وتساعد على التعلم بنفسه، وهكذا ينبغي أن يزود التلميذ بالأدوات الملائمة حتى يتسنى له حل المشكلات التي تواجهه.

تتميز هذه المقاربة عن غيرها أساسا بطابعها الإدماجي، وبقدرتها على إقامة معبر بين المعرفة من جهة وبين الكفاءات والسلوكيات من جهة أخرى، وبذلك تزول الحدود بين المواد العلمية، لتساهم كل مادة بقسطها في تطور الطفل وفي تكوين شخصية سليمة ومستقلة وقادرة على التكوين الذاتي في معترك الحياة. "فالإعلام والاتصال عبر الحاسوب يعتبر لغة جديدة وأساسية لا يمكن التغاضي عنها، وأهميتها لا تكمن في استعمال الآلة من أجل تحسين الأداء التربوي وبلوغ التعلم المستهدف وتغيير دور المعلم في القسم، وهي أيضا تتطلب كفاءات جديدة تضاف إلى التكوين القاعدي للمعلم، وبالتالي يصبح منشطا ومؤطرا بيداغوجيا، لأنه لم يعد الوحيد الذي يملك المعرفة" (Mohamed ferhi, 2005 :125).

وترمي المقاربة الجديدة إلى منح التلميذ الكفاءات التي تمكنه في نهاية المطاف، من تحديد مستقبله واختيار مشروعه الشخصي؛ حيث تتيح له الكفاءات أيضا أن ينضج وأن يكون مستقلا عن محيطه، ويجب أن ينتقل التلميذ من مؤسسة قسرية تمارس المراقبة إلى مؤسسة أكثر انفتاحا وتقتح مقاييس جديدة لتسيير العلاقات بين شركائها. وعليه فإن المعلم يلعب دور الباحث عن طرائق تسمح بترقية كفاءات تلاميذه ومعارفهم ومنهجياتهم وسلوكياتهم ووضعياتهم في المجتمع بكيفية تجعلهم يتمسكون بقيم وأصالة مجتمعهم مع تمكنهم من العناصر التي تسمح لهم بالمساهمة في تنمية بلادهم.

إن من أهم السمات التي تطبع بيداغوجية الكفاءات أنها أعادت النظر في دور المعلم وتحديد وظائفه من خلال علاقته بالمتعلم، بحيث يصبحان شريكين، تربطهما علاقة تفاعل ونجاعة، كما أنه مطالب باستخدام بيداغوجيا متنوعة، تتناسب مع كل وضعية جديدة. فالمعلم إذن هو الطرف الذي يضع خبرته أمام التلاميذ لاستثمارها في معالجة المشكلات المطروحة عليهم، توكل مقاربة التدريس بالكفاءات "للمدرس دور الوسيط بين المتعلمين والمعرفة، بحيث يقدم لهم العون والمساعدة لاستثمار استراتيجي (خير الدين هني. 2005: 155-161) فهو يبني خلال العملية الاتصالية الصفية شبكة علائقية تضمن تحقيق التكيف النفسي الاجتماعي والعلمي للتلميذ.

وفي ظل هذه البيداغوجية يعتبر التلميذ الفاعل الأساسي في التفاعل مع وضعيات التعلم وهو المسؤول الأول عن التكوين الذاتي، إذ يصبح مطالبا بإعادة تنظيم موارده المتنوعة ضمن وضعيات وأنشطة ذات طابع إدماجي، فيقوم بالتنظيم والاكتشاف، وتبادل التجارب والخبرات مع زملائه (خير الدين هني. 2005: 155). فالمقاربة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الحديثة والمعاصرة "تنتسب إلى منطق التعلم، وتستند إلى تصورات معرفية وبنوية وتفاعلية، فيما تعتبر المدرس وسيطا وشريكا معينا، يستحدث الوضعيات، ويشجع التلميذ على اكتشافها، واكتساب المعارف والمهارات والدرايات...، إضافة إلى تكييفها بالشكل المناسب والمطلوب" (مصطفى بن حبيلس. 2004: 4).

ثانيا: الاتصال الصفي ودوره في تعزيز قيم الحوار

1. مفهوم الاتصال وعناصره

إنّ الاتصال لغة : يعني "الإبلاغ والاطلاع والإخبار، أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر وإخباره به، واطلاعه عليه، كما يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما" (Le petit Larousse (210: 1986). أما إصطلاحا فيعرفه تشارلز كولبي على « أنه الميكانيزم الإنساني الذي من خلاله تتواجد العلاقات الإنسانية وتتطور، ويحتوي على جميع رموز الروح ووسائل نقلها عبر الفضاء، والحفاظ عليها عبر الزمن، كما يحتوي تعبير الوجه والاتجاهات، الإشارات، الصوت، الكلمات، الكتابات وكل شيء حتى الوصول إلى الفضاء والزمن». (Roger Mucchilli, 1980 :33) هذا التعريف ينظر إلى طبيعة عملية الاتصال بوصفه نشاطا إنسانيا فمن خلال عملية الاتصال نستطيع أن نتفاعل مع الآخرين ونتعرف على ذاتنا، وعن طريق الاتصال نبني أطر معرفية مكتسبة تغذي الإطار المجتمعي الأول وتساهم في إثراء الوجود البشري ككل.

ويعرف الاتصال أيضا على أنه "نشاط تبادل غير متوقف، وغير محتمل أحيانا يكون بين اثنين أو مجموعة وحدات (فردية، تنظيمية، اجتماعية)، يبحث عن تغيير السلوكيات عند الفاعلين للتقليص من الشكل الناتج عن اختلاف الوحدات عن بعضها البعض" (Isabelle orgogozo, 1988 :1988).

إنّ الاتصال عملية ديناميكية معقدة تتحكم فيه عوامل متعددة ومتشابكة، يعكس إحدى صور النشاط الإنساني النابع من حاجة الإنسان إلى الآخرين لتعزيز بقاءه بحيث لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن بني البشر.

تشكل العملية الاتصالية من عناصر أساسية تعطي لها الديناميكية التي تعبر عن تفاعل اجتماعي ومحوري للإنسان في علاقته مع بني جنسه، وتماشيا مع متطلبات البحث سنحاول التركيز على العناصر الثابتة التي تقوم عليها العملية وهي:

- **المصدر** ويسمى أيضا بالمرسل (المعلم)، هو القائم بالاتصال وهو "المحرك الأساسي للعملية الاتصالية داخل الصف لأنه الطرف الذي تنطلق منه الرسالة وحجر الزاوية فيها وهو الذي يحدد طبيعة الرسالة ومحتواها في كلمات أو حركات أو إشارات أو صور أو أرقام أو رموز" (ختام العناتي. 2007: 56)، فالقائم بالاتصال والطريقة التي يختارها لشكل الرسالة وامتلاكه للمهارات والقدرات التي تمكنه من حسن التعبير بوضوح عن المقاصد المتضمنة في الرسالة، تشكل الخطوة الأولى في طريق صدقية الرسالة، إضافة إلى موقفه من الشخص المستهدف بالرسالة ومدى رصده للأبعاد الاجتماعية والنفسية والعلائقية التي تحكم الموقف الاتصالي التعليمي، وهذه الأبعاد كفيلة بإحداث التفاعل المطلوب والتأثير في حجم حالة التفاعل وعمقها بين الأطراف المشكلة للموقف التعليمي" (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004 :22)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- **الرسالة (الدرس)**، "تشكل المحتوى والمضمون الذي يرغب المرسل إيصاله إلى المتلقي في وقت وظرف محدد، وهذا المحتوى فكري ومعرفي يشمل عناصر المعلومات باختلاف أشكالها، وتمثل الرسالة الشكل المادي أو المحسوس بعد القيام بعملية الترميز التي يقوم بها المرسل، وتأخذ الرسالة أشكالاً مختلفة يمكن التعبير من خلالها على مضمون الرسالة شريطة أن يفهم المستقبل هذا المضمون، فالكلام يسمع، والكلمات المكتوبة تقرأ، والحركات تلاحظ ويشعر بها (ختم العناتي. 2007: 59)، وعلى هذا الأساس فإن الرسالة ليست محتوى مجرداً، وإنما "تصاغ بلغة يفهمها المتلقي باستخدام جملة من الرموز اللفظية والصورية والحركات والإشارات والتركيب الواضحة والبسيطة القابلة للاستيعاب" (حارث عبود. 2009: 34) من قبل التلاميذ، فمضمونها يتأثر بطبيعة المتلقي وثقافته ووعيه، وعند صياغتها يجب مراعاة ذلك للتحقيق الغرض من الرسالة.

- **المرسل إليه (التلاميذ)**، يعد هدف عملية الاتصال، "ويتوقف تفسير الرسالة على مدى وعيه وإدراكه والخبرات السابقة له ومدى إحساسه بالرسالة وحاجته إليها أو شعوره بأهميتها، وهذا يعتمد على حاجة المستقبل لها، ووفقاً لظروفه النفسية والصحية والاجتماعية ومستوى النشاط الإدراكي والمجال الذي تدور حوله" (الدسوقي عبده إبراهيم. 2004: 27-28)، حتى يستطيع فك رموزها وتحويلها إلى معنى بقصد تفسيرها وفهمها (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004: 23)، ويعنى الباحثون كثيراً بفحص سلوك المرسل إليه لأنه هو الذي "يحدد مدى نجاح المرسل في إنجاز مهمته، ومدى تحقق الأهداف التي صممت من أجلها الرسالة، ومن خلال هذا الفحص يمكن تشخيص مواطن الضعف والخلل التي أصابت العملية الاتصالية تمهيداً لمعالجتها" (حارث عبود. 2009: 32)

- **التغذية العكسية أو الرجوع** ويمثل ردود الفعل التي يديها المتلقي استجابة لما يكون المرسل قد أرسله من معلومات ورسائل، وهذا النوع يظهر في الاتصال المواجهي أكثر. إن عنصر رجوع الصدى هو الجزء الأكثر إثارة في العملية الاتصالية، فعن طريقه يستطيع المصدر أن يفهم ما إذا كان المتلقي استقبل الرسالة وفهم محتواها، بمعنى التأثير الذي أحدثته الرسالة. وتتفاوت آثار الحدث الاتصالي من موقف اتصالي لآخر، ويظل لكل حدث آثاره الظاهرة أو المستمرة، ويمكن أن نلخص بعض آثار الحدث الاتصالي فيما يلي: (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004: 25)

- **الأثر المعرفي**: وهو اكتشاف ذهني لمعرفة أو معلومة كنتيجة للتفاعل مع الآخرين.

- **الأثر العاطفي**: وهو ما يعرف بالمشاعر والعواطف الذاتية الناتجة عن الفعل الاتصالي مثل الحب والكراهية وما تجتاح ذواتنا عند التعرض لمضامين رسائل اتصالية معينة.

وأخيراً وفي سياق التأكيد على سلامة وفعالية الموقف الاتصالي لابد أن نضع في الاعتبار إن طرفي العملية الاتصالية المصدر والمتلقي يتأثرون بموقعهم في النظام الاجتماعي والثقافي، ولهذا فهناك ضرورة المعرفة التامة لهذا النظام الذين ينتمون إليه والنسق الثقافي الذي في إطاره تتم عملية الاتصال والمعتقدات التي تسيطر عليهم والأنماط السلوكية المقبولة في ذلك المجتمع وغير مقبولة، وأيضا طموحاتهم وتوقعاتهم داخل ذلك

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المجتمع، كل هذه المؤثرات تحدد القيمة الفعلية للعملية الاتصالية ومدى قدراتها على إحداث التأثير الإيجابي في الطرف الذي تنتهي إليه.

2. أشكال الاتصال التعليمي/التعلمي (الصفّي)

يعبر الاتصال الصفّي عن تلك العلاقة التفاعلية التي تحدث في حجرة الصف بين المعلم والمتعلمين، وتندرج ضمنها أساليب وتقنيات ومهارات يوظفها المعلم أثناء قيامه بالعملية التعليمية في مختلف الوضعيات والمواقف التعليمية.

إن انتشار المعلومات والأفكار وتبادلها بين الناس لا يأخذ نوعاً واحداً أو نموذجاً واحداً، وإنما للاتصال أشكال عدة، ولا يعنى ذلك بأن هناك عمليات مختلفة وإنما العملية الأساسية وعناصرها واحدة، إلا أن هذه العناصر تختلف تبعاً للموقف من حيث الشكل أو البساطة أو التعقيد أو الأهمية، ومن الممكن أن نصنف أشكال الاتصال التعليمي إلى :

أولاً / من حيث اللغة المستخدمة: تشكل اللغة نشاط عقلي راق يعمل كشرط أساسي لتنظيم عمليتنا العقلية والمعرفية وكوسيط حتمي للاتصال الإنساني فهي تحقق وظيفتين متكاملتين هما: (سلوى عثمان الصديقي. 2005: 111-112)

- الوظيفة الاتصالية: حيث تعمل اللغة كوسيط للتفاعل بين الأفراد، ووسيلة لنقل واستقبال المعلومات.
- الوظيفة التجريدية: اللغة وسيط لتكوين الأفكار التي تجرد الواقع وتختزله في شكل رموز تمكن الإنسان من فهمه وضبطه بدرجة أكبر.

ويمكن أن نقسم الاتصال من حيث اللغة المستخدمة إلى:

● الاتصال اللفظي: فالمعلم يستخدم اللفظ كوسيلة لنقل الرسالة التعليمية للمستقبل (التلميذ) سواء كانت هذه الرسالة لغة لفظية تدرك بحاسة السمع، أو لغة لفظية مكتوبة.

● الاتصال غير اللفظي: وهو عبارة عن تعبيرات منظمة تشير إلى مجموعة معاني يستخدمها المعلم أو يقصدها في احتكاكه بالتلاميذ للتعبير عن الأفكار، كالأصوات أو الإشارات أو الحركات أو الإيماءات والأشياء، وخاصة عندما تعجز اللغة المنطوقة عن التعبير عن تلك المشاعر والأحاسيس والأفكار التي يرد المرسل إيصالها إلى الآخرين وتنقسم إلى: (جودت شاكر محمود. 2012: 73)

➤ لغة الإشارات التي تعبر عن معاني تعارف عليها المجتمع وأصبحت لها دلالتها.

➤ لغة الحركات والأفعال وهي لغة الجسد يمارسها الإنسان بقصد أو دون قصد وذلك لينقل إلى الآخرين معنى ما.

➤ لغة الأشياء وتشتمل كل ما يستخدمه الإنسان بهدف إيصال معنى ما إلى الآخرين كارتداء الملابس أو وضع علامات أو إشارات...إلخ.

ثانياً/ من حيث حجم المشاركين في العملية الاتصالية: من أبرز الأشكال نذكر:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الإتصال الذاتي: بمعنى اتصال الفرد بنفسه أو مع ذاته، فإذا أحسن التلميذ الاتصال بذاته فإن هذا يجعله أقدر وأكثر على توظيف إمكانياته توظيفاً كاملاً، كما أنه يساعده على التكيف والتفاعل مع مجتمعه وبيئته التعليمية، إن جوهر الاتصال مع الذات يتمثل في عملية الوعي أو الإدراك والفهم الذاتي للمخزون المعرفي من قبل الشخص لما يحيط به، وما يقوم به من فعل أو سلوك، فلكل فرد إطار مرجعي ظاهري ذاتي خاص به لا يمكن فهم سلوكه إلا من خلاله، أحياناً ما يميل المرء إلى أن يرى ما يرغب في رؤيته أو ما يفتقر إليه، وعبر عملية الاتصال مع الذات يميل الفرد للدفاع عن مفهوم ذاته وتعزيزها ومقاومة كل ما من شأنه أن يشكل تهديداً لتصوراته.

- الإتصال الشخصي: "ويقصد به العملية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والاتجاهات بالطريقة المباشرة وجهاً لوجه وفي اتجاهين دون عوامل وسيطة" (سلوى عثمان الصديقي. 1999: 128).

إن الاتصال الشخصي من أكثر أشكال التواصل مرونة وتأثيراً وأكثرها تجسداً داخل حجرة الصف لعل أوضحها تلك التفاعلات التي تحدث بين التلاميذ أو بينهم وبين المعلم، إذ يوفر للطرفين إدراك ردة الفعل على موضوع الرسالة (التغذية الرجعية) بصورة فورية ومباشرة، ويسمح بتعديل الرسالة وفقاً لمتغيرات الموقف التعليمي كما يتميز بالقدرة على الإقناع والتأثير.

- الإتصال الجمعي: أوضح نموذج للاتصال داخل حجرة الصف، ويتم الاتصال بين الجماعات عندما تجتمع أكثر من جماعة في موقف اتصالي واحد. حيث "أن طبيعة الحياة الاجتماعية تلزم الفرد بالاشتراك في تفاعل دائم وتناغم وإنسا جم وأحياناً تنافر مع الآخرين بسبب حاجة الإنسان لتبادل المصلحة والمنفعة التي تحافظ على الاستمرار" (ظافر بن سعد بن عبد الله الشهري. 2004: 27). وعليه فإن الاتصال داخل الصف هو تفاعل وجهاً لوجه بين التلاميذ والمعلم واضح كالمشاركة في المعلومات وحل المشكلات التعليمية، وفيه يستطيع المعلم أن يدرك مدى تفاعلهم مع ما يقوله و مدى تأثرهم به، وفيه أيضاً تتاح الفرصة للجميع للمشاركة في علمية الاتصال.

ثالثاً: الكتاب المدرسي وتنمية الحوار: كتاب التربية الإسلامية أنموذجاً

يعرف الكتاب المدرسي بأنه الكتاب الذي تعرض فيه المادة المختارة في موضوع معين على شكل نصوص مكتوبة و بطريقة منظمة، يوجه للاستعمال في مسار تعلم وتكوين متفق عليه، وينفرد الكتاب المدرسي عن أي كتاب آخر "بكونه يعتمد على الهدف، الهيكل، المحتوى" (أبو الفتاح رضوان وآخرون. ب س: 5). اخترنا في دراستنا هذه كتاب التربية الإسلامية كنموذج للتحليل باعتبار أن الحوار من القيم الإسلامية التي يدعوا إليها ديننا الحنيف، تتجلى هذه القيمة في مضامين هذا الكتاب، ويرجع اختيارنا للسنة الخامسة ابتدائي لأنها آخر مرحلة من التعليم الابتدائي.

بداية نحدد أهداف تدريس التربية الإسلامية وفق المنهاج التعليم الابتدائي في النقاط التالية: (وزارة التربية الوطنية. 2016: 144)

- تنمية الشعور بالانتماء إلى الدين الإسلامي والاعتزاز بمصادره.
- الحفاظ الجيد للنصوص المقررة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وحسن توظيفها في الوضعيات المناسبة تلاوة وتطبيقاً واستدلالاً.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- تزويد التلميذ بالمعارف الخاصة ببعض العبادات والشعائر الدينية وتعويده على ممارستها (ولو لم تكن مفروضة عليه في هذا السن).
- تمكينه من التعرف على بعض الآداب والقواعد المنظمة للعلاقات الاجتماعية، وجعله مدركاً لأهميتها ودورها في إرساء التفاعل الإيجابي مع المحيط وبالتالي ممارستها.
- تحقيق الصحة الجسدية والتوافق النفسي والتوازن في المزاج والشخصية واحترام الذات والتفتح على أديان غير المسلمين.

وهذه الأهداف والغايات هي بمثابة التطلعات التي تحاول المدرسة الجزائرية تحقيقها من خلال مضامين الكتاب المدرسي، وعليه سنحاول أن نعرض كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي من التعليم الابتدائي من الناحية الشكلية، ومن حيث المادة العلمية المتوفرة فيه، ومن حيث تناولها للمواضيع الحوار.

1. عرض كتاب التربية الإسلامية من الناحية الشكلية

يتكون كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي من 63 صفحة، يتضمن خمسة مجالات تعليمية، ويستوفي شروط الطباعة والإخراج، بما في ذلك الحجم، حيث جاء طول كتاب 28 سم، أما عرضه فقد قدر بـ 20 سم في المتوسط، وهو حجم يتناسب مع الوسائل التعليمية التي احتواها الكتاب والمتمثلة خاصة في الصور التوضيحية والوثائق. احتوى الكتاب على مقدمة، وفهرس ضم عناوين المجالات والوحدات التعليمية، بالإضافة إلى ملخص للكفاءة القاعدية لكل وحدة تعليمية.

يتولى الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية عملية طباعة وإخراج الكتب، وقد تمت طباعتها بطريقة محكمة، واتبعت في إخراجها كثير من التقنيات التي تترك انطبعا حسنا لدى القارئ، حيث تم طبع الكتاب بخط واضح ومقروء، وكبير مع ترك مسافات منتظمة بين الكلمات والأسطر، واستعمال الألوان في كتابة العناوين والكلمات الأساسية والمهمة، وإدراج الصور الفوتوغرافية، والوثائق، مما يساعد التلميذ على الفهم.

وتم عرض المادة العلمية في لوحات تعليمية تعليمية، كالمربعات والجداول الملونة، وهي من الأساليب المشوقة للتلميذ والموضحة للمادة العلمية، والمحبة للتلاميذ في كتبهم.

2. عرض كتاب التربية الإسلامية من حيث المادة العلمية

تعرف المادة العلمية على أنها كل "ما يريد المعلم أن يوصله إلى المتعلم سواء كانت معلومات أو تنمية مهارات أو اتجاهات، بشرط أن يتم توضيحها في ضوء أهداف تعليمية محددة" (أحمد حسين اللقاني وعلي الجمل. 1996 : 150)، وسنحاول التطرق إلى المادة العلمية لكتاب التربية الإسلامية من خلال التوبيخ والعناوين، والتي جاءت في 58 صفحة، كما يوضحها الجدول التالي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الجدول (01): كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي

| النسبة المئوية | عدد الصفحات | الوحدات | المجالات المفاهيمية |
|----------------|-------------|---|-----------------------------------|
| 20.69% | 12 | 1. لقمان يوصي ابنه 2. الايمان باليوم الآخر 3. الحج إلى بيت الله الحرام 4. الايمان بالقضاء والقدر 5. من حياة سيدنا نوح عليه السلام - الإدماجية الأولى | أطيع ربي |
| 24.14% | 14 | 1. من أفعال المؤمنين 2. أحب أسرتي 3. أحسن التصرف في المال 4. من يسر الإسلام 5. زكاة الفطر 6. طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم - الإدماجية الثانية | من واجباتي |
| 20.69% | 12 | 1. أفعل الخير 2. أحافظ على البيئة 3. المسلم لا يغش 4. أتعاون مع غيري 5. علاقتي بأخي المسلم - الإدماجية الثالثة | من أخلاقي |
| 24.14% | 14 | 1. الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة 2. أسماء ذات النطاقين 3. الرسول صلى الله عليه وسلم يصالح قريشا 4. عثمان بن عفان رضي الله عنه | من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | |
|--------|----|---|---------------|
| | | 5. فتح مكة المكرمة 6. حجة الوداع - الإدماجية الرابعة | |
| 10.34% | 06 | 1. سورة الأعلى 2. سورة الغاشية 3. سورة الفجر 4. سورة البلد | القرآن الكريم |
| 100% | 58 | | المجموع |

يسعى منهاج المادة إلى جعل المتعلم في نهاية السنة الخامسة متحكماً في التعليمات المتعلقة بطاعة الله، والإيمان به وبقضائه وقدره، والإيمان باليوم الآخر بإعطاء نماذج عن لقمان ووصاياه لابنه، بالإضافة إلى سرد حياة سيدنا نوح عليه السلام واستخلاص العبر من هذه النماذج. يسعى منهاج مادة التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي أيضاً إلى تعريف التلميذ بواجباته تجاه أسرته والمحيطين حوله، والوقوف على بعض مظاهر اليسر في الصلاة والافتداء بالأخلاق الفاضلة وتجسيدها في الحياة اليومية، مع ذكر السيرة النبوية الشريفة والوقوف على سيرته صلى الله عليه وسلم وأعماله مع أخذ العبر منها، بالإضافة إلى تعريف التلميذ بشخصية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والافتداء بخصالهم.

والملاحظ من الكتاب أن المؤلفين قد وفقوا إلى درجة كبير في اختيار المادة العلمية وصحتها، إذ لم نسجل أي خطأ فيما يتعلق بصحة المعلومات الواردة في الكتاب.

3. عرض كتاب التربية الإسلامية من حيث تناوله للمواضيع الحوار

يعد الحوار محادثة بين شخصين أو أكثر يتضمن تبادل للآراء والأفكار والمشاعر ووجهات النظر حول موضوع ما أو عدة مواضيع بقصد تحقيق قدر من الفهم والتفاهم والانسجام أو التعايش بين الأطراف المشتركة فيه لتحقيق هدف أو أهداف معينة.

تم الاعتماد في تحليل المحتوى على فئات الموضوع، أي مضمون المادة محل الدراسة، والتي تم توزيعها على المجالات التالية:

- القيم الحوارية: ويندرج ضمن هذا المجال: العدل، التسامح والتعايش، المساواة، التعاون.
- آداب الحوار: يتضمن الإنصات و احترام الآخر
- المشكلات الحوارية: ويندرج ضمن هذا المجال جميع المشكلات الحوارية التي عالجهها الكتاب التي تعمل على نشر العداوة والكراهية بين الأفراد.

ويوضح الجدول التالي مواضيع الحوار حسب التكرار في كتاب مادة التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي.

الجدول (02): مواضيع الحوار في كتاب مادة التربية الإسلامية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| الموضوع | التكرارات | النسبة المئوية |
|-------------------|------------------|----------------|
| القيم الحوارية | العدل | 1 |
| | التسامح، التعايش | 5 |
| | المساواة | 3 |
| | التعاون | 6 |
| آداب الحوار | الإنصات | 1 |
| | احترام الآخر | 1 |
| المشكلات الحوارية | التكبر | 1 |
| | الغش | 1 |
| المجموع | 19 | 100% |

يتضح من الجدول (02) أن مواضيع كتاب التربية الإسلامية ركزت على القيم الحوارية، حيث قدرت أعلى نسبة للقيم المتعلقة بالتعاون المقدر بـ 31.58%، تليها نسبة 26.32% المتعلقة بقيم التسامح والتعايش، ثم قيم المساواة بنسبة 15.79%، أما فيما يتعلق بالعدل سجلنا نسبة 5.26% أي موضوع واحد تناول العدل وأهميته في عملية التواصل والحوار، أما عن آداب الحوار وما يتعلق بضرورة الإنصات واحترام الآخر سجلنا موضوع واحد لكل منهما بنسبة 5.26% لكل منهما. نفس النسبة سجلناها للمشكلات الحوارية: التكبر 5.26% والغش 5.26% وهي ممارسات يجب الابتعاد عنها حتى يكون الحوار فعالاً بين المتحاورين.

رابعا: واقع الحوار في المدرسة الجزائرية

باعتبار أن المعلم الأداة الفاعلة في تجسيد وترجمة أهداف التربية الإسلامية، من الضروري أن يكون شخصا يعرف أسس التحاور والحوار ويطبّقها، من الضروري أن يمتلك آداباً للحوار: ينصت للتلميذ ويقبل اختلاف وجهات النظر المبنية على الاحترام والتقدير، يتصف بالقيم الحوارية ويتعد عن كل السلوكيات المخلة للحوار والتواصل الفعال.

وقد أكد لنا المعلمون عينة الدراسة (أساتذة التعليم الابتدائي) بأهمية الحوار في عملية التواصل والاتصال التربوي، وأن من أهم شروطه الإنصات والاحترام المتبادل بين كل الفاعلين في العملية التربوية وقبول الآراء المغايرة، وعدم احتقار الآخر، بل من الضروري أن تكون المساواة والعدل في التعامل، دون تمييز بين التلاميذ. هكذا يمكن للتلميذ أن يتصف هو الآخر بهذه القيم لتظهر في ممارساته وسلوكياته، فمن القسم إلى المجتمع الكبير؛ حيث يكون قادراً على التعامل مع المحيطين به سواء في الأسرة أو المدرسة أو الشارع أو مختلف المؤسسات التي ينتمي إليها ويتفاعل معها بقيم الحوار.

تقول أستاذة (27 سنة، 4 سنة أقدمية): "يعتمد المعلم على الحوار بطرح مجموعة من الأسئلة الموجهة

للمتعلمين لبلوغ المعرفة"

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أستاذة (35 سنة، 11 سنة أقدمية): "الحوار يساعد على إنجاح الأسلوب التعليمي وتحقيق مصلحة التلميذ والمعلم ويحقق روح الجدل بين الأفراد".

أستاذ (49 سنة، 20 سنة أقدمية): "لا يمكن الاستغناء على الحوار والتواصل في الخطاب التعليمي لأنه يساعد المتعلم في اكتساب عدة مهارات، وتساعد المعلم في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين"

إذن إكساب قيم الحوار لا يكون بالتدريس المجرد، بل لا بد وأن ينعكس في الممارسات بين الفاعلين الاجتماعيين، يدركون أهمية الحوار ويطبقونه داخل الصف الدراسي.

إن الحوار وفتح مجال للمناقشة و تبادل الآراء يقوي التفاعلية داخل القسم. لكن هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي تحد من الحوار والمناقشة، وهذا ما يظهر في تصريحات الأساتذة التالية:

يقول أستاذ (32 سنة، 8 سنوات أقدمية): "طريقة الحوار والمناقشة تجعلني أضيع وقتا كبيرا ولا يمكنني أن أتمم البرنامج، فنحن مقيدون بالبرنامج"

أستاذة (27 سنة، 4 سنة أقدمية): "من الصعب تطبيق طريقة الحوار والمناقشة لأنها تكثر الفوضى بين التلاميذ، فعامل الوقت لا يسمح للشرح والمناقشة والكتابة"

ومنه نستنتج أنه وبالرغم من أن الأساتذة يدركون أهمية الحوار في العملية التعليمية يجدون عائق ضيق الوقت والبرنامج المكثف المطالبون باستكمالهم.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن المعلم مسؤول بدرجة كبيرة على نشر قيم الحوار بين التلاميذ، فهو بمثابة القدوة لهم، يستطيع أن يقدم أجيالا أكثر فهما وأكثر نضجا وأكثر وعيا في تعاملهم مع بيئتهم الاجتماعية.

خاتمة:

لقد سعت الجزائر من خلال التغييرات التي أحدثتها على البرامج التعليمية والطرائق التدريسية إلى إشراك التلميذ في العملية التعليمية التعلمية وإعطائه فرصة لأن يكون محورا فيها، ولعل أبرز مبدأ جاء في هذا الإصلاح بيداغوجية المقاربة بالكفاءات التي أعادت صياغة نمط الاتصال بين المعلم والمتعلم والمادة التعليمية.

ويعد الاتصال عاملا مهما له دور كبير في زيادة التفاعل والاحتكاك بين المعلم والمتعلم في حجرة الصف، وفعاليته تضمن نجاح العملية التعليمية التعلمية، كما تمكن من الكشف عن مختلف الجوانب التي تحيط بالموقف التربوي.

وبما أن النظام التربوي نسق يتكون من مجموعة من العناصر المتفاعلة، يتوقف نجاحه على كفاءة العملية الاتصالية، وكذا على فعالية المناهج التربوية وتكوين المعلمين لضمان بلوغ الأهداف المسطرة.

وإن تنمية الحوار في المدرسة الجزائرية لا يتوقف على المنهاج والكتاب المدرسي بقدر ما يتوقف على المعلم الذي يمكنه إكساب التلميذ القيم الحوارية، وعليه أن يلم بها ففانها لا يعطيه.

والجدير بالذكر أن المقاربة بالكفاءات التي تبنتها الجزائر في نظامها التربوي، قد حددت أدورا جديدة متكاملة للمعلم، فالمعلم منشط ومنظم وليس ملقنا، وهو يعد العامل الأساسي في نجاح التربية الإسلامية وتحقيق أهدافها،

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

باعتباره نموذجا يقتدي تلاميذه به ويقلدونه أثناء تفاعلهم مع بيئتهم، لكن هناك من الأساتذة غير قادرين على ذلك بسبب اكتظاظ الأقسام وكثافة البرامج التعليمية.

المراجع:

أبو الفتاح رضوان وآخرون(ب س)، الكتاب المدرسي -فلسفته، تاريخه، أسسه، تقويمه، استخدامه-، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

أحمد حسين اللقاني وعلي الجمل (1996)، معجم المصطلحات المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة. بودوح محمد والرغير حميد رشيد (2012)«إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر الواقع والرهانات»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة دورية، منشورات جامعة سعد دحلب البليلة، العدد الثامن.

جودت شاكر محمود (2012)، الإتصال في علم النفس، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان ، الأردن.

حارث عبود (2009)، الإتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط1، الأردن ، عمان.

ختام العناتي وعلي العياصرة (2007)، الإتصال المؤسسي في الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق . دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1، عمان، الأردن.

خير الدين هني (2005)، مقارنة التدريس بالكفاءات ، ط1، مطبعة عين ببيان ، الجزائر .

الدسوقي عبده إبراهيم (2004)، وسائل وأساليب الإتصال الجماهيرية والاتجاهات الاجتماعية، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر.

سلوى عثمان الصديقي وهناء حافظ بدوي (1999)، أبعاد العملية الإتصالية، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة.

سلوى عثمان عباس الصديقي وأميرة منصور يوسف علي (2005)، الاتصال والخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة. ظافر بن سعد بن عبد الله الشهري (2004)، دور الاتصال والإعلام في تشجيع المدمنين على التقدم طوعا للعلاج (دراسة ميدانية على المدمنين المتقدمين طوعا للعلاج في مستشفى الآمال بمدينة الرياض)، بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الشرطية غير منشور ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض.

مصطفى بن حيبلس (2004)، المقاربة بالمشكلات في ضوء العلاقة بالمعرفة، المركز الوطني للوثائق التربوية ، ع 38، حسين داي، الجزائر .

وزارة التربية الوطنية (2016)، منهاج التربية الإسلامية، مرحلة التعليم الابتدائي.

Isabelle orgogozo (1988), les paradoxes de la communication aléoute des différence. Edition organisation , paris.

Le petit Larousse en couleurs (1986) . Edition France , éditeur13392 , PARIS.

Mohamed ferhi (2005),« L optimisation de portefeuilles par la logique floue et son application au marché financier en algérie les cahiers de cread».centre de recherche en économie appliquée pour le développement, alger, N72.

Roger Mucchilli (1980), communication et réseaux de communication .Ed – ESF , paris.

الوساطة الأسرية بالمغرب رهانات المؤسسة وآليات التفعيل

ذ. إيمان حليم

طالبة باحثة بكلية علوم التربية - جامعة محمد الخامس / المملكة المغربية

تقديم:

تعتبر الوساطة إحدى الوسائل البديلة لإدارة وحل النزاعات، يلعب فيها طرف ثالث دوراً أساسياً ألا وهو دور الوسيط، هذا المفهوم ليس وليد العصور الحالية بل إنه يمتلك تاريخاً عريقاً ومتنوعاً في جميع حضارات العالم: الحضارات المسيحية، والإسلامية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية، والكونفوشية، وغيرها من حضارات الشعوب الأصلية التي تضم تقاليد واسعة وفعالة في ممارسة الوساطة كوسيلة لحل النزاعات. (سروجي، 2007: 44)

وقد توسعت ممارسة الوساطة في الزمن المعاصر بشكل متسارع في جميع أنحاء العالم، خاصة خلال الخمسة عقود الأخيرة، ويعزى هذا النمو جزئياً إلى توسع إدراك حقوق الإنسان وكرامته، واتساع الطموحات نحو مشاركة ديمقراطية على جميع المستويات السياسية والاجتماعية، وكذلك ازدياد الاعتقاد بأن للفرد حقاً في المشاركة في القرارات التي تؤثر على حياته وفي السيطرة عليها، وإلى ظهور أخلاقيات تدعم الحرية الفردية، وتوجهات في بعض المناطق نحو تسامح أوسع مع التعددية والاختلاف في جميع نواحيهما، أيضاً كانت هناك عوامل تدفع للتغيير ومن هذه العوامل تنامي عدم الرضا والسخط من ديكتاتورية صانعي القرار وأساليب اتخاذ قراراتهم التي لا تخاطب احتياجات الجميع الحقيقية، بالإضافة إلى ارتفاع التكاليف المالية والوقت والموارد البشرية، وتدمير التضامن بين الأشخاص وبين المجتمعات من خلال طرق عدائية لحل النزاعات التي تنتهي غالباً بطرف رابح وطرف آخر خاسر.

وعلى الرغم من كثرة ونمو عملية استخدام الوساطة في العديد من الثقافات والبلدان، إلا أنها نمت بشكل أسرع في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وكان أول مجال يشهد مؤسسة رسمية للوساطة في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بهدف تطبيق وسائل أكثر فعالية لحل وإدارة المنازعات النقابية العمالية مع أصحاب العمل والشركات الضخمة، ففي عام 1913 أنشئت وزارة العمل الأمريكية، وتم تعيين هيئة من وسطاء المصالحة وتم إعادة تنصيبها عام 1947 تحت اسم خدمات الوساطة والمصالحة الفيدرالية. (سروجي، 2007: 48-49).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن الوساطة التي تطورت في الولايات المتحدة في العقود الخمسة الأخيرة، هي التي حظيت بقدر كبير من الاهتمام الأكاديمي، وتمت حولها دراسات عديدة، وتأسست بالاعتماد عليها برامج تدريبية رسمية لتأهيل وسطاء محترفين، وربما تكون سمة الاحتراف هي إحدى مميزات وساطة شمال أمريكا، كما درج على تسميتها، وبمعنى آخر فإن معظم الجهات الرسمية في لولايات المتحدة الأمريكية تتطلب عند الاستعانة بوسيط أن يكون مؤهلاً رسمياً بمعرفة أحد جهات التدريس المعتمدة. (الصمادي، 2010: 32)

وبعدما أثبتت الوساطة نجاحها في مجال المنازعات امتدت تطبيقاتها وأصبحت تعتمد في مجال المعاملات التجارية والمالية تم امتدت بشكل قوي في مجال النزاعات العائلية وأصبحنا نتحدث عن حقل آخر للوساطة ألا وهو الوساطة الاجتماعية، وهذه الأخيرة لم يكن الحديث عنها ممكناً لولا الهزات الاجتماعية التي عرفها المجتمع والتي خلقت نوعاً من التوتر وعدم الاستقرار وكذا سوء التوافق لاسيما فيما يتعلق بتلاشي الروابط الاجتماعية وبنيات التنشئة الاجتماعية، ففي ظل التغيرات والتحديات الثقافية والسوسيواقتصادية التي يعيشها المجتمع أصبح من الضروري الحديث عن نوع آخر من الوساطة وهو الوساطة الأسرية باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع والركيزة الأساسية في بنيته، فهي الدعامة الأولى والمؤسسة الأولى والأهم في التنشئة الاجتماعية، وأمام كل هذه التغيرات والتحويلات القيمة التي يعيشها المجتمع والتي تؤثر بشكل مباشر على مؤسسة الأسرة بات من الضروري إعطاء أهمية كبرى للوساطة الأسرية نظراً لطبيعة العلاقة التي تجمع مكونات الأسرة. فالمقاربة القانونية والتشريعية رغم تحديثها لمواكبة التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية إلا أنها تبقى غير كافية عندما يكون الحديث عن الأسرة إذ لا بد من مقاربة شمولية تتضافر فيها كل الجهود بما فيها الجانب الوقائي.

وتسعى الوساطة الأسرية إلى خلق ثقافة الحوار داخل الأسر وإعطاء فرصة للزوجين والأبناء في بعض الحالات للتعبير عن مشاكلهم وفهمها، ونسج نوع من السلم الاجتماعي يصل إلى مستوى عائلة الزوجين الممتدة للحد من ثقافة الخصومة التي قد تستمر في حالة وقوع طلاق ووجود أطفال، كما تسمح بالتفاوض بشكل ودي حول صلة الرحم للحفاظ على علاقات مستقرة نسبياً بين الآباء والأبناء علاوة على ذلك، فإن الوساطة الأسرية تركز لدى الأطراف أهمية مؤسسة الأسرة ومسؤولية تربية الأبناء وقيم التنشئة الاجتماعية المتوازنة ثم ترسيخ السلوك المدني.

فما معنى الوساطة؟ وماهي الوساطة الأسرية، وما خصائصها وامتداداتها؟ وما الفرق بين الوساطة وباقي الطرق البديلة لحل النزاعات الأسرية؟

1. تعريف الوساطة

الوساطة لغة: الوساطة من وسط، يسط، وسطاً، وسطه المكان، أو القوم: جلس وسطهم فهو واسط، وساطة القوم، وفيهم توسط الحق، والعدل، والوساطة مصدر، وهي عمل الوسيط، وجمع وسطاء، ومؤنته وسيطة، وهو

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التوسط بين المتخاصمين، ويقال وسيط فيهم؛ أي هو أرفعهم مقاماً، وأشرفهم نسباً. (المنجد في اللغة، 2000: 900)

الوساطة اصطلاحاً: عرف Siddiqui الوساطة بأنها طريقة تدخل بواسطة طرف ثالث يتبنى منهج حل المشكلات التعاوني بين المتنازعين، ويسهل للأطراف المتنازعة الوصول إلى حلولهم الخاصة بهم، يتحكم الوسيط بعملية التفاوض من حيث إعطاء الفرصة لكل طرف، فرصة لسماع صوته وبذلك يتم تمكين الأطراف المتنازعة من حل اختلافاتهم بأنفسهم. (Siddiqui, & Ross, 2004: 147)

كما عرف Moore الوساطة، بأنها عملية تدخل طرف ثالث ويسمى وسيطاً، بحيث يكون مقبولاً لدى أطراف النزاع، فيقوم بمساعدتهم على الوصول طوعاً إلى اتفاق مقبول لديهم حول تسوية القضايا المتنازع عليها، والوسيط هنا حيادي محدود السلطات في أخذ القرار، وقد يحتاج إلى الذهاب والإياب بين الخصوم، ويمكن للوساطة أن تؤسس وتعزز علاقات ثقة واحترام بين الأطراف، وأن تنهي هذه العلاقات بأقل التكاليف المادية وأقل الأضرار النفسية (Moore, 2003: 38).

ويوضح مور كلمة (طوعية) بأنها اختياراً حراً بالمشاركة واتفاقاً حراً لا إكراه فيه، فلا أحد يجبر الأطراف على الوصول إلى تسوية أو حل نزاعاتهم من خلال طرف ثالث داخلي أو خارجي، ولا يوجد أي التزام قانوني يردع الطرف الذي لا يرغب بالمشاركة في عملية الوساطة، ولأن الوسيط لا يملك أي صلاحيات لفرض القرار على المشاركين فهو بالتالي لا يستطيع تهديد أي طرف يتوانى عن الانضمام إلى المفاوضات بأي حكم قضائي. (Moore, 2003: 43).

2. الوساطة الأسرية

تعني الوساطة الأسرية تدخل طرف ثالث بين قطبي النزاع بهدف نقلها من حالة الخصام إلى التفات كل منهما نحو الآخر للتفاوض والتفاهم لإيجاد تسوية تشق طريقها نحو الوفاق. ولعملية الوساطة الأسرية أهمية بالغة باعتبارها إحدى الوسائل الودية لحل الخلافات الأسرية، وهي ليست بديلاً أو مساً بوظيفة القضاء السيادية باعتباره سلطة ثالثة مستقلة عن باقي السلطات التشريعية والتنفيذية، بقدر ما هي تدخل إيجابي من شأنه أن يخدم مرفق القضاء حال تحويل القاضي قبل البث في النزاعات المعروضة عليه الدعوة التي يرى حلها ودياً إلى الوسيط بعد تسجيلها، ليقوم بمعية فريق عمل بالبحث عن أسباب النزاع و تداعياته و تشخيص الحالة تشخيصاً دقيقاً سعياً لإيجاد حلول لازمة لها، ثم تقديم النتائج بعد ذلك إلى قضاء الأسرة من أجل تقييمها و تقويمها و متابعتها. (رقيق، 2016: 15-18)

ويتمثل الدور الرئيسي للوسيط في مساعدة الأطراف على القيام بمفاوضات بناءً وذلك لتسهيل عملية التواصل ومناقشة حيثيات النزاع ومحاولة تدوير الصراع، وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن الوسيط ليس قاضياً أو

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حكما بل هو عنصر محايد يكمن دوره في تسيير المفاوضات بين الأطراف المتنازعة وتقريب وجهات النظر ومساعدتهم على إيجاد الحلول الممكنة (وزارة العدل، 2007: 4).

1.2 خصائص الوساطة الأسرية:

تتسم الوساطة الأسرية مثلها مثل باقي أنواع الوساطة بمجموعة الخصائص سنذكر منها ما يلي:

أ- السرية:

من خصائص الوساطة الأسرية نجد السرية فالوسيط في إطار جلسات الوساطة مطالب بضمان سرية كل ما يروج خلالها، لأن من شأن ذلك أن يؤدي إلى إفشاء الأسرار الخاصة بالحياة الزوجية من جهة وإلى تعميق البحث وتأجيج الصراع من جهة أخرى، هذا بخلاف ما توفره مسطرة التقاضي التي لها ميزة أخرى وهي العلنية التي تجعلها مرافعة مفتوحة لا يتوانى خلالها أي طرف في استعمال كل معلومة تم الإدلاء بها والبوح بها، وبهذا المعنى فإن الوساطة الأسرية يجب أن تكون محاطة بالسرية التامة، نظرا لما توفره هذه الأخيرة لطرفي العلاقة المتنازعين مجالا مريحا للتعبير بكل حرية واطمئنان عن مشاكلهما وعن أسباب الخلاف بينهما. (الفلاقي، 2008: 90). وانسجاما مع ذلك فقد عمل المشرع المغربي من خلال القانون رقم 08/05 المنظم للوساطة الاتفاقية على ضمان هذه الخاصية من خلال الفصل 327/66 من قانون المسطرة المدنية الذي ينص على أنه: " يلتزم الوسيط بوجود كتمان السر المهني بالنسبة إلى الأغيار وفق المقتضيات وتحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في القانون الجنائي المتعلقة بكتمان السر المهني، ولا يجوز أن تثار ملاحظات الوسيط والتصريح التي يتلقاها أمام القاضي المعروض عليه النزاع إلا باتفاق الأطراف ولا يجوز استعمالها في دعوى أخرى." (اللمساوي، 2015: 101).

وهذا فيه إشارة واضحة إلى أن كل العروض أو التنازلات التي يقدمها الأطراف في جلسات الوساطة لا يمكن أن تستعمل ضدهم في نفس النزاع عندما يعرض على المحكمة.

ب- الاختيارية:

تعتبر الوساطة بطبيعتها اختيارية بحيث أن الأطراف يلجئون إليها عن طواعية واختيار ما دامت تهدف للوصول إلى حل توافقي ورضائي لذلك فإنه من غير المعقول إجبار الأطراف على هذا المسار، فلا يمكن اللجوء إلى الوساطة إلا بموافقة الأطراف جميعا و معا (بويقين، 2004: 16).

ت- المرونة

من أهم خصائص الوساطة أنها تتم في جو خال من التوترات والمشاحنات التي تلازم عادة المحاكمة وتعمل على اقتراح حل بديل يجنب الأطراف هاجس احتمال خسارة الدعوى بسبب خطأ في الدفاع. ولذلك، فإن الوساطة الأسرية وبخلاف المحاكمة التقليدية التي تؤطرها عدة نصوص وقواعد شكلية وأخرى موضوعية، تتميز بالمرونة التي تسمح بتحرك الوسيط بكل حرية بهدف الوصول إلى اتفاق ودي نهائي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإيجاد حل يرضي الأطراف جميعاً، مما يتيح كثيراً من المرونة في الوساطة لا نجدتها متاحة أمام القضاء الرسمي (جلام، 2008: 97).

ث- السرعة

فمن بين خصائص الوساطة الأسرية أيضاً السرعة على اعتبار أن عامل الوقت في حل أي نزاع قد يتطلب وقتاً قياسياً وفي ظرف وجيز، هذا بخلاف ما عليه القضاء الرسمي بحكم طول إجراءاته ومسارته المعقدة البطيئة والذي قد يستغرق مدة طويلة في الفصل في القضايا، حيث يبقى أطرافه رهائن لإجراءات بطيئة وتأخيرات متناهية قد لا تكون دائماً ضرورية ومبررة مما تتفاقم معه الأضرار التي تنجم عن تحصيل الحقوق في أمد قصير بسبب عدم حل النزاعات في أجل معقولة ومن هنا تأتي أهمية الميزة التي تمتاز بها الوساطة الأسرية كذلك وهي سرعة الحسم في النزاع والذي تتم فيه تسوية النزاع في أجال قصيرة وأحياناً في إطار جلسة واحدة عكس المسطرة القضائية التي قد تسترق أوقات طويلة (بجو، 2011: 60).

ج- الحياد

تعتبر صفة الحياد من أهم الصفات التي ينبغي على من يفصل في أي نزاع أن يتحلى بها لذلك فإنه من الملزم على الوسيط أثناء تسييره لمفاوضاته وجلساته أن يتعد عن السلوك الذي من المحتمل أن يظهره بمظهره التحيز، فلا يمكنه إجبار طرف على حل معين، وهو غير مقيد بقاعدة معينة فسند الوحيد في أداء مهمته هو إجراء الحوار وقوة الإقناع وحسن الاستماع والقدرة على طرح عدة حلول وتصورات لكل نزاع.

د- مشاركة الأطراف في النزاع

تكسي هذه الخاصية أهمية كبيرة في تدبير النزاع الأسري، كما تعد أهم الخصائص التي تنفرد بها الوساطة الأسرية لذا فمن خلالها يتمكن الطرفان في العلاقة الأسرية وبمساعدة وسيط الأسرة من استعادة التواصل والحوار بهدف التوصل إلى الحلول المرضية لهما معاً والحيلولة دون تفكك الأسرة. وعليه فإن ما يميز الوساطة بالتحديد، هو أن أطراف النزاع هم من يختارون الحل بأنفسهم بدل الخضوع له، فحل مشاكلهم العائلية يكون بأيديهم وبمساعدة الوسيط طبعاً بعد الحوارات والمفاوضات التي تجمعهم وتتيح لهم فرصة المكاشفة والمصارحة لبعضهم البعض، وتفريغ المؤاخذات المتبادلة، تم تهدئة النفوس، والتطرق إلى جوهر النزاع ومحاولة إيجاد تسوية ودية لهم بتدخل الوسيط، فبمشاركة الأطراف في النزاع وإتاحة الفرصة لهم للكشف عن أسرارهم ومؤاخذتهم في أنفسهم وتعاونهم الجاد على إدارة النزاع والسيطرة عليه وحله جميعاً يبقى الطريق ممهداً للوسيط بغية الوصول إلى حل ودي توافقي يتقبله جميع الأطراف بشكل تلقائي. (زيهور، 2010)

2.2 أنواع الوساطة الأسرية:

تنقسم الوساطة الأسرية بالنظر لمختلف الأنظمة التي تعتمدها في حل النزاعات إلى وساطة أسرية قضائية، ووساطة أسرية اتفافية.

أ- الوساطة الأسرية القضائية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تتميز الوساطة الأسرية القضائية بكونها تمارس بتوجيه وإشراف من القضاء بحيث تتطلب وجود نزاع معروض أمام القضاء وتنقسم إلى نوعين: النوع الأول يتدخل فيه قاض أو قضاة مكلفين بقضايا الوساطة وهو ما يسمى بالقاضي الوسيط، والنوع الثاني هو الذي يقوم بها وسيط محترف تعينه المحكمة المعروض عليها النزاع من ضمن قائمة الوسطاء المعتمدين لديها، والذي يكون في غالب الأمر من ذوي الخبرة في الميدان القانوني كقاض متقاعد أو محام أو خبير (الحر، 2007: 127) ويمكن أن يكون الوسيط مؤسسة مختصة في الوساطة كمكتب للدراسات والاستشارات القانونية أو جمعية مهنية أو شركات متخصصة في الوساطة الأسرية، في هذا الإطار نجد بعض المحاكم الأجنبية كالأمريكية منها أو البريطانية يمارس لديها وسطاء معينون بصفة منتظمة كما نجد وسطاء يعملون بمراكز ومعاهد متخصصة في الوساطة قد يستعان بهم في المحاكم للقيام بالوساطة (أوديغا، 2007: 41).

وعليه، فإن دور القاضي الوسيط مثله مثل دور الوسيط حيث تبقى مهمته تقريب وجهات النظر بين الأطراف من جهة، وتديير الخلاف بشكل ودي ومقبول من جهة أخرى، إذ أن الوسيط لا يملك أية سلطة في ذلك، لأن القضاء هو الموكول له بالبت في النزاع الأسري في حالة فشل الوسيط في مهامه، مما يوضح وبشكل جلي أن تدخل القضاء في هذا الصدد يتم على مستويين مستوى يقوم فيه بدور وقائي تحفظي على سلامة الإجراءات القانونية، ومستوى ثان يمكن في الأمر باتخاذ إجراءات إدارية قضائية للوصول إلى حل النزاع بمساعدة وسيط الأسرة (الفلاقي، 2007/2008: 88).

أ- الوساطة الأسرية الاتفاقية:

هي التي يتفق عليها الطرفان دون أن يكون هناك أي نزاع معروض بينهما على المحكمة، ومن خلالها يسعيان بمحض إرادتهما، إلى الوصول إلى اتفاق لتسوية خلافاتهما العائلية بمساعدة وسيط أسري، الذي يشرف على عملية حل النزاع دون أن تكون له الصلاحية لصنع القرار ويتم اختيار الوسيط الأسري في الوساطة الاتفاقية، بناء على رضا الطرفين، واعتمادا على ما يتمتع به الوسيط من قيم ومؤهلات عملية وعلمية تؤهله للقيام بفتح الحوار بين الطرفين، وتحضر أجواء التواصل، واستعراض الأطاريح الممكنة، والبدائل للوصول إلى أنسب نقطة تفاهم، في المستوى الذي تلتقي فيه مصالحهما، والانتهاء إلى قرار يضع حد للنزاع بينهما. (الفقيه، 2007: 452).

3. الوساطة الأسرية في التشريع المغربي

أولى المغرب اهتماما كبيرا لمختلف الطرق البديلة لحل النزاعات، حيث عمل المشرع المغربي على توفير إطار قانوني حديث للوسائل البديلة لحل النزاعات في المغرب من خلال قانون 08.05 المتعلق بالتحكيم والوساطة الاتفاقية في قانون المسطرة المدنية والصلح في مدونة الأسرة، وسنحاول فيما يلي التعرض لكل من الصلح والتحكيم والفرق بينهما وبين الوساطة الأسرية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1.3 الوساطة الأسرية و الصلح الأسري

بالرجوع إلى مسطرة الصلح في قضايا الطلاق نجد أنه قد تم التنصيص عليها بشكل مفصل في مدونة الأسرة الحالية، فطبقا للمادة 79 من المدونة يجب على طالب الطلاق، أن يطلب الإذن من المحكمة للإشهاد به لدى عدلين منتصبين لذلك ، فمدونة الأسرة على خلاف مدونة الأحوال الشخصية الملغاة، جعلت الطلاق تحت رقابة المحكمة، بعدما كان يتم من طرف الزوج لدى العدلين ويبقى دور القاضي التأشير على وثيقة الطلاق. فلقد حرص المشرع المغربي على تجسيد مسطرة الصلح في جل أو معظم النصوص القانونية كالصلح في المادة الاجتماعية وفي المادة التجارية وفي المادة الجنائية ثم مدونة الأسرة، التي أولت عناية خاصة لمساطر الصلح عند إنهاء الرابطة الزوجية، حيث نصت المادتين¹ 81 و 82 من مدونة الأسرة على ضمان الحضور الشخصي للطرفين للصلح بينهما، "عند حضور الطرفين تجرى المناقشات داخل غرفة المشورة بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن تراه المحكمة له فائدة في الاستماع إليه، وللمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات التي تساعد على الصلح بما في ذلك انتداب الحكيمين أو مجلس العائلة أو من تراه مؤهلا لإصلاح ذات البين. وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما" (المادة 82 من مدونة الأسرة)²، وذلك قصد مراجعة الزوجين لنفسهما و تهدئة الأوضاع وعودة الأمور إلى ما كانت عليه لئتم خلق مكاتب الصلح بأقسام قضاء الأسرة مهمتها إصلاح ذات البين بين الزوجين في كل القضايا الأسرية يشرف عليها قضاة مختصين في الصلح.

في نفس الإطار نجد أن وزارة العدل والحريات قد أولت هي الأخرى اهتماما للمجال الأسري حيث عملت على توظيف مساعدين ومساعدات اجتماعيات سنة 2010 وقد تم إدماجهم في فئة كتاب الضبط لتسهيل عمل القضاء ولكون أن الأسرة لا ترتبط فقط بالجانب القانوني بل هناك جوانب اجتماعية وثقافية يجب الإحاطة بها، فمن خلال المساعدة الاجتماعية يتم تمكين القضاة من معطيات واقعية بخصوص الوضع الاجتماعي للأسر

1 المادة 81 من مدونة الأسرة: تستدعي المحكمة الزوجين لمحاولة الإصلاح.

إذا توصل الزوج شخصيا بالاستدعاء ولم يحضر، اعتبر ذلك منه تراجعا عن طلبه.

إذا توصلت الزوجة شخصيا بالاستدعاء ولم تحضر، ولم تقدم ملاحظات مكتوبة، أخطرتها المحكمة عن طريق النيابة العامة بأنها إذا لم تحضر فسيتم البت في الملف.

إذا تبين أن عنوان الزوجة مجهول، استعانت المحكمة بالنيابة العامة للوصول إلى الحقيقة، وإذا ثبت تحايل الزوج، طبقت عليه العقوبة المنصوص عليها في المادة 361 من القانون الجنائي بطلب من الزوجة.

2 المادة 82 من مدونة الأسرة: عند حضور الطرفين، تجرى المناقشات بغرفة المشورة، بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن ترى المحكمة فائدة في الاستماع إليه.

للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات، بما فيها انتداب حكيمين أو مجلس العائلة، أو من تراه مؤهلا لإصلاح ذات البين. وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما. إذا تم الإصلاح بين الزوجين حرر به محضر وتم الإشهاد به من طرف المحكمة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

موضوع النزاع ومساعدة الأشخاص والأسر التي تواجه عراقيل وصعوبات في إيجاد حلول ناجعة، كما أنها تساهم بطلب من القاضي في عمليات الصلح من خلال تدبير الخلاف بين الزوجين.¹

من خلال ما سبق نستشف أن الوساطة الأسرية تلتقي مع الصلح في عدة نقاط، كما أنها تختلف عنه في نقط أخرى وتظهر أوجه الالتقاء فيما يلي:

عدم امتلاك سلطة القرار، فالشخص الذي يقوم بالصلح مثله مثل من يقوم بالوساطة فهما لا يملكان سلطة اتخاذ القرار.

أما أوجه الاختلاف فتظهر من خلال ما يلي:

يظهر الفرق بين الصلح والوساطة في كون القاضي وهو يقوم بالصلح يخضع لضوابط وقيود تحكم عمله القضائي، بينما الوسيط يقوم بعمله وهو متحرر من كل القيود التي من شأنها أن تعرقل وصوله إلى صلح يرضي طرفي النزاع، كما أن الوساطة الأسرية هي في حد ذاتها وسيلة لحل النزاع العائلي، في حين أن الصلح بطبيعته غاية.

ثانيا الأسرار التي تروج في الوساطة لا يحتج بها أمام المحكمة عند فشل الوساطة، بينما في الصلح القضائي يمارس عمله بقبعتين تجعل من الصعب أن يتنصل من المعلومات والأسرار التي وقف عليها عند مسطرة الصلح. (اللمساوي، 2015: 101)

2.3 الوساطة الأسرية والتحكيم الأسري:

نظم المشرع المغربي التحكيم الأسري من خلال المادتين 94 و 95 من مدونة الأسرة²، فقد تنبه إلى إمكانية فشل المحكمة في الوصول إلى حل بين الزوجين أثناء محاولة الصلح وسمح للقضاء بإعادة المحاولة من قبل أهل الأطراف في إطار ما يعرف بمؤسسة الحكمين وهذه الآلية ليست دخيلة على القانون المغربي بل استمدت سندها الشرعي من قوله عز وجل " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله عليما خبيراً".

¹ برنامج دعم تنفيذ مدونة الأسرة بشراكة مع مكتب الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين و تمكين المرأة بمنطقة شمال إفريقيا (ONU Femmes) بتعاون مع وزارة العدل والحريات، ووزارة التضامن والمرأة والأسرة الاجتماعية، -وبعض الجمعيات النسائية والحقوقية- بتاريخ 10 يونيو 2013 - ص 27

2 المادة 94: إذا طلب الزوجان أو أحدهما من المحكمة حل نزاع بينهما يخاف منه الشقاق، وجب عليها أن تقوم بكل المحاولات لإصلاح ذات البين طبقا لأحكام المادة 82 أعلاه.

المادة 95: قوم الحكمان أو من في حكمهما باستقصاء أسباب الخلاف بين الزوجين ببذل جهدهما لإنهاء النزاع.

إذا توصل الحكمان إلى الإصلاح بين الزوجين، حررا مضمونه في تقرير من ثلاث نسخ يوقعها الحكمان والزوجان ويرفعانها إلى المحكمة التي تسلم لكل واحد من الزوجين نسخة منه، وتحفظ الثالثة بالملف ويتم الإشهاد على ذلك من طرف المحكمة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفي مدونة الأسرة فقد حددت في المادة 95 مهمة الحكّمين في محاولة التعرف على الأسباب الجوهرية التي أدت إلى الخلاف بين الزوجين، للانتقال إلى تدوير هذه المشاكل وتقريب وجهات نظر الطرفين للوصول إلى صلح يرضيهما ويرجع الطمأنينة والسكينة للعلاقة الزوجية. وإن كانت الوساطة طوعية وغير ملزمة لحل النزاعات الخاصة بين طرفي العلاقة الزوجية، فإن التحكيم يمكن أن يمر بنفس الكيفية ويؤدي إلى نفس النتيجة، فالحكم في التحكيم الأسري لا يتقيد بالجوانب القانونية ولكنه يناقش الوقائع والجوانب الاجتماعية وحتى الإنسانية المرتبطة بالنزاع والآثار المترتبة عليها، ونفس الأمر ينطبق على الوسيط الأسري الذي يملك حرية كبيرة في مناقشة الطرفين. إذا نجح الحكمان في مساعهما الرامي إلى الصلح وجب مضمونه في تقرير يرفع إلى المحكمة يتم الإشهاد على وقوع الصلح بين الطرفين بمقتضى حكم، أما في حالة فشل الحكّمين في مسعى الصلح وجب تضمين ذلك من لدهما في التقرير مع بيان مسؤولية كل واحد من الزوجين في ما وقع من شقاق مع تحديد أوجه هذه المسؤولية، بخلاف جلسات الوساطة التي تمر في سرية ويلتزم جميع الأطراف بالحفاظ على السرية ومن تم لا يمكن استعمال ما راج فيها أو التمسك بتصريحات أو عروض أو تنازل أي طرف فيها إذا ما انتهت مساعي الوساطة بالفشل ورفع النزاع للمحكمة. (اللمساوي، 2015: 101)

كما أن في التحكيم فالحكمان ينتدبان من أهل أطراف العلاقة الزوجية، بمعنى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة، وذلك لأجل محاولة الإصلاح ذات البين هذا وقد لا يكون بالضرورة القائم على عملية الصلح حكّمين إذ يكفي أن يكون حكما واحدا معينا من قبل الزوجين، بخلاف الوسيط في حالة الوساطة الأسرية الذي يعين باتفاق الأطراف في الوساطة الاختيارية وبأمر من المحكمة في حالة الوساطة القضائية. (اللمساوي، 2015: 101)

الوسيط في الوساطة الأسرية ملزم بمرور من مراحل للوصول إلى حل عن طريق جلسات يعقدها في أماكن خاصة إما في أقسام قضاء الأسرة في حالة الوساطة القضائية أو في مراكز خاصة في حالة الوساطة الاختيارية، هذا بخلاف الحكّمين وبحكم آصرة القرابة التي تجمعهم مع أطراف النزاع فغالبا ما تتم مسطرة الصلح أمام أفراد الأسرة.

4. الوساطة الأسرية بالمغرب بين رهانات المأسسة وآليات التنفيع:

إن الوساطة الأسرية باعتبارها وسيلة بديلة لفض النزاعات ليست غريبة على مجتمعنا ومعتقداتنا الدينية وقوانيننا الوضعية وعاداتنا، لذا فهي قابلة للمأسسة والتطبيق لكن ذلك يتطلب اتخاذ مجموعة من التدابير على رأسها تقنين عملية الوساطة في نصوص قانونية واضحة ومفصلة، غير قابلة للتحريف أو التأويل، فرغم أن مدونة الأسرة تضمنت فقرة صغيرة لتحديد مفهوم الوساطة حيث يشير النص وهو مقتطف من ديباجة المدونة، إلى تعزيز آليات التوفيق والوساطة بتدخل الأسرة والقاضي، ورغم إدماج نظام الوساطة في قانون المسطرة المدنية من خلال القانون 08.05 المعدل للباب الثامن منه، حيث نص الفصل 55.327 من هذا القانون على أنه "يجوز للأطراف، لأجل تجنب

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أو تسوية نزاع الاتفاق على تعيين وسيط يكلف بتسهيل إبرام صلح ينهي النزاع" إلا أن هذه النصوص تبقى غير كافية لأنها لم تفصل في المفهوم وبقي موضوع تأويلات. فمن الرهانات الأساسية لمأسسة وتفعيل الوساطة الأسرية يجب الاهتمام بالقضاء وإصلاح أوضاعه كخطوة أولى ولهذا الغرض انخرط المغرب في برنامج شامل للإصلاح القضائي يتوخى من خلاله تحقيق أهداف عديدة من بينها اعتماد الوسائل البديلة لحل النزاعات ومنها النزاعات الأسرية باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع وركيزته، حيث نص الميثاق الوطني حول إصلاح نظام العدالة ل2013 في إحدى توصياته على ضرورة مأسسة الوساطة الأسرية بقضاء الأسرة.

إن المدونة كنص تشريعي تعطي مؤشرات لتفعيل آلية الوساطة في مجال قضاء الأسرة باستعمالها كلمة وساطة وتفعيلها لآليات مسطرة الصلح ذات الصلة بها كما هي معتمدة في كثير من البلدان الأمريكية والأوروبية.

غير أن تقنين الوساطة لا ينحصر في وضع النصوص وبقائها جامدة بل يجب تفعيلها على المستوى العملي الذي يبرز فيه دور المحامي والقاضي كونهم جزء من منظومة القضاء وفاعلان أساسيان في تصريف العدالة، فمن جهتهم يلقي على عاتقهم إقناع أطراف النزاع أو أفراد الأسرة المتنازعة بحل نزاعاتهم بواسطة طرف ثالث وهو الوسيط ومنحهم أجلا كافيا لذلك، ولا يتدخل القاضي للحكم وفض النزاع إلا في حالة فشل الوساطة. (حسن إبراهيم، 2015: 15).

إن الإصلاح التشريعي المطلوب لإدماج الوساطة الأسرية ضمن المنظومة القانونية المغربية لا ينجح إلا إذا واکبه تفعيل عملي لهذه المقتضيات القانونية من طرف مؤسسات الدولة من جهة وفعاليات المجتمع المدني من جهة ثانية، ولن يتأت هذا الأمر إلا بإخراج إطار قانوني لتنظيم الوساطة يراعي الاقتراحات التالية:

- إحداث نصوص تؤصل وتؤسس للوساطة الأسرية من خلال وضع دليل أو قانون للمهنة، ينظم الوساطة الأسرية بصفة مستقلة، والذي يجب أن يعترف به من طرف الدولة والسلطات العامة والجمعيات.
- تكريس واجب الإخبار أو نشر معلومات حول الوساطة الأسرية من طرف السلطات العامة، لتمكين كل الأسر التي تعرف اضطرابات في علاقاتها بوجود هذا الطريق البديل.
- إحداث برنامج للبحث حول الوساطة يشجع الأعمال الجامعية من بحوث وكتابات وإصدارات. (حسن إبراهيم، 2015: 15)

إلى جانب الرهان التشريعي وإصلاح منظومة القضاء نجد أن المغرب قد عمل على جانب مهم وهو الانفتاح على تجارب الدول الأخرى للاستفادة منها وتبادل الخبرات، وفي هذا الإطار تم تنظيم برنامج دولي في موضوع الوسائل البديلة وعلى رأسها الوساطة، ويتعلق الأمر بتجربة التعاون مع المؤسسة الأمريكية ISDLS¹ بهدف

¹ - مؤسسة أو معهد للدراسات وتنمية الأنظمة القضائية. وهي جمعية غير حكومية تأسست في إطار جمعيات المجتمع المدني تتكون أساسا من القضاة والمحامين والخبراء في الميدان القانوني.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إدخال الوساطة كحل بديل للنزاعات في النظام القضائي المغربي والاستفادة من التجربة الأمريكية في هذا المجال حيث تم في إطار هذا البرنامج اعتماد مراحل متعددة منها:

1- تكوين مجموعة مغربية للدراسات القضائية GMEJ، قصد إجراء دراسة مشتركة مع خبراء ISDLS حول كيفية حل النزاعات أمام المحاكم المغربية. وتمثل هذه المجموعة وزارة العدل المغربية، تهدف هذا الشراكة إلى القيام بدراسات ميدانية بكل من المغرب، وولاية كاليفورنيا بهدف الوقوف على مدى إمكانية الاستفادة من التجربة الأمريكية في الطرق البديلة لفض النزاعات، وما هي الإمكانيات التي يوفرها النظام القضائي المغربي في وضعه الحالي وهل هناك قوانين تسمح، أو تحول دون ذلك، أو لا بد من صدور قوانين أخرى.

2- زيارة المجموعة المغربية للولايات المتحدة قصد الاطلاع على نظام الوساطة هناك، حيث تم زيارة محاكم ولاية كاليفورنيا وكذا بعض المكاتب الكبيرة للوساطة للاطلاع عن قرب على إجراءات وتفاصيل تطبيق الوساطة، وحضور بعض الجلسات وعقد اجتماعات مع القضاة والمحامين والوسطاء، واستقصاء إمكانية الاستفادة المغرب من التجربة ووضع تقرير مشترك مع الخبراء الأمريكيين.

3- تنظيم أيام دراسية بالمغرب، تتضمن استقبال الخبراء الأمريكيين من طرف المجموعة المغربية للدراسات القضائية GMEJ للقيام بدراسة ميدانية تشمل زيارة المحاكم من مختلف الدرجات، وإجراء مقابلات مع القضاة والمحامين والأساتذة الجامعيين وتهدف هذه الدراسة إلى إطلاع هؤلاء الخبراء على المساطر الإجرائية في النظام القضائي المغربي والقوانين المنظمة لها، والوقوف على العراقيل والأسباب المؤدية إلى التأخير والبطء في إصدار الأحكام، مع استقصاء أسباب عدم الإقبال على الصلح والتحكيم رغم وجود أرضية قانونية، واجتماعية بالمغرب. كما تم في إطار هذه الدراسة تقديم الخبراء الأمريكيين لعروض عن تجربة ولاية كاليفورنيا في اعتماد الحلول البديلة، وتبادل الآراء حول مدى إمكانية الاستفادة بلادنا من ذلك وتحديد محكمة ابتدائية لبدء التجربة، كما تم تنظيم ندوة¹ مشتركة حول الوساطة فتح فيها نقاش موسع حول الموضوع.

كما اتجه المغرب إلى خلق مراكز للوساطة الاجتماعية الهادفة أساسا لتكوين الأطر المتخصصين كوسطاء اجتماعيين وذلك لتثمين وإغناء هذا التدخل.

ورغم مجهودات المغرب واهتمامه بموضوع الوساطة الأسرية إلا أن التطبيق في الواقع تعترضه إشكالات عملية عديدة الأمر الذي يدعو إلى البحث عن آليات ناجعة لتفعيلها وهذا بتضافر الجهود بين مؤسسات الدولة وفعاليات المجتمع المدني من جمعيات ومنظمات وأفراد. فعلى الدولة أن تضع إطار قانوني واضح يؤطر ويأسس نظام الوساطة بالمغرب يبعد عنها اللبس والتحريف، ويحدد دور ومهام الوسيط وذلك لمراعاة مهامه

1- نظمت هذه الندوة بالرباط أيام 27-28 من شهر مايو 2000، وكذلك نظمت أخرى دولية في مدينة الصخيرات أيام 6 و 7 دجنبر 2015.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

واحترامها، فالرهان الأساسي والأول أمام التطبيق الحقيقي للوساطة الأسرية في الواقع يتجلى في غياب التأسيس القانوني لنظام الوساطة بالمغرب. إضافة إلى خلق معاهد ومؤسسات للتكوين في حين تعبر جمعيات المجتمع المدني عن العمل التطوعي والتكافل الاجتماعي وذلك بتوفيرها لمراكز الاستماع لمساعدة الأسر في وضعية نزاع ولا تفاهم من خلال محاولات الصلح التي تقوم بها وكذلك من خلال حملات الإرشاد والتوجيه والتوعية.

خاتمة وتوصيات:

تشكل الوساطة الأسرية آلية ناجعة لإعادة بناء الرابط الأسري وذلك بقيامها بتعزيز أهمية مؤسسة الأسرة ومسؤولية تربية الأبناء وقيم التنشئة الاجتماعية ثم ترسيخ السلوك المدني وذلك بإحداث مسار مغاير لحل النزاعات الأسرية، فكلما كان حل الخلافات الزوجية بعيدا عن دائرة المحكمة ومحصور بين الزوجين وطرف ثالث كلما أمكن علاجها وتسويتها بحكمة ويروج التصالح والتناصح، ولهذا ينبغي إيلاء هذه الوسيلة اهتماما بالغا ومتزايدا على صعيد النظام التشريعي والقضائي. وكذلك القيام بإدماج فعاليات المجتمع المدني، وذلك بتسخير مجموعة من المؤسسات والجمعيات والمنظمات لخدمة هذه الأخيرة بشكل إيجابي من خلال تفعيلها من جهة أو إحداث مؤسسات جديدة ومراكز تنظم وتطور هذه الطرق في اتجاه تسوية النزاعات الأسرية بالوسائل التي تضمن تماسكها واستمرارها، بدل الدخول دهاليز المحاكم.

و انطلاقا مما سبق يمكن الخروج بعدة توصيات:

- وضع سياسات عمومية ومخططات وطنية اجتماعيا واقتصاديا وتشريعيا تركز على رؤية مندمجة مع كل القطاعات المعنية في مجال الأسرة والنهوض بأوضاعها.
- خلق موقع للوساطة الأسرية على شبكة الإنترنت.
- إشراك مختلف الفاعلين في عملية الوساطة الأسرية، من قبيل مؤسسة المجالس العلمية.
- ضرورة أن تكون الوساطة اجتماعية ووقائية قبل أن تكون قضائية.
- جعل الوساطة إلزامية عند الاقتضاء، تفاديا للجوء للمحكمة مع دراسة إمكانية تحمل الدولة لنفقات الوساطة بالنسبة للأسرة ذات الدخل المحدود وفق معايير دقيقة ومحددة.
- اعتماد برامج التدريب والتكوين لفائدة الشباب المقبل على الزواج تسهم في تعرفه على مسؤولياته وتعلم كيفية تدبير شؤون الأسرة على أساس العدل والاحترام.

فهرس المراجع:

- القرآن الكريم.
- المنجد في اللغة (2000) (ط 39)، بيروت: دار المشرق.
- الصمادي، زياد (2010). حل النزاعات، برنامج دراسات السلام الدولي، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة.
- أوديجا، بنسالم (2011). الوساطة كوسيلة من الوسائل البلدية لفض المنازعات (الطبعة الأولى)، المغرب: دار القلم.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- أوديجا بنسالم (2007). إدماج الوساطة في النظامين القانوني والقضائي بالمغرب السياق العام الإشكالات المطروحة أي دور للمحامي في التجربة، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية، 388.
- الحر، زهور (2007). الصلح والوساطة الأسرية في القانون المغربي والقانون المقارن، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية، 127.
- الفقيه، أحمد (2007). قراءة في مشروع الوساطة بالمغرب، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية، 452.
- اللساوي فايز، أحمد (2015). موسوعة قانون المسطرة المدنية المغربية، الجزء الثالث (ط)، المغرب: دار الوليد للنشر والتوزيع.
- الفلاقي، محمد (2008). الصلح والطرق البديلة لتسوية النزاعات الأسرية (رسالة دبلوم الدراسات المعمقة في القانون الخاص). جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، المغرب.
- الابراهيم، حسن (2015). الوساطة الأسرية بين المأسسة وتحديات التفعيل، المؤتمر الدولي حول الوساطة الأسرية ودورها في الاستقرار الأسري، قصر المؤتمرات الصخيرات، المغرب، 15.
- بجو، مجيدة (2011/2009). دور الوسائل البديلة في تسوية النزاعات الأسرية (رسالة نهاية تدريب الملحقين القضائيين الفوج 36. المعهد العالي للقضاء، المغرب).
- بويقين، حسن (2004). مدى إمكانية تطبيق الوساطة بالمغرب، مجلة المرافعة، عدد 14/15، 16.
- جلام، ادريس (2008). الوسائل البديلة لحل النزاعات وعلاقتها بالقضاء، مجلة المحاكم، عدد 97، 15.
- رقيق، حسن (2016). الوساطة الأسرية قواعد نظرية ومهارات تطبيقية، المغرب.
- زيهور، فوزية (2010/2008). الطرق البديلة لحل النزاعات الأسرية من الصلح إلى الوساطة (بحث نهاية تدريب الملحقين القضائيين فوج 35). المعهد العالي للقضاء، المغرب.
- سروجي، فؤاد (2007). عملية الوساطة، استراتيجيات عملية لحل النزاعات، (كتاب مترجم لكريستوفر، مور، 2003)، (ط1)، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
- وزارة العدل المغربية (2007). دليل الوساطة، وزارة العدل المغربية بتعاون مع السفارة البريطانية المغرب ومنظمة البحث عن أرضية مشتركة، المغرب.
- مدونة الأسرة (صيغة محينة بتاريخ 25 يناير 2016). وزارة العدل، المغرب.
- Moore, C.W. (2003): The mediation process: practical strategies for resolving conflict, 3rd edition. Jossey -Bass. USA.
- STEBE J.-M. (2005), « La Médiation dans les banlieues sensibles », Paris, Presses Universitaires de France, collection Le lien social
- Siddiqui, A & Ross, H. (2004): Mediation as a Method of Parent Intervention in children's Disputes. Journal of Family Psychology.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دور التربية الإسلامية في ترسيخ قيم الحوار والوسطية والتسامح

منهاج التربية الإسلامية بالمغرب أنموذجا

ذ. ادريس الكاميري

وزارة التربية الوطنية / المغرب

مقدمة:

يعد المدخل القيمي في التربية والتكوين بالمغرب من أفضل المداخل من حيث المردودية والفعالية، وقد اعتمدت وزارة التربية الوطنية هذا المدخل في نظامها التربوي والتعليمي منذ أكثر من عقد من الزمن، لما تعرفه الساحة الوطنية والدولية من تغيرات في المجال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي .. ومن القيم الحاكمة في المجال التربوي قيم الحوار والوسطية والتسامح، نظرا للحاجة الملحة في العالم عموما والعربي والإسلامي على وجه الخصوص لهذه القيم، منعا لكل انحراف أو تطرف في الفكر والسلوك.

وقد عالج هذا البحث موضوع قيم الحوار والوسطية والتسامح في كتاب التربية الإسلامية متخذا المستوى الثانوي التأهيلي أنموذجا، لما لهذه المرحلة من تأثير بالغ في حياة المتعلم(ة)، وقد تضمن البحث ثلاثة محاور رئيسة بالإضافة الى تمهيد حول أهمية مدخل التربية على قيم الحوار والوسطية والتسامح في التربية والتكوين ، أما المحور الأول فمدخل تعريفى للمفاهيم المركزية للبحث، و المحور الثاني فكان عبارة عن دراسة لقيم الحوار والوسطية والتسامح في كتب التربية الإسلامية للسلك الثانوي ، ثم المحور الثالث تضمن سبل ترسيخ واستثمار قيم الحوار والوسطية والتسامح ،

● تمهيد: أهمية المدخل القيمي في التربية على ثقافة الحوار والوسطية والتسامح.

إن الرقي بالعملية التربوية يتطلب الارتباط بقيم أساسية يتجه إليها النمو الإنساني الذي تهتم التربية بتحقيقه، وهذا الأمر رهين بزيادة اهتمام النظام التربوي والتعليمي بهذه القيم، ووضع الاستراتيجيات والخطط الكافية في ذلك، مما يستدعي تضافر الجهود بين جميع العناصر، من أهمها: إدارة المدرسة، المعلم، الأسرة، ومؤسسات المجتمع المحلي. لترسيخ هذه القيم ومبادئها الكونية والقيم الإنسانية، والعمل على تصريفها عبر جملة من الإجراءات تكمن في اختيار نصوص حاملة في أصلها وطبيعتها لهذه القيم مع الحرص على عدم إغفال استثمار أبعادها من خلال تقريب النصوص الحاملة لها تحليلا و تركيبا وتنشيطا ينسجم مع التوجهات المنشودة، وعملا على بلورتها حتى يتشبع المتعلم مفاهيمها الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والانسانية ومن هذه القيم الحاكمة في المجال التربوي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قيم الحوار والوسطية والتسامح، نظرا للحاجة الملحة في العالم العربي والإسلامي لهذه القيم منعا لكل انحراف أو تطرف في الفكر والسلوك، فرغم مركزية هذه القيم لدى جميع الأمم فإن المنظومة التربوية في العالم العربي والإسلامي خاصة تعاني من أزمة بنيوية في موضوع القيم؛ وذلك بسبب التطور السريع، والاختراق الرهيب لثورة تكنولوجيا الاتصال؛ وهو الأمر الذي يستدعي تجديد أدوارها لتواكب حاجات المجتمع في تجاوز العقبات، والاستجابة لمختلف التحديات، ضمانا لاستقرار الأوطان، وحفظ أمنها التربوي والأسري والاجتماعي..

لقد أصبح الاهتمام بقضية القيم اليوم الشغل الشاغل عند المهتمين بالفكر والثقافة والتربية أكثر من أي وقت مضى، بل أصبح الحرص على حماية الخصوصيات الثقافية والقيمية أعظم من الحرص على المصالح المادية والتقنية، ولم يعد سرا أن جل منظومات التربية والتكوين في العالم تشكو من أزمة حادة في منظومة القيم، حيث أضحت في تآكل وذوبان مما ينذر بشر مستطير يأتي على الأخضر واليابس.

ومنذ أكثر من عقد من الزمن جددت المملكة المغربية مناهج تدريسها وجمدت منظومتها التربوية لتتوافق مع التغيرات التي عرفها العالم، وتغير قواعد العمل على مستويات عدة: سياسية واجتماعية وثقافية .. حتى تضمن التكيف والتأقلم مع الواقع الجديد ومتغيراته، فعملت على تأهيل المتدربين بطريقة جديدة تتوخى تحقيق الكفايات الأساسية استجابة لتحدي المنافسة العالمية التي فرضتها العولمة وما تبعها من تغييرات في سوق الشغل ومتطلباته، والتغيرات المتسارعة في المجالات: العلمية والإعلامية والاقتصادية، وتخريج أطر مغربية قادرة على تسيير الإدارة وتحريك دواليب الاقتصاد المغربي، وتدبير المقاولات الحديثة. وهذا يفرض اعتماد مدخل التربية والتعليم للتنمية وفق قيم الوسطية والاعتدال والحوار والتسامح والتعايش في ظل الاختلاف، ويركز على المشاركة الإيجابية في البناء الحضاري العالمي وما يستلزم ذلك من تبادل ثقافي معرفي، مبني على الاحترام المتبادل .

وتعد التربية على القيم من المداغل الأساسية للتنمية نتيجة للتغيرات والمستجدات في العصر الحديث، وما رافقها من تطورات هائلة في الثقافة والسلوك، حيث يتأثر مجال القيم بالمستجدات والتغيرات الإقليمية والعالمية، حيث اضمحلت قيم كانت سائدة وظهرت قيم جديدة، فأثر هذا التغير على النظام الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان، وعلى مناهج تفكيره وتعبيره وتدييره.

بصفة عامة هي: تنشئة المواطن الذي يستطيع العيش والتأقلم مع المجتمع الذي يوجد فيه، وتشكيل الشخصية الإنسانية في أدوار المطاوعة الأولى تشكليا يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية، وإذا كانت القيم هي مجموع المبادئ التي تحكم تصورات الفرد للحياة والكون، فإن التربية الإسلامية تعني تنشئة الفرد على قيم إسلامية خالدة، تخرج الفرد الصالح المصلح الإيجابي والبناء، الذي يأتي بالخير أينما وجهته.

والتسامح ، باعتبارها قيم لصيقة بجوهر الدين الإسلامي، وخاصية من خصائصه، جعلت النفوس تقبل عليه وتبناه، لموافقته الطباع البشرية عامة التي تميل إلى الحوار والوسطية والتسامح والاعتدال والتوازن وتنفر من الغلو والتطرف.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

● المحور الأول: مدخل مفاهيمي: -القيم - الحوار -الوسطية -التسامح

نحاول من خلال هذا المدخل المفاهيمي الوقوف على معاني قيم الحوار والوسطية والتسامح في اللغة والاصطلاح، ليتضح مدلولها أثناء الدراسة والتحليل.

✓ مفهوم القيم لغة واصطلاحاً

مفهوم القيم لغة:

يدل لفظ القيمة على ثمن الشيء، ويرجع هذا اللفظ إلى الجذر اللغوي: "قوم"، قال ابن فارس "القاف والواو والميم صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس - قوم وأقوام - وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم - قام قياماً" ¹ ويصدر عن هذا الجذر اللغوي عدة ألفاظ قريبة من بعضها البعض بما يشكل شجرة ألفاظ قريبة ومرتبطة فيما بينها، والمفهوم اللغوي للفظ "القيم" يدل على عدة معان يمكن أن نجملها في ثلاث: قيمة الشيء وثمرته، والاستقامة والاعتدال، و نظام الأمر وعماده.

مفهوم القيم اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للقيم لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالقيمة هي "محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكرهيتها، أو من منزلة معينة ما بين هذين الحدين" ².

أما القيم الإسلامية فهي "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة" ³

✓ مفهوم الحوار لغة واصطلاحاً.

الحوار في اللغة :

من حاور يحاور حواراً ومحاورة، وأصل الكلمة الحور وهو الرجوع، والحوار في اللغة المراجعة في الكلام ⁽⁴⁾، يقول ابن منظور: «والمحاورة المجاوبة، والتحاوير التجاوب» ⁽⁵⁾، وهو من ألفاظ القرآن الكريم قد ورد في أكثر من آية ومنه قوله تعالى: **وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** [الكهف:34].

1- معجم مقاييس اللغة، بن فارس 43/5،

2- ماجد الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 299 .

3- علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية ص 34.

4 ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة «حور» 1042/2-1044؛ والقاموس المحيط للفيروزآبادي «حور» 380-381؛ مقاييس اللغة لابن فارس

مادة «حور» 269

5 مادة «حور» 1043/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مفهوم الحوار اصطلاحاً:

الحوار في الاصطلاح له تعريفات كثيرة لعل من أهمها :

« الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيه الحصول على نتائج فورية»⁽¹⁾.

وهناك تعريفات أخرى للحوار وهي تدور على أن الحوار هو المراجعة بين شخصين أو طرفين في الكلام حول موضوع محدد ليبن كل منهما وجهة نظره فيه لغرض الوصول إلى حقيقة معينة. ومن خلال ما سبق فإنه يمكن تعريف الحوار تعريفاً جامعاً مانعاً بأنه المراجعة بالكلام بين طرفين حول قضية معينة بأسلوب عملي هادئ، قائم على الحجة والإقناع بغرض الوصول إلى الحق فيها .

آداب الحوار:

- الابتعاد عن التعصب للفكرة أو للأمر الذي أَدْعُو إليه؛ لأنَّ هذا المحاور إن كان معه الحقُّ، فلا بد أن يوصِّله إلى الآخرين بعيداً عن الأهواء الشخصية، وإنما هدفه يكون نشر الحقِّ.
- استخدام الألفاظ الحسنة، مع البُعد عن جرح الآخرين بمجرد طرح فكرة تُعارض فكرته².
- الحوار من خلال الاعتماد على حُجج صحيحة، ومن خلال الاعتماد على الدليل الصحيح.
- البُعد عن التناقض في الردِّ على أقوال الآخر، والثبات على مَبْدَأ ونقطة الحوار
- أن يكون الهدف الوصول للحقِّ، وليس الانتصار للنفس³.
- التواضع بالقول والفعل؛ قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (الكِبْرُ بَطْرُ الحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ)⁴,
- الإصغاء وحُسن الاستماع.

✓ مفهوم الوسطية لغة واصطلاحاً :

مفهوم الوسطية لغة :

تدل لفظة "وسط" في اللغة على معانٍ متعددة، فالواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: "العدل، والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه..."⁵، فهي تأتي بمعنى النقطة بين طرفي الشيء وهو منه فنقول: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار⁶. وتأتي بمعنى الخيار، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط

1 الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية لخالد المغامسي 22.

2 عبدالرحمن حبنكة الميداني ؛ فقه الدعوة إلى الله ص 368 ط 1996 ج 1

3 آليات الحوار الناجح؛ د. عبدالرحمن بن سعد الداود ص 80

4 رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، حديث رقم (147)

5- معجم مقاييس اللغة: بن فارس ، باب (الواو والسين): (108/6).

6- لسان العرب ، بن منظور الأفريقي ، (426/7)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار، وتأتي بمعنى (عدل) فوسط الشيء وأوسطه أعدله¹. وتأتي بمعنى: الشيء بين الجيد والرديء، قال الجوهري: (ويقال أيضاً شيء وسط: أي بين الجيد والرديء)².

يقول أبو البقاء الكفوي: "الوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول كمركز الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } يعني متباعدين عن طرفي الإفراط في كل الأمور والتفريط ثم أطلق على المتصف بها"³.

ونستخلص مما سبق أن لفظ "الوسطية" تدل على معاني: العدل والخيار والنصف أو الوسط بين الطرفين.

مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للفظة الوسطية عن المعنى اللغوي، حيث نجد أحمد عمر هاشم يعرفها بقوله: "فالمراد بالوسطية: التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل"⁴، ويعرف الدكتور وهبة الزحيلي الوسطية، بقوله: (والوسطية في العرف الشائع في زمننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة"⁵.

وجاءت الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى، كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ بقوله: "فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"⁶.

ومن معانيها العدول والخيار، ومنه قوله جل وعلا: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: 28]. "أي: أعدلهم وخيرهم"⁷. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي: عدولاً خياراً¹. ويقول الإمام ابن كثير: "والوسط هاهنا: هو الخيار والأجود"²، وعليه فإن الله تعالى قد شرف هذه الأمة وميزها بصفة الوسطية.

1- نفس المصدر والجزء والصفحة

2- الصحاح، الجوهري. 304/4

3- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ص 938،

4- وسطية الإسلام، أحمد عمر هاشم ص 7.

5- "الوسطية والاعتدال في الإسلام". - مؤتمر الوسطية منهج حياة. - الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م. - 18ص.

6 أخرج البخاري، في الصحيح، كتاب بدء الوحي، ج 4، ص 19.

7 الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج 2، ص 112.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

و ضد الوسطية والاعتدال نجد الغلو والتطرف، والذي هو تجاوز الحد في كل شيء، والسير على طرف الطريق، وحرفها، وليس في وسطها.

واستنتاجا مما سبق يمكن أن نقول بأن الوسطية هي الاعتدال والتوازن في شؤون الحياة كلها، الخاصة والعامّة، وتعني صفات الخيرية والعدل التي يتصف بها الفرد المجتمع، وتشكل منهاجا في الحياة، أما قيم الوسطية والاعتدال، فهي تلك الصفات والمعايير والمبادئ التي تحكم تصور الإنسان للحياة والكون، بما تجعله يلتزم صفات الاعتدال والوسط والاستقامة على الطريق، ويميل نحو الخيرية والأفضلية في الاختيارات، ويقصد العدل والإنصاف في أحكامه. لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا تشدد، ولا تقصير.

وهذا مقصود الدين والشريع من تشريع الأحكام والأخلاق والقيم، أن يكون المسلم وسطيا معتدلا، في كل شيء في الاعتقاد والتعبّد، في المأكل والمشرب، في التعامل والتعايش ..، فالوسطية هي "الحق بين باطلين؛ والعدل بين ظلمين؛ والاعتدال بين تطرفين؛ والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرفض للغلو إفراطا وتفريطا؛ لأن الغلو الذي يتنكب الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان، يفتقر توسط الوسطية الإسلامية الجامعة وإمكانات الشهادة والشهود"³.

والغاية والمقصد من تشريع الوسطية والاعتدال هي تحقيق استقامة السلوك وسلامته من الانحراف المؤدي إلى الهلاك والخسران، وضمان استمرار العمل وعدم انقطاعه، وتحقيق الأمن الروحي والاجتماعي ..، وتحقيق سعادة الإنسان والتي هي المقصد الأسمى للشريعة الإسلامية.

✓ التسامح في اللغة والاصطلاح

التسامح لغة:

أصل كلمة التسامح في اللغة العربية يعود إلى فعل ثلاثي أو مادة (سمح)، سَمَحَ: رجلاً سَمَحَ، ورجال سَمَحَاءَ، وقد سَمَحَ سَمَاحَةً، جاد بماله وسمح لي بذلك يَسْمَحُ سَمَاحَةً وهو الموافقة فيما طلب . والتَّسْمِيحُ: الشرعة، ورمحٌ مُسْمَحٌ: نُقِفَ حتى لان، ورجل مِسْمَاحٌ، أي جوادٌ⁽⁴⁾ وتقول العرب: عليك بالحق (فان فيه لمسمحا- كمسكن- أي متسعا) و(السمح رِيَاحٌ)، أي المساهلة في الاشياء تريح صاحبها. والسمح السماحة - الجود، وسمح به: أي جاد به، وسمح لي: اعطاني والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا⁽⁵⁾، وفي الحديث عن الزهري⁽⁶⁾ قال: ((مر النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اعرابي يبيع شيئا، فقال: "عليك بأول سوم أو أول

1 المرجع السابق نفس الصفحة .

2 تفسير القرآن العظيم بن كثير، ج1، ص454.

3- وسطية الأمة الإسلامية، محمد عمارة، مجلة حراء، ع2، كانون الثاني، سنة 2006

4- الفراهيدي، كتاب العين، 272/2.

(5) الجوهري، الصحاح في اللغة، 554/1؛ محمد مرتضى الحسيني تاج العروس 486/1.

(6) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي، كنيته ابو بكر(ت: 124هـ)، فقيه، حافظ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، متفق على جلالته واتقانه، ينظر:

ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي(ت: 230هـ)،

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

السوم فان الارباح مع السماح"⁽¹⁾، فالتسامح كلمة رقيقة لا يعرف معناها الا صاحب العقل الناضج، هي كلمة بسيطة لكن معناها جميل ومكانتها اجمل في الحياة.

مفهوم التسامح اصطلاحاً

عُرِّفَ التسامح على انه تصرف وتصور ورؤية فكرية ازاء العقائد والممارسات المختلفة وليس المتوافقة²، وقد وردت عدة معانٍ واصطلاحات للتسامح كلاً يعطيها تعريفاً حسب وجهة نظره:

1- احتمال المرء بلا اعتراض، ولا اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه³، ان هذا التعريف للتسامح لا يعبر عن وجهة نظرنا بكل ما تعنيه مفردة التسامح من معانٍ، فهو لم يشمل كل أنواع الاعتراض ولم يفصّلها تفصيلاً دقيقاً، فهناك اعتراض على العقيدة او على المبدأ او على وجهة النظر أو على مواقف حياتية معينة.

2- عُرِّفَ على انه: استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وان كنا لا نشاطره رأيه⁴.

3- والمعنى الآخر هو: احترام ودي لآراء الآخر، وذلك باعتبارها مساهمة في الحقيقة الشاملة⁵.

4- وعرف التسامح كذلك على أنه: موقف من يقبل لدى الآخرين وجود طرق تفكير وطرق حياة عما لديه، فيصبح مبدأ التسامح مبدأً توافيقاً، ويكون الغرض منه ليس الأخذ بالمنوعات بل الوصول إلى التوافقات⁶.

وتعريف آخر ان تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وان كانت مضادة لآرائك⁷، ويبدو ان هذا التعريف - على الرغم من إيجازه - هو أكثر شمولية، فمشكلة التعبير عن الرأي هي مشكلة تعاني منها البشرية، وقد تتطور هذه المشكلة لتصبح في نهاية الأمر باباً مفتوحاً للصراع؛ وذلك ان اغلب الصراعات والصدام بين الحضارات والأديان سببه الاختلاف والتقاطع في الرأي والجدال، الذي يفضي في نهاية الأمر إلى الحرب.

● المحور الثاني: قيم الحوار والوسطية والتسامح في كتب التربية الإسلامية للسلك الثانوي

جددت وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية كتبها المدرسية ومناهجها التربوية، معتمدة بيداغوجية الكفايات، وجعلت من مقوماتها التربية على القيم، متجاوزة بيداغوجية الأهداف والتحصيل المعرفي فقط، وفي هذا الصدد نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين على ضرورة العمل على التربية على القيم، كما جاء في الصفحة الأولى للميثاق (المبادئ الأساسية) المرتكزات الثابتة: "يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية

(1)، سنن البيهقي الكبرى، 36/6.

(2)التسامح وجذور اللاتسامح مليكان مصطفى، ص81.

(3)، المعجم الفلسفي، صيليبا جميل 271/1.

(4)الموسوعة الفلسفية، لالاند اندريه 1460/3.

(5) المرجع نفسه، 1461/3.

6، التسامح والتقاطعات، مجلة التسامح علبي، عاطف، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع5، (عمان، 1424هـ/2004م)، ص300.

7 المعجم الفلسفي صليبيا ص272.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقها، والمتوقد للاطلاع والإبداع المطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع".¹

وفي السياق نفسه صدرت المذكرة الوزارية رقم 87 التي تدعو كافة الفاعلين التربويين إلى تفعيل أدوار الحياة المدرسية لدعم مشروع الميثاق الوطني للتربية والتعليم، فركزت على ما يلي:

أولاً: تثبيت القيم الأساسية لدى التلميذ (ة) من خلال:

- التشجيع بمبادئ الإسلام السمحة وقيمه الرامية إلى تكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، والمتسم بالاعتدال والتسامح.
 - تكريس حب الوطن، والتربية على المواطنة والمشاركة الإيجابية في الشأن العام لبلده.
 - الاعتزاز بالهوية الوطنية بكل أبعادها الحضارية والتفاعل بانسجام وتكامل وتفتح مع القيم الإنسانية الكونية.
 - التشجيع بمبادئ المساواة وروح الحوار وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان وتدعيم كرامته.
 - امتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا والإسهام في تطويرها.
- وقد حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين أربع مرتكزات للقيم بالمغرب هي:
- قيم العقيدة الإسلامية_ قيم الهوية الحضارية_ قيم المواطنة_ قيم حقوق الإنسان.
- وقد أبرز الكتاب الأبيض المنبثق عن أجراء الميثاق الوطني للتربية والتكوين مواصفات المتعلمين من حيث القيم والمعايير الاجتماعية المرتبطة بها ومنها :
- القيم الإسلامية وممارسة أخلاقياتها.
 - قيم الحضارة المغربية والوعي بتنوع وتكامل روافدها.
 - حب الوطن وخدمته.
 - قيم حقوق الإنسان / حقوق المواطن المغربي وواجباته.
 - روح الحوار وقبول الاختلاف.
 - قيم المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني وقيم تحمل المسؤولية.

1 التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذه القيم تجلت في الكتب المدرسية، وحديثنا في هذه الورقات سيكون حول قيم الحوار والوسطية والتسامح المضمنة في كتب مادة التربية الإسلامية في المستوى الثانوي التأهيلي، حيث تزرع هذه الكتب بقيم الوسطية والاعتدال والحوار والتعايش مع الآخر المختلف عنا، مما أسهم في تشكيل شخصية مغربية متوازنة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الحفاظ على الهوية والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى.

وقد تنوعت قيم الحوار والوسطية والتسامح في الكتاب المدرسي في مادة التربية الإسلامية للمستوى الثانوي التأهيلي، بين ما هو عقدي وما هو سلوكي وما هو فكري منهجي، بحيث استوعبت كل مناحي حياة المتعلم(ة)، وقد توزعت هذه القيم على جميع محتويات المقرر وانسابت في مكوناته، فنجد قيم الحوار والوسطية والتسامح في أهداف الدرس التي يسعى إلى تحقيقها في نهاية الدرس، أو على مستوى نصوص الانطلاق المؤطرة لمضامين ومحاور الدرس النظري، ونصوص الدروس التطبيقية الهادفة إلى تنمية مهارات الفهم والتحليل والاستنتاج والاستنباط، وكذلك على مستوى الأنشطة المقررة الرامية إلى تنمية روح الإبداع والإنتاج لدى المتعلم(ة)، بما يحيط بوجدانه وقدراته ومعارفه واختياراته.

أ- قيم الحوار والوسطية والتسامح في الاعتقاد والتعبد

معلوم أن العقيدة حاکمة على السلوك، ولذلك تم استهداف غرس قيم الحوار والوسطية والتسامح على مستوى العقيدة، من خلال ترسيخ قيم الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإثبات صفات الكمال والجمال التي تليق به سبحانه وتعالى، كما بينها في كتابه الكريم، وبينتها سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتنزيهه عن كل صفات النقص، ونفي مشابهته للخلق واستخلاص قيمة التوحيد في تزكية النفس وتطهيرها وتمثلها في الحياة، وهو ما برز في درس التوحيد وادلته في مقرر الجذع المشترك. وإذا عدنا إلى الدرس الأول من كتاب الجذع المشترك، مدخل التزكية درس القرآن الكريم سورة الكهف وكيف عالجت هذه السورة موضوع الحوار حيث يشغل الحوار في هذه السورة ثلاثة أرباعها تقريباً، فأياتها التي تعد مئة وعشر آيات، منها ثلاث وثمانون آية في الأقل حوارية. والحوار فيها لا يختص بالقصص الأربع التي تقوم عليها، بل يشمل الخط الواصل بين هذه القصص جميعاً، وهو مخاطبات الله تعالى لرسوله محمد عليه السلام، وهو الخط الأول الذي جاءت القصص (ضرب أمثال) لتعززه وتكمله في بناء السورة الكلي. واثنتان من هذه القصص - وهما قصة صاحب الجنين وقصة النبي موسى والرجل الصالح - يغلب عليهما الحوار حتى كادت تتحولان إلى حواريتين. في هذا الحوار تنوعت الأطراف المتخاطبة، ولم يقتصر الحوار على المخاطبات البشرية، فهناك خطاب من الله تعالى لرسوله محمد عليه السلام، وآخر من الله تعالى إلى الملائكة، ومن الله تعالى للعباد، ومن العباد إلى الله تعالى، ومن العباد للعباد، وأخيراً خطاب النفس أو النجوى. كما نجد تجلي قيم العفو والتسامح في درس الأولى باكوريا مدخل: الحكمة: بعنوان العفو والتسامح حيث هدف الدرس إلى إشاعة قيم العفو والتسامح وحسن معاملة المخالفين كالتسامح مع أتباع الشرائع السماوية الذين لا يحاربون المسلمين، و قبول المخالف واحترامه والسماح له بالتعبير عن رأيه، حيث دلت نصوص من القرآن والسنة وسير الخلفاء في فتوحاتهم على التسامح مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى). والاعتراف بكل

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الشرائع السماوية السابقة، وبكل الأنبياء المرسلين والكتب المنزلة، مع الدعوة إلى احترامها وعدم التعرض إليها بالإساءة، واحترام أتباعها في تدينهم وطقوسهم، وأماكن عبادتهم.¹ وإثارة الانتباه إلى الوحدة العقدية بين الشرائع السماوية مع اختلاف في التشريعات التي نزلت مراعية الظروف الزمانية والمكانية للبشرية. ولذلك كانت الشرائع والأنبياء يكملون بعضهم البعض في انسجام وتناغم، بعيدا عن التنافر أو التنازع. والنص المقتطف من كتاب المنار يوضح ذلك بجلاء المضامين المعرفية في الكتاب المدرسي الهادفة إلى ترسيخ هذا التكامل والانسجام بين التشريعات السابقة والإسلام.

وفي نفس الدرس ضمن كتاب المسمى في رحاب التربية الإسلامية لنفس المستوى، نجد توجيهات لترسيخ قيم الحوار والتسامح مع أتباع الشرائع السماوية مثل: ضمان حريتهم في العقيدة، وحماية أماكن عبادتهم، والدعوة والإقناع والتي هي أحسن، استثمار كل فرص الحوار لإبراز قيم الإسلام، الحرص على تجنب كل أشكال العدوان على أصحاب الفكر المخالف.² وإذا كانت هذه المضامين الداعمة لقيم الوسطية والاعتدال في التعايش مع الآخر المخالف والقبول به، والتسامح معه، على مستوى الدرس النظري، فإن أنشطة هذا الدرس تنقل المتعلم(ة) إلى الوقوف على التطبيق العملي في محيطه وبيئته الاجتماعية، ليقف بنفسه على نموذج حي في التعايش والتسامح والقبول بالآخر والتعاون معه فيما هو مشترك بين الإنسانية على اختلاف اعتقاداتها وثقافتها، بما يخلق قناعة للمتعلم بحتمية التعايش والتعاون مع أصحاب الديانات الأخرى.

جاء في أنشطة درس علاقة الإسلام بالشرائع السماوية السابقة، طلب إنجاز عرض حول: تعايش المسلمين مع اليهود في المغرب، وذلك بالتركيز على المناطق السكنية الخاصة باليهود، والمهن المتداولة بينهم.³ وفي نفس الدرس مطلوب من المتعلمين - بشكل جماعي - إنجاز عرض حول: " مشاركة الأقليات غير المسلمة في الحقوق المدنية والسياسية داخل المجتمع الإسلامي"⁴

أما في جانب التعبد فإن قيم الوسطية والاعتدال تجلت في التركيز على مقاصد العبادات وأبعادها التربوية والاجتماعية والاقتصادية، بعيدا عن الإغراق في التفاصيل والأحكام الفرعية المرتبطة بكل فريضة من الفرائض، رغم أهمية هذه الأحكام في ضبط أداء الفرائض على وجهها الصحيح، إلا أنها قد مرت في المستويات الابتدائية والإعدادية، فبقي التركيز على جوهر العبادات وأسرارها ومقاصدها المبتغاة من ورائها، ليكتمل تصور العبادات والفرائض في ذهن المتعلم(ة) شكلا ومضمونا، فيترسخ في ذهنه أن الفرائض ليست أشكالا وصورا فقط، بل لها روحا وجوهرا، وأن إقامة الفرائض في جانبها الصوري الظاهري غير كاف، وأن الاقتصار على المظاهر في التدين

¹ في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى باكوريا، ص 62-63، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب

² كتاب في رحاب التربية الإسلامية، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة، الدار العالمية للكتاب، طبعة سنة 2017

³ كتاب المنار، مستوى الجذع المشترك ص 19، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب،

⁴ نفس المرجع، ونفس الصفحة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مذموم، ولا بد من إدراك وتحقيق روح الدين الإسلامي في حياة الفرد والجماعة، فلتتحقق قيم الدين الإسلامي المتجلية في التقوى والصالح والرحمة والإخوة والتضامن .. ونفس الأمر نجده في درس الرسول صلى الله عليه وسلم مفاوضا ومستشيرا الأولى باكوريا، والذي يركز على مبدأ التفاوض في معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للآخر وفوائده ويبين كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تحقيق أهدافه عن طريق التفاوض والحوار، ولا يلتجئ الى الحلول الأخرى إلا بعد فشل المفاوضات.¹ ونفس الامر نجده ايضا في درس الرحمة والرفق للمستوى الثانية باكوريا حيث يهدف الدرس إلى تمثل روح الرفق و الرحمة النبوية في سلوكنا الدعوي و منهجنا التغييرى خطابا وممارسة والدعوة إلى التأسى بأخلاق الإسلام الذي من معانيه الكبرى الرفق و الرحمة و المحبة و السلام، فمهما كانت ضغوطات الحياة وصعوباتها، ومهما كانت درجة الاختلاف في وجهات النظر و الرؤى و التصورات ، فعلى الإنسان أن يعيش معاني المحبة و السلام و الإخاء و الرحمة في نفسه، فمن لا يتمثل تلك المعاني في سلوكه و معاملاته و أخلاقه لا يمكن أن يكون قدوة للناس و لا يمكن أن تجتمع عليه قلوب وأفئدة الخلق و لن يكون له الخالق نصيرا².

وتهدف هذه الدروس مجتمعة إلى إعطاء تصور كلي واضح عن خصائص الدين الإسلامي، وبهنا هنا محور قيم الحوار والوسطية والتسامح ، الذي تتجلى فيه هذه القيم على مستوى أهداف الدرس النظري، والتي يطلب تحقيقها لدى المتعلم(ة) في نهاية الدرس، وهذه الأهداف نأخذها من كتاب في رحاب التربية الإسلامية لمستوى الجذع المشترك، وهي تستهدف المتعلم(ة) كما يلي:

- ترسيخ قيم الحوار والوسطية والتسامح ومحاربة الغلو والتطرف
- أن يستثمر معارفه الإسلامية في تحليل ومناقشة بعض مظاهر الغلو، وبعض مظاهر الانحلال في المجتمع، ويبيدي مواقف نقدية منها .
- أن يبدي استعدادة لثمنل أهمية التربية الإسلامية في استقامة الفهم والسلوك اليومي انطلاقا من توجيهات القرآن والسنة النبوية³. وفي هذا الدرس يتعرف المتعلم(ة) على قيم الحوار والوسطية والتسامح في مظانها: قرآنا وسنة، وعلى مظاهرها في أحكام الشريعة الإسلامية والتي تستوعب كل مجالات الحياة، فترسخ هذه القيم على مستوى فهم النصوص الشرعية وتنزيلها على الواقع المعيش، بما يثمر سلوكا وسطيا معتدلا بعيدا عن كل أشكال التطرف والغلو أو الانحلال، موازنا بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وبين الدين والدنيا، حيث "حث الإسلام على التوازن والاعتدال، ونبذ الغلو والتطرف، فالإسلام لم يطلب من الإنسان أن يكون راهبا في مغارة، أو عابدا في

¹ في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى باكوريا ص 50-51، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ،

² في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية باكوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ص 68-69

³ في رحاب التربية الإسلامية، الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ، ص 40

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

خلوة، ليله قيام، ونهاره صيام، كل صمته فكر، وكل كلامه ذكر، وكل نظره تأمل، لا حظ له في الحياة، وإنما طلب منه أن يكون إنسانا عاملا في الحياة يعمرها، ويدفع عجلتها إلى الأمام، طلب منه أن يسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها. بيد أن عليه أن لا تذهله مطالب الحياة، عن واهب الحياة وهو الله تعالى¹.

ب- قيم الحوار والوسطية والتسامح في الفكر والمنهج

في تتبعنا لقيم الحوار والوسطية والتسامح نجدها تشمل الجانب المنهجي والمعرفي في كتاب التربية الإسلامية للمستوى الثانوي، خاصة في السنة الثانية باكالوريا، مراعية تطور مدارك المتعلم(ة) ونمو ذهنه، بحيث في هذه المرحلة يفتح عقله على قضايا معرفية ومنهجية تتطلب إجابات مقنعة، بعيدا عن الخطاب الوعظي أو العاطفي. لذلك نجد مقرر السنة الثانية من التعليم الثانوي بكل مسالكه، يتضمن دروسا في الفكر والمنهج، وقضايا حقوق الإنسان، والخصائص العامة للشريعة الإسلامية، فمثلا في مدخل الاستجابة درس الخصائص العامة للشريعة يهدف الدرس ان يتعرف المتعلم(ة) على قيم الوسطية والتوازن والاعتدال وعلى ان الإسلام دين اليسر ورفع الحرج فهو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من غير تشدد يُحرّم الحلال، ولا تمّيع يُحلّل الحرام وان الإسلام دين الاجتهاد والتجديد².

والملاحظ في دروس التشريع الجنائي في الإسلام هو الحضور القوي للبعد الوسطي المقاصدي، وذلك من خلال القراءة المقاصدية الكلية لنصوص الحدود والعقوبات، وربطها بجانب القيم الروحية التربوية والاجتماعية في الإسلام، بدل القراءة الحرفية التجزيئية الخارجة عن روح الشريعة السمحة ومقاصدها التي جاءت من أجلها. وهذا الطابع المقاصدي يشمل قراءة النصوص الداعمة في الكتاب المدرسي، والنصوص التطبيقية، والوضعيات الاختبارية، .. كما شمل أيضا الكتب والمراجع المذيلة في آخر الكتاب المدرسي، بما يمنح المدرس والمتعلم على حد سواء عدة معرفية وبيداغوجية موجهة نحو الوسطية والاعتدال.

وفيما يتعلق بالوحدة المنهجية، يتعرف المتعلم(ة) على أصول ومصادر المعرفة الإسلامية، بحيث يتعلم أن المعارف الإسلامية لا تأتي من فراغ، وإنما لها مصادر محددة، وهي الوحي الإلهي والعقل البشري، الوحي نجده في القرآن الكريم والسنة النبوية، والعقل البشري من خلال إعماله في فهم النصوص الشرعية وفي تنزيلها على الواقع المعيش، وهو ما يسمى بالاجتهاد. وهو ما يعطي للشريعة الإسلامية الصلاحية والاستمرارية في الزمان والمكان، ويعطي فعالية للعقل البشري، باعتباره مناطا للتكليف، وميزة التكريم الإلهي للإنسان. ويتعرف المتعلم(ة) من خلال هذه الدروس على ضوابط للتعامل مع مصادر المعرفة الإسلامية، بحيث يكون فهمه للدين فهما وسطيا، وتدينه تدينا سليما، لأن جل الاعوجاج في التدين من غلو أو انحراف أو انحلال سببه خلل في فهم النصوص الشرعية، أو في تنزيل هذه النصوص على واقع الناس.

1- المنار في التربية الإسلامية، الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ص 41

2- في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية باكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، سنة الطبع، م 2017.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذا ينقل المتعلم(ة) إلى الوقوف على خصائص التفكير المنهجي في الإسلام، فيتعرف على أن التفكير عند المسلمين له منطلقات وأسس ومصادر وخصائص تميزه، ويتجلى بعض تلك الخصائص في تكامل عالمي الغيب والشهادة، والعقلانية، والوسطية والاعتدال، والتجديد والانفتاح، والاستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية¹، وهذا يمكن المتعلم(ة) من اكتساب قيم وسطية في التفكير وفي منهج البناء المعرفي لديه، مما يجعله يمتلك عقلية نقدية تأصيلية لا تأخذ بالأفكار كما هي مسلمة، وإنما تعلمه الفحص والتمحيص، والعرض على مشرحة النقد، حتى إذا توافقت هذه الأفكار والمعارف مع صحيح المنقول، وصريح المعقول، أخذ بها، وإلا ألقاها في سلة المهملات، أو يدمغها بالحجة والبرهان فتموت في مهدها.

وهذا يؤهل المتعلم(ة) للتعامل مع الانفتاح الإعلامي على مختلف الأفكار والتيارات الثقافية، بلا خوف عليه من التأثير بالانحرافات الفكرية والعقدية.

ج- قيم الحوار والوسطية والتسامح في التواصل وتدابير الاختلاف

التواصل الفعال والبناء يتوقف على مجموعة من القيم والضوابط الحاكمة والموجهة له، ومن هذه القيم قيم الوسطية والاعتدال والتسامح في التواصل والحوار مع الآخر المختلف عن الذات، التي تجعل منه اختلاف تنوع وثراء للإنسانية، ويكون عنصر قوة بفعل التبادل والتعاون بين المكونات المختلفة.

وفي الكتاب المدرسي لمادة التربية الإسلامية للسنة أولى باكوريا بجميع شعبها ومسالكها، تحضر قيم الحوار والوسطية والتسامح في الوحدة الأولى المعنونة بالوحدة التواصلية، لتوجيه المتعلم(ة) في تواصله وحواراته مع الآخر، وهكذا نجد قيمة تحكم نية التواصل وقصده وفعله، بما يضمن حضور إرادة نشر الخير والصلاح والتعاون منذ البداية، مع التنبيه إلى معيقات التواصل في تلقي الخطاب أو إرساله، سواء كانت هذه المعوقات نفسية أو سلوكية. وفي الدرس الثاني من نفس الوحدة تم وضع ضوابط الحوار، تساعد على تقبل الآخر والاعتراف به والإقرار بالحرية في التعبير والاختلاف. وحسن القول بتجنب المحاور الألفاظ الجارحة وعبارات السخرية والاستهزاء. ثم العلم وصحة الأدلة: وهو ضابط يلزم المتحاورين باعتماد العلم والبرهان للدفاع عن الرأي أو لتفنيد. وآخر هذه الضوابط الإنصاف والموضوعية: يلزم المحاور بالإذعان للحق متى تبين له صدق حجة الطرف الآخر. ونفس القيم تنساب في الدرس الثالث في آداب الاختلاف وقواعد تديبه، ليكون الاختلاف تنوعا يغني الفكر ويتيح تقدم العلم ورفي الحضارة، وتعايش سلمي بين مختلف مكونات المجتمع، أما آداب الاختلاف فجمعت في التسامح، وقبول الآخر والإنصاف والموضوعية، أما قواعد تديبه الاختلاف فجاءت لاستثمار الخلاف وتوظيفه في تلاقح الأفكار وتبادل التجارب والتعاون على الخير وهذه القواعد كما يلي: ضبط النفس والعلم بموضوع الاختلاف، والتفاوض، ثم التحكيم.

1- في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية باكوريا، ص 61-62

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

• المحور الثالث: سبل ترسيخ قيم الحوار والوسطية والتسامح

وجود قيم الحوار والوسطية والتسامح في الكتاب المدرسي، أمر ضروري ومهم لتنشئة جيل متوازن ومعتدل، لكن لا بد من تزكية هذا الوجود القيمي في المقررات والمناهج الدراسية، حتى يتوفر للمتعلم فضاء مدرسي سليم مفعم بقيم الحوار والوسطية والتسامح، وذلك من خلال:

☞ توفير القدوة الحسنة المتصفة بالوسطية والاعتدال داخل المؤسسات التربوية، وذلك على مستويات الإدارة التربوية والعلاقات الصفية، فتتجلى الوسطية في المدرس والمدير والحارس العام، وهذا يقودنا إلى الحديث عن ضرورة اتصاف الأطر التربوية عموماً بقيم الوسطية والاعتدال في التفكير والسلوك، ويضمن ذلك الانتقاء الجيد والتكوين العميق الشامل في مراكز التكوين في مهن التربية والتعليم ومراكز الإدارة التربوية والتفتيش والتوجيه..

☞ ضرورة إشراك الأسرة في العملية التربوية، سواء بتوفير الحضان العاطفي المناسب داخل الأسر، ومن خلال تتبع تحصيل المتعلم(ة) ومدى مسابرة الدراسية، ومن خلال التواصل الفعال بينه وبين المدرسة، ومشاركة الأبناء في الاستعمال السليم للوسائل التواصل والتقنيات الحديثة.

☞ توفير فضاء مدرسي نظيف بعيد عن كل الظواهر السلبية وغير الأخلاقية، مثل العنف والإدمان والتحرش والاستغلال..، وحياء مدرسية سليمة مفعمة بالحيوية والنشاط، مع الحرص على إدماج قيم الوسطية والاعتدال في الأنشطة المدرسية لبناء شخصية المتعلم(ة)، وإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية.

☞ تدعيم المرجعية الإسلامية لقيم الحوار والوسطية والتسامح، وتقوية حضور المحتوى الشرعي في الكتاب المدرسي، لأن الخطاب الشرعي، يخاطب القلب والروح، وهو خطاب مقبول لدى الناشئة المسلمة، التي تعتبره هو الحق وهو الأصل، وأن الالتزام به هو اهتداء على الطريق الصحيح.. خطاب ديني مشبع، ناهل من مصادر الدين الإسلامي ومن التراث الفقهي والفكري الإسلامي، الذي يعكس تجربة المسلمين عبر العصور.

• خلاصة

ترجع القيم المثبتة في كتاب التربية الإسلامية مستوى الثانوي التأهيلي في أصولها إلى الدين الإسلامي وإلى القيم الكونية المشتركة بين الإنسانية، مراعية الخصوصية المغربية ذات الانتماء العربي الإسلامي الأمازيغي الإفريقي والقريب من الجانب الأوربي، وهذا أعطانا غنى في الشخصية المغربية المتميزة بالمرونة والانفتاح على الآخر.

في نهاية هذا البحث نؤكد على أن قيم الحوار والوسطية والتسامح حاضرة بقوة في كتب التربية الإسلامية، من حيث المضامين والأهداف والكفايات، ونلاحظ أن مضامين مقررات وكتب التربية الإسلامية في المستوى الثانوي التأهيلي تنسجم وتتناغم فيما بينها، بحيث تنتظم في قيم حاکمة ومبادئ حاکمة، خاضعة للمرجعيات الفكرية والمعرفية والقيمية الموحدة في إطار فهم وسطي لنصوص القرآن والسنة، مراعية القيم الكونية المشتركة بين البشرية، محترمة للخصوصية الثقافية المغربية، ترمي إلى تخريج الفرد الصالح والمصلح، المتوازن والمعتدل في تفكيره

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وسلوكه، والمتعايش مع بيئته الفاعل والإيجابي في محيطه. وإذا ما عززت هذه القيم الموجودة في الكتاب المدرسي الخاص بالتربية الإسلامية، عبر توفير حياة مدرسية مفعمة بالحيوية والنشاط، وفضاء مدرسي مؤهل نظيف، ونموذج في القدوة الصالحة داخل المدرسة والأسرة، وتأهيل في كيفية التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة.. يمكن تخريج جيل ناشئ يتسم بالوسطية والاعتدال والتسامح والانفتاح على الآخر، قادر على التمتع الجيد في زمن العولمة الثقافية والاقتصادية، لا خوف عليه من تيارات التطرف والغلو أو الإلحاد والانحراف. ولا يكون ذلك الا عبر تعزيز مكانة التربية الإسلامية بالتعليم المغربي، وتكييف مناهجها بما يجعلها منفتحة على العلوم الانسانية والطبيعية، ومساهمة في معالجة قضايا الواقع وتوجيه حركة التنمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) معجم مقاييس اللغة، بن فارس، دار الجيل، سنة النشر: 1420هـ / 1999م،
- (2) ماجد الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- (3) علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية .
- (4) القاموس المحيط للفيروزآبادي.
- (5) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية لخالد المغامسي
- (6) عبدالرحمن حبنكة الميداني ؛ فقه الدعوة إلى الله . ط 1996
- (7) آليات الحوار الناجح؛ د. عبدالرحمن بن سعد الداود
- (8) لسان العرب ، بن منظور الأفرقي ،
- (9) الصحاح ، الجوهري (ت393هـ).
- (10) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.
- (11) وسطية الإسلام ، أحمد عمر هاشم، منشورات دار الرشد، القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.
- (12) "الوسطية والاعتدال في الإسلام". - مؤتمر الوسطية منهج حياة. - الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م. -
- (13) البخاري، في جامع صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي،
- (14) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة،.
- (15) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل ، دار طيبة للنشر والتوزيع،
- (16) وسطية الأمة الإسلامية ، محمد عمارة، مجلة حراء، ع2، كانون الثاني، سنة 2006
- (17) الفراهيدي، كتاب العين،
- (18) تاج العروس، (بيروت، د.ت)،
- (19) سنن البيهقي الكبرى، تح: محمد بن عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة، 1414هـ / 1994م)،
- (20) مليكان، مصطفى، التسامح وجذور اللاتسامح، مركز دراسات فلسفة الدين، (بغداد، 2005م)،
- (21) صيليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، (قم، 1414هـ / 1994م)
- (22) لالاند، اندريه، (ت: 1382هـ / ذ 1963م)، الموسوعة الفلسفية،
- (23) علي، عاطف، التسامح والثقافات، مجلة التسامح، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 1424هـ / 2004م

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 24) التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي
- 25) في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى باكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب
- 26) كتاب في رحاب التربية الإسلامية، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة، الدار العالمية للكتاب، طبعة سنة 2017
- 27) كتاب المنار، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب
- 28) في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية باكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ

حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج أنموذجاً

د. ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحياء

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم/السعودية

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع من تختلف معهم أياً كان هذا الخلاف أمر مشروع، جاء الحث عليه في كتاب الله تعالى في أيما آية، يقول تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ { [سورة النحل:125]. ويقول تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت:46].

وقد سار الصحابة رضي الله عنهم - الذين هم محل القدوة والأسوة لمن بعدهم - مع المخالفين في زمانهم هذه السيرة، حيث من المعلوم أن رؤوس الفرق - كفرقة الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة - ظهرت قبل انقراض هذا العهد المبارك، فحفظت لنا كتب التاريخ والسير مواقف الصحابة، وطريقة تعاملهم، وكيف واجهوا تلك الفرق وحاوورهم ملتزمين بالمنهج النبوي القائم على العدل والقسط مع الموافق والمخالف.

ومن هذه الفرق التي وقف لها الصحابة وجابهاوا بدعتها علمياً وعملياً فرقة الخوارج المارقين، وتعد بدعة الخوارج من أخطر البدع التي ظهرت في زمانهم، حيث أدت هذه البدعة إلى فتح باب الفتنة والفرقة بين المسلمين، وتكفيرهم والخروج على جماعتهم، وسفك دمائهم وانتهاك حرمتهم.

وهذا يحتم علينا دراسة تلك المواقف والحوارات في التعامل مع المخالفين، لنستلهم منها الدروس والعبر، وخصوصاً إذا استصبحنا أن جماعات الغلو والعنف المعاصرة هي امتداد للخوارج السابقين، حيث يستمدون عقائدهم منهم ويحاولون إعادة إنتاج أفكارهم، مما يضاعف المسؤولية، ويعزز الأهمية لمعالجة مثل هذه الأفكار ومحاربتها.

وهناك نماذج كثيرة لحوارات الصحابة مع الخوارج يحسن الوقوف عندها، واستجلاء أمرها لعل من أهمها: حوار ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم مع الخوارج المارقين في مناسبات وأحوال متفرقة،

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ظهر فيها سعة أفق الصحابة ورحابة صدورهم، وطول صبرهم، حيث يحاورونهم ويجيبون على أسئلتهم واستفساراتهم المتعنتة، كل ذلك لعل هذا يكون سبباً في أوبتهم ورجوعهم.

وهنا أجد الفرصة سانحة في هذا المؤتمر المبارك لتناول هذا الموضوع وإلقاء الضوء عليه تحت عنوان (منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ: حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج أنموذجاً).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- 1- استجلاء الحوارات التي وقعت بين الصحابة وفرقة الخوارج لبيان الحق لهم وردهم عن ضلالهم.
- 2- استخراج منظومة القيم والأصول التي تضمنتها تلك الحوارات، ومن أبرزها قيمة العدل والإنصاف.
- 3- محاولة الإفادة من تلك الحوارات بما تضمنته من أفكار وأساليب في المحاورة والجدل، وتوظيفها في محاورة أصحاب فكر العنف والغلو.
- 4- بيان تشابه الأفكار والمنطلقات بين تيارات الغلو والعنف في القديم والحديث.

حدود البحث:

محاويرات الصحابة للخوارج كثيرة لكن لعلني أقتصر على أبرزها وأكثرها عمقاً وأشدّها أثراً، وهي حوارات: ابن عباس، وعلي ابن أبي طالب، وعبدالله ابن الزبير.

منهج البحث:

منهجي يقوم على المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع حوارات الصحابة مع الخوارج من مظانها، والحكم عليها من جهة الرواية، ثم التعليق عليها، ومحاولة استخراج الدروس والعبر من تلك الحوارات ما أمكن.

خطة البحث:

وسأسير في هذا البحث على النحو التالي:

- مقدمة: أبين فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

- تمهيد: وفيه

أولاً: بيان المقصود بالحوار وأهم أهدافه

ثانياً: التعريف بالخوارج.

- المبحث الأول: حوار علي وابن عباس رضي الله عنهم مع الخوارج

- المبحث الثاني: حوار عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مع الخوارج

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- المبحث الثالث: حوارات أخرى للصحابة مع الخوارج
- خاتمة: أخلص فيها لأهم النتائج.
- هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لما فيه خيري الدنيا والآخرة.
- والله يحفظكم ويرعاكم.

التمهيد

● أولاً: المقصود بالحوار:

- تعريف الحوار:

الحوار في اللغة:

مأخوذ من الحَوَز: وهو "الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَإِلَى الشَّيْءِ" (1)، وحوارت فلانا محاوره إذا كلمك فأجبتَه (2) "وَتَحَاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ" (3).

وفي الاصطلاح:

هو: الطريقة التي يستعملها المحاور مع الطرف الآخر في موضوع محدد بهدف الوصول إلى الحق من خلال إقناعه وتصحيح خطئه ما أمكن (4).

- أهداف الحوار ومقاصده:

- 1 - إقامة الحججة: الغاية من الحوار إقامة الحججة ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.
- 2 - الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].
- 3 - تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.
- 4 - كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: 55] (5).

(1) لسان العرب: 217 / 4.

(2) جمهرة اللغة: 525 / 1.

(3) القاموس المحيط: 381.

(4) آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير: 6.

(5) آداب الحوار وقواعده الاختلاف: 4.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

● ثانياً: التعريف بالخوارج:

- الخوارج في اللغة: جمع خارج والنسبة إليه: خارجي، وقد أطلقت هذه الكلمة في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء؛ لخروجها على الدين، أو على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. قال الزبيدي (1205هـ) عنهم: " وهم الحرورية، والخارجية طائفة منهم، وهم سبع طوائف، سُموا بهم لخروجهم على الناس، أو عن الدين، أو عن الحق، أو عن علي رضي الله عنه بعد صفين"(1). وقال الأشعري (324هـ): " والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"(2).

- نشأة الخوارج ووقت ظهورهم:

الذي يذهب إليه كثير من مؤرخي الفرق أن اللحظة التاريخية لظهور الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسي وفكر خاص، هي حين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن رضي بالتحكيم في موقعة صفين، والتحموا معه في معركة النهروان.

يقول ابن تيمية (728هـ): " ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكيمين، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فكفَّ عنهم أمير المؤمنين، وقال: لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء، ولا نمنعكم المساجد، إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، فقتلوا عبد الله بن خباب، وأغاروا على سرح المسلمين؛ فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله '... فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله '، وقال: هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرح الناس، فقَاتلهم"(3).

المبحث الأول: حوار علي وابن عباس رضي الله عنهم مع الخوارج:

كما بينا - في المقدمة- أن الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع من تختلف معهم أياً كان هذا الخلاف أمر مشروع، وقد سلك الصحابة رضي الله عنهم هذا المسلك مع الخوارج من بداية ظهورهم، فحاول علي وابن عباس رضي الله عنهما كشف ما لحق بهم من شبه، واستعطفاهم وردَّهم إلى جادة الصواب، قبل أن يستفحل أمرهم، وقد كان لهذا أثر حيث رجع بعضهم عن رأيه إلا أن البعض الآخر لم يُجدِ معه الحوار.

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن شداد أنه قال: أن علياً لما كاتب معاوية، وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء، من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى. فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن: أن لا يدخل علي أمير المؤمنين إلا

(1) تاج العروس: 30 / 2.

(2) مقالات الإسلاميين: 27.

(3) مجموع الفتاوى: 33/13.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

رجل قد حمل القرآن⁽¹⁾. فلما أن امتلات الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويانا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما فامة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ونقموا علي أن كاتب معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال: سهيل لا تكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: «كيف نكتب؟» فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاكتب: محمد رسول الله» فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك. فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا. يقول: الله تعالى في كتابه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم، قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: قوم خصمون فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله. فقام خطبائهم فقالوا: والله لتواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لتتبعنه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله. فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعث علي، إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين⁽²⁾.

وقد جاء تفصيل حوار ابن عباس رضي الله عنه للخوارج في موضع آخر ولأهميته يحسن إيرادها:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار، وهم ستة آلاف، أتيت علياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبرد بالظهر لعلي أتى هؤلاء القوم فأكلهم. قال: إني أخاف عليك. قلت: كلا. قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حُلل اليمن، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيراً. قال ابن عباس: فأتيتهم، وهم مجتمعون في دارهم، قائلون فسلمت عليهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس فما هذه الخلة؟ قال: قلت: ما تعيبون علي، لقد رأيت علي رسول الله ' أحسن ما يكون من الحُلل، ونزلت: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [سورة الأعراف: 32]، قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي ' من المهاجرين والأنصار، لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل: وليس فيكم منهم أحد. فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله يقول: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ

(1) ويقصد بحملة القرآن الخوارج فإنه كان يطلق عليهم في زمن علي (القراء).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وقال ابن كثير في "تاريخه" 292/7 بعد أن ذكر من رواية أحمد: تفرد به أحمد وإسناده صحيح".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حَصِيمُونَ} [سورة الزخرف:58]، قال ابن عباس: وأتيت قوماً لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم مُسَهِّمَةً وجوههم من السهر⁽¹⁾، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم⁽²⁾، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول. قلت: أخبروني ماذا نعمتم على ابن عم رسول الله، وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكَمَ الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ} [سورة الأنعام:57]. وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الأخرى؟ فإنه قاتل، ولم يسب ولم يغتم، فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم. قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت: أما قولكم: حَكَمَ الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربيع درهم في أرنب، ونحوها من الصيد، فقال: {يَأْأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ} [سورة المائدة:95]، فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ} [سورة النساء:35]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم، قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغتم، أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولئن قلمت: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [سورة الأحزاب:6]، فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها، صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأريكم قد سمعتم أن النبي يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله 'لأمير المؤمنين: "اكتب يا علي: هذا ما اصطاح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله" فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلالة»⁽³⁾.

هذه المحاورات الجميلة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولاً، ثم إرساله ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج ومحاورته لهم، هي عنوان للمجادلة بالتي هي أحسن، وهي من أولى المحاورات التي وقعت بين الصحابة والخوارج لثيهم عن بدعتهم وخروجهم على جماعة المسلمين.

(1) أي متغبرة. انظر: النهاية في غريب الحديث: 429/2.

(2) أي تشهد لهم بكثرة الصلاة مما يظهر عليها من الخشونة بسبب ملامسة الأرض، ويشهد لذلك الرواية الأخرى: «كان أيديهم وركبهم ثنى»، «والفتنة: ما ولي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من أثر البروك» ولذلك كان يقال لكبيرهم عبدالله بن وهب الراسبي «ذو الفتات» من كثرة السجود. انظر: النهاية في غريب الحديث: 215/1-216، القاموس المحيط: 1184.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک ح(2671) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(308).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومما يحسن الوقوف عنده في هذه المحاورات ما يلي:

1- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالحوار مع الخصم: يحسن أن يكون المحاور على حال من العلم الشرعي والمكانة الاجتماعية حتى يكون وقع المحاوره أكبر في حق الموافق والمخالف، وهكذا كان علي وابن عباس رضي الله عنهما.

فعلي لا يخفى علمه وحكمته وبُعد نظره على أحد..

وكذلك ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ولأن الخوارج كانوا يُعرفون بالقرآن، ويعتمدون في الاستدلال على معتقدتهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدري الناس بالقرآن وتأويله.

2- تحديد الأرضية المشتركة ونقاط الاتفاق بين المتحاورين: حيث جعلوا بينهم وبين الخوارج أرضية مشتركة يرجعون إليها عند الاختلاف وهي الكتاب والسنة، وهذا ظاهر في محاوره علي حيث أرجعهم إلى القرآن في مسألة الشقاق بين المرأة وزوجها، وأرجعهم إلى السنة في قصة صلح الحديبية. وهو أشد ظهوراً في محاوره ابن عباس لهم حيث طلب إقرارهم على هذا فأقروه عليه: " فقلت لهم: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ' ما يريد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم ".

3- استيعاب شبه المحاورين ورأيهم قبل محاورتهم: وهذا مهم جداً من أجل قطع حججهم فلا يكون لهم كلام بعد ذلك إذا أجابهم عليها، ولهذا تربيّت أمير المؤمنين في الإجابة على حجج الخوارج مع كثرة اعتراضهم عليه، حتى عرف أنهم إنما ينقمون عليه ما ذكروه ثم دعاهم وجمعهم وبيّن لهم.

وكذلك ابن عباس رضي الله عنه طلب منهم في بداية المناظرة فقال: "قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله '، وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً. قلت: ما هن؟".

4- أحيانا تحتاج في المحاوره إلى بيان شناعة ومخالفة رأي من تحاوره: كأن تبين له أنه بقوله هذا قد فارق من هو أعلم منه كما فعل ابن عباس حين قال للخوارج: " أتيتكم من عند صحابة النبي ' من المهاجرين والأنصار، لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد". بل بيّن لهم أنهم بقولهم مفارقون لجماعة المسلمين وإمامهم، وذلك حينما قال: " أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ' وصهره، والمهاجرين والأنصار".

5- الإجابة على جميع حجج المناظر- ما أمكن-: وهذا ما حصل من علي وابن عباس حيث أجابوا عليها كلها، ضمن ما اتفقوا عليه من الرجوع فيها إلى الكتاب والسنة.

6- الصبر وإظهار الاحترام للخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من فعل أمير المؤمنين وابن عباس للخوارج

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

فأمير المؤمنين صبر عليهم وتحمل أذاهم ثم دعاهم دعوة خاصة دون غيرهم إلى بيته وحاورهم.

وكذلك ابن عباس ذهب إليهم مع أن حقه أن يأتوه وتحمل كلامهم فيه، ثم حاورهم.

7- ليس من شرط المحاور والمناظرة أن يرجع المخالفون كلهم عن ضلالهم، المهم {مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [سورة الأعراف: 164]، ولذلك ابن عباس رضي الله عنه مع أنه أجاب عن شبههم بياناً شافياً إلا أن أكثرهم لم يرجع عن رأيه اتباعاً لهواه وهذا لا علاج معه: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [سورة الفرقان: 43-44].

المبحث الثاني: حوار عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مع الخوارج

لعبدالله بن الزبير محاوراة طويلة مع الخوارج يحسن إيرادها لما فيها من دروس وعبر:

يقول ابن المبرد في الكامل: «بلغ الخوارج خروج مسلم بن عقبة إلى المدينة وقتله أهل الحرّة، وأنه مقبل إلى مكة، فقالوا: يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمتحن ابن الزبير، فإن كان على رأينا تابعناه. فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى اتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام، فدافعوه إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية، ولم يتابعوا ابن الزبير؛ ثم تناظروا فيما بينهم، فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قدّم أبا بكر وعمر وبرىء من عثمان وعليّ وكفّر أباه وطلحة بايعناه؛ وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير وهو متبدّل وأصحابه متفرّقون عنه، فقالوا له: إنا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على صواب بايعناك، وإن كنت على خلاف دعوناك إلى الحق؛ ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي حمى الحمى، وآوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آل بني معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين، وفي الذي بعده الذي حكّم الرجال في دين الله وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؛ وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليّاً، وهو إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بيعته وأخرجوا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة؛ فإن أنت قبلت كل ما نقول، لك الزلفى عند الله، والنصر على أيدينا إن شاء الله، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيت خذلك الله وانتصر منك بأيدينا.

فقال ابن الزبير: إن الله أمر -وله العزة والقدرة- في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العاتين بأرقّ من هذا القول؛ فقال لموسى وأخيه صلى الله عليهما: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [سورة طه: 43-44]، وقال رسول الله: (لا تؤذوا الأحياء بسبّ الموتى). فنهى عن سبّ أبي جهل من أجل عكرمة ابنه، وأبو جهل عدوّ الله ورسوله، والمقيم على الشرك، والجادّ في محاربة رسول الله قبل الهجرة والمحارب له بعدها، وكفى بالشرك ذنباً؛ وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سمّيت فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتبرأ من الظالمين؟ فإن كانا منهم دخلا في غمار الناس، وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني بسبّ أبي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله قال للمؤمن في أبيه: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الدُّنْيَا} [سورة لقمان:15]. وقال: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [سورة البقرة:83]. وهذا الذي دعوتهم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه. فروحوا إلي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى.

فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلك نجدة، قال: هذا خروج منابذ لكم. فجلس على رفح من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته؛ ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاصي بإذن رسول الله، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبوه من أمور ما كان له أن يفعلها أولاً مصيباً ثم أعتبهم بعد ذلك محسناً. وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبي ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم. فدفعوا الكتاب إليه، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به؛ وقد أمر الله، بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله، ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف، وقد قال رسول الله: «من حلف بالله فليصدق، ومن حلف بالله فليقبل»⁽¹⁾. وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه. وأنا ولي وليه وعدو عدوه، وأبي وصاحبه صاحب رسول الله، ورسول الله يقول عن الله، يوم أحد لما قطعت أصبع طلحة: «سبقته إلى الجنة». وقال: «أوجب طلحة»⁽²⁾. وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كله أو جلّه لطلحة. والزبير حوارى رسول الله، وصفوته، وقد ذكر أنه في الجنة. وقال: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [سورة الفتح:18]. وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم؛ فإن يكن ما صنعوا حقاً فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها، وفيما وقّعهم له من السابقة مع نبيهم، ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتكم بأمكم عائشة، فإن أبي آب أن تكون له أمماً، نبذ اسم الإيمان عنه؛ وقد قال جلّ ذكره: {الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [سورة الأحزاب:6]. فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه»⁽³⁾.

وهذه المناظرة بين ابن الزبير والخوارج تبين كيف أن الحوار يكشف عوار الأفكار، ومما يحسن الوقوف عنده في هذه المناظرة ما يلي:

1- اختيار الوقت والمكان المناسب للمناظرة، وخصوصاً مع أمثال هؤلاء الذين عُرف عنهم الغدر، ولهذا لما طلبوا مناظرته قال لهم: "فروحوا إلي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى. فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلك نجدة، قال: هذا خروج منابذ لكم".

(1) أخرجه ابن ماجه ح(2175) من حديث ابن عمر بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله» وقال عنه ابن حجر في الفتح(536/11) "سنده حسن" وقال عنه الألباني في إرواء الغليل(314/8) إسناده صحيح.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه ح(1805) بلفظ: «كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم أحد، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأعد طلحة تحته فصعد النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى استوى على الصخرة. فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أوجب طلحة» وقال عنه الألباني في الصحيحة تحت رقم(945) "حديث حسن".

(3) ذكر القصة بطولها ابن المبرد في الكامل:202/3-204، وأخرجها الطبري بنحوها:563/5-566.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2- أهمية أن يكون المناظر عالماً قوي الحججة، وهذا ظاهر في المناظرة، ويؤكد هذا أنه قال لهم: " وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحب من عدوه ". ولذلك لم يتعقبوا رأي ابن الزبير رضي الله عنه.

3- عدم المجاملة في الحق، فالحق أحق أن يُتبع، فمع حاجة ابن الزبير رضي الله عنه لهم إلا أنه لم يجاملهم، بل جلى لهم الحق في أبرز القضايا التي فارق فيها الخوارج المسلمين، ولهذا قال لهم: " وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحب من عدوه ". ثم أجابهم بما يعتقد ويدين الله به دون مجاملة أو مواربة.

4- أهمية معرفة المحاور بما سوف يحاور فيه: ولذلك لما تكلموا في عثمان وعلي والزبير وطلحة، أستحضر فضائل هؤلاء الواردة في حقهم في النصوص - كفضل أهل بيعة الرضوان وقصة طلحة في أحد.. الخ - واعتبار سابقتهم في الإسلام وكذلك فضائلهم التي اشتملت عليها سيرتهم العطرة، وهذا يبين أهمية تصور المسألة والقضية المتحاور عندها، وكذلك أهمية المعرفة بالنصوص من الكتاب والسنة الدالة عليها وأنهما الفيصل عند الاختلاف.

المبحث الثالث: حوارات أخرى للصحابة مع الخوارج

وهناك محاورات في بعض المسائل حصلت بين بعض الصحابة والخوارج كانت سبباً في رجوعهم عن رأيهم وخروجهم على الناس:

ومن ذلك محاورة جابر بن عبد الله للخوارج في مسألة خروج أهل الكباثر من النار.

يقول يزيد الفقيه قال: «كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نخرج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله ﷺ يحدث القوم، جالساً إلى سارية، عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين⁽¹⁾، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: { إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ } [سورة آل عمران: 192] و: { كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا } [سورة السجدة: 20]. فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ، يعني: الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود، الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم⁽²⁾، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة،

(1) نسبة إلى جهنم وقد جاء المقصود بهم في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري ح(7012)، وفيه: «ليصين أقواما سفع من النار، بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: الجهنميون».

(2) السماسم جمع سمس، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤخذ حبيها دقاقاً سوداً كأنها محرقة، فشبها بها هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتحشوا. انظر: النهاية في غريب الحديث: 400/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس⁽¹⁾ ، فرجعنا قلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»⁽²⁾.

فهذه القصة اشتملت على دروس في الحوار، أهمها:

1- أهمية أن يكون المتصدي للحوار ذو علم وفقه وهذه هي حال جابر رضي الله عنه، ولذلك لما أوردوا عليه نصوص التخليد في النار أورد لهم الدليل الذي يخصص هذا العام.

2- من المهم ذكر المرجع عند الخلاف والاتفاق عليه بين المتحاورين: ولهذا لما أوردوا عليه الشبهة، لم يجبهه عليها مباشرة، وإنما استقرهم على المرجع وهو القرآن، فقال: " قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ، يعني: الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم...". ثم بعد ذلك كشف ما عندهم من لبس.

3- حُسن المحاوره وحُسن سماع الشبهة أدعى لقبول الخصم وقبول الجواب: وهذا ما حصل مع الخوارج، ولذلك رجع كلهم عن الخروج على المسلمين.

ما سبق من آثار هي من باب المناظرة، وهناك أسلوب آخر استعمله الخوارج مع الصحابة وهو الأسئلة المتعنتة الذي يظهر من أصحابها قصد إحراج المسؤول أكثر من إرادة الحق، وقد تصدى لهم الصحابة رضي الله عنهم بالتي هي أحسن، ومن ذلك:

ما رواه الضحاك بن مزاحم الهلالي قال: «خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج لينقروا⁽³⁾ عن العلم ويطلبونه، حتى قدموا مكة، فإذا هم بعبد الله بن عباس قاعدا قريبا من زمزم، وعليه رداء أحمر وقميص، وإذا ناس قيام يسألونه عن التفسير يقولون: يا ابن عباس، ما تقول في كذا وكذا؟ قال: هو كذا وكذا، فقال له نافع بن الأزرق: ما أجرك يا ابن عباس على ما تجريه منذ اليوم، فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع وعدمتك، ألا أخبرك من هو أجراً مني؟ فقال: من هو يا ابن عباس؟ قال: رجل تكلم بما ليس له به علم، ورجل كتم علماً عنده، قال: صدقت يا ابن عباس، أتيتك لأسألك، قال: هات يا ابن الأزرق، فسل...»⁽⁴⁾.

فسأله نافع إحدى وثلاثين مسألة، في كل مسألة يطلب عليها شاهداً من كلام العرب، ثم يصدقه على الجواب! وهذا يبين مدى التعنت في السؤال.

وعن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: «لولا أن أكنتم علماً ما كتبت إليه، كتب إليه نجدة: أما بعد، فأخبرني، هل كان رسول الله يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل

(1) القراطيس جمع قرطاس، وهو الصحيفة التي يكتب فيها، شبههم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد. انظر: شرح مسلم للنووي: 52/3.

(2) أخرجه مسلم ح(191).

(3) كتابة عن البحث والسعي لطلب العلم.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح(10597) وفي إسناده جوير وهو متروك. انظر: مجمع الزوائد: (7 / 144).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كان رسول الله ' يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى، ويحذرين من الغنيمة، وأما بسهم، فلم يضرب لهن، وإن رسول الله ' لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان، وكتبت تسألني متى ينقضي يتم اليتيم؟ فلعمري، إن الرجل لتبت لحيته، وإنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتيم، وكتبت تسألني عن الخمس: لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا، فأبى علينا قومنا ذاك»⁽¹⁾.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛ ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه بما يلي:

1- من الأمور المستقرة التي لا خلاف فيها أن الصحابة أجمعوا على انحراف مسلك الخوارج، ولذلك أجمعوا على منابذة مذهبهم.

2- أن الصحابة كانت لهم مواقف علمية وعملية تجاه هذا الانحراف.

3- من أبرز هذه المواقف محاورة الخوارج وبيان فساد مذهبهم وضلاله.

4- هذه الحوارات مع الخوارج أبرزت لنا دروس وقيم مهمة في الحوار مع المخالف.

5- أهم هذه الدروس والقيم ما يلي:

- حسن اختيار المحاور شكلاً ومضموناً.
- اختيار المكان والزمان المناسب للحوار.
- أن يكون المحاور على جانب من العلم وحسن الجدل.
- أن يكون عارفاً وملماً بالمسألة والقضية محل الحوار على وجه الخصوص.
- تحلي المحاور بالصبر وطول البال حتى يمتص ردة فعل الخصم.
- تحديد أرضية مشتركة بين المتحاورين يرجعون إليها في الحوار.
- استيعاب الشبه المثارة من الخصم قدر الاستطاعة.
- ليس بالضرورة رجوع الخصم إلى جادة الصواب- وإن كان هذا أحد أهداف الحوار المهمة- لكن معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم -

المصادر والمراجع:

- آداب الحوار وقواعد الاختلاف، المؤلف: عمر بن عبد الله كامل، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات

(1) أخرجه مسلم ح(1812).

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

- آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه، المؤلف: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، راجعه ودققه: فضيلة الدكتور/ عبد الحق بن حمادي الهواس، الناشر: دار الأوراق الثقافية، الطبعة: الأولى، 1435 هـ
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409 - 1989، الثالثة، محمد فؤاد عبد الباقي
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية، 1405 1985 - م.
- الاستذكار، ابن عبدالبر، ت: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1421 م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، 1407 1986 - م.
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث - بيروت، ط: الثانية - 1387 م
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 م
- الزهد لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعته: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، 1414 - م 1993
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414 - 1994، محمد عبد القادر عطا
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414 - 1994
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- سنن الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407، الأولى
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، بيروت، 1411 - 1991، الأولى
- السيرة النبوية لابن هشام، ت: عبد الملك بن هشام المعافري، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375 هـ - 1955 م
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987،
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، 1405
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط: الأولى، 1384 هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ / 1997 م
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة 1417 1997 م - ق م
- كتاب السنة (ومعه ظلال الحجة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ط: الأولى، 1980/1400 م.
- كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد، ت: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1412
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1971/1390 م
- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 - 1986، الثانية،
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 - 1990، الأولى
- مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، 1410 - 1990، الأولى
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404 - 1984، الأولى
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2001/1421 م
- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1409، الأولى
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403، الثانية
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، ت: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ط: الأولى، 1419 هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404 - 1983، الثانية، حمدي بن عبدالمجيد السلفي
- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتاينز، الطبعة: الثالثة، 1400 1980 - م - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: الثانية، 1421 هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، ط: الأولى، 1406 هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: الثانية، 1392.
- موطأ الإمام مالك -، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 م.

الباعث العقدي للقيم الحوارية: دراسة تحليلية للنصوص من الكتاب والسنة

د. عبدالله بن عبدالرحمن الميمان

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم /السعودية

مدخل:

أنزل الله جل وعلا الأديان ، لإقامة التوحيد ، وتعليم الناس الشرائع ،فالتوحيد هو حق الله جل وعلا الخالص ، والشريعة هو نصيب الفرد من الآخرة ، والذي يحقق به ركن التوحيد ، وكان فيما قص الله سبحانه وتعالى من قصص رسله في القرآن الكريم والسنة النبوية ما لا ينتهي سرده من صبر الأنبياء على الدعوة لتحقيق هذين الأصلين اللذين هما أساس كل شريعة ودعوة جاء بها الأنبياء ، قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [سورة الأنبياء:25] ، وقال جل وعلا : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [سورة الكهف:110] .

وكل شريعة أتت بها نبي من الأنبياء تتضمن إقامة التوحيد، والتعبد بشرائع الله في ذلك الوقت ، وتتضمن ما يمنه الظلم بين الناس ويقيم العدل بينهم ، وهذا الأصل هو ركن جميع الشرائع التي أتت بها الأنبياء عليهم السلام .

ومنع الظلم وإقامة العدل هو التفسير الأخلاقي لأحد أهم أجزاء الوحي الذي نزل على أنبياء الله تعالى ، ويتبع ذلك مجموعة من الأخلاق تضمن إقامة الشريعة وتحقق الأمن لمعتقد التوحيد ، بحيث تحكم علاقته بربه جل وعلا ، وعلاقته بغيره من المخلوقات ، سواءً أكانوا بني جنسه من إنس ، أو مكلفين من الجن ، أو مخلوقات حية كالطير ، أو جمادات كالشجر ، فكلهم ثمة أخلاق أتت بها الشرائع ، تؤطر العلاقة معها فيما يتعلق بالأخلاق والقيم بحيث تتحقق منظومة القيم مثل الصدق والعدل والأمانة وغيرها ، يقول الله جل وعلا مؤصلاً لمنظومة القيم في الإسلام : { قُلْ تَعَالَوْا أَنَا خَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { [سورة الأنعام: 151-153].

وسأقوم في هذا البحث بإذن الله بدراسة مجموعة القيم الحوارية من الكتاب والسنة وأصولها العقيدية التي تبعت عن تأصيلها وتطبيقها في المجتمعات.

سيكون الإطار العام للبحث نمطياً ، يبدأ بمقدمة فيها تحرير للمصطلحات التي عنونت بها البحث ، ثم يتخلل إلى:

المبحث الأول : وفيه التعريف بمنظومة القيم وأثرها في تركيبة المجتمعات .

ثم المبحث الثاني : الباعث العقدي لمنظومة القيم الحوارية .

ثم خلاصة البحث مع الخاتمة .

المبحث الأول: منظومة القيم وأثرها في تركيبة المجتمعات

كل مجتمع يرتبط داخلياً وخارجياً بمجموعة من الروابط ، فالأفراد لهم علاقة بذواتهم وبغيرهم من أفراد المجتمع وهذه العلاقة الداخلية التي تربطهم وتشكل مجتمعهم ، وفي ذات الوقت لهم علاقة بربهم أو معبودهم ، وعلاقة بغيرهم من المخلوقات من الجمادات أو الحيوانات أو المكلفين .

وكل علاقة من هذه العلاقات لها أثر بالغ في تشكيل المجتمع في تصرفاته تجاه ذاته وتجاه الآخر .

فالعلاقة بين الأفراد تحكمها العادات والتقاليد والشرائع ، والعلاقة بين المجتمعات تحكمها مجموعة من الأنظمة والقوانين ، جذورها إما عقدية أو أعراف سياسية أو غير ذلك من الأنظمة التي تؤطر العلاقة بين المجتمعات .

والذي يتناوله هذا القسم من البحث هو أثر تلك المنظومة في تركيبة المجتمعات المسلمة من خلال الكتاب والسنة .

فالقرآن الكريم في آياته العظيمة والسنة النبوية في أحاديثها الشريفة ما وضع قواعداً سلوكية وقيماً بني عليها المجتمع المسلم من أساسه .

ففي كتاب الله الكريم تأصيل لمنظومة متكاملة من القيم ، أصولها من الوحي ، وتطبيقها على المجتمع الأول مجتمع الصحابة رضي الله عنهم ، فهم أول من طبقها وعاش فيها ثم امتدت إلى كل مجتمع بعد ذلك اقتدى بهم ، من السلف إلى أتباعهم .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يقول الله تعالى واضعاً لقواعد الأخلاق العامة التي يجب على كل مؤمن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبعها، { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [سورة النحل:90].

فجمع في هذه الآية قواعد الأخلاق العامة لكل مسلم ، من اجتناب الظلم ، والإحسان للقریب ، والابتعاد عن المنكرات الأخلاقية ، واجتناب الاعتداء على الناس .

وبين أن هذه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [سورة البقرة:151]. فقدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة، وقد يكون ذلك إشارة إلى المقام الشريف لهما، فلا ينبغي أن يتعلمهما إلى متطهر من أدران الأخلاق بعد سماعه لوحى الله.

وقد راعى الوحي الشريف طبائع النفوس البشرية في خلقتها الضعيفة التي تميل إلى حب الدنيا وملذاتها، وتتبع هواها في أمور خلقها الضعيفة التي لا يمكن تجاوزها ، ولذلك راعى تلك الأحوال الضعيفة التي تمر بها النفس ، وجعل لها حدوداً لا تتجاوزها ، فجعل رد العقوبة جائزاً بشرط مساواة الاعتداء ، فقال : { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } [سورة النحل:126].

ووصف الحياة الكاملة المثالية للأتقياء الأنقياء الذين يتحلون بأخلاق الأنبياء فقال : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا } [سورة الفرقان:63-66].

وجعل حدوداً لما يحدث بين البشر من الانتقاص أو احتقار الغير ، فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [سورة الحجرات:11].

وخاطب النفوس البشرية ، بعيداً عن أهل السلطة وعين الرقيب ، في حديث يسري إلى القلوب، فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [سورة النور:21]. وفيها تنبيه النفس أن خطوات الشيطان فيها لطف وتدرج، وفيها تنبيه أدق من ذلك وهو أن الإنسان الذي أفلح في تجاوز خطوات الشيطان كان نجاحه في إنقاذ الله له، وليس في قدرته أو ذكائه حتى لا يصاب أحد بالعجب فيهلك !

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقد شرح للمؤمن المقصد الأسمى من الصلاة وهي الركن الأعظم بعد الشهادتين، في مقصد أعظم من مجرد الركوع والسجود على الهيئة الفقهية التي نص عليها أهل الفقه ، فقال : { أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [سورة العنكبوت:45].

وأما السنة النبوية ، فقد حوت ذلك الكم الكبير من الأحاديث القيمة التي تحفظ ما نص الشارع عليه من الأخلاق التي هي أحد أركان الوحي بجانب العقيدة والشريعة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)) (1) .

وهذا الحديث الشريف فيه من الإشارة الكافية لكون نبي الأمة صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من جوامع المنكرات ، سواءً أكانت أخلاقية أو عملية أوهوى قد يتبعها الإنسان .

وفي الأحاديث الأخرى ما يربط العقيدة بالخلق الحسن مع الأقارب ، فعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال : مه، قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك ثم قال أبو هريرة : {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم})) (2)، وحقيقة هذا المقام هو جزء من الإيمان بالغيب .

وقد جعل الله الرحمة غالبية على الغضب لذاته الشريفة ، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي)) (3) .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق)) (4) وهذا الحديث العظيم يدل أن الأعمال في الآخرة مصنفة من حيث ثقلها ووزنها بحسب عظم القرية عند الله جل وعلا ، وأن حسن الخلق من أعظم ما يثقل الميزان ، فهو أحد مقاصد الشريعة الكبرى ، ولذلك كان مثقالاً للموازين . وثمة أحاديث كثيرة في الهدى النبوي الشريف أصل فيها لنبي صلى الله عليه وسلم المنظومة الأخلاقية الإسلامية ، وسأورد منها ما له ارتباط عقدي منصوص عليه في سياق الحديث وأبين تلك العلاقة ، ومن تلك الأحاديث :

1- عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق)) (5) فبين أن الجزء الأخلاقي وهو البخل وسوء الخلق له ارتباط بالجزء الإيمانى وهو نقص الإيمان الكامل.

(1) سنن الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب دعاء أم سلمة، ح(3591) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {يريدون أن يبدلوا كلام الله} {إنه لقول فصل} حق {وما هو بالهزل} بالعب، ح(7063)

(3) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح(2751)

(4) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ح(4799) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(5) سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في البخل، ح(1962) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

2- عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)) (1) ، والارتباط في هذا الحديث واضح ، فالإشارة إلى ثقل حسن الخلق في الميزان الغيبي يوم القيامة وتعظيم قدره إلى ثقل الصلاة في الميزان .

3- عن أبي هريرة قال ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج)) (2) وربط ذلك واضح ، فحسن الخلق أحد أهم أسباب دخول الجنة ، بالإضافة إلى تقوى الله ، فربط حسن الخلق بالإيمان بالجنة التي هي جزء من الإيمان بالغيب .

4- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ((كذبنى بن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبني وشتمني بن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني أما تكذبيه إياي فقله إني لا أعيده كما بدأت له وليس آخر الخلق بأعز علي من أوله وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفو أحد)) (3) وهذا الحديث في التحذير من سوء أدب الإنسان مع ربه جل وعلا ، فمن أعظم أنواع الشتيمة لله أن يعتقد الإنسان وجود شريك معه .

5- عن مالك انه قد بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((بعثت لأتمم حسن الأخلاق)) (4) وهذا الحديث وإن كان فيه مقال إلا أن معناه بليغ في حسن الخلق الشامل ، مع الله جل وعلا ومع المخلوقين ، في كل نواحي الحياة.

6- وقد أصل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق في الخطبة الشاملة المشهورة ، وربط ذلك التأصيل للداية عظيمة لكلامه فحذر من الدنيا ثم حذر من خصال سيئة من حسن الخلق ، مثل الغدر والغضب وسوء الطلب ، فعن أبي سعيد الخدري قال ((صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ذات يوم بنهار ثم قام يخطبنا إلى ان غابت الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة الا حدثناه حفظ ذلك من حفظ ونسي ذلك من نسي وكان فيما قال يا أيها الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ينصب عند أسته يجرى به ولا غادر أعظم من أمير عامة ثم ذكر الأخلاق فقال يكون الرجل سريع الغضب قريب الفيئة فهذه بهذه ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة فهذه بهذه فخيرهم بطيء الغضب سريع الفيئة وشرهم سريع الغضب بطيء الفيئة قال وان الغضب جمرة في قلب بن آدم تتوقد ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم ذلك فليجلس أو قال

(1) سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(2003) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(2004) قال الشيخ الألباني: حسن الإسناد

(3) سنن النسائي كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، ح(2078) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(4) موطأ الإمام مالك كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(1609)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فيلصق بالأرض قال ثم ذكر المطالبة فقال يكون الرجل حسن الطلب سيء القضاء فهذه بهذه ويكون حسن القضاء سيء الطلب فهذه فخيرهم الحسن الطلب الحسن القضاء وشرهم السيء الطلب السيء القضاء (((1)

7- عن دويد بن نافع ثنا أبو صالح السمان قال قال أبو هريرة ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو يقول اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)) (2). ويكفي أنه قرن النفاق مع سوء الأخلاق.

والنصوص من الكتاب والسنة التي تدل أو تؤصل للأخلاق الحسنة وتذم الأخلاق السيئة كثيرة لا تحصر ، وكان المقصود إظهار ربط مجموعة منها بالعقيدة الإسلامية لاستقصاء كيفية تناول النص للقضية الأخلاقية أثناء عرض المسائل العقدية.

المبحث الثاني: الباعث العقدي لمنظومة القيم الحوارية

لاشك أن الأخلاق التي يتخلق بها الناس في كافة المعمورة حالياً هي نابعة من اعتقاد ما ! فالناس تعتقد ثم تتشعر ثم تتخلق ، فالعقيدة تؤطر لدى الناس ما يهتمهم في العاقبة ، ثم تجعل لهم حدوداً لا يتجاوزونها ، وتجعل لهم شريعة يدينون بها ، وهذه الشريعة لها جانب قريب من الاعتقاد وهي العبادات التي مبناهها على الوحي ، ومصدرها الغيب ، ومرجعها الكتاب والسنة .

والجانب الآخر لها هو المعاملات ، وهذا الجانب قريب من الأخلاق إلا أنه ينضبط إذا ما حد بكونه عقداً ، بخلاف الأخلاق التي ترجع إلى ما لم يضبط بعقد من كيفية التعامل مع النفس أو الغير .

وإذا تبين أن الأخلاق باعثها في الأصل هو العقيدة ، فعند ذلك يتبين أن الشرع ربط كثيراً من المسائل الأخلاقية بالعقيدة ، وربط كثيراً من الإخلال بالمسائل العقدية بالإخلال بالعقيدة .

فأول عقيدة ارتبطت بالأخلاق هي تحريم الظلم ، فالله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه في الحديث القدسي : أن الله تبارك وتعالى قال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) (3) وفيه تنبيه عظيم أن تحريم الظلم أصله الوحي ، وأكبره ما يتعلق بظلم العبد لتلك العلاقة المقدسة بينه وبين خالقه ، فيشرك به ، فيعود الظلم على نفس العبد ، فيعاقب بالحرمان من الجنة ، وكذلك أنواعه الأخرى مثل ظلم

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه، 61/3، ح(11604) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(2) سنن أبي داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في الاستعاذة، ح(1546) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(3) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح(2577)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العبد غيره بوضع الشيء في غير موضعه ، وأنواعه كثيرة ، سواءً بالاعتداء على النفوس أو الأموال أو الأعراس أو غير ذلك

قال ابن تيمية : ((وما زال العقلاء يستدلّون بما علموه من صفات الرب على ما يفعله؛ كقول خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لها: "لقد خشيت على نفسي"، فقالت: "كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتُقرى الضيف، وتصدق الحديث، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق ، فاستدلّت بما فيه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال على أنّ الله لا يخزيه .)) (1).

وبتحريم الظلم : ((يؤكد الإسلام على فرض العدل مع غير المسلمين ، بأقوى تأكيد ، والعدّل رأس كلّ فضيلة ، فبهذه الأخلاق والآداب يُعامل المسلمون غير المسلمين ، وهذه الأخلاق والآداب من دين الإسلام ، يأمرهم بها كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وما دامت من دين الله تعالى ، فلا يمكن أن تتعارض مع حكم آخر من دين الله تعالى أيضاً ، وهو الولاء والبراء)) (2)

قال القرافي : ((لا يبادر إلى سمّ الأخلاق والأعمال والأحوال إلا من له سمّ وهمّة مثل الحواريين الذين أجابوا داعي المسيح من غير تقدم رؤية آية بل قال لهم: "دعوا الدنيا واتبعوني ففعلوا")) (3)

قال ابن سعدي : ((إن القلوب لا تصلح وتفلسح ولا تشبع حتى يحصل لها العلم بالحقائق النافعة والعقائد الصائبة، ثم التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيل بالأمرين على أكمل وجه بلا طريق لها إلا من طريقه)) (4).

وقال ابن القيم - رحمه الله : ((ومن ههنا تعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله ألبته إلا على أيديهم . فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأى ضرورة وحاجة

(1) النبوات - (36 / 18)

(2) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة - (1 / 20)

(3) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل - (1 / 427)

(4) (تفسير أسماء الله الحسنى - السعدي - (1 / 52))

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فرضت ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين ، فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة)) (1)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ : ((لاشك أنّ العناية بكتب الأدب والسلوك والأخلاق من المهمات، ومن أعظم ما يدلك على ذلك فتنفع به كتاب رياض الصالحين، فإنه من أنفع الكتب في الأدب والسلوك النبوي والإرشاد إلى الأخلاق والآداب والواجبات في التعامل والخلق والأدب، ومن جهة الزهديات كتب السلف في الزهد كالزهد لابن المبارك، والزهد للإمام أحمد، وكتاب الرِّقَاق في صحيح البخاري، والبر والصلة في كتب أهل الحديث، هذه فيها -مع شروح أهل العلم عليها- ما ينتفع به طالب العلم كثيراً)) (2)

وذلك قاس بعض العقلاء حن الخلق على الشجاعة ، فمما أثر لهم أن التوسط في استحسان الأخلاق كالشجاعة ، فإنه حالة بين التهور والجبن ، والسخاوة بين التبذير والبخل ، والتواضع بين الكبر والمهانة ونحوها عند من يعرف علم الأخلاق ، ويفرق بين الحسنة والذميمة ، وقد قال تعالى في علم المعاش : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } [الفرقان : 67] (3)

وقال ابن تيمية : ((النَّاسَ يَتَفَاضِلُونَ فِي حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَحَشِيَّةِ اللَّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَفِي سَلَامَةِ الْقُلُوبِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْكَبْرِ وَالْعُجْبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ وَالتُّصْحِحْ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ })) (4)

ولذلك تناول الشاطبي رحمه الله شيئاً من تصرفات المتصوفة بالنقد وبين أن هناك فرقاً بين فعلهم وفعل صالحهم فقال : ((ولكن هؤلاء الرجال النابتة لا يفعلون ذلك ، فصاروا متبعين الرجال من حيث هم رجال لا من حيث هم راجحون بالحكم الحق ، وهو خلاف ما عليه السلف الصالح وما عليه المتصوفة أيضاً ، إذ قال إمامهم سهل بن عبد الله التستري : مذهبنا مبني على ثلاثة أصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال . ولم يثبت في طريقهم اتباع الرجال على انحراف ، وحاشاهم من ذلك ، بل اتباع الرجال ، شأن أهل الضلال)) (5)

(1) زاد المعاد 15/1

(2) شرح عدة متون في العقيدة - (6 / 2)

(3) انظر : شم العوارض في ذم الروافض - (77 / 1)

(4) كتاب الإيمان الأوسط - (55 / 1)

(5) كتاب الاعتصام للشاطبي - (99 / 2)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والأخلاق في الإسلام هي أحد أهم مكونات الدين الشامل : ((فالدين الإسلامي دين سماوي لم يكن لأمة من الأمم مثله ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيره إذ هو دين عام مبين لأحوال المجتمع الإسلامي بل البشرية عامة وبه كمل نظام العالم فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية.

فإنه بين الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربه من صلاة وزكاة وصوم وحج . وشرع نظافة البدن - فأمر بغسل الجنابة والجمعة والعيدين- أو بعضاً منه كالوضوء عند كل فريضة من الفرائض الخمس . وشرع أمور الفطرة من ختان وقص شارب وتقليم أظفار وشفة وإبط والسواك وحلق العانة . كما أرشدنا الإسلام إلى تجميل الثياب وأن تكون على أحسن هيئة وأكملها . كما سن ذلك في الجمعة والعيدين ، وهذب الأخلاق فأمر بالصدق في المعاملات والوفاء بالعقود والعهود والمواعيد ، وأوجب ترك الذنوب من زنى وخمر وغيبة وقذف وسعاية وشهادة زور وانحراف في الأحكام وتحريم لما أباح الله . وحرّم تغيير الأحكام عن وجهها وما أريد بها إلى غير ذلك . وبالجملة فإن الدين الإسلامي جامع روابط الأمة الإسلامية بل هو حياتها تدوم بدوامه وتندم إذا انعدم وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة ومن خصائصها ، حيث لم يكن لأمة من الأمم قبلنا مثله فلو أن المسلمين)) (1)

وهذا كله من حيث الأخلاق العامة للمسلم من حيث كونه يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً .

وعند تناول ذلك المعتقد من جهة أدق، من حيث ارتباط الأخلاق بالعقيدة أثناء الحوار والجدل والاختلاف مع الآخر نجد أن القرآن الكريم ناقش كثيراً مفهوم الجدل أثناء عرض المسائل العقدية ، وبين المسافات بين مسائل العقيدة والجدل ، وبناء عليه ذم الجدل في مواضع ، وسكت عنه في مواضع ، وندب إليه في مواضع ، وارتبط كل ذلك بالقيمة الأخلاقية التي تنتج عنه .

ففي مسائل الخيانة نهى الله عن الجدل عن الذين تلطخت ذمهم بها فقال جل وعلا: { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا } [سورة النساء: 107].

وفي الدعوة إلى التوحيد قال مخبراً عن أنبياءه الكرام حين حذروا من الجدل في شأن التوحيد، وحذروا من عقوبة من أخل به : { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أُنْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ } [سورة الأعراف: 71].

وفي مسائل العاقبة يوم القيامة أخبر عن تفرد كل نفس من خوف المصير المؤلم : { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [سورة النحل: 111].

(1) كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه - (1 / 48)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفي الدعوة إلى الله ندب إلى الجدل بالتي هي أحسن : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت:46].

وفي شأن صفاته العلى ، أخبر عن إحاطة سمعه للحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم والمرأة التي جادته فقال: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [سورة المجادلة:1].

ولذا كان الحوار الذي يتضمن مسائل العقيدة من أدق الحوارات التي يجب الحفاظ فيها على الالتزام بقواعد الاتصال المهاري مع الآخر لما للحوار من أثر في المنظومة العقدية ، وفهم ذلك بطريقة خاطئة يؤدي إلى نتائج لم يأمر بها الشرع ولا تحمد عقباها ، قال ابن باز رحمه الله : ((الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم والبراءة منهم ومن دينهم ، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين ، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديتهم بقلبك ولا يكونوا أصحاباً لك ، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم ، فإذا سلموا ترد عليهم السلام وتنصحهم وتوجههم إلى الخير)) (1) .

وقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب بالتي هي أحسن ممتثلاً قول ربه تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) [العنكبوت:46] واشتد معهم في النقاش إلى درجة المباهلة(4). قال الله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) [آل عمران:61].

وقد جمع بعض الفضلاء مسائل متعلقة بالحوار العقيدي ، وعلاقتها بالأخلاق لتحقيق منطلقاتها ، فذكروا أن هناك أساليب شرعية في الحوار والمناقشة والعرض يجب الالتزام بها حتى يكون الحوار والجدال ممدوحاً ، مثل أن يكون هداية المخالف، وتأليف قلبه لا تنفيره، ومثل استعمال القول اللين، والعبارات الحسنة، تنفيذاً لقوله تعالى: ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى)) [طه:44]، فالله يأمر موسى وهارون رضي الله عنه أن يستخدموا اللين في القول مع فرعون؛ لأن ذلك أدى إلى تذكرته وخشيته، وأقرب إلى انتفاعه وهدايته ، ومثل انقلاب النتيجة عند استخدام العنف ، فقد ذكر عن أبي حامد الغزالي، أنه قال: "أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جهلة أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء،

(1) ركن الفتاوى فتاوى العقيدة - (1 / 1)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فطارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها" ، ومثل محاولة إثارة العاطفة، وإظهار الخوف عليهم، هذا كان الرسل والأنبياء يظهرون شفقتهم على قومهم والحرص على ما فيه خير لهم، وهذا ما يظهر في دعوتهم لقومهم فقد قال تعالى عن نوح عليه السلام: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [الأعراف:59]⁽¹⁾.

وقد فهم السلف الصالح ذم الجدل غير المؤدي إلى نتيجة ومن ذلك قول ((مَيْمُونٌ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَعْلَمُوا النُّجُومَ، وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْقَدْرِ)) (2) .

وكذلك ما يؤثر عن: ((شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال لا تعلموا العلم لثلاثة لتماموا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء وتصرفوا به وجوه الناس إليكم)) (3)

يقول تعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } [النحل: 125]

ومن جميل قول العلماء في تفسيرها : ((ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، واصفح عن أساء في القول، وترفق بهم في الخطاب، وقابل السوء بالحسنى، واقصد من الجدل الوصول إلى الحق، دون رفع الصوت، وسب الخصم أو الأذى)) (4)

((من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب))،

وقال ابن سعدي : ((ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح { بِالْحِكْمَةِ } أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به.

(1) انظر لما سبق : دعوة أهل البدع - (1 / 161 - 166)

(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول - (3 / 971)

(3) أحاديث في ذم الكلام وأهله - (1 / 159)

(4) التفسير المنير للزحيلي - (14 / 270)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصيين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدتها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها))⁽¹⁾.

الخلاصة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد تبعت النصوص التي تربط بين العقيدة ومنظومة الأخلاق وجمعت مجموعة من النتائج كالتالي :

- 1- أن العلاقة بين الأفراد تحكمها العادات والتقاليد والشرائع ، والعلاقة بين المجتمعات تحكمها مجموعة من الأنظمة والقوانين ، جذورها إما عقدية أو أعراف سياسية أو غير ذلك من الأنظمة التي تؤطر العلاقة بين المجتمعات .
 - 2- والنصوص من الكتاب والسنة التي تدل أو تؤصل للأخلاق الحسنة وتذم الأخلاق السيئة كثيرة لا تحصر ، وكان المقصود إظهار ربط مجموعة منها بالعقيدة الإسلامية لاستقصاء كيفية تناول النص للقضية الأخلاقية أثناء عرض المسائل العقدية .
 - 3- أن الحوار الذي يتضمن مسائل العقيدة من أدق الحوارات التي يجب الحفاظ فيها على الالتزام بقواعد الاتصال المهاري مع الآخر لما للحوار من أثر في المنظومة العقدية ، وفهم ذلك بطريقة خاطئة يؤدي إلى نتائج لم يأمر بها الشرع ولا تحمد عقباها .
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(1) تفسير السعدي - (1 / 452)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المناخ الأسري وعلاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية ومواجهتها لدى الطالبات

المقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو - بلد الجزائر -

د. رجاح فريدة زوجة بوروبي / ذ. فطيمة شعلال

جامعة مولود معمري-تيزي وزو / الجزائر

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة للتعرف على علاقة المناخ الأسري بظهور كل من الضغوط الأسرية و أساليب مواجهتها، وفق تركيبة الأسرة الجزائرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، و لاختبار ذلك تم طرح عدة فرضيات، تم التحقق منها من خلال إتباع الإجراءات المنهجية التالية: تمت الدراسة على عينة بلغ حجمها 200 طالبة مقيمة بالإقامة الجامعية من مختلف الأطوار: سنوات أولى و ثانية و ثالثة ليسانس- سنوات أولى و ثانية ماستر- طور الدكتوراه، و التي اختيرت بطريقة قصدية. وتتمثل أدوات الدراسة في مقياس المناخ الأسري الذي قام بإعداده ابو نجيلة (2013)، و منه قامت الباحثة "الاء طه سالم دلول" (2018) من جامعة الأزهر بغزة للحصول على رسالة الماجستير في علم النفس بعمل صورة مصغرة من المقياس مكون من 69 فقرة، و مقياس الضغوط الأسرية (Family Stres)، الذي قام بإعداده في الأصل الباحثان الأمريكيان Hanson هانسون و Berkey بركي عام (1991). ثم قامت الباحثتان المصريتان أماني عبد المقصود وتهاني عثمان عام (2007) بترجمة المقياس وتكييفه على البيئة المصرية، و بعدها قامت الباحثة الدكتورة بوروبي رجاح فريدة بتكييفه على البيئة الجزائرية سنة (2012).

توصلنا في هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.
- توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.
- توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية.
- توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية.

1. مقدمة و إشكالية الدراسة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن بناء و تطور المجتمعات و ازدهارها و استقرارها لا يكون إلا باستقرار الأسر، أين يمكن لأفرادها أن يتعايشوا مع مختلف المشاكل التي يمكن أن تواجههم و تعرقل مسارهم، و هذا يعود إلى أن الأسرة هو ذلك الوعاء التربوي و الثقافي الأول الذي يحتضن الأبناء، لأنها تمثل نظاما اجتماعيا و مصدرا أخلاقيا و تربويا مهما، تعمل على تنشئة الفرد داخل المجتمع، وهي تشكل أحد المقومات الأساسية للوجود الاجتماعي منذ القدم والى يومنا هذا، حيث تتميز بوجود تفاعل مباشر وعميق بين أفرادها، هذا التفاعل الذي يؤثر على طبيعة العلاقات ويحدد نوع الروابط والمهام داخل الأسرة و المجتمع، و الأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الفرد منذ خروجه للحياة، بتوفيرها التربية والرعاية و ذلك من خلال تحقيقها للمطالب الأساسية في حياة الإنسان، لأنها تعتبر مؤسسة اجتماعية و ثقافية ذات الأثر البالغ في حياة الفرد و تشكيل شخصيته و سلوكه، و بناء مختلف جوانبه النفسية و الجسدية و العقلية و الانفعالية: كالغذاء، الملابس، المأوى، الأمان و التقبل... الخ، و ذلك حسب المناخ الأسري الذي تتبناه كل أسرة.

و تدل طبيعة و نوعية العلاقات الأسرية على طبيعة المناخ الأسري و الذي يمثل الجو السائد في الأسرة ككل، فنجاح العلاقات بين أفراد الأسرة يؤدي حتما إلى توافق أفرادها، و شيوع المناخ الأسري السوي داخلها، كما أن اضطراب هذه العلاقات يؤدي أيضا إلى انحراف التفاعلات الأسرية عن نموها الطبيعي، و ما ينشأ عن ذلك من تفككها و معاناة الأسرة من التوتر و الصراع و الانشقاق، و كل ذلك بالطبع يؤثر على النمو النفسي و السلوكي و الاجتماعي للبناء. (حافظ، 2015، ص.164) إذ أن أساس الصحة النفسية كما يرى علماء علم النفس قائم على الارتباط النفسي وفقا لما يخبره الطفل من علاقة حميمة و دائمة مع أفراد أسرته، إذ يجد الطفل في مثل هذه العلاقة الإشباع لحاجاته النفسية و تكون هذه العلاقة مليئة بالخبرات التي يكونها في البداية ثم تأخذ أشكالا عديدة لها تأثيرها الكبير في علاقاته مع أفراد أسرته و في علاقاته المستقبلية مع الآخرين. (Stagier, 1974, p.90)

و نظرا لأهمية المناخ الأسري للأبناء و ما له من دور في تشكيل فكر و عقل الابن، يرى كل من (الامام و الجوالدة، 2009، ص.04) أن أساس المناخ الأسري و محوره الرئيسي هو مواجهة التحدي الأساسي الذي تهدف إلى تحسين تفكير الأبناء و شعورهم بالأمن و الأمان في بيئة المعيشة. و المناخ الأسري السوي يكون خالي من المشكلات و الأزمات الأسرية، و التصدع الأسري بكافة أشكاله، و تنشئة الأبناء و تربيتهم في جو من الحب و الأمان، و الود و العطاء و الاستقرار النفسي. (الشهري، 2006، ص.02)

و بالمقابل أوضحت (شليبي و ابراهيم، 1996) أن المناخ الأسري الغير السوي ينعكس على الأبناء، و يساعد على عدم ائزان شخصيتهم، و سوء تكييفهم الانفعالي، و انعدام ثقتهم بأنفسهم خاصة أن الحياة أصبحت الآن معقدة بدرجة كبيرة بعد زيادة احتياجات الفرد، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة التأكيد على أهمية توفر الجو العائلي الذي تقوى فيه الروابط الأسرية. (نقلا عن شعبي، 2009، ص.02) أين يمكن أن يؤدي هذا النوع من المناخ الأسري إلى الضغوطات الأسرية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فأصبحت ظاهرة الضغوط الأسرية التي يصادفها أفراد الأسر محل اهتمام الكثير من الأخصائيين النفسيين الاجتماعيين و التربويين خاصة عند الطالبات الجامعيات المقيمتات بالإقامة الجامعية، بعدما أصبحت المرأة الجزائرية تعمل على تحسين مستواها الدراسي للخروج إلى العمل، و هذا راجع غالى التحولات السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر منذ الاستقلال دفعت المرأة للخروج إلى ميدان العمل بجانب الرجل من اجل العمل معا على تحقيق التنمية في شتى المجالات مما ساهم و بشكل بارز في تغيير بنية الأدوار الملقاة على عاتقها.

و أشار (جودت عزت عبد الهادي و سعيد حسن العزة، 1999، ص-ص. 234-235) إلى أن تعقيدات الحياة و انتشار الصناعة و الاختراعات و التكنولوجيا هي من الأسباب الرئيسية التي أثرت على استخدام الأيدي العاملة الذكورية و الأنثوية و أصبح الرجل غير قادر تماما على القيام بحاجات أسرته من تعليم و تربية و أجور مسكن و تحصيل القوت اليومي و العلاج.

لهذا تمّ التركيز في هذه الدراسة على مفهوم الضغوط الأسرية الذي يعتبر مفهوما نفسيا اجتماعيا، بدأ الاهتمام به في الثمانيات من القرن العشرين، لما قد يسبب من اختلال توازن النظام الأسري، ولقد تنتج عنه آثار مضمرة ومفككة للأسرة. مع العلم أن مفهوم الضغوط الأسرية لم يحظى بالاهتمام من الباحثين الجزائريين حسب اطلاعنا، و هذا ما دفعنا للإهتمام به لدى الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية و الوصول في النهاية حول ما إذ يمكن للطالبة المقيمة أن تواجه الضغوطات الأسرية التي تواجهها و يؤدي بها إلى لجوء هذه الطالبة إلى الإقامة الجامعية، حيث حاولنا دراسته في ولاية تيزي وزو، و ذلك من خلال طرح التساؤلات التالية:

❖ **التساؤل الأول:** هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية؟

و تتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الجزئية التالية:

1-1- التساؤل الجزئي الأول:

هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية ؟

1-2- التساؤل الجزئي الثاني:

هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية؟

❖ **التساؤل الثاني:** هل توجد فروق بين الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية؟

❖ **التساؤل الثالث:** هل توجد فروق بين الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمتات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية؟

2. أهمية الدراسة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- توضيح الدور الحيوي الفعال الذي تلعبه العلاقات داخل الأسرة و ما ينتج عن ذلك من مناخ اسري حافل بالضغوطات، أين يمكن أن ينعكس سلبا على حياة الطالبة المقيمة و لحوئها و هروبها إلى الإقامة الجامعية.
- تفيد هذه الدراسة في إثراء المكتبة العلمية كدراسة سابقة لدراسات لاحقة في نفس الموضوع.
- تعتبر هذه الدراسة بمثابة نموذج تحليلي لوضعية الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية والظروف التي تعيشها في وسط أسرتها.
- قد تكون هذه الدراسة بداية لدراسات لاحقة لتنمية الوعي بأهمية المناخ الأسري السوي البعيد عن الضغوط الأسرية و التي تؤثر سلبا على حياة الطالبة الجامعية المقيمة.

3. التعريف الإجرائي لمتغيرات الدراسة

3-1-1- المناخ الأسري: هو الجو السائد في الأسرة ، و هو مصدر لإشباع حاجات الفرد، بحيث يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وفقا لأساليب معينة، مما يساعد على إشباع حاجات أفراد الأسرة و وضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات داخل الأسرة، و ذلك من اجل النمو السليم للأبناء. و في هذه الدراسة هي الدرجة الكلية التي نتحصل عليها في مقياس المناخ الأسري للباحث "سفيان ابو نجيلة" لسنة 2013 الذي نطبقه على الطالبات المقيمات في الإقامة الجامعية، و الذي يهدف إلى التعرف التقديري على المناخ الأسري.

3-2- الضغوط الأسرية: هي تلك الضغوطات التي تتعرض إليها الطالبة الجامعية المقيمة، و التي نتحصل عليها من خلال الدرجة الكلية لمقياس "الضغوط النفسية" للباحثين الأمريكيين "هانسن و بريكي" لسنة 1991، الذي تم تكييفه في البيئة المصرية من طرف الباحثين "أماني عبد المقصود و تهاني عثمان" لسنة 2007، أما في البيئة الجزائرية فلقد تم تكييفه من طرف الدكتورة الباحثة "بوروي فريدة رجاح" سنة 2012. و الذي يهدف إلى التعرف التقديري على مستوى الضغوط الأسرية.

3-3- الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية: هي الطالبة التي تدرس في الجامعة بعد نجاحها في اجتياز شهادة البكالوريا، و سمحت لها معدلاتها بالالتحاق بالجامعة و تقييم في الإقامة الجامعية، بحيث يطبق عليها مقياسي "المناخ الأسري" و "الضغوط الأسرية".

الإطار النظري للدراسة

1-1- المناخ الأسري: Family climate

1-1- مفهوم المناخ الأسري: - هو ذلك الطابع العام للحياة الأسرية، من حيث توفر الأمان و التضحية و التعاون، ووضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات و أشكال الضبط و نظام الحياة. و كذلك أسلوب إشباع الحاجات الإنسانية و طبيعة العلاقات الأسرية. (خليل، 2000، ص.32)

- هو الجو الذي يسمح للأسرة بأداء كامل و فعال لوظائفها المختلفة، إلى جانب إتاحة الفرصة للنمو السليم و المستقل لشخصيات أفرادها، و العمل على تدعيم العلاقات بينهم، و تحقيق أكبر قدر من التماسك و التقارب داخل الأسرة، و هذا المناخ له وجهان: سوي و الآخر غير سوي. (خضر و عبد العاطي، 2009، ص.4377)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- هو الطابع العام للحياة الأسرية من حيث توفر الأمان و التضحية و التعاون و نظام الحياة و أسلوب إشباع الحاجات النفسية و طبيعة العلاقات الأسرية و الحياة الروحية التي تسود الأسرة. (بيومي، 2012، ص. 253)

1-2- أنماط المناخ الأسري

أشار (الصغير، 2010، ص. 40) إلى أربعة أنماط للمناخ الأسري:

- النمط الحازم: الذي يجمع بين التقبل و الضبط.
- النمط التسلطي: الذي يجمع بين الضبط و الرفض.
- النمط المتساهل: الذي يجمع بين التقبل و الرخاوة.
- النمط الديمقراطي: اعتراف الوالدين بان أبناءهم أشخاص يختلف بعضهم عن البعض الآخر، فهم يحرصون على توضيح مغزى تصرفاتهم، و يرحبون بالحوار و التعايش مع أبناءهم في كل ما يعيشون أو يتعرضون له من مواقف و خبرات (عبد الله، 2010، ص. 20-21)

1-3- أهمية المناخ الأسري

تكمن أهمية المناخ الأسري فيما يلي:

- الأسرة أكثر المؤثرات البيئية تأثيرا على شخصية الأفراد الذين ينتمون إليها.
- الأسرة هي مهد الشخصية التي تزود الأبناء بخبرات الحياة.
- طبيعة العلاقات داخل الأسرة تتسم بنظام دينامي ذي خصائص نفسية ذي تأثير دائم لكل عضو على آخر، ما يجعل الفرد مرآة لوالديه جراء أسلوب معاملتهم السوية أو الغير السوية للابن.
- تطبع الأسرة حياة الفرد بطابعها الخاص في كل الجوانب: الجسمية، العقلية، الاجتماعية. (حافظ، 2007، ص. 18)

- تعمل الأسرة على إشباع حاجات الأبناء بطريقة سوية دون إفراط أو تفريط و رعاية الأبناء بشكل متوازن و ترتيب الأولويات و الحاجات حسب أهميتها. (عثمان، 2009، ص. 32)

و من هنا تكمن أهمية المناخ الأسري و خطورته في نفس الوقت، كون أن المناخ النفسي في الأسرة هو أي يحدد مدى نجاح أي أسرة، لأنه يشكل نوعية و اتجاه و سلوك أعضاء تلك الأسرة، لذلك يعتبر الجو العائلي من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي و العصبي للأبناء، لأنه يؤثر تأثيرا بالغا على سلامة الحياة الاجتماعية للأبناء، فإذا كان الجو المنزلي مليئا بالمحبة و العطف و الهدوء و الثبات يكون الفرد فيه مطمئنا على نفسه. (حليبي، 2004، ص. 243)

- 1-4- الأسرة الجزائرية: تناولت كثير من الدراسات الأسرة الجزائرية باعتبارها نموذجا متميزا في الوطن العربي نظرا لمجموعة من الظروف أهمها التطور التاريخي الذي شهدته تركيبة المجتمع الجزائري، ولذلك تظهر في بنيتها التقليدية تجسيدا للأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية السائدة من قبل، ويتجلى ذلك في التشبث العميق بمجموعة من العادات و التقاليد و القيم الاجتماعية التي تعبر عن انتمائها وهويتها المتجذرة من خلال خصائصها

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التي تميزت بها، فهي جماعة أولية هامة باعتبارها اللبنة الأساسية في المجتمع الجزائري، فهي على العموم " أسرة موسعة حيث يعيش في أحضانها عدة أسر زوجية وتحت سقف واحد (الدار الكبيرة) إذ نجد فيها عشرين إلى ستين شخصا أو أكثر يعيشون جماعيا"، زيادة إلى بعض الأهل و الأقارب، والكل يعيش حياة اجتماعية واقتصادية متبادلة على أساس قرابة الدم والنسل التي تحدد فيها بينهم علاقات وواجبات و التزامات مشتركة، حيث أن " الأب و الجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية ينظم فيها أمور تسيير الإرث الجماعي وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ على الانضباط والتماسك في الجماعة الأسرية. (بوتفوشنت مصطفى، 1984، ص 37).

أصبحت الأسرة الجزائرية اليوم تتميز بنطاق ضيق ذات التركيب البسيط" بعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة أصبحت اليوم تتسم بصغر حجمها المتكون من الزوج و الزوجة والأولاد.(محمد سويدي،1990،ص.89)، إضافة إلى أن الحياة في المدينة تتطلب أن يكون عدد الأفراد محدودا عكس ما كانت عليه في الريف، أما العامل الثاني وهو اختلاف أو تباين البنية الاقتصادية الإنتاجية للأسرة الممتدة والتي كانت تعتمد على الإرث العائلي والمتمثل في الأراضي الزراعية كوحدة إنتاجية واستهلاكية، ولكن مع فقدان الأراضي الزراعية و انقسامها و انتقال الأفراد إلى المدينة التي عرفت وجود مؤسسات صناعية وتجارية تستخدم الفرد المهاجر إليها على أساس كفاءته وقدراته دون اعتبار للجنس أو السلالة أو القرابة أو غيرها.(نفس المرجع السابق،ص.90).

2- الضغوط الأسرية: يعتبر مفهوم الضغوط الأسرية من المفاهيم الحديثة التي بدأ الاهتمام به في ثمانيات القرن العشرين فقط من عدد قليل من الباحثين الأجانب و العرب، لهذا جاءت التعاريف حول هذا المفهوم قليلة. حيث يعرفها Neuman (نومان) على أنها تلك الضغوط التي تتضمن كل القوى (المشكلات) و الظروف و المواقف التي يمكن أن تؤدي إلى عدم ثبات و استقرار نظام الأسرة (Neuman, 1983, p.246). ويرى كل من Berkey & Hanson (بركيو هانسون) إن الضغوط الأسرية هي التوتر الناتج من مشير أو قوى تحدث داخل أو خارج الحدود البيئية للنظام الأسري، و تؤدي إلى عدم استقرار هذا النظام (Berkey & Hanson, 1991, p.38).

وحسب "أماني عبد المقصود و تهاني محمد عثمان" فالضغوط الأسرية هي حالة يتعرض فيها الوالدين و أبنائهما لظروف أو مطالب تفرض عليهم نوعا من عدم التوافق، و كلما ازدادت وطأة تلك الظروف أو المطالب أو استمرت لفترات طويلة تزداد هذه الحالة خطورة (أماني عبد المقصود و تهاني محمد عثمان، 2007، ص. 5).

و مصادر الضغوط الأسرية عديدة ومتنوعة، وعلى العموم هي الأحداث التي تسبب ردود فعل الضغط أو الشعور بالضغط، و قد تسهم كل من أحداث الحياة الطبيعية أو الغير طبيعية و التغيرات الحادثة في النظام العائلي في تصادم الضغوط و بعددها، و لقد حددت مجموعة من الباحثين (Bauman بومان)، (Harris هاريس)، (Mccubbin ماككوبن)، (Patterson باترسن) (1989) ستة مجالات لمصادر الضغوط الأسرية تتمثل في: التغير في عدد أفراد الأسرة، و في أدوارهم، و في أساليب معيشتهم. و التغير في القضايا الجنسية في الأسرة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

(الحمل)، و تحمل أعباء تربية الأبناء. و فقدان عضو من أعضاء الأسرة أو أحد الأقارب أو الأصدقاء، أو فقدان دخل أو ثروة. و المسؤوليات المرتبطة بالشؤون العائلية، أو المرتبطة بالرعاية الصحية. و قضايا إدمان المخدرات. و قضايا الصدام مع القانون (أماني عبد المقصود و تهاني محمد عثمان، 2007، ص. 33).

و لا شك أن ما يسود الحياة الأسرية من ضغوط تنعكس أثارها على الصحة الجسمية و النفسية لأفراد الأسرة. و قد تثقل الضغوط الأسرية التي تمتد لفترة طويلة كاهل البناء الأساسي لنظام الأسرة إلى الحد الذي يفكك كيائها، و يؤديها إلى عدم الاستقرار و عدم القيام بوظائفها (Neuman, 1983, p.89).

أنواع الضغوط الأسرية:

– الضغوط النفسية (بين شخصية) داخل الأسرة وهي الضغوط التي تتعلق بالجوانب النفسية الانفعالية للأفراد داخلها، وتنشأ هذه الضغوط من البيئة الداخلية للأسرة والتي تعد المنطقة الأولى لمصادر الضغوط الأسرية.

– الضغوط الداخلية المنشأ في الأسرة وهي الضغوط التي تتعلق بالتفاعل بين أفرادها، وهي تلك الأشياء أو الأحداث التي يحتك بها النظام الأسري الداخلي بالبيئة الخارجية بطريقة مباشرة. وفي الأخير نجد الضغوط الخارجية المنشأ في الأسرة والتي هي الضغوط التي منشأها خارجي أي مصادرها خارج نظام الأسرة من البيئة المحيطة بها، وهي كل الأحداث التي تقع بين النظام الأسري وبين البيئة المحيطة به (Berkey & Hanson, 1991, p.38).

– الضغوط الأسرية الخارجية: اتفق أغلب الباحثين على أن أبرز الضغوط الأسرية الخارجية هي الضغوط الأسرية الاقتصادية، حيث تعتبر من أشد الضغوط وطأة، حيث يرى (Conger) كونجر (وآخرون) (2002) إن انخفاض دخل الأسرة يقترن بالتغيرات المالية السلبية والخسائر المالية المتتالية التي تؤثر عليها، لأن الأزمات الاقتصادية تؤثر على الانفعالات والسلوكيات والعلاقات داخل الأسرة (Conger & al, 2002, p.207).

– الضغوط الأسرية الاقتصادية نجد ضغوط الإقامة التي تعتبر من الضغوط الأسرية الخارجية والتي منها ضغوط الانتقال من مكان إلى آخر، حيث يعتبر موقفا ضاغطا بدرجة شديدة لكل أفراد الأسرة. وأعراض صدمة الانتقال لمكان جديد تشمل: الارتباك، البلادة أو الكسل، الأمراض الجسمية الخطيرة، والكآبة والسبب هو عدم التركيز أو التوجه الانفعالي الذي ينتج عن الظروف البيئية غير المعتادة بصفة عامة. ويتضمن الانتقال لمكان جديد أيضا الاعتماد الانفعالي للزوجين كلا منهما على الآخر، وفقد الأصدقاء. ومثل هذا الانتقال يزيد من الضغوط الأسرية للزوجين، ويؤثر كذلك على الأطفال. (Ivancevich, 1987, p.40-41 & Matteson).

إضافة إلى أن للضغوط الأسرية آثار خطيرة، حيث يمكن أن تصبح لكل فرد من أفراد الأسرة ردود فعل شديدة للضغط، و إلى انخفاض مستوى تقدير الذات وعدم الاستقرار والإحساس بالتوتر وعدم الثقة بالنفس، وعلى مستوى العائلة فإن خطر وآثار الضغوط الأسرية يؤدي إلى تفكك الأسرة (Baylis, 2002, p.2-4).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ويشير Neuman (نومان) (1989) إلى أنه إذا لم يستطع أفراد الأسرة التحكم في مواقف حياتهم فإن استمرارية تأثير الضغط يمكن أن يؤدي إلى تحطم نظام الأسرة (أماني عبد المقصود وتهاني عثمان، 2007، ص. 9). و يؤكد أيضا Hill (هيل) على أن أزمات الأسرة يمكن أن تؤدي إلى نتائج عديدة مثل الانتحار والطلاق والهجر والهروب و الإصابة بالأمراض العقلية (فيولا البيلاوي، 2001، ص. 614).

يظهر الضغط في معظم أنشطة أفراد الأسرة اليومية، مما يتطلب منهم إدارة مستويات الضغوط لكي يساعدهم ذلك على البقاء في حالة تيقظ ونشاط وعلى درجة عالية من الأداء. و تقع الأسرة دائما تحت مؤثرات و مصادر للضغوط تثير تغييرا في نظام الأسرة سواء من داخلها أو خارجها، و قد تنجح بعض الأسر في شحذ قواها و تبنى أساليب لمواجهتها أو التكيف معا لضغوط المتعددة، بينما البعض الآخر من الأسر قد يفشل في ذلك، و معظم النظم الأسرية تخبر إلى حد ما ضواغط متشابهة خلال دورة حياتها، إلا أن بعض الأسر تكون أكثر نجاحا في إدارة الضغوط عن الأخرى، و بالتالي فهي تحول هذه الضغوط إلى قوى ايجابية دافعة؛ و هي الأسر التي تحافظ على ثبات نظامها وصلابتها، و هنا كأسر أخرى تواجه نفس المتطلبات و المصاعب إلا أنها تفقد القدرة على التحكم أو التصرف بأساليب تعرض وظيفة الأسرة للخطر (Berkey & Hanson, 1991 , p.42). و يستخدم أفراد الأسرة لإدارة الضغوط الأسرية أساليب واستراتيجيات، حيث تشير أساليب المواجهة إلى الجهود المبذولة من قبل الأسرة كمجموعة أفراد في السيطرة على الظروف الصعبة و المهددة قابلين للتحدي، فلا تكون الاستجابة روتينية و تلقائية بل مناسبة للموقف الذي يواجه الأسرة، لذلك فمواجهة الأزمة عملية تتضمن استجابات الأسرة المعرفية والانفعالية و السلوكية كوحدة. و من ثم تحشد الأسرة كل مصادرها نحو مواجهة بناءة ناجحة أو مواجهة سلبية للأزمة.

ويستخدم أفراد الأسرة لإدارة الضغوط الأسرية لأساليب واستراتيجيات، حيث تشير أساليب المواجهة إلى الجهود المبذولة من قبل الأسرة كمجموعة أفراد في السيطرة على الظروف الصعبة والمهددة قابلين للتحدي، فلا تكون الاستجابة روتينية و تلقائية بل مناسبة للموقف الذي يواجه الأسرة، لذلك فمواجهة الأزمة عملية تتضمن استجابات الأسرة المعرفية والانفعالية و السلوكية كوحدة. و من ثم تحشد الأسرة كل مصادرها نحو مواجهة بناءة ناجحة أو مواجهة سلبية للأزمة.

3- الطالب الجامعي:

3-1 مفهوم الطالب الجامعي: هو الشخص الذي سمحت له كفاءاته العلمية بالانتقال من المرحلة الثانوية إلى الجامعة تبعا لتخصصه الفرعي، بواسطة شهادة تؤهله لذلك، و يعتبر الطالب الجامعي أحد العناصر الأساسية و الفاعلة في العملية التربوية طيلة التكوين الجامعي. (كمال بلخير، 2001، ص. 15)

3-2 خصائص الطالب الجامعي:

ومن أهم الخصائص العامة للطالب الجامعي ما يلي:

النمو العقلي: حاجة الطالب الجامعي إلى استخدام ما لديه من طاقة عقلية لا تنحصر فقط في العلوم التي يقوم بدراستها، بل يتخطاها إلى استخدام هذه القدرات في حياته العملية. (علي راشد، 2007، ص. 55)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الرغبة في حياة مرضية: من خصائص الشباب بصفة عامة و طلاب الجامعة بصفة خاصة الشعور برغبة في التوصل إلى فلسفة معينة تحدد له دوره في الحياة. و الفلسفة التي نعيشها هي أسلوب في الحياة يتمثل في نظرتنا إليها و تقييمه لها، و ذلك إعتقادا على فهمه لمعناها، و من البديهي أنه من يفقد معنى الحياة أو يفشل في الوصول إلى معنى لحياته لا يستطيع أن يعيشها كإنسان. (نفس المرجع السابق، ص.55)

تقدير الذات: و ذلك من خلال دوافع تجعله يسلك السلوك الذي يؤدي به إلى الشعور بأنه إنسان له قيمته، و يستطيع أن يقوم بأعمال و ينجزها بنجاح يكون موضع تقدير المحيطين به، و أيضا السلوك الذي يؤدي به إلى تحقيق إمكانياته و استخدامها بنجاح. (نفس المرجع السابق، ص.56)

الثقة بالنفس: يتصف الطالب الجامعي بنوع من الثقة بالنفس و الإعتقاد عليها و الإستقلال بها، و قد يفاخر بأنه له رأيا مستقلا و أنه لا يخضع لآراء الآخرين، و ثقته بنفسه و اعتماده على ذاته ينبعان من إدراكه لإمكانياته و معرفته بقدراته. (نفس المرجع السابق، ص.57)

كما يتيح التعليم الجامعي فرصة للإستقلال و التمييز و إثبات الذات، تختلف عما تعود عليه في المراحل التعليمية السابقة، و قد يواجه الطالب صعوبات في ذلك تتفاعل مع ظروفه الشخصية و الأكاديمية مما يؤدي إلى إعاقة تقدمه و توافقه الجامعي و الاجتماعي و الشخصي مع البيئة الثقافية الجديدة التي ينتقل إليها و هي الجامعة. (الصغير، 1422هـ، ص. 05)

الطالب يدخل الجامعة لا ليوسع معارفه العلمية فقط و إنما ليطور نفسه و يشعب علاقاته الإجتماعية مع الآخرين من طلبة و أساتذة وإداريين و غيرهم، و يبذل اتجاهاته و عواطفه وانفعالاته، و هذا كله يصقل شخصيته و يؤثر على إنتاجه مستقبلا. (ناصر، 2005، ص.03). و كما أثبتت الدراسات أن الطلبة المندمجين جامعا يحصلون على نتائج دراسية أفضل، و يشاركون في البرامج الطلابية بصورة أكثر. (المحامد و عريبات، 2005، ص. 155)

3-3- مشكلات الطالب الجامعي:

خلال المرحلة الجامعية يكون طموح الطلاب هو: النجاح، و لكن النجاح في الجامعة هو من الأمور التي قد تستعصي على البعض، لما تتطلبه الدراسة الجامعية من مهارات و جهد و مثابرة و خلفية علمية جيدة، و هي أمور يمتلكها الكثيرون و لكن البعض منهم قد يفشل في توظيفها لتحقيق هدفه و طموحه بسبب مشكلات قد تكون نفسية، جسمية، دراسية، اجتماعية، مالية... الخ. (الخثلان و آخرون، 2005، ص. 05-06).

و كما لوحظت عدة عوامل تؤدي إلى تعثر الطالب الجامعي و منها:

- إختيار التخصص الأكاديمي غير الملائم للقدرات و الرغبات الشخصية.

- التغيب المفرط عن المحاضرات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- عدم توفر المهارات الدراسية اللازمة.
 - عدم وضوح الأهداف، و ما يرغب الطالب في الوصول إليه.
 - الإستمرار في التفكير و التصرف كطالب بالمرحلة الثانوية.
 - عدم التكيف مع البيئة الجامعية أكاديميا، إجتماعيا و نفسيا. (حسن شحاتة، 2001، ص. 04).
 - ضعف القدرة على التفكير التحليلي و الإستنباطي.
 - قلة الإهتمام بسلامة و صحة الذهن و الجسد. (الختلان و آخرون، 2005، ص. 06)
- إن حوالي ما يقارب (20%) من إجمال المقبولين في الجامعات لا يكملون دراستهم الجامعية بسبب تدني مستوى التحصيل الأكاديمي، و تختلف هذه النسبة من جامعة إلى أخرى، رغم أن معظم هؤلاء الطلاب الذين يواجهون الفشل الأكاديمي كانوا من الطلبة المتميزين أكاديميا و النابغين أثناء المرحلة الثانوية، مما يؤكد أن النجاح في المرحلة الجامعية لا يرتبط مباشرة بمستوى الطالب في المرحلة الثانوية أو قدراته الذهنية. (نفس المرجع السابق، ص. 06)
- كما أن التكيف السيئ للطلاب الجامعي يظهر في شعور الطالب بعدم الرضا عن دوره كطالب في الجامعة، و هو الأمر الذي يبدو على شكل إحساس بالقلق و التوتر و الشعور بالغبرة و الإكتئاب، و تتراوح هذه الحالة من الإضطراب ما بين عدم التكيف البسيط و حتى حالات الاضطرابات النفسية الشديدة التي تعيق اتصال الفرد بالواقع، كما يظهر آثار التكيف السيء في إنتاجية الطالب على شكل تدهور في الأداء التحصيلي و في نتائج الطالب الدراسية و معدلاته. (فوزي محمد جبل، 2000، ص. 61)

ثانيا: الإطار العملي للدراسة :

1. فرضيات الدراسة:

❖ **الفرضية الأولى:** "توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

و تتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية التالية:

1-1- الفرضية الجزئية الأولى:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

1-2- الفرضية الجزئية الثانية:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

❖ **الفرضية الثانية:** "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير

سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

❖ **الفرضية الثالثة:** "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

2. الدراسة الاستطلاعية:

تعتبر الدراسة الاستطلاعية خطوة مهمة سلسلة البحث الاجتماعي و هي أساسية بين مجموعة الخطوات الأخرى التي تنطوي عليها العملية، و بما أن موضوع دراستنا يتمحور حول "المناخ الأسري و علاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و أساليب مواجهتها، وفق تركيبة الأسرة الجزائرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية"، فكان الهدف من الدراسة الاستطلاعية الحصول على عينة الدراسة، حيث تتطلب هذه الدراسة أن تكون العينة الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية. و التأكد من صدق الأداتين المستعملة في هذه الدراسة و فهم بنودها. وتمثلت نتائج الدراسة الإستطلاعية على العموم إلى أنه تم الوصول إلى 200 طالبة مقيمة بالإقامة الجامعية -بولاية تيزي وزو- كمجتمع أصلي لهذه الدراسة، وكذلك تبني مقياس المناخ الأسري و مقياس الضغوط الأسرية (Family Stress)، كأدوات لهذه الدراسة بعدما تبين ملاءمتها لها.

3- منهج الدراسة :

تم الاعتماد في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي وهو المنهج الأكثر استحداثا في الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية وتبين أنه من المناسب استخدام هذا المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع والوصول إلى نتائج دقيقة والتمكن من تفسيرها وتأويلها.

4- المعاينة:

- **المجتمع الأصلي للدراسة:** يمثل مجتمع الدراسة كل الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية بولاية تيزي وزو، ولكن لا يتوفر حجم المجتمع الأصلي لصعوبة الحصول على إحصائيات دقيقة حولهن.
- **حجم عينة الدراسة:** بلغ حجم عينة الدراسة 200 طالبة مقيمة بالإقامة الجامعية -بولاية تيزي وزو- بلد الجزائر.
- **طريقة اختيار العينة:** اخترت العينة بطريقة قصدية، و تعتبر هذه الطريقة من المعايير الاحتمالية و يقصد بها سحب عينة من مجتمع البحث بانتقاء العناصر المقيدة طبقا لنسبتهم في هذا المجتمع ومن أهم خصائص الدراسة الأساسية أنهم من الطالبات الجامعيات المقيمات بالإقامة الجامعية -بولاية تيزي وزو- بلد الجزائر.
- **خصائص عينة الدراسة:** للعينة عدة خصائص منها:

❖ **السن:**

جدول رقم(01): يمثل سن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية -بولاية تيزي وزو-.

| السن | التكرارات | النسبة % |
|---------------|-----------|----------|
| 18 إلى 21 سنة | 73 | 36,50 |
| 22 إلى 25 سنة | 119 | 59,50 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | |
|----------------|-----|-------|
| 26 سنة فما فوق | 08 | 04,00 |
| المجموع | 200 | %100 |

من خلال هذا الجدول نستنتج أعلى نسبة فيما يخص السن هي 59,50 و التي تقابل الطالبات المقيمات بالقامة الجامعية اللواتي يبلغن من العمر بين 22 إلى 25 سنة.

❖ المستوى الجامعي:

جدول رقم (02): يمثل المستوى الجامعي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - .

| المستوى الجامعي | التكرارات | النسبة % |
|----------------------|-----------|----------|
| السنة الأولى ليسانس | 27 | 13,50 |
| السنة الثانية ليسانس | 61 | 30,50 |
| السنة الثالثة ليسانس | 26 | 13,00 |
| السنة الأولى ماستر | 38 | 19,00 |
| السنة الثانية ماستر | 43 | 21,50 |
| دكتوراه | 05 | 02,50 |
| المجموع | 200 | %100 |

من خلال هذا الجدول، نستنتج أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - يدرسن في السنة الثانية ليسانس بنسبة 30,50%، أين تأتي المستويات الأخرى بنسب متفاوتة: السنة الثانية ماستر، السنة الأولى ماستر، السنة الأولى ليسانس، السنة الثالثة ليسانس، دكتوراه.

المستوى المادي:

جدول رقم (03): يمثل المستوى المادي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو -

| المستوى المادي | التكرارات | النسبة % |
|----------------|-----------|----------|
| جيد | 18 | ,0090 |
| متوسط | 179 | 5089, |
| ضعيف | 03 | 01,50 |
| المجموع | 200 | %100 |

من خلال هذا الجدول نستنتج أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - يصرحن بان المستوى الاقتصادي الذي يعيشه متوسط، و ذلك بنسبة 89,50%.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

طلاق الوالدين:

جدول رقم (04): يمثل طلاق والدي الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - .

| طلاق الوالدين | التكرارات | النسبة % |
|---------------|-----------|----------|
| نعم | 03 | ,5001 |
| لا | 197 | 98,50 |
| المجموع | 200 | %100 |

من خلال هذا الجدول نستنتج أن 98,50% من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - لم يطلق أوليائهن.

❖ الشعور بالراحة في الإقامة الجامعية:

جدول رقم (05): يمثل شعور الطالبات المقيمات في الإقامة الجامعية - بولاية تيزي وزو - .

| الشعور بالراحة في الإقامة الجامعية | التكرارات | النسبة % |
|------------------------------------|-----------|----------|
| نعم | 72 | ,0036 |
| لا | 21 | 10,50 |
| أحيانا | 107 | 53,50 |
| المجموع | 200 | %100 |

يتبين لنا من خلال الجدول أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية يشعرون أحيانا بالراحة، أين تقدر نسبتها 53,50%.

5- أدوات الدراسة:

5-1- مقياس المناخ الأسري: قام بإعداد هذا المقياس أبو نجيلة (2013) و يتكون من 181 فقرة، فقد تم تقنيه على البيئة الفلسطينية. و قامت الباحثة "الاء طه سالم دلول" (2018) من جامعة الأزهر بغزة للحصول على رسالة الماجستير في علم النفس، بحيث قامت الباحثة بعمل صورة مصغرة من المقياس مكون من 69 فقرة، حيث شملت جميع أبعاد المقياس الأصلي، و يحتوي المقياس على خمسة أبعاد: المناخ الاسري العام، إشباع الحاجات الأساسية، أساليب التعامل و الرعاية الوالدية، الإمكانيات الفيزيكية و المادية: البيت و الأثاث- العلاقات الاجتماعية للأسرة.

5-2- مقياس الضغوط الأسرية (Family Stress):

قام بإعداد مقياس الضغوط الأسرية في الأصل الباحثان الأمريكيان Hanson هانسون و Berkey بركي عام (1991)، بهدف تقدير الضغوط الأسرية و تقدير مدى قوة النظام الأسري في مواجهة الضغوط. واعتمدا في ذلك على بعض الأطر النظرية التي تناولت الضغوط الأسرية كنموذج Curran كيوران (1983) و نموذج Neuman نيومان (1989). وقامت الباحثتان المصريتان "أماني عبد المقصود وتهاني عثمان" عام (2007)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بترجمة المقياس وتكييفه على البيئة المصرية، بعد أن تبين لهما عدم وجود أدوات لقياس الضغوط الأسرية في البيئة العربية وأطلقنا عليه مقياس الضغوط الأسرية (أماني عبد المقصود وتهاني عثمان، 2007)، و بعدها قامت الباحثة "بوروي رحاح فريدة" بتكييفه على البيئة الجزائرية سنة (2012).

6- عرض نتائج الدراسة

1.6 . عرض نتائج الفرضية الأولى:

و تنص هذه الفرضية على ما يلي:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

و تتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية التالية:

1.1.6. الفرضية الجزئية الأولى:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

عرض نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

الفرضية الصفرية: "لا توجد علاقة بين المناخ الأسري والضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

فرضية البحث: "توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

الجدول رقم(06): قيمة معامل الارتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.

| البيانات الإحصائية | العينة | قيمة "ر" | قيمة الدلالة الإحصائية ل "ر" (قيمة الدلالة المحسوبة sig) | مستوى الدلالة المعتمد | الدلالة |
|--------------------|--------|----------|---|-----------------------|---------|
| المتغيرات | | | | | |
| الضغوط الأسرية | 200 | -0.314 | 0.000 | 0.01 | دالة |
| المناخ الأسري | | | | | |

يلاحظ من الجدول رقم (06):

أن قيمة معامل ارتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية قدرت ب(ر = -0.314) جاءت دالة إحصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة تساوي (sig = 0.000) وهي أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.01$). أي أنّه توجد علاقة إرتباطية عكسية بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية؛ بمعنى أنه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية غير سوي كلما عانت من الضغوط الأسرية.

وعليه تحققت الفرضية الجزئية الأولى الخاصة بالفرضية الأولى.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2.1.6. الفرضية الجزئية الثانية:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

عرض نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

الفرضية الصفريّة: "لا توجد علاقة بين المناخ الأسري ومواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

فرضية البحث: "توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

الجدول رقم (07): قيمة معامل الارتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.

| البيانات الإحصائية | العينة | قيمة "ر" | قيمة الدلالة الإحصائية ل "ر" (قيمة الدلالة المحسوبة (sig) | مستوى الدلالة المعتمد | الدلالة |
|------------------------------------|--------|----------|---|--------------------------|---------|
| المتغيرات | | | | | |
| الضغوط الأسرية المناخ الأسري | 200 | 0.205 | 0.004 | 0.01 | دالة |

يُلاحظ من الجدول رقم (07):

أن قيمة معامل إرتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية قدرت بـ (R = 0.205) جاءت دالة إحصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة تساوي (sig = 0.004) وهي أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.01$). أي أنّه توجد علاقة إرتباطية طردية بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية ؛ بمعنى أنه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية سوي كلما إرتفعت مواجهتهن للضغوط الأسرية.

وعليه تحققت الفرضية الجزئية الثانية الخاصة بالفرضية الأولى

2.6. عرض نتائج الفرضية الثانية:

تنص هذه الفرضية على ما يلي:

"توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الفرضية الصفرية: " لا توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

فرضية البحث: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

الجدول رقم (08) : نتائج اختبار "T" للفروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية.

| الدلالة | مستوى الدلالة المعتمد | قيمة الدلالة المحسوبة Sig | قيمة "T" | الفرق بين المتوسطين | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | العينة | البيانات الإحصائية | |
|---------|-----------------------|---------------------------|----------|---------------------|-------------------|-----------------|--------|---|----------------|
| | | | | | | | | المتغيرات | المتغيرات |
| دالة | 0.05 | 0.000 | 5.103 | 04.667 | 07.38 | 21.97 | 101 | الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي | الضغوط الأسرية |
| | | | | | 05.41 | 17.30 | 99 | | |

يتبين من الجدول رقم (08):

أن قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي قدرت بـ $X^- = 21.970$ بينما قدرت قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي بـ $X^- = 17.302$ ، أي بفرق قدر بـ 04.667 فبمراجعة الدلالة الإحصائية لهذا الفرق نجد أنه دال لأن قيمة T تساوي ($T = -5.103$) جاءت دالة إحصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة (Sig) تساوي ($Sig = 0.000$) أصغر من مستوى الدلالة المعتمدة لدينا ($\alpha = 0.05$)؛ و هذا يعني أنّه توجد فروق دالة إحصائية بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية، وذلك لصالح الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي؛ أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي لديهن ضغوطاً أسرية أعلى من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي. وعليه تحققت الفرضية الثانية.

3.6. عرض نتائج الفرضية الثالثة:

تنص هذه الفرضية على ما يلي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

"توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

الفرضية الصفرية: " لا توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

فرضية البحث: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

الجدول رقم (09) : نتائج اختبار "T" للفروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية.

| الدلالة | مستوى الدلالة المعتمد | قيمة الدلالة المحسوبة Sig | قيمة "T" | الفرق بين المتوسطين | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | العينة | البيانات الإحصائية | |
|---------|-----------------------|---------------------------|----------|---------------------|-------------------|-----------------|--------|---|-----------------------|
| | | | | | | | | المتغيرات | |
| دالة | 0.05 | 0.001 | 3.521 | -01.483 | 0.808 | 03.350 | 101 | الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي | مواجهة الضغوط الأسرية |
| | | | | | | | | الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي | |
| | | | | | 01.112 | 04.833 | 99 | | |

يتبين من الجدول رقم (09) أن قيمة المتوسط الحسابي الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي قدرت بـ $X^- = 03.350$ بينما قدرت قيمة المتوسط الحسابي الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي بـ $X^- = 04.833$ ، أي بفرق قدر بـ -01.483 فبمراجعة الدلالة الإحصائية لهذا الفرق نجده أنه دال لأن قيمة T تساوي ($T = 3.521$) جاءت دالة إحصائية؛ لأن قيمة الدلالة المحسوبة (Sig) تساوي ($Sig = 0.001$) أصغر من مستوى الدلالة المعتمدة لدينا ($\alpha = 0.05$)؛ وهذا يعني أنه توجد فروق دالة إحصائية بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية؛ وذلك لصالح الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي؛ أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي لديهن القدرة على مواجهة الضغوط السرية أكثر من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي. وعليه تحققت الفرضية الثالثة.

7. مناقشة النتائج

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1.7. مناقشة نتائج الفرضية الأولى: التي تنص على انه توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية. إذ بينت نتائج هذه الفرضية انه هناك علاقة ارتباطيه بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، فتحققنا من صحة هذه الفرضية بعد تجزيئها إلى:

الفرضية الجزئية الأولى: التي تنص على انه هناك علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات بالإقامة الجامعية.

فبينت نتائج الجدول رقم(06) انه هناك علاقة ارتباطية بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، أي انه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية غير سوي، كلما عانت من الضغوط الأسرية، لان الأسرة تعمل على تأدية دور هام في التكوين النفسي السوي والتكوين النفسي غير السوي لدى الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية، فهي إما تعزز لديهن المفاهيم الإيجابية كالتعاون والثقة والأمن أو تكون لديهن الأفكار السلبية كالانطواء والعدوان والانسحاب، و هذه المفاهيم السلبية ترجع أساسا إلى استقرار أو عدم استقرار الوسط العائلي. و الأسرة التي تعمل على التنشئة و التربية بالاتجاه السليم من جميع النواحي النفسية والاجتماعية والجسدية فإنها سوف تدفع إلى المجتمع بأفراد صالحين متكيفين ويسهمون في رفع مجتمعهم والعكس صحيح، حيث أن الخلافات المستمرة بين الوالدين لا تولد إلا الشعور بالقلق والتوتر النفسي، و خاصة أن هناك بعض الأسر يتبنين أسلوب التسلط في التنشئة أين يولد الخضوع والانقياد في نفسية الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية، و في حين وجود أسلوب التناقض والتضارب بين الوالدين وكذلك تضارب الأوامر فإنه يعزز الشعور بالتردد في اتخاذ القرارات عند هذه الطالبة المقيمة في المستقبل، و كل هذا يولد ضغوط أسرية داخل المحيط الأسري الغير السوي، و المعاناة منها لدى الطالبة المقيمة، أين تلجأ إلى الهروب و الفرار من هذا الوسط الأسري إلى الإقامة الجامعية و جعلها منفذا او مهربا، علما أن الاقامات الجامعية الجزائرية تتميز بسوء أحوالها، بحيث كشفت نتائج التحقيقات التي قامت بها اللجان الولائية برئاسة المديرية الفرعية للحماية المدنية حول الاقامات و المطاعم الجامعية بمختلف الولايات، أن طلاب الجامعات يتناولون وجباتهم على "قنابل" و ينامون باقامات محفوفة بالمخاطر، تهدد حياتهم و تتطلب التدخل العاجل من طرف السلطات العليا للبلاد بسبب الكوارث المرتقبة في الأرواح و الممتلكات، كانفجار الغاز الذي حدث بالإقامة الجامعية بولاية "تلمسان"، التي أودت بحياة 07 طلبة و خلفت 38 جريحا. إلى جانب ذلك أكدت التقارير التي تناولت بالتفصيل وضعية المطاعم و الاقامات الجامعية أن المسخنة أكبر قنبلة تهدد حياة الطلاب بسبب سوء ربطها بمختلف المنشآت و غياب مخطط ربط شبكة الغاز و الكهرباء على حد سواء، و ما يزيد خطورة الإقامة بالأحياء الجامعية هو تسجيل نقص فادح في مخارج النجدة، و حتى و إن وجدت فان الإشارات المؤدية إليها لا اثر لها.

و من ضمن ما كشفت عنه نتائج التحقيقات حول المطاعم و الاقامات الجامعية، هو غياب كلي لشروط النظافة، خاصة في المطابخ بسبب انبعاث روائح كريهة من قنوات الصرف الصحي الموجودة بالقرب من المطابخ و

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أحيانا بداخلهم و كذا نقص كبير من حيث التهوية. إضافة إلى أن أسرة غرف النوم في الكثير من الاقامات الجامعية غير صالحة تماما و تجاوزت الآجال القانونية لاستعمالها و تهدد مستعملها بالإصابة بأمراض خطيرة ، إضافة إلى أن التحقيقات توصلت إلى تسجيل رهيب في عدد الطلبة بالغرفة الواحدة، و كما انه هناك بعض الاقامات تفتقر إلى الأمن و الأجهزة المستعملة عند وجود أخطار.

و من الرغم من كل هذه الأخطار التي تعج بها الأحياء الجامعية، إلا أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية فضلن الإقامة في كذا أحياء، هروبا من تسلط الوالدين و الإخوة ، خصوصا أن الشابة القبائلية اوجب عليها أن تحترم اولياءها حتى و لو استعملوا معها أسلوب خطابي غير لائق و عليها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية منها: الطبخ، الغسيل... الخ، و من جهة أخرى عليها ان تتفوق في دراستها ليتباهى بها والديها أمام الآخرين، و لكي لا يقولوا بأنهم يدفعون نفقات التعلم بدون مقابل نجاحها، و هذا ما يجعل هذه الشابة في حيرة و ارتباك و حرج، فهنا الشابة خاصة أنها تعيش وسط ضغوطات داخلية، فهذا يؤدي بها إلى عدم التنفيس الانفعالي، لذا فإنها تفضل الإقامة الجامعية للشعور بنوع من الراحة و الحرية.

الفرضية الجزئية الثانية: التي تنص على انه توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.

فبينت نتائج الجدول رقم(07) أن الفرضية قد تحققت، بمعنى انه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية سوي كلما ارتفعت مواجهتهن للضغوط الأسرية.

فإذا تكلمنا عن الضغوطات الحياتية داخل الأسرة، لأنها تعد من لزوميات الواقع اليومي الذي يعيشه الفرد، لان الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و جعل حياته في كدِّ و تعب، وهذا يجعل الإنسان يحتاج إلى قدرٍ عالٍ من الصبر والمسؤولية والالتزام، كي يستطيع مواجهة هذه الضغوطات، وكي يحسن التصرف معها، ويتخطاها بأذكي الطرق المتاحة، وتتجسد مخاطر عدم التعامل المثالي مع ضغوطات الحياة في تكوين تأثير سلبي على الحالة النفسية للأشخاص، والتأثير على الصحة العامة، وإصابة الإنسان بالفزع والارتباك مما يجعله أكثر عرضة للخطأ والخطر، و لكن يختلف هذا الأمر من أسرة لأخرى، فإذا تحدثنا عن المناخ الأسري السوي فنجده اقل عرضة للخلافات و الشجارات بين أفراد الأسرة على عكس المناخ الأسري الغير السوي، فهنا الفرد بصفة عامة و الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية بصفة خاصة أمكن لها أن تسيروا و تتحكم في الضغوطات الطفيفة التي تواجهها مع أفراد أسرتها، و اوجب عليها أن تتدرب و تتعامل على كذا مشاكل بطريقة عقلانية و ذكية ليسهل عليها التعامل و تخطي المشاكل الزوجية التي يمكن أن تعيشها في الحياة المستقبلية مع زوجها و أفراده. خاصة و أن العائلة الجزائرية بصفة عامة و العائلة القبائلية بصفة خاصة لا يتعذر لها أن تكون رهينة الطلاق و إلا ستكون رهينة المجتمع الذي يمكن أن يسبب لها مشاكل و اضطرابات نفسية و سلوكية و انفعالية كالقلق - الارتباك - الخجل - فقدان الأمل في الحياة و الهروب من المنزل أو حتى الانتحار في بعض الاحيان...

لذا فتوفير جو اسري سوي يعمل على تدريب الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية على تخطي مشاكلها، و تتعلم كيف تتعامل مع المشاكل الغير معقدة، و ذلك بفضل هذا المناخ الأسري الذي يوفره الوالدين و أفراد الأسرة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

و كثرة المشاكل في أسرة ما يؤدي إلى تعقد الأمور و عدم إيجاد و اختيار الحلول المناسبة بسبب عدم التركيز، فكل ذلك يؤدي إلى مرور هذه الطالبة في ضغوطات داخلية خاصة إذا لم تخرجها و تلجأ إلى التنفيس الانفعالي بإخراج ما بداخلها و البوح به إلى إنسان تثق به و يستمع إليها فهنا يمكن أن تفقد السيطرة على نفسها بإيذاء نفسها أو ما يسمى اللجوء إلى الإيذاء الجسدي و محاولة الانتحار أو الهروب من المنزل إلى أماكن منبوذة اجتماعيا أو الهروب إلى الإقامة الجامعية، فتجد مع زميلاتهما ما لم تجده عند أسرتهما.

2.7. مناقشة نتائج الفرضية الثانية: التي مفادها: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

فمن خلال المعالجة الإحصائية ، توصلنا إلى صحة هذه الفرضية، بمعنى أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ اسري غير سوي لديهن ضغوطات أسرية أعلى من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ اسري سوي. لان المناخ الأسري بصفة عامة يكمن في الجو السائد في محيط الأسرة، و هي المحصلة الكلية المميزة لخصائص الأسرة كبيئة تربوية من حيث أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة فيها و أنماط الاتصال بين أعضائها و توزيع الأدوار و المهام التي توكل إلى كل منهم، و تشمل أيضا جميع جوانب الحياة الأسرية من أساليب المعاملة الوالدية و طريقة إشباع الحاجات سواء الأولية منها أو الثانوية و توزيع المسؤوليات تبعا لدور كل فرد في الأسرة و التي يكون لها انعكاس أو تأثير على دوافعهم و سلوكهم، و المناخ الأسري يلعب الدور الأهم في حياة الأفراد بصفة عامة و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية بصفة خاصة، و كلما كان الجو العام للأسرة تسوده علاقات جيدة كان المناخ الأسري اقرب إلى السواء، و كلما كان الجو العام للأسرة تسوده علاقات متذبذبة كان المناخ الأسري اقرب إلى اللاسواء، و الذي يحدد لنا هذا الشيء بالوجه الأخص هما الوالدين.

و إذا ما توقفنا عند الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ اسري غير سوي، فأنهن يواجهن ضغوط أسرية و ذلك يعود إلى عدم إحساس هذه الطالبة بالاستقرار و الأمان داخل الأسرة ما يولد لديها هذه الضغوط و صعوبة مواجهتها، عكس الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ اسري سوي بعيد عن الضغوطات الأسرية و بعيد عن الخلافات و المشاحنات بين أفراد العائلة، و هذا ما توصلت إليه دراسة الباحثة "امل ميرة" (2012) إلى أن المناخ الأسري السوي السائد في المنزل يجعل الأبناء ينشؤون في جو اقرب ما يكون إلى التلقائية و التفتح. و كما ترى "خليل" (2006) في دراستها أن المناخ الأسري يؤثر في الصحة النفسية للأبناء، فكلما كان المناخ الأسري جيدا أدى إلى سلامة الأبناء نفسيا، و يحقق لهم مقومات الصحة النفسية السليمة، كما أن المناخ الأسري الجيد تتوفر فيه عوامل الحب و التفاهم و وضوح الأدوار، و يسوده التعاون و تشبع فيه حاجات الأبناء بشكل معتدل. و بهذا، فالمناخ الأسري السوي لا يولد الضغوطات المتعلقة بالأسرة في نفسية الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

3.7. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة: التي مفادها: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

و بعد المعالجة الإحصائية، فقد تبينت صحة هذه الفرضية، أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي لديهن القدرة على مواجهة الضغوط الأسرية أكثر من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي، بحيث أن الطالبة الجزائرية المقيمة بصفة عامة و القبائلية بصفة خاصة التي تعيش في مناخ أسري غير سوي فيصعب عليها التعامل مع الضغوطات الحياتية الأسرية و مواجهتها، لأن مواجهة الضغوطات الأسرية يعود إلى درجة حدة و كثافة و تفاقم هذه الضغوطات و المشاكل التي تعيشها، إلا و إن كانت هذه الطالبة المقيمة تتمتع بشخصية قوية لتستعمل حينها الميكانزمات الدفاعية التي تعتبر تلك الوسائل التي تتخذ للهروب من مواقف ترغب الطالبة تجنبها أو لا تستطيع مواجهتها، و هدفها الأساسي هو تجنب التوترات الناتجة عن مواقف معينة تعيشها داخل الأسرة أو لتتجنب الصراعات الداخلية الناجمة عنها، و هي غالبا ما تكون عمليات دفاعية لا شعورية و قد تصبح شعورية لاحقا، و لعل أكثرها شهرة هو الكبت - الإنكار - الإسقاط... الخ ، لتكون الحالة النفسية لهذه الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية مستقرة أو هادئة، و إذا كانت شخصية هذه الطالبة ضعيفة أو متذبذبة، ففي هذه الحالة يمكن أن تؤدي بها هذه الضغوطات إلى حالات نفسية كالقلق و الارتباك... الخ يمكن أن تصل بها إلى حالات حرجة كالاكتئاب الحاد الذي يمكن أن يؤدي إلى الانتحار في حالات أين لا يمكن لهذه الطالبة، عكس الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية التي تعيش في مناخ اسري سوي لا تكثر فيه الخصومات و الشجارات و المخالفات، بحيث تتكيف اسريا و جامعا و نفسيا

8- خاتمة الدراسة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة بشطريها النظري و التطبيقي تقديم تفسير و لو بسيط حول موضوع المناخ الأسري و علاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو -"، باعتبار الأسرة ظاهرة عامة في كل المجتمعات الإنسانية، فليس هناك أسرة بلا مجتمع، و لا مجتمع بدون أسرة، فهي عماده، فتحيط بالفرد منذ ميلاده لتزوده بالقيم و المبادئ التي تساعده على التكيف مع المجتمع. وهي الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان و دوافعه الطبيعية و الاجتماعية، و ذلك مثل حب الحياة، بقاء النوع، تحقيق الغاية من وجوده أو العواطف و الانفعالات الاجتماعية مثل عواطف الأبوة و الأمومة و الأخوة، و هذه كلها عبارة عن قوالب و مصطلحات يحددها المجتمع للأفراد ويستهدف من ورائها الحرص على الوجود الاجتماعي و تحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني.

و لكن هذا لا يعني أن الأسرة لا تعاني من ضغوطات كثيرة، سواء من حيث الجانب: الاقتصادي، العلائقي، الديني، الخ... الخ، و خاصة ما إذا تعرضت لها الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية التي من المفروض تركز على دراستها عوض التفكير في المشاكل الأسرية التي تواجهها و التي تتحول مع الوقت الى ضغوطات، كون تعلم الجنس الأنثوي في المجتمع الجزائري بصفة عامة و المجتمع القبائلي بصفة خاصة أصبح بشبه ضرورة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

اجتماعية و اقتصادية، لما يوفر لها و لأسرتها دخلا ماديا، كما يقوي شخصيتها و ينمي لديها الشعور بالالتزام و الاطمئنان و الثقة بالنفس.

لكن ليتحقق نجاح الطالبات المقيمات في الإقامة الجامعية، لا بد من توفر مناخ اسري سوي يتميز بالعدل و السلم و حرية التعبير و إبداء الآراء بين أفراد الأسرة بعيدا عن ذلك المناخ الأسري الغير السوي الحافل بالضغوطات الأسرية أين يصعب على الطالبة المقيمة مواجهتها و التعامل معها، أين توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى انه كلما زادت الضغوط الأسرية زادت حدة توترها و قلت مواجهتها، و العكس كلما نقصت شدة الضغوطات الأسرية أمكن للطالبة المقيمة مواجهتها.

و من جهة أخرى فان تعلم هذه الطالبة المقيمة و خروجها للعمل في المستقبل، لا يؤثر فقط عليها، و إنما يؤكد على خلق مجتمع مثقف، حيث أن تعلمها له أهمية كبيرة خاصة انه ينعكس على رعايتها لأبنائها بشكل ايجابي في كافة المراحل العمرية. و لقد بينت نتائج الأبحاث مثل دراسة كل من (عبد الفتاح،1984) و (سلامة،1987) و (ابو زيد،1987) و (بول،1991) في أن عمل المرأة ينعكس إيجابا على الأسرة و الأطفال من ناحية تكيفهم و استقلالهم و اعتمادهم على أنفسهم.

و تبقى نتائج هذه الدراسة نسبية و محدودة، حيث لا يمكن تعميمها نظرا لعدم تمثيل أفراد العينة، وبهذا خلصت الدراسة الحالية إلى مجموعة من النتائج أين جاءت كل الفرضيات حسبما تم توقعها في طرحها، لكن النتائج تبقى رهينة هذه العينة و خصائصها.

و على ضوء ما تعرضنا إليه في هذه الدراسة، نقترح ما يلي:

- ضرورة توفير مناخ اسري سوي للطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية خال من الضغوطات الأسرية .
- وضع برامج توعوية للأسر الجزائرية توضح مدى أهمية البيئة الأسرية و تأثيرها على أفراد الأسرة ، و ضرورة اهتمام الوالدين بتوفير مناخ اسري سوي .
- ضرورة ذهاب الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية إلى أخصائي نفسي لتعليمها كيفية مواجهة الضغوط الأسرية التي تواجهها أو يمكن أن تواجهها، لتقي نفسها من الصراعات النفسية الداخلية و التخلص منها، او التقليل منها .

قائمة المراجع المعتمد عليها باللغة العربية

- 1- أماني عبد المقصود وتهاني محمد عثمان.(2007).الضغوط الأسرية والنفسية-الأساليب والعلاج (بدون طبعة).مصر-القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- 2- الإمام محمد صالح الجوالدة، فؤاد عيد.(2009). المناخ الأسري و علاقته بالأمن الفكري لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري - المفاهيم و التحديات- كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري. السعودية-جامعة الملك سعود.
- 3- بن تفسوننت مصطفى.(1984).ترجمة دمري احمد.العائلة الجزائرية:التطور و الخصائص الحديثة(بدون طبعة) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 4- بيومي محمد خليل.(2012).سيكولوجية العلاقات الأسرية(بدون طبعة).مصر- القاهرة: مكتبة دار قباء.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 5- حلبي عبد المجيد طعمه. (2004). التربية الإسلامية للأولاد منهجا وهدفا و أسلوبيا (ط2). لبنان - بيروت: دار المعرفة.
- 6- حسن شحاتة. (2001). التعليم الجامعي و التقويم الجامعي بين النظرية و التطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر.
- 7- خليل محمد. (2000). المناخ الأسري و علاقته بالصحة النفسية للأبناء المراهقين. رسالة ماجستير. معهد الدراسات و البحوث التربوية. مصر - جامعة القاهرة.
- 8- خضر منار عبد الرحمن محمد و العاطي، حنان سامي محمد عبد. (2003). المناخ الأسري و علاقته بدافع الزواج العرفي لدى الشباب الجامعي. المؤتمر العلمي الدولي الثاني و العشرون للخدمة الاجتماعية. جامعة حلوان.
- 9- داليا حافظ. (2015). المناخ الأسري و علاقته بالمخاوف الاجتماعية لدى الأطفال، مجلة دراسات عربية في علم النفس - مصر، مجلد (14)، العدد الأول، ص-ص. 163-2017.
- 10- الشهري عبد الله علي ابو عراد. (2009). فاعلية الإرشاد الانتقائي في خفض مستوى سلوك العنف لدى المراهقين. دراسة تجريبية. رسالة ماجستير، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية. جامعة ام القرى.
- 11- شعبي انعام احمد عابد. (2009). أساليب المعاملة الوالدية و علاقتها باتخاذ الأبناء لقراراتهم في المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير، قسم السكن و إدارة المنزل. جامعة ام القرى.
- 12- الصغير صالح بن محمد. (1422هـ). التكيف الإجتماعي للطلاب الوافدين + دراسة تحليلية مطبقة على الطلاب الوافدين في جامعة الملك سعود بالرياض. على البريد الإلكتروني: <http://www2.askz da.com/gen pages/default.aspx>
- 13- الصغير علي محمد. (2011). العلاقة بين عنف الأزواج و المناخ الأسري و سمات شخصية للأبناء المراهقين و سلوكهم. دراسة سيكولوجية اكلينيكية. معهد الدراسات التربوية. قسم الإرشاد النفسي. مصر - جامعة القاهرة.
- 14- عبد الله، فاطمة فراج احمد. (2010). المناخ الأسري و علاقته بتقدير الذات لدى عينة من الأطفال من 9-12. رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية للأطفال. معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- 15- عبد الرحمان بن عبد الله الختلان، عبد المطلب يوسف جابر، محمد بن عبد العزيز العوهلي، عمر بن عبد الله السويلم. (2005). المهارات الدراسية الجامعية. على البريد الإلكتروني: <http://studg.kfupm.edu.salktab>
- 16- علي راشد. (2007). الجامعة و التدريس الجامعي (بدون طبعة). لبنان - بيروت: دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر، دار الشروق جدة.
- 17- فوزي محمد جبل. (2000) الصحة النفسية و السيكلوجية الشخصية (بدون طبعة). مصر - الاسكندرية: المكتبة الجامعية الأزراطة.
- 18- فيولا البلاوي. (2001). ضغوط الحياة في الأسرة - مدخل الإرشاد و الأزمات - المؤتمر السنوي الثامن لمركز الإرشاد النفسي (بدون طبعة). مصر - القاهرة: جامعة عين شمس.
- 19- كمال بلخير. (2001). عوامل و آثار تأخر زواج الجامعيين - دراسة على طلبة الدراسات العليا السلك الأول و الثاني. رسالة مقدمة مقترحة لنيل ماجستير في علم الاجتماع. الجزائر - جامعة باتنة.
- 20- محمد سويدي. (1990). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري (بدون طبعة). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 21-** المحامد شاكر وعربيات احمد.(2005). اتجاهات طلبة جامعة مؤقتة نحو الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بتكليفهم الدراسي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد (6)، العدد (4).

قائمة المراجع المعتمد عليها باللغة الاجنبية

- 22-** Ivancevich.J.M & Matteson .M.T.(1987). *Controlling work stress* .Josey –Bass. Sanfrancisco.
- 23-** Neuman. B.(1983). *Family intervention using the BettyNeuman health- car systems model-In 1 Clements & F. Roberts (EDS) Family health. A theoretial approach to nursing care- Wiley- New York.*
- 24-** Stagier, Ross.(1974). *Psychology of Personality*. New york,Mc Craw Hill .Inc student .Psychological Reports, (103), 161-169.

القيم المؤسسة للمشارك الإنساني في القرآن الكريم: دراسة في الخطاب القرآني العام

د. محمد البويسفي

باحث في الدراسات القرآنية/ المغرب

ملخص البحث

العيش المشترك أمر حتمي على الإنسان، بحكم طبيعته الاستخلافية وحاجاته الاجتماعية التي تفرض عليه التعارف والتعاون، لتحقيق المصالح المشتركة رغم الاختلاف بين بني البشر في الأديان والثقافات.

وهذا ما أكده القرآن الكريم في كثير من الآيات، وبين حقيقته وأبعاده ومنطلقاته ومجالاته. ومن ينظر في الخطاب القرآني يجده محددًا لمعالم المشترك الإنساني، بدءًا بوحدة الأصل والتكوين، وأن الاختلاف في الأجناس والألوان والألسن والثقافات غايته التعارف والتكامل والتعاون، وليس للتفاضل والتمايز بين الناس، وأن المقياس عند الله تعالى هو التقوى والصلاح، فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"¹. وهذا الاختلاف لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكليف والوفاء بجميع الحاجات.

وقد بين الله تعالى أنه قادر على إزالة هذا الاختلاف، لكن حكمته اقتضت ذلك، وجعلت الرهان بين البشرية هو كسب الخير العام، كما قال تعالى: "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ"².

ولذلك حدد القرآن الكريم مجال المشترك الإنساني، وبين القيم والمبادئ العامة المؤطرة له. ومنها قيم التقوى، والعدل، والتعاون على البر والإحسان، والخير العام، والاحترام المتبادل.

ولكن ما نراه اليوم هو أن هذا الاختلاف تنتج عنه صراعات وحروب غير منتهية، ولا حل أنسب لها إلا بتأسيس مشروع فكري حضاري، يستوعب الاختلافات، ويستثمرها، في بناء المشترك الإنساني.

وهذا يتطلب معالجة جذرية في الأدبيات المؤسسة للعلاقة مع الآخر. من خلال الرجوع إلى النصوص الشرعية المؤسسة للفكر الإسلامي، وأقصد هنا القرآن الكريم، لدراسة الخطاب القرآني فيما يتعلق بالعيش المشترك،

1 سورة الحجرات: الآية 13.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والوقوف على قضايا المشترك الإنساني، من حيث المجالات والقيم والضوابط،.. والمنهاج. والخروج بتصوير إسلامي لقضية المشترك الإنساني، فيه تأصيل وتأهيل للخطاب الإسلامي المعاصر الرامي إلى التعايش والمشاركة الإيجابية مع الأمم والشعوب والحضارات الأخرى، في البناء الحضاري العالمي والرافض للانعزال والتفوق على الذات والسلبية.

ومن الأهمية بمكان هنا أني استفدت كثيرا من كتابات الدكتور أحمد الفراك في المشترك الإنساني، وبنيت في ضوءها مقالتني هذا شكلا ومضمونا.

أهداف البحث:

إبراز أهمية استدعاء القرآن الكريم في حل قضايا العصر

بيان القيم المؤسسة للمشارك الإنساني في القرآن الكريم

محاولة في تجديد الخطاب الإسلامي فيما يخص القضايا الإنسانية العامة

منهج البحث

المنهجي المعتمد في البحث هو المنهجي الوصفي التحليلي القائم على وصف الخطاب القرآني العام وما يتعلق فيه بالمشارك الإنساني من قيم ومبادئ عامة وتحليل الآيات في سياقها ومقاصدها وتركيب بناء تصور عام يوطر العيش الإنساني المشترك.

هيكلية البحث:

تقديم حول أهمية قيم المشترك الإنساني

المبحث الأول: مدخل مفهومي لكل من القيم والمشارك الإنساني

المبحث الثاني: قيم التعارف في القرآن الكريم

المبحث الثالث: قيم التكريم لبني آدم في القرآن الكريم

المبحث الرابع: قيم الخير العام في القرآن الكريم

المبحث الخامس: قيم السلم في القرآن الكريم

المبحث السادس: قيم العدل والإحسان في القرآن الكريم

خاتمة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تقديم حول أهمية قيم المشترك الإنساني

القرآن الكريم كتاب هداية إلى الناس جميعا ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو آخر الكتب السماوية، مصدقا لها ومهيمنًا عليها، قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ"¹، مثبت لما هو صالح غير خاضع للزمان والمكان، فهو رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها، لأنه جاء بعدها².

والدين عند الله تعالى واحد وهو الإسلام، وهو يتضمن عقائد وشرائع، ومعلوم أن العقائد ثابتة لا تتغير، في حين أن الشرائع تتغير، فجميع الرسائل السماوية تتفق في العقائد، لكنها تختلف في الشرائع حسب تطور حياة الإنسان في الأرض، حتى جاءت الرسالة الخاتمة، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"³.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يبين تصديق الإسلام للرسالات السابقة والتكامل بين الأنبياء السابقين: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"⁴ "نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ"⁵ وقال أيضا: "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي"⁶ وإذا كان الأنبياء عليهم السلام يُرسلون إلى أقوام بعينهم، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس جميعا، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم، فهو دين عالمي شامل وصالح لكل زمن ومكان. دين السلام والرحمة والمنقذ للبشرية من الظلم والضلال. قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"⁷. فكانت هذه الرسالة الخاتمة التي ورثت كافة رسالات السماء وانفتحت عليها تصديقا ونسخا بذات الوقت، ورت كافة النبوات وانفتحت عليها، ورثت كافة الحضارات وتفاعلت مع كل الأعراق والسلالات"⁸.

1- المائدة 48

2- تفسير المنار، لرشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، 340/6

3- الأحزاب 40

4- صحيح البخاري « كتاب المناقب » باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 3342

5- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى وكلم الله موسى تكليما، رقم الحديث 3216

6- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها. رقم الحديث 3258

7- الأنبياء 106

8- الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، حاج حمد أبو القاسم، دار الهادي بيروت، ط1، سنة 2004، ص 424

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذا ما أهل القرآن الكريم ودين الإسلام لتأسيس المشترك الإنساني باعتباره إطاراً روحياً ومرجعاً دينياً لبناء الحضارة الإنسانية، وفقاً للموضوعية والإنصاف في تقييم ثقافة ومنهج الآخر وبما ينسجم مع فقه الواقع الغربي المتطور ومشاركته في تطير وتقنين القيم والمبادئ الكونية لحقوق الإنسان والمؤسسة للمشارك الإنساني الدولي.

ولنا شاهد من تاريخ الحضارات على ما نقول حيث كانت التجربة الحضارية التاريخية الإسلامية، التي جاءت ثمرة لقيم الوحي، ساهمت فيها جميع الشعوب والأعراف والأجناس والألوان والجغرافيا، واستطاعت منذ وقت مبكر في حياة البشرية إلغاء التمييز والعنصرية وإيقاف تسلط الإنسان على أخيه الإنسان، وتعبيد الناس جميعاً لإله واحد يتساوى أمامه الجميع، وأن تبني حضارة إنسانية لجميع الناس، وتؤصل وتؤسس قيماً مشتركة، ذلك أن ما تتمتع به الحضارة الإسلامية من قيم إنسانية متأتية من الوحي، عصم أهلها من التسلط والهيمنة والتعالي والانغلاق والتحيز، وجعلها في كل زمان ومكان المأمن الحقيقي للإنسان، كما أنه يؤهلها اليوم، وفي هذه الظروف الدولية بالذات، وهذا اللقاء الإنساني والتواصل الجغرافي والحضور المعلوماتي والإعلامي لتقديم القيم الإنسانية، التي يستظل بها الجميع، ويعيش في ظلها الوارفة¹

وقد تجلّى هذا في فشل الفلسفات والتشريعات الوضعية في آخر إنتاجاتها وهي العولمة المتوحشة التي جعلت السيادة والبقاء للأقوى، وقضت على الخصوصيات المحلية، وفرضت النموذج الغربي في الحياة على الجميع، سواء في رؤيتها المتفائلة مع فرانسيس فوكو ياما الذي ربط المدينة الفاضلة بالنمط الليبرالي الحديث جعلها قطب الفضائل والقيم، أو في رؤيتها المتشائمة مع صمويل هنتنغتون التي تلخص العلاقات المستقبلية في صراع الحضارات².

وقبل أن ندخل في تفاصيل البحث، يجدر بنا أن نحدد مفردات العنوان، حتى نكون على بينة مما نحن بصدده.

المبحث الأول: مدخل مفهومي لكل من القيم والمشارك الإنساني

يتألف عنوان البحث من مفردتين أساسيتين هما القيم والمشارك الإنساني، سوف نحدد مفهوميهما، ثم نبين بعد ذلك القيم المؤسسة للمشارك الإنساني في القرآن الكريم.

أولاً: مفهوم القيم

يدل المفهوم اللغوي للفظ "القيم" على عدة معان يمكن أن نجملها في ثلاث: قيمة الشيء وثمنه، الاستقامة والاعتدال، نظام الأمر وعماده. والمعنى الاصطلاحي للقيم لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالقيمة هي "محطات

¹ - انظر تقديم: عمر عبید حسنة لكتاب تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانات، كتاب الأمة ع 161

² - إمكانات المرجعية القرآنية في تأسيس المشترك بين الإنسانية الإنسانية، د أحمد الفراك، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، ع 45-46.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكرهيتها، أو من منزلة معينة ما بين هذين الحدين"¹.

أما القيم الإسلامية فهي "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"².

ثانياً: مفهوم المشترك الإنساني

أما بالنسبة لتعريف المشترك الإنساني فالمقصود به هو تلك القيم العامة التي يُجمع عليها الناس ولا يختلفون حولها، رغم تباين أديانهم وعقائدهم وعاداتهم وأعرافهم؛ مثل: العدل والحرية والكرامة... التعاون فيما بينهم لتحقيق هذه القيم على أرض الواقع، وتعميم خيرها ونفعها على الكل دون استثناء؛ مع وضع اليد في اليد للوقوف في وجه أعداء هذه القيم، وقد عرفها الأستاذ محمد رفيع بأنها: "القيم التي تلي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان، كونها قيماً ومبادئ عابرة للخصوصيات الثقافية للأمم، وهي ما انغرس في فطرة الإنسانية من حب العدل وإنصاف المظلوم وبغض الظلم، وغيرها من مبادئ حقوق الإنسان، ومبادئ المروءة الإنسانية، التي تؤول في العمق إلى أثره من علم النبوات والرسالات السابقة"³.

المبحث الثاني: قيم التعارف في القرآن الكريم

الإنسان اجتماعي بطبعه، يألف ويؤلف، يحب ويكره، يأنس وينفر، يميل إلى بني جنسه، وينفر من الوحدة ويستوحش من الفراغ. ولذلك كان التعارف بين الناس فعل إنساني تقتضيه الطبيعة البشرية للإنسان الذي خلقه الله تعالى ميال إلى العمل والكسب والعمران بما يتطلب منه توصالاً وتعارفاً مع الآخرين. وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"⁴.

¹ - الكيلاني ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دار الفكر، 1989م، ص 299

² - القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى، دار الشروق، القاهرة، 1992م، ص 34

³ - القرآن وقيم المشترك الإنساني، د محمد رفيع، مجلة المعارف، ع 162، سنة 2013. ص 83

⁴ - الحجرات 13

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والخطاب ب"يا أيها الناس" خطاب عام للبشرية جمعاء، يستوي فيه المؤمن وغير المؤمن، وهذا الخطاب العام يهتم بالقضايا الإنسانية المشتركة، وليس بفتة بعينها، وهنا قضية التعارف والتواصل ضرورة بشرية لكافة الناس، وهذا التعارف يقتضي التناصر لا التفاخر، والتآلف لا التناكر، كما قال الرازي في قوله تعالى: "خلقناكم وجعلناكم" إشارة إلى عدم جواز الافتخار لأن ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك، فكيف تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"⁽¹⁾.

وأن معيار التفاضل هو العمل الصالح المفيد للناس والبيئة التي يعيشه فيها، وهو المقصود بالتقوى، لأن حقيقة التقوى هي القيام بالعمل الصالح واجتناب العمل السيء. وبذلك جعل المفاضلة منوطة بكسب الإنسان وفعله واختياره وليس في لونه وجنسه وجميع الفوارق القسرية الأخرى، التي لا يد له في وجودها، إقراراً لمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، وليكون ذلك تحقيقاً للعدل وميداناً للتسابق الحضاري وحافزاً لفعل الخيرات، فالأكرم هو الأتقى، والكريم في أبسط صفاته هو المعطاء للآخرين، المتكافل معهم .

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم هو التقوى. وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع مسالك العنصرية، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان. وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقد العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت².

لذلك نرى أن تحقيق (الذات) السوية وحسن بنائها في هذا السياق وسبيل نجاتها منوط بالتعاون والتكامل والتعايش مع الآخرين وإنقاذهم، فـ"أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"³، و"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ

1- أخرجه البيهقي، من حديث جابر رضي الله عنه، في حُطبة الوداع، وقال: في هذا الإسناد بعض من يجهل، انظر شعب الإيمان، باب في حفظ اللسان، فصل، ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء، ج11، ص130.

2 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، سنة 2003، 3349/6.

3 - المعجم الكبير، للطبراني

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"¹، فبناء (الآخر) والاهتمام به والتكامل معه، أخذاً وعطاءً، جزءٌ من بناء (الذات)، والاعتزاز بها، وسبيل قربها من الله، في التصور الإسلامي².

والاختلاف بين البشر في الألوان والألسن وغيرها، هو مصدر ثراء وغنى للبشرية، ويجب استثمار هذا التنوع والتكامل لفائدة الإنسان ومن أجل سعادته، ولا ينبغي أن يكون مصدر شقائه، باعتبار حاجة كل فريقٍ إلى ما يملكه الفريق الآخر من خصوصيات فكرية وعملية، ليتكامل الاثنان في صيغة إنسانية متنوّعة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن توظيف الخصوصيات المحلية للتجمعات البشرية في الإسلام يشجع على تحريك الخصوصيات في دائرتها الداخلية بجانبها الإيجابي الذي يدفع الإنسان إلى التفاعل عاطفياً وعملياً مع من يشاركونه تلك الخصوصيات والقضايا المتعلقة بها، ولكن بشرط أن لا تتحول تلك المشاركة إلى عقدةٍ عصبيةٍ تأخذُ بعداً عدوانياً تجاه الآخرين،.. بحيث تصبح الخصوصيات فاصلاً يفصل كل فئة عن الناس الذين لا يشاركونها فيها.

إن الخصوصيات الإنسانية تمثل حالةً ذاتيةً ككل حالات الإنسان الذاتية الأخرى التي يتعامل معها من منطلق الاعتراف بها كحقيقةٍ موضوعيةٍ في وجوده، ولكنها لا تمثل ميزاناً للتقييم تخضع له حركة الإنسان في علاقاته ومعاملاته وأوضاعه العامة، فميزان التقييم الحقيقي هو العمل الذي يمثل خط حياة الإنسان في كل شؤونه³.

المبحث الثالث: قيم التكريم لبني آدم في القرآن الكريم

لقد كرم الله تعالى الإنسان فكان له الفضل والشرف على باقي المخلوقات الأخرى، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً"⁴، والخطاب القرآني هنا عام يشمل البشرية جمعاء وليس المؤمنين فقط، قال الإمام ابن عاشور: "والمراد ببني آدم جميع النوع، فالأوصاف المثبتة هنا إنما هي أحكام للنوع من حيث هو، كما هو شأن الأحكام التي تسند إلى الجماعات. وقد جمعت الآية خمس من: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية"⁵.

وتجلى هذا التكريم في بداية الخلق البشري، عندما قرر عز وجل أن يجعل الإنسان سيد هذه الأرض والخليفة عن الله تعالى في عمارتها وإصلاحها، وأسجد له الملائكة، قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

1 - صحيح البخاري، رقم الحديث 6216

2 - انظر تقديم: عمر عبید حسنة لكتاب تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانات، كتاب الأمة ع 161

3 - انظر تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، للآية 13 من سورة الحجرات، <http://arabic.bayynat.org/HtmlSecondary.aspx?id=4849>

4 - الإسراء 70

5 - التحرير والتنوير، لابن عاشور، 165/19

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"¹. قال البغوي: "والمراد بالخليفة ها هنا آدم، سماه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه"².

وسخر له ما فيها من نعم وخيرات، حتى يهنا له العيش، ويستطيع أن يقوم بالمهمة التي كلفه الله بها، فقال عز وجل: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"³. وهذا تمام التكريم والإنعام والتفضل، ويستوي في ذلك الناس جميعا: مؤمنهم وكافرهم، وهي إرادة الله التكوينية، بأن يسخر هذه الأرض وما فيها للناس جميعا.

ومن صور التكريم الإلهي لبني آدم أن صورته في أحسن صورة، وعلى أحسن صورة، "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ"⁴، وقال تعالى: "قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"⁵، وقال عز وجل: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ"⁶، هذه الأفضلية تشمل المظهر الخارجي للإنسان، والجانب الباطني بما فيها طريقة العيش ونمط التفكير. وهذا ما يقودنا إلى صورة أخرى من صور التكريم والتشريف، وذلك عندما أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة العقل والتفكير، وهي النعمة الكبرى التي تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، وكان التكريم مباشرة بعد خلق الإنسان، حيث علمه الله تعالى الأسماء، وبهذا العلم تفوق آدم على الملائكة، قال تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"⁷، وقال تعالى: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"⁸، وبالعلم استطاع الإنسان تيسير الحياة وتسخير المخلوقات لصالحه، وهي نعمة يتساوى فيها الناس جميعا، ويزداد التكريم كلما ازداد الإنسان علما، قال تعالى: "اقرأ وربك الأكرم" فجمعت الآية بين القراءة وكرم الرب، أي أن القراءة وكرم الرب اقترنا في مكان واحد. وحين ننظر إلى العالم جغرافياً - أي مكانياً - سنرى هذا الاقتران متلازماً، أي أن الذين ينالون كرم الرب وغناه هم القراء أو أكثر الناس قراءة في العالم. وإذا نظرنا حولنا في

1- البقرة 30

2- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، 60/1، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى 1425هـ، 1995م.

3- إبراهيم 32-34

4- الأعراف 10

5- التين 4

6- التغابن 3

7- البقرة 31

8- الرحمن 3-4

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هذا العصر الذي نعيش فيه نجد أن الذين يتمتعون بخيرات العالم وينالون الكرم والكرامة هم قراء هذا العصر وأكثرهم صلة بالقراءة وما يتصل بها.

إن من يقرأ أكثر ينل أكثر.. إنه قانون الله.. "ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب. من يعمل سوءا يجز به"¹، وإن الله لا ينظر إلى أقوال الناس وصورهم وأسمائهم، وإنما من يتبع سنة الله ينل وعد الله، "كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً"² "3".

ومن صور التكريم أيضا إلغاء الوساطة بين الإنسان والله تعالى، فربطه به عز وجل مباشرة، قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"⁴، ليستمد العون والمدد والإرشاد والتوجيه دون تدخل أحد من المخلوقات.

المبحث الرابع: قيم الخير العام في القرآن الكريم

الخير هو ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل والفضل والشيء النافع، وهو يشمل مختلف المصالح البشرية المعتمدة عرفاً وعادة، وعقلاً وميزاناً معتدلاً وسويماً، وضده الشر. ومبنى الخير هو تحقيق المصلحة الدائمة واطمئنان كل نفس في الدنيا، ومحبوب كل إنسان. وطبيعة الخير ملازمة لرعاية المصلحة الإنسانية التي أشاد بها الفقهاء في بيان ما يعرف بمقاصد الشريعة العامة وهي الأصول الخمس الكلية⁵.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى الخير والتعاون عليه بين الناس جميعاً، قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"⁶، وَهُوَ أَمْرٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، أَيْ لِيُعِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَحَاتُّوا عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَأَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَامْتَنَعُوا مِنْهُ"⁷.

أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفساد والمضار عن أنفسهم، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه

1- النساء 123

2- الإسراء 20

3- انظر: كتاب اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2 سنة 1993، ص 24-25

4- البقرة 186

5- قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء، أ-د: وهبة الزحيلي، الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية في سلطنة عمان، ((الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح))، سنة 2014 م

6- المائدة 2

7- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر، 18/6

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قدم التحلية بالبر، وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده، وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض، ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض¹.

لقد وجه القرآن الكريم الاختلاف والتنوع لدى الناس إلى ما هو إيجابي، وإلى ما يجلب الخير والنفعة، ولذلك وجه البشرية على اختلافها إلى التنافس في الخيرات. والاختلاف بين الناس في الأشكال والأهداف والغايات... كل ذلك يوظف في اكتساب الخير. قال الله تعالى في كتابه الكريم: "لكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات..."². يقول الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "فالمُرَادُ مِنَ الإِسْتِبَاقِ هُنَا المَعْنَى المَجَازِيُّ وهو الجِرْصُ عَلَى مُصَادَفَةِ الخَيْرِ والإِكْتِنَارُ مِنْهُ. والمُرَادُ عُمُومُ الخَيْرَاتِ كُلِّهَا فَإِنَّ المُبَادَرَةَ إِلَى الخَيْرِ مَحْمُودَةٌ وَمِنْ ذَلِكَ المُبَادَرَةُ بِالتَّوْبَةِ حَشِيَّةً هَادِمِ اللَّدَاتِ وَفَجَاءَ الفَوَاتِ"³.

وقد حصل نقاش بين المسلمين وأهل الكتاب عند استقبال بيت المقدس في بداية الدعوة الإسلامية، ثم بعد ذلك تم تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، فكان التوجيه القرآني للجميع بأنه الأهم عند الله تعالى ليس هو جهة القبلة، لكن الأهم الفعل الحسن والعمل الصالح واكتساب الخيرات. ومعلوم أنه كان للأنبياء على مر التاريخ وجهات عديدة يولونها، ولم تكن القبلة من أصول الدين لا تقبل التغيير، ولا أمراً تكوينياً لا يمكن مخالفته، فلا تطيلوا الحديث في أمر القبلة، وبدل ذلك ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾، لأن معيار القيمة الوجودية للإنسان هي أعمال البر والخير⁴.

وهذا توجيه قرآني يضبط أمر الاختلاف في أشكال العبادة بين الأديان، لأن كل أهل دين وملة له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس القصد والغاية في استقبال القبلة، فإنها من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل من جهة إلى جهة، ولكن الأهم هو امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم به⁵.

وزاد القرآن الكريم الأمر تفصيلاً في آية أخرى، حيث حدد الله تعالى الأمور المهمة التي يجب التسابق إليها، وبين للناس مفهوم البر الذي هو مجال التسابق فقال تعالى: "لَيْسَ البرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالمَكْتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى

¹ - تفسير المنار، رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، 108/6

² - البقرة 148

³ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، 42/2

⁴ - تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي

⁵ - تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، 108/1

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"¹، فنفى الله تعالى البر عن استقبال الجهات، وبين للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبله مخصصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة إنما شرع، لأجل تذكير المصلي بالإعراض عن كل ما سوى الله تعالى في صلاته، والإقبال على مناجاته ودعائه وحده، وليكون شعارا لاجتماع الأمة، فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب وليس ركنا من العبادة بنفسه².

والبر من المفاهيم الكلية في القرآن الكريم، فهو سعة الإحسان والخير الشامل، ولذلك توصف به الأعمال الكبرى كالإحسان إلى الوالدين، وإنفاق المال في ما يسمى اليوم العمل الخيري. فهذه مما يجب أن يتشارك فيها الجميع، ويتسابق إليه الناس، كل من جهته وحسب قدرته وخبرته وتجاربه، بما يغني الحياة البشرية ويوجهها نحو الصالح العام، الذي يعود بالنفع والخير على البشر.

المبحث الخامس: قيم السلم في القرآن الكريم

ورد السلم في القرآن الكريم بمعان متعددة، حتى جعل الإسلام تحيته المشهور بها هي السلام، لكن ما يهمنا هنا هو السلم بمعناه السياسي، وهو أقرب إلى الصلح والهدنة والتعايش الاجتماعي وعدم الحرب، قال الله تعالى: "وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"³، وهو خطاب للمؤمنين بأن يقبلوا الصلح والسلم، إذا أراد الطرف الآخر ذلك، قال الإمام ابن عاشور في تفسير الآية: "بيان أحكام السلم إن طلبوا السلم والمهادنة، وكفوا عن حالة الحرب. فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلم وأن يوافقوا من سأله منهم... فمعنى وإن جنحوا للسلم إن مالوا إلى السلم ميل القاصد إليه⁴. وفي السيرة النبوية الشريفة ما يؤكد ذلك، حيث فضل عليه الصلاة والسلام السلم والهدنة كلما أمكن ذلك. ففي الحديبية فضل عليه السلام الصلح وتجنب الحرب، حقنا للدماء.

ونهى الله تعالى المسلمين عن قتال من طلب الصلح وترك الحرب أو اختار الحياد، قال الله تعالى: "فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَاللَّوَأِ إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا"⁵. وسياق الآية حديث عن المعاهدين والذين يريدون الحياد أثناء الحروب، فوجب مسالمتهم ومهادنتهم، وعدم رد اليد الممدودة للصلح. وهي دعوة إلى

1- البقرة 177

2- تفسير المنار، رشيد رضا، 89/2

3- الأنفال 61

4- التحرير والتنوير، لان عاشور 59/11

5- النساء 90

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تفادي الحرب ما أمكن وبحث عن مواطن السلم، وتكثير أهله، وتقليل الأعداء. حتى يعم السلم أو يغلب حياة الناس، لأنه هو الأصل وفيه الخير، والحرب لا خير فيها.

ودعا القرآن إلى السلم ومن خلال تجنب أسباب النزعات ومنها عدم البدء بالسوء وسب عقائد المخالفين، فيكون رد فعله هو سب عقائد المسلمين، قال تعالى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"¹. وعدم الدخول في جدال لا فائدة منه، والإعراض عن الباطل، يقول الله سبحانه وتعالى: "وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين"²، وفي آية أخرى دعوة إلى تغليب الأخلاق الحميدة والتخلي بالصفح والعتو مقابلة الشر بالخير والسئية بالحسنة، فقال تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"³. وهذه من الأسباب الحافظة للسلم والدافعة للحرب والنزاع. ومما يحفظ السلم ويديمه الحوار والجدال والتي هي أحسن والصبر على الإذابة وعدم الاعتداء أو تجاوز الحد في أخذ الحق قال تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ"⁴.

لقد حث الإسلام على السلم لأنه من القيم الكبرى التي تؤسس للعيش المشترك، وتوفر فرصا للتبادل الثقافي ونسج خيوط الود والمصالح بين الناس، فتزدهر التجارة ويتحقق النماء.

وهذا ما يفسر الدعوة إلى العفو والصفح الجميل والجنوح إلى السلم والسلام واحترام عقائد الآخرين، فالسماحة واللاعنف في سلوك المسلمين أصل ديني ثابت حتى مقابل أصحاب العقائد الضالة التي لا قداسة لها في نظر الإسلام

وما أحوج المجتمعات البشرية في عالم الحاضر إلى السلم وإلى التشجيع عليه، والنهي عن أسباب الحروب من استغلال وتحريض إعلامي ونشر للكراهية وغيرها. فقد أنهكتها الحروب ودمرت كثير من البلاد وأهلكت كثير من العباد.

المبحث الخامس: قيم العدل والإحسان في القرآن الكريم

قيم العدل والإحسان من القيم الكبرى في القرآن الكريم، وقامت الشرائع السماوية كلها على العدل والإحسان، وتجلى الأمر أكثر في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يستقيم أمر الحياة أو تقوم لها قائمة إلا بوجود

¹ - الأنعام 108

² - القصص 55

³ - فصلت 34

⁴ - النحل 25-26

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العدل، ونجد في القرآن الكريم مدح الله تعالى المتصفين بالعدل في الأمم السابقة، حيث قال تعالى: " وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"¹، وقال عز وجل أيضا: " وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"²، فلم ينكر عز وجل ما تحلى به الفضلاء من الأقوام السابقة وأتباع الرسالات السماوية الأخرى. وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين أهل الكتاب إذا احتكموا إليه فقال تعالى: " وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ"³، لأن الناس تبحث عن العدل أينما كان ولو عند الأعداء، وهذا يبين كونه قيمة العدل، وبيان لمميزات الرسالة الخاتمة التي جمعت أفضل ما لدى الأمم السابقة فأبقت عليها وعززتها ودعت إليها. وفي هذا يقول محمود شلتوت: "كان العدل شعارها، وسورها المحدد لها، ووجب أن تكون الفروق الشخصية بمنأى عن محيط العدل، يستوي فيه القوي والضعيف والغني والفقير والقريب والبعيد والمسلم وغير المسلم"⁴. ومن صور العدل في القرآن الكريم الدالة على عالميته: العدل بين الناس عموما بما فيهم الأعداء. وتحريم التحامل عليهم. فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"⁵. ثم نجد في القرآن الكريم أمر الله تعالى بالعدل بصفة عامة من غير تحديد من يستحق التعامل به، وهذا يدل على قيمته الكونية، والخطاب عام لجميع البشرية، قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"⁶، وقال أيضا: " وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ"⁷. ولم يقتصر الأمر بالعدل في القرآن الكريم على الأفراد بل تعداه إلى الجماعات والدول، عند النزاع والخصام فيجب إقامة العدل بين الدول والمجموعات العرقية والإثنية، قال تعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"⁸. وعند تتبع أوامر الله تعالى بالعدل نجده يشمل تحريم المحاباة مع الأقارب، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ نَعِرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"⁹.

1- الأعراف 159

2- الأعراف 181

3- الشورى 15

4- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط 6، سنة 1972م. دار الشروق القاهرة، ص 472

5- المائدة 8

6- النحل 90

7- النساء 58

8- الحجرات 9

9- النساء 135

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإذا تتبعنا الإحسان في القرآن الكريم نلاحظ مركزيته في الخطاب القرآني يشمل الجميع بدون اعتبار لمميزات اللون أو الجنس، ويتضمن كل المعاملات سواء مع الإنسان أو غيره ممن على هذه الأرض، يقول الشيخ السعدي: "الإحسان فضيلة مستحب، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"¹.

وقد أمر الله تعالى بالإحسان في الرسالات السابقة حيث قال تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ"²، قال السعدي في بيان معنى الآية: "أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا يعنى كلَّ إحسان قولي وفعلي ممَّا هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة؛ لأنَّ الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهْي عن ضِدِّه.

وللإحسان ضِدَّان: الإساءة، وهي أعظم جرماً، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرَّم، لكن لا يجب أن يلحق بالأوَّل، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفصيل الإحسان لا تنحصر بالعدِّ، بل تكون بالحدِّ.

ثمَّ أمر بالإحسان إلى النَّاسِ عموماً فقال: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"، ومن القول الحسن: أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السَّلام، والبشاشة وغير ذلك من كلِّ كلام طيِّب. ولمَّا كان الإنسان لا يسع النَّاسُ بماله، أمر بأمرٍ يقدر به على الإحسان إلى كلِّ مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للنَّاسِ حتى للكفار"³.

خاتمة

في نهاية هذا البحث ووفقاً للمنهج العلمي المتبع الذي يقوم على إبراز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، نخرج بنتيجة مفادها أن إمكانيات تأسيس المشترك الإنساني متوفرة بقوة في القرآن الكريم، لما يتضمنه من قيم كونية حاکمة لمفاصل الحياة الإنسانية، والموروث الديني قادر على تزويد العالم بمخزون ثقافي وروحي مقنع للبشرية ويلبي حاجاتها الروحية والنفسية، مما يجعله يحقق ما عجزت عنه التشريعات الوضعية. ونؤكد على ضرورة الرجوع إلى الخصوصيات الدينية المحلية لدى الشعوب في بناء فلسفة وتشريع يجيبان عن تساؤلات الناس الملحة، ويمنحان الثقة والأمل للإنسان في حياة إنسانية كريمة. بعدما عانت البشرية من ويلات الحروب والكرهية والتفرقة والعداء. إنني أدعو المسلمين أن يبادروا إلى تقديم ما لديهم من قيم إنسانية في القرآن الكريم إلى العالمين، رغم موقعهم الضعيف في الساحة الدولية، وصوتهم غير المسموع، فدينهم قوي راسخ ومتين.

¹ - تيسير الكريم المنام، السعدي، 447

² - البقرة 83

³ - تفسير السعدي، ص 57

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لائحة المصادر والمراجع

- 1) الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، حاج حمد أبو القاسم، دار الهادي بيروت، ط1، سنة 2004.
- 2) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط 6، سنة 1972م. دار الشروق القاهرة،
- 3) القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى، دار الشروق، القاهرة، 1992م،
- 4) مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، ع 45-46.
- 5) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي.
- 6) تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي.
- 7) تفسير المنار، رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب.
- 8) تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله. <http://arabic.bayynat.org>
- 9) تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانات، د عطا محمد حسن زهرة، كتاب الأمة ع 161
- 10) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر.
- 11) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، سنة 2003،
- 12) الكيلاني ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دار الفكر، 1989م،
- 13) القرآن وقيم المشترك الإنساني، د محمد رفيع، مجلة المعارف، ع 162، سنة 2013.
- 14) كتاب اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2 سنة 1993
- 15) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى 1995م.
- 16) الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية في سلطنة عمان، ((الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح))، سنة 2014.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح الثقافي والتعايش الإنساني

د. أحمد الفراك

أستاذ الفلسفة والفكر في جامعة عبد المالك السعدي بتطوان /المغرب

مقدمة

شكلت مسألة التنشئة الاجتماعية والأسرية موضوع خوض علمي وتربوي وفلسفي كبير ومتعدد المداخل والمقاربات، إذ شاركت فيه مختلف التخصصات ذات الاهتمام المشترك بالإنسان بكل أبعاده الجسمية والروحية والنفسية والاجتماعية والتاريخية، مما يجعل من المسألة مشتركا إنسانيا كونيا، تنخرط في النظر فيه والسعي لتطويرة جميع حقول العلوم الاجتماعية والانسانية.

إذا جاء الخلق الآدمي من وحدة النفس قبل تكثرها، فإن هذا التكثر والتكاثر المعقول في الأرض سيحمل معه رغبات النفس وأشواقها وحظوظها، فتسعى الأنفس من جديد إلى التوحد بغيرها قصد تحقيق التساكن والسكينة والمسكنة، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ" (الأعراف: 189)

إذا كانت الهوية "في معناها المجرد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تنفرد بها الذات عن الآخر، من حيث غياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتدوب في الآخر، وبحضورها تحضر"¹، أي هي نظام القيم والتصورات والعلامات التي تميز جماعة بشرية ما عن غيرها من الجماعات، وتمنحها الخصوصية التاريخية والحضارية، فتستقل بها الذات الثقافية والاجتماعية -نسبيا- عن الغير، وغياب هذا النظام الجمعي يغيب تفرد الذات وتدوب عناصرها في ذوات أخرى مغايرة، فإن نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory) تؤكد أن الروح الثقافية لمجتمع ما تنشأ وتتطور من خلال الامتداد والانفتاح على هويات ثقافية أخرى تتبادل معها التأثير والتأثر، الأخذ والعطاء، ولا توجد هوية معزولة منغلقة على ذاتها مكتفية بعطائها وإنتاجها مهما ادعت لنفسها التفرد والتعالي والثبات. مع العلم أن التطور الذي نقصده قد يكون توسعا وتقدما مثلما قد يكون تقهقرا وانكماشاً.

في ظل التطورات التقنية والتواصلية والثقافية، والتحولات الاقتصادية والديمغرافية المعاصرة، وما رافق ذلك من انكشافٍ لتأثير معطيات الدين واللغة والعرق في تحديد الهويات المجتمعية الجديدة وحضورها القوي في مجريات

¹ - الودغيري، عبد العلي. اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص67

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأحداث العالمية المتسارعة، أعيد طرح سؤال التنشئة الاجتماعية وأثرها على التعايش والحياة الثقافية المشتركة: كيف تتحدد التنشئة الثقافية لمجتمع من المجتمعات؟ وكيف تسهم عمليات التنشئة الاجتماعية في إنشاء ثقافة تقبل التعدد وتفتح على ثقافات أخرى لتعايش معها في أمن وسلام؟ وكيف يمكن انبثاق هوية إسلامية متجددة ينسجم فيها المعطى الإنساني العام مع المعطى الثقافي الخاص؟

هذه الأسئلة هي ما سأحاول الجواب عنها بحثاً في "إمكانات التجديد وواجب الوقت" من خلال هذا البحث الموسوم بـ "آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح الثقافي والتعايش الإنساني"، في محورين وخاتمة. ينظر المحور الأول في مفهوم التنشئة الثقافية وآلياتها وأثرها في صناعة الهوية وتطويرها، بينما يختص المحور الثاني باستشراف آفاق مستقبلية لهوية إنسانية مشتركة تتعايش فيها الهويات الثقافية وتتكامل وتتفاعل، هوية تسع الأسرة الآدمية في مجموعها.

المحور الأول: الهوية الثقافية وآليات التنشئة الأسرية والاجتماعية

أمام ما يشهده العالم اليوم من رجوع إلى إحياء ذاكرة العنف والعنصرية والطائفية والحرب الهوياتية، وكشف الخبث الذي يسكن ذات العالم ويوسوس للانسان بقتل أخيه الإنسان، يتجه الخطاب العاقل اليوم إلى التذكير بالحاجة إلى استلهام العناصر الجامعة بين بين الثقافات المحلية المختلفة، ومراعاة المشتركات الكبرى في المنشأ والمصلحة، في المحيا والممات، في الدين والدولة، وتجديد النظر في الأسس الفكرية والأخلاقية والعمرائية والطبيعية والمدنية المشتركة بين جميع الآدميين على وجه الأرض. ليس فقط للحفاظ على هذه الأسس والاستغناء عما عداها وإنما للتذكير والاستعانة بها في إنشاء أخوة آدمية تكون أكثر تراحمًا وتعايشًا وتعاونًا.

التنشئة الثقافية والاجتماعية وسؤال الهوية

التنشئة الثقافية عملية تربوية وثقافية مركبة ومستمرة، تتداخل فيها عوامل نفسية واقتصادية ومجتمعية، تجعلها حركة دائبة لا تتوقف ولا تنقطع، بواسطتها يكتسب الفرد - كما الجماعة أيضاً - هويته الذاتية والجماعية، من خلالها يستبطن الفرد كفاءات الإحساس والتصرف والسلوك، وهي محمولة مع الفرد من الولادة إلى الوفاة، مروراً بمختلف مراحل نموه وتعلمه واختباره، فطريقة سلوكنا في الحياة مستمدة من المجتمع الذي نشأ فيه، إذ الأذواق والميولات والاختيارات وطرائق التعبير عن مشاعرنا المختلفة نكتسبها من انخراطنا الأصيل في المجتمع وتقمصنا للوظائف التي يحددها انسجاماً مع حاجيات أفراد ومؤسساته. وكل مجتمع له قيمه ومعايير الخاصة التي ترتبط بشروط تاريخية مغايرة لنظيراتها في مجتمعات أخرى، إذ القيم متغيرة بتغير الزمان والمكان ونشاط الإنسان.

ويوضح السوسيولوجي الكندي غي روهر (Guy Rocher) مفهوم التنشئة وآلياتها الإنتاجية بقوله: "إذا تمت تنشئة شخصٍ ما، فإنه يصبح جزءاً من الوسط وينتمي إلى عائلة أو جماعة أو مؤسسة أو دين أو وطن. وبهذا المعنى فهو جزء منها وله مكانة فيها ... والانتماء إلى جماعة ما، هو مشاركة الفرد الأعضاء الآخرين قدراً من

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأفكار أو السمات المشتركة. ليتعرف أنه من خلال النحن المكون من الجماعة"¹، تصهره الجماعة الثقافية داخلها بلطف حتى يتحول من كائن طارئ إلى كائن مقيم ثقافيا، فيتشرب روح الثقافة ويتمصص شكلها، فهو يأخذ منها ليعيش، وهي تأخذ منه لتستمر. وبهذا "يكون الشخص الذي تمت تنشئته في ثقافة معينة ومجتمع معين، قد نمت حاجيات فيزيولوجية وأذواقا وهيئات جسمية، تطلبت إشارات لعضويته العصبية الفسيولوجية وجهازه الحسي الحركي ... وعلى المستوى الانفعالي لا نجد فقط أن التعبير عن العواطف موجه من طرف الأطر والقيود والعقوبات المتضمنة في الثقافة بل وحتى العواطف نفسها تخنق وتكبح وتقمع من طرف ثقافة ومجتمع ما"²، أي أن الثقافة لا تستجيب لجميع مطالب الفرد ولا يمكنها ذلك، بل هي جُماع العطاءات والموانع، ما توفره للأفراد من إمكانات وحاجات، وما تفرضه عليهم من إكراهات وموانع ومحرمات يجب عليهم الخضوع لها وإلا عزلتهم الجماعة الثقافية وانحدرت مكانتهم اجتماعيا ومجتمعيا بين أهلها.

من الهوية القاتلة إلى الهوية المُحيية

إذا كانت الثقافة المحلية منغلقة على ذاتها تقرأ الوجود قراءة تخصصها، تتداول فقط مقولاتها وتمثلاتها بين أفرادها دون أن تفتح على ثقافات غيرها، تحكم بتاريخها على التاريخ كله، وتدينها على التدين كله، وتجربتها على التجارب كلها، فهي تصنع هوية واحدة، متحيزة وإقصائية، فالهوية ولئن كانت هي "المسألة الأساسية للفلسفة منذ قال سقراط اعرف نفسك بنفسك"³، فقد تتحول عند الاحتكاك بهويات مخالفة إلى هوية قاتلة؛ تقتل باسم الدين أو العرق أو القومية والطائفة.

ويرجع السبب الأساس في نظري إلى طبيعة التنشئة الثقافية التي تتلقاها وتفكر بها جماعة ما، وخاصة على المستوى الفكري لما تتأثت عقول أفرادها بمقولات عقلية، وتمثلات ذهنية، ومعارف متوارثة، وأفكار مسبقة، أو قل باختصار: قوالب جاهزة، وطرق للتفكير لا يُسمح بالاستغناء عنها في التفكير والحكم، ف"باستيعاب عناصر الثقافة تنمو القدرات العقلية وتتمكن من خلق عناصر ثقافية جديدة. والنتيجة الطبيعية... للتنشئة الاجتماعية هي إنتاج تطابق كاف في "طرائق العمل والتفكير والإحساس" لدى كل عضو من الجماعة، وذلك ليتكيف كل شخص ويندمج مع تلك الجماعة من جهة، ولتتمكن الجماعة من البقاء والدوام من جهة أخرى"⁴.

من خلال موقف غي روهر (أو جي روشيه كما يكتبها البعض) أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة مونتريال (ولد سنة 1924)، يتأكد أن الفرد محتاج بشكل كبير إلى ثقافة المجتمع لاكتساب صفات لا يمكنه بدونها أن

¹ - Guy. Rocher, Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale, édition: Payot, 1968, p: 132

² - Ibid. p: 132

³ - معلوف، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999، ص13

- Guy, Rocher. Introduction à la sociologie générale, Ibid. p: 132 4

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يحيا حياته بوصفه كائنا اجتماعيا، وبسبب هذا الاحتياج فإن الفرد يخضع لما يُسمى بحتمية التنشئة الثقافية، بوصفها عملية تطويرية بواسطتها يقوم الشخص طوال حياته بتعلّم واستبطان طرائق تلقي المعرفة وطرائق التصرف والسلوك، واكتساب المعطيات الاجتماعية والثقافية لمحيطه لكي يدمجها في بنية شخصيته حتى يتكيف مع الوسط الذي يعيش فيه.

وبناء على ما سبق تأتي الهوية على صورة الثقافة التي تصنعها، فإذا كانت الثقافة أحادية مغلقة ومصمتة تشكلت الهوية الفردية والجماعية على غرارها منقطعة ومحتضرة. وإذا كنت الثقافة منفتحة ومتسعة لتبادل خبرات وتجارب ثقافات أخرى، إمدادا واستمدادا فستكون الهوية أيضا منفتحة وممتدة، تلقح عناصرها الأصيلة بما انتهت إليه تجارب الثقافات الأخرى. آنذاك تكون هوية مُحَيِّية، تحيي ذاتها من خلال تفاعلها وتلاقحها مع ذوات أخرى قريبة وبعيدة، تراجع ذاتها وتنتقد غيرها باستمرار حتى تستوي هوية متجددة ومتزامنة مع مستجدات عصرها. وبهذا المنهج النقدي الذي لا يطري الذات ولا يمتنع من قبول النقد من الغير يمكن للهوية أن تعالج أمراضها وتستمدج أفرادها وتحقق أغراضها، وهذا "التحليل النقدي هو وحده القادر على التمييز بين الربد الذي يذهب جفاء، وبين ما ينفع الناس في كل موقف"¹ كما يؤكد محمد عابد الجابري.

عمليات التنشئة الاجتماعية المنفتحة قادرة على إدماج الأفراد إدماجا سلسا وتلقائيا لا تكلف فيه في مؤسسات المجتمع التربوية والثقافية والتعليمية والإعلامية والاستهلاكية، لتتشكل هويتهم النفسية والاجتماعية والمزاجية السوية والمنفتحة، عبر آليات: الاندماج والتكثيف والتقمص والاكْتساب والتوافق، حتى يصير "الأنا الواحد" "أنا منفتح"، والذات المعزولة ركننا لا يُستغنى عنه في بناء المجموع وحفظه من السقوط. آنذاك فقط يملك الأفراد والشعوب من القدرات والإمكانات والفرص ما ييسر لهم التعامل الإيجابي داخل المجموع، فيعبرون بشكل طبيعي عن النمط الثقافي العام والمشارك من جهة، ويحيون نمطهم الثقافي الخاص فتتسع هويتهم وتتجدد من جهة أخرى.

لا تفيد عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية دوما الانتقال من ضيق الهويات المنعزلة والجامدة إلى العيش في كنف الغير عبر القبول بكل أشكال التطبيع السلوكي السلبي الذي يذيب الذات المستقبلية ويلغيها في الذوات الأخرى وكأنها ناسخة للغير منتحلة لثقافته مغلوبة على أمرها ومنهزمة في عقر دارها، وإنما تتجاوزها إلى مشاركة واعية منها وبمقوماتها ونموذجها مع الأغيار الذين يتقاسمون معها نعمة الوجود وروح الدين وثورة المعرفة وثروة البيئة، الماضي والحاضر والمستقبل، يقول هانس كوكلر: "يجب على الأنا الهوية الثقافية أو الحضارية الخاصة ألا

¹ - الجابري، محمد عابد. مسألة الهوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995، ص28

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تعتبر الآخر خطرا على هويته الخاصة، لكن يجب اعتباره حزا من أجل فهم العالم فهما جيدا، وضمنا أيضا معرفة الذات في مرآة الحضارة الأخرى، يعني وعي الذات والآخر بطريقة نقدية¹.

بالانفتاح على الآخر انفتاحا واعيا ومستوعبا تتمكن الذات من إحياء ذاتها مستثمرة العناصر المشتركة مع غيرها، ومعززة لعناصرها الموروثة بعناصر وافدة تزيدها قوة واتساعا وقابلية للتجدد والقبول بالتعدد والتمدد. إن الهوية عبارة عن صيرورة متغيرة وليست كينونة اصطفاوية متوقفة عن النمو، مكتملة وجاهزة، حيث "لا تعطى الهوية مرة وإلى الأبد، فهي تتحول وتشكل على طول الوجود"²، وبناء عليه فتجديد الهوية يتطلب مما يتطلبه إحداث تغيير ذهني في الرؤية الحضارية وما يستتبعه من تغيير في منهجية التفكير والتحليل والتركيب. يقول عبد الرزاق الدواي: "للحوار بين الثقافات أخلاقيات يتوجب توفرها، ومراعاتها، في جميع المبادرات الرامية إلى إنعاشه وتفعيله وجعله مثمرا. فلكي يرسى على أسس سليمة، ينبغي أن يقوم على مبادئ أساسية لعل أهمها: التسامح، والاعتراف بحق الاختلاف الثقافي، وممارسة النقد والنقد الذاتي. فمن شأن ذلك أن يساهم فعلا في تهيئة أجواء معنوية وفكرية ملائمة تشجع على قبول مراجعة الآراء والمواقف القبلية المتخذة إزاء الغير وثقافته، وتفهم مرجعياتها ومراكز اهتماماتها"³.

من الهوية المنغلقة إلى الهوية الجامعة

رغم ما بين الناس من اختلاف طبيعي وتباين ثقافي فإن الإنسانية واحدة في أصلها وتركيبها، حيث النفس واحدة متفرعة في أجسام الأمة الانسانية على سطح المعمورة منذ بدء الخليقة إلى الأبد، ف"ما كانت النفس الواحدة إلا لأن الانسانية واحدة، والطريق واحدة، والغاية واحدة، والنهاية المصيرية واحدة، انطلاقا من واحدة الأصل الأول، والسبب الأول، الموصوف بالتوحيد والوحدة والواحدية والأحدية"⁴.

إن المشترك الإنساني وهو مجموع العناصر الكبرى التي تتوقف عليها حياة جميع الأدميين على ما بينهم من تعدد في الألوان والأذواق والأرزاق والأديان، أي هو الإنسان في هويته النواة قبل أن "ينتمي ثقافيا"، وهذا المشترك لا يلغي عنصر "الدين" كما تظن بعض الفلاسفات الإنسية والدهرانية، إنما يتضمنه ويستمد منه آيات الوحدة والرحمة وكل القيم الجامعة، ليكون هو "الضامن الوحيد لقيام سلم عالمي، وأمن إنساني، ووحدة بشرية، بعيدا عن

¹ - هانس، كوكلر. المسلمون والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، ترجمة حميد لشهب، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1430هـ/2009م، ص146

² - معلوف، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999، ص 25

³ - الدواي، عبد الرزاق. في الثقافة والخطاب، عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بتصرف ص(95 و 181)

⁴ - بنعبود، المهدي. عودة حي بن يقظان، دار النشر المغربية، المغرب، (سلسلة شعاع، عدد 16) ط1، 1997، 42/1

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أشكال الصراع العسكري"¹ الذي يجد سنده -غالبا- في تأويلات دينية تقرأ نصوص الدين المؤسسة والشارحة قراءة نفعانية مُغرضة.

كان الناس أمة واحدة، إخوة شركاء في أجسادهم وأرواحهم وأرضهم وطبياتهم، يتقاسمون المنافع والمواقع، جيء بهم جميعا من نفخة واحدة ونطفة واحدة وبفطرة واحدة، وسخرت لهم ما به يقوم وجودهم ويتقوم. وهم اليوم ينتمون إلى الإنسانية الواحدة رغم تمايز الثقافات بين الأمم والشعوب، وهو تمايز صنعته مصالح الناس واعتقاداتهم وأوهامهم، قبل أن تتحول تلك المصالح والأوهام مع مرور الزمن إلى "حقائق صلبة" يقاس عليها التدين والتمدن.

واختيارنا لمفهوم المشترك الانساني لا يفيد تبني نزعة إنسية مذهبية تُلغي الدين أو تنتقص من الثقافات. وإنما هو نداءٌ بأصوات عاقلة متعددة يُهمها أن يتعقل أئمة العالم ويتفطنوا إلى ما به يُشيد عمران أخوة آدمية متخالفة، قوامها الحياة مع الغير بوصفه شريكاً لا ضيفاً ولا غربياً. فلا تزدري ثقافةً ثقافاً، ولا يلغي تديناً تديناً، ولا تتسلط فئة على فئة، ذلك أنها لا توجد ثقافة كاملة، ولا يوجد تدين وحيد سواء، ولا فئة وحيدة ناجية. وإلا فسيكرر المستقبل أحداث الماضي، وتتجدد الفتن التاريخية التي تُدسي الإنسان وتعيق تفكيره في واقعه ومستقبله، وتتلفع خلف مقولات تُشيطن الغير وتتهمه بالمؤامرة والخيانة ابتداء.

الاقتناع بهوية مشتركة عن طريق التنشئة الاجتماعية والثقافية يجعل الذات تعترف بالآخر المخالف، وتُعنى بالبحث في ثقافته عن عناصر الوحدة والأخوة العابرة لتضاريس التاريخ، وإمكانات التعاون والتكامل. وبالتالي ضرورة الانفتاح على مرجعيات الآخرين واحترام خصوصياتهم الثقافية ونشدان القيم المشتركة معهم دون استعلاء ولا استتباع، موازاة مع مراجعة الوعي الذاتي المشوه بالتمثيلات التراثية والإيديولوجية والفلسفية المتقلصة التي تصدر عن سوء فهم كبير في تأويل النصوص المؤسّسة وشروحاتها المتحيزة والجامدة. مع العلم أن المشترك لا يطلب من الطرفين التنكر للأصول المرجعية المنطلق منها بقدر ما يطلب تجديد النظر فيها بمنهجية تستوعب الآخر ولا تلغيه، وتُحضره ولا تنفيه.

وإذا كان لا بد لأي ثقافة اليوم من العيش المشترك اعترافاً وقبولاً بواقع الاختلاف والتنوع بين الثقافات والشعوب، فقد ظهرت الحاجة إلى ضرورة تجديد معالم بناء الوحدة الآدمية بين الأمم في أمة واحدة، يمكن تسميتها بـ"الأمة الأم"، وهذه الوحدة الآدمية الجامعة لا تلغي التدافع والتلاقح والتنافس، بل تقبله وتنظمه وتحميه. إن التحدي لا يقع في نبد الاختلاف ومحو أثره أو مجرد الاعتراف به، وإنما يقع في كيفية تديره تديراً تشاركياً يُسهّم فيه الجميع كل بمؤهلاته وقدراته وإنجازاته، دون أن يطغى طرف على طرف فيستكبر عليه ويستضعفه ويثبر إنجازه.

¹ - بنعبود، المهدي. أسئلة الإبداع والتجديد في فكر الدكتور المهدي بن عبود، مجلة "منتدى الحوار"، عدد 23، مطابع أمبريال، الرباط، 2015، ص

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وأول ما ينبغي استحضاره في النظر لموضوع تنظيم الاختلاف واستيعابه بغية استثماره في بناء عمران المشترك الإنساني هو قيمة الاعتراف بالغير، ليس اعترافاً مؤقتاً سرعان ما يتبخر الحلم به عند أول اختبار لصدقيته، أو اعترافاً مشروطاً بالاستعلاء عليه وإبقائه مستجدياً. فالغير موجودٌ ووجوده ضروري لوجود الذات ولا يتصور وجود هذه الأخيرة إلا به ومعه في إطار حياة مجتمعية مشتركة، يقول هانس كينغ بهذا الصدد: "لا يتعرف الفرد إلى الخير وقواعده وطرقه وعلاماته إلا من خلال العمل الاجتماعي"¹، الذي يجتمع فيه مع غيره ويتواصل معه ويتنافس معه، ولا يحدث هذا إلا إذا اكتسبنا معا فضائل أخلاقية مشتركة تحترم الغير ولا تقصيه، أو قل بتعبير طه عبد الرحمن التعامل وفق "مخالقة" عالمية، حيث "المخالقة لا تتقيد بوطن معين، ولا بدولة محددة؛ فقد يكون وطنها العالم بإدارة عالمية، كما يكون وطنها قرية بإدارة محلية"². وهذه المخالقة هي البُشرى التي تحملها "روح الدين" إلى "روح الإنسان" قبل بشريته، لإنجاز "روح العمران" قبل ماديته.

الفصل الثاني: الهوية الثقافية وأسس الانفتاح والتعايش العالمي

ما يظهر في عالمنا المعاصر من مظاهر ترذيل الإنسان لإنسانيته وتبنيه لأعماله حتى قيل إن "الكائن المعاصر مدان حتى تثبت براءته"³، لَمَّا أَمْسَى يعيش في عالم عنيفِ الصفاتِ الغالبة عليه - في نظر الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن⁴ - هي أنه عالم المصالح المادية الخالية من الأخلاق، وعالم التنازع والنفاق، لا يمنع من أنه يحافظ في ذاكرته وذكرياته، و يحفظ من صميم مصلحته في حاضره ومستقبله حاجة قائمة إلى عالم لا يتظالم فيه الناس ولا يُضامون في حقوقهم واختياراتهم، وهو النداء الذي تجأر به في كل زمانٍ فئاتٌ تنادي إلى حكمة الحياة الائتمانية المشتركة بين الجميع، وتلك الفئة هي "البقية الصالحة" التي يستقلها الله من كل أمة وملة، بقيةٌ تنادي العالمين من غفلاتهم إلى الخير المشترك، وتمانع الظلم والعدوان وتنهى عن السوء والفحشاء والمنكر، وتسعى لدفع قيم الاستفساد والتخسير والتبشير في الأرض، قال الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} (هود: 116-117).

الدين المشترك لا تختلف فيه الملل

جميع الأسئلة الملحة والمشكلات المطروحة المتعلقة بقضايا الإنسان المعاصر تتسم بالكونية وتنسحب على جميع الثقافات تأثيراً وتأثراً، ونظراً لأهمية الاعتقاد الديني في الاجتماع البشري وتأثيره في قلب جميع

¹ - هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معلوف وأورسولا عساف، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص 112

² - طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط2، 2016، ص 37

³ - بنعبد العالي، عبد السلام. امتدادح الالفلسفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص 43

⁴ - طه، عبد الرحمن. سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017، ص 12

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مجالات الحياة، ينصبُّ الاهتمام عليه من مختلف التخصصات ومن جميع المناحي، لذلك نلاحظ تنظيم العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية، وإصدار ما لا يحصى من الوثائق والإعلانات والاتفاقات، فضلا عن غزارة البحث والتأليف والدراسة في ما يعنى بموضوع "المشترك الديني"، غير أن الحكمة القاضية بتعايش الجميع على نفس المسافة من بعضهم البعض، هي الاقتناع بأنه "لا إخلاص لمعتقد ما، ولا وسيلة لحمايته، إلا بقدر ما يسود التسامح بين مختلف المعتقدات، شريطة ألا تعارض أية واحدة منها القيم العليا الشمولية المشتركة"¹.

لذلك لا يمكن الحديث عن المشترك الإنساني بهويات منفتحة دون التأسيس له على مستوى الدين²، فلقد "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة"³، مع العلم أن "جميع الأنبياء وأمهم كانوا مسلمين، لأن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان. وقد أخبر الله عن نوح وإبراهيم وإسرائيل إلى الحواريين أنهم كانوا مسلمين مؤمنين"⁴، قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَيِّدُهُمْ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة: 127-134)

لا شك إذن في أن الدين عند الله واحد لا تعدُّد في أصله، وهو الإسلام العام في جميع الرسالات النبوية، وعند جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والوحي يدعو المسلمين إلى أن يقولوا: (آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ) (العنكبوت: 40)، ولا يتعارض هذا مع ما يميز كل كتاب عن غيره، وما لحق به من تفسيرات أو تحريفات أو توجيهات... وهذا الأساس المشترك من "الهدى والنور" يشكل إطارا ومرجعا دينيا للتفكير في المشترك وبناء حضارته مع أهل الأرض قاطبة على الأسس الفلسفية الكبرى التي تحملها المطالب الكلية للدين، فيبنى "المشترك الديني" على الإيمان بالله الذي "لا إله إلا هو" الذي خلق الإنسان من نفس واحدة نفخ فيها من روحه، ثم يسر له السعي التعارفي والتعاوني لإقامة العمران حيث تُقضى حاجات الخلائق وتتحقق بينهم الموانسة والمخالقة بتعبير طه عبد الرحمن.

1 - الحبابي، محمد عزيز. أوراق غدوية، دفتر الأول: أزمة القيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1991، ص 81

2 - ينظر: الفاروقي، اسماعيل. "الأساس المشترك بين الإسلام والمسيحية"، مجلة العلم والإيمان، العدد 6، 1976/1396، ص 64-87.

3- البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، دار طيبة، الرياض، 1409هـ / 1989م، 4/122

4- ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم. الرد على المنطقيين، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأسس الأخلاقية المشتركة وقيم التعايش الإنساني

بالتنشئة السليمة يتخلص الفرد والجماعة من داء "الاستعلاء الوهمي" بتعبير الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلوبونتي¹، إذ العالم اليوم في حاجة إلى تربية أسرية واجتماعية وثقافية تنتشله من ظلمات الهوى والتدسية والخسران، وتجدد رسالة ورسالية البقية الصالحة من الأمم السالفة والحالية، وتتممها بالقيم الفاضلة والتجارب النافعة مما أفاء الله به على عباده تسخيرا وتيسيرا، وما هذه القيم إلا آثار الدِّين التي حافظ عليها الناس وتناقلها صالحوهم جيلا بعد جيل. وهي قيم كلية تتسع لجميع الأفعال الإنسانية سواء المتعلقة بذات الفرد في خويصة نفسه، أو بعلاقة الفرد أو الجماعة بالآخرين، أو بالبيئة الطبيعية أو بالعمران؛ وعن تلك القيم الكبرى تصدر قيم الصدق والأمانة والأخوة والتراحم والتبادل والسلم والتعاون، وهي أيضا مشتركة وخالدة، منسجمة مع الفِطْر السليمة والعقول الحكيمة.

وفي مقابل ذلك يذم الإسلام جميع الفواحش والردائل، ما ظهر منها وما بطن؛ القتل والظلم والخيانة وشهادة الزور والحقد.. وينكر قبولها دينيا، لألا يُهان الإنسان وهو مُكْرَم، ولا يطغى وهو مؤتمن، ولعل هذا هو ما يقصده هانس كينغ بقوله: "هناك قناعة لوحدة أساسية للأسرة الإنسانية وللمساواة ولقيمة كل البشر، هناك شعور بعدم المس بالفرد وضميره، هناك شعور بقيمة المجتمع الإنساني، هناك إقرار بأن القدرة لا تتوافق مع الحق، وبأن القدرة الإنسانية لا يمكنها أن تكفي ذاتها، وأنها ليست مطلقة، أن الإيمان والحب والرأفة والترفع وقوة الروح والصدق هي كلها في النهاية أقوى من الحقد والضعينة والأنانية، هناك شعور بواجبنا أن نكون إلى جانب الفقراء والمظلومين ضد الأغنياء والظالمين، هناك أمل عميق بأن الإرادة الطيبة في آخر الأمر ستنتصر"²، هذه الإرادة الطيبة مفتاح لكل خير يعم الإنسانية...

الغيرية والأخوة الإنسانية

الناس إخوانك في الآدمية والأرض والرسالة؛ في الدم والوطن والمصير، اعوجت مشاعرهم بآلام التاريخ، وتلاعبت بعقولهم مصالح الكبراء، وتكرسوا من سماء الحب إلى صحراء الحرب، فتحولوا من إخوة إلى أعداء. أما اليوم فتحيا الإنسانية يقظة جماعية للتخلص من مآسي الماضي والانتقال إلى الحياة المشتركة على وطن مشترك في هوية "أوطانية" مشتركة، لا تنمحي فيها الخصوصيات ولا تذوب فيها الاختلافات، وإنما تنتظم في عقد ميثاقى تراحمي وتعاوني وتكاملي.

¹ - ميرلوبونتي، موريس. (1908-1961) فيلسوف فرنسي معاصر. من أهم كتبه بنية السلوك" و"فينومينولوجيا الإدراك"، ومهمة الفلسفة الفينومينولوجية في نظره هي تحقيق الرجوع إلى عالم الحياة الأصلي والبدئي وفي "العودة إلى الأشياء ذاتها." (<https://ar.wikipedia.org>)

² - هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، مرجع سابق، ص 117-118

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الغير هو الذات الأخرى، هو الإنسان نفسه، هو الإنسانية التي يشترك أفرادها في الخلق والأرض والمصلحة والمصير، مضطر إلى الكينونة مع الغير وبفضله لتحقيق حاجاتي النفسية والاجتماعية، أي مجموع الحاجات كما رتبها عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو Abraham Maslow (1908-1970) من خلال ما يسمى بـ"هرم ماسلو" للاحتياجات الانسانية، فالناس في هذه النظرية شركاء ترتيب حاجاتهم في الحياة، ففي المرتبة الأولى تجد الحاجات الفيزيولوجية الأساسية، تليها حاجات الأمان، وبعدها الحاجات الاجتماعية، ثم الحاجة إلى التقدير والمكانة، وأخيرا الحاجة إلى تحقيق الذات¹.

وبناء عليه فإن العلاقة مع الغير حقا هي أيضا علاقة اشترك في حاجات تؤسس لتعارف نفسي وحين وجودي واجتماعي وعمراني لا محيد عنه، إلا من جهة الغفلة عن حقيقة الاجتماع البشري أو عن السنن الكونية التي تنتظم الوجود العمراني عموما. ولعل هذا ما يؤكد ابن خلدون بقوله: "الاجتماع ضروري للنوع الإنساني. وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعمار العالم بهم واستخلافه إياهم. وهذا هو معنى العمران."²

ولا يتصور إمكان القضاء على الاختلاف واختفاء التناظر والتواجه باسم عالمية مُستكبرة تُدُلُّ الآخر وتستعبده، وإنما يطلب تحقيق البناء المشترك لحضارة آدمية قوامها الكرامة والعدل والإحسان، "وحيث إنه ليس هناك أي أمل في بناء أي شيء على الإطلاق على احتيال عالمية زائفة مفروضة بالعنف ومؤبدة بنفي الآخر، فإن الرهان على أن هناك مجالا مشتركا للتعايش الأخوي ينبغي اكتشافه وبنائه، يستحق عناء الإقدام عليه"³، وتبادل خبرات الوعي الإنساني وتجارب الشعوب واقتراحات الأمم من أجله، فهو مجال، لذا "يجب على الأنا الهوية الثقافية أو الحضارية الخاصة ألا تعتبر الآخر خطرا على هويته الخاصة، لكن يجب اعتباره حقا من أجل فهم العالم فهما جيدا، وضمنا أيضا معرفة الذات في مرآة الحضارة الأخرى، يعني وعي الذات والآخر بطريقة نقدية"⁴ مستقبلية تستحضر المطالب الكلية والغايات الكبرى، ولا تلتفت إلى الجزئيات والتفاصيل التي لا تبني وإنما تزين أو تشين.

مراجع البحث

- إبان، كلارك. العولمة والتفكك، مركز الإمارات والدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط 1، 2003م.
- ابن باجة، أبو بكر محمد بن يحيى. تدير المتوحد، ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق وتقديم ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت، ط 1، 1968م

¹ - يراجع: 85-92، *Psychosomatic Medicine*, 5, 1943. Maslow, A. H Preface to motivation Theory. في:

https://journals.lww.com/psychosomaticmedicine/Citation/1943/01000/Preface_to_Motivation_Theory.12.aspx تاريخ زيارة الموقع 14 أبريل 2017

² - ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005، 68/1

³ - سيرج، لاتوش. تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1999م، ص138

⁴ - هانس، كوكلر. المسلمون والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، مرجع سابق، ص146

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، دار طيبة، الرياض، 1409هـ / 1989م
- بنعبود، المهدي. عودة حي بن يقظان، دار النشر المغربية، المغرب، (سلسلة شراع، عدد 16) ط1، 1997
- بيدرو مارتينيث مونتايث، وكارمن رويث برافو. أوروبا الإسلامية سحر حضارة ألفية، ترجمة: ناديا ظافر شعبان، مؤسسة الفكر العربي، لبنان، ط1، 2015م.
- الجابري، محمد عابد. مسألة الهوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995.
- هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معلوف وأورسولا عسّاف، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م
- هانس، كوكلر. المسلمون والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، ترجمة حميد لشهب، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1430هـ/2009م
- الودغيري، عبد العلي. اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م
- الحبابي، محمد عزيز. أوراق غدوية، الدفتر الأول: أزمة القيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1991
- حنفي، حسن. حصار الزمن، إشكالات، منشورات الاختلاف، الدار العلمية للعلوم، لبنان، ط1، 2007م
- طه، عبد الرحمن. سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017
- الكندي، أبو إسحاق. رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق عبد الهادي أبو ريده، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1950
- معلوف، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999
- سيرج، لاتوش. تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1999م
- ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار الكتاب، تونس، ط1، 1977م
- الفاروقي، إسماعيل. التوحيد وأثره في الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط1، 2014م.
- ابن رشد، محمد أبو الوليد. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2001م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادتي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005.
- غارودي، روجي. من أجل الحوار بين الحضارات، ترجمة ذوقان قرقوط، دار النفائس، بيروت، ط1، 1990م

- Guy, Rocher. Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale, édition : Payot, 1968

- Maslow, A. H. Preface to motivation theory. *Psychosomatic Medicine*, 5, 1943

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التسامح حق وليس منّة وكرماً

أ. د. علي لاغا

الهيئة الإدارية للمؤسسة العالية للبحث العلمي/لبنان

تمهيد

لا تزال اللغة تشكل في معاني وتغييرات وأبعاد مصطلحاتها محفزاً مجتمعياً يثير الكثير من القضايا الجدلية، وموضوع ورقة البحث هذه مصطلح يطرح نفسه بقوة في سياق هذا المؤتمر الكريم لكونه بات وبكافة اللغات مدار جدل يدور حول مفاهيمه ومدلولاته: هذا المصطلح هو التسامح.

وكما هو مبين في عنوان هذه الورقة، التسامح حق وليس منّة ولا كرمًا، هو إلزام بتلك المسافة التي تفصل نقيضين عن بعضهما وتحدد حقل التجاذب المغناطيسي بينهما وتحكم التفاوت الذي يمنع أحد من أن يبغى على آخر ويعطي كل ذي حق حقه في ظل شريعة سمحاء واضحة المدلولات والأساليب والمقاصد.

إن موضوع هذه الورقة قضية تمت إثارتها منذ فترة في ندوة تحت عنوان: "مصطلحات توتر المجتمع اللبناني"، نظمتها جامعة الجنان في طرابلس لبنان، تميزت بالصراحة والجرأة في الطرح، وقد شارك فيها رئيس جامعة الكسليك في لبنان الأب حبيقة (رئيس الجامعة حالياً) ورائد الحركة الإسلامية في لبنان فتحي يكن (رحمه الله) ومفتي عكار السابق الدكتور أسامة الرفاعي ووزير الاعلام في لبنان في ذلك الوقت الأستاذ غازي العريضي، وقد توليت رئاستها بوصفي كنت عميداً لكلية الاعلام في جامعة الجنان في ذلك الوقت ومعداً لها، وأثناء تقديم الأب حبيقة (مسيحي ماروني) مداخلته، لفتني رفضه لمصطلح التسامح، رداً على كلام المفتي أسامة الرفاعي، لأن التسامح حسبما عرّفه بأنه منة من القوي على الضعيف، وهم لا يريدون هذه الشفقة. إضافة إلى رفض لمصطلح آخر هو الانصهار الوطني، الذي جاء على لسان أحد المحاضرين لأن الانصهار يعني الذوبان في المجموعة، حيث عبر عن رفضه بقوله: "الانصهار الوطني ضياع الهوية الاصلية وهذا مرفوض".

هذا الرد الصريح والاعتراض الواضح على استعمال مصطلح التسامح وترجمته بالفرنسية او الإنكليزية: Tolerance يشير بعمق على عدم إدراك المجتمع الحالي لحقيقة دلالة المصطلح والغاية الأولى من هذه الورقة هو تبيان المفهوم الفعلي للمصطلح حيث ان المصطلح هو ما تصالح واتفق عليه العلماء، مما قد يغير المعنى اللغوي للكلمة او يحتم تبديله وفق المجال الذي يستخدم فيه . Domaine du terme.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وللمزيد من التوضيح، نورد في بداية هذه الورقة جردة لمختلف المعاني التي قد يحملها مصطلح التسامح Tolerance المستخدم في نصوص علمية بحثية تمثل حقيقة مفهوم هذا المصطلح الذي في شقه العلمي المنتمي الى مجال علم الميكانيك يعني: المسافة الإلزامية بين جسمين متجاورين ملزمين بالعمل جنباً إلى جنب دون أن يلحق أحدهما الأذى بالآخر .

واعتماداً على هذا المفهوم نذهب عميقاً في تفسير معنى التسامح باعتباره حقاً إلزامياً وليس منّة من القوي على الضعيف. وهذا ليس مجرد اسقاط لغوي ولا تفسير لا أساس له، فكل أحكام الشريعة الإسلامية في تعامل كل فرد في المجتمع مع الآخر تحتم إلزامية التسامح وليس التكرّم والتفضّل كما هو متعارف عليه تقليداً وكما هو متداول بين المسلمين وفي فهم غير المسلمين لمصطلح التسامح والذي يثير حفيظة من يرفضه لانهم أقوياء وليسوا بحاجة للتصدق عليهم كما جاء في كلمة الأب حبيقة.

إن عرض مفهوم الإلزام، الحق، التسامح، سيغني الكثير في علاقة المسلم مع الآخر مسلماً كان أو غير مسلم، وسيظهر تمايز الشريعة الإسلامية في حفظ حقوق الناس وحرمتهم والتمتع بهويتهم وتحقيق إنسانية الإنسان وسلامة صحته النفسية والجسدية فيزداد الترابط بين أبناء المجتمع وتنتشر المحبة والألفة بما بين مكوناته مما يصلب من بنية التماسك الوجداني في كل متطلباته، والتسامح بمعنى الحق الواجب تنفرد به حضارة الإسلام دون باقي الحضارات والنظم الإنسانية وباقي الديانات الأخرى.

تعريف "التسامح" لغة واصطلاحاً:

تقدم هذه الفقرة تعريفاً لكلمة التسامح في اللغة ، كما ألفه الناس في أدبياتهم إضافة إلى التركيز على المعنى الاصطلاحي الذي يبرز مدلول الإلزام أو الحق.

التسامح في لسان العرب ¹ :

سمح : السماح والسماحة: الجود

وفي الحديث الشريف : السماح رباح ، أي المسامحة في الأشياء تريح صاحبها ... وقولهم الحنفية السمحاء ، ليس فيها ضيق ولا شدة ، وتقول العرب : عليك بالحق فإن فيه لمسماً ، أي لمتسعاً.. وعود سمح بين، السماحة والسموحة: لا عقدة فيه ... وتسميح الرمح : تثقيفه ... ورمح مسمح : ثقف حتى لأن، وقيل التسميح : السير السهل.

وفي القاموس المحيط ²:

¹ ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر مادة سمح

² الفيروزبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ج 1 ، باب الحاء ، فصل السين، بدون طبعة وبدون تاريخ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

سمح : ككرم سماحاً وسماحة وسموحاً ... ككتاب جاد وكرم ، والمساهلة كالمسامحة ويقول العرب: " وإن فيه لمسموحاً كمسكن أي متسعاً. "

أما مرادفات فعل تسامح:

أغضى ، تجاوز ، تجاهل، تساهل ، تعالي ، تهاون ، جامل، داري ، راعي ، عفا، لاين، لاطف، لان.

أضداد كلمة " تسامح " (اسم) : التعصب ، التشدد، التزمت، تشدد، جهل ، حمق، رعونة ، عقاب ، قصاص ، مجازاة معاقبة.

مضاد تسامح (فعل)

بغى ، شدد ، جار، جازى، خشن ، سمج، ظلم، عاقب، غلظ، قاصص، قسا.

وفي إثراء مقصود للمعنى الاصطلاحي لكلمة تسامح tolerance، نورد بعض العبارات مع ترجمتها كما هي متداولة في قاموس المعاني الالكترونى الحديث على الانترنت والذي يشير إلى البعد الدلالي لمصطلح التسامح في العلوم

التسامح في العلوم : (tolerance)

-over tolerance next stop

تجاوز سماح الوقوف التالي (سيارات)

Heat tolerance -

تحمل الحرارة

Manufacturing tolerance -

تفاوت الصنع المسموح

Manufacturing tolerance -

مسموحات التصنيع

Manufacturing tolerance -

- تفاوت مسموح به ميكانيكاً أثناء التصنيع (تقنية)

Risk tolerance -

- القدرة على تحمل المخاطر (مالية)

Declaration on zero tolerance for FGM -

- إعلان لا تسامح مع ختان الإناث

Core tolerance field -

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- مجال السماح في النواة (تقنية) ¹الفوائد :

من خلال بعض ما ورد في مسرد المعاني الخاص بكلمة التسامح ، نجد عبارات مثل : " يريح صاحبها " و " ليس فيها ضيق ولا شدة " . و"عليك بالحق فإنه فيه لمسمحاً أي لمتسعاً " ، ما يدل على وجود صفة ثابتة وفي "المساهلة مريح" والريح مطلب وبدونه لا مصلحة ولا لزوم للتجارة، وفي الحنفية السمحاء، لا ضيق ولا شدة ، وهذه صفة ملازمة لذات الحنفية (ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام) ، وفي مراجعة للآيات التي وردت بشأن ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام ² يتبين أنها دين التوحيد والاستسلام لله عز وجل، ونبذ الشرك والكفر وكل ما يعبد من دون الله . وهذه كلها ملزمة، لذلك سميت الحنفية السمحة.

وعبارة الحنفية السمحة هي الإسلام، روى الأمام أحمد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال:

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إليك؟ قال: الحنفية السمحة. ³

والحنيف هو المسلم.

التسامح في الحديث الشريف والأحكام الشرعية:

ورد في كتاب حادي الأرواح لابن قيم الجوزية، تحقيق زكريا عميرات ⁴: يقول الله عزّ وجل : انظروا إلى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟ قال : فيجدون في النار رجلاً فيقولون له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول لا ، غير أنني كنت اسامح الناس في البيع والشراء . فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبدي." لقد استحق الجنة جزاء ما تسامح به مع الناس في البيع والشراء .

وبالتالي، بالعودة إلى مصطلح السماح أو التسامح في الشريعة الإسلامية نقول:

السماح في الشريعة الإسلامية إلزام:

من خلال جولة على بعض الاحكام الشرعية بين المسلمين ومن يجاورهم أو يعيش معهم، يتبين أن السماح إلزام وليس مجاله الأخذ والرد، في جولة مختصرة، مستعيناً بما كتبه الشيخ العالم يوسف القرضاوي: ⁵

1- الشريعة الإسلامية لا تفرض:

يقول الله تعالى: " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" سورة يونس: 99

¹Almaany.com مادة Tolerance

² الآيات : سورة البقرة 135، سورة آل عمران : 65-66-95 ، سورة النساء 125 ، سورة الأنعام : 161-163 ، سورة النحل : 121-123

³ Fatwa.islamweb.net

⁴ Book.google.com.lb, books, ص 222

⁵ يوسف القرضاوي ، الأقليات الدينية والحل الإسلامي ، المكتب الإسلامي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد الدين قد تبين الرشد من الغي " سورة البقرة: 256

والشريعة لا تفرض أحكامها على غير المسلمين، فلا تفرض عليهم الزكاة ولا القتال في جيش المسلمين ، وتكلفتهم بدل الزكاة والخدمة في الجيش ضريبة على الرؤوس ، أعفى منها النساء والأطفال والفقراء والعاجزين، وهي ما عرفت بالجزية ، ولهم أن يغيروا الاسم كما فعل نصارى تغلب، فعرضوا دفع صدقة ، ولم يقبلوا مصطلح الجزية، وبذلك فإنهم قبلوا المعنى وأبوا الاسم ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه¹.

2- الحكم الذاتي لغير المسلمين في مجتمع المسلمين :

في الأحوال الشخصية: هم أحرار بدينهم والحدود لا تقام عليهم ، ولهم محاكمهم الخاصة ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً ، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به.²

" وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يونه في دينهم واجباً ، ولا على فعل أمر يرونه عندهم حراماً ، ولا على اعتناق أمر ديني لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم³.

ويمضي القرضاوي في حشد الأدلة على التسامح في الشريعة ، وكما سنرى فإن حكمه ملزم وليس اختيارياً ، مكرمة."

قال تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . سورة الممتحنة : 8-9 . ومعنى تبرؤهم : أي تعطوهم وتحسنوا إليهم ، وأكثر ما استعمل هذا المصطلح للوالدين (بَرّ الوالدين) وتقسطوا: أي تعدلوا .

ودليل الإلزام الحديث الشريف عن عبد الله بن الزبير ، قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا... وهي مشرقة، فأبّت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى الآية السابقة " لا ينهاكم الله... إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها"⁴.

¹ بتصرف عن القرضاوي ، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، م ، س ، ص 13

² المرجع نفسه ، بتصرف ، ص : 16

³ يوسف القرضاوي، م. س. ص 17 بتصرف

⁴ الحديث أخرجه الشيخان والامام أحمد .

راجع محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 7 سنة 1981م ، مجلد 3، ص 484 بتصرف.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دلالة المصطلح لحكم : لكم ما لنا وعليكم ما علينا :

جاء في شرح السير الكبير:

إذا أودع المسلمون قوماً من المشركين، فليس يحل أن يأخذوا شيئاً من أموالهم إلا بطيب أنفسهم، للعهد الذي جرى بيننا وبينهم ، فإن ذلك العهد في حرمة التعرض للأموال والنفوس بمنزلة الإسلام. فكما لا يحل شيء من أموال المسلمين إلا بطيب أنفسهم، فكذلك لا يحل شيء من أموال المعاهدين.

والحديث الشريف الذي استدل به عندما جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام العهود ، فقالوا: " إن حظائر لنا وقع فيها أصحابك ، فأخذوا منها بقلأ أو ثوماً." فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فنأدى في الناس: إن رسول الله يقول : " لا أحل لكم شيئاً من أموال المعاهدين إلا بحق." ¹

ويقول علي بن أبي طالب رضى الله عنه :

"أنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا."

وعقد الذمة يشبه نيل المسلم تأشيرة دخول إلى بلد أوروبي ، غير مسلم، فهو بذلك دخل في عهد مع الدولة التي دخلها، ويعلل الفقهاء مساواة الذمي (المعاهد) للمسلم في بعض التكاليف المالية بأن الذمي بعقد الذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما على المسلم ².

وكثيرة الأدلة التي تثبت أن التسامح في الشريعة الإسلامية هو حق والتزام وليس كرمًا.

إن هذه المساحة الإجبارية لا توجد إلا في الشريعة ، فإن درجات التسامح :

- أدناه : أدنى التسامح أن تدع لمخالفك حرية دينه ولا تجبره على اعتناق دينك أو مذهبك دون تعصب ولا تضيق.

- الوسطى : أن تترك لمخالفك ممارسة ما يطلبه منه دينه.

- والدرجة التي تعلق في التسامح : " ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم ، وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك، والشريعة في سماحتها لم تضيق على المسيحيين أكل الخنزير ، علماً أنه محرم في اليهودية قبل الإسلام ، وشرب الخمر" ³.

والشريعة تلزم المسلم بالبر بالديه وإن كانا من المشركين: " وصاحبهما في الدنيا معروفاً" سورة لقمان 15

¹ محمد بن الحسن الشيباني (748-804 م) ، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مجلد 1، ص 133 ، باب أموال المعاهدين، بدون تاريخ بدون طبعة.

² بتصرف ، نقلاً عن : عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين، والمستأمنين، في دار الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 سنة 1402-1982م ص: 70-71

³ يوسف القرضاوي، م. س. ص 36-37 بتصرف

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والقرآن الكريم يصف الأبرار في مشهد وصف أحوال أهل الجنة: "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً" سورة الانسان 8-9 .

والأسير المقصود من كان مشركاً . يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : " كان اسراؤهم يومئذ مشركين ، يشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء."¹

وتتجلى سماحة الإسلام في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب، يهوداً كانوا أو نصارى ، فقد كان يزورهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، وذكر ابن اسحق في السيرة : أن وفد نجران وهم من النصارى، لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالمدينة ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم.

فاستقبلوا المشرق ، فصلوا صلاتهم.²

يقول القرضاوي: " والحقوق التي قررها الإسلام ليست مجرد حبر على ورق، بل هي حقوق مقدسة قررتها شريعة الله ، فلا يملك أحد من الناس أن يبطلها، وهي حقوق تحوطها وتحرسها ضمانات متعددة ."³ من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك :

إن مقدمة الرسائل فيها شيم وأدب ليس بمقدور مسلم ان يغيرها، أو يتجاهلها، وهي أمر لأنها سنة على المسلم الإلتزام بها. جاء في رسالته إلى هرقل:

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم⁴

وإلى اسقف الروم في القسطنطينية :

إلى ضغاظر الاسقف⁵

إلى المقوقس عظيم القبط⁶

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس⁷.

وفي رسالته إلى الحارث بن علقمة ، اسقف نجران:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي، إلى الاسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم، ورهبانهم،

¹ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير، م، س، مجلد 3 ، ص 582

² يوسف القرضاوي ، م. س. ص 40 بتصرف.

³ يوسف القرضاوي، المرجع نفسه، ص 35-36

⁴ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس، بيروت ، ط 6 سنة 1407 هـ 1987 م ص 109.

⁵ المرجع نفسه ، ص 115

⁶ المرجع نفسه ص 135

⁷ المرجع نفسه ص:140

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن لهم ما تحت أيديهم، من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير اسقف من اسقفية، ولا راهب من رهبانته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه (على ذلك جوار الله ورسوله أبداً) ، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين.¹

ونختم هذه اللطيفة بما جاء في معاهدة بيت المقدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيليا من الأمان :

أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود. ...².

الخلاصة:

كلمة أخيرة نوجز فيها خلاصة ورقة البحث هذه ونقول إن المدلول الاصطلاحي لكلمة التسامح حسب أحكام الشريعة الإسلامية يحمل الإلزام والحق وليس الكرم والجود والمنة. فكما سبق وذكرنا كثيرة هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على هذه الإلزامية وتدفع بالمسلم الى الالتزام بشرع الله في تعامله مع غير المسلم في المجتمع، وذلك بالمحافظة على مسافة سماح التفاوت بينهما تمنع الاحتكاك والتآكل ، تماماً كما في محرك الطائرة او السيارة، حيث يضمن مفهوم التسامح أو tolerance في علم الميكانيك الانسياب العمل دون مشاكل، وهكذا بين البشر، فلكل حق معلوم ولا يبغى أحد على أحد، ولا إكراه في الدين، وعلاقات المسلمين مع اهل العهد والذمة محكومة بالتسامح الملزم المحقق لحسن سير الحياة في مجتمع متعدد يعرف كل فرد فيه حقه وحدّه، ويعرف ان حريته تتوقف عندما تبدأ حرية الآخرين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

¹ محمد حميد الله ، م.س. ص 179

² المرجع نفسه ص 488

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم نموذجًا - دراسة وصفية تحليلية)

د. أحمد بن محمد التويجري

أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم الشرعية بكلية التربية في جامعة القصيم

مستخلص البحث

هدف البحث إلى تحديد قيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة، ومن ثم التعرف على مستوى تضمينها في مقررات الثقافة الإسلامية التي تدرس لطلبة المرحلة الجامعية، ومنها جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية، ومن ثم تم تقديم تصور مقترح حيال إبراز قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لجمع النتائج مستخدمًا بطاقة تحليل لتحقيق أهداف البحث. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج ومن أبرزها: تفاوت النسب في مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار بشكل مباشر أو غير مباشر بدرجة متوسطة أو كبيرة، حيث تراوحت بين 84% إلى 91%، وبناء على ذلك قدم الباحث جملة من التوصيات المرتبطة بالنتائج والتي يؤمل أن يؤخذ بها أثناء تطوير مقررات الثقافة الإسلامية في المرحلة الجامعية، وختم البحث بتقديم بعض المقترحات البحثية المستقبلية لتناول ابعاد قيم الحوار وتعزيزها لدى الناشئة.

- الكلمات المفتاحية/ قيم الحوار - مقررات الثقافة الإسلامية

مقدمة:

تمثل مقررات الثقافة الإسلامية أهمية بالغة في حياة الطالب الجامعي، وهي من أهم المقررات التي ينبغي العناية بها وتطويرها مواكبة للمتغيرات الطبيعية في ميادين الحياة، لكونها تتناول جوانب شرعية واجتماعية وثقافية واقتصادية عامة يحتاجها الطالب الجامعي في مرحلته العمرية قبل أن يبدأ مشواره العملي بعد تخرجه، ولاسيما إذ اعتنت تلك المقررات بكمالها وشمولها لكل ما يُصلح حياة الطالب الجامعي في حاضره ومستقبله؛ لتعطي الطالب معالم منهاج حياته ونبراس طريقه.

وبقدر ما يستزيد الطالب الجامعي من هذه المقررات علمًا وعملاً وفكرًا وسلوكًا، بقدر ما يتضح طريقه وتستتير نفسه بأنوار العلم والعمل اللازمة لإعداد مواطنًا صالحًا ينفع نفسه ودينه ومجتمعه ووطنه، ومما يميز مقررات الثقافة الإسلامية، أنها ترسم للطالب الجامعي منهجًا واضحًا يتميز بشموله لكل اهتماماته، مستوعبًا ما يطرأ عليه في واقعه معالجًا تلك المشكلات التي تبتثق مع مستجدات العصر مع اعتزازه بدينه القويم الكامل الشامل

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لمتطلبات الحياة؛ حيث قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..) سورة المائدة، آية: 3 .

وينال تدريس مقررات الثقافة الإسلامية باهتمام ملحوظ في مجتمع المملكة العربية السعودية في أفرادها ومؤسساتها، حيث ركزت سياسة التعليم في المملكة على هذا الجانب، ونصت ضمن الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم على أن "العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم، ومقررات الثقافة الإسلامية مواد أساسية في جميع سنوات التعليم" (وزارة المعارف، 1390هـ). وتتسم مقررات الثقافة الإسلامية في نظام التعليم العام في المملكة العربية السعودية بالمرونة والقابلية للتجديد واستيعاب القضايا والمستجدات، ومعالجتها في ضوء الشريعة الإسلامية؛ إذ تشتمل على ثلاث مكونات أساسية هي: علم مصطلح الحديث، الحديث الشريف، الثقافة الإسلامية، ويندرج تحت كل مكون عدد من الموضوعات، وقد اشتمل المقرر الحالي على عدد من الموضوعات مثل حجية السنة ومكانها في التشريع الإسلامي، مكانة المرأة في الإسلام، العولمة، التعامل مع الشبكة العنكبوتية، وكذلك موضوعات ثقافية عامة مثل: الصدق والكذب، التدخين، المال في الإسلام، وغيرها..

والمتمثل لمفردات مقررات الثقافة الإسلامية في المملكة العربية السعودية يجد أنها مجالاً حيويًا اعتنى بتعزيز قيم الحوار، حيث تتيح للطلاب التعرف والفهم، وممارسة الحوار بشكل إيجابي ملموس مع الآخرين.

ويلاحظ اليوم اهتمامًا كبيرًا بثقافة الحوار وقيمه على مستوى الدول المتقدمة، والدول النامية التي تسعى إلى الرقي والتقدم، وذلك من خلال تعزيز ثقافة الحوار داخل المجتمع ومؤسساته المختلفة إيمانًا منها بأن ذلك يساعد المجتمع على إتقان الحديث في المجالات الحيوية المختلفة، فالدول المتقدمة تخصص مقررات دراسية وأقسامًا علمية بالجامعات لتعليم وتعلم فنون الحوار وآدابه ومهاراته. (العبيد، 1434هـ، ص18).

ومن هنا تبرز أهمية مقررات الثقافة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية والتي تقوم بدور حيوي في تنمية قيم الحوار لدى الطلاب. حيث تتأكد الحاجة إلى تعزيز ثقافة الحوار وقيمه لدى أفراد المجتمع في ظل السرعة المعرفية الهائلة والتضاعف المستمر للمعلومات، وهذا يتطلب فتح قنوات اتصال وتواصل فكري وثقافي واجتماعي دائم، كما تتأكد الحاجة للحوار بين أفراد المجتمع لمواجهة كثير من قضايا المجتمع المعاصرة في شتى الميادين المختلفة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا ودينيًا وأيديولوجيًا، خاصة في ظل التقدم الهائل والعولمة التي يستخدمها العالم اليوم في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات (مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1429هـ، ص14).

ولما للحوار من أهمية بالغة في النهوض بالأفراد والمجتمعات جاءت نتائج توصيات العديد من المؤتمرات والدراسات بإعطاء هذا الموضوع حيزًا من الدراسة والبحث، ومن هذه التوصيات: توصية مؤتمر الوحدة الوطنية: "ثابت وقيم" والذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال الفترة (1-3 ذو القعدة 1434هـ)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الذي أوصى بضرورة ترسيخ مبدأ الحوار بين أبناء المجتمع ، في القضايا التي يختلفون عليها والتعامل مع الأطراف بكل احترام وتقدير (مجلة الحوار، 1435هـ ، ص 25).

كما جاءت توصية مؤتمر الرباط الذي أقيم بتاريخ (14-16 يونيو 2005م) في المملكة المغربية بالرباط حول تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات من خلال مبادرات ملموسة ومستدامة، بتعزيز الحوار وقيمه في مختلف مراحل التعليم. ومن هذا المنطلق فقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالحوار، حيث أنشأت مركز الملك عبدالعزيز الوطني في عام 1424هـ، والذي يهدف إلى نشر ثقافة الحوار وقيمه بين أفراد المجتمع ، بالتعاون مع المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية.

وقد جاءت توصية دراسة المشاريع (1431هـ)، بتنمية مفهوم الحوار بين الطلاب عن طريق تشجيع إصدار المجلات والنشرات. كما أوصت دراسة الباني (1428هـ) على أهمية توسيع مجال الحوار والاهتمام به داخل المؤسسات التعليمية . وأكدت دراسة العودة (1439هـ) ، على ضرورة وأهمية ثقافة الحوار وقيمه عبر المؤسسات التربوية المختلفة ، وربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والاقتداء بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ويعتبر الحوار الوسيلة الأسلم والأسمى في الدعوة والتواصل مع الآخرين والتي دعا إليها من خلال الآيات المختلفة الواردة في القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) سورة النحل، آية: 125. وقد قال الله عز شأنه في محكم التنزيل: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (سورة العنكبوت، آية 46). كما ورد في القرآن الكريم عدد من الصور الحوارية ، مثل قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) (سورة المجادلة، آية: 1). وقوله تعالى : (وكان له ثمرة فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) (سورة الكهف، آية : 34).

كما أن السنة النبوية المطهرة تزخر بعدد من الحوارات ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحاور المشركين والمنافقين والصحابة وزوجاته حتى الأطفال كان لهم نصيب من حواراته صلى الله عليه وسلم وهذا تأصيل نبوي مطهر للحوار كمنهج شرعي أصيل.

ويُعد الحوار من أهم أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضرورتها، فالحوار وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وتهيئة للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة. (اللبودي، 2000م، ص: 1). وهنا يأتي دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة ، من خلال توضيحها لما جاء بالقرآن الكريم

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والسنة النبوية الشريفة، كمثل قوله: آ تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) [سورة الكهف، آية 34].

والحوار يُعد من الأنشطة التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانزلال، وتفتح له قنوات الاتصال والتواصل مع الآخرين التي تساهم في اكتساب المزيد من المعرفة والتقدم والرقي والوعي، ولكي تكتمل للحوار أسس نجاحه ، ويحقق أطرافه، والأهداف التي ينشدها من ورائه يتحتم عليهم الالتزام بالمعايير الأخلاقية والاجتماعية والثقافية للسلوك التي تفرضها طبيعة الموقف والموضوع والأطراف المشاركة في الموضوع، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال تعزيز ثقافة الحوار ومهاراته لدى أفراد المجتمع. (المشوفي ، 2005م). لذا أصبح من الأهمية بمكان أن يتم تعزيز ونشر وتطوير وتنمية ثقافة الحوار ومهاراته لدى أفراد المجتمع بوجه عام ، وطلاب المرحلة الجامعية بوجه خاص من خلال المؤسسة الجامعية .

مشكلة البحث :

لقد دلت الاتجاهات والاهتمامات الدولية والعالمية المعاصرة في تناول الحوار وتأصيل مفهومه وتعزيز ثقافته وآدابه وفنونه ومهاراته من خلال الاهتمامات الكبرى للدول المتقدمة لقيم الحوار من أجل تعزيز ثقافته ومهاراته لدى أفراد المجتمع بشكل عام والطلاب الجامعي بشكل خاص. ويؤكد(بكار، 2004م) أن المتعلم هو أحوج ما يكون إلى تعلم الحوار وتعزيز ثقافته ومهاراته وفتياته وآدابه وأصوله وقيمه.

وعلى الرغم من أهمية قيم الحوار في حياة الطالب الجامعي، إلا أن الحوار تعلمًا وتعليمًا لا يحظى بالاهتمام والعناية التي تتناسب مع تلك الأهمية ومازلنا بحاجة إلى إيجاد الحلول المناسبة والخطط والبرامج والنماذج والصيغ التي تسهم في تعزيز ثقافة وقيم الحوار لدى المتعلم، وهذا يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة. وفي ضوء ذلك تتضح مشكلة الدراسة الحالية ، والتي يمكن صياغتها في الآتي:

ما مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة؟

أهداف البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على:

قيم الحوار الواجب توافرها وتعزيزها لدى طلاب الجامعة .

- مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في القيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم انموذجًا).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- تقديم تصور مقترح يوضح الدور المناط بمقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية لتعزيز قيم الحوار لدى الطلاب في تلك المرحلة العمرية المهمة
- أهمية البحث:
- يتزامن هذا البحث مع الاهتمامات المتزايدة على المستويين الدولي والمحلي بقيم الحوار.
- قد تسهم في لفت انتباه الباحثين في حقل المناهج وطرق التدريس في مجال التخصص للقيام بالدراسات والبحوث العلمية في مجال تنمية قيم الحوار لدى المتعلمين.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية:

- اقتصر البحث على تعرف مستوى تضمين مقررات الواجب توافرها الثقافة الإسلامية في قيم الحوار لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم إنموذجًا..).

الحدود المكانية:

- اقتصر البحث على طلاب جامعة القصيم الدارسين لمقررات الثقافة الإسلامية في العام الجامعي 1440/1439هـ

مصطلحات البحث:

مقررات الثقافة الإسلامية :

« مجموعة من المقررات الإسلامية التي تُدرّس لطلاب جامعة القصيم، وتشمل : المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الإسلام وبناء المجتمع ، النظام الاقتصادي في الإسلام، النظام السياسي في الإسلام، الأخلاق في الإسلام ، حقوق الإنسان في الإسلام، منهج الحوار وآدابه»

قيم الحوار:

يعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: مجموعة المعتقدات والأخلاقيات والمبادئ التي تجعل الفرد يتقبل ويحترم ويقدر الاختلاف والتنوع الثقافي والحضاري والفكري، ويتفاعل مع الآخرين دون تجاوز أو تعصب.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

معنى القيم اصطلاحًا:

معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعمامة ، وتتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة.

وهي تلك المعايير التي جاء بها القرآن والسنة المطهرة ودعا إليها الإسلام وحث على الالتزام والتمسوا بها، وأصبحت محل اعتقاد واهتمام لدى المسلمين.

الإطار النظري:

وتهتم كثير من الدول المتقدمة بالحوار ولغة الكلام من خلال تخصيص أقسام علمية بالجامعات لتعليم فنون التواصل والحوار، وتخصص مقررات منفصلة في المدارس لتعليم مهاراته وقواعده وآدابه وأصوله وفنون التواصل الكلامي .

وقد أشارت الكثير من الدراسات إلى أن الجانب الحواري اللغوي الشفهي يشكل ما نسبته 95% من التواصل اللغوي، وأنه هو الأكثر شيوعًا بين فنون الحوار. (يونس ، 2001م).

والمتمتعن في أهمية تنمية وتعزيز ثقافة الحوار ومهاراته بسبب مواجهة ما يقع في حياتنا اليومية من سلبيات ومشاحنات يمكن سببها في تخلي أطراف الحوار عن الأسلوب الأمثل في إدارة الحوار وغياب ثقافة الحوار بين المتحاورين، ومن المؤكد أن غياب ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع وكذلك غيابه في المؤسسات التربوية المختلفة يظهر مدى الخلل في العمل وضعف الصلابة والتماسك بين أفراد المجتمع بل إن غياب الحوار هو انعكاس لضعف البنية العلمية والفكرية في المجتمع (بن حميد ، 2003م).

لذا يؤكد (بكار ، 2004م) أن المتعلم هو أحوج ما يكون إلى تعلم الحوار وتعزيز ثقافته ومهاراته وفنياته وآدابه وأصوله، وعلى الرغم من أهمية ذلك في حياة المتعلم، إلا أن الحوار تعلمًا وتعليمًا لا يحظى بالاهتمام والعناية التي تتناسب مع أهميته، وما زلنا بحاجة إلى إيجاد الحلول المناسبة والخطط والبرامج والنماذج والصيغ التي تسهم في تعزيز ثقافة الحوار لدى المتعلم وإكسابه مهارته وأصوله وفنياته وآدابه وأن تتم التربية من خلاله، وهذا يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار.

ويعد الحوار من أهم أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضروراتها، فالحوار وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وتهيتها للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة (اللبودي، 2000م، ص1) ولهذا جاءت هذه الدراسة التي توضح دور المقررات الثقافية الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وتعد المؤسسات التربوية والتعليمية وخاصة الجامعية تهتم بغرس قيم الحوار وتنميتها لدى الأبناء لتحفظ للمجتمع تماسكه وترابطه ، ومما يحمد للتربية الحديثة أنها تهتم بغرس القيم إنما العقل أكثر من اهتمامها بتلقين المعرفة وتحصيلها ، لذا فهي تضع أخلاق المتعلم على قيمه وأولياتها.

ولا يختلف اثنان في جدوى وأهمية قيم الحوار والتسامح واحترام الرأي الآخر، حيث لا بد منها من أجل بناء علاقات إنسانية تقوم على الحب والاحترام والتعاون والتضامن. فالحوار يؤدي دورًا مهمًا في تنضيج القرار الاجتماعي والسياسي وإشعار الآخرين بالمسؤولية، وبأهمية الموقع الذي يمثلوه، فالحوار في الإسلام يعبر عن قيمة حضارية ؛ لأنه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة، فقد انتشر الإسلام بالدعوة والوعظ والمحاجاة والقول الحكيم والذي أوصله إلى أقاصي الدنيا .

ويؤكد عامر (2007، ص5) على أن طبيعة المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم تستوجب وتقتضي تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة ، فالحوار أحد الأدوات الحضارية للمجتمعات المعاصرة ، وإذا توسعت أساليب الحصول على المعلومات ، وتعددت الأفق المعرفية ، واختلقت الاتجاهات الثقافية والفكرية ، وترتب على هذا التحول المعرفي والثقافي الاهتمام المتزايد بالحوار لأنه يجمع القلوب، ويقرب المسافات، ويؤدي إلى نشر مفاهيم التبادل الثقافي.

ويأتي دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة، من خلال توضيحها لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مما يؤكد أهميته.

أهمية الحوار في مجال التعليم الجامعي :

يسهم الحوار في تحقيق غايات إيجابية عدة من أهمها :

- تنمية تفكير الطالب الجامعي والمساعدة في تشكيل أفكارهم، فمناقشة موضوع ما يساعد على تقوية معرفتهم وزيادة قدرتهم على الفهم والتفكير(جابر، 1999، 19).
- تشكل الحوارات الأبنية المعرفية للطلاب ، وإعادة تنظيم الخبرات والموافق التي يواجهونها، وإحداث قناعات ورؤى جديدة مما يجعل الطالب قادرًا على اتخاذ مواقف محددة تجاه ما يتعرض له من مشكلات مواقف.(نصر ، 1997، ص686).
- تنمية مهارات الاتصال المهمة مثل القدرة على صياغته الأفكار والتعبير عنها بوضوح والاستجابة للآخرين بطرق مناسبة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- يزيد من قدرة الطالب على الاندماج والتفاعل وتبادل الرأي مع الآخرين (فنييل، 2000، ص166)، ويحقق للطلاب الدافعية والإنجاز معًا.
- تدعم المشاعر الإيجابية في نفوس الطلاب وتزيد من شعورهم بثقة في النفس والفخر والاعتزاز ، وتحقيق الذات ، ويثبت القيم لديهم، ويخفف الصراعات والمشاعر العدائية ، وهو وسيلة لبناء شخصية الطالب الجامعي كفرد اجتماعي داخل المجتمع. (خلف الله، 1998، ص65).

النماذج والتجارب المحلية والإقليمية والعالمية المعاصرة في مجال ثقافة الحوار ومهاراته وقيمه :

أولاً: جهود المملكة العربية السعودية :

تتمثل ثقافة الحوار أحد المجالات التي أولها المملكة العربية السعودية مزيداً من الاهتمام، وذلك بإنشائها " مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني" حيث يسعى المركز إلى توفير البيئة الملائمة الداعمة للحوار الوطني بين أفراد المجتمع كله من (الذكور والإناث) بما يحقق المصلحة العامة، ويحافظ على الوحدة الوطنية المبنية على العقيدة الإسلامية وذلك من يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعة لتعزيز قيم الحوار.

وذلك من خلال الأهداف التالية :

1. تكريس الوحدة الوطنية في إطار العقيدة الإسلامية وتعميقها عن طريق الحوار الفكري الهادف.
2. الإسهام في صياغة الخطاب الإسلامي الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال داخل المملكة وخارجها .
3. معالجة القضايا الوطنية المختلفة من خلال قنوات الحوار الفكري وآلياته.
4. ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع ، ليصبح أسلوباً للحياة ومنهجاً للتعامل مع مختلف القضايا.
5. توسيع المشاركة لأفراد المجتمع في الحوار الوطني وتعزيز دور مؤسسات المجتمع في المشاركة في هذا الحوار.
6. تفعيل الحوار الوطني بالتنسيق مع المؤسسات ذات العلاقة.
7. بلورة رؤى إستراتيجية للحوار الوطني وتفعيل مخرجاته.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كما تهتم وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية بثقافة الحوار، ومن ثم تعزيز قيمه، مستفيدة من التطورات السريعة التي تشهدها المملكة، ممثلة في الحراك السياسي والنهج الحوارى الوطنى الذى يدعمه خادم الحرمين الشريفين.

ثانياً: جهود دولة الإمارات العربية المتحدة:

تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية إلى ترسيخ ثقافة الحوار وقيمه من خلال المناهج والمقررات الدراسية والأنشطة والفعاليات التربوية الطلابية ومن خلال كذلك ، الاستراتيجية المشتركة مع دول الخليج العربية في تنظيم البرامج التي تسهم في نشر وتنمية ثقافة الحوار وقيمه.

ثالثاً: جهود جمهورية مصر العربية (برنامج برلمان الطلاب في مصر):

سعت وزارة الشباب المصرية منذ إنشائها إلى تأهيل النشء والشباب ، وتفعيل مشاركته في الحياة العامة كأحد أهدافها ، وذلك من خلال عدد من الأنشطة وبرامج العمل ، ومنها تلك الخاصة بالتدريب على قيم الممارسة الديمقراطية ، وحرية التعبير والحوار ، وقبول الآخر، وذلك من خلال برامج برلمان الطلاب في مصر.

رابعاً: جهود منظمة اليونسكو لتعزيز ثقافة الحوار وقيمه، بتأكيدا على ترسيخ مفهوم التنوع الثقافى لتعزيز التعايش والحوار ، ودعم التبادل الثقافى بين الدول ، تكريسها التعليم للجميع ، ونشر قيم الحوار وثقافته.

خامساً: جهود المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في تعزيز قيم الحوار وثقافته، وذلك من خلال اهتمامها بالثقافة الإسلامية وإبراز خصائصها والتعريف بمعالما في الدراسات الفكرية والبحوث العلمية والمناهج التربوية، والعمل على التكامل والترابط بين المنظومات التربوية في الدول الأعضاء.

سادساً: جهود دولة الكويت: تعد دولة الكويت من الدول المتقدمة في ترسيخ مفاهيم الحوار من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية ومن خلال مؤسسات المجتمع المدني لديها وتضمن قيم الحوار بالمناهج والمقررات الدراسية.

سابعاً: جهود مملكة البحرين:

في مملكة البحرين يمثل برلمان شباب البحرين ، نموذجاً لاهتمام مملكة البحرين بإعداد الشباب وتزويدهم بالمهارات السلوكية اللازمة لتنميتهم وتجهيزهم للقيام بدورهم في المستقبل في بناء الوطن والتعايش الحضارى مع الآخرين.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثامناً: تجربة سلطنة عمان في تنمية ثقافة الحوار، وذلك من خلال المناهج الدراسية والبيئية المدرسية ، وقد ورد ضمن مبادئ فلسفة التربية في لسلطنة عمان أهمية تنمية القدرات العقلية للأفراد واتباع مهارات البحث والتفكير العلمي ومعرفة أكثر من لغة بهدف التواصل والتعارف مع الثقافات الأخرى بما يتوافق مع تعاليم الدين والتراث العماني الأصيل.

تاسعاً: الجهود الكندية (التجربة الكندية):

تسعى كندا من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية على نشر ثقافة الحوار وتعزيزها بالقيام ببرامج تدريبية للمعلمين ولقاءات وندوات لتأسيس قيم الحوار.

عاشراً: منتدى الوسطية للفكر والثقافة والحوار (المملكة الأردنية الهاشمية):

تبنى المنتدى إعادة إحياء منهج الوسطية من خلال تعمق منهج التوازن والاعتدال في الإسلام والدعوة إليه ونشر قيمه الإنسانية. وهدف المنتدى إلى المساهمة في تطوير الثقافة الوطنية والعمل على تعزيز الروابط مع الهيئات المحلية والعالمية وترسيخ مفاهيم الوسطية للفكر والثقافة في مجال الحوار.

حادي عشر: نموذج الحوار الحضاري بين منظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوروبي وبين العالم الإسلامي واليابان :

ظهر مفهوم حوار الحضارات في إطار الاهتمام العالمي بالبعد الثقافي في العلاقات الدولية، حيث تؤثر الخصائص الثقافية للشعوب بين الدول، وتحقيق التعاون الدولي يتطلب توظيف تلك الخصائص بحكم الترابط بين السلوكيات السياسية والاقتصادية من ناحية والسلوكيات الثقافية من ناحية أخرى .

وتمثلت بعض تلك المخارج والتطبيقات الحوار الحضارات في مبادرة جامعة الدول العربية في نوفمبر 2001م ومشروع المنظمة الفرانكوفونية الدولية في أكتوبر 2001م ، ومبادرة الفاتيكان في نوفمبر 2001م ، ويُعد مؤتمر بين منظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوروبي في استانبول بتركيا في 12-13 فبراير 2002م. وأكدت هذه النماذج من الحوارات الحضارية على أهمية التسامح الثقافي وتعزيز قيم الحوار.

ومن خلال الجهود التي تبذل لها الدول والمنظمات لنشر قيم الحوار وثقافته ، تتضح أهمية دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعات ، " جامعة القصيم انموذجاً" وتتمثل قيم الحوار تلك في :

(أ) الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فيجب على المحاور أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ، وإظهار البراعة وعمق الثقافة ،
والتعالي على النظراء والأنداد (حميد، 1415هـ ص36).

(ب) قيم التسامح المبني على الاحترام المتبادل ، وعلى اعتماد مبادئ الحق والعدل والمساواة وحقوق
الإنسان.

(ج) التوصل الحضاري وإقامة الجسور بين الثقافات والحضارات ، واستثمار الرصيد المشترك بين الحضارات .

(د) الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم، وغرس ثقافة الحوار في نفوس طلابنا وممارسته (التوجيهي ،
1431هـ) .

(هـ) الإطار العام لبناء الديمقراطية والرأي الآخر المختلف لدى الطلاب مما يتطلب ترسيخ واحترام الحق في
التعبير عن مقاصد قد تبدو غير ذات قيمة أخلاقية.

(و) تعد قيم الحوار أساسًا للعلاقات البعيدة عن التوتر والتقاطع، وبمثابة بالشجرة الصالحة لثمرة ثمارًا صالحة
طيبة المساعدة على مواجهة صعوبات الحياة . (المطيري. 1440هـ).

(ز) الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى ، حيث يدفع المتحاور عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ،
وإظهار البراعة وعمق الثقافة والتعالي على النظراء والأنداد. (باوزير ، 1431هـ ص106).

(ح) الصدق : فقرين طلب الحق في أي حوارٍ تحري الصدق ، وهو مسؤولية مشتركة بين جميع أطراف الحوار.

(ط) الحلم والتسامح: ويرتبط بمساعدة مفاهيم كالحلم والعفو والهدوء والرفق واللين والتسامح (القحطاني ،
1430هـ ص 151).

(ي) استخدام الألفاظ الجيدة : ويعنى به التزام المتحاورين بمنظومة القيم الأخلاقية الإسلامية ولها أثرًا جيدًا في
لين الطرف الآخر وإقناعه ، فهي ترقق القلوب وتعمق المشاعر وترخي السمع وتشد الانتباه.

(ك) ضبط النفس والبعد عن التعصب : فلا يتعصب الإنسان إلى شخص أو إلى رأي ، بل يبين قوله ودليله
بأوضح حجة، فالحق يُعرف من خلال دليله. (الشثري 1427هـ).

(ل) تقبل الرأي الآخر واحترامه .

(م) يقوم الحوار على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف وقبول وجهات النظر المختلفة. (فرحات ،
1426هـ ، ص 174) .

(ن) الصبر : يعد الصبر جماع فضائل الحلم والعفو وكظم الغيظ، والرفق واللين والتسامح .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وبنظرة دقيقة لسلوكيات طلاب جامعة القصيم ، نرى أن مقررات الثقافة الإسلامية تؤدي دورها في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة، مما ينعكس بدوره على مجتمع المملكة العربية السعودية بالرقى والتقدم الحضاري الفعال.

وقد أكد (العجلان، 1437) ، على أهمية تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية للقيم الأصيلة والعلمية، وضرورة تعزيز البناء القيمي لشخصية الطالب الجامعي من خلال تلك المقررات.

منهج البحث وإجراءاته:

تدرج البحث وفق منهجية علمية في البحوث التربوية، وقد تمثل في الخطوات التالية:

1. الإطلاع على الأدبيات التربوية والبحوث السابقة، ذات العلاقة بتضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة.

2. بناء أدواتي البحث، وتمثلان في :

- بطاقة تحليل لمحتوى مقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم.
- قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم.

وذلك باتباع الخطوات التالية:

- مراجعة الأدبيات والدراسات ذات الصلة .
- مراجعة خصائص واحتياجات طلاب الجامعة .
- مراجعة القوائم التي أعدت لقيم الحوار في الدراسات السابقة.
- وضع قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة.
- عرض القائمة على المهتمين.
- تعديل القائمة في ضوء آراء المحكمين.
- تحويلها لقائمة معيارية.

3. إجراء عملية التحليل.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

4. رصد النتائج .

5. تقديم التوصيات والمقترحات.

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المتمثل في تحليل مقررات الثقافة الإسلامية ، ويتمثل تحليل المحتوى في الوصف الكمي الذي يهدف إلى وصف الظاهرة بدقة وفق أسلوب علمي كمي منظم .

وللإجابة عن أسئلة البحث وتحقيق أهدافه، أعد الباحث أداتي البحث، وتم بناهما وفق الخطوات التالية:

أولاً: إعداد قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم:

الهدف من القائمة:

هدفت القائمة إلى تحديد قيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم ، والتي يسعى البحث الحالي إلى تأكيد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيزها لدى هؤلاء الطلاب.

مصادر إعداد القائمة:**اشتقت هذه القائمة من خلال:**

- الأدبيات والكتب التربوية التي تناولت قيم الحوار.
- الدراسات والبحوث العربية والأجنبية السابقة التي اهتمت بالحوار ومهاراته وقيمه.
- أهداف مقررات الثقافة الإسلامية بالمرحلة الجامعية.
- استطلاع رأي المتخصصين والخبراء ذات الصلة .

صدق القائمة/ الصدق الظاهري: الذي يقصد به مراجعة مدى انتماء القائمة السابقة إلى المجال المعرفي نفسه الذي توجد فيه ، بمعنى أن الفقرات أو المجالات لا تنتمي إلى مجال آخر.

صدق المحكمين :

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بعد الانتهاء من إعداد قائمة قيم الحوار في صورتها المبدئية، تم عرضها على بعض الأساتذة المحكمين للتأكد من صحتها العلمية، وأخذ آرائهم بالحذف أو الإضافة أو التعديل والأخذ بمقترحاتهم وآرائهم وصولاً بها إلى الصورة النهائية لهذه القائمة. وقد أشار بعض المحكمين إلى بعض الملحوظات التي أكدت على تضمين قائمة قيم الحوار التي يجب توافرها في مقررات الثقافة الإسلامية لتعزيز تلك القيم لدى طلاب الجامعة.

وصف القائمة في صورتها النهائية:

بعد عرض القائمة على المحكمين وإقرارها وصولاً للصورة النهائية لها، تم التوصل إلى قائمة تتضمن قيم الحوار التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعة ، وقد بلغ عددها (6) قيم كما يلي :

- الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى.
- التسامح المبني على الاحترام المتبادل.
- التأصل الحضاري وإقامة الحوار بين الثقافات .
- الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم.
- الصدق وتقبل الرأي الآخر واحترامه.
- ضبط النفس والبعد عن التعصب.

ثانياً: بطاقة تحليل المحتوى:

قام الباحث بعد إعداد قائمة قيم الحوار، بإعداد بطاقة التحليل، والمتضمنة للمجالات الستة لقيم الحوار، للتعرف على مدى توافر تلك القيم بمقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم . ومن ثم البدء بالتحليل وفق المبادئ والأسس التالية:

(أ) **تحديد الهدف من التحليل:** حيث قام الباحث بتحديد الهدف من التحليل والذي يكمن في تقويم مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم، في ضوء توافر قيم الحوار.

(ب) تحديد فئات التحليل:

وحدة التحليل الفقرة، حيث يتم استخراج القيمة، فالقيمة لا يستدل عليها من مجموعة كلمات ، بل من معاني الفقرات (السيقلى ، 2012 ، ص 87).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ج) معايير فئات التحليل:

راعى الباحث عند تحديد فئات التحليل عددًا من الأسس، منها الانتماء الدقيق للمجال المعرفي والمهاري والوجداني الذي تنتمي إليه هذه الفئات، وكذلك الشمول، حيث يحاول الباحث من خلالها قدر الاستطاعة الإحاطة بمجالات قيم الحوار دن إغفال أي جانب من جوانبها. بالإضافة إلى تحديد وحدات التحليل لمعرفة التقدير الكمي للظاهرة المراد تحليلها، والتي اعتمد فيها على تحديد الفقرة كوحدة للتحليل. ثم تحديد عينة التحليل، والتي تتمثل في مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم.

ثبات أداة التحليل:

تم التأكد من ثبات التحليل من طريق تحليل الباحث لمقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم، وإعادة التحليل بعد مرور فترة زمنية (15 يوم) ثم تم استخدام معادلة هولستي لثبات التحليل، والتي تتضح من المعادلة التالية:

معامل ثبات التحليل = (عدد مرات الاتفاق) ÷ (عدد نتائج التحليل الأول + عدد نتائج التحليل الثاني). وقد بلغ معامل الثبات (87.6) مما تؤكد للباحث أن للتحليل معامل ثبات مرتفع، وبذلك يتضح أن لبطاقة تحليل المحتوى مؤشرات إحصائية مقبولة ومطمئنة، وهو ما يؤكد صلاحيتها للاستخدام في الدراسة الحالية في تحليل مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم.

تحديد فئة التحليل:

بما أن الهدف من التحليل هو تحديد قيم الحوار المتضمنة في مقررات الثقافة الإسلامية فقد تم اختيار « قيم الحوار » كفئة لتحليل محتوى تلك المقررات.

تحديد وحدات التحليل: اعتمد في هذه الدراسة على « قيم الحوار » الصريحة بشكل رئيس التي يمكن أن تكون واضحة من الطالب الجامعي أو القارئ الخارجي.

أداة التحليل: وبعد ذلك أعد الباحث بطاقة تحليل المحتوى لقيم الحوار، في مقررات الثقافة الإسلامية.

حدود التحليل: حيث تمثلت حدود تحليل المحتوى بالآتي:

(1) حدود مادية: مقرر الثقافة الإسلامية بمستويات مختلفة.

(2) حدود زمنية: الفصل الدراسي الأول 1440هـ

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

(3) حدود مكانية : المملكة العربية السعودية - جامعة القصيم.

- وتمثلت قيم الحوار تلك في :

- الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى.
- التسامح المبني على الاحترام المتبادل .
- التواصل الحضاري وإقامة الجسور بين الثقافات.
- الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم.
- الصدق وتقبل الرأي الآخر واحترامه.
- ضبط النفس والبعد عن التعصب.

الأساليب الإحصائية: لمعالجة بيانات هذا البحث ، استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية:

- معادلة هو لستي لحساب نسبة الاتفاق بين المحللين لتحديد ثبات التحليل.
- حساب التكرارات والنسب المئوية ، لحساب تكرار قيم الحوار ونسب تضمينها في مقررات الثقافة الإسلامية ، بجامعة القصيم.

مناقشة النتائج وتفسيرها

تعد قيم الحوار من القيم الضرورية الواجب غرسها في نفوس طلاب الجامعات، وذلك نظرًا لارتباط تلك القيم بكثير من الأمور الحياتية التي ترافق الإنسان من الصغر للكبر، وتيسر له سبل التعايش من حوله على كل المستويات الاجتماعية والدينية والسياسية والفكرية ، وقد تمثل الهدف الرئيسي من الدراسة في التحقق من توافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية ، والواجب توافرها لدى طلاب الجامعة، لذلك كان على الباحث وضع قائمة تحليل محتوى مضمنة قيم الحوار التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعة، والنظر ثانيًا في توافر تلك القائمة في مقررات الثقافة الإسلامية محل الدراسة.

النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس للبحث والذي نص على:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ما مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة؟ « جامعة القصيم نموذجًا »

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب التكرارات والنسب المئوية لتوافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم من خلال تطبيق بطاقة التحليل التي تم إعدادها والمشار إليها ، والتي أشارت إلى توافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم بنسب متفاوتة يوضحها الجدول التالي : جدول رقم (1)

مجتمع تحليل مقررات الثقافة الإسلامية المقررة على طلاب جامعة القصيم

| م | المقرر | عدد الصفحات الكلية للمقرر | عدد الصفحات المستبعدة | عدد الصفحات الخاضعة للتحليل | النسبة المئوية |
|---|-------------------------------|---------------------------|-----------------------|-----------------------------|----------------|
| 1 | المدخل إلى الثقافة الإسلامية. | 166 | 25 | 141 | 84,9% |
| 2 | الإسلام وبناء المجتمع | 294 | 24 | 270 | 91,8% |
| 3 | النظام الاقتصادي في الإسلام | 252 | 22 | 230 | 91,3% |
| 4 | النظام السياسي في الإسلام | 232 | 28 | 204 | 87,9% |
| 5 | الأخلاق في الإسلام | 244 | 22 | 222 | 91,7% |
| 6 | حقوق الإنسان في الإسلام | 292 | 32 | 260 | 89,5% |
| 7 | منهج الحوار وآدابه | 136 | 11 | 125 | 91,9% |
| | المجموع | 1616 | 164 | 1452 | 89,9% |

وبالاطلاع على الجدول تبين للباحث تضمين تلك القيم بمقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم بنسب مختلفة، وذلك عائد إلى طبيعة كل مقرر على حدة ، وحقيقة أن هذه النتيجة تشير إلى تلك الحالة العامة التي عهدناها على مواطني المملكة العربية السعودية ، وخصوصًا فئة الشباب منهم، من جنوحهم إلى السلم والعيش في استقرار ونبد التعصب ، وغير ذلك من الأمور التي نشهدها بين أوساطنا، فرغم الاضطرابات التي تصيب المنطقة بين الحين والآخر، إلا أن التوجه العام السعودي يسير نحو المسالمة والموادعة والنزوع إلى الاستقرار، ومحاولة التعايش مع كل من يرد إلى المملكة للعمل أو للحج والعمرة وغير ذلك، مهما كانت جنسيته ومهما كان مذهبه

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومهما كان عرقه وأستطيع أن أقول : أن انعدام العنف في المملكة العربية السعودية بأي شكل من أشكاله، إنما هو ناتج من هذه النواتج التي طمحت إليها مقررات الثقافة الإسلامية ، في إشاعة الإسلام والمحبة والمودة لكل من يعيش على أرض المملكة ، وكل ذلك نتيجة حتمية لتضمين قيم الحوار بمفردات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم.

وقد كشفت نتائج هذا البحث أهمية تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة ، وهذا مما أكدته الدراسات السابقة في هذا المجال، كدراسة الباني (1428هـ) ودراسة الشايع (1431هـ)، ودراسة العبيد(1434هـ) ودراسة العودة (1439هـ) وغيرها من الدراسات التي أكدت على تنمية مفهوم الحوار بين الطلاب ضمن المقررات الدراسية، وعن طريق تشجيع إصدار المجالات والنشرات المهمة بالحوار بأبعاده المختلفة، والتي تؤكد على أهمية توسيع مجال الحوار والاهتمام به داخل المؤسسات التعليمية وغيرها ..

توصيات البحث ومقترحاته:

في ضوء هذه النتائج التي أسفرت عنها البحث ، يقدم البحث عدداً من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة، وهي كما يلي:

- أن تتبنى وزارة التعليم تشكيل لجنة من أعضاء هيئة التدريس في أقسام الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية من أجل مراجعة وتطوير مقررات الثقافة الإسلامية، للتأكد من تناولها لقيم الحوار اللازمة لهذه المرحلة .

- صياغة أهداف محددة لكل مقرر من مقررات الثقافة الإسلامية لتنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة.

- ضرورة تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار المشار إليها ، إضافة إلى القيم العقائدية والتشريعية ولدعوية والعلمية والسياسية الاقتصادية والأخلاقية والأسرية ، مع نشر توعية بأهمية تنمية قيم الحوار واستحداث الأساليب والوسائل العلمية والدعوية والثقافية المشاركة في تنمية تلك القيم وضرورة العلم على تأهيل عدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية للعمل على تنمية قيم الحوار وتوافرها لدى طلاب الجامعة.

- وضع برامج مستمرة لتنمية في الحوار لدى الطلاب في الجامعات السعودية.

- أهمية تركيز أعضاء هيئة التدريس على الرقي بالقيم الحوارية في العملية التعليمية.

- ضرورة التعاون بين الجامعات السعودية متمثلة بأقسام الثقافة الإسلامية؛ لتبادل الخبرات حلو تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن حميد، صالح عبدالله (1415هـ) أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، جدة ، دار المنارة.
- ابن حميد ، صالح بن عبدالله (1424هـ): الحوار ملف المعرفة ، ثقافة الحوار وثقافة العنف ، مجلة المعرفة ، العدد (101) وزارة التربية والتعليم ، المملكة العربية السعودية، ص1-2.
- الباني، ريم خليف (1428هـ) : ثقافة الحوار لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الرياض ودورها في تعزيز القيم الخلقية، (رسالة ماجستير – غير منشورة – جامعة الإمام محمد بن سعود).
- باوزير ، عادل أبو بكر سعيد (1431هـ) : دور معلم التربية الإسلامية في تنمية قدرات الحوار الوطني لدى طلاب المرحلة الثانوية، الرياض، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.
- بكار ، عبدالكريم (2004م) : التربية من خلال الحوار ، مجلة الرابطة العدد (464) ، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، أغسطس 2004م ص 16-19م.
- اللبودي ، منى إبراهيم (2000م) : تنمية فتيات الحوار وآدابه لدى طلاب المرحلة الثانوية، (رسالة دكتوراه – غير منشورة – كلية التربية ، جامعة عين شمس).
- التويجري، عبدالعزيز بن عثمان (1431هـ / 2010م): التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو .
- جابر، عبد الحميد (1999م): استراتيجيات التدريس الفعال ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
- خلف الله، سلمان(1998م) الحوار وبناء شخصية الطفل: سلسلة المشكلات السلوكية للأطفال ، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الشايح، عزام يوسف (1431هـ) : مسؤولية مدير المدرسة في تنمية مهارات الحوار التربوي لدى الطلاب من وجهة نظر مديري المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة، (رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة) .
- عامر، توفيق (2007م) : الحوار لماذا؟ ندوة التراث العربي والحوار الثقافي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس، ص 5-12.
- الششري، سعد ناصر (1427هـ) : أدب الحوار ، الرياض ، دار كنوز أشبيليا.
- العبيد إبراهيم عبدالله (1434هـ) : توافر ثقافة الحوار لدى طلاب وطالبات كلية التربية ، بجامعة القصيم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية تطبيقية على طلاب وطالبات كلية التربية بجامعة القصيم ، مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- العجلان، عجلان بن محمد بن عبدالله 1437هـ: القيم الأصيلة في مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية وسبل تطويرها والارتقاء بها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، مع إيراد تصور مقترح، (رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).
- العودة، أروى بنت سليمان بن الحمد (1439هـ): دور الأنشطة الطلابية في تنمية ثقافة الحوار لدى طالبات المرحلة الثانوية بمنطقة القصيم (دراسة ميدانية)، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة القصيم).
- فرحات، يوسف على (1426هـ 7-8 ربيع الأول): الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرا العصر، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
- القحطاني، جواهر بنت ذيب (1430هـ): دور الأسرة السعودية في تنمية الحوار لدى الأبناء من منظور إسلامي، الرياض، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.
- قنديل، يس عبدالرحمن (2000م): التدريس وإعداد المعلم، ط3، دار النشر الدولي، الرياض.
- المطيري، سالم بن عبدالرحمن بن عبدالله (1440هـ): دور ثقافة الحوار لدى المعلمين في حل بعض المشكلات الطلابية بالمرحلة الثانوية، (رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية التربية - جامعة القصيم)
- مكتب التربية العربي لدول الخليج (1429هـ): نشر ثقافة الحوار لدى العاملين في المؤسسات التعليمية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- المشوخي، عبدالله (2005م) الحوار في الإسلام وأثره على الشباب، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، حملة التضامن الوطني ضد الإرهاب (الأمن رسالة الإسلام) 1426هـ / 2005م / ص 225-242.
- نصر، حمدان علي (1997م): أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة لتنمية بعض مهارات القراءة الناقدة، مجلة كلية التربية، الجزء الثاني، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص(686).
- وزارة المعارف (1390) وثيقة سياسة التعليم بالمملكة العربية السعودية. الرياض.
- يونس، فتحى على (2001م): استراتيجيات تعليم اللغة العربية أسسه وإجراءاته، سعد سمك للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الحوار وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي

د. عبدالله بن فهد اللحيدان

المشرف على برنامج التبادل المعرفي - وزارة الشؤون الإسلامية/المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحوار منهج إسلامي أصيل، حافظ عليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته مع القريب والبعيد والموافق والمخالف والصديق والعدو، وجعله وسيلة للتعارف فالتألف ثم التعاون، وهذه المراحل هي جوهر الحوار وثمرته على امتداد العصور، فالآية القرآنية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أصل في الدعوة إلى تعارف افراد المجتمع و من خلال الالتقاء والحوار، يتحقق المبدأ الإنساني الجميل: (اسمع منِّي قبل أن تسمع عني)، وهذا ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب بنفسه إلى أسواق العرب ومنتدياتهم ليعرّف بنفسه ورسالته، ويسأل عن أحوال الأمم والشعوب وصفات زعمائها وقادتها في عهده. (1)

والتألف ثمرة التعارف؛ لأن النفوس البشرية السوية تتألف حين تتعارف، ويؤدي ذلك إلى شيوع الإحسان وترسيخ التعايش والتسامح بينهم وحين يحصل التألف يصبح التعاون ممكناً بل أمراً طبيعياً محبباً يمارسونه بينهم لتحقيق مصالحهم وصون مكتسباتهم، ولذا قال تعالى في القرآن الكريم (وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)؛ ذلك أن الإنسان مخلوق اجتماعي بفطرته محتاج للتعاون مع الآخرين في جميع مجالات حياته، وقد جاء في حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (خير الناس أنفعهم للناس) فجعل نفع الناس مطلقاً - وليس المسلمين وحدهم - سمة ومعيّاراً للمسلم الحق.

وينتج عن تعاون ابناء المجتمع مواجهة التحديات والتهديدات، وإحلال الأمن مكان الخوف، والاستقرار مكان الفوضى، والتنمية مكان التخلف والثروة بدل الفقر، والعدل مكان الظلم، وقد شارك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه في تحالف مع مجموعة من غير المسلمين بمكة على نصرة المظلومين وإعانتهم، وقال عليه الصلاة والسلام (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما يسرني أن لي به حمر النعم، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت). ومن المعروف أن العالم بأسره وخاصة شبه جزيرة العرب كانت تشهد حروباً كثيرة في زمن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل بعثته، فكانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها أو مع القبائل الأخرى بسبب أو بدون سبب، وقد جاء الاسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة الصعبة وينقلهم الى حيث الأمن والامان

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والسكينة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على إبعاد الناس تماماً عن الحروب وعن كل ما يؤدي إليها، وكان صلى الله عليه وسلم أيضاً يبحث دائماً عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له.

ان إقرار السلام لا يعني انتهاء الحرب تماماً، بل إن الحرب وضعت في الشريعة لحفظ السلام وحمايته من المعتدين عليه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين المؤمنين بأن يقاتلوا في سبيله، والله هو السلام، وأمرهم بأن يقاتلوا المعتدين وينصروا المعتدى عليهم الأمنيين المسالمين.

إن السلام بمفهومه السلمي هو أمنية ورغبة أكيدة يتمناها كل إنسان يعيش على هذه الأرض، فالسلام يشمل أمور المسلمين في جميع مناحي الحياة ويشمل الأفراد والمجتمعات والشعوب والقبائل، فإن وجد السلام انتفت الحروب والضغائن بين الناس، وعمت الراحة والطمأنينة والحرية والمحبة والمودة بين الشعوب.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عدة قواعد وأحكام يبني عليها مفهوم السلام، مما يشكل للمسلمين قانوناً دولياً يسيرون عليه، وهذه القوانين والشروط الواجب توفرها حتى يتحقق السلام تظهر في المساواة بين الناس، فالإسلام يُقرّر أنّ البشر، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وألسنتهم ينتمون إلى أصل واحد، فهم إخوة في الإنسانية، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (كُلُّكُمْ لآدَمَ، وآدم من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على أَعَجَمِيٍّ إلا بالتقوى).

كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب الا للضرورة وإقامة العدل والانصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحداً، فالإسلام يسعى دائماً الى استقرار الأمة الاسلامية، كما يستعى الى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الاخرى. (2)

إن أثر الإسلام في تحقيق السلام الاجتماعي والعالمي يتجلى في تعزيز التعايش السلمي وإشاعة التراحم بين الناس ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وكذلك في نشر ثقافة الحوار الهادف بين أتباع الأديان والثقافات لمواجهة المشكلات وتحقيق السلام بين مكونات المجتمعات الإنسانية وتعزيز جهود المؤسسات الدينية والثقافية في ذلك.

إن للسلام شأنًا عظيمًا في الاسلام، فما كان أمراً شخصياً ولا هدفاً قومياً او وطنياً بل كان عالمياً وشمولياً، فالسلام هو الأصل الذي يجب أن يسود العلاقات بين الناس جميعاً، فالمولى عز وجل عندما لم يخلق البشر ليتعادوا أو يتناحروا ويستعبد بعضهم بعضاً، وإنما خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا ويعين بعضهم بعضاً قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ايه 13 سورة الحجرات، فالإسلام يدعو الى استقرار المسلمين واستقرار غيرهم ممن يعيشون على هذه الأرض، ويكشف لنا التاريخ أن جميع الثقافات كانت تواقه من أجل تحقيق السلام.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالسلام ضرورة حضارية طرحها الإسلام منذ قرون عديدة من الزمن باعتباره ضرورة لكل مناحي الحياة البشرية ابتداء من الفرد وانتهاءً بالعالم أجمع.

وقد حان الوقت لنقود أجيالنا إلى لغة الحوار تحقيقاً لشعار لا للإرهاب لا للقتل لا للدمار ولا للطائفية والعنف . وفي ورقتي سأستعرض بالتفصيل جهود الحوار في المملكة العربية السعودية وأثرها في محاربة التطرف والطائفية وتحقيق السلم الاجتماعي والدولي.

خصائص فكر التطرف

إنّ القاسم المشترك لدعاة التطرف هو “الاقصاء”، فمذهبهم صحيح لا يعرف الخطأ ومذهب مخالفهم خطأ لا يعرف الصحة، ومن سلك سبيلهم سلك سبيل الإسلام ومن خالف سبيلهم خالف سبيل الإسلام، وإذا كان “التسامح” مع المخالفين في الدين من خصائص الإسلام فهل يُعقل أن يقوم الإسلام على “التسامح” مع أتباع الملل الأخرى ويغفل “التسامح” بين مكونات “الجامعة الإسلامية”؟ وهل يُعقل أن يصل الغرور بفتنة من الناس فيحتكرون النجاة لأنفسهم ويرمون سواد المسلمين في “قمامة” الهلكة؟ قال صلى الله عليه وسلم (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، ورفع أشهر، ويؤيده أنه قال سفيان الثوري فهو من أهلكهم قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: رفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكاً، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة. واتفق العلماء على أن هذا الظم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه.

ولا شك أن الإثارة وجه من وجوه تغييب الموضوعية، يلفظها الدين، ويفرضها العقل، ولهذا فإنّ الواجب على المرء أن يكون قصده كشف الحقائق، ووضع النقاط على الحروف، والدارس للفرق الإسلامية التي ظهرت على مسرح الساحة العقائدية يعلم يقيناً أنّ من أولى الفرق الإسلامية ظهوراً الخوارج الذين خرجوا من معسكر الإمام علي بعد حادثة التحكيم، ولا تهمنا المسألة من جانبها التاريخي، وإنّما الذي يهمنا هو الخصائص التي اختص بها هؤلاء المتطرفين كفرقة من الفرق الإسلامية ومدى استصحاب دعاة التكفير لهذه الخصائص.

يقول محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية)

وهذه الفرقة (أي: الخوارج) من أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها، وحماسة لأرائها، وأشد الفرق تديناً في جملتها، وأشدّها تهوراً واندفاعاً، وهم في اندفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر ديناً لا يحيد عنه مؤمن... ولم تكن الحماسة والتمسك بظواهر الألفاظ وحدها ما امتاز به الخوارج، بل هناك صفات أخرى منها: الرغبة في الموت، والاستهداف للمخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك... وإنّ من الحق أنّ الإخلاص كان سمة الكثيرين منهم ولكنه إخلاص يصاحبه الانحياز إلى ناحية معينة قد استولت على مداركهم... وقد كان التعصب يسود جدلهم فهم لا يُسلّمون لخصومهم ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الحق، أو واضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند خصومهم إلا إمعانا في اعتقادهم وبحثا عمّا يؤيده، والسبب في ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم وتغلغل مذاهبهم في أعماق قلوبهم، واستيلاؤها على كلّ مواضع تفكيرهم وطرق إدراكهم، وكان فيهم مع ذلك لدد وشدّة في الخصومة تمثّل نزعتهم البدوية. وقد كان ذلك من أسباب تحييزهم إلى جانب فكرة واحدة والنظر إليها من هذا الجانب وحده غير معتبرين سواء... وكانوا كما أشرنا يتمسكون بظواهر القرآن، ولا يتجاوزون ذلك الظاهر إلى المرمي والمقصد والموضوع، وما يظهر لهم بادئ الرأي يقفون عنده ولا يحدون عنه قيد أنملة... وكانوا مع فصاحتهم يطلبون علم الكتاب والسنة، وفقه الحديث وآثار العرب... فهم كانوا يُحاولون أن يعرفوا علم القرآن والسنة من أهل الخبرة ولكن لأنّ أنظارهم جانبية لم ينتفعوا به انتفاعا كاملا. (3)

والحق أنّ هذا النص يُبيّن بجلاء خصائص الخوارج كما تصورها كتب الفرق الإسلامية، وإذا إسقطنا خصائص الخوارج على دعاة التطرف نجد تطابق كبير. (4)

فدعاة التطرف من أشدّ الناس تدينا في الجملة، فتجدهم يحرصون حرصا منقطع النظير على تحقيق شكل ومظاهر الشريعة وكأنّه المقصد من وراء العبادات والتكاليف، ولهذا تراهم يُسرفون في رمي مخالفينهم بترك وإهمال السنن النبوية، لأنهم لم يُحققوا شكل الشريعة مثلهم وإنّما حقّقوا مقصدها الذي هو لبّها ومعناها، ألم يصرخ عبد الله بن مسعود في الناس لما رأى سلم الأولويات بدأ في الاختلال قائلا: "أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَيَامًا وَأَكْثَرُ صَلَاةً وَأَكْثَرُ جَهَادًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ، قَالُوا: لِمَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كَانُوا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَ فِي الآخِرَةِ."

ودعاة التطرف من أشدّ الناس تهورا واندفاعا، ولهذا حكموا على مخالفينهم بالكفر وقاموا برميهم في النار، والمشكلة كل المشكلة في اعتقادهم أنهم هم الممثل الشرعي والوحيد للإسلام مما جعلهم يتهوّرون ويندفعون، ولو قدّر للغشاوة أن ترفع عن أبصارهم لتبيّن لهم أنّ الإسلام براء منهم.

ودعاة التطرف من أشدّ الناس رغبة في الاستهداف للمخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك، وتلك هي آفة الذين يتوهمون أنّ ما يُقدمون عليه هو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، والحقيقة أنّ "واقعة الحديبية" درس عملي لكلّ الذين يسارعون برمي أنفسهم في أتون المخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك، ولو قدّر لدعاة التطرف شهود "صلح الحديبية لاحتجوا على رسول الله غداة توقيعها.

ودعاة التطرف من أشدّ الناس الذين يسود التعصب حواراتهم فتراهم لا يُسلمون لمخالفينهم ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن واضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند مخالفينهم إلا إمعانا في آرائهم وبحثا عمّا يؤيدها والسبب في ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم وتغلغل مذاهبهم في أعماق قلوبهم واستيلاؤها على كلّ مواضع تفكيرهم وطرق إدراكهم.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإذا سطعت هذه الحقائق بعد هذه المقارنة تبين لنا مدى قرب دعاة التطرف من الخوارج، وظهر بما لا يدع أيّ مجال للشك أنّ هناك أكثر من تطابق بين الخوارج ودعاة التطرف .. إنّهما خرجا من رحم واحد.

جهود المملكة في محاربة التطرف وتعزيز ثقافة الحوار

سعت حكومة المملكة العربية السعودية خلال العقدين الماضيين في العمل الجاد والبناء المثمر في محاربة ظاهرة التطرف والاقصاء والدعوة الى الحوار ففي عام 2008 افتتح الملك عبدالله رحمه الله في مدريد بأسبانيا المؤتمر العالمي للحوار بين الأديان ، وقال في كلمة الافتتاح : إن معاناة البشرية لا يمكن أن يكون سببها الدين ، وقال : إن المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان ، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض اتباع كل دين سواء سماوي وكل عقيدة سياسية . ودعا رحمه الله تعالى إلى حوار بناء مثمر بين أتباع الديانات . كما قامت وزارة الشؤون الاسلامية وتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وولي عهده الامين الامير محمد بن سلمان بقيادة معالي الدكتور عبداللطيف ال الشيخ وزير الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد بالعمل على ثلاثة اصعدة الصعيد الاول مكافحة خطاب التطرف والكرهية حيث شكلت في الوزارة لجان شرعية على مستوى المناطق ولجنة مركزية في المقر الرئيسي لمراقبة خطباء الجوامع التي تزيد على خمسة عشر الف جامع واحالة من ينهج خطاب التحريض والتطرف لمناقشته في اللجان الشرعية وايقاع العقوبة المناسبة لمخالفته المنهج الشرعي الاسلامي الصحيح الذي يدعو للرفق والرحمة الصعيد الثاني تدريب واعادة تدريب الائمة والدعاة على الاساليب الشرعية الصحيحة للدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة اما الصعيد الثالث فهو انشاء برنامج التبادل المعرفي الذي يهدف الى التواصل مع الجامعات والمراكز الاكاديمية والعلمية واتباع الاديان الاخرى لايضاح دعوة الاسلام للسلام والتعايش . وكانت هيئة كبار العلماء قد أصدرت بيانات متعددة حول التطرف بينت فيه المنهج الاسلامي بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي إطار جهود المملكة في محاربة فكر التطرف من خلال الحوار، تم إنشاء مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية عام 2006 م من أجل تصحيح وتوعية أفكار المغرر بهم بالأفكار المنحرفة ، ويقوم بدمج المستفيدين بالمجتمع تدريجياً تمهيداً لجعلهم مواطنين صالحين.

ويعد المركز الأول من نوعه الذي يعمل على تصحيح أفكار وتأهيل أعضاء الجماعات المتشددة خاصة المحكومين في قضايا عنف بالمملكة، ويؤدي دوراً مهماً في تصحيح المفاهيم، والمراجعات الفكرية والدينية للعناصر المتشددة.

كما تم انشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في العام 2004 م لتعزيز الوحدة الوطنية وحماية النسيج المجتمعي من خلال ترسيخ قيم التنوع والتعايش والتلاحم الوطني وهي الرسالة التي يعمل عليها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بدأب وفاعلية ، في وقت تواجه فيه المملكة الكثير من التحديات الإقليمية والدولية، التي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تضع المجتمع السعودي أمام مسؤوليته في الحفاظ على قيم الوحدة والثوابت الوطنية . ومن هنا برزت أهمية الحوار الدائم بين شرائح المجتمع، للعمل الجاد والإسهام في قراءة ما يحيش به الواقع من إشكاليات وقضايا. (5)

والخريطة الحوارية التي رسمها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني لا تصنع تضاريس أو أسوارا مغلقة بين اتجاه وآخر، فالمركز يقف على مسافة واحدة بين مختلف الأطياف الفكرية، لأنه يجعل المواطنة أساسا تركز عليه حواراته، ويدعو دائما ، بشكل مباشر أو بشكل ضمني إلى أن يصل الحوار إلى تحقيق مبدأ احترام الرأي والرأي الآخر، والإعلاء من قيم التسامح، وصولا إلى تحقيق التلاحم الوطني وتمتين أواصر التفاعل الاجتماعي بين مختلف الشرائح الوطنية . إن هذه الخريطة الحوارية تشارك في صنعها معظم الأفكار ومعظم التيارات داخل الوطن التي تمحو الأهواء الذاتية، وتعلي من شأن الصالح الوطني العام . ولقد كشفت اللقاءات الوطنية للحوار الفكري التي عقدها المركز طوال السنوات الماضية، كشفت عن الحاجة الملحة للتواصل والتفاعل بين شرائح المجتمع . ففي أعوام ماضية كانت هذه الشرائح تعمل وفق دوائرها المغلقة عليها، كل حسب مجال اهتماماته وتخصصه . مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني استطاع أن يجمع كل هذه المجالات في حوارات حقيقية . استطاع أن يقارب بين المذاهب والتيارات، واستطاع أن يجمع مختلف الفئات في حوار منتظم، فرأينا الأكاديمي إلى جوار المعلم، جوار المحامي، ورجل الأعمال، والطالب الجامعي، جوار الموظف، والطبيب والمهندس، والداعية، والواعظ، والشيخ، والمفكر، من الجنسين .

إن هذه الحوارات أفضت إلى تفاعل كبير، وإلى الوصول إلى قدر كبير من الأفكار والتصورات في مختلف اللقاءات التي عقدها المركز والتي يحتفظ المركز برصدها ووثائقها . حاضنة فكرية ومركز لتوليد الأفكار : لقد نظم المركز وفق استراتيجيته الحوارية عشرات اللقاءات الحوارية الفكرية والدورات التدريبية، وقد شارك في نشاطاته أكثر من 500000 خمسمئة الف مواطن ومواطنة من مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية والعمرية، يمثلون الأطياف الفكرية للمجتمع .

كما بذلت وزارة التعليم جهودا لتوعية الطلاب والطالبات بخطورة التطرف وحرمتها في الإسلام والآثار التي تقع على مرتكبيها وحث المعلمين والمعلمات على توعية الطلاب والطالبات بذلك وتوجيههم إلى الطريق الصحيح وغرس حب الوطن في نفوسهم وان ينتقل التعليم من اسلوب التلقين الى اسلوب الحوار

وقد أصدرت المملكة جملة من الأنظمة والتعليمات واللوائح لاستخدام شبكة الإنترنت والاشتراك فيها بهدف مواجهة التطرف والاقصاء والترحيب بالرأي والحوار .

حفظ السلم الاجتماعي من خلال الحوار

التطرف من اعظم الاسباب التي تخل بالسلم الاجتماعي . حيث تقوم فئة صغيرة متطرفة بالنظر الى المجتمع وانه خرج عن القيم المثالية ويجب محاربتة بكل السبل بما فيها استخدام العنف . والتطرف ظاهرة عالمية ليست قاصرة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على العالم الاسلامي فقد رأينا مؤخرا ما حدث في نيوزلندا من ارباب ضد المسلمين قام به متطرفين بيض . اما أسباب التطرف في العالم الاسلامي فتعود غالبا إلى عدة أسباب من أهمها:

الإعلام - الانترنت - الصحبة السيئة - الجهل بتسامح الاسلام ورحمته بالمخالفين - بعض الأمراض النفسية - المخدرات.

علما أن هناك أسباب أخرى إلا أن هذه أهم الأسباب الفكرية والنفسية للتطرف.

ويعزى انتشار التطرف الى توظيف الجماعات المتطرفة لعاملين أساسيين:

- استغلال العاطفة الدينية والعصبيات عند الشباب والمراهقين وذلك بإظهار الصور المحزنة المستفزة في العالم الاسلامي مثل القتل والحروب والتشريد.

- تضخيم أخطاء الدول والحكام وتوظيفها في خلق الكراهية لمواجهة الحكومات.

ويمكن معالجة التطرف من خلال الحوار على النحو التالي (6)

- تصحيح المفاهيم الخاطئة بطرح الأدلة من القرآن والسنة والواقع والحقائق.

- إعطاؤهم الأصول والأساسيات العلمية التي تحميهم من الوقوع في الانحراف مستقبلا.

- خلق الثقة بين المستفيدين ومحاورهم وذلك بإعطائهم الحرية الكاملة في الحوار والسؤال بكل شفافية ووضوح.

- محاولة إظهار حجم الخطأ الذي وقعوا فيه وذلك ببيان مخالفتهم للأدلة الصحيحة وإبراز ما سيترتب عليه من النتائج والاثار السيئة والخطيرة.

- محاولة إظهار التناقض في أقوالهم وأفعالهم وذلك بسؤالهم عن بعض القضايا المشابهة لقضاياهم التي تورطوا فيها فيحكموا فيها بأحكام أخرى مخالفة ليتبين بذلك خطأهم وبالتالي تراجعهم.

- طرح بعض الأسئلة المتعلقة ببعض الأحكام القانونية أو الشرعية ليتضح لهم افاق الشريعة ورحمتها وعدلها وتسامحها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

- 1- د عادل الشدي 1438
- 2- سلطان حميد الجسمي 2015
- 3- محمد ابوزهرة 2009
- 4- احمد رشيق بكيني 2017

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

5- مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني 2016

6- د محمد الفيبي 1440

المراجع:

1- مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني 2016

دور مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في تحقيق التلاحم والتعايش الاجتماعي

<https://www.kacnd.org/News/NewsDetails/1292>

2 - د محمد احمد الفيبي جهود المملكة في محاربة التطرف والكرهية 1440

<http://kep.org.sa/?p=16973&lang=ar>

3 -سلطان حميد الجسمي الاسلام دين السلام صحيفة البيان 9 مايو 2015

4-د عادل الشدي التبادل الثقافي في الاسلام مجلة التبادل المعرفي العدد السادس ربيع الثاني 1438 هـ

<http://kep.org.sa/wp-content/uploads/magazine/ar/arabic6.pdf>

5- د عبدالعزيز التويجري الحوار من اجل السلام جريدة الحياة عدد 29 سبتمبر 2018

6- د خالد البديوي الحوار وبناء السلم الاجتماعي منشورات مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني الرياض 2011 م

7- محمد المومني السلم الاجتماعي في الاسلام نور للنشر 2018

8 - محمد ابوزهرة تاريخ المذاهب الإسلامي دار الفكر العربي/القاهرة -2009-

9- احمد رشيق بكيني 2017 دعاة التكفير في مستنقع " الاستصحاب التاريخي"

صوت الحكمة مركز للحوار والسلام في الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي

<http://www.oic-cdpu.org/ar/Home>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دور القيم الاجتماعية و الدينية في تعزيز الإرشاد التربوي الأسري وتنمية ثقافة التضامن

في المجتمع الجزائري مقارنة سوسولوجية في مدينة معسكر أنموذجا

ذة. ميموني شهرزاد

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر /دولة الجزائر

مقدمة:

مر المجتمع الجزائري بأزمة تاريخية مختلفة كلها ساهمت في ترفيع هويته الثقافية ، و كان للاستعمار عميق الأثر فتغير بذلك الوجه الجزائري و راح يتخبط في ثنائيات لم يكن يعرف منها سوى أحادية ريف / مدينة ، جماعة / فرد ، عصبية / استقلالية؛ فدخل بذلك مفهوم المدينة بكل ما يحمله من تناقضات .

ولمّا كان الدّين الإسلامي هو الدّرع الواقى لهذا المجتمع وثلاثية ابن باديس "الجزائر وطننا العربية لغتنا الإسلام ديننا" إرثا ثقافيا صعّبت مهمّة التناقضات و غدت الطريق وعرة أمامها.

ما يهّمنا هو ما مدى تجذر مفهوم الجماعة في مقابل مفهوم الفرد ، ومفهوم العصبية في مقابل مفهوم الاستقلالية ، و القيم الدّينية في مقابل القانون، وما حدود قيمة التعاون في ضبط السلوك الفردي والمحافظة على العلاقة العصبوية ؟ أم أنّ الأمر توفيقى بين هذا و ذاك؟

تحتل القيم الدّينية مكانة هامة في حياة الأفراد فهي بمثابة المعيار الضابط لسلوك الأفراد في المجتمع ، إذ تقاس المجتمعات بدرجة تمسكها بالقيم الدّينية خاصّة على المستوى الممارساتي التعاون قيمة دينية اخترناها لتكون محكّا للدراسة و معرفة مدى ارتباطها بالفضاء المديني المعسكري.

وهذا ما يعطي الموضوع أهمية القيم الدينية من جهة خاصة التعاونية منها وارتباطها بالمدينة كفضاء حضري.

اعتمدنا على خطة تضمنت مقدمة عامة تحتوي على أهم أيقونات الموضوع :

- القيم الدينية.
- سوسولوجيا المدينة
- التعاون و العلاقات الإنسانية عند ساكنة مدينة معسكر
- الفردية و العلاقات اللاشخصانية عند ساكنة مدينة معسكر.

-الإشكالية:

أحدث الاستعمار الفرنسي في مجتمع الجزائري نوع من النقلة النوعية في ظل حملاته التحديثية التطويرية برز مفهوم الفرد بكل معاني الاستقلالية والاستحقاقية فتغير بذلك وجه المجتمع من المجال العام إلى المجال الخاص.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالمجال العام يقوم على القيم الدينية التعاونية نابعة من النص الإسلامي قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة 02) إلى مجال خاص قوامه الفردانية، المصلحانية، الاستقلالية، فكيف إذن يلتقي العام بالخاص على أرضية مدنيّة؟ هذا ما يستوقفنا لطرح التساؤل الإشكالي التالي: ما مدى مزاحمة التعاون كقيمة دينية فردية والاستقلالية كقيمة مدنيّة في المجتمع الجزائري؟ كيف تساهم الأسرة من خلال ارشادها التربوي في تعزيز ثقافة التعاون؟

1- الفرضيات:

- 1- إذا كانت المدينة مفهوم غربي بامتياز، أساسه الفردانية والاستقلالية فإن التعاون كقيمة دينية متجذرة في النص الإسلامي تقوم من خلاله ساكنة المدينة بممارسته و تفعيله في المجتمع.
- 2- تساهم الأسرة من خلال تنشئتها الاجتماعية وإرشادها التربوي على غرس قيمة التعاون في أفرادها باعتبارها خلفية مدنيّة، قوامها الفردانية.

أهداف الدراسة:

- 1- إبراز ثقافة التعاون كقيمة دينية مقتبسة من النص القرآني وطريقة تفعيله في المدينة.
- 2- مكانة الأسرة ودور وسائطها التنشئية في الإرشاد التربوي وتعزيز ثقافة التعاون داخل المدينة
- 3- تسليط الضوء على المدينة باعتبارها ظاهرة حضرية، يمارس فيها قيم متنوعة، على رأسها القيم الدينية (التعاون)
 - المنهج: تم اختيار المنهج الكيفي نوعه وصفي تحليلي لأنه الأنسب لهذا النوع من الدراسات.
 - تقنيات البحث: الملاحظة المنظمة و المقابلة النصف موجهة.
 - جتمع البحث: إن مجتمع بحثنا هو منطقة "عين البيضاء" بمدينة معسكر دولة الجزائر.
 - العينة: تم اختيار عينة متكونة من 20 حالة من بينهم 09 ذكور و 11 أنثى تم اختيارهم وفق أسلوب المعاينات الغير الإحصائية، نوعها قصدية.
 - البعد المكاني: مدينة معسكر - دولة الجزائر.
 - المقاربة النظرية: الوظيفية.
 - النظرية الوظيفية السوسولوجية: تركز على دراسة الوظيفة السوسولوجية للأنساق والبناءات السوسولوجية مهما كان حجمها Marco Micro Analise رّودها " براون مالنوفسكي، باريتو، بارسونز، ليفي ستروس، ميرتون، هومانز"
 - ركزوا على دراسة الأنساق أو المجتمعات الكبيرة، بينما تندرج كتابات كل من "ليفن" "زاندر" في دراسة المجتمعات الصغيرة، لكن كتابات "روبرت ميرتون" R.Merton تندرج ضمن ما أسماه بالنظريات المتوسطة والتي تجمع بين النظريات الكبرى والصغرى²

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

4- تحديد المفاهيم:

- في هذا العنصر المتعلق بتحديد المفاهيم سنعرّج على أهم المفاهيم وهي كلمات مفتاحية في رحلتنا البحثية هذه:

- قيم دينية Valeurs Religieux

- مدينة La ville

- مدينة إسلامية Ville Islamique

- مجال L'espace

- ممارسة Pratique

- ساكنة Habitants

- تعاون Corporation

- **القيم الدينية valeurs Religieux**: هي القيم المنبعثة والمؤسسة على أساس ديني، فهي اهتمام الفرد بمعرفة ما وراء العالم الظاهري، لأنه يريد معرفة أصل الإنسان ومصيره، ويرى وجود قوة خفية تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، ويحاول الارتباط بهذه القوة بصورة معينة¹. فالأشخاص المتميزون بهذه القيم الدينية يقتنعون تماما بوجود الإله، كما أنهم ينفذون تعاليم دياناتهم بدقة، تنقسم القيمة الدينية إلى شقين أساسيين أولهما عقائدي وثانيهما تنفيذي² في القرآن الكريم يقول تعالى: "فيها كتب قيمة" سورة البينة الآية 3³ "الدين القيم" سورة البينة الآية 4⁵، وبالتالي فالإسلام كدين يعمل على إعلاء راية القيم وجعلها في قمة النسق القيمي.

- المدينة: la ville

يعالج مصطلح المدينة سوسولوجيا على أنه مرادف لـ cité، ترى أن المدينة تعمل ذلك الحس التاريخي، وفي الوقت الحاضر هناك نوع من التجزئة أو التفرقة النوعية⁵ يعرف "Muriel Montero" "la ville" المدينة على أنها من Village لكنها ليست من ذات المعنى فهي من طبيعة مختلفة، يمكن تعريفها كمكان للإقامة، أين تعيش مجموعات تمتهن مهن مختلفة، ثم هي مجال مقسم: أماكن عامة، مقدسة وأخرى خاصة⁶، والمدينة في التعريف السوسولوجي الغربي عند M. Weber قائمة على عقلانية وسائلها أساسها الاستحقاقية والكفاءة والأشخاصانية، تخصص وتقدم في التخصصات.

¹ - ثريا التيجاني: القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري- دار الهدى عين مليلة- الجزائر- 2011- ص 69.

² - محمد شفيق: البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية- المكتب الجامعي - مصر- 2005- ص 159.

³ - القرآن الكريم.

⁴ - القرآن الكريم

⁵ - Madeline Grawitz: lexique des sciences sociales- 7e éditions Dalloz-2000- p62.

⁶ - Muriel Montero: la ville - collection dirigé par pierre le Guèrinel - Ellipses 2dition Marketing S.A Paris- 2002-p07.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- يطرح هشام جعيط من خلال "الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية" على أن المدينة الإسلامية لها مميزات وخصائص مختلفة انغلاق الدار، توجد الأماكن العمومية بالمركز انقسام المدينة إلى أحياء. فالرؤية القديمة تنفي عن الإسلام وجود حياة حضرية حقيقية¹ إلا أن المدينة العربية الإسلامية هي نتاج تمازجات حضارية مختلفة. إلا أن دراسة المدن الإسلامية في العصر الحديث ارتبط بحركة الاستشراق، وتضاربت آراء الباحثين حوله، فمنهم من رأى أن الحضارة الإسلامية ضد التمدن ومنهم من اهتم بإبراز دور الإسلام في تاريخ التمدن "فلومبارد" أشاد باهتمام الإسلام بالتمدن وازدهار التمدن الإسلامي، "جانيت" تبين أن الإسلام دين تمدن، وإشارة للربط بين المدينة والإسلام عرج على التعريف الفقهي للمدينة.

أكد "سبنسر" أن إنشاء المدن علامة على تمسك المسلمين بدينهم الفريد بخصائصه مظهر المدينة الإسلامية يتمثل في نوع السكن "بيت مقام على عدة أدوار تحيط بالفناء المركزي، وفي الغالب ما يكون ملحوق به بركة ماء، ومواجهه للدخل بعيدا عن ضجيج الحياة العامة وجلبتها، أما شكل البيت فكان يتماشى مع متطلبات المناخ والحياة الأسرية والعقدية الإسلامية"²

سنعرض فيما يلي مفهوما ذا صلة بمفهوم المدينة، وهو مفهوم "المجال" أو ما نجده تحت اسم آخر الفضاء" وهو واحد من المفاهيم المتداولة في مجال البحث المدني.

المجال: l'espace

رأى Henri lefebvre رائد الطرح المجالي أن دراسة المجال "ما هي إلا دراسة للمجال الاجتماعي الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزيولوجية التي تنظم علاقة الجنسين أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج بتقسيمات العمل وتنظيماته فالمجال إذن ذو وظائف اجتماعية متراصة".

- بنظرة جغرافية Lacoste لا يعبر عن المجال بـ "الإستراتيجية" فالمجال الفيزيقي هو مكان للتصارع تسعى المجموعات المتناحرة للسيطرة عليه ولتنظيم مختلف القوى الاجتماعية فيه".

- بنظرة أنثروبولوجية P. Bourdieu يعبر عن المجال "مجرد مجموع فرعي تابع لنسق اجتماعي كلي محكوم بنفس القوانين الاجتماعية ومترابك بصفة لصيقة مع العوامل الأخرى الخاصة بذات البناء الاجتماعي" رأى M.Castells أن نظرية المجال جزء ضمن نظرية اجتماعية شاملة" أما علماء الاجتماع الحضري بفرنسا أمثال Maffesoli ، Rémy, Javeau, Cholas, Noschis يؤكدون على "اجتماعية البنى المجالية بدلا من مجالية البنى الاجتماعية"³ من جهته عبد النور جلولي* في نسجه الخيوط "المدينة الغائبة" la ville

¹- هشام جعيط: الكوفة "نشأة المدينة العربية الإسلامية" - دار الطليعة - بيروت - ص ص 146-152.

²- لوجلي صالح الزوي: علم الاجتماع الحضري - ط1 - دار النهضة العربية بنغازي - 2002 - ص ص 193-194-198.

¹- مختار مروفل: الرابط الاجتماعي وعلاقته بالمكان - قراءة سوسيو مجالية في مشكل هذه الرابطة بالجزائر - منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية 2008

* - مهندس معماري، مهتم بالسكن الاجتماعي في الجزائر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

absente يطرح جملة مفاهيم ذات صلة "بالمجال": ترك المجال abandon de l'espace، حرّية المجال
séparation de l'espace¹، التفرقة المجالية، libération de l'espace
-المجالية spatialité يقول عنها "Florence Haegel" و "Jacques Levy" من خلال مصنفهما
"Une lecture spatiale des identités" أنها مأخوذة من كلمة Espace هذه الأخيرة التي تعد بمثابة
خران رئيسي

- الممارسة: **pratique**

"l'habiter comme pratique des lieux" * من خلال مصنّفه Mathis stock
"géographique" يعطي للممارسة صيغة جغرافية فيربطها بالسكن Habiter يقول أن ممارسة الأماكن
تظهر انطلاقاً من منبعين عظيمين:

- (1) - Michel de Certeau (1990) الذي يركّز على فكرة محورية هي أن المجال هو إطار ممّرس
l'espace est un lieu pratiquer يقول المكان يصبح فضاء إذا دخلت عليه الممارسات.
- (2) - المنبع الثاني يظهر من خلال تساؤلات Werlin (1996) الذي يهتم بـ "ممارسة الترسّخ في العالم مع
مواضيع معنية تضعها في علاقة مع العالم"
بالنسبة لـ M. Stock مجموعة الممارسات التي يقوم بها الفرد تعرف بـ "نمط الإسكان" ويضيف أن الفرد لا
يسكن فقط في المكان الذي يسكن فيه فمهما كنت ممارسته للأماكن فهي تساهم في الإسكان²
فكيف ستبتدئ إذن ممارسات الأفراد العسكريين؟ ، أين سنصنّفها في الجانب المدني أم الديني؟ أم أنها خليط
من هذا وذاك؟

- ساكنة **les habitants**: أولاً لا بد من الإحاطة بمصطلحات ذات علاقة habiter, habitat

Mathis Stock من خلال مؤلفه السابق: على أن مصطلحات "Habiter" و "Habitat" لهما استعمال
مشترك في الجغرافيا.

Habiter هو امتلاك سكن والعيش فيه.

Habitat هو المكان الذي نشغله، نعيش فيه، نعطيه معاني، يصبح مكان مألوف لنا بمعنى آخر هو ترتيب
السكن به نميز بين السكن الحضري والريفي وبطريقة أكثر كلاسيكية habitat هو "مجموع وترتيب السكنات"
في الدراسات المعاصرة للجغرافيا الحضرية أو السوسيوولوجيا الحضرية يعرف "habiter" شغل سكن أو "إقامة"
السوسيوولوجيا الحضرية في سنوات 1960 قدّمت عدّة دراسات مهمّة حول أنماط السكن مقارنة بالتجمعات

¹Abdenour Djellouli : La ville absente – Esprit Saniter 1995 –pp.48.61

* جغرافي، مهتم بالسكن والإسكان وممارسة الأماكن.

³- Mathis stock: l'habiter comme pratique des lieux géographique – Espaces temps.net textuel, le
18/12/2004, <http://espaces temps.net/document1138, html> pp 1 – 12.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

السكنية الكبرى فمسألة السكن لها مميزات فليس كل من هبّ ودبّ يسكن. بالنتيجة "السكان" أو "السكانة" les habitants هو الذين يقيمون في مكان ما وبالتالي هذا الوضع يخوّلهم بمجموعة من الحقوق كالمشاركة في الاقتراع وتأدية واجب "الوطنية"

تعرف "ليتابان" lita Bane "خبيرة الإسكان بمجال العلوم المنزلية في الهند، المنزل: أنه المكان الذي يقيم فيه أفراد تربط بينهم روابط حب وتعاطف وهو المكان الذي تنبع منه علاقة المحبة بين الأبوبين وبين كل فرد في الأسرة التي تسعد بها الأطفال والكبار، وهو المكان الذي تتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالراحة والخصوصية والذي يشعر فيه بالأمان، وهو المكان الذي يسعد فيه الفرد بممارسته هوياته أو هو المكان الذي يحفظ فيه الفرد خزنة ماله، وهو المكان الذي يشبع فيه الفرد فرديته ويرضى بها، وهو المكان الذي تحفظ فيه الثقافات الأساسية ومكوّنات العادات واللغة والتقاليد ثم تتناقل للصغار، وهو المكان الذي يشعر فيه الفرد باحترام الآخرين والوفاء والإخلاص والأمانة وأشياء أخرى، يشعر ويستمتع بها الفرد. إنّه مصدر العطاء والوفاء ومكان لممارسته الهويات والخلق والإبداع" فالسكن هو رمز الهوية الشخصية والأسرية¹

7-7 التعاون Corporation

هو عملية اجتماعية تمثل شكل من أشكال العلاقات والتفاعل داخل الجماعات، وهو اشتراك فردين أو أكثر في انجاز أو تحقيق غاية أو مصلحة مشتركة. التعاون كمفهوم له ارتباط بمفاهيم مختلفة كمفهوم التضامن، هذا الأخير الذي يحمل معنى التأثير والتأثر، فهو عند بعض علماء الاجتماع نوعان:

ميكانيكي أي آلي فيه يندمج الفرد في مجتمعه ويأخذ بعاداته وتقاليده، وعضوي يقوم على تقسيم العمل وبالتالي الالتزام بالوظائف والواجبات، حيث يقول "ليون بور جوا" عن التضامن "أن الشخص يولد وعليه دين المجتمع الذي يدخل فيه، وهذا الدين الذي في ذهنه نحو الحاضر يتحتم عليه أن يدفعه للمستقبل وذلك بعمله على زيادة الأموال المادية والمعنوية التي ستخلف للأجيال القادمة"²

القيم الدينية و الإسلام :

يعد الإسلام من أقوى الصّوابط الاجتماعية التي تجعل الناس يلتزمون بالقيم الحميدة والأخلاق الفاضلة، هذه القيم و الأخلاق هي مصدر الممارسات و الأفعال و مختلف العلاقات، فالتزام المسلم بقيم الصدق والأمانة والإيثار، فهذه القيم لا تحدّد طبائعه الأخلاقية فحسب بل تحدّد أيضا سلوكه وعلاقاته وتفاعلاته وسط الجماعة والمجتمع. عادة تنبعث القيم والأخلاق من عدّة مصادر أهمّها الدين والتراث والعادات والتقاليد الاجتماعية والواقع الاجتماعي، فموضوع القيم في الإسلام هو حملة المبادئ والقواعد الأخلاقية والتي من خلالها يتحدّد الحسن و القبيح والعدل و الظلم و الحرّية و المساواة والعدالة ...

¹ - عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية - ط1 - دار النهضة العربية بيروت - 1999 - ص 169-170.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الدين والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع الديني" - مركز الإسكندرية للكتاب - 2004، ص 148-149.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالدين الإسلامي على الوجه العام هو تلك الصلة بين الفرد و ربه، اجتماعيا هو تلك الصلة بين الفرد و من حوله من أفراد، من خلال هذه الصلة يتبين مدى نظر الفرد لمصالحه الخاصة دون إهمال نفسه، و مدى مآثرته للآخرين، قيمة الإيثار، وتغليب المصلحة العامة وهذا من خلال قيمة "العدل".

قياسا على المجتمع الجزائري ضعف قيم العدل فيه قلب الموازين، حيث انتشرت آفة اللصوصية " السرقة"، انتشار العنف، و بالتالي غياب العدل الذي يحث عليه الدين دليل على ضعف الوازع الديني.¹

فالإسلام بقيمه الدينية السّمحاء من حرّية ومساواة وعدالة، يلتقي مع الديانة اليهودية، هذه الأخيرة التي تؤكد على قيمة العمل من خلال " المتراخي في عمله هو أخو المسرف"، التأكيد على قيمة الصداقة قيمة العدل.

وكذا مع الديانة المسيحية من خلال قيمة التسامح، حيث يقول المسيح عليه السلام: " أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، و صلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم". قيمة المساواة من خلال المبدأ القائل " ما لقيصر لقيصر و ما لله لله".²

1-4- أهمة القيم الدينية :

على اعتبار أنّ القيم الدينية بناء نظري وسلوك وعمل تطبيقي، فإنها ذات أهمة بالغة في حياة الفرد والمجتمع، أهمة لا يمكن تجاهلها سواء على مستوى الفكر أو على مستوى التطبيق، سنطرحها في السطور الموالية.

يذكر محمد كامل حتة بعضا منها من خلال مؤلفه، " القيم الدينية والمجتمع" فثبات القيم الدينية لا تغيّرها ولا تبدلها هي جوانب هامة لها تأثيرها على حياة الإنسان و لها أهمةيتها في تأطير أساليب تفكيره ومعيشته.

إضافة لهذا يقول بأهمية القيم الدينية في تنظيم حياة الفرد والجماعة، مواكبتها للتطور، تطوّر حياة الإنسان واختلاف صور المجتمع. المساواة بين البشر، وإقامة العدل، والإحسان قولاً وعملاً، التّهي عن الفحشاء والمنكر، فالقيم الدينية هي تنظيم للحياتين الدينية والدينية. مواكبة التطور فهي لا تتبدل بتبدل الأمور الناتجة عن الحركة التنموية بل حتى أنّها هي التي تحدّد مسار هذا التطور.³

ومن هنا يكون الباحث قد عالج جوانب مهمّة من القيم الدينية تتعلق بمسار التطور والتغيّر، وعرضها للجانب التنظيمي. يشدّد إميل دوركايم من جهته على أهمية القيم الدينية و تعزيز جانب التّضامن و التماسك بين أفراد المجتمع من خلال ارتباطها بالشعائر الاحتفالية.⁴ فالقيم الدينية بهذا تساعد على تحقيق نسقية المجتمع، تمارس نوع من الضبط على السلوك الإنساني.⁵

¹ - ثريا التيجاني: القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري- دار الهدى عين مليلة- الجزائر- 2011- ص ص 101-102.

² - يعقوب المليحي: الأخلاق في الإسلام" مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية- مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية- 2003- ص ص 210-211-216.

³ - محمد كامل حتة: القيم الدينية و المجتمع- دار المعارف القاهرة - 1983 - ص ص 242-243-245-247.

⁴ - أنتوني غدنز : علم الاجتماع- ترجمة : فايز الصباغ- ط4- مركز دراسات الوحدة العربية - ص 585.

⁵ - محمد أحمد محمد بيومي : علم الاجتماع الديني و مشكلات العالم الإسلامي - دار المعرفة الجامعية الأزاريطة - 2003 - ص 396.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كمال الفرد على المستوى البدني، النفسي والاجتماعي غاية القيم الدينية من خلالها ينمو لدى الفرد الشعور بالعزة والقوة والوعي بالانتماء للجماعة والخروج من دائرة التشاؤم والانعزال، فاجتماعية الفرد بذلك هي هدف القيم الدينية.

حتى في المجتمعات العلمانية التي تفصل بين الدين و السياسة تبقى للقيم الدينية مكانتها وأهميتها، فهي تتغلغل في أعماق الأفراد، من خلالها يفتح باب حرية ممارسة الشعائر الدينية.¹

تمارس القيم الدينية نوع من التأثير على التغيير الاجتماعي والثقافي، وعليه هناك نوع من التأثير والتأثر بين القيم الدينية و التغيير الاجتماعي فكلاهما ضروري للثاني.

و في هذا الصدد نجد ماكس فيبر M. Weber الذي أكد على أهمية القيم الدينية في دعم الفعل الاقتصادي، فمن خلال عمله الشهير " الأخلاق البروتستنتية" طرح سؤال هام: ما مدى تأثير القيم الدينية للإصلاح البروتستنتي خاصة الاتجاه الكالفيني على تطور الرأسمالية الحديثة؟. و بالتالي بين فيبر كيف أنّ القيم الدينية الكالفينية أدت وسهلت ظهور المجتمع الرأسمالي الحديث. فحس فيبر بعق العلاقة بين الأخلاق البروتستنتية والروح الرأسمالية ليجد أن La rationalisation الترشيده هو ما يميّز الرأسمالية الحديثة.²

نحن هنا نتكلم عن القيم الدينية في فترة تاريخية حوالي القرن 17، 18، فالبروتستنتية الكالفينية هي حركة دينية إصلاحية قام بها كل من مارتن لوثر في ألمانيا وجون كالفن في فرنسا، تتميز بتوجهات اقتصادية : الاعتقاد بالله وبالحياة الأخرى، والأقرب إلى الله هو ذلك الذي لا يبدر أمواله ويحافظ عليها ويستثمرها للصالح العام.

فكالفن يقول: "إن الله يعلم مقدّما من سوف ينقذ، ومن سوف يستمر في العذاب الأخروي، فلا إقامة الشعائر و لا مجهود الأفراد سيغير ما قرره الله".³ فالكالفينية بذلك بقدر إيمانها بالمبادئ السالفة الذكر تؤمن تماما بفكرة القضاء و القدر.

عموما فيبر قد أثبت أنّ القيم الدينية لها تأثير على النشاط الاقتصادي ، لذلك نحن كباحثين نجد أنّ القيم الدينية في غالبها تُربط بالبروتستنتية الكالفينية والرأسمالية الحديثة، وهذا دليل على أهمية عمل فيبر رغم أنه قد وقع في فترة تاريخية تنتسب للماضي. وعليه في رأينا المتواضع فعمل ماكس فيبر " الأخلاق البروتستنتية والروح الرأسمالية" يعدّ مرجعية هامة Réference إن لم نقل مصدرا للقيم الدينية وجب الوقوف عليه لإضفاء نوع من العلمية أكثر La scientificité على الموضوع.

ودون أن ننسى أهمية القيم الدينية في الإسلام و كيف أنّها تمارس تأثيرا على أنساق القيم الأخرى، فالقيم السياسية يجب أن تؤسس على القيم الدينية و الحرب واجب ديني، و النظم التعليمية تعكس القيم الدينية الإسلامية، و كذا

¹ - إسماعيل عبد الفتاح الكافي : موسوعة القيم و الأخلاق الإسلامية - مركز الإسكندرية للكتاب - 2005 - ص 41 - 42.

² - محمد أحمد بدوي : علم اجتماع القيم - مرجع سبق ذكره - ص 137 - 144 - 145 - 148.

³ - طارق كمال : أساسيات في علم الاجتماع الديني - مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية - 2009 - ص 130.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الفنون، الآداب، النشاط الاقتصادي، فكل الأنشطة تؤسس على القيم الدينية.¹ بتحليل وظيفي لهذا فالقيم الدينية في الإسلام تتساند وظيفيا مع أنساق القيم الأخرى، وهذا كله لتأكيد نسقية التسق الكلي " الإسلام ".
و تأكيداً لهذا كتب " فون جرونوم" Von Grunebaum مقالا يؤكد فيه على أهمية القيم الدينية في المدن الإسلامية، فالقيم الدينية حسبها لها تأثير واسع على مختلف أنواع النشاطات للحياة الحضرية، فقد استنتج أنّ الصلاة التي تقام يوميا بشكل روتيني 5مرات و صيام شهر رمضان كاملا، فهذا دليل على تأثير القيم و المعتقدات في طابع الحياة الحضرية.²

مواكبة التطور، مسايرة التغيير، تعزيز التضامن و التماسك بين أفراد المجتمع، تحقيق نسقية المجتمع من خلال كمال التسق الفرعي المتمثل في وحدة الفرد على مختلف المستويات، أخطبوطية القيم الدينية مع مختلف أنساق القيم الأخرى، علاقتها مع الفعل الاقتصادي هذا ما أكد عليه ماكس فيبر من خلال عمله " الأخلاق البروتستنتية و الروح الرأسمالية"، حيث أثبت مدى فاعلية البروتستنتية الكالفينية في نمو الرأسمالية الحديثة، ليصبح بذلك ماكس فيبر مرجعاً هاماً للقيم الدينية. أهمية القيم الدينية في الإسلام، هذه كلها جوانب عزّزت من أهمية و مكانة القيم الدينية.

ما سنحاول طرحه من خلال هذه النافذة البحثية المتواضعة ليس القيم الدينية بصفة عامة بل واحدة من هذه القيم الدينية و هي قيمة التعاون. وظيفيا ما عملت على تأكيده وتعزيزه هو القيم الدينية بصفة عامة، والذي من خلاله أثبتت أهميتها هو بالتأكيد شيء ينطبق على مختلف الأنساق القيمية الفرعية بما فيها قيمة التعاون. و نظرا للأهمية النسقية لقيمة التعاون نحن نؤكد على و نحاول تأكيد تلك الأهمية و وظيفتها النسقية في ظل التسق الكلي " القيم الدينية".

التنشئة الدينية و ترسيخ القيم التعاونية :

تعمل الأسرة بغض النظر عن نمطيتها على تثبيط قيمتها التنشئية الاجتماعية السياسية، الدينية، و بالارتكاز على الإسلام يتم تمرير ترسانة من التشريعات و القيم الدينية تكوّن للفرد و تبني شخصيته الدينية - على الخصوص - الناشئة و التي تمكنه من التفاعل.

و لما كانت القيم الدينية قوام المجتمع كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول مثلا للتحاب والتعاضد و كانت العلاقات بين الرعاة و الرعايا قائمة على الإعزاز و الحب لقوله صلى الله عليه وسلم: " خَيْرُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَ يُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ" (المنذري).

1- محمد أحمد محمد بدوي : علم اجتماع القيم - مرجع سبق ذكره - ص 132.

2- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع الحضري مدخل نظري - دار النهضة العربية - بيروت - ص 60.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

و هذا دليل على صفاء النفوس و إقامة العدالة و نجاح الرسالة العامة التي يتعاون على إتجاحتها كل الأفراد .
فالإسلام يُأخي بين المسلمين، إزاء تدهور من خلاله عراقة النسب الإنساني².
الإخاء، التّحاب، التّعاقد، التّعاون، قيم دينية ساهمت في تأكيد عراقة النسب الإنساني.
فما مدى تأكيد و تعزيز قيمة التّعاون في نفوس الناشئة ؟ .

الرابط العصبوي بالمفهوم الخلدوني - الجماعي يتأكّد من خلال إرساء عامل الزمن فكّلما كان الزمن طويلا كان هذا كفيلا للتعايش بين الأفراد، التآلف، و من ثم التّوادد و تضييق مختلف القيم الدّينية التّعاونية.
و من خلال العنصر الشبائي يتم تفعيل القيم التعاونية، الشباب الدّين يقول عنهم ليفي ستروس من خلال مؤلفه "المتوسّط الحزين"، أرى في أعين الشباب النّار و الكبار الهدوء".
و بالتّالي من خلال هذا العنصر نكون قد وضّحنا وصمة الشباب، ثورتهم و غيرتهم على قيمهم الدّينية.

- الجيرة و الضرورة الوظيفية :

يشير مصطلح الجيرة إلى " جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها، و يسودها إحساس بالوحدة و الكيان المحلي، إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة و أولية و وثيقة و مستمرة نسبياً".¹

قيمة التعاون من خلال الولائم و الجنائز :

فالإسلام هو الزاوية التي من خلالها تبعث مختلف القيم الدّينية بما فيها التعاونية و في مختلف المواقف المناسبة. الولادة، الختان، الأعراس، الجنائز، هي محطات عمرية يمرّ بها الفرد، طقوس عبور بالمنظور الأنتروبولوجي، و هي تعبير اجتماعي عن الشعور الدّيني بالمنظور السوسولوجي، تحتاج إلى التحام اجتماعي كتعبير عن استتباب الضّمير الجمعي بمفهوم دوركايم. فالجيرة ليست مجرد سكّانات متجاورة إسمنتياً، فلو كانت كذلك لكنّا كمجتمع أعطيناها مصطلحاً يليق به، فالجيرة أعمق من ذلك فهي مجموع علاقات اجتماعية تربط بين الأفراد.
تكوّنت هذه العلاقات لأنّ الفرد بطبعه اجتماعي لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين وحيداً.

يقول Raymod Ledrut أن التّجاور السّكني هو "إقامة السّكان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السّكان غالباً ما يتعاشرون و يتزاورون و يتعاونون فيما بينهم" في شتى المجالات و من ذلك الحاجة إلى استعارة كمية من السّكر أو الملح أو القهوة أو الزيت و غيرها في أثناء إعداد الوجبات الغذائية و استعارة بعض الأدوات المطبخية أو الحاجة إلى من يرعى طفلاً فترة وجيزة لا اضطرار الأمّ إلى الخروج لسبب طارئ، و هم يشتركون معا في الأفراح و الأحران و في السّراء و الضّراء إلى غير ذلك.

فالمحافظة على علاقات طيبة مع الجيران و زيارتهم و تقديم يد العون لهم في مختلف المناسبات و المجالات كان و لا يزال واجب ديني لدى الشّعوب العربية و الإسلامية في حالة غياب أب الأسرة ينوبه جاره¹.

² - محمد الغزالي : هذا ديننا - ط3 - دار الشروق - القاهرة - 1992 - ص 178 - 179.

³ - السيد عبد العالي السّد: دراسات في علم الاجتماع الحضري - ج1 - دار المعرفة الجامعية الأزاريطة - 2008 - ص 263.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأفراح و الأحزان هي ظروف تبيّن مدى انعكاس العصبوية- بالمفهوم الخلدوني- و بغض النظر عن الانتماء المكاني يبقى الإسلام دائما هو الوازع و الرابط بين الأفراد.

و يبقى المسجد هو المكان المقدّس الذي يحافظ على روح التضامن بين الناس و المنبع الرئيسي للقيم التعاونية. و يبقى الجار القريب أقرب من الأخ البعيد في مختلف المواقف المناسباتية و خاصّة ما تعلق منها بالولائم و الجنائز.

التعاون في مناسبات مشتركة كالأفراح مثلا هو تعاون تابع عن خلفيات دينية يقول بورديو- ليعمّ بذلك الفرح الكلّ، فهذا يؤسّس بطريقة أو بأخرى " عائلة كبيرة" تجمع بين أفرادها رابطة الأهلية و العصبية، أهل رغم انعدام وجود علاقة قرابة حقيقية بينهم.¹

- رمزية الأطباق المتبادلة عند الساكنة :

تبادل الأطباق بين الجيران يقلّص المسافات بينهم و يفتح الباب على مصرعيه فتتلخص بذلك كلّ العائلات بغض النظر عن حجمها في عائلة واحدة كبيرة بقيم تعاونية، قيم الألفة، التسامح. بتحليل سوسيولوجي "الصحن" هو رمز لبعث روح التآلف بين الأفراد، فيه و بفضلته تعرّفت عائلات و تواصلت اجتماعيا، و أعطى للفضاء الاجتماعي الذي يسكنه صبغة اجتماعية باعثة للقيم التعاونية. و من هنا يتّضح أن ساكنة معسكر تشبّثت بالقيم التعاونية التي تعكس صورة الإسلام، من خلال البعد الممارساتي.

سوسيولوجيا المدينة:

المدينة هي نتاج تطور تاريخي، فقد أدخلت عنصر جديد في العمليات التاريخية ذلك أن الإنسان قد اعتمد طريقة جديدة للحياة لا تعتمد على الزراعة من الصعب جدا تتبع المدن تاريخيا لأن الحقائق المتصلة بالمدن القديمة لها طابع أركيولوجي، وبعض المدن لها تاريخ غير معروف كمدن الشرق الأوسط حيث تقول "جينفيرسكيرز" في مؤلّفها "الثقافة الحضرية في مدن الشرق" أن الامتداد التاريخي لمدن الشرق العتيقة تعود جذورها لما قبل الإسلام، وأن نموها مرتبط بانتشار الإسلام

سنتناول من خلال هذا العنصر ستكون ما قاله Grafmeyer* عن علم الاجتماع الحضري من خلال مؤلّفه "Sociologie urbaine" على أن هذا الفرع يعني بـ دراسة المساهمات الفضائية أو المجالية، الممارسات الاجتماعية في النطاق الحضري، تنظيم المدينة" ويضيف في موضع آخر علم الاجتماع الحضري ليس كل ما يجري في المدينة بل هي كل ما يتعلق بالأجزاء "كالعائلة، التربية..." تركّز على البعد الحضري لمختلف مشاهد الحياة

¹ . محمد بلحاجي : الأسرة الجزائرية المعاصرة بين النبات و التغير في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمنطقة الغزوات- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع -جامعة وهران - السانيا - 2011- 2012- ص 161.

¹- Pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie - 8e édition des presses universitaires de France Novembre 2001- p55.

* فرنسي مختص في علم الاجتماع الحضري

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الاجتماعية". هي دراسات كثيرة التفت حول دراسة "المدينة" وجعلت منه موضوعا سوسولوجيا بامتياز يحتاج للاهتمام منهم Max Weber الذي ألف سنة 1921 المدينة ذات البعد التاريخي، حدد مختلف مميزات المدينة الاجتماعية الثقافية الاقتصادية.

تصنيف المدن:

المدينة ظاهرة قديمة ترجع إلى ما يقارب 8000 سنة، نتيجة التعقد الاجتماعي وعليه تختلف وظائف المدينة باختلاف الزمان، ولكل مدينة شخصيتها المستقلة عموما هناك عدة تقسيمات وتصنيفات للمدن سنحاول ذكر البعض منها:

1- تقسيم المدن من حيث الحجم:

يعدّ هذا النوع من التصنيفات من أبسط الأنواع، ومع هذا فنادر ما يستعمله علماء الاجتماع عدا عند تفريقهم بين الريف والحضر، فمن خلاله أوضح Mann الاختلافات التقليدية بين الريف والحضر في بريطانيا وقسم Duncan و Reiss المدن الأمريكية إلى 11 نموذج حسب الحجم هذا إضافة إلى تصنيفات أخرى. فيما يلي ذكر البعض تلك التقسيمات التي تعتمد معيار الحجم:

- المدينة الصغيرة: تتميز عن القرية وعن المدينة بموقع حضري يسيطر على المنطقة الريفية الواقعة على بعد منه هي مقر الحكومة والمركز الديني للبلاد تمارس المدينة الصغيرة نوع من التجارة البسيطة الداخلية، تفتقد رغم هذا للتقسيم الواضح للعمل.

- المدينة الصناعية: تتميز بتقسيم العمل، تتمتع بموقع حضري يسيطر على الإقليم بريفه وحضره.

- المدينة العظمى أو الكبرى métropolitain تقريبا لها نفس خصائص المدينة الصناعية.

2- تقسيم المدن من حيث عدد السكان: طبقت هذا التقسيم معظم الدول في تقسيماتها الإدارية، فرنسا مثلا: يعيش كل مجموعة من السكان في مركز واحد يشكلون تقريبا ألفين نسمة أو يزيد قليلا، فهي بهذه النسبة تعد مجموعة حضرية، في حين كل مركز يقل عدد سكانه عن هذا الرقم يعتبر قرية ذات انتماء ريفي.

لايرلندا نسبتها الخاصة بها، فكل مجموعة يبلغ عددها 100 نسمة تعتبر مركز حضري¹

يعد هذا النوع من التقسيمات من أسهل وأشهر أنواع التقسيمات، أين تقسم المدن إلى 4 فئات: 1- مدينة صغيرة، 2- مدينة متوسطة، 3- مدينة كبيرة، 4- مدينة كبرى²

3- تقسيم المدن من حيث تطورها التاريخي: المراحل التاريخية المختلفة قد تركت آثارها على المدن من حيث طرق البناء وطرق حياتها المختلفة.

4- تقسيم المدن من حيث العوامل الاجتماعية الثقافية: في ضوء هذا المعيار صنف بعض العلماء المدن، حيث نجد كل من "ريد فيلد Redfield وسنجر signor" ميز بين المدن التي تسودها العقيدة الأرثوذكسية

¹ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري" - مرجع سبق ذكره - ص 69-71.

² - عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة - مرجع سبق ذكره - ص 30.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والمدن المخالفة لتلك العقيدة ففي الصنف الأول من المدن تقوى وتستقر النظم الاجتماعية والثقافية السائدة بينما النوع الثاني من المدن يستجيب للتغير الاجتماعي.

وقد ميز " فيبر " على ضوء بين مدن النبلاذ ومدن الدهماء وميز "هاوزر" Hauser وشنور "schnore" بين مدن البدائيين والإقطاع كما تنقسم المدن في شمال افريقيا إلى مدن نشأت في ظل الاستعمار الأوربي، ومدن قامت من قبل الاستعمار الأوربي أما مدن العصور الوسطى فتقسم إلى مدن اقتصادية، سياسية يظهر فيها العقلانيون بشكل بارز.

5- تقسيم المدن حسب المتغيرات الاقتصادية: في هذا الإطار قسم "بريس Bresse" المدن إلى مدن صناعية، مدن إدارية، مدن تجارية وأكد "لمبارد Lampard" أن الصناعة أساس تصنيف المدن في القرن 19، وان نمو المدن مرتبط بالنمو الاقتصادي "هاريس Harris وأولمان Ullmann" قاما بتصنيف المدن حسب موقعها المركزي، كل مدينة حسب تخصصها: مدن النقل....

"كارل ماركس" وصف المدن في ضوء علاقات الإنتاج وميز بين مدن العبيد والمدن الإقطاعية والمدن الرأسمالية والمدن الاشتراكية وصنف "فانس Vance وسوتكر Sutker وبوج bogue" المدن في ضوء التعليم والاستثمار التجاري، واضعين بعين الاعتبار حجم المدن وسيطرتها على القرى المجاورة.

"هوزيلتر" أشار إلى وظيفة المدينة في ضوء نموها الاقتصادي، وصنف المدن إلى مدن منتجة، ومدن طفيلية استهلاكية، حسب هوزيلتر يمكن أن تتحول المدينة من نمط الآخر¹

6- تقسيم المدن من حيث درجة تقدمها: فقد حاول "ثورنديك" تقسيم المدن من حيث كمية ونوع الخدمات المقدمة لسكانها²

فقد استنتج ثورنديك من دراسته أن المدن التي يعيش فيها سكان طبيون يكسبون عن طريق العمل، عادة هذه المدن هي أكثر تقدماً³

7- تقسيم المدن من حيث الأعمال التي تؤديها: هناك تقسيم "هالبرت بيرجل Bergel"⁴

يفيد هذا التقسيم من حيث الوصف، فهو بعيد كل البعد عن الدقة اللازمة في الدراسة الاجتماعية، مشكلة الكبرى هي أن كل المدن تقريبا متعددة الأغراض وقد أعطى هاريس Harris تقسيما للمدن تضم تسعة (9) أنواع بناء على دراسته لأنواع العمل التي يقوم بها الأهالي في كل مدينة⁵

- مميزات المدينة:

المدينة مجموعة مميزات تجعلها تختلف عن الكيانات الأخرى، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة" دراسة في علم الاجتماع الحضري" مرجع سبق ذكره- ص ص 72-74.

2- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة- مرجع سبق ذكره- ص 75.

3- عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة- مرجع سبق ذكره- ص 33.

4- حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره- ص 75.

5- عبد المنعم شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 31.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- ذات طبيعة إنسانية: للإنسان مميزات حيوية، نفسية، اجتماعية تخوله للأكل والشرب والتنقل بحرية في الزمان والمكان، وطبيعته النفسية لأن يشعر ويتألم ويتخيل ويفرح، وطبيعته للعيش في مجتمع والتعامل مع أفراد والخضوع للمعاملات الاقتصادية، الأوضاع السياسية، التربوية، القانون، والمدينة كمجتمع محلي من الضروري أن تتعاون مع باقي المدن. المدينة أساليب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني، أي حياة الأفراد ذات صفات خاصة فيصدر عنهم أمور لا علاقة لها بطبيعتهم الفردية.

- تلقائية النشأة: المدينة في بدايتها هي مجموعة متناثرة من المنازل التي كان الغرض منها الإيواء، ثم تتجمع هذه المنازل مع بعضها التشكل قرية، بتزايد السكان وتنوع حرفهم تتسع القرية ويزداد الدخل القومي فيها لتصبح مدينة صغيرة، كثرة المصانع ووسائل المواصلات، ووسائل الاتصال الجمعي والخدمات تصبح مدينة رئيسية.

- ظاهرة عامة منتشرة في كل المجتمعات:

يمكن دراسة المدينة بشكل إحصائي لمعرفة مدى انتشارها، فهي ظاهرة تفرض نفسها على الأفراد في سائر أنحاء المجتمع.

- الموضوعية والشيئية: يمكن دراسة المدينة ك أشياء خارجية، والشيئية هي ما قالها إيميل دوركايم حول الظاهرة الاجتماعية، وبالتالي يمكن قولها عن الظاهرة المدنية، عن ذاتنا التأثير بميولنا اتجاهاتنا الخاصة وهذه هي الموضوعية والشيئية هي أن معرفتنا بها تستمد من الواقع¹

- الترابط: أي المدينة متصلة بأجزائها مورفولوجيا عن طريق المواصلات المختلفة على اعتبار ان النظام السياسي في المدينة يرتبط بمختلف الأنظمة التعليمية الاقتصادية الدينية والإدارية والتنظيمية فكل نظام يرتبط بالأنظمة الأخرى² وهذا يندرج ضمن النظرة الوظيفية القائلة بالتساند الوظيفي بين مختلف الأنساق الفرعية في إطار النسق الكلي الشمولي.

-مزودة بصفة الجبر والإلزام: فالأفراد ملزمون بالخوض في غمار الحياة المدنية، وذلك رغبة في الاستفادة من خدماتها المختلفة كالتعليم، العلاج....

- صفة الجاذبية: لكل فرد منطقة تكون بالنسبة له محل اهتمام وهي المنطقة التي يولد فيها، لكن المدن وما تتوافره من مميزات جعلت الفرد خاصة ذلك الذي له انتماء ريفي يفضل الحياة المدنية على القروية لعدم توافر الخدمات الخضرية³

- خصائص المدن:

بطبيعة الحال لكل مدينة خصائصها التي تميزها عن باقي المدن والتي من الصعب اشتراكها بين مختلف المدن. فلكل مدينة ظروفها التاريخية وعوامل نموها، فقد حدد "لويس ورت" LOUIS WIRTH " خصائص التحضر في مقالته "التحضر كأسلوب حياة": الحجم، الكثافة، التجانس، وهي عناصر مرتبطة ببعضها، وهذا ما يؤدي إلى

¹ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري" - مرجع سبق ذكره- ص ص 60-61.

² - المرجع نفسه، ص 62.

³ - المرجع نفسه، ص 62.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وجود تجمع من الناس يتسم بكبر الحجم وشدة الكثافة واللاتجانس ويعمل هؤلاء الناس في تعاون لتحقيق تنظيم معقد في المدينة كما تتميز المدينة بالطابع الجزئي للعلاقات الاجتماعية والاعتماد على بيئة صناعية. بشكل عام تتميز العلاقات المدنية بـ:

- المهنة:

الوظائف الاجتماعية: الدين، الدفاع، الثقافة، الإدارة، الترفيه، الوظائف الاقتصادية: التجارة، الصناعة، الإنتاج الخدمات. في العصور الحديثة لم تعد المدينة مجرد وحدة جغرافية واكولوجية فقط بل تعدت هذا، فهي إضافة لهذا وحدة اقتصادية أساسها تقسيم العمل وهذا ما يجعل وظائف المدينة متنوعة فلكل فرد في المدينة وظيفة ومهنة معينة، وبالنتيجة تخصص كل منطقة بنشاط خاص، فهناك أقسام للسكن، للتجارة، للصناعة، للتنزه، مناطق السكن تنقسم بدورها إلى مناطق للطبقات الفقيرة للطبقات المتوسطة، للطبقات الهينة، هذه الانقسامية بين المناطق والطابع التخصصي لا يمنع من التداخل فيما بينها شيئاً ما.

- المظاهر الثقافية:

ما يعبر المدينة هو الكبر والتنوع، فمن خلالها نرى العمارة الحديثة إلى جانب المباني القديمة، قصر، كوخ، سيارة فخمة ولّى عليها الدّهر وأحياء الأغنياء ملاصقة لأحياء الفقراء، كل هذه الأضداد تجتمع في المدينة، فالمدينة بوتقة تصهر فيها الأجناس والثقافات المختلفة، تشجّع على الفروق الفردية، اختلاف اللغات، اللهجات، أشكال اللباس، قيم متفاوتة بين الريفية والمستوردة الهدوء/الغضب، الهزل/الجد، الحركة العمرانية المتواصلة، هدم وبناء في كل جوانب المدينة.

الحياة المدنية تتميز بالسرعة، فالناس يهرولون في الشوارع والسيارات تتسابق في الطرقات، وتحركات الناس في المدينة لا يمكن الحد منها لكثرتها، الازدحام في مختلف الأماكن، وهذا ما يجعل سكان المدينة يتصرفون كأفراد وقليلاً ما يهتمون لبعضهم¹

بشكل أكثر تحديداً يتكلم "عبد القادر لقعج" عن الخاصية الثقافية للمدينة أو علاقة الثقافة بالمدينة من خلال مصنّفة "ville cultures et société en Algérie" بترجمتنا المتواضعة "المدينة قالب تصهر فيه الثقافة الجديدة" مدن، ثقافات ومجتمع بالجزائر" هذا النص كان موضوع الملتقى الوطني للبحث غدا المدينة، الشركة، المؤسسة نظم بالـ C.R.A.S وهران أيام 21/20 ديسمبر 1997 يقول عبد القادر لقعج من خلال هذا المقال أن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والمدينة بالجزائر قد أداروا ظهورهم منذ زمن طويل، ومن هنا يتساءل حول المعنى المستمر في الممارسات الحضرية.

"Redfield, Linton, Herskovits" باحثون ركزوا على تعقد ظواهر الثقافات وهذا لأنهم أخذوا بأهمية هذه الظواهر كسيرورة في طريق التحقيق.

"Edward Sapir" قد استعار من اللسانيات linguistique ليجد أن الثقافات لا يؤدي إلى معنى محدد.

¹ - المرجع نفسه، ص 55-66.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يرى عبد القادر لقعج أن الثقافة الحضرية تسيطر على كل من يستقر بالمدينة وهي نفس فكرة Bernard Leptit، ليخلص بأنه رغم الصفة العلاقاتية بين المدينة والثقافة تبقى المدينة في الجزائر تعاني من غياب التحليل الكافي، والتمهيش إلى حد ما في العلوم الاجتماعية¹

- الإنسان الحضري:

مع نمو حجم المدينة تقل معرفة الأفراد ببعضهم لتصبح بذلك العلاقات الاجتماعية علاقات سطحية، فالإنسان الحضري لا ينزعج من السير بين الناس في الشوارع، أو الجلوس معهم في أي مكان دون المعرفة الشخصية بهم. السفسطية - نسبة للسفسطائية - هي ما يميز الفرد المدني، فقد يفقد ولاءه المباشر لعائلته ولكنه في الوقت يميل إلى فقدان علاقاته وصلاته المباشرة بأقاربه الآخرين.

فمن خلال المدينة يكون كل فرد مسؤول عن أخطائه، فهي لا تحمي الكسول، تشجع على العمل الخلاق.

- البيروقراطية:

ربط "مفورد" Mumford بين سمة التركيز الحضري داخل المدينة وامتداد خطوط الطرق البرية واتساع طرق التجارة، فكل الطرق تؤدي للعاصمة وخلف ذلك نجد الإدارة في العواصم الكبرى وزيادة الاعتماد على التنظيم الإداري في مختلف المجالات، ويرى أيضا أن الاختراعات الآلية وأدوات الكتابة والطبع والنشر والتسجيل إضافة لأدوات التحكم والتوجيه والإرشاد ساعدت على قيام ظواهر بيروقراطية.

وعليه أصبح كل شيء أو يسير وفق قاعدة قانونية تنظيمية ويتطلب سندات ووثائق وتبريرات.

- التشريعات القانونية:

وظيفتها الضبط الاجتماعي، تحل محل التقاليد، فهي وسيلة أساسية لتنظيم علاقات أفراد المدينة، وذلك لأن المدينة هي المركز الذي يحتوي على مختلف المؤسسات الاجتماعية الضرورية.

- تمتد المدينة خارج حدودها:

المدينة تؤثر على مختلف المناطق الواقعة خارج حدودها وذلك بفضل مركزها.²

لذلك نجد أعداد كبيرة من الناس يهاجرون نحو المدينة - النزوح الريفي - لتلبية حاجيات مختلفة.

- التعاون و العلاقات الإنسانية عند ساكنة مدينة معسكر

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية تعاونية - .

تلك هي فرضيتنا الأولى و التي سنحاول عرضها للتحليل من خلال مجموعة عناصر نسقية هدفها تحقيق وظيفية النسق الكلّي - و هو الفرضية - و تأكيد نسقية قيمة التعاون ضمن شبكة القيم الدّينية.

- ثقافة الساكنة بالماضي :

1- Abdelkader lakjaa: la ville "creuset d'une culture nouvelle villes cultures et société en Algérie) opsit-- pp39-59.

2 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري"-مرجع سبق ذكره -ص ص 67.68.69

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لقد عرفت البلدان العالم ثالثة-العام الثالث-بصفة عامة المغاربية أو بشكل أدق الجزائرية، حراك مجالي واسع، خاصة بعد انتهاء الأزمة الاستعمارية انتقالة فريدة من نوعها من فضاء ريف قائم على أسس و ضوابط محدّدة إلى فضاء مختلف تماما كما و كيقًا.

من فضاء يسوده "تقسيم العمل"، بمفهوم إميل دروكايم في حالته البسيطة بالأفراد يزاولون نفس الأعمال و يتشابهون من حيث الخضوع لنفس العوامل، يتعاملون بصفة تلقائية، يستجيبون لبعضهم بصفة آلية فهم بذلك متضامنون آليا أو ميكانيكيا، إلى فضاء ينمو فيه تقسيم العمل فيسود ما يسمّى بالتضامن العضوي، حيث يتضامن الأفراد عضويا في الجسم الاجتماعي¹.

و عليه في الفضاء الحضري يكون الأعضاء قد استقرّوا مهنيا و هم الآن يحتاجون للتبادل الوظيفي.

انتقلوا من " فضاء صغير، منعزل، أمّي متجانس، يربط بين أعضائه إحساس قوى التضامن ... و السلوك فيه تقليدي و تلقائي و شخصي"²، ففي هذا الفضاء لم يكن هناك حاجة و دعة بالمفهوم الخلدوني للمخالصة أي المقابلة المالية للمقتنيات اليومية، فكل الحاجيات متوفرة بصورتها الطبيعية "الطازجة" إلى فضاء يعتمد نظام المخالصة، الحرّية...¹

من خلال هذه الإطلالة السريعة نكون قد قدّمنا لمحة عن ثنائية كانت و لازالت قائمة بل حتى أنّها أصبحت محور بحوث و دراسات و هي الحضرية / الرّيف.

تقوم الحياة الحضرية اليوم على منطق الثنائيات تجانس / لا تجانس ، آلي / عضوي، وظيفي / عصامي أو ذاتي.

من خلال ملاحظتنا و معاشتنا لمنطقة العين البيضاء، فهي منطقة مستحدثة - حديثة - تنتشر بها السكّانات الرّاقية الفخمة كما نرى السكّانات المتوسطة ممّا يعكس أطر و نظم ثقافية متفاوتة، هذا ما يتعلق بالجانب المونوغرافي، سكّانها نازحون من نقاط سكنية متفاوتة تنتسب لمعسكر، و هذا يحيلنا إلى عدّة تساؤلات:

ما حدود الاعتراك أو التمازج الثقافي بين هذه السّاكنة ؟ و ما محل الثقافة بحدّ ذاتها حين اختلاطها بهذه المساحة الجغرافية - التثاقف-؟ و هل تتبدّل الثقافة بتبدّل المجال؟.

تحدّث الكثير من الكتابات المتخصصة في المجال الحضري و البحث المدني على تغيير ملل و نحل الأفراد عقب الحراك المجالي، و هذا تأكيداً منهم على أهمية الفضاء المدني، و كيف أنّه يتمكن من تطبيع الأفراد بطبائع جديدة منافية لسابقتها فما مدى صدق هذا على منطقة دراستنا ؟

تقول (الحالة 03) : " لقد كنت أسكن ببلدية مطمور، دامت مدّة إقامتي هناك 09 سنوات، لقد كانت لي علاقات متينة، هناك لم يكن هناك فرق بيننا، كُنّا نعيش معا كعائلة كبيرة، أنا شخصا لم أكن أحسن أنّي أقل أو أعلى مستوى منهم، كُنّا نعيش بشكل عادي".

1- عبد القادر القصير: الهجرة من الرّيف إلى المدينة- دار النهضة العربية بيروت- 1992- ص 31.

2- السيد الحسيني : المدينة"دراسة في علم الاجتماع الحضري"- دار المعرفة الجامعية- 2000- ص 117.

1- Placide Rambaud : Société rurale te urbanisation – éditions du seuil 1969-p 20-22.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالانسجام، التّجانس و الآلية هي ما كان يميّز الفضاء الأوّل، سألتها عن توضيح العائلة الكبيرة، فأجابت - بشغف معطية الموضوع أهميّة بالغة- : " لقد كنت أحسنّ و كأني وسط عائلتي، وسط أمّي و أختي، كنت إذا احتجت لشيء ما قليل من الزيت أو السّكر أستلف من عند الجيران، أي شيء كان دون الإطاحة أو الاستهانة - تغيّرت ملامح وجهها- أما الآن و في حيّي هذا تخيلي لو أنّي أرسل بابنتي لاستلاف شيء من السّكر مثلا عند جارتني التي لا تربطني بها علاقة متينة بلاشك أنّها ستستهين بي" (أ، 32، م، ليسانس).

هذه الأمور و إن كانت بسيطة، و إن كان البعض لا يعيها اهتماما فهي في نظرنا ذات أهميّة بالغة، فاستلاف شيء من السّكر أو الزيت ما هو إلا رمز لإرساء قيم التآلف و التوادد بين النّاس، ممّا يُرسي قيم الحميمية بين أهل الحي الواحد.

في نفس السّياق تقول (الحالة 02) : " لقد كنّا يد واحدة، نستلف مختلف الأمور و هذا نظرا لصعوبة و غلاء المعيشة، فلقد كنّا نقدرّ المعيشة كنت أترك ابنتي عند جارتني ، تهتم بها كما لو كانت ابنتها و كذا بالنّسبة لأبنائها عندي، نذهب معا للحمام، لشراء شيء ما، أنا خياطة، أبيع لجاراتني، و حتّى وإن لم يكن لهنّ نقود فلا بأس يدفعن عندما يقدرن" (أ، 40، م، ثانوي) ، ويقول (الحالة 09) : " ولدت وتزوجت في حيّي القديم، لقد ألفت ذاك المكان ، معظم وقتي كنت أفضيه في العمل، و عدا ذلك رفقة العائلة، كانت لي علاقات حميمية مع الجيران، نُدرّش، نحمل همّ بعضنا، لقد كنّا نحبّ بعضنا كثيرا" (ذ، 45، م، جامعي).

فالإنسان يبني و يكوّن رصيد ثقافوي جدّ هام يكون بمثابة المرآة العاكسة لشخصية بحدّ ذاته، فمن خلال الجماعة التي نشأ و تفاعل معها يكون قد كوّن ضميره الجمعي. فردا فاعلاً لا مُنفعلاً، فالإيّ هدف يمكن لهذا الفرد الصمود في ظل حراك مجالي؟ فهل سيتمكن من الحفاظ على نسقه الثقافوي الجماعي؟

- التنشئة الدّينية و ترسيخ القيم التعاونية :

من خلال هذا العنصر، ارتأينا إجراء مقابلات مع مجموعة شباب يدرسون في الطور الثاني و الثالث - المتوسط و الثانوي- لماذا هذه الفئة بالذّات؟. في مثل هذه المرحلة يكون الفرد واعي فكريا و جسديا، درجة الوعي هذه تمكنه من بناء شخصيته وفق ما اكتسبه هو في حياته الشخصية و حسب ما اكتسبه من محيطه الأسري.

الأسرة باعتبارها النّواة الأولى التي من خلالها تبنى شخصية الفرد الاجتماعية، فهي بمثابة البناء النظري كما سيمارسه اجتماعيا، فتتكون بذلك مختلف جوانب شخصيته النّفسية، الاجتماعية، الدّينية، و عليه فلا أحد ينكر هذا الدور لهذه المؤسسة، حيث قال الرّسول صلى الله عليه و سلم : " كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يَغْرُبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصْرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ" (رواه البخاري ومسلم في فيض القدير و شرح الجامع الصغير للمناوي 5/33)¹.

و يقول أيضا صلى الله عليه و سلم : " المرءُ على دينِ خليلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ" (رواه أحمد).

¹ - هدى علي جواد الشّمري : الأخلاق في السّنة النبوية- دار المناهج - عمان - 2009 - ص 90.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يتكلم غرس الله عبد الحفيظ من خلال مقاله "الديني والعائلي في المجتمع العربي والإسلامي" أنّ المجتمع العربي والإسلامي لا يزال خاضعا لمقولة الإنسان الديني بكل حمولاتها الدلالية، ما دام ميلاد كل فرد مقترن بمفهوم الحلال "المبارك" المعترفة بالشروط الديني، و سيرة تنشئة الاجتماعية التي تتغذى بالمقدس، و عليه فالعائلة العربية والإسلامية هي إنتاج ديني بالأساس¹.

فتعمل الأسرة بغض النظر عن نمطيتها على تثبيت قيمتها التنشئية الاجتماعية السياسية، الدينية، و بالارتكاز على الإسلام يتم تمرير ترسانة من التشريعات و القيم الدينية تكوّن للفرد و تبني شخصيته الدينية - على الخصوص - الناشئة و التي تمكنه من التفاعل.

و لما كانت القيم الدينية قوام المجتمع كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول مثلا للتحاب والتعاقد و كانت العلاقات بين الرعاة و الرعايا قائمة على الإعزاز و الحب لقوله صلى الله عليه وسلم: " خَيْرُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَ يُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ" (المنذري). و هذا دليل على صفاء النفوس و إقامة العدالة و نجاح الرسالة العامة التي يتعاون على إنجازها كل الأفراد . فالإسلام يأخي بين المسلمين، إزاء تدهر من خلاله عراقا النسب الإنساني².

الإخاء، التحاب، التعاقد، التعاون، قيم دينية ساهمت في تأكيد عراقا النسب الإنساني.

فما مدى تأكيد و تعزيز قيمة التعاون في نفوس الناشئة ؟ .

يقول (الحالة 16) : " خارج أوقات الدراسة أمارس هوايتي المفضلة و هي كرة القدم فألعب رفقة أصدقائي، و هم جبراني من نفس عمري تقريبا، ندرس معا، نساعد بعضنا، فالجار أوصى به الرسول صلى الله عليه و سلم، و إن لم نساعد بعضنا فمن سيساعدنا، الغريب مثلا ، فنحن نتعاون في تنظيف الحي" (ذ، 19، غ م، ثانوي) - و في هذه اللحظة قاطعه (الحالة 19) : " و إن كان حيننا جديد، و الطرق كما ترين لا تزال في طور الأشغال ، فنحن نعمل على تنظيفه بأنفسنا بالتعاون بيننا وهذا قد اكتسبناه بالتربية، الأسرة ، و الإسلام يدعونا لهذا، نتعاون أحيانا في تنظيف المسجد، لكن في الفترة الأخيرة ما حدّ من نشاطنا هو ظاهرة الاختطاف، فصرنا لا نأمن أحدا" (أ، 17، غ م، الرابعة متوسط).

و أضاف (الحالة 18) : " إضافة إلى ما قاله أصدقائي و جبراني فنحن أبناء الحي الواحد نكاد نكون أبناء البيت الواحد، نأمل في المستقبل إلى تكوين جمعية أو لجنة الحي تهتم بشؤون و قضايا الحي الداخلية مثل الدول المتقدمة". (ذ، 16، غ م، 4 متوسط).

و إن كان الحي في بدايات تكوين علاقاته و مونوغرافيته لكن البدايات موجودة، فمن خلال التنشئة الدينية يتم الحفاظ و العمل على استمرارية القيم الدينية بما فيها التعاونية.

¹ - غرس الله عبد الحفيظ: الديني والعائلي في المجتمع العربي والإسلامي - من موقع : <http://www.walmultaka.net> نشر بتاريخ

2006.04.01. أطلع عليه يوم 2007.09.22 عدد صفحات المقال 04.

² - محمد الغزالي : هذا ديننا - ط3 - دار الشروق - القاهرة - 1992 - ص 178 - 179.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تقول (الحالة 17) : " حالياً علاقاتي لا تزال في بداياتها، فلقد انتقلنا إلى هذا الحي سنة 2011، كنا نسكن ببلدية تيزي، سأحكي لك كيف كنا هناك، هناك كان لدينا جيران أكثر و أصدقاء أكثر، كنت أنعاون رفقة جارتي في صنع المأكولات و التبادل فيما بيننا، التعاون في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، لقد بقينا هناك 07 سنوات" (أ، 18، غ م، 3 ثانوي).

الزابط العصوبي بالمفهوم الخلدوني - الجماعي يتأكد من خلال إرساء عامل الزمن فكّلما كان الزمن طويلا كان هذا كفيلا للتعايش بين الأفراد، التآلف، و من ثم التوادد و تهيئ مختلف القيم الدينية التعاونية. و من خلال العنصر الشبابي يتم تفعيل القيم التعاونية، الشباب الذين يقول عنهم ليفي ستروس من خلال مؤلفه "المتوسّط الحزين"، أرى في أعين الشباب النار و الكبار الهدوء". و بالتالي من خلال هذا العنصر نكون قد وضّحنا وصمة الشباب، ثورتهم و غيرتهم على قيمهم الدينية.

- الجيرة و الضرورة الوظيفية :

يشير مصطلح الجيرة إلى " جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها، و يسودها إحساس بالوحدة و الكيان المحلي، إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة و أولية و وثيقة و مستمرة نسبياً".¹

تونيذ يقول أن الجيرة تقوم على أساس الضرورة الحيوية، أي أنّ الأسس لا يمكنها العيش بمعزل بعضها، فلا بد من الاتصال بأسس أخرى تجاورها مكانياً، و بتوسّع العلاقات تنشأ الحياة المشتركة و التعاون الجماعي.

بتلر (Butler. E) يلخّص جماعة الجيرة في 03 نقاط:

1. التجاور المكاني لمجموعة من الناس.
2. التمايز الفيزيقي أو الثقافي لهذه المنطقة عن غيرها .
3. المشاركة الفعلية بين المقيمين في هذه المنطقة.

يقول ديول : " عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلّها نقاط مهمّة بواسطتها تتكوّن علاقات الساكن بالآخرين".¹

فالجيرة هي صورة من صور التّجمع البشري تكوّنت نتيجة التحام سكني على رقعة جغرافية فقارت بينهم مجالياً. التقارب المجالي هي فكرة طرحها كل من شومبوردون (Chambordon.J.C) ولومار (Lemaire .M) بيّنا مدى تأثير فكرة التقارب المجالي على إقامة علاقات و تكوين جماعات الجيرة، و هذا عقب قيامهما بدراسة

¹ - السيد عبد العالي السّند: دراسات في علم الاجتماع الحضري - ج1- دار المعرفة الجامعية الأزاريطة- 2008 - ص 263.

¹ - سولمية نورية : الساكن ، الساكن و المحيط الممارسات و التمثلات، دراسة ميدانية بحي سكني بالكرمة ، وهران - رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأنتروبولوجيا - جامعة السّانبا - وهران - 2002 - 2003 - ص 85 - 78 - 93.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ميدانية، فالتقارب المجالي حسبهما لا يحقق دائما بوتقة اجتماعية تنصهر داخلها الجماعة بل على العكس فقرب المكان غالبا ما يباعد بين الجيران².

فكيف تظهر الضرورة الوظيفية بين الساكنة ؟ يقول (الحالة 14) : " الإنسان عليه أن يكون اجتماعيا و يساهم في بناء المجتمع، فأنا شخصا إذا أردت القيام بأي عمل فما أطيب مساعدة الجميع لأن الله عزّ و جل قال : " وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا .." و لأنّ في التعاون تطمئن النفوس و تقوى القلوب، أشعر في حيي هذا بالانتماء للجماعة" (ذ، 27، غ م، ليسانس).

فالإنسان بعين سوسولوجية بحاجة للالتحام، للعيش في بحبوحة الجماعة وهذا لاعتبارات كثيرة أهمها الاعتبار الديني.

و لما كان الإنسان محكوم دينيا، فهو ملزم باتباع قيم دينية تكون بمثابة صمام أمان لاخترق قلب الجماعة "القبول الاجتماعي"، يقول (الحالة 05) : " التعاون مع الجيران صفة حميدة لأنه يخلق نوع من المحبة، إذا كان الجار في حاجة ماسة إلى جاره فمن الواجب و المفروض تقديم يد المساعدة، فالجار هو واحد من الأهل" (ذ، 60، م، إداري في المالية و الإحصائيات).

فالتقارب المجالي إذن قد حقق تقارب اجتماعي و أصبح الجار كفيلا للأهلية . للجار حقوق الأهل تماما و لذلك ينبهنا الرسول صلى الله عليه و سلم إلى هذه القضية في حديثه الشريف الذي روي عن إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال : حدّثني مالك عن يحيى بن سعيد قال : أخبرني أبو بكر بن محمد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ" (متفق عليه، أخرجه البخاري و مسلم و الترميذي و أحمد و أبو داود و ابن ماجة).

و يقول الإمام الغزالي أن حقّ الجار هو : " أن تبدأ السلام و تعوده في مرضه و تعزيه في مصيبتة و تهنته في فرحه و تصفح عن زلاته و لا تتطّلع إلى عوراته و لا تضيق طريقه إلى الدار و لا تغفل عن ملاحظة داره إن غاب، و تتلطّف بولده و ترشده إلى ما يجهله في أمر دينه و دنياه"¹.

يقول (الحالة 02) : أشعر أنّي بين أهلي، فالتعاون أفضل بطبيعة الحال فنحن كجيران نحبّ بعضنا نتعاون في كلّ الأمور، و حتى أبناءنا ، فأنا شخصا أرّبي ابني على الصدق ، الأمانة، احترام الكبير" (أ، 40، م، ثانوي). و تقول (الحالة 08) : " إذا أردت القيام بأي عمل يتطلب جهدا كبيرا فأطلب مساعدة الجيران أوّلا ثم أهلي ثانيا إذا اقتضى الأمر" (أ، 40، م، 3 ثانوي).

فالجار للجار ضرورة وظيفية اقتضاها التجاور السكني ، و لما كان الدين ترسانة تشريعات و نظم و قوانين على كل معتنقيه الامتثال له، كان على الفرد التسلّح بقيمه الدينية من تعاون، إخاء، تكاتف مهما كانت طبيعة انتماءه المجالي.

² - نفس المرجع - ص 94 - 95.

¹ - إسماعيل عبد الفتاح الكافي : موسوعة القيم و الأخلاق الإسلامية - مرجع سبق ذكره - ص 174 - 175.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

في الأحياء الجديدة يكون سكانها متوافقون من نقاط سكنية مختلفة و بالتالي من الصعب بما كان توحيدهم من البداية، لكن مع مرور الزمن يظهر التعاون و التعاضد و هذا لأنّ الدين الذي يجمعهم واحد. و إن ظهرت البنات التعاونية و الضرورة الوظيفية بين هذه الحالات فهناك حالات أخرى ممّن قابلناهم لم تتكيف بعد مع محيطها الجديد فهي تحسّ بالانتقال من محيط متجانس إلى آخر لا متجانس، و وسط أفراد لا يعرفونهم، محيط حضري تكثر الأقاويل عنه مشاكل، مخدّرات، نقص ثقة إن لم نقل انعدامها نقص المعرفة بالآخرين، كل فرد مهتم بأموره الشخصية و العائلية. يقول (الحالة 04): "سكنت هذا الحي منذ 07 أشهر ليس لدينا علاقات مع الجيران هنا عدا السلام، فكل واحد منغلق على نفسه، و بصراحة لا أودّ إقامة علاقات معهم أخاف، تعرفين المدينة و مشاكلها ليست كالريف"، فقلت له : "لكن في المستقبل بعد تعرّفك على المكان أكثر، تعرّفك على الجيران أكثر خاصة إن تبين أنّهم طيّبون، ثم أنّ أولادك يدرسون كما قلت فحتمًا سيتعرفون على أبناء الجيران، فهل ستمانع التعامل معهم و إقامة علاقات معهم"، فابتسم و قال : " عندك حق فيما قلت، فأنا لا أزال جديدا و قد حكمت عليهم، فالجار هو ضرورة لا غنى عنها، في حيي القديم كان جيرياني بمثابة أهلي نتعاون في كل شيء، و الجار أوصى عليه النبي صلى الله عليه و سلم، و هذا من تعاليم ديننا، فما المانع من التعامل مع الجيران الجدد ويا ليتها تكون كالعلاقات القديمة مع جيرياني السابقين" (ذ، 38، م ، دون مستوى).

يقول العربي لصّاق و هو باحث في المجتمع المدني من خلال حصّة لتتحدث أنّه في الأحياء القديمة هناك مبادرة ، عمل، تكاتف، تكافل، بين جميع أفراد الحي، و في الأحياء الجديدة يكون أناس مختلفون و بالتالي يصعب التّوحيد بينهم في البداية لكن عنصر الوقت كفيل بظهور التعاون ، التعاضد. بالنتيجة الحي ليس مجرد هياكل إسمنتية بل روابط و علاقات¹، و نحن نقول أنّ الحي هو علاقات جوارية تربطها ضرورة وظيفية يتبّطها عنصر الزمن.

– قيمة التعاون من خلال الولائم و الجنائز :

لقد حتّ الإسلام في العديد من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية على ضرورة مبادرة الجار بمساعدة جيرانه و الأخذ بيده، و هذه المساعدة تأخذ عدّة أشكال :

المساعدة المادية التي يمنحها الغني لجاره الفقير، المساعدة الاجتماعية التي تحافظ على سمعة الجار و احترامه و صيانة شرفه و كرامته و الدّفاع عن حقوقه الاجتماعية و مختلف الأخطار التي يتعرّض لها، و يحذّر الله من عدم مساعدة الجار و رفض تقديم المساعدات المادية و المعنوية له و عدم المشاركة في أفراحه " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَدِّبُ

¹ - سعيد مقدّم : كيف نعيش و نتعايش في أحيائنا، حصّة لتتحدث - التلفزة الوطنية الجزائرية الثالثة A3 - بتاريخ : 2013/03/11، على الساعة 21:00 ليلا.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بِالَّذِينَ فَذَّلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَ لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" (سورة الماعون) ¹.

فالإسلام هو الرّاية التي من خلالها تبعث مختلف القيم الدّينية بما فيها التعاونية و في مختلف المواقف المناسبة. الولادة، الختان، الأعراس، الجنائز، هي محطات عمرية يمرّ بها الفرد، طقوس عبور بالمنظور الأنتروبولوجي، و هي تعبير اجتماعي عن الشعور الدّيني بالمنظور السوسولوجي، تحتاج إلى التحام اجتماعي كتعبير عن استتباب الضّمير الجمعي بمفهوم دوركايم.

يقول (الحالة 08) : " بالرغم من أننا قد سكنا هذا الحي في شهر رمضان 2010، لكن هذا لم يمنعنا من إقامة علاقات مع الجيران، فالجار أقرب منّي من أهلي و التالي فهو في حسبة أهلي، تظهر روح التعاون خاصّة في المناسبات عرس جنازة، عيد أو مناسبة أخرى، نستلف أغراض، آنية، أفرشة، وإن كانت جارتني تعيش في مسكن ضيق أعيرها مسكني لإقامة زفاف ابنها أو ابنتها و هذا ما حصل بالفعل ذات مرّة، و هي جارة غالية على قلبي " (أ، 40، م، 3 ثانوي)

و تضيف (الحالة 12) : " نحن نسكن هنا منذ 3 سنوات و هي ليست بالقليلة ، لقد ألفنا هذا الحي، حتى أنّ جيراننا لا عيب فيهم لا يمكن أن أقول فيهم شيئا، فإذا كان هناك عرس نتعاون، ونستلف الآنية الأفرشة، نساعد بعضنا في أعمال التنظيف و التحضيرات للعرس، و كذلك في حالة ولادة مولود جديد نفرح كلّنا به، الجنائز بقدر الله عزّ و جل كذلك بنفس الطريقة" (أ، 21، غ م، 2 متوسط)

و تقول (الحالة 15) : " يظهر التعاون خصوصا في حالة الجنائز، و إذا كانت عائلة فقيرة فالكل يساعد بما لديه سواء بآنية، صحون ، موائد ... مهما كان نوع المساعدة، المهم تقديم يد العون، و في الأفراح كذلك، لكن ليس بنفس الصّورة كما في الجنائز، فالمصيبة أو الحزن أولى من الفرح" (أ، 30، غ م، ليسانس). فالجيرة ليست مجردّ سكنات متجاورة إسمنتيا، فلو كانت كذلك لكنا كمجتمع أعطيناها مصطلحا يليق به، فالجيرة أعمق من ذلك فهي مجموع علاقات اجتماعية تربط بين الأفراد.

تكوّنت هذه العلاقات لأنّ الفرد بطبعه اجتماعي لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين وحيدا. يقول Raymod Ledrut أن التّجارور السّكني هو "إقامة السّكان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السّكان غالبا ما يتعاشرون و يتزاورون و يتعاونون فيما بينهم" في شتى المجالات و من ذلك الحاجة إلى استعارة كمية من السّكر أو الملح أو القهوة أو الزيت و غيرها في أثناء إعداد الوجبات الغذائية و استعارة بعض الأدوات المطبخية أو الحاجة إلى من يرعى طفلا فترة وجيزة لاضطرار الأمّ إلى الخروج لسبب طارئ، و هم يشتركون معا في الأفراح و الأحزان و في السّراء و الضّراء إلى غير ذلك.

فالمحافظة على علاقات طيّبة مع الجيران و زيارتهم و تقديم يد العون لهم في مختلف المناسبات والمجالات كان و لا يزال واجب ديني لدى الشّعوب العربية و الإسلامية في حالة غياب أب الأسرة ينوبه جاره ¹.

¹ - إحسان محمد الحسن : علم الاجتماع الدّيني - مرجع سبق ذكره - ص 145 - 146.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأفراح و الأحزان هي ظروف تبيّن مدى انعكاس العصبوية- بالمفهوم الخلدوني- و بغض النظر عن الانتماء المكاني يبقى الإسلام دائما هو الوازع و الرابط بين الأفراد.

تقول (الحالة 13) : " لقد تعلّمت من والدي أمور كثيرة و خاصّة أمّي تعلّمت منها كيفية مساعدة الآخرين، في حيّي هذا إذا كان هناك فرح، تساعدهم في صنع الحلويات و مختلف التحضيرات، و في الأحزان أيضا نساعدهم في أعمال البيت أو بشراء المستلزمات التي يحتاجونها، و إذا كانت آنية و أفرشة غير كافية نغيرهم، فالمساعدة تكون بكل شيء" (أ، 34، غ م، 1 ثانوي)

تقريبا باختلاف الحالات و تباينها ألفت أذني على سماع إجابات مماثلة و إن كان البعض يفضّل أمور أخرى - ستظهر من خلال الفصل الرابع - لكن تحديدا حول موضوع الولائم و الجنائز فالكل يتفق على نفس الإجابة.

لتوضيح أكثر يقول (الحالة 14) : " في الحي السابق كنت أساهم في أعمال رفقة جيراني سواء في السراء أو الضراء و هي الولائم، الأعراس، الجنائز، أعمال خيرية و كوننا مسلمين علينا اتباع الدين الإسلامي الذي يحث على التعاون و التآزر و التآخي و جمع الشّمل، و بنفس الطريقة، نحن نتعاون في جميع المناسبات حتّى أننا قمنا بجمع أموال من كلّ البيوت و قمنا بشراء القيطون ، أواني، طوابل، أفرشة، و وضعنا هذه الأغراض بالمسجد و نقوم بتقديمها إلى كل عائلة في حالة أعراس أو جنائز" (ذ، 27، غ م، ليسانس).

و يبقى المسجد هو المكان المقدّس الذي يحافظ على روح التّضامن بين النّاس و المنبع الرّئيسي للقيم التعاونية. و يبقى الجار القريب أقرب من الأخ البعيد في مختلف المواقف المناسباتية و خاصّة ما تعلقّ منها بالولائم و الجنائز.

التّعاون في مناسبات مشتركة كالأفراح مثلا هو تعاون تابع عن خلفيات دينية يقول بورديو- ليعمّ بذلك الفرحة الكلّ، فهذا يؤسّس بطريقة أو بأخرى " عائلة كبيرة" تجمع بين أفرادها رابطة الأهلية و العصبية، أهل رغم انعدام وجود علاقة قرابة حقيقية بينهم.¹

- رمزية الأطباق المتبادلة عند الساكنة :

لما كانت الجيرة ضرورة وظيفية كان الالتحام ضروريا للحفاظ على المعالم الهوياتية للفضاء الاجتماعي. فالفضاء الاجتماعي الذي يأوي مجموعة سكنية ليس مجرد هياكل عمرانية ترسم الطابع الأرشيتاكتوري Architecture للمكان، بل يتعدّى هذا، فهو مجموع كتابات فردية اجتمعت فأعطت لاجتماعها صبغة حضرية مميّزة.

¹ . محمد بلحاجي : الأسرة الجزائرية المعاصرة بين النبات و التغير في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمنطقة الغزوات- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع -جامعة وهران - السانيا - 2011- 2012- ص 161.

¹- Pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie - 8e édition des presses universitaires de France Novembre 2001- p55.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

و لأن الإسلام هو الغطاء الذي يندرج ضمنه الأفراد، كان لازماً عليهم اتباع قيمه الدينية، و مبادئه فكانت بذلك تلك هي الصبغة التي تميّزهم، قال الرسول صلى الله عليه و سلم : " لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ".
 و قال معاذ : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " قال الله تبارك و تعالى : " وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَ الْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ".
 و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " وَ مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ"¹.

التحاب، و التبادل ، التزاور من صبغة الإسلام و قيم لازمة على المسلمين، ثابت نصّها في الكتاب و السنة. إفشاء السلام بين الناس وحده ليس كفيلاً لغرس قيم دينية بينهم و لكن يمكن القول أنه كخطوة أولى مسموح به - بلوغ أو للمحافظة على قيم دينية حبّتها الإسلام.

يقول (الحالة 13) : " من عاداتنا إذا أعددت أكلة تقليدية أعطي منها لجارتي، و نفس الشيء هي أيضا تعطينا، أكلة كالكسكس و هي أكلة معروفة بمعسكر، رفيس أيضا، لدي جارة لا تعرف كيفية تحضير البغبر، فكلما أعددناها في البيت نعطيها منه، تصنعه و لكن ليس بطريقتنا، تعجبها طريقتنا، و الجار في حسبة أهل البيت"
 (أ، 34، غ م ، 1 ثانوي).

تقول (الحالة 08) : " هل تعلمين شيئا الجار أقرب من الأهل، فهو الذي أراه و أتعامل معه يوميا، و بالتالي من الواجب احترامه، توقيره مساعدته و تبادل كل شيء معه، فأنا إذا أعددت أي أكلة أعطي منها لجارتي لأن الصدقة في المقربين من الجيران، حتى هي جارتي كريمة إلى أقصى الحدود تبادلني الأطباق، فهناك أكالات كثيرة تعلّمتها منها، وجبات غذائية، حلويات، و هي أيضا تعلمت مني، لكل منا عاداته في الطبخ لكن عندما سمعنا من بعضنا تعلّمتنا أمور مختلفة" (أ، 40، م ، 3 ثانوي)

تضيف (الحالة 12) : " عندما نعدّ مأكولات و نعطي منها لجاراتي تفرح كثيرا، و هم أيضا يعطوننا"
 (أ، 21، غ م، 2 متوسط).

تبادل الأطباق بين الجيران يقلّص المسافات بينهم و يفتح الباب على مصرعيه فتتلخص بذلك كلّ العائلات بغض النظر عن حجمها في عائلة واحدة كبيرة بقيم تعاونية، قيم الألفة، التسامح.

تضيف (الحالة 15) : " تظهر الروح الجماعية خاصة في شهر رمضان، لو أنّك ترين المنظر ما أجمله، حوالي ساعة أو أقل قبيل الأذان تبعث كل عائلة بابنها أو ابنتها و بيده صحن مغطى قائلة له : " خذ هذه إلى جارتنا فلانة"، به أي شيء من الأكل " معقودة"، " طبق حلو"، " طبق زيتون"، كلّها أكالات تبعث بالفرحة في كلّ

¹ - يعقوب المليجي : الأخلاق في الإسلام - مرجع سبق ذكره - ص 166.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بيت فلا تحسّ و أنت تتجوّل في شوارع هذا الحي بأنك غريب بين الغرباء، بل على العكس فأنت بين أهلك" (أ، 30، غ م، ليسانس).

و تقول (الحالة 06) : " إذا أعددت أي أكلة تقليدية أو غير ذلك نعطي منها لجيراننا، فالجود و الكرم من شمائل الصالحين، هذا يخلق التقوى و المحبة بين الجيران ". (أ، 50، م، دون مستوى).

بتحليل سوسيولوجي "الصّحن" هو رمز لبعث روح التآلف بين الأفراد، فيه و بفضلته تعرّفت عائلات و تواصلت اجتماعيا، و أعطى للفضاء الاجتماعي الذي يسكنه صبغة اجتماعية باعثة للقيم التعاونية.

و من هنا يتّضح أن ساكنة معسكر تشبّثت بالقيم التعاونية التي تعكس صورة الإسلام، من خلال البعد الممارساتي.

- الفردية و العلاقات اللاشخصانية عند ساكنة مدينة معسكر.
- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية مدنية، قوامها الفردية، العلاقات اللاشخصانية، الاستقلالية.
- من خلال هذا الفصل سنحاول طرح الوجه المدني للمنطقة قيد الدراسة محاولة مّا لمعرفة مدى تحرّر الفرد من قيود الجماعة، معطيا العنان لنفسه لبلوغ درجة من الحرّية، بناء حياة مستقلة مبنية على علاقات عقلانية.

- الاستقلالية و إذكاء روح الفردية بين الساكنة :

-تشجّع الحضرية باستمرار على تأكيد روح "الفردية" فحشد الجموع البشرية في المجتمع الحضري و الطابع الاختياري للروابط الحضرية، تعدّد الفرص و تنوّعها و سهولة التنقل أو الحراك الاجتماعي، وتنوّع انتماءات الأفراد و تعدّد المصالح الموحّدة بينهم، المنافسة، كلّ ذلك يجبر الفرد على اتّخاذ قراراته بنفسه، و على التّخطيط لحياته بطريقة فردية و بالتّالي الحضرية تفتح باب التّمايزات و الفروق، فينبغي على ساكن الحضرة أن تكون لديه القدرة على أن يتحايل عليهم و أن يحمي ذاته من تحايلاتهم نحوه، الأمر الذي يضطره أن يتميّز على الآخرين، فتفتتت بذلك الحياة الاجتماعية و تميّزها بطابع الفردية.¹

-و من الفردية " الفر دانية" حيث يقول مارسال موس عن نص لإيلي هاليفي في المقام الأوّل يمكن أن نعني بالفردانية منهج لتأويل الظواهر الاجتماعية في موضوع علم الاجتماع، يمكنني أن أتخذ كمقوّمات أولية الأفراد الذين يفترض بإطلاق أنّهم متمايزين بعضهم عن بعض و أنّهم مفكّرون وأنانيون المناطون للتكوين العقلي، يمكن وضع هؤلاء في مواجهة مع بعضهم.²

-فالإنسان ليعيش في وسط مدني هو مجبر على اتّخاذ قراراته بنفسه، و بالتالي الاعتماد على النفس و التخطيط بعقلانية و بطريقة فردية لحياته، فبمجرد اختيار الفرد لمنطيه العيش المدني يكون قد خطى خطوة أولى نحو الفردية ما تعلق بها من عقلانية و منطقية.

¹ - السيد عبد العاطي السيد: دراسات في علم الاجتماع الحضري - مرجع سبق ذكره - ص 235 - 236.

² - أندري لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية - مجلد2- منشورات عويدات-بيروت باريس - ص 657 - 658.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

-يقول (الحالة 04): " لقد اخترت العيش في المدينة لأستقر اجتماعيا، بما أنني أعمل هنا في مدينة معسكر، اشترت سكنا خاصا، أريد أن أتحمّل مسؤوليتي بمفردتي و أتخاذ قراراتي وحدي، فأنا الآن مسؤول على عائلة و أبناء، عمل خاص و هذا هو طابع المدينة" (ذ، 38، م، دون مستوى)

-و تقول (الحالة 03): " لقد انتقلنا للسكن هنا لبنني أنفسنا وحدنا، الآن أصبح لدينا أولاد فعلينا أن نتحمّل مسؤوليتنا بمفردنا، تقريبا أنا لذي علاقات محدودة، أميل دائما لأعتمد على نفسي، قد تقولين لي و الجيران أقول لك علاقاتي بهم محدودة في مناسبات فقط، في الغالب لا أترك أبنائي يلعبون في الخارج، أحب أن يلعبوا في الدّاخل لتفادي المشاكل" (أ، 32، م، ليسانس)

-تقول (الحالة 12): " التعاون مع الجيران يشعرنني بالسعادة لكن تعرفين ظروف الحياة صعبة والعيش في المدينة أصعب، فنحن نعتمد على أنفسنا في أمور مختلفة، إذا أردنا القيام بشيء نقوم به بأنفسنا، فأنا أهتم بأخي، أدرسه في الغالب أريده أن يبقى في البيت للعب، الكثير من الأمور لا نغيرها اهتماما كبيرا فهي لا تحتاج لذلك"

(أ، 21، غ م، 2 متوسط)

-فالمدينة مجال واسع يحتم على منتسبيه المعقولية في التفكير و الطّرح، المنطق في التّعامل فالفرد فيها مهما كان فهو يعيش بين غرباء لا يعرف الكثير عنهم إن لم نقل لا يعرف شيئا عنهم.
-فكثيرا ما يفضل العزلة و العيش في بحبوحة خاصّة، و إن أحس بالضّيف و الضّجر فيفعل أي شيء عدا مخالطة الآخرين.

-تقول (الحالة 15): " لا أنكر أنني أعيش في وحدة، طبعاً أنا مع أسرتي لكنني غالبا عندما أحسّ بالضّيف أتجوّل بين المحلات و لوحدي غالبا إن لم أكن رفقة الأهل، فالوقت لا يستأمن، قد تأمنهم في أمور الحياة اليومية لكن هناك أمور أنت وحدك المسؤولة عنها، أنت وحدك من يقرّر فيها و لا أحد لا أحد أقول سيّخذ القرار مكانك، أو يلومك عليه، لأنّ الأمر ببساطة لا يعنيه، و الذي تدخّل فيها لا يعنيه يلقي ما لا يرضيه" (أ، 30، غ م، ليسانس).

- " من تدخّل فيها لا يعنيه يلقي ما لا يرضيه" مثل كثيرا ما نسمعه، يضرب عند التّدخل في شؤون الآخرين، في نظري هذا المثل مديني بامتياز، ففي المدينة لا أحد يتدخل في غيره لأنّه أمر لا يهمه لا يخصّه، و لأن الأفراد لا تربطهم صلة قرابة حقيقية، بل قرابة جوارية سكنية و بالتالي فمهما حاول التّدخل فالمنطق و العقل لا ينصفانه.

-تقول (الحالة 11): " في هذه الدّنيا ساعد نفسك بنفسك كي تواجه مصاعب الحياة و مشوار طريق مستقبلك، فالأحسن بالاعتماد على النّفس و التّوكل على الله" (أ، 18، غ م، دون مستوى).

-المدينة، العقل، الفردية، الاستقلالية، مفاتيح لا يمكن العيش و الانخراط في الحياة الحضريّة دون اعتمادها.

- المهنة و درجة الاكتفاء من عوامل تأكيد الفردية :

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- المدينة هي عامل جذب للأفراد لتميزها بمجموعة مميزات، فهي ليست مجرد وحدة جغرافية وإيكولوجية، بل هي كيان اقتصادي، من خلالها يحضى الفرد بمكانة اجتماعية، و يستقر اجتماعيا.

- صعوبة الحياة في المدينة، طابع العلاقات اللاشخصانية القائمة على روح الحساب و منطق الثمن، المخالصة لكل شيء ثمنه، القانون الوضعي القائم على بنود و أسس على الكل الانصياع له.

- الفرد المدين لا يخشى المشي وسط الغرباء، الجلوس بجانبهم أو حتى سؤالهم عن أمر ما بشرط عدم التدخل في حياتهم الشخصية.

فمن خلال المدينة تتحطم الروابط الشخصية نحو اللاشخصانية لذلك كثيرا ما نرى شخصا يلتقيان في الشارع يسلمان على بعضهما و بعد دقائق ينصرف كل منهما لقضاء حاجياته.

- لتكون بذلك المهنة ضرورة لتحقيق الاكتفاء و التمكّن من مضاهاة الحياة الحضرية.

- فهل كلما استقر الفرد مهنيا و حصل على درجة من الاكتفاء كان في غنى عن العلاقات والقيم الدينية التعاونية، و اتجه وجهة مدينة؟

- يقول (الحالة 09): " الآن تقريبا لديّ علاقات لكنها محدودة ليس بنفس الطريقة السابقة تعرف العمل و طبيعته، تقريبا علاقاتي مع زملاء العمل و المواضيع حول العمل و بالتالي ليس لديّ الوقت، بفضل العمل أنا أعيش هنا، ليس سهل العيش في المدينة و بدون عمل، مال لا يمكنك أن تعيش هنا، و هذه هي الحقيقة التي لا هروب منها"

(ذ، 45، م، جامعي)

و تقول (الحالة 10): " قلت لك أنا موظفة، و بفضل هذه الوظيفة، طبعا إلى جانب وظيفة زوجي تمكنا من شراء بيت، و الحمد لله نحن مكتفون ماديا لا ينقصنا شيء و لا نحتاج إلى مساعدة أحد، علاقاتي تقريبا مع زملاء العمل، مع أهلي و أهل زوجي، و الوقت غير كافي لإقامة علاقات، ثم بصراحة لست بحاجة لهذه العلاقات، فأنا في بيتي مع زوجي و أبنائي علاقاتي معهم فقط، لا أحتاج لهم قد أتواصل معهم في حالة الواجب فقط و لفترة قصيرة كجنازة أو مناسبة، فالناس مختلفين كما يقول المثل (أصابع اليد لا تشابه)" (أ، 40، م، جامعية).

- العمل، قلة الوقت، الاكتفاء ذاتيا، يجعل من العلاقات تطفو على السطح لتصبح فليّنا لا يزن أمام ظروف العمل.

- تقول (الحالة 11): " بيننا و بين الناس علاقات خفيفة فقط، فنحن لا نحب التعرف عليهم، إنك تعرفين الوقت صعب و الإنسان لا يستأمن و نخاف من المجهولين، فيكفيني العيش مع عائلتي والاعتناء بأخي المعاق، القيام بواجبي الديني أصلي، أصوم في شهر رمضان و عادة في الأيام العادية، و بيننا و بين جيراننا و الناس علاقات عادية مثل بقية الناس سلام و بعض الحديث لا أكثر فنحن نخاف، و الوقت غير آمن، كثرت المشاكل اختطاف، مخدرات، و أنا فتاة، تغيّرت الرؤية للفتاة و العمل هو الشيء الذي يمكن الفرد من العيش في المدينة، حاليا أمي هي التي تعمل و لو أنه عمل متواضع، لكن بفضلنا نحن نأكل الخبز، و بعد

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

شهر أو شهرين سأخرج من معهد التكوين المهني، و سنكتفي ماديا فلا نحتاج بعدها لأي مساعدة" (أ، 18، غ م، دون مستوى).

-ضيف (الحالة 01) : " بفضل عملي أعيّل عائلتي، فالفرد مهما كان سيجد نفسه في النهاية وحيدا وسط مجتمع لا يرحم، الحمد لله لدينا جيران طيّبون لكن لكلّ منهم عائلة، مسؤوليات، وهذه المسؤولية تحتاج إلى رجل حديدي، مهنة تعيله على عقبات الزمن، قلت لك أنني أستاذ و تعرفين ظروف العمل، تقريبا علاقتي مع زملائي في العمل، تلاميذي، عائلتي، أنسابي، و الحمد لله أنا مكثفي من عملي هذا فلا أحتاج لمساعدة أحد، الحمد لله أتحمّل كل تكاليف عائلتي علاج ابنتي، استكمال بناء بيتي... وهكذا" (ذ، 43، م، ليسانس).

-فالحياة في المدينة تطبع أفرادها بطابع العلاقات السطحية، تفرض امتهان مهنة لمجابهة مشاكلها المتنوعة.

-تقول (الحالة 13) : " أنا أعمل كاتبة، و لو أنّ أجرها محدود لكنّه يكفيني و يكفي عائلتي، يحميننا و يقوّينا على مصاعب الحياة، لديّ علاقات تواصل مع الجيران و الأهل لكنّها تكاد تكون متعلّقة بالمناسبات صرت أفضل الاهتمام بأموري و أمور عائلتي وحدنا لا نشرك أحدا، فلكل همّة الذي يكفيه، و إذا وجدت جار جيّد، فهناك آخر مختلف أناني يجبّ نفسه لا يأبه للآخرين" (أ، 34، غ م، 1 ثانوي).

-الفرد المدني مع الوقت سرعان ما تتأكّد لديه ضرورة الاعتماد على النفس، استعمال العقل و إشغاله في كثير من الأمور، التفكير بمنطقية Raisonablement فيكون بذلك قد تطّبع بطابع الحياة الحضرية الفر داني الأناني المتفوق.

-تبين دراسة ميدانية وجود ضعف واضح في العلاقات بين الجيران فقد أصبحت محدودة تتخذ طابع رسمي شكلي تختفي فيه صفة الحميمية التي كانت موجودة من قبل بين الجيران، حيث كانت الزيارات و الأظعمة و المأكولات، و الملاحظ ارتباط علاقات الجوار بالمصلحة المشتركة. التداخل والاختلاط بين الجيران أصبح مكروها لعدّة أسباب كالعمل، و عدم وجود وقت فراغ حدوث مشاكل بين النساء أو الأطفال، أو عدم الاندماج بين الحيران.¹

و تبقى حداثة المنطقة عائقا عمليا أمام اندماج الأفراد.

- السّكن و إدكاء طابع الاستقلالية:

السكن رمز من رموز الهوية، فقد كان و لا يزال مكان هام للفرد من خلاله يذكي طموحه وكل ما يريده.
-بنظرة معمارية Architectural نميّز بين نمطين من السّكن، السّكن الدائري الذي يتوسطه حوش، الحوش الذي قال عنه "عابد بن جليد" من خلال " تشظ المجال الحضري الوهراني (الجزائر) :ميكانيزمات، عوامل و تهيئة حضرية " و في إطار حديثه عن انفجار السّكن في المجال العاصمي الوهراني يتناول مصطلح "حوش"

¹ - سلوى السيّد عبد القادر و آخر : الأنتربولوجيا و القيم - مرجع سبق ذكره- ص 326.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

Haouch على أنه يأخذ عدّة معاني، فهو يستعمل في الوسط الريفي ليعني به شكل البيت الريفي الذي يحتوي على ساحة داخلية مغلقة يشكل مجال حميمي للعائلة و بشكل عام "الحوش" لا يحتوي على أيّ فتحة على العالم الخارجي، فهو مغلق باستثناء باب الدّخول، غير أنّه مع التّزوح الريفي تمّ نقله إلى المجال الحضري تعديلات تتلائم و الحياة المدنية حيث تمّ فتح عدّة نوافذ وأبواب تطلّ على الطّريق¹.

- وهناك أيضا السّكن الحداثي الذي يكاد يختلف فيه الحوض، نمط المهارات بلغة أخرى لقد تمتّ عصرنة "الحوش" ليتلاءم مع المجال المدني.

- في تحليلنا لهذه الورقة سنعمد على ملاحظات، معاشات للمنطقة المدروسة و أنت تجوب أرجاء الحي لا ترى مهارات بل سكنات طبقية تقريبا في طور الإنجاز و إذا كانت قد اكتملت من الدّاخل تبقى من الخارج غير مكتملة البناء تعكس الجانب الاقتصادي لمكتسبيها.

- فالسّكنة في تغيير مجال إقامتها باتجاه هذه المنطقة أرادوا إثبات هويتهم الفردية، و الانخراط ضمن منظومة الاستقلالية على مختلف المستويات بداية بالاستقلالية السّكنية وصولا للاستقلالية المادية.

- فقليلًا ما تجد كملاحظ، نساء يتكلّمن في الشّارع فشيّفة التواصل قد استبدلت بالباب والتّوافذ، لذلك قد نرى باب مفتوح قليلا خلفه امرأة تتكلم إلى جارتها أو إلى ابنتها التي تلعب أمام الباب مباشرة قائلة لها: " العبي هنا لا تذهبي بعيدا، سأراقبك بين الحين و الآخر"، و هذا يدل على أهمّية الفضاء السّكني للسّكنة، و ما الفناء إلا فضاء سكنيا ممتدا، لتلعب التّافذة نفس دور الباب تقريبا، أو يحوّل إلى مكان لعب الأطفال، فتضع فيه طفلها لأنّه محاط بسيّاج فيراقب الشّارع و هو داخل البيت فتضمن بذلك عدم خروجه للشّارع. لكن قد تغفل الأم عن ابنها و هذا ما لا يحبّه البعض، أذكر جيّدا عندما كانت الطّفلة أمام البيت تلعب و الأم كانت تراقبها عبر النافذة، و مرّت إحدى الجارات سلّمت عليها قائلة لها: " أدخلي ابنتك للبيت دعيتها تلعب في الحوش أو الغرفة".

- هذا دليل على أهمّية السّكن بحدّ ذاته كمجال إقامي و هو في حدّ ذاته يحمل عدّة دلالات فكان بذلك جديرا بالاهتمام.

- يقول "عبد المالك صياد Sayad A" في إحدى مقالاته على أن الجيران لم تعدّ تربطهم علاقات كما كانت في السّابق فقد حلّت محلّها علاقات سطحية و باردة، مختارة و عقلانية فهذه هي طريقة الحياة داخل فضاء جديد و أطلق عليها " نموذج المخالطة الحالي"¹.

- حتّى لا يرتبط السّاكن بالسّكنة المجاورة فهو يسعى لضرب علاقة وثيقة مع محيطه السّكني الذي يعبر من خلاله عن فردانيته و استقلاليته تلك التي يحتاج بها لأيّ تفاعلات خارجية.

1- Abed Bendjliid : La fragmentation de l'espace urbain d'Oran (Algérie) "Mécanismes acteurs et aménagement urbain- Insniyat N° 05 Mai Aout 1998- p61 -73.

¹ - سوالمية نورية: السّاكن، السّكن و المحيط الممارسات و التمثلات - مرجع سبق ذكره - ص 99.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

-تقول (الحالة 10): " عندما أعود من العمل أبقى في بيتي أوضبه، أنظفه تعرفين أمور البيت، خصصنا غرفة خاصة تحتوي على سبورة جدارية لدراسة أبنائي فلا يحتاجون بذلك لأي مساعدة، أنشر غسيل في السطح" (أ، 40، م، جامعي).

-السكن، الاستقلالية، الاكتفاء المادي ثلاثية مرتبطة بشكل وثيق، فالسكن يعبر عن الاستقلالية و الاكتفاء المادي يستهم في سريان مفعوله فتصبح بذلك مكونة للفردية المدنية.

-تضيف (الحالة 11): " علاقتي مع بيتنا هذا متينة، فلا أكاد أخرج للخارج إلا لقضاء حاجة ك شراء شيء ما أو للدراسة، فالشارع أصبح غير آمن، شباب اليوم لا يعرف سوى... فالبيت آمن من الخارج" (أ، 18، غ م، دون مستوى)

-عيش الفرد في سكنه و قلة اتصالاته بالعالم الخارجي، و إن كانت اتّسمت بالبرودة و الطابع اللاشخصاني للعلاقات الاجتماعية تبقى سمة معبرة عن الصبغة الحضرية الجامحة و في هذا الإطار تأثير الفضاء على الأفراد "التطبيع"، يقول "جنيد حجيج": " تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها و فهمها إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء و المجتمع في المرحلة الأولى، يجب فهم العمليات التي تحدث أو التي حدثت حتى تمّ بموجبه إنجاز الفضاء، ثم في مرحلة تالية يجب ملاحظة و تسجيل آثار هذا الفضاء على المجتمع ككل¹.

-للفضاء -بهذا- تأثيره على الأفراد، الأمر الذي لا يمكن إغفاله، و لما كان السكن مجالا متعدّد الوجهات، أخطبوطي الاستعمالات حظي منتسبهه باستقلالية متميزة تذكّي الطابع الفر داني المدني.

- النشاط الجموعي عند الساكنة:

يتكلم عبد القادر لقجع من خلال: " المدينة قلب تصهر فيه الثقافة الجديدة (مدن، ثقافات و مجتمع بالجزائر " عن ظاهرة الحركات الجموعية في الوسط الحضري و تناميها خاصة في فترة ما بعد السبعينيات 1971م، و كيف أنّه يعتبرها فن التّصالح مع الصّعوبات أو التعقيدات الجديدة للحياة الحضرية، حيث يقول أنّه يمكن اعتبار الحركة الجموعية" أنّها ردّ فعل اجتماعي على فساد البنية الاجتماعية للرابطة Communauté أو الجماعة المعنية بالتّحضر".

-بمنطلقات ميدانية، يتكلّم عن انتفاضة أكتوبر 1988، كيف ساهمت في مضاعفة الجمعيات بالجزائر في مختلف المجالات ليجد 75 جمعية اجتماعية، 55 جمعية ثقافية، 44 ذات حقوق مختلفة، 42 دينية، 21 علمية، 40 مؤقّته متعلقة بالبيئة و السّكن، 21 جمعية سياسية، 04 رياضية.

- عن العلاقة بين المجال الدّيني و المجال الرّياضي تقول حنفي سامية صاحبة " Les sport Algérie à travers les âges " : " الفريق، الجمعية ... هم قبل كل شيء مكان التّجمّع لنفس الجماعة، هو شعور الانتماء لنفس الفريق له مميّزات متجانسة (الشروط الاجتماعية، الدّين، السنّ و خاصّة الحي)".

¹ . عبد الرزاق أمقران : الفضاء العمراني، فضاء اجتماعي و ثقافي في مقارنة منهجية- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية - العدد 16 - جوان 2007 - جامعة باتنة - الجزائر - ص 189.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

-جيل الجمعيات ولد في العشرية الأخيرة -حسب لقجع- حيث اختلفت التسميات، ففي بلاد القبائل " Des
"tajmaat et leur Amokrane N'tadert"، بالمزاب Majliss و بالتاسيلي الهقار و التوارق
.Amemokal

- مع ميلاد عصر التصنيع ظهرت جمعيات _البطالين، الإطارات، الخبراء، المتقاعدين، سكان الحي، المهتمون
بالمحيط ضدّ التلوث و الأمراض البيئية الأخرى".¹

- بهذا يكون عبد القادر لقجع قد حفر معرفيا بمفهوم "ميشال فوكو" في مسألة النشاط الجمعي.
-حسب معرفتنا المتواضعة الجمعية تكوّنت لتمييز فئة عن أخرى، فيها و من خلالها يجتمع أفراد لتحقيق أهداف
مشتركة".

-و لأنّ تكوّنها ضاربٌ في التاريخ، فارتباطها بالمجال المدني شيء ضروري ضرورته اقترنت بظروف الحياة
الحضرية، و طابع العلاقات الاجتماعية فيها.تقول (الحالة13) : "نحن نلجأ للجمعية في حالة عدم وجود
مساعدة، هناك جمعية إحسان للمعاقين ذهنيا و هي جمعية تملك كلّ المستلزمات آنية طاولات، كراسي،
أفرشة، إذا لجأت إليها تعينك كل ما يلزمك، هي مدرسة لذوي الاحتياجات الخاصة، لقد ساعدتنا عندما قمنا
بزفاف أخي، و أنا أرى بأنّ لها أهمية كبيرة" (أ، 34، غ م، 1 ثانوي).

-"المعاقون ذهنيا" شريحة اجتماعية تشترك في نفس الظروف على ذلك تم تكوين جمعية باسمها، وفي نفس
الوقت تعمل على مساعدة المحتاجين و الذين يمرّون بظروف حرجة.
-السؤال المطروح ما الدافع لإنشاء مثل هذه الجمعيات ؟.

ثمّ أين هي تلك الرّوح العصبوية التي تمّ تأكيدها في الفصل السّابق؟

يقول (الحالة07) : " أتعامل مع جمعية الإصلاح و الإرشاد و جمعية كافل اليتيم، حيث لها أهميّة كبيرة في
الرّبط بين النّاس و الهيئات الإدارية، و عضو في جمعية المجد (المعوقين) و الاتحاد العام للمعوقين و نادي
السّلام"

(ذ، 42، م، 3 ثانوي).

و تقول (الحالة08) : " أنا أيضا لدي نفس الانتماء الجمعي لما قاله - الحالة 07- و بالطبع لها أهمية
كبيرة"

(أ، 40، م، 3 ثانوي).

-الفرد المدني لا يمانع في أن يكون له انتماء جمعي، فهو يرى فيها و في وجودها أهميّة كبيرة، من خلالها تحلّ
مختلف مشاكله.

-قلة معارف الفرد المدني، و محدودية علاقاته، انعدام أو تقلص ثقته فيمن حوله كلّها عوامل -حسبنا- تسارع
في اعتماد الفرد على الجمعيات. فالجمعيات بالنسبة له منفذ من خلاله تلبّي كلّ حاجياته.

¹-Abdelkader Lkjaa : La ville "creuset d'une culture nouvelle (ville, cultures , et Société en Algérie
) - Opsit - p -39-59

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- فالفرد المدني بهذا حوّل وجهة ثقته من الأفراد بعدما كان يعتمد مفهوم الجماعة إلى المؤسسات، وفق منطق العقلانية و التّضح. و الفردانية و الثقافة و هو منطق الحياة المدنية بتعبير Fanny Colonna¹.
- يضيف (الحالة 14) : " أنا أنتمي إلى جمعية اسمها جمعية أصدقاء البيئة، حيث أقوم أنا وأصدقائي بغرس الأشجار، و حتى تنظيف الأحياء، نقدّم هدايا لأجمل الأحياء" (ذ، 27، غ م، ليسانس)
- و يقول (الحالة 01) : " أتعامل مع جمعية الإصلاح و الإرشاد" (ذ، 43، م، ليسانس).
- فالانتماء لجمعية ما قد يكون هواية، كما قد يكون سمة معبرة للحياة الحضرية و رغم وجود المُعادين للنشاط الجموعي تبقى الجمعيات كؤسسات قائمة في الوسط الحضري.
- و عن النزعة المضادة للجمعية يقول (الحالة 05) : " لا أتعامل مع أي جمعية، و لا أنخرط في أي هيئة" (ذ، 60، م، إداري في المالية و الإحصائيات).
- و كذا بالنسبة (للحالة 06)، (الحالة 12)، (الحالة 15) و غيرها من الحالات، و حتى أن هناك من رفض التعامل بقطعية معها لا في الحاضر و لا في المستقبل.

- المجال العام يتفتت:

- المجال العام / المجال الخاص ثنائية سنحاول تفكيكها من خلال هذه الورقة.
- أما المجال العام من مجال العلاقات و الرّباطات التي ينسجها الأفراد نسجا نسقيا محاولة منهم للمحافظة على النّسق الكلاسيكي، هو مجال قائم على الاختلافية و قبول المختلف فالكمل فيه يحترم فردانية الآخر لتحقيق النّسقية الكّلية، هو مجال يعتمد على "تنتهي حرّيتك عندما تبدأ حرّية الآخرين".
- بينما يقابله المجال الخاص الذي يحتل فيه الفرد المركز، هو مجال يسمح باستقلالية الفرد على جميع المستويات، هو مجال يتيح أمام الفرد فرصة ممارسة نموذج الحياة الذي يختاره هو، هو المجال الذي له فيه مطلق الحرّية.
- فالمجال العام يؤسس لمفهوم المجتمع بنظرة وظيفية، في حين المجال الخاص يؤسس لمفهوم الفرد فتصبح بذلك ثنائية المجتمع /الفرد.
- طرحت هذه الثنائية التي هي عبارة عن أصداد في العديد من الكتابات كـ " Norbert Elias, François Dubet" هذا الأخير صاحب الأنا/التّحن، يطرح مفهوم الضّبط Configuration لتجاوز هذه التضادية، يقول أنّ فرد/مجتمع تعدّ صورتان أو نموذجان مختلفان، في طرحه لمفهوم الضّبط يعطي مثال : ل 04 لاعبين يجلسون حول طاولة، تمشي اللعبة وفق دور كلّ لاعب و اختياراته و قراراته.

1. Fanny Colonna : Paysans et encadreurs "A propos des transferts de savoirs et modèles entre villes et campagnes Algérie, de A Nouschi et autres : système urbain et développement au Maghreb, office des publications universitaires Alger 1983- p322.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- من جهته Edgar Morin "الفكر المعقد" هو عالم اجتماع و فيلسوف فرنسي و استنادا لـ Blaise Pascal " يؤكّد " يستحيل فهم الأجزاء بمعزل عن الكلّ و كذا فهم الكلّ بدون فهم محدّد للأجزاء" و هذا لفهم ما يسمّى "الفكر المعقد".

- قال حول مفهوم " الكليّة Holisme و الفردية" يجب إثراء مفهوم المجتمع من كلّ التواحي عندما يكون هناك تفاعل بينه و بين مفهوم الفرد، و هذا يخلق مجتمع متكامل يركز على الأفراد و هذا لا يعني أنّ الأفراد بطريقة عكسية ليسوا ضروريين للمجتمع، الأفراد يحتاجون المجتمع و هذا الأخير بدوره يحتاج الأفراد "فالعلاقة تبادلية"¹.
-فانتقال الفرد و دحرجته من فضاء إلى آخر كلّ هذا له تأثيره على نمطية عيشه فهو بخروجه من المجال العام و انخراطه ضمن منظومة المجال الخاص يكون قد انتقل من مستوى يحقّق من خلاله فرديته و يبرز بشكل آخر متميّز.

- فهل في تحقيق فرديته انسلاخ كلي عن قيمته التنشئية -التعاونية منها- فكرا و ممارسةً؟
-انتقال الفرد إلى الفضاء المدني محاولة منه لتثبيت أقدامه على أرضية من خلالها يحقّق فردانيته التي كانت في الأساس مُنمحات في الجماعة.

-في إطار الجماعة الكلّ يهتم لأمر الكلّ أو بكلام آخر فأمر الفرد مهم عند بقية الأفراد لأنه مكونة من مكونات الجماعة، فهو ليس وحده المسؤول على تحمّل متاعب تربية ابنه، فهل سيواصل العيش في المدينة بنفس هذه التّمطية؟

-يقول (الحالة 07) : " أنا أب لـ 03 أطفال ذكّرين و أنثى، في مسألة الأخلاق لا أمانع في أن يشاركني الآخرين تربية أبنائي، فنحن قد ربّينا على هذه الطّريقة و أسعى جاهدا على تربية أبنائي بنفس هذه الطريقة، فلو ضرب أحد أبنائي لسلوك أخلاقي ما سأفرح كثيرا، بل حتّى أنّي سأجازيه لأنّه سلوك من صلب الإسلام و من تعاليم ديننا"
(د، 42، م، 3 ثانوي).

- في نفس السّياق تقول (الحالة 08) : " مثلما قال زوجي سنجازي جارنا إذا قام بهذا الفعل الأخلاقي، لكن أين هو هذا الجار، فكل واحد منشغل في نفسه، أولاده بل حتّى أنّهم صاروا لا يهتمّون بالآخرين ما قولون و ما يفعلون"
(أ، 40، م، 3 ثانوي).

-يقول (الحالة 05) : " الجار هو واحد من الأهل فإذا ضرب ابني لسلوك أخلاقي أنا أرحب بهذا الجار، و أزيد ابني ضربا أكثر ممّا ضرب " (د، 60، م، إداري في المالية و الإحصائيات).

-و يضيف (الحالة 01) : " طبعا سأجاري جاري لأنّه سلوك شهيم، لكن عن أي أخلاق تتحدّثين و عن أي مجتمع، فالناس مختلفين و نادرا ما ستجدين مثل هذا النوع، غالبا لكل واحد طباعه و أفعاله، الذي تتحدّثين

¹- Dominique Glayman: L'essentiel pour comprendre la sociologie- Ellipses édition Marketing SA, 2012- P17-19

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

عنه وجدته في جيبي القديم كنا كلنا يد واحدة، لكن هنا تقريبا إن وجدت جارا يضرب به المثل في القيم و
الذين ستجدين آخر و آخرين مختلفين" (ذ، 43، م، ليسانس).

- بمقابل هذه الحالات المؤيدة نجد حالات أخرى، من ضمن عينة بحثنا، رافضة تماما وبالإطلاق، و تدعو
بالانسلاخ الكلي عن النمط الحياتي القبلي معتبرا نفسه المسؤول الوحيد على تربية ابنه.

-يقول (الحالة 09) : " طبعاً أنا أمانع تماما، فابني أو ابنتي، أبنائي، عموماً مسؤوليتي وحدي ولا أحب تدخل
أحد فيهم" (ذ، 45، م، جامعي).

- ثم في إطار الجماعة انحراف الأفراد من مهمّة الجماعة تطويعهم فهل هذا التطويع يستمر في المدينة ؟
-تقول (الحالة 03) : " بصراحة كل واحد مسؤول على تصرّفاته و لا أحد من حقّه التدخل في شؤونه، فهو

ليس من أقاربنا، أهلنا، هو جار فأنا أشعر حياله بالألم، فإن لم أستطيع أن أنصحه بالفعل وبمساعدة زوجي في
هذه الحالة، فإن لم تستطع فبقلبك" (أ، 32، م، ليسانس).

-تقول (الحالة 13) : " أتجنّبهُ و تكون المعاملة معه سطحية، أتركه و شأنه أتجنّبهُ" (أ، 34، غ م، 1 ثانوي).
-و في الجماعة من لا يمثل لقانونها القيمي الديني فهو من البداية منبوذ و يُمحي من القائمة -قائمة العضوية-
فهل هو كذلك في المدينة؟.

-يقول (الحالة 11) : " لا أريد التدخل فأترك هذا للقانون، فأنا أحاول أن أضمن منزلي جيّداً، أما مشاكل
الناس فلا أتدخل فيها" (أ، 18، غ م، دون مستوى).

-و تقول (الحالة 15) : " لم تبقى القيم الدينية مثل زمان، فهناك ابتعاد عن الدين في العلاقات الاجتماعية، و
أصبح الدين في القلب كما يقول المثل" (أ، 30، غ م، ليسانس).

-تقول (الحالة 02) : " لقد أصبحت العلاقات فردية، و أصبح الاهتمام بالجانب المادي فقط أين هي
الأسرة الكبيرة، فهناك نقص في التواصل و التضامن فنجد أغلب الناس يؤدّون الفرائض و لكن القلة القليلة
يفقهون معناها فتجديده يصلي و لا ينهي عن المنكر و الفحشاء، لا يصل جاره ، لا... ماذا عساني أقول" (أ،
40، م، ثانوي).

- "نفسي نفسي" كلمة تكررت بين بعض الحالات لتعبّر تشرذم المجال العام و تفتته. و ما ساهم في تفتت المجال
المديني يقول عبد الله العروي " يفكك التلفاز الفكر الجماعي المدني و يدفع الناس إلى الانكماش على حياتهم
العائلية، يشجّع الذهنية الترفهية على حساب الذهنية الإنتاجية"¹.

-السؤال المطروح و الذي لا نستطيع الإجابة عنه إلا إذا عاودنا تجربة بحثية في مشاريع مستقبلية، إن شاء الله.

-هل سيستعيد المجال العام قوامه؟ أم أنّه سيتواصل مسيرته الانمحاءية في ظل المجال الخاص؟.

-على مستوى الممارسة تتأكد الفرضية الأولى القائل نصّها :

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلقية تعاونية-

¹ - عزيز لزرقي : العولمة و نفي المدينة- ط1- دار توبقال للنشر - الدار البيضاء- المغرب- 2002- ص 24.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فصحيح أنّ الفرد في المدينة يريد أن يستقل بحياته بامتهان مهنة تعيله على الحياة، سكن خاص يميّزه، حياة خاصّة مختلفة لكنّه لا يزال محكوم دينيا بقيم دينية تعاونية لا يستطيع بأي صورة أو صيغة التخلّص منها، فهي تعتبر الدرع الواقى له لمسيرة اعتراكه مع الحياة المدنية.

- الخاتمة :

ختاما لهذه التجربة البحثية القيم الدينية هي تلك الأحكام و الضوابط التي تسيّر حياة الأفراد والمجتمعات، و التي تبنى في المجتمعات الإسلامية على أساس ديني خالص فلا تكاد تخرج عن الإسلام .فالتعاون قيمة دينية متجذّرة في النص الإسلامي و من خلال معايشتنا لساكنة "عين البيضاء" خصيصة بمعسكر تبين مدى تأصل هذه القيمة الدينية من خلال ذلك الجانب الثقافي للساكنة و ما مدى التشبث الفكري بالأصول السكنية الأولى ، ثم من خلال العنصر الشبابي تم تفعيل التنشئة الدينية من خلال ترسيخ القيم التعاونية إلى جانب العلاقات الإنسانية الجوارية منها كعلاقة فاعلة لا منفعة في الفضاء المدني و نسقيتها الوظيفية من خلال البعد الممارساتي للساكنة .

غدت الولائم و الجنائز و الأطباق المتبادلة مؤشّرات نسقية ناجعة لتأكيد وظيفة النسق التعاوني الكلي و عوامل مؤكّدة على التساند البيني نسقي - نسقي .

فتأكّدت بذلك الفرضية الأولى القائل نصها :

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية تعاونية و تتأكد بذلك العلاقات التعاونية القائمة على أساس عصبي تعاوني .

في مقابل هذا تتضاءل حصة الفرضية الثانية القائلة :

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية مدنية قوامها الفردية ، العلاقات اللاشخصانية ، الاستقلالية . تبقى المدينة بمقوماتها الفردية ، السطحية ، اللاشخصانية ، الاستقلالية بالمؤشرات المدروسة المهنة و درجة الاكتفاء ، السكن و النشاط الجمعي بعيدة إلى حدٍ ما عن المجتمع المدني المعسكري المحكوم دينيا . إذ في ظل الإسلام المؤسّطر للقيم الدينية التعاونية يتم قمع العلاقات الفردانية .لنفتح المجال في الأخير للعلاقة فردية / تعاونية و ما مدى اكتساح الواحدة على حساب الأخرى للتأريخ لفضاء مدني " معسكري " لمحاولة بحثية أخرى

قائمة المراجع:

I - باللغة العربية

1- المصادر والموسوعات:

- 1- القرآن الكريم
 - 2- الكافي إسماعيل عبد الفتاح، 2005، موسوعة القيم و الأخلاق الإسلامية - مركز الإسكندرية للكتاب -
 - 3- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية - مجلد2- منشورات عويدات-بيروت باريس
- 2- الكتب:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 1- أحمد محمد محمد بدوي: علم اجتماع القيم - دار المعرفة الجامعية - 2002.
- 2- التيجاني ثريا، 2011، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري - دار الهدى عين مليلة الجزائر -
- 3- السيد الحسيني، 2000، المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري" - دار المعرفة الجامعية -
- 4- السيد سلوى عبدالقادر، عباس محمد إبراهيم، 2010، الأنتولوجيا والقيم - دار المعرفة الجامعية - الأزارطة
- 5- السيد عبد العالي السّد، 2008، دراسات في علم الاجتماع الحضري - ج1 - دار المعرفة الجامعية الأزارطة - 2008
- 6- أنتوني غدنز، -ترجمة: فايز الصياغ، علم الاجتماع - ط4 - مركز دراسات الوحدة العربية -
- 7- الثّمري هدى علي جواد، 2009 الأخلاق في السنّة النبوية - دار المناهج - عمان -
- 8- القصير عبد القادر، 1992، الهجرة "من التّريف إلى المدينة - دار النهضة العربية بيروت -
- 9- القصير عبد القادر، 1999، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية - ط1 - دار النهضة العربية بيروت -
- 10- شوقي عبد المنعم، 1981، مجتمع المدينة - ط7 - دار النهضة العربية - .
- 11- رشوان حسين عبد الحميد أحمد، 2004، الدين والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع الديني" - مركز الإسكندرية للكتاب.
- 12- رشوان حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 1998، المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري - ط1 ، الاسكندرية - المكتب الجامعي الحديث - الأزارطة -
- 13- طارق كمال، 2009، أساسيات في علم الاجتماع الديني - مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .
- 14- لزرع عزيز، 2002، العولمة و نفي المدينة - ط1 - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب -
- لوجلي صالح الزوي، 2002، علم الاجتماع الحضري - ط1 - دار النهضة العربية بنغازي -
- 15- محمد إحسان الحسن، 2005، علم الاجتماع الديني - ط1 - دار وائل للنشر -
- 16- محمد أحمد محمد بيومي، 2003، علم الاجتماع الديني و مشكلات العالم الإسلامي - دار المعرفة الجامعية الأزارطة
- 17- محمد الغزالي، 1992، هنا ديننا - ط3 - دار الشروق - القاهرة -
- 18- محمد شفيق، 2005، البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية - المكتب الجامعي - مصر -
- 19- محمد كامل حتّة، 1983، القيم الدينية و المجتمع - دار المعارف القاهرة.
- 20- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري مدخل نظري - دار النهضة العربية - بيروت -
- 21- هشام جعيط، الكوفة "نشأة المدينة العربية الإسلامية" - دار الطليعة - بيروت - .
- 22- يعقوب المليحي، 2003، الأخلاق في الإسلام" مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية - مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية -

3-المجلات:

- 1- عبد الرزاق أمقران، 2007، الفضاء العمراني، فضاء اجتماعي و ثقافي في مقارنة منهجية - مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية - العدد 16 - جوان - جامعة باتنة - الجزائر -
- 2- مختار مروفل، 2008، الرابط الاجتماعي وعلاقته بالمكان - قراءة سوسيو مجالية في مشكل هذه الرابطة بالجزائر - منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية 2008.

4- الرسائل:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 1- سوالمية نورية، 2002، الساكن، الساكن و المحيط الممارسات و التمثلات، دراسة ميدانية بحري سكني بالكرمة وهران
- رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأنتروبولوجيا - جامعة السانبا - وهران -
2- محمد بلحاجي، 2012، الأسرة الجزائرية المعاصرة بين الثبات و التغيير في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمنطقة
الغزوات - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع - جامعة وهران - السانبا -

5- النصوص الإلكترونية :

- 1- عبد الحفيظ غرس الله: الديني والعائلي في المجتمع العربي والإسلامي - من موقع:
<http://www.almultaka.net> نشر بتاريخ 01-04-2006 اطلع عليه 22-09-2007 -

5- الحصص التلفزيونية:

- مقدم سعيد: كيف نعيش ونتعايش في أحيائنا؟ - حصة لتحدث - التلفزة الجزائرية الثالثة يوم 11/03/2013 على
الساعة 21سا.

II- باللغة الأجنبية: (الفرنسية)

1- Les Dictionnaires :

- 1- Madeline Gawitz : lexique des sciences sociales- 7^e Editions Dalloz 2000.

2- Les Ouvrages :

- 1- Fanny Colonna ,1983, paysans et encadreur « A propos des Transferts de savoirs et modèles entre ville et campagne en Algerie -de A. Nouschi et autre : système urbain et développement au Maghreb - office publications universitaire Alger
2- Muriel Montero: *la ville* - collection dirigé par pierre le Guèrinel - Ellipses 2dition Marketin Pierre Bourdieu ,2001, sociologie de l'Algerie- 8^{ème} édition des presses universitaires de France Novembre .
3- Placide Rambaud ,1969, société rurale et urbanisation- 1^{er} édition du seuil, Paris.

3- Les Revues :

- 1- Abdelkader Lakjaa ,1998 ,la ville « creuset d'une culture nouvelle (ville, culture et société en Algérie)- Insaniyat, n 5 Mai - Aout .
2- Abdenour Djellouli ,1995, la ville absente- Esprit saniter.
3- Abed Bendjlid ,1998, la fragmentation de l'espace urbain d'Oran (Algerie) « Mécanisme acteurs et aménagement urbain » Insaniyat n5 Mai - Aout.

4- Les sites :

- 1- Mathis Stock : l'habiter comme pratique des lieux géographique -Espaces-temps.net,textuel,le18/12/2004. <http://espacestems.net/document1138.html>.

- الملاحق:

- دليل المقابلة :
- المعلومات السوسيو مهنية :
- السن :
- الجنس :
- المستوى التعليمي :
- الحالة المدنية :
- المهنة :

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 1- أين كنت تسكن سابقا؟ .
 - 2- كم بقيت هناك ؟
 - 3- كيف كانت علاقاتك مع جيرانك ؟ أهلك ؟ حيّك ؟
 - 4- أين كنت تذهب إذا أردت الخروج ؟
 - 5- هل كنت تساهم في أعمال رفقة جيرانك ؟ ما هي ؟ مما اكتسبت هذا ؟ و في حالة لا ، لماذا؟
 - 6- متى انتقلت إلى سكنك الجديد ؟ السنة
 - 7- هل ألفت المكان ؟
 - 8- من جاء ليهنتك بسكنك الجديد ؟ هل جاء جيرانك السابقين ، الجدد ؟
 - 9- هل لديك علاقات الآن؟ مع أهلك ؟ جيرانك ؟ حيك ؟
 - 10- هل لازلت تواصل في بناء علاقات مع جيرانك ، حيك بنفس الطريقة السابقة ؟
 - 11- إذا أردت الخروج أين تذهب ؟ و رفقة من ؟
 - 12- هل لازلت تساهم في أعمال رفقة جيرانك ؟ ما هي ، مما اكتسبت هذا ؟ و في حالة لا لماذا و ما هو السبب ؟
 - 13- إذا أردت القيام بعمل ما من يساعدك : تقوم به بنفسك ؟ أم تطلب مساعدة أهلك ، جيرانك ، لماذا ؟ ما أسبابك ؟
 - 14- كيف تشعر في حيك هذا : هل تشعر بالانتماء و كأنك وسط أهلك ؟ أم أنك تحس بالوحدة و تفتقد للأنسنة ؟
 - 15- إذا كنت عاملا هل تركت يوما إبنك عند جيرانك ؟ هل اهتموا به ؟ في حالة أنك لا تترك إبنك عند أحد لماذا ؟ ما أسبابك ؟
 - 16- في مناسبة ما هل تتبادل الزيارات مع جيرانك ؟ تتعاونون ؟ تستلفون آنية مثلا أم أنك تلجأ للجمعية لتساعدك ؟
 - 17- ما هي الجمعيات التي تعرفها و التي تتعامل معها ؟ فيما تنشط ؟ هل ساعدتك ؟ و هل ترى أهميتها؟
 - 18- إذا أعددت أكلة تقليدية ما هل تعطي منها لجارك ؟ لماذا ؟ هل يبادللك هو أيضا ؟ في حالة لا لماذا ؟
 - 19- و في رأيك أيهما أحسن التعاون بين الجيران أم الاعتماد على النفس ؟
 - 20- يقوم الجار بدور المرابي في كثير من الأحيان ، فإذا ضرب إبنك من جيرانك لسلك أخلاقي فما ردة فعلك ؟ هل هي نفس ردة فعلك في سكنك السابق ؟
 - 21- في حالة وقوع سرقة أمامك و في حيّك ، سرق جارك فماذا تفعل ؟
 - 22- إذا كان لجارك سلوكيات سيئة فماذا تفعل ؟ تنصحه ، تتقيه ، أم ترحل لتسكن مكان آخر ؟
 - 23- ماذا تقول عن القيم الأخلاقية هل لازلت أم تدنت ؟ و ما هو السبب في رأيك ؟
 - 24- بين حياتك في حيك القديم و حيك الجديد أيهما أحسن و لماذا ؟
 - 25- ما الذي تغير و ما الذي بقي : تعاون ، علاقات مختلفة ، علاقات تجاورية أم أن العلاقات أصبحت فردية تقوم على المصلحة ؟
 - 26- صلاة ، صوم ، صدقة ، زكاة هل لازلت موجودة تقوم بها ؟ و ما مدى تأثيرها في حياتك و علاقاتك اليومية ؟
- توضيح المعطيات السوسيو مهنية لأفراد العيّنة :

| الحالة | الجنس | السن | الحالة المدنية | المستوى الدراسي | المهنة |
|-----------|-------|------|----------------|-----------------|--------|
| الحالة 01 | ذكر | 43 | متزوج | ليسانس | أستاذ |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | |
|-----------|------|----|------------|-------------------------------|------------------------|
| الحالة 02 | أنثى | 40 | متزوجة | ثانوي | مأكثة بالبيت |
| الحالة 03 | أنثى | 32 | متزوجة | ليسانس | مأكثة بالبيت |
| الحالة 04 | ذكر | 38 | متزوج | دون متوسط | تاجر |
| الحالة 05 | ذكر | 60 | متزوج | إداري في المالية و الإحصائيات | متقاعد |
| الحالة 06 | أنثى | 50 | متزوجة | دون مستوى | مأكثة بالبيت |
| الحالة 07 | ذكر | 42 | متزوج | 3 ثانوي | مربي مختص |
| الحالة 08 | أنثى | 40 | متزوجة | 3 ثانوي | مربية مختصة |
| الحالة 09 | ذكر | 45 | متزوج | جامعي | موظف |
| الحالة 10 | أنثى | 40 | متزوجة | جامعية | موظفة |
| الحالة 11 | أنثى | 18 | غير متزوجة | دون مستوى | مأكثة بالبيت |
| الحالة 12 | أنثى | 21 | غير متزوجة | 2 متوسط | مأكثة بالبيت |
| الحالة 13 | أنثى | 34 | غير متزوجة | 1 ثانوي | كاتبة |
| الحالة 14 | ذكر | 27 | غير متزوج | ليسانس | مستشار التوجيه المدرسي |
| الحالة 15 | أنثى | 30 | غير متزوجة | ليسانس | أستاذة |
| الحالة 16 | ذكر | 19 | غير متزوج | 3 ثانوي | طالب |
| الحالة 17 | أنثى | 18 | غير متزوجة | 3 ثانوي | طالبة |
| الحالة 18 | ذكر | 16 | غير متزوج | 4 متوسط | طالب |
| الحالة 19 | أنثى | 17 | غير متزوجة | 4 متوسط | طالبة |
| الحالة 20 | ذكر | 18 | غير متزوج | 3 متوسط | طالب |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قيمة العدل الإلهي في القرآن الكريم ودورها في تعزيز قيم الحوار الديني

د. يوسف العايب

مخبر الدراسات العقديّة ومقارنة الأديان جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة/

الجزائر

مقدمة:

لا شك أن المرجعية الكامنة الموجهة والمتحكمة في السلوك البشري ما يؤمن به من منظومة اعتقادية وقيمية تساهم في الكثير من مواقفه وأحكامه على الواقع المادي والروحي والفكري والبشري الذي يتحرك فيه، وكلما كانت هذه المنظومة القيمية خاصة واضحة المعالم ومتحكمة في النفس، كلما كان سلوكيات الإنسان منسجمة وما يؤمن به من منظومات في الفكر والعقيدة والأخلاق.

ولا شك أن من أهم ما يسهم في الحوار السلس بين المسلم وغيره من بني البشر مهما اختلف معهم إثنيا ودينيا وجغرافيا هو ترسيخ القيم القرآنية المؤسّسة أصلا للحوار والتعايش والتفاهم والمتمثلة في فطرية الاختلاف ومقاصد الخلق والعدل الإلهي، هذا الأخير الذي لا بد من تفصيل القول فيه من خلال التناول القرآني للظواهر الدينية المختلفة والمخالفة والفرق بين منهج القرآن الكريم في تحليل المقولات الفكرية وأخذها بالنقد والتقويم، ومنهجه في التعامل مع أصحاب المقولات المخالفة

إن استيعاب هذه القيمة القرآنية المتمثلة في العدل كفيل بترشيد العقل المسلم ودفعه إلى قبول الآخر والتعامل معه وفق ما شرعه الله تعالى، ولعل أكبر دليل على هذا هو ما شهدته الحضارة الإسلامية في أوج وأبهى عصورها عندما قبلت الآخر وتعايشت معه وأنصفته في المعاملات الاجتماعية والخلافات العلمية والمجادلات الدينية.

وهذا ما نحتاج إليه في عصرنا اليوم من عودة واستحضار القيم القرآنية في كل معاملاتنا ومنها تعاملاتنا مع الآخر، فالعدل هو صمام الأمان والطريق نحو تقريب مفاهيم التعايش التسامح والحوار إلى عقل المسلم وترسيخها في سلوكه.

تتلخص فرضية البحث في مدى تشبع العقل المسلم بفلسفة العدل الإلهي من خلال التناول القرآني للقضايا الخلافية خاصة مع أهل الكتاب، وإلى أي مدى يمكن لهذه القيمة الأخلاقية والاعتقادية أن توجه سلوك الإنسان -المسلم- وتغذيه بقيم التسامح والوئام والتفاهم وقبول الآخر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ويهدف البحث إلى بيان منهج القرآن الكريم في التعامل مع الآخر من الناحية الفكرية ومن الناحية التعاملية، كما يهدف إلى بيان قيمة العدل الإلهي ودورها في ترشيد السلوك الإنساني إذا فهمنا مضامينها الأخلاقية والقيمية والسلوكية.

يشمل البحث مقمة وخاتمة وأربعة مباحث، الأول بعنوان: العدل في القرن الكريم، والثاني: منهج القرآن في نقد عقائد المخالفين، والثالث: منهج القرآن في التعامل مع المخالفين، والمبحث الرابع والأخير: دور قيمة العدل في تعزيز وترسيخ قيم التسامح والتعايش والتفاهم

المبحث الأول العدل في القرآن الكريم:

ورد لفظ العدل في أكثر من ثمانية عشر موضعا في القرآن الكريم، كلها بمعنى الإستقامة ومجانبة الجور، ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى أربعة محاور:

أولا: أمر الله تعالى عباده بالعدل: في مثل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**¹

ثانيا: أمر الله تعالى أنبياءه بالعدل: وأمر الله تعالى أنبياءه بالعدل من الأهمية بمكان، ذلك أنهم يتعاملون مع من يخالفهم ويكف لهم العداوة والبغضاء، ومع هذا أمروا بالعدل والإستقامة في كل الظروف والأحوال: **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**²

ثالثا: اشتراط الله تعالى العدل في جملة من الأشياء: ومنها:

العدل في القول: **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (152)

العدل في الحكم: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**³

العدل في الشهود: **فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)**

العدل في كاتب العقود: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**⁴

1 النحل/90

2 الشورى/15

3 النساء/58

4 البقرة/282

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العدل في الحاكمين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا لَّيْدُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ¹

رابعاً: النهي عن مجانبة العدل: بعدما أمر الله تعالى بالعدل، نهى عباده عن كل ما من شأنه أن يحدو بهم إلى عدم إقامة العدل والقسط بين الناس، ومن الأمور التي ركز عليها القرآن الكريم البغضاء المفضية إلى الظلم وعدم إقامة العدل، واتباع الهوى الحامل على الجور ومجانبة العدل.

فيقول تعالى عن البغضاء المفضية إلى عدم إقامة العدل بين الناس: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ²

ويتحدث تعالى عن اتباع الهوى الذي يكون سبباً في الجور وعدم العدل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا³

المبحث الثاني منهج القرآن في نقد عقائد المخالفين:

ذكرنا في المبحث الأول حديثاً عن العدل من خلال وروده في آي القرآن الكريم، وفي هذا المبحث سنوجه الحديث إلى تطبيق مفهوم ودلالات العدل الإلهي في كلام المولى عز وجل ونقده لعقائد المخالفين، وكيف يتجلى لنا العدل الإلهي في معرض النقد ومناقشة عقائد المخالفين، وما يستفيد منه المسلم اليوم من هذا المنهج القرآني في نقد المخالفين له عقدياً ومذهبياً وفكرياً

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي ينقد فيها المولى عز وجل عقائد وشرائع المخالفين سواء أكانوا من أهل الكتاب أو من غيرهم، وكل هذه الآيات تحتاج إلى تأمل وتدبر وتفكير من أجل استخلاص قيمة العدل في مجال دراسة الأديان ونقدها أو دحضها، ومدى تأثير هذه القيمة القرآنية على الدراسات المعاصرة للأديان، وعلاقتها بالموضوعية والعلمية.

ولانتساع المقام وحصر كل الآيات التي تتكلم عن نقد العقائد في القرآن الكريم سنحاول التركيز على بعض الآيات التي تنقد عقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى منهم:

نقد سلوكات وأخلاق أهل الكتاب:

تعرض القرآن الكريم في أكثر من آية لنقد سلوكات وأخلاق أهل الكتاب، وبيّن في أكثر من موضع فساد بعض الأخلاق التي اتصفوا بها، وكان العدل في الحكم على أخلاقهم ومعاملاتهم السائد في كل الآيات، وهذا من خلال أسلوب التخصيص والتبعيض، والبعد عن التعميم، ففي كل مرة ينتقد فيها القرآن الكريم خلقاً معيناً وإلا وتجد

1 المائدة/59

2 المائدة/8

3 النساء/135

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التخصيص أو الإستثناء حاضرا كشاهد على عدله سبحانه وتعالى في الحكم على المخالفين والتميز بين الصالح منهم والفاسد.

وكمثال على هذا الأسلوب القرآني الدال على عدله سبحانه وتعالى نقرأ في سورة التوبة قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"¹

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "استئناف ابتدائي لتنبية المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيرا لهم في نفوسهم، ليكونوا أشداء عليهم في معاملتهم، فبعد أن ذكر تأليه عامتهم لأفاضل من أبحارهم ورهبانهم المتقدمين: مثل عزيز، بين للمسلمين أن كثيرا من الأبحار والرهبان المتأخرين ليسوا على حال كمال، ولا يستحقون المقام الديني الذي ينتحلونه، والمقصود من هذا التنبية أن يعلم المسلمون تمايز الخاصة والعامة من أهل الكتاب، على الضلال وعلى مناوأة الإسلام، وان غرضهم من ذلك حب الخاصة الاستيثار بالسيادة، وحب العامة الاستيثار بالمزية بين العرب."²

ويضيف قائلا: "وأسند الحكم إلى كثير منهم دون جميعهم لأنهم لم يخلوا من وجود الصالحين فيهم مثل عبد الله بن سلام ومخيريقي."³

فصفة البخل وكنز الأموال والفضة والذهب، وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله هي صفة كما أثبت تعالى لكثير من أهل الكتاب ولكن ليست صفة مطردة في مجموعهم كلهم، وهذا من عظيم عدله تعالى فهو لا يحكم بفساد الأمة الكبيرة بفساد معظمها كما قال محمد رشيد رضا في تفسيره المنار: " وإسناد هذه الجريمة المزرية إلى الكثيرين منهم دون جميعهم من دقائق تحري الحق في عبارات الكتاب العزيز، فهو لا يحكم على الأمة الكبيرة بفساد جميع أفرادها أو فسقهم أو ظلمهم، بل يسند ذلك إلى الكثير أو الأكثر، أو يطلق اللفظ العام ثم يستثني منه، فمن الأول: قوله تعالى في اليهود: "وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون" (62 : 5) ، وقد نبهنا في تفسير هذه الآيات وأمثالها على هذا العدل الدقيق في أحكام القرآن على البشر ، وإنما نكرره لعظيم شأنه ، وذكرنا منه هنا بعض ما نزل في أهل الكتاب ، من قبيل تفسير القرآن بالقرآن

4

ونفس الكلام ينطبق على قوله تعالى في سورة آل عمران، عندما انتقد سبحانه وتعالى صفة خيانة الأمانة عند أهل الكتاب، فميز سبحانه وتعالى بين فئتين منهم، فئة حريصة على أداء الأمانات حتى ولو كانت ذات قيمة عظيمة فلا تغريها ولا تدفها إلى عدم ردها لأهلها، وفئة ديدنها أكل الأمانات حتى ولو كانت بسيطة ولا قيمة لها

1 التوبة/ 34

2 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 11، ص: 174

3 المصدر نفسه، ص: 175.

4 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1366هـ - 1947 م، ط: 2، ج: 10، ص: 345

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فقال تعالى: "وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بَدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بَانْتِهَامٍ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"¹

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "والمقصود من الآية ذم الفريق الثاني إذ كان من دينهم في زعمهم إباحة الخون قال: ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل فلذلك كان المقصود هو قوله: ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلخ ولذلك طول الكلام فيه، وإنما قدم عليه قوله: ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار إنصافاً لحق هذا الفريق، لأن الإنصاف مما اشتهر به الإسلام...."²

وتبعاً لأسلوب القرآن في إنصاف أهل الكتاب والعدل في الحكم ونقد أخلاقهم وسلوكاتهم، يحدثنا القرآن الكريم عن أخلاق من تبع عيسى -عليه السلام- فيمدحهم ويثني عليهم لما اتصفوا به من حسن الأخلاق، ثم يستدرك على ما ابتدعه في دينهم من طرق في العبادة والسلوك لم يشرعها الله تعالى فضوا وأضلوا، يقول تعالى في سورة الحديد: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"³

نقد عقيدة التثليث:

على الرغم من محورية عقيدة التثليث في الدين المسيحي، إذ لا تقوم قائمة المسيحية دون القول بالتثليث، إلا أن الأدلة النصية الصريحة عليها من العهد الجديد تكاد لا تذكر، فإذا تغاضينا عن الأدلة التي يستشهد بها المسيحيون على هذه العقيدة من العهد القديم والجديد، والتي أغلبها ناتج عن التأويل وتحميل النصوص ما لا تحتتمل، فإن النصوص الصريحة الموجودة في العهد الجديد عن عقيدة التثليث تعد على الأصابع، ومن تلك النصوص قول متى في إنجيله: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ"⁴، ويعلق ابن تيمية على هذا النص مبيناً قول المسيح -عليه السلام- إن صح نسبة النص إليه: "مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالمملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول"⁵.

ومن تلك النصوص الصريحة على عقيدة التثليث ما جاء في الفقرة الخامسة من رسالة يوحنا الأولى، والتي يطلق عليها علماء الأديان اسم الفاصلة اليوحانوية، حيث ورد في هذه الفقرة التصريح بعقيدة التثليث، يقول يوحنا

¹ آل عمران/75

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 3، ص: 285.

³ الحديد/27

⁴ متى: 28، 19.

⁵ تقي الدين ابن تيمية. تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: مجموعة من الذكارة، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1999 م، ج: 2، ص: 98.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

في هذه الرسالة: " فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآب، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ"¹.

ونفس الأمر نجده في القرآن الكريم فعلى الرغم من محورية عقيدة التثليث في الديانة المسيحية إلا أن القرآن لم يتعرض لها بالنقد والإبطال إلى في نص واحد صريح وهو قوله تعالى في سورة المائدة: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"².

والمتمأمل في النص القرآني يجد بأن الله تعالى لم يشمل بخطابه كل النصارى، فلم يقل تعالى: لقد كفر النصارى الذين يثلاثون تو يؤمنون بالتثليث أو الذين يعتقدون بثلاثة الآلهة، وإنما قال تعالى "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ". فنسب تعالى الكفر والخروج عن التوحيد والإيمان بالله لكل من قال بمقولة التثليث سواء أكان من النصارى أو من غيرهم.

وتاريخيا وفي علم الأديان الأمر معروف وشائع أن عقيدة التثليث من العقائد التي عرفتها الكثير من الديانات والحضارات عبر التاريخ مثل الديانة المصرية القديمة والديانة الهندوسية والبابلية وغيرها³، وما الديانة المسيحية إلا واحدة من تلك الديانات المتأخرة الآخذة بهذه العقيدة وهذا مصداقا لقوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"⁴ وإن كان الأمر متعلقا بعقيدة البنوة إلا أنه يصدق على الكثير من العقائد الوثنية التي وجدت طريقا لها إلى بعض الأديان السماوية كاليهودية والمسيحية⁵.

وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى في تعامله مع النصارى ونقد عقائهم انه لم ينسب التثليث أو القول به إليهم مباشرة وإنما نسبه إلى كل قائل به معتقد فيه سواء أكان منهم أو من غيرهم، فكل من قال به فقد خرج من دائرة التوحيد إلى دائرة الكفر.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتجلى العدل الإلهي في هذه الآية في نقد المعقائد المسيحية في أن القرآن الكريم إنما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- في القرن السابع للميلاد، وهو القرن الذي شهد الكثير من الصراعات العقديّة بين الفرق المسيحية، وظهرت الفرق المألّهة للسيد المسيح -عليه السلام- والمثلثة وإن كانت الأكثر انتشار مع ظهور الإسلام، إلا أنه شهد كذلك بقاء بعض الفرق الأخرى التي لا تقول بالتثليث وإن كانت تؤمن إما ببنوة المسيح أو بألوهيته كما سيأتي الحديث عنها لاحقا.

¹ رسالة يوحنا الأولى: 7، 5.

² المائدة/ 73

³ محمد بن الطاهر التنير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرفاوي، دار الكتب، 1989، ص:

⁴ التوبة/ 30

⁵ محمد بن الطاهر التنير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص: 54 وما بعدها

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فلم يعمم القرآن الكريم حكمه على كل المسيحيين بالكفر والخروج عن دائرة التوحيد، وإنما حكم بالكفر على كل مسيحي يتخذ من التثليث عقيدة له، فقال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.." وهذا المنهج القرآني يعلم المسلم ضرورة التفصيل في التعاطي مع الجزئيات وعدم إطلاق الأحكام العامة والابتعاد عن التعميم.

وعلى الرغم من أن الفرق المسيحية التي لا تقول بالتثليث أو التي تؤمن بتأليه المسيح ولكن لا تعتقد التثليث أو التي ما زالت تعتقد على الأقل ببشرية المسيح مثل الأيونية أو الأريوسية والتي خرجت من أرض فلسطين واتخذت من بلاد العرب ملجأ لها هروبا من الإضطهاد التي مورست عليها من طرف المسيحيين أنفسهم، على رغم من ضالة عددهم مقارنة بالمسيحيين القائلين بالتثليث إلا أن المولى عز وجل في القرآن الكريم خص من يقول بالتثليث فقط بالكفر ولم ينسبه إلى مجموع المسيحيين.

وهذا درس للمسلم في التعامل مع الأديان الأخرى ونقدها أو بيان تهافتها بطلانها عليه أن يراعي كل الجزئيات وأن يدرس الدين في التاريخ مينا ما تتميز به كل فرقة دون الأخرى، وهذا الوعي أدركه علماء الإسلام قديما، وفي هذا يقول العامري في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام: "...إن تبيان فضيلة السبيء على الشيء بحسب المقالات بينهما قد يكون صوابا وقد يكون خطأ، وصورة الصواب معلقة بشيئين أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك، والآخر: ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها"¹

ويحكي أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" عن مجانبة بعض العلماء العدل في أحكامهم على مخالفيهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، فيقول: "فإنه لا بد لم أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في النحل والديانات، من بين مقصر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات، واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله"²

نقد عقيدة تأليه المسيح:

إذا كانت عقيدة التثليث بالرغم من محورتها في المعتقد المسيحي إلا أن النصوص الدالة عليها كما مر علينا في العهد الجديد قليلة جدا، فإن عقيدة تأليه المسيح من العقائد المسيحية التي يستدل عليها المسيحيون اليوم بأكثر من نص في العهد الجديد خاصة في رسائل بولس.

¹ أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب، ط: 1، 1988 م، الرياض، ص: 23.

² أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج: 1، ص: 15.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وعلى الرغم من كثرة النصوص المسيحية الدالة على ألوهية المسيح في المعتقد المسيحي إلا أن القرآن الكريم لم يرد عليها صراحة إلا في نص واحد صريح ومباشر وهو قوله تعالى في سورة المائدة: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ"¹

وقوله تعالى في آخر السورة: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكِ إِنْ كُنْتَ تُفْلِتُ فَمَا لَمْ تَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)"²

والمأمل في النص الأول يلحظ بجلاء أسلوب القرآن الكريم في التخصيص والتبويض والتعيين، والبعد عن التعميم والإجمال، وهو ما يصدق فعلا على الحقيقة التاريخية للديانة المسيحية والتي أشرنا إليها سابقا بأنه ليست كل الفرق المسيحية قديما إلى ظهور الإسلام متفقة على تأليه المسيح، حتى ولو كانت مقارنة بالفرق المألهة قليلة العدد والأتباع إلا أنها كانت موجودة ومنتشرة في ربوع الإمبراطورية الرومانية وبلاد العرب وإفريقية إلى ظهور الإسلام.

ولذا فإن حكم الله تعالى بالكفر عند نزول الآية لم يشمل كل النصارى، وإنما كان موجها إلى كل نصراني يعتقد في المسيح شيئا من الألوهية، وقد ذهب بعض المفسرين ومنهم **فخر الدين الرازي** إلى أن المقصود بهذه الآية فرقة بعينها هم **اليعاقبة** نسبة إلى يعقوب البرادعي والتي ظهرت في القرن الرابع للميلاد واستمرت إلى يومنا هذا تحت مسمى الأرثوذكسية، وإن كزان هذا تاريخيا غير صحيح لأن حتى الملكانية وهي الفرقة التي ظهرت في نفس القرن ردا على اليعقوبية كانت تقول بنفس المقولة.

يقول الرازي في تفسيره: "اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إليها، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"³

ويعقب محمد رشيد رضا على كلام الرازي بقوله: "واعلم أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرءوا كتبهم، ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم إلا قليلا، وإنما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة"⁴

وعلى كل حال فإن الذي يهمننا هو تخصيص المولى عز وجل الكفر بطائفة معينة من النصارى هم الذين اعتقدوا في المسيح الألوهية، أما من اعتقد بشريته ورسوليته فلا يدخل في هذا الخطاب.

1 المائدة /72

2 المائدة/116

3 فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج: 12، ص: 59

4 محمد رشيد رضا، ج: 6، ص: 255

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقد يقول قائل عند حديث المولى عز وجل عن عقيدة البنوة لماذا أجمل الله تعالى كل النصارى في خطابه عندما قال في سورة التوبة: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)" وهذا لأنه عقيدة البنوة في تاريخ الفكر المسيحي تختلف عن عقيدة ألوهية المسيح، فإذا كانت الأخيرة لم تقل بها كل الفرق المسيحية إلى ظهور الإسلام، فإن عقيدة البنوة قد قالت بها كل الفرق المسيحية قديما وحديثا.

حتى الفرق التي عرفت بالتوحيد مثل الأيونية والآريوسية تبنت فيما بعد عقيدة البنوة، حتى وإن لم تكن بنفس المدلولات اللاهوتية عند الفرق المألوفة، إلا أنها تأثرت وآمنت بها، وجعلت من المسيح أحيانا ابنا لله بالتبني كما قال بذلك آريوس ومن تبعه، وأحيانا ابنا لله بالمعنى المجازي الذي يفيد القرب والتفضيل وهذا من قبيل قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)"¹

يقول الرازي: " قال ابن عباس : إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا : كيف نخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحباؤه ، فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة ، وأما النصارى فإنهم يتلون في الإنجيل الذي لهم أن المسيح قال لهم : " أذهب إلى أبي وأبيكم " وجملة الكلام أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلا على سائر الخلق بسبب أسلافهم الأفاضل من الأنبياء حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ."²

نقد عقيدة الصلب والفداء:

تعتبر عقيدة الصلب والفداء من أهم العقائد في الديانة المسيحية، وتؤكد الأناجيل في إصحاحات مطولة مسألة صلب المسيح ذاكراً الكثير من تفاصيل القبض عليه، وماكتمته وصلبه قم دفنه وقيامته وعوده إلى السماء³، ويؤكد بولس على هذه العقيدة المحورية والتي بدونها لا قيمة ولا تفسير لباقي العقائد الأخرى فيقول في رسالته إلى أهل كورنثس: " وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضا إيمانكم"⁴.

وعلى رغم هذه الأهمية الكبيرة لهذه العقيدة في الديانة المسيحية، وعلى الرغم من شاعتها إذ هي الأساس الذي به تفسر البنوة وألوهية المسيح وتجسده وثلاثة الأقانيم، إلا أن الله تعالى فندها ونقدها بنص واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى:

"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"⁵

¹ المائدة/18

² فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج: 4، ص: 154.

³ منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب، كتاب إلكتروني، ص: 02.

⁴ رسالة بولس إلى أهل كورنثس الأولى: 14/15

⁵ النساء/157-159

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والمتمأمل في الآية يجد عدل الله تعالى وإنصافه في الكلام والحكاية عنهم جلياً، فكما تقدم أن هذه العقيدة هي أساس كل العقائد المسيحية الأخرى، وعلى رغم هذا فإن الله تعالى قرر في كتابه بأنها لم تكن على الأقل إلى ظهور الإسلام محل إجماع بين المسيحيين وهذا مطابق للحقائق التاريخية التي تثبت بأن هناك من المسيحيين من كان ينكر مسألة الصلب ويكفر قائلها مثل اليهودية المنتصرة ¹ Judiochristianisme والأبونية والآريوسية فيما بعد، وما جاء في إجيل برناما² الذي ينكره المسيحيون ويطلق إلى حد بعيد ما جاء في القرآن الكريم والذي ينكر مسألة الصلب ويؤكد على الشبيه الذي صلب بدل المسيح.

ويأتي التمييز في القرآن الكريم بين المؤمنين بالصلب وغيرهم في موضعين من الآية:

الأول قوله تعالى: "وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ.."

فالاختلاف في مصير المسيح -عليه السلام- دليل على أن مسألة الصلب ليست محل اتفاق بين المسيحيين إلى حين نزول القرآن الكريم، يقول صاحب كتاب "الدم المقدس الكأس المقدسة": "كلما درس الشخص كتب الإنجيل أكثر، اكتشف التناقضات الواضحة بينها، في الحقيقة هي لا تتفق حتى في اليوم الذي تم فيه الصلب..."³

وذكر ميشيل بجنت أيضاً أن المصلوب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، الذي صلب بدلاً من المسيح المرفوع⁴.

وأهم الفرق المسيحية المنكرة للصلب قبل ظهور الإسلام الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والمانيسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون، وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول⁵.

فالاختلاف في صلب المسيح كما هو حقيقة تاريخية فهو حقيقة قرآنية أثبتتها المولى عز وجل، ولم يقل لنا كل النصارى يؤمنون بها، بل وقع الاختلاف بينهم فمنهم القائل بها ومنهم المنكر لها.

والثاني في قوله تعالى: "وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"

وهنا تخصيص ثان في نفس الآية، على اختلاف أوجه التفسير في من يعود عليه ضمير "موته" هلى على المسيح -عليه السلام- أم على المسيحي نفسه، وفي كل الأحوال تثبت البية أن من أتباع المسيح من يؤمن

¹ اليهودية المنتصرة: يطلق هذا المصطلح مقابل مصطلح المسيحية البولسية، فالأولى هي المسيحية التي رفضت تعاليم بولس وأصرت على البقاء على تعاليم المسيح معتقدة فيه البشرية، أما المسيحية البولسية فهي المسيحية المألوفة للمسيح والمعتقدة فيه اعتقادات مخالفة لما جاء به المسيح -عليه السلام-.

² إجيل بنابا، الفصل 213-221

³ ميشيل بجنت وآخرون، الدم المقدس الكأس المقدس، ت: محمد الواكد، ط: 2، 2008، سورية ص: 448

⁴ ميشيل بجنت وآخرون، نفس المرجع، ص: 490.

⁵ <http://www.ebnmaryam.com/vb/t27600.html> تاريخ الزيارة: 2019/02/27 على الساعة 09:22 دقيقة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بالمسيح - عليه السلام - غير مصلوب سواء قبل موت المسيحي زمن المسيح، أو حين عودته - عليه السلام - في آخر الزمن، وهو درس آخر في التخصيص والعدل في الحكم بعيدا عن التعميم والإجمال.

المبحث الثالث منهج القرآن في التعامل مع المخالفين:

العدل في الحديث عن المخالف:

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تحكي عن أحوال أهل الكتاب وصفاتهم، والأمر اللافت للانتباه هو دوما العدل في نقل أخبارهم، ونعت صفاتهم سواء مع أنفسهم أو مع غيرهم، فعلى الرغم مما فعله أهل الكتاب بأبيائهم ورسلمهم وكتبهم وتحريفهم لدينهم إلا أن الله تعالى يحكي عنهم في سورة آل عمران وينقل لنا بعض صفات من ما زالوا على التوحيد وشريعة موسى وعيسى -عليهما السلام- فيقول تعالى: "لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ 113 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" ¹

فالأية واضحة في التمييز بين طوائف أهل الكتاب فهم ليسوا على قدر واحد من الصلاح، وليسوا كذلك على قدر واحد من الفساد، فلا بد من التمييز خاصة في إطلاق الأحكام.

يقول ابن عاشور في تفسيره: "وعدل عن أن يقال: منهم أمة قائمة إلى قوله من أهل الكتاب: ليكون هذا الثناء شاملا لصالحى اليهود، وصالحى النصارى، فلا يختص بصالحى اليهود، فإن صالحى اليهود قبل بعثة عيسى كانوا متمسكين بدينهم، مستقيمين عليه، ومنهم الذين آمنوا بعيسى واتبعوه، وكذلك صالحو النصارى قبل بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا مستقيمين على شريعة عيسى، وكثير منهم أهل تهجد في الأديرة والصوامع وقد صاروا مسلمين بعد البعثة المحمدية" ².

ويذكر محمد رشيد رضا في تفسيره أن هذه الآية من العدل الإلهي الذي يلزم الحجة لكل أهل الكتاب، فلا يدع لهم مجالا للطعن في القرآن الكريم وأنه ساوى بينهم وبين الفاسدين منهم، وهو استمالة لهم غي نفس الوقت فيقول رحمة الله تعالى عليه: "هذه الآية من العدل الإلهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الإيهام السابق، وهي دليل على أن دين الله واحد على السنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين، وفي هذا العدل قطع لاحتجاج أهل الكتاب الذين يعرفون من أنفسهم الإيمان والإخلاص في العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يعني الأستاذ: أنه لولا مثل هذا النص لكان لهم أن يقولوا: لو كان هذا القرآن من عند الله لما ساوانا بغيرنا من الفاسقين ونحن مؤمنون به مخلصون له - وفيه استمالة لهم وتناه عن التفرقة بين الأمم والملل التي لم يكن يعترف فيها أحد الفريقين بفضيلة ولا مزية للآخر، كأنه بمجرد مخالفته له في بعض الأشياء - وإن كان معذورا - تتبدل حسناته سيئات، وظاهر أن هذا كالذي

¹ آل عمران/ 113-115

² الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج: 4، ص: 58-59.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قبله في أهل الكتاب حال كونهم على دينهم خلافا لمفسرنا (الجلال) وغيره الذين حملوا المدح على من أسلم منهم ، فإن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم أهل الكتاب وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين¹.

ومن الأمثلة الدالة على العدل الإلهي في الحكاية عن أهل الكتاب قوله تعالى في سورة المائدة: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"²

ففي الآية حكم ومدح لبعض النصارى وهم الذين اتبعوا المسيح -عليه السلام- وقالوا "إنا نصارى" من نصرته المسيح، فكل من اتبع المسيح حقا سيتصف بهذه الصفات من التواضع والحب والمودة، وكل من خالف ما جاء به المسيح -علسه السلام- لا تشمله هذه الصفات التي حددتها الآية الكريمة

وسبب هذه الاختصاص هو المعاشية والاحتكاك، فقد احتك العرب بالنصارى قبل الإسلام وعرفوا من بعضهم هذه الصفات خاصة المودة والتواضع التي عرف بها بعض القساوسة والرهبان، يقول الطاهر بن عاشور:³ "وإنما كان وجود القسيسين والرهبان بينهم سببا في اقتراب مودتهم من المؤمنين لما هو معروف بين العرب من حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم . وكانوا منتشرين في جهات كثيرة من بلاد العرب يعمرن الأديرة والصوامع والبيع ، وأكثرهم من عرب الشام الذين بلغتهم دعوة النصرانية على طريق الروم ، فقد عرفهم العرب بالزهد ومسالمة الناس وكثر ذلك في كلام شعرائهم".

ولا بد للمسلم من الاستفادة من هذه الإشارات القرآنية في تعامله مع الآخرين، لانها إشارات خالدة إلى يوم الدين، تعطي للمسلم منهجا في التعامل مع الآخر بعيدا عن أسلوب التعميم والإجمال الذي عادة ما يقود إلى الخطأ ومجانبة الصواب، وهذا ما يقرره سيد قطب حيث يقول في تفسير هذه الآية: "وهذه الإرشادات الربانية ما تزال ؛ والتقريرات التي تضمنها ذلك الكتاب الكريم ما تزال . والذين يحملون دعوة الإسلام اليوم وغدا خليقون أن يتلقوا هذه التقريرات وتلك الإرشادات كأنهم يخاطبون بها اللحظة ؛ ليقرروا على ضوئها مواقفهم من شتى طوائف الناس ؛ ومن شتى المذاهب والمعتقدات والآراء ، ومن شتى الأوضاع والأنظمة وشتى القيم والموازين . . اليوم وغدا وإلى آخر الزمان"⁴.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي يصعب الحديث عنها كلها في هذا المقام، والتي تثبت عدل الله تعالى في الحكاية عن أهل الكتاب وذكر صفاتهم إما الحسننة منها أو السيئة، والمتأمل في نصوص هذه الآيات يجد منهج القرآن واضحا في حكايته عن الآخر ومنهم أهل الكتاب، ومن معالم هذا المنهج:

التخصيص: وهذا في مثل قوله تعالى: "وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"⁵.

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج: 4، ص: 60.

² المائدة/82

³ الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج: 7، ص: 8.

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 2011، ج: 2، ص: 159.

⁵ آل عمران/72

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

"وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"¹.

التبعض: ومثاله قوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ

مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"²

وقوله تعالى: "لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ"³.

التكثير: "تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي

الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ"⁴.

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا تَوْرَاتِكُمْ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكَافِرِينَ"⁵.

"وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّخِطَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ

الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخِطَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"⁶.

وخلاصة المبحث أن العدل الإلهي هو الحاكم في نقد أو ذكر عقائد المخالفين ومنهم أهل الكتاب، ولذا

على المسلم في دراسته للأديان أن يتحرى العدل في أحكامه، أو أن يكون موضوعيا وعلميا بالمصطلح الحديث،

وأن يتعد عن الذاتية والتعميم والحكم عن أهل الأديان الأخرى دون علم ودراية.

العدل في التعامل مع المخالف:

من المسائل المهمة التي تظهر عدل الله سبحانه وتعالى منهج القرآن الكريم في التعامل مع المخالفين من

أهل الكتاب وغيرهم، فالاختلاف العقدي له أسلوب ومنهج في المعالجة وهو النقد والدحض والإبطال بالعلم

والموضوعية كما سبق بيانه، وهو لا يمنع أبدا الاحتكاك والمخالطة والمعايشة أو ما يسمى اليوم بالتعايش السلمي،

أو العيش المشترك أو التعارف والتعاون بالمصطلح القرآني.

الأمر بالعدل: يقول تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ

تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"⁷.

فالأمر بالقسط والعدل في التعامل مع الآخر، مطلب شرعي ومنهج قرآني، وهو أول معلم من معالم

المنهج القرآني في التعامل مع الآخر المخالف.

¹ آل عمران/69.

² المائدة/82.

³ آل عمران/113.

⁴ المائدة/80.

⁵ المائدة/68.

⁶ المائدة/68.

⁷ الممتحنة/8.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حسن المجادلة: ومن صور العدل في التعامل مع الآخر من خلال القرآن الكريم **حسن المجادلة والأدب في الحوار والكلام أو الدعوة**، يقول تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"¹

احترام دين المخالف: وهذا صريح في قوله تعالى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"²

اعترف الإسلام باختلاف البشر وأنه يمثل ظاهرة اجتماعية طبيعية، وفي هذا يقول تعالى في القرآن الكريم: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"³ بل إن الاختلاف بين البشر سبب مهم من أسباب اجتماعهم وتعارفهم وتبادلهم للمعارف: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"⁴.

وما دام الناس يختلفون في ألوانهم وألوانهم، وطبائعهم وطرق معاشهم، وفي البيئة التي يَحْيُونَ فيها، وفي الثقافة التي يَنْهَلُونَ منها، فإنهم لا شك يختلفون في آرائهم وتفكيرهم ودياناتهم⁵.

و قد قرّر الله تعالى حقيقة الاختلاف بين البشر في كتابه العزيز، و عدّ ذلك آية من آياته جلّ وعلا، قال تعالى {و من آياته خلق السموات و الأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك آياتٍ للعالمين }⁶

والقران الكريم يؤكد لنا حقيقة قانون الاختلاف إذا لا مجتمع بدون هذا القانون الاجتماعي قال تعالى : "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"⁷.

ويؤكد الشيخ طاهر ابن عاشور رحمة الله سنة الاختلاف فيقول: "إن جعلهم أمة واحدة في الدين منتفية، أي منتف دوامها على الوحدة في الدين وإن كانوا قد وجدوا في أول النشأة متفقين فلم يلبثوا حتى طرأ الاختلاف بين ابني آدم عليه السلام لقوله تعالى : { كان الناس أمة واحدة }⁸ وقوله : { وما كان الناس إلا أمة واحدة

1 العنكبوت/ 46

2 الأنعام/ 108

3 هود/ 118-119

4 الحجرات/ 13

5 أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت اختلاف المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم،

تح: أحمد حسن كحيل، حمزة عبدالله النشري، دار المريخ: الرياض، ط (2)، 1982، ص: 3

6 الروم/ 22.

7 البقرة/ 213

8 البقرة/ 213

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فاختلفوا¹؛ فعلم أنّ الناس قد اختلفوا فيما مضى فلم يكونوا أمة واحدة ، ثم لا يدري هل يؤول أمرهم إلى الاتفاق في الدين فأعقب ذلك بأنّ الاختلاف دائم بينهم لأنّه من مقتضى ما جُبلت عليه العقول².

ولقد أدرك علماء الإسلام الأوائل على مختلف تخصصاتهم هذه الحقيقة الإلهية في أبعادها الاجتماعية، فانطلقوا إلى التعامل مع الآخر آخذين بالاعتبار أن ما يقومون به لا يمكن بحال من الأحوال أن يقضي على هذا التنوع والاختلاف، وإنما عملهم عبارة عن مجهود دعوي للاقتراب من الآخر، سواء قبل ما يدعون إليه أو رفض، ولذا لم يكن الجدل في الإسلام عبارة عن قهر وغضب وصراع، بقدر ما كان يحمل في طياته الأبعاد الحقيقية للحوارات الحضارية بين الشعوب والأمم، لا من أجل دفعها للدخول في الإسلام فقط - وإن كان هذا هو المراد الأول والأسمى - بل ومن أجل القضاء على ما قد يُفضي إليه الاختلاف من تعصب وتزمت قد يؤول في نهاية الأمر إلى عنف وإرهاب.

المبحث الرابع: دور قيمة العدل في تعزيز وترسيخ قيم التسامح والتعايش والتفاهم

من خلال تحليل بعض محتوى أي الكتاب العزيز التي تتحدث خاصة عن أهل الكتاب، والتركيز على قيمة العدل الإلهي التي تتجلى في كل آية من حديثه تعالى عن المخالفين، نصل في هذا المبحث إلى ضرورة توظيف هذه القيمة اليوم في حواراتنا مع المخالفين من جهة، ومن جهة أخرى في دراساتنا للأديان والمذاهب المخالفة للإسلام، مما يساعد على نشر قيم التسامح والتعايش والتفاهم بين الناس أجمعين.

فالمسلم لما يعلم بأنه مطالب بالعدل والقسط مع كل المخالفين مهما اشتد الخلاف معهم، وأن الاختلاف لا يدفعه أبداً إلى الجور والظلم والبعد عن تشخيص الحقائق كما هي عليه في الواقع، فهذا يجعل منه إنساناً

إذا كان السبب وراء الجدل الإسلامي الكتابي هو الفهم العميق لسنة الاختلاف الدافع نحو الاحتكاك ومخالطة الآخر، فإن المقصود من المخالطة هو الوصول إلى الفهم الصحيح لطبيعة المخالف من أجل التواصل معه إيجابياً داخل المجتمع والدولة الواحدة.

والمتمامل في النصوص الجدلية لعلماء الإسلام يجد ذلك واضحاً في كتاباتهم، فأغلبهم كان يعتمد في مناقشاته على كتبهم أو محادثاتهم وبنى موقفه على أساس الاحتكاك بهم، وهذا من أجل الوصول إلى الفهم العميق بطبيعة دينهم وثقافتهم، ومن ثم حسن التعامل معهم سواء دعوة أو نقداً أو تعايشاً.

فابن حزم على سبيل المثال الذي كان من كبار علماء الإسلام مجالاً لأهل الكتاب والذي ألف موسوعة في الأديان تحت اسم "الفصل في الملل والأهواء والنحل" كان لا يتحدث عن دين اليهود والنصارى عن جهالة ولا عن وراثة، بل كان يتحرى العدل والصدق من أجل الفهم العميق لمن يعيشون معه داخل المجتمع الواحد، ولذا كان

¹ يونس/ 19

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 7 ، ص: 215.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

رحمه الله- يجمع ما أمكنه من نسخ التوراة ويطلع عليها بنفسه¹، كما كان واسع الإطلاع والمعرفة بتاريخ اليهود السياسي والديني² وبجغرافية بلادهم³، بل كان يسعى بنفسه لسؤال علماء اليهود عن المعاني الغامضة التي لا يفهمها⁴، وأحياناً يدخل في مناقشات شفهية معهم⁵، يقول رحمه الله في مقدمته كتابه -قوله يعبر عن مدى موضوعيته في دراسته للأديان وعن أهدافه التواصلية المبيّنة على أساس العلم والحقيقة كما هي عليه-: "فإن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعاً دون العلم، وبعض حذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير من قوي معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره وكلهم إلا تحلة القسم عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أولاً وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله. قال أبو محمد رضي الله عنه فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل في جمعه وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وأن لا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط. إذ ليس الحق إلا ذلك وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل وهو تعالى ولي من تولاه ومعطي من استعطاه لا إله إلا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل"⁶.

وقرباً من هذا نجده عند الشهرستاني الذي صرح في مقدمة كتابه ان الغرض منه هو العبرة والاستبصار، وهذا بعدما اطلع واقترب من ديانات وثقافات المخالفين، فيقول: " فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل واهل الأهواء والنح، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصاراً لمن اعتبر...."⁷.

أما البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" فإنه أراد أن يطوّر معرفة المسلمين ببقية الأديان، وقامت دراسته على عمل ميداني قوامه المعاينة والحكاية والمقارنة، وكان عمله بمثابة بحث استطلاعي مهدّ لانتشار الإسلام في الهند. انتهج في الكتاب منهجاً جنبه التعصب والتعميم، ولذا نجده

¹ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (جدة: شركة مكتبات عكاظ، ط1، 1402هـ/1982م، ج: 1، ص: 121.

² نفسه، 193/1، 197، 209.

³ نفسه، 103 /1، 104.

⁴ نفسه، 141/1، 142.

⁵ نفسه، 152/1.

⁶ ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص11.

⁷ الشهرستاني، الملل والنحل، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، 1968، ج: 1، ص: 9.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يقول عن منهجه في كتابه: "وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق"¹.

خاتمة:

سنة الاختلاف سنة اجتماعية إلهية، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} {إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}²، فمنذ أن خلق الله الخلق والناس على طبائع وأخلاق وانتماءات شتة، مختلفون في لغاتهم وألوانهم وأديانهم وأعرافهم، وما الاختلاف الحاصل اليوم في مجتمعاتنا ببدع من الأمر، بل هو استمرار لسنة الله وحكمته في الخلق، لكن عندما يغيب الوعي والفهم والحكمة، وعندما يسود التعصب والنظرة الواحدية الإقصائية، وتتضخم الأنانية التي لا ترى في مرآة الوجود إلا نفسها، فإن الاختلاف الذي هو مراد الله وحكمته في الخلق يتحول إلى كابوس يهدّد حياة البشرية واستمرار وجودها، وهذا من خلال ما يتولّد من التعصب والتفرد من مضاعفات في السلوك السلبي للبشر، فعوضاً عن التسامح والتعايش والتعاون والتكافل والتقارب والتعارف، يسود الإقصاء والقمع والتطرف والإرهاب والإكراه.

وهذا الذي تعانيه المجتمعات المعاصرة عموماً، والمتعدّدة الثقافات والديانات والأعراق خصوصاً، والمجتمعات المسلمة على الوجه الأخص.

من هنا تأتي ضرورة التركيز على ترسيخ قيم التسامح والتعايش في وعي المجتمعات، باعتبارها قيماً إنسانية إسلامية وقرآنية، وهذا من خلال تعميق الوعي بالقيم القرآنية وعلاقتها بالنشاطات الاجتماعية والعقلية والعلمية وهذا مثل قيمة العدل وإحيائها في فكر المجتمع باعتبارها من الواجبات الشرعية الاجتماعية التي لا تقل أهمية عن الواجبات الشرعية الفردية.

إن استحضار قيمة العدل ومكاتها في القرآن الكريم كفيلة بجعل القيم الأخرى التي نسعى بنشرها في المجتمع مثل التسامح والتعايش والتقارب وغيرها، كفيلة بجعلها قيماً سهلة الفهم بسيطة التطبيق، لأنها تأتي من باب امثال ما جاء عن رب العزة العدل والأمر بالعدل.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) القرآن الكريم
- (2) العهد الجديد
- (3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 11.
- (4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1366هـ - 1947م، ط: 2، ج: 10.
- (5) تقي الدين ابن تيمية. تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: مجموعة من الدكاترة، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1999م، ج: 2.
- (6) محمد بن الطاهر التنير البيروتى، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الكتب، 1989.

¹ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ص: 116.

² هود/ 118-119

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- (7) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب، ط: 1، 1988 م، الرياض.
- (8) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج: 1.
- (9) فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج: 12.
- (10) منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب، كتاب إلكتروني.
- (11) إتجيل بنابا
- (12) ميشيل بجنت وآخرون، الدم المقدس الكأس المقدس، ت: محمد الواكد، ط: 2، 2008، سورية .
- (13) <http://www.ebnmaryam.com/vb/t27600.html> تاريخ الزيارة: 2019/02/27 على الساعة 09:22 دقيقة
- (14) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 2011، ج: 2.
- (15) أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت اختلاف المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم، تح: أحمد حسن كحيل، حمزة عبدالله النشرتي، دار المريخ: الرياض، ط (2)، 1982.
- (16) ابن حزم، الفصل في الملل والهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (جدة: شركة مكتبات عكاظ، ط 1، 1402هـ/1982م، ج: 1.
- (17) الشهرستاني، الملل والنحل، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، 1968، ج: 1.
- (18) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند.

أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف

د. عادل بن عبد الله السعوي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم / المملكة العربية السعودية

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده رسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن الخلاف بين البشر حاصل ولا بد ، قال الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)⁽¹⁾ . وهو ممتد امتداد البشرية لا يخلو منه عصر ولا مصر ، وإن نظرة سريعة لحال المسلمين اليوم تكشف حجم الخلل في التعامل مع الخلاف والمخالف. وليس الاختلاف مع الآخرين في ذاته مشكلة وإنما المشكلة الأكبر هي كيفية التعاطي مع هذه الاختلافات ومنهجية الرد على المخالف واستيعابه أو إقصائه.

وليس بخاف أن أكثر من يتعامل مع الخلاف هم الفقهاء فلا تكاد تخلو مسألة شرعية من اختلاف فقهي، وعند النظر في المسائل الفقهية في مظانها من كتب الأئمة الفقهاء ير الناظر تبايناً بين اختلافهم واختلافنا لا من حيث المضمون فحسب وإنما من حيث النهج والتعامل مع الخلاف وتسويغه ، وإن العجب لا ينقضي حين يرى المرء اختلافات تهوي بأخلاق إلى الحضيض وتستدر مكنون النفوس من سيئ اللفظ وناشر العبارة في الوقت الذي يرى أن السلف المقتدى بهم والمدلل بكلامهم كانوا يتعاملون مع الاختلاف تعاملًا راقياً فكانوا يتداولون وجهات النظر في حوار مهذب راقٍ ، يختلفون في الرأي والمذهب ويألفون في القلوب ويتحدون في الهدف والغاية ، وكأن خلف اليوم ليسوا من سلف الأمس!

وإيماناً مني بأن نهوض الأمة واستفاتها يبدأ من تصحيح النظر وتصويب منهج الاختلاف والتعامل معه وإشاعة روح الحوار بين المختلفين الذي يتحقق معه تأليف القلوب وصفاء النفوس ، فقد كتبت هذه الورقات في أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف ودوره في استيعاب الخلافات وقبول المخالف فيما يسوغ فيه الخلاف.

(1) سورة هود : 118-119 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة وفيها بيان الغرض من البحث وأهميته.

المبحث الأول : في التعريف بالاختلاف الفقهي، ونشأته وأسبابه.

المبحث الثاني: في أنواع الاختلاف والحكمة من وجود الاختلاف الفقهي.

المبحث الثالث : الحوار والمناظرة لدى الفقهاء، الآداب والممارسة.

المبحث الرابع: أثر دراسة اختلاف الفقهاء في تعزيز مفهوم الحوار وتحقيق الائتلاف.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول : التعريف بالاختلاف الفقهي، ونشأته وأسبابه.

التعريف بالاختلاف الفقهي:

الاختلاف في اللغة مصدر اختلف ، واختلف ضد اتفق ، ويقال : تخالف القوم واختلفوا ، إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

ويقال : تخالف الأمران ، واختلفا إذا لم يتفقا وكل ما لم يتساو : فَقَدْ تخالف واختلف (1).
والمقصود به في الاصطلاح الفقهي : تباين الآراء وأن يذهب كل عالم إلى رأي غير رأي الآخر.

ويستعمل الفقهاء لفظ الخلاف والاختلاف بنفس المعنى فيعبرون بأحدهما عن الآخر ، وذهب بعض من كتب في هذا الشأن إلى التفريق بين المفردتين ، فمفردة الاختلاف تدل على التنوع والتعدد فالاختلاف هو تنوع الآراء والمغايرة في الطرح، ومنه قول الله تعالى: (فاختلف الأحزاب من بينهم)⁽²⁾ وقوله : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)⁽³⁾ . أما مفردة الخلاف فهي من المعارضة كقوله تعالى : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)⁽⁴⁾ وقوله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)⁽⁵⁾ .

(1) المحكم والمحيط الأعظم مادة (خ ل ف) 239/2 . ، لسان العرب مادة (خلف) 82/9 ، المصباح المنير (خلف) 179.

(2) سورة الزخرف : 65.

(3) سورة الشورى : 10.

(4) سورة هود : 88 .

(5) سورة النور : 63 . وينظر : أدب الاختلاف للشيخ عبد الله بن بيه في موقعه الرسمي :

<http://www.binbayyah.net/portal/research/138>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وربما كان في اختلاف عبد الله بن مسعود مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنهما في الإلتزام في الحج ، ربما كان فيها دليلاً لهذا التفريق فإن ابن مسعود اختلف مع عثمان رضي الله عنهما في الرأي الفقهي لكنه لم يخالفه في الفعل لما في ذلك من البلاء والفتنة وقال رضي الله عنه : (الخلاف شر)⁽¹⁾. فكأنه سوغ الاختلاف في الرأي المحتمل ونهى عن المخالفة المؤدية إلى الفتنة .

هذا التفريق الذي ذهب إليه البعض لا نرى الفقهاء يعنون به فنجدهم يقيمون إحدى المفردتين مقام الأخرى فيعاملونهما معاملة المترادفتين ، وعلى هذا فسأسير في هذا البحث اعتباراً للاستعمال الدارج.

نشأة الاختلاف الفقهي وأسبابه:

قبل الحديث عن نشأة الاختلاف الفقهي بين فقهاء الإسلام، لا بد أن أشير إلى ان الاختلاف وتباين الآراء ووجهات النظر قديم قدم البشرية ، فما زالت عقول البشر تتفاوت وإدراكهم للحقائق يتباين ، ومواهبهم الفطرية وقدراتهم تختلف ، واختلاف البيئات والظروف الحياتية لم تزل مؤثرة على الفكر والتصور .

قال الله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهل يعود اسم الإشارة في قوله : (ولذلك خلقهم) إلى الاختلاف أم الرحمة؟ على قولين للمفسرين أرجحهما أنه يعود إلى الاختلاف فللاختلاف خلقهم⁽²⁾.

والاختلاف في الجملة ظاهرة طبيعية مقبولة ما دامت في إطارها المشروع ولم تصل إلى حد التفرق المذموم والجور والطغيان.

وكما يقع الخلاف بين البشر فقد وقع بين ملائكة الرحمن، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب وخرج مهاجراً إلى بلد الطاعة فمات في طريقه فاختلف فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والقصة مشهورة⁽³⁾.

ووقع الاختلاف بين صفوة البشر أنبياء الله ورسله فيحدثنا القرآن الكريم عن الخلاف بين نبي الله داود وابنه نبي الله سليمان عليهما السلام في حكم الزرع إذ نفشت فيه الغنم ثم أثنى الله تعالى عليهما فقال : (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً)⁽⁴⁾.

(1) رواه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى من حديث ابن مسعود برقم (1960) 199/2 ، وأصل الحديث في الصحيحين البخاري 368/1 ، ومسلم 483/1 ، دون قوله: " الخلاف شر".

(2) تفسير ابن جرير الطبري 538/15.

(3) الحديث في الصحيحين ، فرواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار برقم (3283) 1280/3 ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كفر قتله برقم (2766) 2118/4.

(4) سورة الأنبياء : 79 . وينظر: أدب الاختلاف للشيخ عبد الله بن بيه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

نشأة الاختلاف الفقهي:

ولم يكن الفقهاء المسلمون بمنأى عن طبيعتهم البشرية، فقد اختلفوا في كثير من الفروع الفقهية، وكان اختلاف أئمة الفقه المتبوعين ناشئاً عن اختلاف من سبقهم، فإن الخلاف الفقهي بدأ في عصر النبوة، فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في بعض الوقائع اختلاف اجتهاد لا اختلاف هوى، والنبى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، وهو ما ضيق الخلاف في ذلك العصر؛ إذ إن حكمه قاطع لكل اجتهاد وحاكم على فهم وقول، ومن أمثلة الاختلاف التي حصلت زمن النبوة: قصة صلاة العصر في بني قريظة، فقد صح عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجعت من الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك! فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم⁽¹⁾. وهكذا فقد أورث الأمر المجمل اختلافاً في الفهم فتوقف البعض عند اللفظ النبوي الشريف فلم يتجاوزه إلى ما وراء ذلك من المقاصد والمعاني، وذهب آخرون إلى اعتبار القصد النبوي من اللفظ وأنه حث على إسراع المسير لا غير. كان هذا الاختلاف في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ولما مات عليه الصلاة والسلام حصلت الخلافات من بعده، وكانت أكثر مما كانت عليه زمن حياته لأن وجوده عليه الصلاة والسلام كان قاطعاً وفيصلاً في الحكم، فاختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسائل مشهورة من الدين، فقد اختلفوا في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها⁽²⁾، واختلفوا في متعة الحج⁽³⁾، وغيرها من المسائل.

كانت هذه إلماحة إلى نشأة الخلاف الفقهي، غير أن الاجتهادات الفقهية لعلماء المسلمين قد توسعت تبعا لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الفتوحات وتعدد النوازل، ويمكننا أن نفرق بين نشأة الخلاف الفقهي ابتداء وهو ما سبق الحديث عنه وبين مراحل تطور الخلاف الفقهي .

تطور الاختلاف الفقهي

ذكرت أن الخلاف الفقهي وجد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه وجد على نطاق ضيق؛ لأن الناس كانوا يصدرون عن رأيه صلى الله عليه وسلم إن اختلفوا ويفزعون إليه في كل حادثة ونازلة تنزل بهم.

ثم اختلف الصحابة من بعده صلى الله عليه وسلم، وكان الخلاف هنا أكثر اتساعاً، فقد انقطع الوحي ولم يعد أمامهم إلا الاجتهاد فيما بين أيديهم من النصوص، وإعمال الفكر فيها لاستنباط أحكام ما يستجد. ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الفتوحات، وكثر الداخلون في دين الله، تعددت النوازل والمستجدات، وتفرقت بقية الصحابة في الأمصار، واجتهدوا في استنباط أحكام النوازل التي لم يرد بشأنها نص خاص، فتعددت الآراء تبعاً

(1) رواه البخاري في كتاب الجمعة باب صلاة الطالب والمطلوب ركباً وإيماءً حديث رقم (904) 321/1 ،

(2) صحيح مسلم 1122/2.

(3) صحيح مسلم 895/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لاختلافهم في قدر ما أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوه، ثم أخذ تلامذتهم ذلك عنهم، وهكذا تشعب الخلاف وامتد، حتى تبلورت في ذلك العصر المدارس الفقهية باختلاف الأمصار والشيوخ، فابن عباس في مكة، وابن عمر في المدينة، وابن مسعود في الكوفة، وأبو موسى في البصرة، ومعاذ بالشام. فصار لهم أتباع ومدارس، وهكذا امتد الأمر إلى زمن الأئمة المتبوعين: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

أسباب الاختلاف الفقهي

تعددت أسباب الاختلاف بين الفقهاء ومع التأكيد على أن اختلافهم ضرورة لا يمكن تصور عدم وجوده فيمكن إجمال أسباب الاختلاف الفقهي فيما يلي:

- 1- أن يجهل الفقيه النص الشرعي فلا يبلغه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبخاصة إذا ما علمنا تأخر تصنيف كتب السنة المشهورة .
- 2- قد يبلغ الحديث الفقيه لكنه لا يثبت عنده فلا يأخذ به، بينما قد يثبت عند غيره فيحتج به ويرتب عليه أحكاماً شرعية.
- 3- قد يبلغه الحديث ويثبت عنده لكنه لا يرى فيه دلالة في مسألة الخلاف إما لخفاء المعنى على الفقيه أو إجماله أو تردده ، وهذا السبب يرجع إلى فهم الفقيه⁽¹⁾.
- 4- يختلف الفقهاء في قواعد التعارض والترجيح وهذا بدوره ينعكس على اختياراتهم الفقهية.
- 5- محدودية النصوص الشرعية وتعدد الوقائع، فالنصوص محدودة والوقائع غير محدودة فلا بد من القياس والنظر في علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة وتحكيمها في الوقائع والنوازل المستجدة، وفي هذا يحصل التباين والاختلاف بين فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات؛ فتختلف أحكامهم في المسألة الواحدة⁽²⁾.
- 6- كما أن الاختلاف البشري سبب من أسباب الاختلاف الفقهي، فلكل عالم شخصيته المستقلة وسماتها وطريقة تفكير خاصة به، وله طبيعته التي جُبل عليها من حيث الصلابة والليونة ونحو ذلك مما تصطبغ به آراؤه في المسائل الاجتهادية. وكأن أبا جعفر المنصور يشير إلى ذلك وهو يوصي الإمام مالكا حين أشار عليه بتأليف "الموطأ" : " ضع أنت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر وشواذ ابن مسعود"⁽³⁾.

(1) ينظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص9 وما بعدها.

(2) ينظر : بحث الاختلاف في مسائل الفروع لا يسبب الفرقة : في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي ص88 .

(3) مقدمة ابن خلدون 18/1.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المبحث الثاني: أنواع الاختلاف والحكمة من وجود الاختلاف الفقهي

يقسم الاختلاف باعتبار حكمه إلى نوعين:

اختلاف مذموم ، واختلاف محمود.

1- الاختلاف الفقهي المذموم وهو ما كان في المسائل الثابتة بالأدلة القطعية، كالخلاف في قطع يد السارق وفرض الحجاب ، أو كان فيما حصل فيه الإجماع الثابت عن أهل العلم. ومن الاختلاف المذموم كذلك الخلاف الناشئ عن الهوى والجهل والتعصب ، قال الله تعالى : (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه)⁽¹⁾.

2- الاختلاف الفقهي المحمود وهو ما يجري في المسائل العلمية الظنية غير القطعية، كالخلاف في نصاب قطع يد السارق ، والخلاف فيما يجب تغطيته في الحجاب ونحو ذلك ، وفي مثل هذا الاختلاف أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفين في قصة صلاة العصر في بني قريظة، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر قال : "فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم"⁽²⁾. ومثل هذا الاختلاف هو الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم.

ويقسم الاختلاف الفقهي باعتبار التنوع والتضاد إلى قسمين:

1- اختلاف تنوع وهو ما يمكن فيه الجمع بين القولين .

2- اختلاف تضاد وهو ما لا يمكن الجمع فيه بين القولين⁽³⁾.

الحكمة من وقوع الخلاف الفقهي:

الخلاف الفقهي واقع قدرأً ولا يتصور أن لا يقع، وما كان ذلك كذلك إلا لحكمة أرادها الله وهو الحكيم العليم. إذ إن في الاختلاف الفقهي السائغ رحمة بالعباد، وهو إثراء للمدرسة الفقهية وقدح للأذهان واستثارة للعقول، والاختلاف السائغ يجعل الأمة في سعة من أمر دينها وشريعته فلا تنحصر في تطبيق رأي فقهي واحد لا تتعداه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً⁽⁴⁾.

(1) سورة غافر : 56.

(2) سبق تخريجه.

(3) شرح مقدمة التفسير للشيخ محمد بن عثيمين ص 29 .

(4) ينظر بحث الاختلاف في مسائل الفروع لا يسبب الفرقة ص 88.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالمسلمون اليوم ينعمون بنعمة الاختلاف المذهبي والفقهي، فهم يعيشون اليوم في بقاع شتى وفي بيئات مختلفة يصعب معها حملهم على مذهب واحد .

قال أبو المظفر السمعاني: " وكان هذا النوع من الاختلاف رحمة من الله لهذه الأمة ؛ حيث أيدهم باليقين ثم وسع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل والسنة "(1).

وألف رجل زمن الإمام أحمد كتاباً سماه "الاختلاف" فقال له : سمه كتاب السعة(2).

ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: " ما أحب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق"(3).

قال الشاطبي رحمه الله : ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق؛ لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون لا تتفق عادة كما تقدم، فيضير أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غلب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم وهو نوع من تكليف ما لا يطاق، وذلك من أعظم الضيق فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروع فيهم فكان فتح باب الأمة للدخول في هذه الرحمة، فكيف لا يدخلون في قسم من رحم ربك؟! فاختلفهم في الفروع كاتفاقهم فيها والحمد لله"(4).

وليس مقصودي من إيراد مثل هذه النقول أن يفتح المجال للانتقاء من أقوال الفقهاء بالهوى والتشهي ومن قبل عامة الناس فهذا مسلك مذموم ، وإنما كان الاختلاف توسعة في حق العلماء الذين يبذلون الوسع في استنباط الأحكام الفقهية فيما يعرض لهم وليس عامة الناس يُمكن من الانتقاء .

ومن المتقرر لدى أهل الاختصاص أنه لا يمكن لطالب علم الفقه أن يتفقه دون معرفة الخلاف الفقهي ومذاهب أهل العلم ، يقول قتادة رحمه الله: " من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه"(5). وقال سعيد بن أبي عروبة "من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالماً"(6). فالعلم بالخلاف ضروري في الترجيح والاختيار وربما خفي عليه قول كان هو الصواب الأرجح وربما رد حقاً لأنه لم يطلع عليه فليس الحق محصوراً في قول إمام او مذهب.

(1) الانتصار لأصحاب الحديث ص48.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية 159/14.

(3) الموافقات 125/4 ، والاعتصام 170/2 .

(4) الاعتصام 170/2 .

(5) جامع بيان العلم وفضله 46/2 .

(6) جامع بيان العلم وفضله 46/2 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإذا كان الطالب مضطراً إلى دراسة اختلاف الفقهاء فإنه سيرى كيف كانوا يختلفون في الآراء مع اتفاق القلوب، وسيتعلم كيف يختلفون وينتصر كل فريق لرأيه بأدب جم واحترام للمخالف في جو حوار صحي وأمن فكري يشجع على الإبداع الفكري ويبعث عليه.

المبحث الثالث: الحوار والمناظرة لدى الفقهاء، الآداب والممارسة:

كان ما ذكر آنفاً توطئة لا بد منها للوصول إلى حقيقة اختلاف الفقهاء وكنهه وطبيعة تعاملهم معه، والناظر في كتب الفقهاء التي اعتنوا فيها بذكر خلاف العلماء ومذاهبهم واستدلالاتهم يرى فيما كتبوا سمواً ووقياً واحتراماً لآراء المخالفين⁽¹⁾، فمن يطالع مثل المبسوط للسرخسي الحنفي، أو التمهيد لابن عبد البر المالكي، أو المجموع للنووي الشافعي، أو المغني لابن قدامة الحنبلي، يرى كيف بلغ العدل والإنصاف وتوقير بعضهم بعضاً مع اختلافهم في الرأي، لا يمنع أحدهم الانتصار لرأيه وحشد الأدلة عليه وتوهين رأي مخالفه ان ينصف مخالفه ويتأدب معه ويحاوره بألفاظ عبارة ويناقش آراءه من غير تسفيه ولا تحقير. إن من يطالع كتب هؤلاء الأئمة وغيرهم ممن عني بذكر الخلاف يراهم يوردون الأقوال المخالفة لمذاهبهم منسوبة لأصحابها بألفاظ عبارة وتوقير لقاتليها، ثم يوردون أدلة مخالفيهم كاملة من غير حيف ولا نقص، ثم يناقشونها بسعة صدر واحترام للعالم ووجه استدلاله ونظرة من غير تنقص ولا تقليل من شأن المخالف، فلا ينتقص بعضهم قدر بعض ولا يحتقر بعضهم رأي بعض، وتتسع صدورهم للرأي المخالف والخلاف السائغ، وربما ترك بعضهم مذهب إمامه وشيخه إلى مذهب إمام غيره اتباعاً للدليل وبحثاً عن الحق، فهذا القاضي أبو بكر بن العربي المالكي يدع مذهب إمامه في وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض إلى قول أبي حنيفة فيقول: "أما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق"⁽²⁾. ويخالف الإمام ابن القيم رأي إمام مذهبه ورأي شيخه ابن تيمية في مسألة نسك التمتع في الحج فيأخذ برأي ابن عباس -رضي الله عنهما- في المسألة ويقول: "وأنا إلى قوله -يعني ابن عباس- أميل منه إلى قول شيخنا"⁽³⁾، والإمام النووي يترك مذهب إمامه في عدم انتقاض الوضوء بأكل لحم الإبل فيرجح النقص فيقول: "وهذا المذهب أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه"⁽⁴⁾.

(1) وهذا هو الشائع العام في كتبهم وأما النادر الشاذ فلا اعتبار به ولا حكم له وقد شنع العلماء على الإمام أبي محمد بن حزم تناولوه على الأئمة والحط من أقدار المخالفين.

(2) الجامع لأحكام القرآن 101/7.

(3) زاد المعاد 193/2.

(4) شرح صحيح مسلم 288/3.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

إن نَفَس الحوار مع المخال واحترامه وعذره والعدل معه والإنصاف يظهر بجلاء في مصنفات الفقهاء ؛ حتى إن القارئ ليأهم يوردون رأي المخالف ثم يبحثون عن دليل يمكن أن يُحتج به لرأيه - إن لم يورد هو دليلاً على قوله - ثم يناقشون الدليل بعد ذلك في إنصاف عزّ نظيره.

إن الدارس للخلاف الفقهي حين يرى هذا التواضع العلمي والتراحم والإنصاف من النفس ليدعوه إلى تطبيق ذلك عملياً، وينبغي أن تؤثر فيه هذه المناقشات العلمية فينحو نحو سلفه وعلمائه فينصف من نفسه، ويأخذ المخالف بالرحمة واللين ، ويبحث عن الحق جهده يقبله ممن أتى به كائناً من كان.

وبالتأمل في تناول الفقهاء الخلاف الفقهي وجدت أنهم التزموا آداباً أوصلتهم إلى هذا الرقي في التعامل مع المخالف ، وعلى دارس الفقه أن يلتزمها ليسمو خلافه كأسلافه.

آداب الاختلاف عند الفقهاء:

1- إخلاص النية لله وحده ، وهذا جوهر المسألة ولُبُّها وعليه المدار وهو ظاهر في إنصافهم ودورانهم مع الدليل حيث دار.

2- البحث عن الحق واتباعه من أي طريق جاء، وموافقة من أتى به ولو كان مخالفاً للمذهب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق الشيطان لما علم أبا هريرة قراءة آية الكرسي عند النوم : " صدقك وهو كذوب"⁽¹⁾ فأرشد أبا هريرة إلى قبول قول الشيطان ما دام موافقاً للحق.

3- البدء بالمتفق عليه بين الطرفين ثم النقاش في المختلف، وهو ما يسمى اليوم (تحرير محل النزاع) وهو يعزز الجوانب المتفق عليها بين المختلفين ويحجم دائرة الخلاف ويجعلها في أضيق نطاق وأقل صورة، والعناية بهذا الأصل يفيد الدارس في شتى مجالات حياته وفي سائر تعاملاته مع الاختلافات العلمية والعملية أياً كانت، فما يتفق عليه المختلفون أكثر مما يختلفون فيه، والعناية بمواطن الخلاف وإبرازها توهم أنها الأصل والغالب بينما الواقع أن مواطن الاتفاق هي الأصل والأغلب ومواقع الاختلاف هي الفرع والأقل ، وإبراز جوانب الاختلاف وإظهارها يورث التراحم والمحبة والألفة ، والعكس إن صُورت مواطن الاختلاف أنها الأعم الأغلب وأغفلت جوانب الاتفاق.

4- حسن الاستماع والإنصات وعرض أدلة المخالف وبيان وجه استدلاله منها، واحترام وجهة نظر المخالف فيها.

(1) رواه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازته الموكل حديث رقم (2187) 812/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 5- توجيه النقد للقول لا قائله ولل فكرة لا صاحبها، فينقد الرأي وتوجه له الاعتراضات العلمية دون المساس بشخص قائله، فيحترم صاحب الرأي ويحفظ مقامه مع الرد على فكرته ومناقشتها. ونحن اليوم أحوج ما نكون لمثل هذا في معالجة خلافاتنا على اختلاف مستوياتها وموضوعاتها.
- 6- استعمال الأدوات العلمية في نقد الرأي والفكرة ، فليس النقد عن هوى وتشهي ، وإنما يكون وفق قواعد علمية ومقدمات صحيحة ، فليس للنقد مكان ولا وجه إن لم يلتزم بمعايير العلمة الدقيقة.
- 7- حسن العبارة وانتقاء اللفظ ، والعجب ممن يطلب مع مخالفه غليظ الكلام وسيء اللفظ ويستوحش من سهل العبارة ولين المقال وكأن الحق لا يتأتى إلا مع فاحش القول وجفاء العبارة! وقد قال الله تعالى : (وقولوا للناس حسنا)⁽¹⁾، قال القرطبي رحمه الله: "فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي؟! "⁽²⁾
- وفي هذا الزمن تشتد الحاجة إلى مثل هذا الأدب في المناظرة والحوار مع المخالف، مع كثرة الاختلافات وتنوع المخالفين، وهي أعظم وسيلة لاستجلاب محبة المخالف ومودته.
- 8- العلم والإحاطة بمسألة الخلاف قبل الخوض فيها .
- 9- إحسان الظن بالمخالف ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)⁽³⁾.

المبحث الرابع: أثر دراسة اختلاف الفقهاء في تعزيز مفهوم الحوار وتحقيق الائتلاف

إن التزام ما جرى عليه فقهاء الإسلام السابقون من أدب الخلاف وحسن الحوار مع المخالف جدير بأن يروض الإنسان على الائتلاف وقبول التعددية الفكرية والعلمية السائغة ، الأمر الذي سينعكس إيجاباً على الأمة الإسلامية واجتماع كلمتها، وينعكس كذلك على علاقة المسلمين بغيرهم من المخالفين، وهو أعظم وسيلة يدعو بها الإنسان إلى الحق الذي يعتقده ويحبب الناس فيه، إضافة إلى عظيم أثر هذه الأخلاق في الحوار والتعامل مع المخالف في استقامة أحوال الناس على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات والدول، وبخاصة أن الخلافات اليوم - كما هو مشاهد- تتعدد وتتشعب على مستوى الأفراد والمجتمعات وبين أصحاب الملة الواحدة وبين أصحاب الملل المختلفة، ومع إغفال الحوار الحسن والأدب مع المخالف تزداد الهوة بين الناس ويعظم الشقاق بما لا تستقيم الحياة معه. وإن المسلمين اليوم إن تغافلوا عن منهج أسلافهم -في الحوار مع

(1) سورة البقرة : 83 .

(2) الجامع لحكام القرآن 16/2.

(3) سورة الحجرات آية 12.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المخالف والأدب معه- ولم يتأثروا بطريقتهم في التعاطي مع الخلاف فإن هذا الخلاف سيؤول إلى فرقة وتباغض وتشاحن، وهذا ما نراه اليوم في الخلافات السائغة بين المسلمين التي ما كان ينبغي أن تفرق الصف وتشحن القلوب، ولئن كان التزام المتقدمين بحسن الخلاف وأدبه فضيلة محمودة فهو اليوم فرض لازم، وتنقية القلوب وتصفية النفوس من غلواء الخلاف واجب متأكد.

وأولى الناس بمراعاة أدب الحوار والخلاف هم دارسوا العلم الشرعي، إذ ينبغي أن تصطبغ حياتهم وأخلاقهم بما تعلموا ودرسوا وشاهدوا من حسن الحوار مع المخالف والأدب معه واحترام وجهة نظره والحفاظ على حقه في التعبير عن رأيه في أمن فكري وحرية علمية تثري الحراك العلمي الفكري بكافة صوره في المجتمع ويصنع بيئة محفزة على الإبداع، يأمن فيها الفرد أن يصادر رأيه أو يقصى.

الحوار الذي يصنع جواً صحيحاً ينجب العظماء والقادة، هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يمشي في طريق ومعه الحسن فرأى تمرة في الطريق فالتقمها رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "كخ كخ! ارم بها! أما علمت أنها لا تحل لنا الصدقة!"⁽¹⁾. إنه حوار رفيع بين معلم البشرية النبي القائد العظيم صلى الله عليه وسلم مع طفل صغير آنذاك، لم ينس النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يحاور هذا الطفل على صغر سنه ولم يكتف بنهيه عن الأكل من تمر الصدقة بل بيّن له ووضح في تشريع عظيم للأمم أن الحوار هو الوسيلة الأولى في توضيح الحق وبيانه وفي تقويم السلوك وإبداء الآراء بلا فرض ومصادرة لآراء الآخرين.

ويحكي الله لنا صورة أخرى من صور الحوار البناء بين إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل يقول الله تعالى: (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) سورة الصافات 102. لم يكن إبراهيم عليه السلام بحاجة إلى أن يبين لابنه قصة الرؤيا فهي أمر من الله لا يمكن مراجعته ولكنها التربية على الحوار والمناقشة وبيان المسوغ والمبرر لاتخاذ القرار، ثم تأمل في أدب الحوار الجم: (فانظر ماذا ترى) تلتطف في عرض الفكرة وإيصال الأمر بما لا مزيد عليه؛ ولئن كان هذا صنيع خير خلق الله وأفضل رسله مع من دونهم فإن عامة الناس أحق بهذا النهج والحوار وأولى به.

إن هذه الصورة الراقية من صور الحوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه الحسن والحوار بين خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، هي التي أنشأت جيلاً عظيماً غير وجه الأرض وجعل منه مجتمعاً مثالياً. ولعل جزءاً كبيراً من ويلات البشرية هي بسبب التخلي عن نهج الحوار وتبادل الرأي في جو تسوده الطمأنينة والأمن الفكري.

(1) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم 127/2، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم 751/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفي التراث الفقهي الضخم نماذج تستحق الوقوف والتأمل في حسن الاختلاف بين أئمتنا وفقهائنا، ويحسن أن أورد شيئاً منها للاعتبار والتأسي:

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة⁽¹⁾. وقال الإمام أحمد بن حنبل: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً⁽²⁾.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق للمسلمين عصمة ولا أخوة⁽³⁾. وقال رحمه الله: وبلاد الشرق من أسباب تسليط التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً: "وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبع بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله. وهذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم، يظلمون الأمة ويعتدون عليهم، إذا نازعوه في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم فيه"⁽⁵⁾.

الخاتمة والتوصيات:

تبين من خلال هذا البحث أن الاختلاف سنة كونية ماضية وأن الخلاف الفقهي جزء من الخلافات البشرية المتعددة وللخلاف الفقهي أسبابه ومبرراته وليس هو في كل الأحوال شراً وبلاءً بل منه ما يكون سعة ورحمة، وتبين لنا أن فقهاء الشريعة هم أكثر من تطرق للخلاف في مصنفاتهم وعالجوه، وقد سنوا لمن بعدهم طريقة وأدباً رفيعاً في التعاطي مع الخلاف والتعامل مع المخالف والحوار معه، وحري بمن تتلمذ على كتبهم أن ينحو نهجهم. وأختم هذا البحث بذكر توصيات أوجزها في النقاط التالية:

1- أهمية تأصيل حقيقة الخلاف المشروع منه والممنوع، وكيفية التعاطي معه.

(1) سير أعلام النبلاء 16/10.

(2) سير أعلام النبلاء 371/11.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية 172/24.

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية 254/22.

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية 311/17.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 2- ضرورة اهتمام المشايخ وأساتذة الجامعات بإبراز منهج الأئمة في تعاملهم مع مسائل الخلاف وتعاملهم مع المخالف ، وتطبيق ذلك عملياً في الدراسات الفقهية.
 - 3- ضرورة تدريس فقه الخلاف وأدب الحوار مادة مستقلة في الجامعات والكليات وأن يكون التدريس نظرياً وتطبيقياً.
 - 4- ينبغي على كافة المسلمين وبخاصة أهل الرأي منهم والحل والعقد أن يشيعوا روح الحوار ويطبّقوه واقعا عمليا ويربوا الناس على آداب الخلاف وتأليف القلوب .
 - 5- التركيز على طلبة التعليم العام وتوعيتهم بضرورة اتخاذ الحوار سبيلا لا محيد عنه ولا بديل في التعامل مع الخلافات، وتوعيتهم بآداب الخلاف وتتنولى وزارات التربية والتعليم هذا الجانب.
- هذا والله أعلم وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي/ الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الانتصار لأصحاب الحديث ، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، الناشر: مكتبة أضواء المنار، 1417، تحقيق: محمد بن حسين الجيزاني.
 - تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420-2000، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
 - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النميري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1398.
 - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الناشر: دار الشعب، القاهرة.
 - رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، 1413.
 - سنن الإمام أبي داود ، للإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، الناشر : دار الفكر ،/ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.
 - سنن الإمام الدارمي، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الناشر : دار الكتاب العربيين بيروت، 1407، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي.
 - سير اعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- صحيح الإمام البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، بيروت، 1407-1987، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
 - صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبر الباقي.
 - لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت.
 - مجلة المجمع الفقهي الإسلامي - السنة الثانية - العدد الثاني.
 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416.
 - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده علي بن إسماعيل المرسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، تحقيق: عبد الحميد هندراوي.
 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
 - مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الناشر دار القلم، 1984.
 - الموافقات، لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.
 - موقع فضيلة الشيخ د. عبد الله بن محفوظ بن يه
- <http://www.binbayyah.net/portal/research/138>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

القيم في المنهاج المدرسي وآليات التطبيق والفعالية الاجتماعية

قراءة استقرائية تحليلية لأنموذج منهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد

ذ. تامتلت إبراهيم

جامعة غرداية / الجزائر

ملخص البحث:

ينحصر المنهاج التقليدي في تقديم ألوان من المعرفة إلى الطلبة، ثم التأكيد عن طريق الاختبارات بمدى اكتساب المتعلمين لها، في حين أن المنهاج الحديث يسعى إلى توفير بيئة إيجابية للمتعلم، يتوافر فيها جميع الخبرات التي يمكن أن يستفيد بها في جميع المجالات، بما يحقق النمو الشامل علميا، اجتماعيا ثقافيا، رياضيا، فنيا...

بالرغم من الفلسفة الشاملة الحديثة للمنهاج؛ غير أنّ تأملات عابرة لنواتج التعلم في البعد الوجداني وبالأخص في الجانب القيمي نلاحظ نتائج ضئيلة إذا ما قورنت بالجوانب المعرفية والمهارية، بل إن الواقع يُظهر في سلوك بعض المتعلمين تشربهم لقيم مناقضة وغير متفقة كلية مع وظيفة المدرسة وغاية التعليم، وبخاصة ما يتعلق منها بالتنشئة على القيم العلمية -التفوق، الامتياز- أو القيم الاجتماعية -التعاون، الإيثار- أو القيم الأخرى -العدل، الوسطية، الاعتدال، تقبل الرأي الآخر، تحمل المسؤولية، التسامح وغيرها-، مما يتطلب إعادة النظر في المنهاج.

في المداخلة سيتم التعرض لمنهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية من خلال فلسفته وغاياته وأهدافه ومقارنته واستراتيجيته التطبيقية... ويتضمن المنهاج مجموعة قيم سيتم التركيز عليها في تصنيفي المحتوى والشدة، كما أن المنهاج يعد مكملا لمنهاج وزارة التربية الوطنية التي تتسم بالاتجاه المادي في حين أن المنهاج يركز على الجانب الوجداني والروحي.

مقدمة:

يعتبر الحوار إحدى المرتكزات التربوية التي وظّفها الله ﷻ في كثير من المواقف حيث "يهذب المشاعر ويوقظ الوجدان ويربي العواطف الربانية ويجيب عن أسئلة السائلين...، ويعد مظهرا من مظاهر تجلي العناية الإلهية بالإنسان؛ ليعتدّ بإنسانيته ويستمر في مناجاة ربه وتفهم آياته وتشريعه، ويستلهم الثقة بربه، ويحيي في نفس الفرد الأمل المشرق والحبّ المزدهر والإيمان والصبر على جميع مشقات الحياة وظروفها..." (عبد الرحمن

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

النحلاوي، 2007 ص 14)، ومن أمثلة الحوار في كتاب الله ما وقع بين لقمان عليه السلام وابنه وهو يعظه بمجموعة من النصائح التي بها يسعد في دنياه وآخرته، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ... وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان، الآية 16-19).

ومن حيث السيرة النبوية استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في اللقاءات التربوية التي يعقدها مع أصحابه؛ واتخذها سبيلا لتعليمهم "أو لتوجيههم، أو توجيه اهتمامهم أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدية" (عبد الرحمن النحلاوي، 2007 ص 14)، لما له من أهمية بالغة في تنمية العقول، وراحة للنفس...، ومن بين الحوارات التي وظفها أنه ﷺ كان جالسا فقال لعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: (ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك.). (أحمد عبده عوض، د.س، ص 46).

يخاطب الرسول ﷺ عقل الصحابي في أسلوب تعليمي وتشويقي قصد التوجيه والتصح فقال له: ألا أدلك على أكرم الأخلاق لتفلاح في الدنيا والآخرة؟.

من خلال المثال نستنتج أن النبي ﷺ يريد زرع القيم من خلال الحوار الهادئ، فالحوار له دور كبير في تعليم القيم الإسلامية التربوية لدى الفرد الناشئ، لما فيه من تزويد لاكتساب المعارف وتنمية المهارات المختلفة والاتجاهات السلوكية البناءة لدى الفرد. من هذا الاتجاه جاءت سلسلة مناهج التربية الإيمانية لتخلق جوا من العبودية الخالصة لدى المتعلم في وعاء من الاستراتيجيات الحديثة -الاكتشاف- وتحاول بذلك تغيير البيئة الأسرية من خلالها.

إلى هنا نطرح التساؤلين الآتيين: ما مفهوم المنهاج وخصائصه وأسسها؟ ما هي الاستراتيجية المعتمدة في المنهاج بالنسبة للمتعلم والمعلم والآباء؟

مفهوم المنهاج الحديث:

- "مجموعة الخبرات التربوية، التي تهيؤها المدرسة للتلاميذ سواء داخلها أو خارجها، بغرض مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل في كافة الجوانب؛ العقلية الثقافية الدينية الاجتماعية الجسمانية النفسية والفنية نموا يؤدي إلى تعديل سلوكهم ويكفل لهم تفاعلهم بنجاح مع بيئتهم ومجتمعهم وابتكارهم حلولاً لما يواجههم من مشكلات"¹
- جميع الخبرات (النشاطات أو الممارسات) المخططة التي توفرها المدرسة لمساعدة الطلبة على تحقيق النتائج التعليمية المنشودة إلى أفضل ما تستطيعه قدراتهم. وهو كل دراسة أو نشاط أو خبرة يكتسبها أو

¹ - الوكيل، المفتي (2013)، المناهج -المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير- مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1، ص 6.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يقوم بها المتعلم تحت إشراف المدرسة وتوجيهها سواء أداخل الصف كان أم خارجه. وهو جميع أنواع النشاطات التي يقوم الطلبة بها، أو جميع الخبرات التي يمرون فيها تحت إشراف المدرسة وتوجيه منها سواء أداخل أبنية المدرسة كان أم خارجها. كما أن المنهاج مجموعة من الخبرات المربية التي تهيئها المدرسة للطلبة تحت إشرافهم بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وعلى التعديل في سلوكهم. كم أنه مجموع الخبرات التربوية الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والعلمية... الخ التي تخططها المدرسة وتهيئها لطلبتها ليقوموا بتعلمها داخل المدرسة أو خارجها بهدف إكسابهم أنماطاً من السلوك، أو تعديل أو تغيير أنماط أخرى من السلوك نحو الاتجاه المرغوب، ومن خلال ممارستهم لجميع الأنشطة اللازمة والمصاحبة لتعلم الخبرات نساعدهم في إتمام نموهم¹

- من المفهومين للمنهاج الحديث نخلص إلى الآتي:
- ❖ يتضمن المنهج خبرات تربوية أو خبرات مربية وهي خبرات مفيدة تعمم تحت إشراف المدرسة لإكساب التلاميذ مجموعة من المعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوبة.
- ❖ تتنوع الخبرات بتنوع الجوانب التي ترغب المدرسة في إحداث النمو فيها، ولا تركز على جانب واحد فقط من جوانب النمو كما هو الحال في المنهج التقليدي.
- ❖ يحدث التعلم بمرور المتعلم بالخبرات المختلفة ومعايشته ومشاركته في مواقف تعليمية متنوعة.
- ❖ لا تقتصر بيئة التعلم على حجرة الدراسة أو ما يدور داخل جدران المدرسة، إذن فتتعدى ذلك إلى البيئة الخارجية؛ معامل ملاعب فناء مصنع حقل معسكرات وغيرها، بالتالي تعرض المتعلم لخبرات مباشرة وغير مباشرة.
- ❖ يسعى المنهاج من خلال هذه الخبرات إلى النمو الشامل المتكامل للمتعلم والذي يؤدي إلى تعديل سلوكه، وحصيلته نجا المتعلم في البيئة والمجتمع.
- ❖ توظيف المتعلم لعقله في معالجة ومواجهة التحديات والمشكلات التي توجد في بيئته ومجتمعه ومحاولة التكيف والتوافق معها.
- ❖ العمل على تكوين تفكير خصب لدى المتعلم وذلك بابتكار حلول متعددة للمشاكل واختيار الأنسب منها وفق الظروف المحيطة.

أسس بناء المنهاج الأساسي:

1. الأساس الفلسفي: تعرف فلسفة التربية بأنها تطبيق النظريات والأفكار الفلسفية المتصلة بالحياة في ميدان التربية وتنظيمها في منهاج خاص، من أجل تحقيق الأهداف التربوية المرغوب فيها، وكلما اتفقت فلسفة المدرسة مع الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع كلما أدى إلى بناء وتكامل وحدة المجتمع وتحقيق أهدافه.

¹ - كمال عبد الله، عبد الله قلي مدخل إلى علوم التربية، مطبوعة جامعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ص 39.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تعد كذلك النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها وتوضيح القيم والأهداف التي تنشأ تحقيقها.

يلعب الأساس الفلسفي دورا كبيرا في تخطيط المنهاج المدرسي وتحديد أهدافه واختيار محتواه وأنشطته وأساليب تقويمه، وهناك علاقة وطيدة بين الفلسفة والتربية؛ لأن الفلسفة تمثل البعد النظري للإنسان في الحياة، والتربية تمثل الجانب التطبيقي للمفاهيم النظرية الخاصة بالإنسان داخل النظام الاجتماعي، ولربط هذه الفلسفات لأبد من توضيح نظرتها إلى المنهاج والمعلم والطالب وطرائق التدريس والوسائل التعليمية. ومن أبرز هذه الفلسفات "الأزلية، المثالية، الواقعية، البراجماتية، التجديدية، الماركسية..."

2. **الأساس الاجتماعي:** مجموعة المقومات أو الركائز ذات العلاقة بالمجتمع الذي يعيش فيه المتعلم، والتي يجب مراعاتها عند بناء المنهاج، وهو أقوى أسس المنهاج، وتُعنى بحاجة المجتمع، من كفايات أكاديمية، وقوى عاملة مدربة، وتعزيز قيمة العمل النافع، والتوازن بين النظرية والتطبيق واحترام العمل... يقصد بالمجتمع في معناه الإجمالي إطار عام يحدد العلاقات التي تنشأ بين جمع من الأفراد يستقرون في بيئة معينة تنشأ بينهم مجموعة من الأهداف والرغبات والمنافع المشتركة المتبادلة، وتحكمهم مجموعة من القواعد والأساليب المنظم لسلوكهم وتفاعلاتهم.

ويعتبر التفاعل الاجتماعي أساس كل نظام اجتماعي وهو عملية التأثير المتبادل بين أفراد المجتمع أو جماعاته أو مؤسساته في مواقف مباشرة أو غير مباشرة عن طريق تداخل الأدوار فيما تؤديه من وظائف تخدم الفرد والمجتمع. ومن أبرز صور التفاعل "التعاون، التنافس، الصراع، الاحتواء، التغيير، الثقافة..."

3. **الأساس النفسي:** مجموعة القواعد أو الركائز ذات العلاقة بطبيعة المتعلم وخصائص نموه وحاجاته، واهتماماته، وقدراته، وميوله، وحول طبيعة عملية التعلم التي يجب مراعاتها عند وضع المنهاج وتنفيذه. ولا بد عند التعرض للأسس النفسية من دراسة بعض الموضوعات ذات العلاقة، منها: مبادئ النمو؛ ويعرف النمو على أنه مجموعة من التغيرات المتتابة والتدرجية التي تسير حسب نظام متكامل، والتي تظهر في كل جوانب الكائن الحي "التكويني والوظيفي".

4. **الأساس المعرفي:** مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية، التي تتكون لدى الفرد نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء والموضوعات المحيطة به. وتتفاوت في طبيعتها "المعرفة الناتجة عن خبرة مباشرة، المعرفة الناتجة عن خبرة غير مباشرة" "المعرفة الذاتية، المعرفة الموضوعية"¹.

5. **الأساس القيمي:** يمكن التركيز على هذا المستوى من خلال تصنيف القيم فقد تعددت التصنيفات المقترحة لها وجاءت معبرة عن فلسفة أصحابها ونظرتهم للقيم كمفهوم ونظرية منظمة، فنلاحظ تصنيفات خاصة بالفلاسفة وأخرى لعلماء النفس والتربية، وكل تصنيف منها يعتمد معيارا محددا محالوا أن يضم

¹ - عبد السلام يوسف الجعافرة (2015)، المناهج - أسسها وتنظيمها -، دار وائل، ط 1، ص 156-174.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تحتة منظومة القيم الخاصة بالعلم الذي يعالجه، مما يجعل هذه التصنيفات وجهات نظر لكل منها إيجابياته وسلبياته، ونعرض فيما يأتي لأهم هذه التصنيفات التي تعتمد ستة معايير هي¹:

1/ معيار محتوى القيمة (Dimension of Content): اعتمد عالم النفس الألماني (سبرانجر (Spranger تصنيف مضمون القيم وفقا لمعيار محتوى القيمة في كتابه (أنماط الرجال (Types of Men)، حيث قسم الناس إلى ستة أنماط بناء على القيم الأساسية التي يعتقدون بها ويتمثل محتوى التصنيف في (القيم النظرية، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية، القيم الدينية)

3/ معيار شدة القيمة ودرجة الالتزام التي تفرضها (Dimension of Intensity): ترتبط شدة القيمة بأمرين (*درجة الإلزام التي تفرضها على الفرد. *الجزء أو العقوبة التي تقررها وتوقعها على من يخالف القيمة)، وبمقدار درجة الإلزام والجزاء تكون شدة القيمة أو ضعفها وتنقسم إلى قيم ملزمة وقيم تفضيلية وقيم مثالية.

خصائص المنهاج التربوي: يرى الدكتور أبو عامر أنه لا بد أن تتوفر في المنهج التربوي الناجح عدة خصائص تتمثل في:

- ❖ الأصالة : الانبثاق من ثقافة الأئمة الأصيلة.
- ❖ المرونة: القدرة على استيعاب المفاهيم الحديثة والواقع الجديد والتجارب الإنسانية المفيدة لإضافتها لمناهج التربية.
- ❖ الواقعية: سهولة تطبيقه على أرض الواقع بعيداً عن التحليق في عالم المثاليات.
- ❖ السهولة: سهولة تقديمه للأجيال من قبل المرشدين والمرشدين.
- ❖ الحداثة: الاعتماد على الدراسات العلمية الحديثة والقدرة على الاستفادة من التقنيات الحديثة في إيصاله للفرد المسلم.²

أهداف المنهاج التربوي ومستوياته ومجالاته:

- ❖ الغايات: عبارات فلسفية عامة واسعة، طموحة تتسم بالتجريد والمثالية والتعقيد بعيدة المدى من حيث مدة تطبيقها، يقوم بوضعها سلطة سياسية قائمة، يشترك فيها جميع مؤسسات المجتمع.
- ❖ المرامي والمقاصد: أقل عمومية وتجريد من الغايات وأكثر وضوحاً وتحديداً منها، ترتبط بنظام مؤسسة معينة وتظهر على مستوى التسيير الإداري والعلمي جلية في أهداف البرامج والمواد التعليمية بالنسبة للمؤسسة التربوية، قابلة للتغيير وآفاق أقصر أمد.

¹ - ماجد ركي الجلاد. تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم. مرجع سابق. ص 46-51.

² - موقع بصائر، المناهج التربوية .. حديثاً في الأهمية والخصائص وضرورة التطوير، <https://basaer-online.com/2016/02>

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- ❖ الأهداف العامة: أقل تحديدا وتدقيقا من الأهداف الخاصة، تتحقق عند نهاية محور أو مقرر أو سلسلة...، يعلن عنها عند بداية وضع البرامج والمقررات الدراسية، تصف مجالات سلوك شخصية المتعلم "المعرفية، وجدانية، نفسحركية"
 - ❖ الأهداف الخاصة: ترجمة الأهداف العامة إلى أهداف للدروس، قابلة للملاحظة والقياس تتحقق عند نهاية حصة دراسية معينة.
- مجالات الأهداف التربوية:**

المجال الأول: المجال المعرفي: صنف بلوم 1956م الأهداف المعرفية إلى ست عمليات ذهنية متسلسلة هرمية متفاوتة في سهولتها وصعوبتها وهي:

- مستوى التذكر
- مستوى الفهم
- مستوى التطبيق
- مستوى التحليل
- مستوى التركيب
- مستوى التقويم

المجال الثاني: المجال الوجداني: طور كراثول 1964م ورفاقه نموذجا لهذا المجال مكون من خمسة مستويات رئيسة هي:

- ❖ المستوى الأول: الاستقبال: يشير إلى الأوضاع التعليمية التي ينتبه فيها المتعلم إلى المثيرات أو الظواهر المحيطة به والتي تنطوي عليها تلك الأوضاع، ويتمثل في الرغبة للانتباه إلى ظاهرة أو مثيرات معينة، ويتألف من ثلاثة أجزاء:
- مرحلة الوعي: تشير إلى أنماط وعي المتعلم بالظواهر أو المثيرات التي تستجر انتباهه وتستثير سلوكه الشعوري، ملاحظة اللون أو اللباس...
- مرحلة الرغبة في الاستقبال: تشير إلى مدى رغبة المتعلم في توجيه الانتباه إلى مثيرات معينة، وتتراوح هذه الرغبة بين التسامح والانتباه النشط والفعال، الانتباه الشديد إلى تعليمات المعلم، الاستماع باحترام للآخرين.
- مرحلة ضبط الانتباه: الحالة التي يتحكم فيها المتعلم في عملية توجيه الانتباه نحو بعض المثيرات المفضلة لديه على الرغم من وجود مثيرات أخرى منافسه.
- ❖ المستوى الثاني: الاستجابة: يتعدى هذا المستوى الانتباه إلى الظاهرة لينتقل إلى الرغبة في التفاعل مع حدث من خلال بعض أعمال المشاركة، ليندمج فيها وصولا إلى الشعور بالارتياح والرضا أثناء الانهماك ببعض النشاطات التعليمية.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- ❖ المستوى الثالث: التقييم: يتناول سلوك المتعلم الذي يعزو فيه قيمة معينة للمثيرات أو الظواهر أو المادة التعليمية، وتشير عادة إلى الاعتقادات أو الاتجاهات التي يتبناها المتعلم وتبين نوعاً من الثبات في مواقف المتعلم إزاء بعض الموضوعات، تنجم هذه المواقف عند المتعلم نتيجة التزامه بهذه القيمة وليس الإذعان. وينقسم هذا المستوى إلى:
 - مرحلة تقبل القيمة: إظهار الاعتقاد ببعض الأشياء كالاتقاد بأهمية مادة الرياضيات أو التربية الاجتماعية في الحياة العملية.
 - مرحلة تفضيل القيمة: يسعى المتعلم فيها إلى درجات أعلى من اليقين والاعتقاد بالقيمة والموضوعات المرتبطة بها، ويتجلى ذلك في النشاط الزائد الذي يظهره نحوها، كالرغبة في المزيد من المساعدة والرغبة في توضيح عض الأهداف الاجتماعية.
 - مرحلة الالتزام بالقيمة: يتجسد في الولاء لفلسفة أو مبدأ أو جماعة أو فكرة أو احتجاجه على الانحراف.
- ❖ المستوى الرابع: تنظيم القيم "إعطاء قيمة": ينصب الاهتمام في هذا المستوى على تجميع عدد من القيم وحل التناقضات بينها، والبدء ببناء نظام قيمي داخلي ثابت، لذلك يكون التركيز هنا على المقارنة والتركيب، أي المقارنة بين القيم والوصول إلى تركيب جديد وهذا التركيب يتعرض للتغيير والتعديل بإضافة قيم جديدة. ينقسم هذا المستوى إلى:
 - مرحلة تكوين مفهوم القيمة: يقوم المتعلم بعملية التصور العقلي للقيم التي يجب عليه اكتسابها، (صياغتها على نحو لفظي، أو إدراك العلاقة التي تربطها بالقيم السابقة) كمقارنة العقائد بالسلوك أو التمييز بين النظرية والتطبيق.
 - مرحلة تنظيم المنظومة القيمية: تشير إلى أنماط السلوك التي يظهرها المتعلم عندما تكون منظومته القيمية متوازنة على نحو جيد، أي عندما تتسم العلاقات المنظمة للقيم ذات اتساق داخلي وتآلف منطقي، مما يشير إلى نوع من التوازن الديناميكي، تتفاعل فيه القيم بحيث يتولد عنه قيم جديدة، أو تركيبات قيمية ذات مستوى تجريدي أعلى.
- ❖ المستوى الخامس: مستوى الوسم بقيمة (التمييز بقيمة): يصبح الفرد في هذا المستوى له شخصية متميزة، حيث تنظم القيم التي لها مكان في الترتيب الهرمي لقيم الفرد في نظام متنسق داخليا، ويقوم الفرد بأفعال تبعا للقيم التي يتقبلها، وبذلك يوسم المتعلم بقيمة تدل على طراز حياته أو أسلوب سلوكه كأن يوصف بالتعاون أو الصدق أو الاندفاع... نتيجة التوافق بين سلوكه وما يعتقد. ينقسم هذا المستوى إلى:
 - مرحلة التهيؤ المعمم: يكتسب فيها المتعلم مجموعة من الاتجاهات العقلية أو الميول أو النزعات أو الاستعدادات تمكنه من تعميم عملية التحكم بسلوكه بحيث يمكن تمييزه من خلال هذه الاتجاهات.
 - مرحلة الوسم: وهي قمة مرحلة التدويت، وتشير إلى مجموعة الأهداف النهائية العامة التي يكتسبها في الميدان العاطفي الانفعالي بحيث تجعل منه شخصا فريدا بحيث تتكامل اعتقاداته واتجاهاته ونزعاته واستعداداته وقيمه في فلسفة كلية شاملة تسم حياته.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المجال الثالث: المجال النفسحركي: تعرف على أنها أي نشاط سلوكي ينبغي أن يكتسب فيه سلسلة من الاستجابات الحركية.

❖ المهارات ذات جانبيين:

- الأول: نفسي وفيه يدرك الحركة ويفكر فيها ويستوعبها.

- الثاني: ممارستها.

❖ يتضمن تعليم المهارة الخطوات الآتية:

- المعرفة العقلية للمهارة بجميع أجزائها وخطوات أدائها: المعرفة النظرية للمهارة.

- تمثل واستعمال الخطوات الأدائية للمهارة ذهنياً: محاولة استعادة الخطوات على مستوى الذهن.

- الممارسة الفعلية للمهارة: ممارسة المهارة بشكل فعلي وعملي مع الاستعانة بالتغذية الراجعة لتعديل الأداء أثناء الممارسة وتصحيحه.

- مرحلة الاعتياد على الأداء: بعد التكرار تصبح أشبه بالعادة ولا يحتاج إلى بذل الكثير من الانتباه والتفكير. (التأزر الحس حركي)

❖ تم تصنيف المجال النفسحركي إلى أربع فئات أساسية:

- الفئة الأولى: الحركات الجسمية الإجمالية: استخدام الجسم ككل لأداء مهارة معينة: المشي، القفز، السباحة.

- الفئة الثانية: الحركات المتناسقة الدقيقة: الحركات الدقيقة التي يجب أن يكتسبها المتعلم ليؤدي مهارات معينة كحركة العين والأصابع واليد مثل الإمساك بالقلم والكتابة وتناسق قيادة السيارة.

- الفئة الثالثة: مجموعة التواصل غير اللفظي (الإيماءات): قدرة المتعلم على التواصل مع الآخرين دون استخدام الكلام، تعبير الوجه، الحركات الإيمائية الجمالية، حركة اليدين للتعبير عن التضامن...

- الفئة الرابعة: فئة التواصل اللفظي الفعال: يستخدم المتعلم الكلام ونبرة الصوت للتواصل مع الآخرين (الأداء اللفظي المعبر عن المعنى كالنطق الواضح وتنغيم الصوت - النغمة الاستفهامية، العاطفية، الخطابية-)

❖ مستويات المجال النفسحركي: حدد كِبَلر خمس مستويات للسلوك الأدائي:

❖ المستوى الأول: التقليد والمحاكاة.

❖ المستوى الثاني: الأداء الحركي للمهارة.

❖ المستوى الثالث: الأداء الذي يتطلب التناسق.

❖ المستوى الرابع: المهارات الحركية المركبة.

❖ المستوى الخامس: الأداء الطبيعي للمهارة (البسيطة أو المركبة).

الاستراتيجية المعتمدة في منهاج التربية الإيمانية:

1. مفهوم إستراتيجية التعلم بالاكشاف:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- عملية تنظيم المعلومات بطريقة تمكن المتعلم أن يذهب أبعد من هذه المعلومات.
- الطريقة التي يتم فيها تأجيل الصياغة اللفظية للمفهوم أو التعميم.
- محاولة الفرد الحصول على المعرفة بنفسه، فهو يعيد صياغة المعلومات بهدف التوصل إلى معلومات جديدة.

- سلوك المتعلم للانتهاء من عمل تعليمي يقوم به بنفسه دون مساعدة من المعلم.

2. خصائص التعلم بالاكشاف:

- توفير الظروف وتهيئة البيئة التعليمية اللازمة لجعل التلاميذ يكتشفون المعلومات بأنفسهم حيث تجعل منهم محور العملية التعليمية بدلا من المعلم.
- استهداف استخدام العمليات العقلية بدلا من مجرد المعرفة البسيطة ومن أمثلة ذلك ما جاء في مستويات الأهداف في مصنفة "بلوم" التحلي، التركيب، التقويم.
- تنظيم وتصميم الموقف التعليمي يجعل دور التلميذ كمكتشف وذلك بوضعه أمام مشكلات تثير انتباهه وتحفزه على أعمال عقله والتخطيط بنفسه لرسم خطوات الحل.
- يؤكد التعلم بالاكشاف على التجريب، شريطة أن لا تكون التجارب مرسومة خطيا مسبقا لدى التلاميذ.
- التأكيد على الأسئلة والإشكال لا على الإجابة، فالأسئلة هنا بمثابة الموجه والمنشط لإثارة دافعية التلاميذ، والمهم هنا ليس إيجاد الإجابات الصحيحة بقدر ما هو كيفية إيجادها والتوصل إليها.
- لا يحسم العملية التعليمية بمجرد الوصول لحل المشكلات، إنما يحاول جعلها مستمرة وذلك بطرح بدائل أخرى يمكن أن تكون منطلقا لإشكالات أخرى أو حلولا محتملة لنفس الإجابة المتوصل إليها.

3. خطوات إستراتيجية التعلم بالاكشاف:

- طرح المعلم لمشكلة مثيرة لضمان استشارة دوافع المتعلمين واهتمامهم ويقودهم لإيجاد الحل.
- تخطيط المشكلة بشكل يمكن المتعلمين من التبصر بالمبادئ التي تقوم عليها المشكلة.
- الحفاظ على شد انتباه المتعلمين وإثارة دافعتهم حتى تحقيق الهدف وهو الوصول إلى الحل (القيام بمجموعة أنشطة: طرح الأسئلة، الإغلاق وتزويدهم بالدلائل المناسبة، التأكد من توفر المعرفة السابقة، توفير مناخ يحفز على التفكير بتلقائية..).

4. مستويات التعلم بالاكشاف:

- تختلف المستويات من حيث توجيه المعلم ومشاركته للمتعلم في العملية التعليمية في تقديم الإرشادات والتعليمات .. ويمكن إيجاز هذه المستويات في ثلاث:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الاكتشاف الموجه: يقوم هذا المستوى على نشاط كل من المعلم والتلميذ للوصول إلى الأهداف التعليمية المراد تحقيقها، وهنا يتطلب حل المشكلات عن طريق تزويد التلاميذ بتعليمات كافية وتوفير الظروف المناسبة وتوضيح الغرض من كل خطوة ضمن خطوات الاكتشاف، مع توجيه المستمر من قبل المعلم. ويمكن تلخيص أهم العناصر الأساسية للاكتشاف الموجه في:
- استنفار دافعية المتعلم للاكتشاف.
- العمل على ربط الخبرات السابقة بالخبرات المراد اكتشافها.
- توفير المناخ الذي يساعد على الاكتشاف.
- مساعدة المتعلم على التخمين أو الحدس بطريقة علمية.
- التأكد من صحة التخمين أو الحدس.
- مساعدة المتعلم على التخمين الصحيح.

الاكتشاف شبه الموجه: حيث يضع المعلم التلاميذ في موقف مشكل ويقدم بعض التوجيهات العامة، ويحفزهم لاكتشاف الحل بأنفسهم، ويشترط ألا تكون لدى التلاميذ معرفة سابقة بالنتائج المطلوب منهم الوصول إليها.

الاكتشاف الحر: يعتبر أرقى أنواع الاكتشاف، ويستحسن أن لا يتم توجيه الطلبة إليه إلا بعد التمكن من المستويين السابقين، حيث يواجه تلاميذ مشكلة محددة ثم يطلب منهم الوصول إلى الحل ويترك لهم حرية صياغة الفروض وتصميم خطوات النشاط بأنفسهم..

فالاكتشاف عموماً في مستوى التلاميذ هو عملية الوصول إلى شيء موجود من قبل غير أنه لم يكن معروفاً للمكتشف، ويتم ذلك عن طريق التصميم والإعداد المحكم للموقف التعليمي (توفير الوسائل، التوجيه المستمر..). وهذا ما يحقق التمكن من المعلومة بشكل أعمق ويعزز أخيراً ما يسمى التعلم الذاتي والتعلم المستمر.

5. طرق التعلم بالاكتشاف:

- طريقة الاكتشاف الاستقرائي: تعتبر الطريقة التي يتم الوصول من خلالها من حالات خاصة إلى تعميمات باستخدام الحدس والمنطق، حيث يكتشف مفهوم ما بدراسة مجموعة من الأمثلة النوعية لهذا المفهوم، ويتكون هذا الأسلوب من جزئين: الأول من الدلائل والتي تؤيد الاستنتاج الذي هو الجزء الثاني، وقد تجعل الدلائل الاستنتاج موثقاً به، وهذا يتوقف على طبيعة تلك الدلائل وهناك عمليتان يتضمنهما أي درس اكتشاف استقرائي وهما التجريد والتعميم.
- تتميز طريقة الاكتشاف الاستقرائي بمجموعة من المميزات منها:
- . المعلومات التي يكتسبها التلاميذ بعد الاكتشاف تظل في أذهانهم لمدة أطول من التلاميذ الذين اعتمدوا الحفظ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

. مساعدة التلاميذ إجرائيا على استخدام وانتهاج أسلوب التفكير العلمي.

■ طريقة الاكتشاف الاستدلالي: ويصطلح عليها كذلك الاكتشاف الاستنباطي، ويقصد بها الانطلاق من تعميمات إلى حالات خاصة باستخدام المنطق والحدس العلمي، ونعني بالاستنباط أو الاستدلال هنا معالجة الأفكار من خلال استخدام قواعد المنطق من أجل تكوين تعميمات يمكن أن تطبق في مواقف أخرى مشابهة.

وبتعبير آخر التوصل إلى التعميم أو المبدأ المراد اكتشافه عن طريق الاستنتاج المنطقي من المعلومات التي سبق دراستها ويكمن سر نجاح هذه الطريقة في قدرة المعلم على تقديم جملة من الأسئلة الموجهة (يتدرج في طرحها من الأسئلة الواضحة السهلة إلى المركبة..). والتي تقود التلاميذ إلى استنتاج المبدأ أو المفهوم المرغوب.

ويتطلب لإتباع هذه الطريقة الشروط التالية:

- تحليل المعطيات.

- تحليل المطلوب.

- إيجاد العلاقة بين المعطيات والمطلوب.

■ طريقة الاكتشاف القائم على المعنى والاكتشاف القائم على غير المعنى:

- الأول: يضع التلميذ في وضعية مشكلة تتطلب حل مشكلة ما، ويشارك التلميذ مشاركة إيجابية في عملية الاكتشاف، وهو على وعي وإدراك لما يقوم به من خطوات ولما يشير إليه المعلم من توجيهات وإرشادات.

- الثاني: يوضع التلميذ في وضعية مشكلة وتوجيه المعلم وإتباع تعليماته، لكن دون فهم للخطوات أو وعي بخطواتها، وإنما عليه فقط التنفيذ.

6. أهمية التعلم بالاكتشاف:

- يشير "برونر" إلى أن الاكتشاف هو العملية والطريقة التي يصل بها الأطفال إلى معلومة ما جديدة، بمعنى أن الاكتشاف بموجب هذا التعريف يعني أي طريقة يكتسب بها الطفل معرفة ما باستخدام مصادره العقلية أو الفيزيائية.

- فالتعلم وفق طريق الاكتشاف يحدث نتيجة معالجة التلميذ للمعلومات وإعادة تركيبها وصياغتها بنفسه بتوجيه من المعلم، ويميز التعلم بالاكتشاف عدة مزايا منها:

- تعلم كيفية تتبع الدلائل وملاحظة وتسجيل النتائج، ما يمكن المتعلم من التعامل مع مشكلات جديدة.

- منح المتعلم فرصا عدة للتوصل إلى الحل باستخدام التفكير المنطقي.

- يعود ويمكن المتعلم من التفكير الناقد وهذا باستهداف المستويات العقلية العليا لدى المتعلم كالتركيب والتحليل والتقويم،

- تعويد المتعلم على عدم الاستسلام والتبعية التقليدية في اكتساب المعرفة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار .جمهورية صربيا

- ينمي مهارات التفكير العليا كالتفكير الإبداعي والنقدي.
- يحفز دافعية المتعلم إلى التعلم الذاتي بما يوفره من تشويق وإثارة (تعزيز مستمر في كل خطوة).
- تساعد المتعلم على الطرق المنهجية والعلمية في الوصول للمعلومة.
- يساعد على بقاء أثر التعلم بصورة أعمق، مع تكوين اتجاه إيجابي نحو المادة المتعلمة.
- يكسب المتعلم الثقة بنفسه، وينمي لديه الاعتماد على النفس والشعور بالاستقلالية.
- 7. معوقات التعلم بالاكشاف:** قد تعترض طريقة التعلم بالاكشاف جملة من المعوقات منها:
 - صعوبة التخطيط المحكم والتصميم الشامل للأنشطة التعليمية.
 - يتطلب التعلم بالاكشاف توفير العديد من الوسائل التعليمية لتوضيح وتيسير الموقف التعليمي.
 - طول المدة الزمنية التي يتطلبها التعلم بالاكشاف خاصة مستوى الاكشاف الموجه.
 - طول وكثافة المقرر والتي لا تتناسب وضيق الوقت.
 - عدم تكوين المعلمين على إدراك وممارسة المرونة الموجهة في أبعاد وجوانب التعلم بالاكشاف.
 - يمكن أن يواجه بعض التلاميذ (دون المستوى خاصة) صعوبة مع هذه الطريقة من التعلم.
 - الكثير من إيجابيات التعلم بالاكشاف لا تظهر في اختبارات التحصيل العادية كونها تستهدف القدرات العقلية الدنيا (كالحفظ..) لدى التلاميذ.

03) نموذج منهاج التربية الإيمانية للمرحلة المتوسطة: يتكون المنهاج من كتاب المتعلم ودليل المعلم

لكل مستوى -أربعة كتب للمتعلم وأربعة أدلة للمعلم- مع دليل خامس للمعلم وهو شامل للمرحلة يضم قضايا تربوية موزعة على أقسام الدليل نوردها في:

- خصائص مرحلة المراهقة وتوجيهات تربوية.
- توجيهات تربوية عامة.
- الأسس والكفاءات والأهداف.
- خطوات بناء الدرس.

في هذه المداخلة سنركز على بعض العناصر:

- 1- كفاءات مدرس التربية الإيمانية. (الكفاءة العلمية، الكفاءة الأدائية التربوية -المهارة في الأداء التربوي، المهارة في بناء العلاقات-، كفاءات تتعلق بالمادة) (دليل الأستاذ إلى كتاب التربية الإيمانية -قضايا تربوية-ص 39)
- 2- المقاربة المعتمدة: تمّ اعتماد المقاربة البنائية إذ هي الإطار الذي يواجه المتعلم وضعيات تعليمية جديدة بالبحث والتقصي، وذلك بتجنيد موارده المختلفة (معارف، قدرات، مهارات...) من أجل بناء موارد جديدة... حيث يجب أن تضيف على الدرس حيوية ونشاطا وتفاعلا بين مختلف الأطراف الفاعلة فيه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يمكن للأستاذ أن يستعين في إنجاز هذه الأنشطة ب: العمل في مجموعات، العمل الثنائي، العمل الفردي، العمل الجماعي. وله ان يختار من الطرق ما يناسب الموضوع أو النشاط، خاصة إذا كان متمكنا وصاحب تجربة في تدريس المنهاج، أما إن كان مبتدئا فعليه أن يختار العمل الجماعي في إنجاز الأنشطة لضمان غنها البرنامج.

الاجتهاد في تحديد الحجم الساعي لكل وضعية أو نشاط.

تدريب المتعلم على الابتعاد من الأجوبة المباشرة نعم/ لا دون شرح أو تعليل.

3- الأسس المنهجية في التأليف المدرسي:

■ الأسس التربوية: (المرجعية المعتمدة - المنطلقات الأساسية للمنهاج-، الأهداف - تمّ تحديدها في مصفوفة خاصة بها-)

■ أسس أخرى:

- التركيز على المتعلم باعتباره محور العملية التعليمية التعلمية.

- اعتماد المنهج البنائي الذي يعتمد على تحريك وتنشيط موارد المتعلم السابقة من أجل بناء موارد جديدة، وكذا توظيف موارده في وضعيات الحياة المختلفة التي تعترضه.

- اعتماد المذهب النفعي في التربية، والذي يرى أن قيمة المعرفة إنما تتحدد بما تحققه من فائدة ومنفعة على الفرد والمجتمع؛ وهو ما يبرز بشكل واضح في استثمار المعرفة، وإدماج مكوناتها في الحياة العامة.

- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين خاصة ما تعلق بموضوع الأنشطة ومستوياتها وصيغها.

4- التقويم: تعد الأنشطة التقويمية امتدادا للدرس وتمتد لبنائه، إذ قد يكتشف الأستاذ من خلالها قصورا في فهم فكرة أو خطأ في الفهم وقد يسد بها ثغرة في الدرس.

- الاجتهاد في أن تكون الأنشطة التقويمية أقرب إلى استثمار الدرس من استظهاره.

- مجال الإثراء: يلمس الأستاذ التوسع بغرض التبسيط والتوضيح أو الإثراء المعرفي والتوجيه السلوكي والبناء الوجداني من خلال:

- مساحات مخففة ومشوقة على شكل جداول او رسومات بيانية، إضافة إلى أنها تساعد تلاميذ النمط البصري على الفهم والاستيعاب.

- صور معبرة.

- مقالات للمطالعة.

- قاموس المصطلحات.

- المحيط: الأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات الفعلية للمؤسسات التربوية المعتمدة، مما دفعنا إلى التقصير من المنهاج، والتخفيف من الأنشطة البنائية.

- الاجتهاد في مراعاة البيئة الاجتماعية في اختيار النماذج والأمثلة التي تلبي حاجات المجتمع وتخدم أهدافه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الاقتراب من واقع التلميذ تبسيطا للمعنى ومعالجة لبعض الأخطاء التصورية والسلوكية.
- أنشطة التقويم: التقويم نشاط يرافق العملية التعليمية-التعلمية في مختلف مراحلها -تقويم تشخيصي، تقويم تكويني، تقويم تجميعي -تحصيلي-
- تقتصر الكتب المدرسية للمرحلة المتوسطة على القسم الثالث من التقويم (التقويم التحصيلي) وعلى الأستاذ أن يجتهد في أنشطة تقويمية تشخيصية وتكوينية حسب الموضوع والوضعية والحجم الساعي.
- الهدف من الأنشطة التقويمية: (-قياس مدى استيعاب المتعلم وتمكنه من المقرر وتحكمه في الكفاءات -قياس مدى أداء المعلم وتمكنه من تحقيق الأهداف -قياس مدى قوة المنهاج وفاعليته) والهدف من هذا التثمين والتطوير أو اقتراح البدائل والحلول.
- إجابات الانشطة التقويمية في دليل كل مستوى نموذجية ولا يمكن حرمان التلاميذ من إجابات شبيهة أو مقاربة.
- أنشطة المشروع: المشروع نشاط أو مجموعة من الأنشطة بوحداث متباعدة ضمن المقرر الدراسي، يمارسها المتعلمون بتوجيه من المعلم؛ وذلك لتطبيق أو توظيف أو استخدام ما تم اكتسابه من معارف ومهارات سواء كانت معرفية، أو أدائية أو وجدانية أو اجتماعية. وتكون متصلة بحياة الطلبة ومنبثقة من حاجاتهم ورغباتهم. (انظر خطوات إعداد المشروع الأول ص 93 في دليل معلم السنة الرابعة متوسط، أستثمر تعلماتي في مشروع ص 29 في كتاب الطالب التربية الإيمانية سنة رابعة متوسط) -بعد المحور الأول حقائق ومفاهيم -الكون، الإنسان، الحياة والمصير-
- 5- خطوات بناء الدرس:
- وضعية الانطلاق: (أهداف الدرس، إشكال أو سؤال تمهيدي -أفكر وأأمل-، نشاط تمهيدي -مدخل للبحث والاكتشاف-)
- وضعية بناء التعلّات: (نشاط بنائي -للبحث والاكتشاف- فترة للتوسع والتعمق)
- وضعية التقويم والاستثمار: أنشطة ختامية -للاستثمار والتقييم-
- 6- منهاج التربية الإيمانية والتواصل مع الآباء: ينطلق المنهاج من فلسفة إشراك الأسرة في المفاهيم والتصورات من خلال الأنشطة التربوية المتضمنة فيه؛ بصنفيها البنائية والتقويمية، علما أن المحتوى المعرفي الوجداني المتضمن في الكتاب يتعمق أحيانا إلى درجة تعمقه أكثر من مستوى المتعلم... بالتالي يأخذ إشراك الآباء جانبيين:
- اللقاءات الدورية مع الآباء: يتم تنظيم هذه اللقاءات دوريا حوالي موعدين في السنة، والغرض منها:
 - ✓ تحسيس الآباء بأهمية المادة العلمية المقدمة للمتعلم.
 - ✓ الإجابة على انشغالات الأولياء وتقديم تصورات واضحة لبعض المفاهيم الإيمانية العميقة.
 - ✓ التركيز على أهمية الجانب الوجداني "الروحي" بالنسبة للمتعلم

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الأنشطة الموجهة للأسرة: عبارة عن أنشطة يكلف بها المتعلم للعمل فيها وسط الأسرة وبإشراكهم وذلك في جلسات خاصة مريحة، وتهدف إلى:
- ✓ إشراك الآباء في اكتساب ما يتعلمه الآباء.
 - ✓ تكوين الأسرة من خلال الأبناء.
 - ✓ إيجاد آلية تواصل مفتوحة بين الآباء والأبناء.
 - ✓ غرس الاتجاهات والقيم الروحية الإيمانية وسط الأسرة عن طريق إيجاد جو روحي بعيد عن التعصب والصراعات التافهة.
 - ✓ الرفع من مستوى تفكير الآباء وتصحيح التصور تجاه الخالق.

خاتمة: تعد الفلسفة المعتمدة في بناء المنهاج -قديم، حديث- خطوة هامة في تحديد المنهج المتبع في بنائه -المقاربة، الاستراتيجية-، غير أن الدور الأساس في تجسيد مضمون المنهاج فعليا في الواقع يقوم على أساس طريقة أداء الأستاذ ميدانيا فهو المترجم والناطق للمعارف والمهارات المتضمنة فيه، ومن هذا المنطلق يعد مفهوم محاكاة نماذج حديثة في المناهج -عملية التطوير- والتكوين المستمر للأستاذ في المجالات المتعددة ذات العلاقة بالموقف التعليمية محك نجاح المنهاج أو فشله، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات المتعلم واستعداداته من جهة وحاجاته ومتطلبات عصره من جهة أخرى. أمام هذا العمل العميق في الموقف التعليمي يبرز دور الأسرة في الإشراف بل المرافقة المستمرة في تجسيد المعارف النظرية المكتسبة في المدرسة ليكون هذا المنهاج أداة لفتح الحوار والمناقشة المفتوحة وفق الضوابط العلمية المنهجية في الوسط الأسري.

قائمة المراجع:

1. استراتيجيات التدريس والتعلم نماذج وتطبيقات/2010 / آمال جمعة عبد الفتاح محمد/ دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدة، ط1.
2. قابلية التعلم/ 1986 / أحمد صيداوي/ معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان/ ط1 .
3. التربية العامة / 2009/ عبد الله قلي، فضيلة حناش/ سند للتكوين المتخصص/المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر / ط
4. مناهج التربية الإيمانية -المرحلة المتوسطة-، مجموعة من الأساتذة، 2012-2017.
5. عبد السلام يوسف الجعافرة (2015)، المناهج -أسسها وتنظيمها-، دار وائل، ط1.
6. ماجد زكي الجلاد. تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم.
7. الوكيل، المفتي (2013)، المناهج -المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير- مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1.
8. استراتيجيات التدريس // حسن شحاته ...

مقالات ومطبوعات:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1. حنا عوكر /2007/ التعلم بالاكشاف، طريقة رائدة في تنمية مهارات التفكير وتعزيزها/ المجلة التربوية - العدد 41 - تشرين الأول.
2. كمال عبد الله، عبد الله قلي مدخل إلى علوم التربية، مطبوعة جامعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة

د. حسن بن أحمد بن بكري السميدي

أستاذ بكلية العلوم والآداب بشرورة - جامعة نجران / المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يمثل العدل قيمة كبرى لدى جميع المجتمعات، ولكن يحتاج الناس لنماذج تطبيقية لتعزيز هذه القيمة، في نفوسهم، وليتمثلوها سلوكاً في تعاملاتهم، وشريعتنا الإسلامية الغراء فيها من الأحكام العملية ما يعزز هذه القيمة، ومنها الأحكام الفقهية في فقه الأسرة، والبحث يجب عن تساؤل مهم: هل في هذه الأحكام ما يعزز قيمة العدل لدى أفراد الأسرة بداية من الزوجين، وانتهاء بمن يتفرع منهما من نسل؟

وما هو تفصيل هذه الأحكام؟. إن وجدت .

وكيف تعزز قيمة العدل؟

وما الجواب عما يثار من تساؤلات وإشكالات في هذه الأحكام، خصوصاً عند غير المسلمين؟.

أهداف البحث:

- 1- بيان كمال الشريعة الإسلامية في حفاظها على القيم وتعزيزها.
- 2- بيان مفهوم العدل وقيمه في الشريعة الإسلامية؟
- 3- تقديم نموذج تطبيقي لتعزيز قيمة العدل من خلال الأحكام الفقهية في فقه الأسرة.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الخطبة.

المطلب الثاني: عقد الزواج.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد).

المطلب الخامس: النفقات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المطلب السادس: الحضانة.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

تمهيد:

الحمد لله الذي خلق فسوى، خلق الزوجين الذكر والأنثى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبداً لله ورسوله المصطفى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه مصاييح الدجى، أما بعد:

فإن الله تعالى حكم بين خلقه بالعدل التام فشرع لكل جنس ما يناسبه، فالله تعالى أعلم بخلقته، وأجرى هذه الأحكام في جميع شرائعه، فأحكام الله تعالى كلها عدل، ومن المعلوم أن العدل يمثل قيمة كبرى لدى جميع المجتمعات، ولكن يحتاج الناس لنماذج تطبيقية لتعزيز هذه القيمة في نفوسهم، وليتمثلوها سلوكاً في تعاملاتهم، وشريعتنا الإسلامية الغراء فيها من الأحكام العملية ما يعزز هذه القيمة، ومنها الأحكام الفقهية في فقه الأسرة، ولذلك استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث للإجابة عن تساؤل مهم وهو:

هل في هذه الأحكام ما يعزز قيمة العدل لدى أفراد الأسرة بداية من الزوجين، وانتهاء بمن يتفرع منهما من نسل؟

وما هو تفصيل هذه الأحكام؟. إن وجدت .

وكيف تعزز قيمة العدل؟

وما الجواب عما يثار من تساؤلات وإشكالات في هذه الأحكام، خصوصاً عند غير المسلمين؟. أهداف البحث:

- 1- بيان كمال الشريعة الإسلامية في حفاظها على القيم وتعزيزها.
 - 2- بيان مفهوم العدل وقيمه في الشريعة الإسلامية؟
 - 3- تقديم نموذج تطبيقي لتعزيز قيمة العدل من خلال الأحكام الفقهية في فقه الأسرة.
- منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الخطبة.

المطلب الثاني: عقد الزواج.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المطلب الخامس: النفقات.

المطلب السادس: الحضانة.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

وأسأل الله تعالى الإعانة والسداد والتوفيق، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده.

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح:

أولاً: حقيقة العدل في اللغة:

قال ابن فارس: العين والبدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج.

ومثل للأصل الأول بالعدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة. يقال: هذا عدل، وهما عدل.

والأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل. وانعدل، أي انعرج.⁽¹⁾

وقال ابن منظور: في أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً⁽²⁾.

والعدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول وعدل، وعدل عليه في القضية، فهو عادل.

والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل.

والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه.

وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول. وعدل الحكم: أقامه. وعدل الرجل: زكاه⁽³⁾.

ثانياً: حقيقة العدل في الاصطلاح:

العدل اصطلاحاً: عرّف بتعريفات منها:

1- الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط⁽⁴⁾.

2- الاعتدال والثبات على الحق⁽⁵⁾.

3- فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء

الحق⁽¹⁾.

(1) مقياس اللغة (4/246-247).

(2) لسان العرب، لابن منظور (430/11).

(3) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (430/11) وما بعدها، الكليات للكفوي، (ص:640).

(4) التعريفات، للجرجاني (ص:147)، التوفيق على مهمات التعاريف، للمناوي (ص:237).

(5) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص:73).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

4- العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. (2)

5- العدل في الحكم بين الناس، وهو: فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا الحكم المجرد بالرأي. (3)

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم:

ورد العدل في مواضع في القرآن الكريم، وهي حسب ترتيب السور:

- 1- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (٤٨ البقرة).
- 2- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ (١٢٣ البقرة). والمراد بالعدل في الآيتين الكريمتين الفدية؛ وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه عدل، لمعادلته إياه وهو من غير جنسه؛ ومصيره له مثلاً من وجه الجزاء، لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة⁽⁴⁾.
- 3- قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (٢٨٢ البقرة). وهذا في كتابة الدين، أمر الله تعالى أن يكتب كتاب الدّين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل، أي: بالقسط والحق، ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم أجل ولا تأخير، ولا يجز في كتابته على أحد⁽⁵⁾.
- 4- قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمَلِّ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (٢٨٢ البقرة). وهذا الأمر ورد في تنمة أحكام كتابة الدين في الآية نفسها، وهي أطول آية في القرآن الكريم، بأن كان الذي عليه الحق سفيهاً، أي جاهلاً بالإملاء، أو طفلاً صغيراً، أو مبدراً مفسداً لماله أو سفيهاً في دينه، أو ضعيفاً أي شيخاً كبيراً، أو ضعيف العقل لعته أو جنون، أو لا يستطيع أن يملّ هو لخرس أو عي أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب، أو جهل بما له وعليه، فليملل وليه، أي: قِيّمه بالعدل أي: بالصدق والحق، أو يملل صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملاء، فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بحقه⁽⁶⁾.
- 5- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (3 النساء). وهذا فيمن خشي من تعداد النساء ألا يعدل بينهن⁽⁷⁾.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (416/3).

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (412/1)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (465/2)، الكليات للكفوي، (ص:640)، تاج العروس من جواهر القاموس، (421/34).

(3) فتح القدير، للشوكاني (555/1).

(4) تفسير الطبري (35/1).

(5) ينظر: تفسير البغوي (349/1) تفسير ابن كثير (724/1).

(6) تفسير البغوي (350-349/1).

(7) ينظر: تفسير ابن كثير (212/2).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

6- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٥٨ النساء). أي: أن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم، أو يرضى بحكمكم. (1)

7- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (١٢٩ النساء). وهذا في المحبة القلبية، وما يتبعها من الاستمتاع، . لأن الحب والبغض خارجان عن الكسب فلا يتأتى العدل فيهما، ومع ذلك نهى الرجل عن الميل إلى التي يحب في النفقة والقسم؛ فيأتي الشابة التي تعجبه، ويدع الأخرى بغير قسم ولا نفقة، وأما ما يتعلق بالقسم في الليالي والأيام والنفقة فيجب العدل فيها، بل عليه أن يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته، إلا أن يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض، فإذا صح استأنف القسم، والضابط هنا: أنه في كل ما كان المرء مدفوعاً مضطراً، فإنه غير مكلف في ذلك، وفي كل ما كان باختيار منه وإيثار غير عليه، فإنه مكلف في ذلك، والحب مما يدفع المرء فيه ويضطر، ولا صنع له فيه، لم يكلف التسوية فيما يكون مدفوعاً فيه مضطراً؛ لأنه لا يملك التسوية، (2) ويشهد لهذا المعنى ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قسمي، فيما أملك فلا تلمني، فيما تملك، ولا أملك». قال أبو داود: يعني القلب (3).

8- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (١٣٥ النساء). أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، والقوام: مبالغة من القائم، والقسط: العدل، ومعناه: كونوا قائلين بالعدل شهداء لله؛ لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل، كانوا شهداء لله، ولو على أنفسكم، فإن قيل: كيف يشهد على نفسه؟ قيل: شهادته على نفسه: هي

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (80/2).

(2) ينظر: تفسير الشافعي (673/2) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (482/1) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (1083/4) تفسير الماتريدي (379/3-380) تفسير القرطبي (216/4).

(3) سنن أبي داود (242/2) رقم (2134) سنن الترمذي (437/2) رقم (1140) وقال: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم، ورواه حماد بن زيد، وغير واحد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلًا، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة. النسائي في السنن الكبرى (150/8) رقم (8840) وقال: أرسله حماد بن زيد. سنن ابن ماجه (144/3) رقم (1971) وغيرهم، قال الطحاوي في تعليقه على الحديث: فتأملنا ما في هذا الحديث وما المعنى الذي قصد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " ، وهو غير ملوم في ذلك إذ كان ذلك مما لا فعل له فيه فكان معنى ذلك عندنا والله أعلم على الإشفاق والرحمة منه عليه السلام من الله أن يكون قد علم منه في قسمته بينهن ، وإن كان لم يخرج فيها عن العدل ميلاً من قلبه إلى بعضهن بما لم يمل بمثله إلى بقيةهن ، وذلك مما هو منهي عنه ومما العباد فيه سواء كما قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من مثل ذلك، كما قد حدثنا أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي أبو الحسن، حدثنا وكيع بن الجراح، عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كانت له زوجتان فكان يميل مع إحداهما عن الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل، أو قال: ساقط " . وقد روي في تأويل قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: 129] . أن ذلك أريد به ما يقع في قلوبكم لبعضهن دون بعض ، وذلك معفو لهم عنه إذ لا يستطيعون دفعه عن قلوبهم غير أنه قد يجوز أن يكون يزيد على ذلك ما يجتلبوه إلى قلوبهم، فكان الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أراد من ربه على الإشفاق وعلى الرهبة مما يسبق إلى قلبه مما قد يستطيع رده عنه مع قربه من غلبته عليه ، وهذا عندنا والله أعلم مثل الذي في حديث حصين الخزاعي مما قد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أن يدعو به ربه تعالى أن يغفر له ما أخطأ، وما تعمد، وما أخطأ فهو غير مأخوذ به لما خاف عليه أن يكون تقربه مما تعمد، وقد روينا هذا الحديث فيما تقدم منا في كتابنا هذا، والله نسأله التوفيق. شرح مشكل الآثار (215/1-217) .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الإقرار، وأن يقولوا الحق، ولو على الوالدين والأقربين، وسواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا، وسواء كان المشهود له غنيا أو فقيرا، ولا تمتنعوا عن الشهادة للغني لغناه، ولا عن الشهادة على الفقير لفقره، وَكَلُّوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ، فالله أعلم بهما. {فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا} قيل: معناه: فلا تتبعوا الهوى بأن تعدلوا، أي: لتكونوا عادلين، كما يقال: لا تعصِ فترضى ربك، وقيل: معناه: لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق إلى الباطل.⁽¹⁾
- 9- قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (٩٥ المائدة). وهذا في جزاء الصيد للمحرم أو في الحرم، يحكم به ذوا عدل منكم يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين. وقوله تعالى: منكم يعني: من أهل ملتكم.⁽²⁾
- 10- قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ (٩٥ المائدة). يعني عدل الطعام صياماً في كفارة جزاء الصيد للمحرم أو في الحرم، وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه يصوم عن كل مد يوماً، قاله عطاء، والشافعي. والثاني: يصوم عن كل مد ثلاثة أيام، قاله سعيد بن جبير. والثالث: يصوم عن كل صاع يومين.⁽³⁾
- 11- قوله تعالى: ﴿إِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (١٠٦ المائدة). وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى خبراً متضمناً للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه، فينبغي له أن يكتب وصيته، ويشهد عليها اثنين ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما، {أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين، {إِنْ أَنْتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ} أي: سافرتم فيها {فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ} أي: فأشهدوهما، ولم يأمر بشهادتهما إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يحبسا {مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} التي يعظمونها، {فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ} أنهما صدقا، وما غيرا ولا بدلا هذا {إِنْ ائْتَبْتُمْ} في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك.⁽⁴⁾
- 12- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٨ المائدة). قال الطبري في تفسيرها: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولائيتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري. وأما قوله: "ولا يجرمنكم شنان قوم على أن لا تعدلوا" فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.⁽⁵⁾

(1) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (488-489).

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (586/1).

(3) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (68/2).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: (246-247).

(5) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (95/10).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

13- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١ الأنعام). وهذه الآية في افتتاح سورة الأنعام، يقول ابن جرير معناها: يقول تعالى ذكره، معجَّبًا خلقه المؤمنين من كفره عباده، ومحتجًا على الكافرين: إنَّ الإله الذي يجب عليكم، أيها الناس، حمده، هو الذي خلق السماوات والأرض، الذي جعل منهما معايشكم وأقواتكم، وأنعامكم التي بها حياتكم. فمن السماوات ينزل عليكم الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر باعتقَابٍ واختلاف لمصالحكم. ومن الأرض ينبثُ الحب الذي به غذاؤكم، والثماز التي فيها ملاذكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها، والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم، أيها الناس "بربهم"، الذي فعل ذلك وأحدثه "يعدلون"، يجعلون له شريكًا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره، فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكَّر فيها بعقل، وتدبرها بفهم⁽¹⁾.

14- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ (٧٠ الأنعام). وهذا ورد في سيق قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا﴾ يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزءوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، ﴿وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به﴾ أي: وعظ بالقرآن، أي: ذكرهم ليؤمنوا، كيلا تهلك نفس بما كسبت، ﴿ليس لها﴾ أي لتلك النفس، ﴿من دون الله ولي﴾ قريب، ﴿ولا شفيع﴾ يشفع في الآخرة، ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي: تفد كل فداء، ﴿لا يؤخذ منها﴾ ﴿أولئك الذين أفسدوا﴾ أسلموا للهلاك، ﴿بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾⁽²⁾.

15- قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (١١٥ الأنعام). أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة⁽³⁾.

16- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠ الأنعام). وفي هذه الآية الكريمة خاطب ربنا تبارك وتعالى وجل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم، والمراد به أصحابه والمؤمنون به، فقال: (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا)، يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله، في تحريم ما حرم، وتحليل ما أحل لهم، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، (والذين لا يؤمنون بالآخرة)، يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم، (وهم بربهم يعدلون)، يقول: وهم مع تكذبيهم بالبعث بعد

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (251/11-252).

(2) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (155/3-156).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (322/3).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الممات، وجحودهم قيام الساعة، بالله يعدلون الأوثان والأصنام، فيجعلونها له عدلاً ويتخذونها له ندًا يعبدونها من دونه⁽¹⁾.

17- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (١٥٢ الأنعام). أي: {وإذا قلتُم} قولاً في حكومة أو شهادة أو نحوهما {فاعدلو} فيه {ولو كان} أي المقول له أو عليه {ذا قربي} أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلاً⁽²⁾.

18- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩ الأعراف). أي: {ومن قوم موسى} يعني: بني إسرائيل، {أمة} أي: جماعة، {يهودون بالحق} أي: يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، {وبه يعدلون} أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون⁽³⁾.

19- قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١ الأعراف). أي: {وممن خلقنا أمة} أي: عصابة، {يهودون بالحق وبه يعدلون} قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم المهاجرون والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال: "هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها،" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون⁽⁴⁾.

20- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦ النحل). وهذا من أمثال القرآن الكريم، {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ} ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم. لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله. وهو كل على مؤلدة عيال وثقل على من يلي أمره، أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر، لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم. {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} ومن هو فهم منطبق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل، {وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وهو في نفسه على طريق مستقيم، لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي، وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلهما، وهذا تمثيل ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر⁽⁵⁾.

21- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٩٠ النحل). قال الطبري في تفسيرها: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلاً بنا حمداً وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (214/12).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (199/3).

(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (290/3).

(4) ينظر: المرجع السابق (308/3).

(5) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (235/3).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضوع شهادة أن لا إله إلا الله. (1)

22- قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠ النمل). وهذا وصف للمشركين أنهم قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال، ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم. (2)

23- قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ بِالْعَدْلِ بَيْنَكُمْ﴾ (15 الشورى). قيل: اللام في لأعدل بمعنى: أن، التقدير: بأن أعدل بينكم. وقيل المعنى: وأمرت بما أمرت به من التبليغ والشرع لكي أعدل بينكم، فحذف من الكلام ما يدل الظاهر عليه. (3)

24- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا﴾ (9 الحجرات). وهذا في الاقتتال بين المؤمنين الذي لا ينبغي أن يكون، أمر الله تعالى بالإصلاح بين الطائفتين المقتلتين بالعدل، أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض، بالقسط، وهو العدل. (4)

25- قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (٢ الطلاق). {وأشهدوا} على الطلاق والرجعة {ذوي عدل منكم} أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد سداً لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيانه. (5)

26- قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (7 الإنفطار). قال مقاتل: يريد عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، وتقديره ما عرف في علم التشريح أنه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى إنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في ثقبها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها. وقال عطاء عن ابن عباس: جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية، وقال أبو علي الفارسي: عدل خلقك فأخرجك في أحسن التقويم، وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعداً لقبول العقل والقدرة والفكر، وصيرك بسبب ذلك مستولياً على جميع الحيوان والنبات، وواصل بالكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم. (6)

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (279/17).

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (484/19).

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (30/5).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (375/7).

(5) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: (869).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب (76/31).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفي {عدلك}، قراءتان، فقراءة عامة قرأها المدينة ومكة والشام والبصرة (فعدلك) بتشديد الدال، وقرأ عامة قرأ الكوفة بتخفيفها، قال ابن جرير: من قرأ ذلك بالتشديد وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معتدلاً الخلق مقوّمًا، وكان الذين قرءوه بالتخفيف، وجّهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراياته. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إليّ أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول "في" للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد.⁽¹⁾

وبعد هذا التطواف في معاني العدل ووروده في القرآن الكريم تتضح قيمته في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، فالله تعالى أمر به، وأحكامه تعالى كلها عدل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين الناس، وأمر تعالى بإشهاد المتصفين به، فالعدل شرط في شهادة الشهود، وركن من أركان القضاء والحكم بين الناس، وأمر الكاتب في كتابة الديون أن يكتب بالعدل، وأن يملل الولي بالعدل، ورتب على خوف عدم العدل الاقتصار على زوجة واحدة في النكاح، وأمر به في الحكم بين الناس، ونهى عن اتباع الهوى لتفويته العدل، وأمر بقول العدل ولو كان على قريب، وأن لا يحمل بغض بعض الناس على عدم العدل معهم، بل المأمور به العدل حتى مع العدو المبعّض، وأثنى الله تعالى على من اتصف به ممن خلق ومن قوم موسى ممن يقوم بالعدل، وجعل المتصف بالعدل الذي يأمر به هو الخيار في المثل الذي ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها، أو للمؤمن والكافر، والعدل متفق على حسنه والظلم متفق على قبحه، والعدل أساس العمران وسبب الاستقرار، وطريق الأمن والأمان، والسلامة والإسلام، وكلّ ما خرج عن العدل إلى الجور فليس من الشريعة، يقول ابن القيم: فإن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفأؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطوي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.⁽²⁾

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (269/24-271).

(2) إعلام الموقعين، لابن القيم (11/3-12).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة:

المطلب الأول: الخطبة:

الزواج من أكد سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (38 الرعد). والزواج تسبقه الخطبة: وهي طلب الزواج من المرأة بالوسيلة المعروفة بين الناس⁽¹⁾، فإن حصلت الموافقة فهي مجرد وعد بالزواج، لا يحل للخاطب بها شيء من المخطوبة، بل تظل أجنبية عنه حتى يعقد عليها، ومن وقع في قلبه خطبة امرأة شُرع له النظر إليها قبل أن يخطبها، وقد دلت عليه السنة في أكثر من حديث، منها حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، أنه خطب امرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».⁽²⁾ قال الترمذي بعد ذكره الحديث: ومعنى قوله: «أحرى أن يؤدم بينكما»، قال: أحرى أن تدوم المودة بينكما.⁽³⁾ وقال البغوي: أي: يكون بينكما المحبة والموافقة.⁽⁴⁾

وهذه المشروعية للنظر للمخطوبة استثناء من وجوب غض البص عن الأجنبية؛ لما يترتب عليه من المصلحة في إقدام الزوجين على الزواج عن بينة، ولتحصل الموافقة وتدوم العشرة والمودة فيما إذا حصل الزواج، أو بالانصراف عنه في حال لم تحصل الرغبة، وهذا مما يعزز العدل في بناء الحياة الزوجية فيؤدي الزوج الحقوق للزوجة عن طيب نفس ورغبة، وتقابله الزوجة بأداء واجباتها الزوجية برضا ونشاط، وقد اعتاد الناس في العصر الحاضر أن يرتبوا مجلسا للنظر للمخطوبة تحقّق السكنينة والنية الصالحة بحضور أحد محارمها أو بعضهم، فتدخل المخطوبة ويرى منها الخاطب وترى منه، وينظر إليها وتنظر إليه، وربما تجاذبا أطراف الحديث، فإذا كتب النصيب لهما في هذا الزواج كان مبناه متيناً مبنياً على مودة ووثام، وهذا أدعي لإقامة العدل في الحياة الزوجية والبعد عن الظلم وهضم الحقوق.

ومن الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في الخطبة أنه لا يحل لمسلم أن يخطب على خطبة أخيه المسلم، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه».⁽⁵⁾ ولأنه نهى عن الإضرار بالآدمي المعصوم، فكان على التحريم،⁽⁶⁾ وبمجرد وقوع الخطبة الأولى يحصل التحريم سواء علم الآخر بالرضا من المرأة أم لم يعلم، لكن إذا انتهى الحال إلي عدم وقوع الرضا منها فتلك الخطبة كأنها لم تكن؛ لعروض مانع من ثبوتها وهو عدم الرضا، ولا يقال إنها لا تحرم الخطبة على الآخر إلا إذا علم بالرضا بل تحرم عليه ما لم يعلم بعدم الرضا عملاً

(1) الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، ص: (280).

(2) سنن الترمذي (389/3) رقم (1087) قال: وفي الباب عن محمد بن مسلمة، وجابر، وأبي حميد، وأبي هريرة، وأنس «هذا حديث حسن» وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث، وقالوا: لا بأس أن ينظر إليها ما لم ير منها محرماً، وهو قول أحمد، وإسحاق.

(3) سنن الترمذي (389/3) رقم (1087).

(4) شرح السنة للبغوي (17/9).

(5) صحيح مسلم (1029/2) رقم (1408).

(6) المغني (146/7).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بالنهي ووفقا على حكمه⁽¹⁾، وهذا الحكم عدل ودفع لظلم الخاطب الأول، لأن من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو أحق به، ولهذا لا تجوز الخطبة على خطبته، ففيها إضرار به وتفويت لحقه، وهذا ظلم تدفعه الشريعة وتمنعه. ومن الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في الخطبة أيضا تحريم خطبة المعتدة عن الوفاة والطلاق الثلاث، لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (235 البقرة). فيحرم التصريح بخطبتها ويجوز التعريض بخطبة المعتدة؛ لأنه لما أباح التعريض دل على أن التصريح محرم، ولأن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النكاح أن تخبر بانقضاء العدة، والتعريض يحتمل غير النكاح فلا يدعوها إلى الإخبار بانقضاء العدة.⁽²⁾ وهذا فيه حفظ لحق الزوج الأول، وحفظ للأنساب أن تختلط، وهذا من إقامة العدل في هذه الأبواب.

المطلب الثاني: عقد الزواج:

عقد الزواج شأنه عظيم في الإسلام، وقد قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (21 النساء). فوصفه بالغلظة لقوته وعظمته، وقالوا: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟⁽³⁾

ولهذا حُفَّ عقد الزواج بشروط وأركان لا يصح إلا بها، تنويها بشأنه وتعظيما لقدره، فمن الفقهاء من جعل أركانه الإيجاب والقبول فقط، ومنهم من يضيف الولي والمحل (الزوج والزوجة)، ومنهم من يضيف الشاهدين، على تفصيلات فيها عندهم، وكذلك تفصيل في شروط الصحة والزوج، وهذا للفرق بين النكاح الصحيح المشروع، والسفاح الباطل الممنوع.⁽⁴⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في عقد النكاح في اعتبار أركانه وشروطه، فالعلاقة الزوجية علاقة ظاهرة بيّنة يحتفى بها في الشريعة المطهرة، ويحفظ بعقدها الحقوق وتؤدي الواجبات، وتتحقق بها مصلحة الإعفاف ثم الإنجاب وتكثير نسل الأمة، وليس كالسفاح الممنوع الذي تهضم فيه حقوق المرأة ولا أرب للطرف الآخر فيه إلا قضاء الوطر.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

الأصل في العشرة بين الزوجين أن تكون العشرة بينهما بالمعروف كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (19 النساء). وأن للزوجة على زوجها كالذي له عليها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (288 البقرة). أي للنساء على الأزواج مثل الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى قال:

(1) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص: (350).

(2) ينظر: المجموع شرح المهذب، مع تكملة السبكي والمطيعي (16/256-257).

(3) مفاتيح الغيب (16/10).

(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (2/229)، والشرح الصغير (2/334 - 335)، ومغني المحتاج (3/139)، وكشاف القناع (5/37) عن الموسوعة الفقهية الكويتية (4/233).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

{ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف} (1)، وإذا تزوج الرجل أكثر من زوجة وجب عليه العدل : في النفقة والبيتوتة، والتأنيس في اليوم، والليلية؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (3 النساء). والمعنى كما ذكره الكاساني: أي: إن خفتم أن لا تعدلوا في القسم والنفقة في نكاح المثني، والثلاث، والرابع، فواحدة نذب سبحانه وتعالى إلى نكاح الواحدة عند خوف ترك العدل في الزيادة، وإنما يخاف على ترك الواجب، فدل أن العدل بينهن في القسم والنفقة واجب. (2)

قال ابن قدامة: لا نعلم بين أهل العلم في وجوب التسوية بين الزوجات في القسّم خلافاً. (3)

قال أبو حيان الأندلسي: وتبّه تعالى على انتفاء استطاعة العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة، ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن، وفي ذلك عذر للرجال فيما يقع من التفاوت في الميل القلبي، والتعهد، والنظر، والتأنيس، والمفاكهة. فإن التسوية في ذلك محال خارج عن حد الاستطاعة، وعلق انتفاء الاستطاعة في التسوية على تقدير وجود الحرص من الإنسان على ذلك. وقيل: معنى أن تعدلوا في المحبة قاله: عمر، وابن عباس، والحسن. وقيل: في التسوية والقسم. وقيل: في الجماع. (4)

وليس المراد أن يضبط زمان النهار فيقدر ما عاشر فيه إحداهما يعاشر الأخرى بقدره بل ذلك في البيتوتة وأما النهار ففي الجملة، وهناك تفصيلات في العدل في القسم يذكرها الفقهاء وهي نماذج تطبيقية تدل على سمو الشريعة الإسلامية، وأنها قائمة على تمام العدل في هذه الأبواب، ومن هذه الصور أن الزوج يقسم للزوجة المريضة، والرتقاء، والقرناء، والحائض، والنفساء، والمحرمة، والتي آلى منها أو ظاهر؛ لأن المقصود الإيواء والسكن، وذلك موجود في حقهن. وأما المجنونة: فإن كان يخاف منها سقط حقها من القسم؛ لأن الإيواء والألفة لا تحصل معها. وإن لم يخف منها وجب لها القسم؛ لأن الإيواء يحصل معها ويقسم الزوج المريض والمحبوب والعين والمحرم؛ لأن الأنس يحصل به، وإن كان مجنوناً يخاف منه لم يقسم له الولي؛ لأنه لا يحصل به الأنس، وإن كان لا يخاف منه نظر فإن كان قد قسم لواحدة في حال عقله، ثم جن قبل أن يقضي لزم الولي أن يقضي للباقيات قسمهن منه، كما لو كان عليه دين. وإن جن قبل أن يقسم لواحدة منهن، فإن لم ير الولي أن له مصلحة في القسم.. لم يقسم لهن، وإن رأى الولي المصلحة له في القسم.. قسم لهن؛ لأنه قائم مقامه. (5)

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن (1/267-268).

(2) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (2/332).

(3) انظر: المغني، لابن قدامة (10/235).

(4) البحر المحيط في التفسير (4/88).

(5) ينظر: البحر الرائق (3/234) الذخيرة للقرافي (4/454) البيان للعرماني (9/509) وما بعدها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومن النماذج التطبيقية لتمام العدل أن الزوجة المسلمة والكتابية سواء في القسم، قال ابن المنذر أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، على أن القسم بين المسلمة والذمية سواء. وذلك لأن القسم من حقوق الزوجية، فاستوت فيه المسلمة والكتابية، كالنفقة والسكنى. (1)

ومن العدل في عشرة الزوجة وجوب مهر المثل لها إذا تزوجت بدون مهر، أو لم يسم لها مهر، والمقصود بمهر المثل مهر مثل نسلها من قبيلة أبيها، وضابط العدل والمماثلة في هذا الجانب تتمثل في عدة خصال أوصلها بعض الفقهاء إلى خمسة عشر خصلة هي الجمال، والمال، والحسب، والعلم، والعقل، والسن، والعدرة، أي: البكارة، ورسم البلدان، وأن لا يكون لها ولد، وحال الوقت، وحال الزوج. (2)

وكل هذه الأحكام وتفصيلاتها نماذج لاعتبار قيمة العدل في أحكام فقه الأسرة، لتستمر حياة الزوجين في وئام، تؤدي فيه الواجبات، وتحفظ فيه الحقوق، وينشأ داخل هذه الأسرة المستقرة جيل يتشرب معاني العدل ويرأها شاهدة في سلوك الأبوين، ويتمثلها بعد في أخلاقه وتعاملاته.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد):

1. الطلاق:

الأصل في الحياة الزوجية الديمومة والوئام، ولكن ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون في بقاء رابطة الزوجية مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخليص لهما من المفسد والضرر، كما أن الطلاق حل لعقد النكاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين، فالطلاق قضية مشروعة لقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (1) (الطلاق). وقوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ (229 البقرة). ، وعلى وقوعه انعقد الإجماع، ولأن استباحة البضع ملك الزوج على الخصوص، المالك الصحيح القول يملك إزالة ملكه كما في سائر الأملاك، ولأن مصالح النكاح قد تنقلب مفسدة، والتوافق بين الزوجين قد يصير تنافراً، فالبقاء على النكاح حينئذ يشتمل على مفسد من التباغض والعداوة والمقت وغير ذلك، فشرع الطلاق دفعا لهذه المفسد، ومتى وقع لغير حاجة فهو مباح مبعوض؛ لأنه قاطع للمصالح، فسبب الطلاق الحاجة إلى الخلاص عند تباين الأخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى، وشرعه رحمة منه سبحانه وتعالى. (3) فبقاء النكاح مع بقاء ما ينقص الحياة الزوجية مفسدة محضة، وضرر مجرد بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة، مع سوء العشرة، والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه. (4)

واستمرار السعادة والاستقرار بين الزوجين غير مضمون، ولهذا جاءت حكمة مشروعية الطلاق، وحله لإشكاليات الحياة الزوجية، فالطلاق ليس مشكلة في ذاته، بل هو حل لمشكلات عميقة بين الزوجين تعذر معها استمرار

(1) ينظر: المغني (309/7).

(2) ينظر: التنف في الفتاوى، للسعدي (ص298)، المدونة (162/2)، الذخيرة، للقرافي (367/4).

(3) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (121/3) رد المحتار على الدر المختار (282/3).

(4) ينظر: المغني (363/7) شرح منتهى الإرادات (73/3) المبدع (292/6).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العلاقة بينهما، فربما قصر أحد الزوجين في الأخذ بأسباب السعادة الزوجية، وربما أخذاً به، ولكن جدّ في حياة الزوجين الهانئين ما يثير بينهما القلاقل والشقاق، كمرض أحدهما أو عجزه وربما كان ذلك بسبب عناصر خارجة عن الزوجين أصلاً، كالأهل والجيران وما إلى ذلك، وربما كان سبب ذلك انصراف القلب وتغيره، فيبدأ بنصح الزوجين وإرشادهما إلى الصبر والاحتمال، وبخاصة إذا كان التقصير من الزوجة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (19 النساء).

إلا أن مثل هذا الصبر قد لا يتيسر للزوجين أو لا يستطيعانه، فربما كانت أسباب الشقاق فوق الاحتمال، أو كانا في حالة نفسية لا تساعد على الصبر، وفي هذه الحال: إما أن يأمر الشرع بالإبقاء على الزوجية مع استمرار الشقاق الذي قد يتضاعف وينتج عنه فتنة، أو جريمة، أو تقصير في حقوق الله تعالى، أو على الأقل تفويت الحكمة التي من أجلها شرع النكاح، وهي المودة والألفة والنسل الصالح، وإما أن يأذن بالطلاق والفراق، وهو ما اتجه إليه التشريع الإسلامي، وبذلك علم أن الطلاق قد يتمحض طريقاً لإنهاء الشقاق والخلاف بين الزوجين؛ ليستأنف الزوجان بعده حياتهما منفردين أو مرتبطين بروابط زوجية أخرى، حيث يجد كل منهما من يألفه ويحتمله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (130 النساء).⁽¹⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في الطلاق من أنه ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون في بقاء مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخليص لهما من المفاسد والضرر، وأن في الطلاق حلاً لعقد النكاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين، وينطلقان بعده لحياة أرحب وأكثر سعة.

2. الخلع:

عصمة النكاح بيد الزوج، وقد تبغض الزوجة زوجها وترغب في الطلاق منه، والزوج لا يرغب في طلاقها؛ لما تحمّله من نفقات في المهر وتجهيز المسكن ونحو ذلك، فشرع الخلع بأن تدفع المرأة للرجل شيئاً مقابل حلّ عقد النكاح حتى لا يكون في هذا ضرر بواحد منهما، وفي المقابل لما كان للزوج قطع النكاح إذا كره الزوجة، كان من العدل ان يكون للزوجة طلب الخلع من الزوج إذا كرهته مع دفع قدر من المال له، أو تنازلها عن بعض حقوقها. والخلع بضم الخاء من الخلع بفتحها وهو النزع سمي به لأن كلا من الزوجين لباس الآخر قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (187 البقرة). فكأنه بمفارقة الآخر نزع لباسه، والخلع: الإزالة ومنه خلع الوالي عزله، وشرعاً: إزالة العصمة بعوض من الزوجة أو غيرها.⁽²⁾

ويسمى الافتداء؛ لأنها تفتدي نفسها بمال تبذله. فإذا كرهت المرأة زوجها، لخلقه، أو خلقه، أو دينه، أو كبره، أو ضعفه، أو نحو ذلك، وخشيت أن لا تؤدي حق الله تعالى في طاعته، جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه؛ أو خافت أن يبغضها فلا يوفيهما حقها، فلها أن تفتدي منه ويطلقها.⁽³⁾

(1) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (29 ص 9-10).

(2) ينظر: أسنى المطالب (241-240/3) مغني المحتاج (431-430/4) حاشية العدوي (86-85/2) المغني (324-323/7) المبدع (267/6).

(3) ينظر: المحلى (511/9) المغني (324-323/7).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وفائدة الخلع: تخليص الزوجة من الزوج على وجه لا رجعة له عليها إلا برضاها.⁽¹⁾
 ودليل مشروعية الخلع قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (229 البقرة). أي فلا إثم على الزوجين لا على الرجل فيما أخذ، ولا على المرأة فيما أعطت، ومن السنة ما روى البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة». ⁽²⁾، وفي لفظ عند البخاري قالت: «ولكنني لا أطيقه». ⁽³⁾ والآية الكريمة نزلت في ثابت وامرأته، وهو أول خلع في الإسلام، وحكمه الجواز إلا أن يكون مضراً لها، فتبذل العوض لتخلص من ظلمه فيحرم أخذه، ويرده وينفذ طلاقه، والمعنى فيه أنه لما جاز أن يملك الزوج الانتفاع بالبضع بعوض جاز أن يزيل ذلك الملك بعوض كالشراء والبيع فالنكاح كالشراء والخلع كالبيع وأيضا فيه دفع الضرر عن المرأة غالباً. ⁽⁴⁾ وهذا من تمام عدل الشريعة الإسلامية ومراعاتها الفطرة السليمة، ودفعها الضرر مهما كان مصدره، ومهما كان فاعله.

3- الفسخ:

فسخ النكاح يكون إما بسبب وجود عيب في أحد الزوجين لا يعلم به الآخر ولا يرضى به ككون أحدهما مجنوناً أو مجذوماً فكان فسخ النكاح من العدل، فخير الفسخ يثبت لكل واحد من الزوجين لعيب يجده في صاحبه في الجملة، وإما أن يكون بسبب عدم استكمال العقد لأحد شروطه أو أركانه كما لو تم العقد على البكر دون ولي أو بدون شاهدين، أو تزوج من يحرم عليه نكاحها كأخته من الرضاة وهو لا يعلم فكان فسخ النكاح من العدل، وإما أن يكون بسبب وجود ضرر في بقاء النكاح كما في فسخ النكاح حالة إفسار الزوج بالنفقة أو المهر وطلب الزوجة الفسخ، أو في حاله الشقاق بين الزوجين فكان فسخ النكاح في هذه الحالات من العدل، وهذا الفسخ منه ما تقع به الفرقة بين الزوجين، ولوقوع الفرقة بين الزوجين أسباب، منها اختيار المرأة نفسها لعيب الجب في الزوج، والعنة والخصاء والخنوثة، ومنها التفريق لعدم الكفاءة أو لنقصان المهر، ومنها إباء الزوج الإسلام بعد ما أسلمت زوجته، ومنها إباء الزوجة الإسلام بعد ما أسلم زوجها المشرك أو المجوسي، ومنها ردة أحد الزوجين على تفصيلات يذكرها الفقهاء، ومنها الرضاع إذا ثبتت حرمتها بين الزوجين بعد النكاح، ومنها إن أسلم أحد الزوجين على وجه لا يقرآن عليه في الإسلام بأن كانت الزوجة من محارمه مثلاً، ⁽⁵⁾ فثبوت خيار فسخ النكاح لأحد الزوجين بسبب التغير به

(1) المبدع (267/6).

(2) صحيح البخاري (46/7) رقم (5273).

(3) صحيح البخاري (47/7) رقم (5275).

(4) ينظر: البناية شرح الهداية (506/5-507) تبين الحقائق (267/2-268) المقدمات الممهدة (553/1-555) أسنى المطالب (240/3-241) مغني المحتاج (430/4-431).

(5) ينظر: بدائع الصنائع (240-336/2) غمز عيون البصائر (104-103/2) التاج والإكليل (66/5) شرح مختصر خليل للخرشي (168/3) الفواكه الدواني (26-25/2) مواهب الجليل (447/3) و (509-508/3) أسنى المطالب (442-441/3) مغني المحتاج (349/4) حاشية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أو لضرر أصابه، أو فوات شرطه أو مقصوده من النكاح من محاسن الشريعة، وتحقيقها وتعزيزها لقيمة العدل في بناء الحياة الأسرية.

4. الإيلاء:

الإيلاء في اللغة: هو اليمين قال القائل، وفي الشريعة: يمين يمنع جماع المنكوحه⁽¹⁾، وقد كان الإيلاء طلاقاً في الجاهلية، فجعله الشرع طلاقاً مؤجلاً وغير حكمه وخصه بالحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر بقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (226 البقرة). الإيلاء هو حلف الزوج على الامتناع من وطء زوجته مطلقاً، أو أكثر من أربعة أشهر، فحقيقة الإيلاء هي اليمين بمنع وطء الزوجة إما صريحاً كقوله والله لا أطوك أكثر من أربعة أشهر، أو تضمناً كحلفه أن لا يلتقي معها أو لا يغتسل من جنباتها، والإيلاء محرّم لأنه يمين على ترك واجب، فإذا وقع الإيلاء ضربت للمولي مدة أربعة أشهر ولا يطالب بالوطء فيهن، وابتداء المدة من حين اليمين، فإذا مضت الأربعة أشهر ولم يطق ولم تعفه الزوجة التي آلى منها ورافعته إلى الحاكم فإنه يأمره بالفيئة، أي الرجوع للجماع، فإن أبى المولي الفيئة أمره الحاكم بالطلاق؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (226-227 البقرة). فإن لم يطلق المولي طلق الحاكم عليه، ولا تطلق بمجرد مضي المدة، وتظهر قيمة العدل في أحكام الإيلاء في أن الإيلاء كان طلاقاً في الجاهلية، فلم يعتبره الإسلام طلاقاً وجعل له أحكاماً خاصة به، وأن من حق الزوج أن يرجع في الإيلاء قبل المدة المحلوف عليها ويكون عليه كفارة يمين، وأن الإيلاء لما كان فيه ظلم للزوجة بالحلف بترك معاشرتها وجعلها معلقة لا هي مطلقة ولا ذات زوج، جعل الشرع من حق الزوجة مطالبة الزوج بحققها في الوطاء أو رفع أمرها إلى القاضي طلباً للفيء أو الطلاق، فإن لم يرجع الزوج أو يطلق طلق عليه القاضي رفعا للضرر عن المرأة.⁽²⁾

5. الظهار:

الظهار: أن يقول الزوج لامرأته أنت علي كظهر أمي، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية، وكان الرجل إذا كره زوجته ولم يرد لها أن تتزوج ظاهر منها فتحرم عليه تحريماً مؤبداً لا تحل له أبداً، وتبقى معلقة لا هي ذات زوج ولا خلية تنكح غيره، فغيّر الشرع حكم الظهار إلى تحريم مؤقت بالكفارة من غير أن يكون مزيلاً للنكاح، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (3-4 المجادلة). فيكفر الزوج قبل الوطاء ودواعيه بأن يعتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين،

البحيرمي على المنهج (388-386/3) حاشية الجمل (506-505/4) المغني (185-184/7) العدة شرح العمدة (414/1) الكافي (46/3).

(1) ينظر: المبسوط (19/7) مواهب الجليل (106-105/4) أسنى المطالب (347/3) و (355/3) مغني المحتاج (16-15/5) و (23/5-24) شرح منتهى الإرادات (156-155/3).

(2) ينظر: المبسوط (19/7) البنائة (491-488/5) مواهب الجليل (106-105/4) شرح مختصر خليل للخرشي (90-88/4) أسنى المطالب (347/3) و (355/3) مغني المحتاج (16-15/5) و (24-23/5) شرح منتهى الإرادات (156-155/3) و (161/3) كشف القناع (354-353/5) و (363-362/5).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فإن لم يستطع أطمع ستين مسكينا، وحكم الظهار التكليفي محرم بالكتاب كما أخبر الله عز، وجل فقال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ (2) (المجادلة).⁽¹⁾، وتظهر قيمة العدل في الظهار في تغيير حكم الجاهلية فيه بما يحصل فيه نوع ردع للزوج، وعدم الإضرار بالزوجة، وإيجاد المخرج الشرعي للحفاظ على كيان الأسرة ووقايتها من الشتات.

6. اللعان:

اللعان: شهادات مؤكدة بالأيمان مقرونة باللعن في جانب الزوج، وبالغضب في جانب الزوجة، قائمة مقام حد القذف في حق الرجل ومقام حد الزنا في حق الزوجة، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زَوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (6) وَالْحَامِسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْحَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ (6-9 النور). فيتدئ القاضي بالزوج فيشهد أربع مرات يقول في كل مرة أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا، ويقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا، ويشير إليها في كل مرة، ثم تشهد المرأة أربع مرات تقول في كل مرة أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، وتقول في الخامسة غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا، وإذا كان القذف بنفي الولد تقول المرأة في كل مرة فيما رماني به من الزنا في نفي الولد، ويأتي بدل ضمائر الغيبة بضمائر المتكلم فيقول: لعنة الله علي، وإنما عدل الفقهاء عنها أدبا في الكلام واتباعا للآية الكريمة، وكررت كلمات الشهادة لتأكيد الأمر، ولأنها أقيمت من الزوج مقام أربعة شهود من غيره ليقام عليها الحد، وهي في الحقيقة أيمان، ويبدأ بالزوج؛ لأن لعانه سبب عن قذفه، فيدراً عن نفسه الحد، وسبب للعانها؛ لأنه الموجب للحد عليها لكونه مثل البينة، ولقوله تعالى بعد ذكر لعانه: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ (8 النور). فدل على توجه العذاب عليها، وإذا تم اللعان ترتب عليه سقوط حد القذف عن الزوج، وانتفاء النسب للولد إذا نفاه، وسقوط حد الزنا عن الزوجة، والفرقة بينهما، وتأبيد التحريم،⁽²⁾ ويظهر العدل في أحكام اللعان من كونه حقا لكل من الرجل والمرأة، ليدفع الرجل عن نفسه عار زنا الزوجة؛ ولغلا ينسب إليه من ليس من صلبه، ولتدفع المرأة به عن نفسها تهمة الزنا، وأن الله تعالى ساوى فيه بين عدد الشهادات والأيمان بين الرجل والمرأة، وأن الله تعالى ساوى في الأثر المترتب على اللعان بين الرجل والمرأة حيث إنه يترتب على اللعان سقوط حد القذف عن الرجل، وسقوط حد الزنا عن المرأة.

(1) ينظر في معنى الظهار وأحكامه: المبسوط (223/6-224) تبين الحقائق (3/2-3) التاج والإكليل (422/5) مواهب الجليل (112/4) تحفة المحتاج (177/8-178) مغني المحتاج (29/5) نهاية المحتاج (81/7-82) كشاف القناع (368/5-369) المبدع (3/7) البناية (488/5-491) شرح مختصر خليل للخرشي (88/4-90) أسنى المطالب (347/3) و (355/3) و (23/5-24) شرح منتهى الإرادات (155/3-156) و (161/3) و (362/5-363).

(2) ينظر في معنى اللعان وأحكامه: البناية (569/5-570) العناية شرح الهداية (278/4-279) تبين الحقائق (17/3) الذخيرة (98/4-100) أسنى المطالب (383/3-384) نهاية المحتاج (113/7-115) و (123/7-124) المغني (58/8-59) و (85/8-87) شرح منتهى الإرادات (181/3-182) و (183/3-184).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

7. العدد:

العدد جمع عدة وهي لغة: الإحصاء، مأخوذة من العدد لاشتمالها على العدد من الأقراء أو الأشهر غالباً. وفي الشريعة: تربص يلزم المرأة عند زوال النكاح أو شبهته، والتربص التثبت والانتظار، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (25 المؤمنون).

وقيل: مدة منع النكاح لفسخه أو موت الزوج أو طلاقه.

وقيل: المدة التي جعلت دليلاً على براءة الرحم.

وقيل: اسم لمدة تربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها أو للتعبد أو لتفجعها على زوجها.⁽¹⁾

وبراءة الرحم تحصل بوضع حمل أو مضي أقراء أو أشهر، وهي ثلاثة أنواع: القرء وهو الحيض على الصحيح والأشهر والحمل، وقد أوجب الله تعالى العدة حفظاً للأنساب وتحصيماً للفروج، ونهى عن عقد النكاح فيها نهياً تحريماً؛ لأن العقد لا يراد إلا للوطء، فكان ذلك ذريعة إلى اختلاط الأنساب، فشرعت العدة صيانة للأنساب وتحصيماً لها من الاختلاط، ورعاية لحق الزوجين والولد والناكح الثاني، والمغلب فيها التعبد بدليل أنها لا تنقضي بقرء واحد مع حصول البراءة به فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (235 البقرة). وهو انقضاء العدة، ونهى تبارك وتعالى عن المواعدة فيها فقال: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (235 البقرة). والقول المعروف هو التعريض بالمواعدة دون الإفصاح بها، وذلك مثل أن يقول: إنك علي لكريمة، وإني فيك لراغب، وإن يقدر أمر يكن، وما أشبه ذلك.

والعدة أربعة أقسام: معنى محض، وتعبد محض، ومجتمع الأمرين والمعنى أغلب، ويجتمع الأمران والتعبد أغلب، فالأول عدة الحامل، والثاني عدة المتوفى عنها زوجها التي لم يدخل بها، والثالث عدة الموطوءة التي يمكن حبسها ممن يولد لمثله، سواء كانت ذات أقراء أو أشهر، فإن معنى براءة الرحم أغلب من التعبد بالعدد المعتمد لغلبة ظن البراءة، والرابع كما في عدة الوفاة للمدخل بها التي يمكن حملها وتمضي أقرؤها في أثناء الشهر، فإن العدد الخاص أغلب من براءة الرحم بمضي تلك الأقراء.⁽²⁾ والعدة شرعت لحكمة، فعدة الوفاة قيل: هي تعبد محض لا يعقل معناه، وهذا أبطله ابن القيم وقال: فالصواب أن يقال: هي حريم لانقضاء النكاح لما كمل، ولهذا تجد فيها رعاية لحق الزوج وحرمة له، ألا ترى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان من احترامه ورعاية حقوقه تحريم نسائه بعده، ولما كانت نساؤه في الدنيا هن نساؤه في الآخرة قطعاً، لم يحل لأحد أن يتزوج بهن بعده، بخلاف غيره؛ فإن هذا ليس معلوماً في حقه، فلو حرمت المرأة على غيره لتضررت ضرراً محققاً بغير نفع معلوم، ولكن لو تأيمنت على أولادها كانت محموددة على ذلك، وقد كانوا في الجاهلية يبالغون في احترام حق الزوج وتعظيم حريم هذا العقد غاية المبالغة من تربص سنة في شر ثيابها وحفش بيتها، فخفف الله عنهم ذلك بشريعته التي جعلها رحمة وحكمة ومصالحة ونعمة، بل هي من أجل نعمه عليهم على الإطلاق، فله الحمد كما هو أهله، وكانت أربعة أشهر وعشراً

(1) ينظر: البحر الرائق (138/4) المقدمات الممهدة (519/1) مغني المحتاج (78/5) كشف القناع (411/5).

(2) ينظر: البحر الرائق (139-138/4) التاج والإكليل (471-470/5) المقدمات الممهدة (519/1) شرح مختصر خليل للخرشي (136/4) مغني المحتاج (78/5) كشف القناع (411/5).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على وفق الحكمة والمصلحة؛ إذ لا بد من مدة مضروبة لها، وأولى المدد بذلك المدة التي يعلم فيها بوجود الولد وعدمه؛ فإنه يكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة فهذه أربعة أشهر، ثم ينفخ فيه الروح في الطور الرابع، فقدر بعشرة أيام لتظهر حياته بالحركة إن كان ثم حمل. (1)

وأما حكمة عدة الطلاق ففيها حق لله، وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق للزوج المطلق وهو اتساع زمن الرجعة له، وحق للزوجة، وهو استحقاقها للنفقة والسكنى ما دامت في العدة، وحق للولد، وهو الاحتياط في ثبوت نسبه وأن لا يختلط بغيره، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام؛ فرتب على رعاية حقه هو لزوم المنزل وأنها لا تخرج ولا تخرج... رتب على حق المطلق تمكينه من الرجعة ما دامت في العدة، وعلى حقها استحقاق النفقة والسكنى، وعلى حق الولد ثبوت نسبه وإلحاقه بأبيه دون غيره، وعلى حق الزوج الثاني دخوله على بصيرة ورحم بريء غير مشغول بولد لغيره؛ فكان في جعلها ثلاثة قروء رعاية لهذه الحقوق، وتكميل لها، وقد دل القرآن على أن العدة حق للزوج عليها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ (49 الأحزاب). فهذا دليل على أن العدة للرجل على المرأة بعد المسيس، وقال تعالى: ﴿وَيُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (228 البقرة). فجعل الزوج أحق بردها في العدة؛ فإذا كانت العدة ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر طالت مدة التبرص لينظر في أمرها هل يمسكها بمعروف أو يسرحها بإحسان (2).

وتظهر قيمة العدل في أحكام العدد في أن العدة تجمع بين حق الله تعالى وحق الزوج المطلق أو المتوفى وحق الزوجة وحق الولد وحق الزوج الثاني وحق المجتمع، حق الله تعالى وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق الزوج المطلق في الطلاق الرجعي في إعطاء فرصة له إذا ندم على الطلاق وأراد مراجعة زوجته، وحق الزوج المتوفى في الإحداد وإظهار تأثير فقده في المنع من التزين والتجمل، وحق الزوجة في النفقة والسكنى في مدة العدة، وحق الولد إذا كانت المعتدة حاملاً في ثبوت نسبه لوالده وفي النفقة وتوابعها، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، وحق المجتمع في عدم اختلاط الانساب، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام، وهذا غاية العدل ومراعاة مصالح الأنام.

المطلب الخامس: النفقات:

النفقات جمع نفقة، من الإنفاق، وهو الإخراج ولا يستعمل إلا في الخير، يعبر الفقهاء بالنفقات دون الغرامات، والنفقة اسم بمعنى الإنفاق.

وشرعا: الإدراج على الشيء بما به يقوم بقاؤه. (3)

وقيل: كفاية من يمونه خبزاً وإدماً وكسوة وسكناً وتوابعها. (1)

(1) إعلام الموقعين (51/2-52).

(2) ينظر: إعلام الموقعين (52/2-53).

(3) العناية شرح الهداية (378/4).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والنفقة قسمان: نفقة تجب للإنسان على نفسه إذا قدر عليها، وعليه أن يقدمها على نفقة غيره،⁽²⁾ فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.⁽³⁾

ونفقة تجب على الإنسان لغيره، وأسباب وجوبها ثلاثة: النكاح والقرابة، والملك، وأقوى أسبابها الزوجية لأنها معاوضة وسواها مواساة، وسبب وجوب هذه النفقة للزوجة على زوجها قيل: استحقاق الحبس الثابت بالنكاح للزوج عليها. وقيل: ملك النكاح للزوج عليها. وقيل: القوامة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (34 النساء). فأوجب النفقة عليهم لكونهم قوامين، والقوامة تثبت بالنكاح فكان سبب وجوب النفقة للنكاح،⁽⁴⁾ وقوله ﷺ: "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف".⁽⁵⁾

ويلزم الزوج نفقة زوجته وكسوتها وسكنائها بما يصلح لمثلها بالمعروف، فعلى زوج ما لا غنى لزوجته عنه، ويعتبر ذلك الحاكم عند التنازع بحالهما، وسبب وجوبها احتباسها عند الزوج إذا كان يتهيأ له الاستمتاع وطاً أو دواعيه أو التحصين لمائه بعد زوال النكاح، فهي لما صارت محبوسة عنده في حقه عجزت عن الاكتساب والإنفاق على نفسها، فلو لم تستحق النفقة عليه لماتت جوعاً، فبيّن أن إيجاب النفقة على الزوج لدفع الهلاك عن المرأة لكونها محبوسة على الدوام لحقه، وأما نفقة الأقارب والعتيق ونفقة المماليك من الأدميين والبهائم فلقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (233 البقرة). وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (23 الإساءة). ومن الإحسان الإنفاق عليهما عند حاجتهما وحديث هند بنت عتبة رضي الله عنها: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» متفق عليه.⁽⁶⁾ ولأن ولد الإنسان بعضه وهو بعض والده، فكما يجب عليه أن ينفق على نفسه وأهله فكذلك على بعضه وأهله، ونفقة الأقارب تجب بشروطها التي يفصل فيها الفقهاء، ولا يتسع المجال للاستطراد فيها.⁽⁷⁾ وتظهر قيمة العدل في النفقات من جهة أن الشرع أوجب نفقة

(1) شرح منتهى الإرادات (224/3).

(2) مغني المحتاج (148/5).

(3) صحيح مسلم (692/2) رقم (997).

(4) بدائع الصنائع (16/4).

(5) صحيح مسلم (886/2) رقم (1218).

(6) صحيح البخاري (71/9) رقم (7180) صحيح مسلم (1338/3) رقم (1714) واللفظ له.

(7) ينظر: بدائع الصنائع (16/4) العناية شرح الهداية (378/4-382) الاختيار لتعليل المختار (3/4) كشف الأسرار (330/4-336) الجوهرة النيرة (2/ص92-93) التاج والإكليل (541/5) و (583/5-587) شرح مختصر خليل للخرشي (183/4-184) تحفة المحتاج (301/8-304) مغني المحتاج (148/5-151) أسنى المطالب (442/3-443) الفروع (577/5-582) شرح منتهى الإرادات (224/3-225) و (238/3-239).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الزوجات على الأزواج لكون الزوجات محبوسات لحق الأزواج ممنوعات من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذنه، وأوجب النفقات بقدر الكفاية لدفع حاجة المنفق عليه، وأوجب نفقة الأقارب بشرط يسار المُنفق وفقر المُنفق عليه وعجزه عن الكسب، إلى غير ذلك من الشروط التي يذكرها الفقهاء وهذا من تمام العدل والإحسان، بل إن الشريعة الإسلامية أوجبت نفقة البهيمة إذا ملكها الإنسان أو حازها، ورتب أشد الوعيد على من عذبها أو تسبب في هلاكها تقصيرا وعدوانا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا». (1) وخشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة وهي هوامها وحشراتنا وقيل: صغار الطير. (2)

فسبحان من وسعت رحمته جميع المخلوقات، وعمَّ بعدله البشر والبهائم العجماء.

المطلب السادس: الحضانة:

الحضانة: فتح الحاء أشهر من كسرهما مأخوذ من الحضن بكسر الحاء وهو ما تحت الإبط للكشح وهو ما بين الخاصرة والضلوع الخلفي وهي لغة الحفظ والصيانة. (3)

وشرعا: صيانة العاجز والقيام بمصالحه. (4)

وقيل: حفظ من لا يستقل بأموره وتربيته بما يصلحه. (5)

وقيل: حفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تمييزه كطفل وكبير مجنون. (6)

وقيل: حفظ صغير ومجنون ومعتوه وهو المختل العقل بما يضرهم وتربيتهم بعمل مصالحهم. (7)

وتنتهي الحضانة للصغير بالتمييز، وأما بعده إلى البلوغ فتسمى كفالة قاله الماوردي. وقال غيره تسمى حضانة أيضا. (8)

والحضانة نوع ولاية وسلطنة، لكن الإناث أليق بها؛ لأنهن أشفق وأهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها وأشد ملازمة للأطفال، وأقدر على القيام بشؤون الطفل كغسل رأس الطفل وغسل يديه وغسل ثيابه ودهنه وتكحيله وربطه في المهد وتحريكه لينام ونحوه، وذلك أن الصغار لما بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحوائجهم؛ فهم مضطرون لمن يقوم بحضانتهم، والأصل في الحضانة كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع

(1) صحيح مسلم (2210/4) رقم (2619) شرح النووي على مسلم (207/6).

(2) شرح النووي على مسلم (207/6).

(3) أسنى المطالب (447/3) البيان للعمري (278/11) مغني المحتاج (191/5) كشف القناع (495/5).

(4) منح الجليل (4/ ص 420).

(5) أسنى المطالب (447/3).

(6) مغني المحتاج (191/5).

(7) كشف القناع (495/5).

(8) أسنى المطالب (447/3) مغني المحتاج (191/5).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الأمة، فأما الكتاب فغير ما آية، منها قوله في الأبوين: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (24 الإسراء). وفي الأمهات قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾ (233 البقرة). ، فالأم أحق برضاعة ابنها وكفالتها إلى أن يستغني عنها بنفسه، وقال تعالى حاكيا عن أخت موسى عليه الصلاة والسلام أنها قالت لآسية امرأة فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (12 فَرَدَدَاتُهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) (12-13 القصص). ، ومن السنة ما روى عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو: أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثدي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أنت أحق به ما لم تنكحي".⁽¹⁾ وأما الإجماع فلا خلاف بين أحد من الأمة في إيجاب كفالة الأطفال الصغار؛ لأن الإنسان خلق ضعيفا مفتقرا إلى من يكفله ويربيه حتى ينفع نفسه ويستغني بذاته، فهو من فروض الكفاية، لا يحل أن يترك الصغير دون كفالة ولا تربية حتى يهلك ويضيع⁽²⁾.

والحضانة تكون للنساء في وقت وتكون للرجال في وقت والأصل فيها للنساء؛ لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى تربية الصغار ثم تصرف إلى الرجال؛ لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار أقدر وجعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم فجعل حق التصرف إلى الآباء لقوة رأيهم مع الشفقة والتصرف يستدعي قوة الرأي وجعل حق الحضانة إلى الأمهات لرفقهن في ذلك مع الشفقة وقدرتهن على ذلك بلزوم البيوت والظاهر أن الأم أحنى وأشفق من الأب على الولد فتتحمل في ذلك من المشقة ما لا يتحملة الأب ، وفي تفويض ذلك إليها زيادة منفعة للولد، فإذا بلغت البنت المحضونة احتاجت إلى التزويج وولاية التزويج إلى الأب وصارت عرضة للفتنة ومطعمة للرجال، وبالرجال من الغيرة ما ليس للنساء فيتمكن الأب من حفظها على وجه لا تتمكن الأم من ذلك ، أما الغلام إذا استغنى فقد احتاج إلى تعلم أعمال الرجال والأب على ذلك أقدر واحتاج إلى من يثقفه ويؤدبه والأب هو الذي يقوى على ذلك، ولأن صحبة النساء مفسدة للرجال فإذا ترك عندها ينكسر لسانه ويميل طبعه إلى طبع النساء، فلهذا يدفع إلى الأب بعد ذلك، وترتيب الأولى بالحضانة يراعى فيه الأصلح للمحضون كما هو تفصيلها عند الفقهاء.⁽³⁾

ولا تثبت الحضانة إلا على الطفل أو المعتوه، فأما البالغ الرشيد، فلا حضانة عليه، وإليه الخيرة في الإقامة عند من شاء من أبويه، فإن كان رجلا، فله الانفراد بنفسه، لاستغنائه عنهما، ويستحب أن لا ينفرد عنهما، ولا يقطع بره

(1) سنن أبي داود (588/3) رقم (2276) والحاكم في المستدرک (225/2) رقم (2830) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(2) المقدمات الممهدة (564/1).

(3) المبسوط (208-207/5) بدائع الصنائع (42-41/4) المقدمات الممهدة (564-562/1) منح الجليل (4/ ص 420-424) أسنى المطالب (447/3) البيان للعمري (283-278/11) مغني المحتاج (195-191/5) المغني (240-238/8) كشاف القناع (497-495/5)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

عنهما، وإن كانت جارية لم يكن لها الانفراد ولأبيها منعها منه؛ لأنه لا يؤمن أن يدخل عليها من يفسدها، ويلحق العار بها وبأهلها، وإن لم يكن لها أب، فلوليها وأهلها منعها من ذلك.⁽¹⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في الحضارة من جهة أن الصغار لما كان بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحوائجهم؛ جعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم، وجعلت الحضارة حقا لكل من الرجال والنساء من المستحقين لها، وذلك لقدرة الرجال على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار، ولصبر النساء على القيام برعاية الصغار ومزيد شفقتهم، كما أن مشروعية الحضارة فيها حفظ لحقوق الصغار والكبار معا، والمحضون إذا كان مميذا وافترق والداه، كان له الحق في اختيار حاضنه منهما إذا صلحا لذلك، ولا يجبر على أحدهما، وعلى حاضن الصغير من الأب أو الأم إذا كان مفترقين ألا يمنع الآخر من رؤية المحضون وزيارته والاطمئنان على أحواله، فالحمد لله الذي وسعت شريعته في أحكامها الكثير واليسير، وعمّ برحمته وعدله الكبير والصغير.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث والتوصيات:

أولا: النتائج:

- 1- العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدول وعدل، وعدل عليه في القضية، فهو عادل، والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل. وقيل: الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. وقيل: العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. وعرف بتعريفات أخرى.
- 2- تتضح قيمة العدل في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، بأن الله تعالى أمر به، وأحكامه تعالى كلها عدل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين الناس، وأمر تعالى بإشهاد المتصفين به، فالعدل شرط في شهادة الشهود، وركن من أركان القضاء والحكم بين الناس، وأمر الكاتب في كتابة الديون أن يكتب بالعدل، وأن يملل الولي بالعدل، ورتب على خوف عدم العدل الاقتصار على زوجة واحدة في النكاح، وأمر به في الحكم بين الناس، ونهى عن اتباع الهوى لتفويته العدل، وأمر بقول العدل ولو كان على قريب، وأن لا يحمل بغض بعض الناس على عدم العدل معهم، بل المأمور به العدل حتى مع العدو المبعّض، وأثنى الله تعالى على من اتصف به ممن خلق ومن قوم موسى ممن يقوم بالعدل، وجعل المتصف بالعدل الذي يأمر به هو الخيار في المثل الذي ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها، أو للمؤمن والكافر، والعدل متفق على حسنه والظلم متفق على قبحه، والعدل أساس العمران وسبب الاستقرار، وطريق الأمن والأمان، والسلامة والإسلام، وكل ما خرج عن العدل إلى الجور فليس من الشريعة.

- 3- النظر للمخطوبة مما يعزز العدل في بناء الحياة الزوجية فيؤدي الزوج الحقوق للزوجة عن طيب نفس ورغبة، وتقبله الزوجة بأداء واجباتها الزوجية برضا ونشاط، وقد اعتاد الناس في العصر الحاضر أن يرتبوا مجلسا للنظر للمخطوبة تحقّق السكينة والنية الصالحة بحضور أحد محارمها أو بعضهم، فتدخل المخطوبة ويرى منها

(1) المغني (239/8).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الخطاب وترى منه، وينظر إليها وتنظر إليه، وربما تجاذبا أطراف الحديث، فإذا كتب النصيب لهما في هذا الزواج كان مبناه متيناً مبنياً على مودة ووثام، وهذا أدعي لإقامة العدل في الحياة الزوجية والبعد عن الظلم وهضم الحقوق.
- 4- تحريم خطبة المسلم على خطبة أخيه عدل ودفع لظلم الخطب الأول، لأن من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو أحق به، ولهذا لا تجوز الخطبة على خطبته، ففيها إضرار به وتفويت لحقه، وهذا ظلم تدفعه الشريعة وتمنعه.
- 5- تحريم خطبة المعتدة عن الوفاة والطلاق الثلاث، فيحرم التصريح بخطبتها ويجوز التعريض بخطبة المعتدة؛ لأنه لما أباح التعريض دل على أن التصريح محرم، ولأن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النكاح أن تخبر بانقضاء العدة، والتعريض يحتمل غير النكاح فلا يدعوها إلى الإخبار بانقضاء العدة، وهذا فيه حفظ لحق الزوج الأول، وحفظ للأنساب أن تختلط، وهذا من إقامة العدل في هذه الأبواب.
- 6- يظهر تعزيز قيمة العدل في عقد النكاح في اعتبار أركانه وشروطه، فالعلاقة الزوجية علاقة ظاهرة بينة يحتفى بها في الشريعة المطهرة، ويحفظ بعقدها الحقوق وتؤدي الواجبات، وتتحقق بها مصلحة الإعفاف ثم الإنجاب وتكثير نسل الأمة، وليس كالسفاح الممنوع الذي تهضم فيه حقوق المرأة ولا أرب للطرف الآخر فيه إلا قضاء الوطر، دون تحمل لمسؤوليات أو أداء واجبات.
- 7- ندب سبحانه وتعالى إلى نكاح الواحدة عند خوف ترك العدل في الزيادة، وإنما يخاف على ترك الواجب، فدل أن العدل بين النساء في القسم والنفقة واجب، فالشريعة الإسلامية قائمة على تمام العدل في هذه الأبواب، ومن هذه الصور أن الزوج يقسم للزوجة المريضة، والرتقاء، والقرناء، والحائض، والنفساء، والمحرمة، والتي آلى منها أو ظاهر؛ لأن المقصود الإيواء والسكن، ويقسم الزوج المريض والمحبوب والعين والمحرم؛ لأن الأنس يحصل به، وإن كان مجنوناً يخاف منه لم يقسم له الولي؛ لأنه لا يحصل به الأنس، وإن كان لا يخاف منه نظر فإن كان قد قسم لواحدة في حال عقله، ثم جن قبل أن يقضي لزم الولي أن يقضي للباقيات قسمهن منه، كما لو كان عليه دين، ومن النماذج التطبيقية لتمام العدل أن الزوجة المسلمة والكتابية سواء في القسم، وذلك لأن القسم من حقوق الزوجية، فاستوت فيه المسلمة والكتابية، كالنفقة والسكنى، ومن العدل في عشرة الزوجة وجوب مهر المثل لها إذا تزوجت بدون مهر، أو لم يسم لها مهر، والمقصود بمهر المثل مهر مثل نسلها من قبيلة أبيها، وكل هذه الأحكام وتفصيلاتها نماذج لاعتبار قيمة العدل في أحكام فقه الأسرة، لتستمر حياة الزوجين في وثام، تؤدي فيه الواجبات، وتحفظ فيه الحقوق، وينشأ داخل هذه الأسرة المستقرة جيل يتشرب معاني العدل ويراهن شاهدة في سلوك الأبوين، ويتمثلها بعد في أخلاقه وتعاملاته.
- 8- يظهر تعزيز قيمة العدل في الطلاق من أنه ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون في بقاء مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخليصاً لهما من المفاسد والضرر، وأن في الطلاق حل لعقد النكاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين.
- 9- عصمة النكاح بيد الزوج، وقد تبغض الزوجة زوجها وترغب في الطلاق منه، والزوج لا يرغب في طلاقها؛ لما تحمّل من نفقات في المهر وتجهيز المسكن ونحو ذلك، فشرع الخلع بأن تدفع المرأة للرجل شيئاً مقابل حل

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- عقد النكاح حتى لا يكون في هذا ضرر بواحد منهما، وفي المقابل لما كان للزوج قطع النكاح إذا كره الزوجة، كان من العدل ان يكون للزوجة طلب الخلع من الزوج إذا كرهته مع دفع قدر من المال له، أو تنازلها عن بعض حقوقها.
- 10- ثبوت خيار فسخ النكاح لأحد الزوجين بسبب التغيير به أو لضرر أصابه، أو فوات شرطه أو مقصوده من النكاح من محاسن الشريعة، وتحقيقها وتعزيزها لقيمة العدل في بناء الحياة الأسرية.
- 11- لما كان في الإيلاء ظلم للزوجة بالحلف بترك معاشرتها وجعلها معلقة لا هي مطلقة ولا ذات زوج، جعل الشرع من حق الزوجة مطالبة الزوج بحقها في الوطء أو رفع أمرها إلى القاضي طلبا للفيء أو الطلاق، فإن لم يرجع الزوج أو يطلق طلق عليه القاضي رفعا للضرر عن المرأة.
- 12- تظهر قيمة العدل في الظهار في تغيير حكم الجاهلية فيه بما يحصل فيه نوع ردع للزوج، وعدم الإضرار بالزوجة، وإيجاد المخرج الشرعي للحفاظ على كيان الأسرة ووقايتها من الشتات.
- 13- يظهر العدل في أحكام اللعان من كونه حقا لكل من الرجل والمرأة، ليدفع الرجل عن نفسه عار زنا الزوجة؛ ولئلا ينسب إليه من ليس من صلبه، ولتدفع المرأة به عن نفسها تهمة الزنا، وأن الله تعالى ساوى فيه بين عدد الشهادات والأيمان بين الرجل والمرأة، وأن الله تعالى ساوى في الأثر المترتب على اللعان بين الرجل والمرأة حيث إنه يترتب على اللعان سقوط حد القذف عن الرجل، وسقوط حد الزنا عن المرأة.
- 14- تظهر قيمة العدل في أحكام العدد في أن العدة تجمع بين حق الله تعالى وحق الزوج المطلق أو المتوفى وحق الزوجة وحق الولد وحق الزوج الثاني وحق المجتمع، حق الله تعالى وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق الزوج المطلق في الطلاق الرجعي في إعطاء فرصة له إذا ندم على الطلاق وأراد مراجعة زوجته، وحق الزوج المتوفى في الإحداد وإظهار تأثير فقدته في المنع من التزين والتجمل، وحق الزوجة في النفقة والسكنى في مدة العدة، وحق الولد إذا كانت المعتدة حاملا في ثبوت نسبه لوالده وفي النفقة وتوابعها، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، وحق المجتمع في عدم اختلاط الانساب، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام، وهذا غاية العدل ومراعاة مصالح الأنام.
- 15- تظهر قيمة العدل في النفقات من جهة أن الشرع أوجب نفقة الزوجات على الأزواج لكون الزوجات محبوسات لحق الأزواج ممنوعات من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذنه، وأوجب النفقات بقدر الكفاية لدفع حاجة المنفق عليه، وأوجب نفقة الأقارب بشرط يسار المُنْفِقِ وفقر المُنْفَقِ عليه وعجزه عن الكسب، إلى غير ذلك من الشروط التي يذكرها الفقهاء، وهذا من تمام العدل والإحسان، بل إن الشريعة الإسلامية أوجبت نفقة البهيمة إذا ملكها الإنسان أو حازها، ورتب أشد الوعيد على من عذبها أو تسبب في هلاكها تقصيرا وعدوانا.
- 16- يظهر تعزيز قيمة العدل في الحضانة من جهة أن الصغار لما كان بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحوائجهم؛ جعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم، وجعلت الحضانة حقا لكل من الرجال والنساء من المستحقين لها، وذلك لقدرة الرجال على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار، ولصبر النساء على القيام برعاية الصغار ومزيد شفقتهم، كما أن مشروعية الحضانة فيها حفظ لحقوق الصغار والكبار معا، والمحضون إذا كان مميزا وافترق والداه، كان له الحق في اختيار حاضنه منهما إذا صلحا لذلك، ولا يجبر على أحدهما، وعلى حاضن

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الصغير من الأب أو الأم إذا كان مفترقين ألا يمنع الآخر من رؤية المحضون وزيارته والاطمئنان على أحواله، فالحمد لله الذي وسعت شريعته في أحكامها الكثير واليسير، وعمّ برحمته وعدله الكبير والصغير.

التوصيات:

- 1- على دارسي الفقه أن يبرزوا القيم التي تضمنتها الأحكام الفقهية ومنها قيمة العدل، في أحكام الفقه عامة، ويستوي في ذلك العبادات والمعاملات وفقه الأسرة والقضاء والجنايات والفرائض والوصايا والأوقاف.
- 2- ينبغي أن يكون لواضعي المقررات الدراسية في التعليم العام والمعاهد المتخصصة والجامعات دور كبير في إبراز القيم ضمن أهداف مقررات الفقه، وخصوصاً قيمة العدل.
- 3- على مراكز البحوث والجامعات أن تدرج ضمن خططها البحثية موضوعات تهتم بتعزيز القيم وخصوصاً قيمة العدل في الأحكام الفقهية، إظهاراً لمحاسن الإسلام، وبيان أن أحكامه مبنية على العدل التام.
- 4- على المهتمين بالإعلام إنتاج البرامج التي تغرس القيم وخصوصاً قيمة العدل في نفوس الصغار والكبار، والإفادة من الإرث الكبير لثرائثنا الفقهي الزاخر في هذا الجانب، حتى تتشبع نفوس المشاهدين والمتابعين بقيمة العدل وتتمثله سلوكاً وتعاملاً وأخلاقاً.

والله الموفق،،،،

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الاختيار لتعليل المختار، للإمام عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي، مجد الدين أبي الفضل الحنفي (ت 683هـ)، وعليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة ط: طبعة الحلبي: 1356هـ - 1937م - القاهرة.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
4. أسنى المطالب شرح روض الطالب، للشيخ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (ت 926هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر. ط: دار الكتب العلمية، الأولى: بيروت - 1422 هـ - 2000هـ.
5. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخرين: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
7. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، وبالhashية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.
8. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
9. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

10. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
11. البناية شرح الهداية، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
12. البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
13. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
14. التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1416هـ-1994م.
15. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارع، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (المتوفى: 1021 هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313 هـ.
16. التجريد لنفع العبيد = حاشية البجيرمي على شرح المنهج (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (المتوفى: 1221هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1369هـ - 1950م.
17. تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (على ترتيب المنهاج للنووي)، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، المحقق: عبد الله بن سعاف الحياتي، الناشر: دار حراء - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1406.
18. تفسير الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م.
19. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.
20. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
21. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
22. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

23. تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
24. تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.
25. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
26. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.
27. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
28. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
29. الجوهرة النيرة، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزبيدي اليماني الحنفي (المتوفى: 800هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، 1322هـ.
30. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، المؤلف: أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفوط) (المتوفى: 1189هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1994م.
31. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411.
32. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.
33. الذخيرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجج، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م.
34. رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.
35. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

36. سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط، المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
37. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)
38. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
39. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
40. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى.
41. شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ - 1983 م.
42. شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرخشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
43. شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م.
44. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
45. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
46. العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: 624هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1424 هـ 2003 م.
47. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
48. العناية شرح الهداية، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرني (المتوفى: 786هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

49. غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، المؤلف: أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
50. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
51. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، المؤلف: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: 1204هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
52. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.
53. الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.
54. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
55. كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2003م.
56. كشف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
57. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
58. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
59. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
60. المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
61. المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
62. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر.
63. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

64. المحقق: شَعِيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
65. المحلي بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
66. المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
67. المستدرک علی الصحيحین، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.
68. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
69. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
70. المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1388 هـ - 1968 م.
71. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
72. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ - 1979 م.
73. المقدمات الممهّدات، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
74. منح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409 هـ/1989 م.
75. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
76. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: 954هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412 هـ - 1992 م.
77. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزء، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)، ..الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، ..الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصنوفة - مصر، ..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

78. **النتف في الفتاوى**، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّعدي، حنفي (المتوفى: 461هـ)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، 1404 - 1984.
79. **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: 1004هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة - 1404هـ/1984م.
80. **الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز**، المؤلف: عبد العظيم بن بدوي بن محمد، قدم له: فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين، فضيلة الشيخ / محمد صفوت الشوافي، فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم شقرة، الناشر: دار ابن رجب - مصر، الطبعة: الثالثة، 1421 هـ - 2001 م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قيمة العدل والإنصاف ودورها في الدعوة إلى الله

من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي

د. طالب بن أحمد الهمامي

أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بشرورة - جامعة نجران /السعودية

ملخص البحث:

إن العالم اليوم يشهد متغيرات متسارعة ، وتحديات متعددة في مجالات متنوعة ومتباينة ، تختلف عمليات التأثير والتأثير فيما بينها بحسب طبيعة كل مجال وسياقاته ، والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً.

وإن المتأمل في المصادر الإسلامية يجدها زاخرة بالكثير من القيم التربوية التي سطر المسلمون بها أعلى معاني السمو الأخلاقي والرفقي الروحي لمواجهة تلك التحديات وغيرها.

بل إنهم رسخوها في أجيال الأمة الناشئة، فعاشت أمتنا الإسلامية فترة من الزمان رائدة للعالم وفي مقدمة الدول العالمية، وسطر التاريخ تلك القيم في سير وحياة أولئك الأفاضل .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف شيئاً من أهم تلك القيم وهما قيمة العدل والإنصاف ودورها في نشر الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي - رحمه الله-.

أهداف الدراسة:

- 1 - بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف ..
- 2 - إبراز مواقف السلف الصالح في ترسيخ هذه القيمة في عقول الناشئة وتربيتهم عليها منهجاً وسلوكاً.
- 3 - تسليط الضوء على الدور التربوي لهذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

مشكلة الدراسة:

القيم تنعكس على مستقبل الإنسان وتكيفه مع الحياة وفق مراد الله، وهذا في الحقيقة راجع إلى أن القيم تمثل محددات نمتلكها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومن بين أهم تلك القيم التي يحتاجها كل داعية ومربي ، قيمة العدل والإنصاف فهما تتحقق الكثير من المنافع التربوية والعلمية والدعوية على مختلف المجالات ، وعلى مستوى المجتمعات والمؤسسات التربوية والتعليمية والدعوية.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الاستقرائي والاستنباطي، حيث جمعت نماذج من مواقف السلف الصالح التي تبرز دور هذه القيمة التربوية الحوارية وتعليقات الذهبي عليها، ومن ثم استخلصت القواعد التربوية من هذه المواقف وبينت أثرها في نشر العلم والدعوة إلى الله، مدعماً هذه النتائج والقواعد بنصوص الوحي المقدس وموافقة أهل الاختصاص في هذا المجال.

وقد وُسمت هذه الدراسة بعنوان (قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح ودورها في نشر الدعوة إلى الله) - وقد جعلتها في تمهيد ومبحثين وخاتمة :

والتمهيد اشتمل على: التعريف بمصطلحات الدراسة.

والمبحث الأول: قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح - رضي الله عنهم - .

وفيه مطلبان: المطلب الأول: بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

المطلب الثاني: قواعد تربوية مستقاة من هذه القيمة.

والمبحث الثاني: دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان: المطلب الأول: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

المطلب الثاني: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وآخراً...

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل للمؤمنين شرعاً ومنهاجاً وأبان للسالكين طريقاً ليس فيه اعوجاجاً، وأرشد التائهين إلى سبيله فدخل الناس في دينه أفواجاً، وصلى الله وسلم على رسول الهدى ومصباح الدجى الذي أرسله الله نوراً وهاجاً، وجعل سنته للسائرين بحراً ثجاجاً وطريقته للمصلحين قوة وحجاجاً وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن العالم اليوم يشهد متغيرات متسارعة، وتحديات متعددة في مجالات متنوعة ومتباينة، تختلف عمليات التأثير والتأثير فيما بينها بحسب طبيعة كل مجال وسياقاته ، والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وإن المتأمل في المصادر الإسلامية يجدها زاخرة بالكثير من القيم التربوية التي سطر المسلمون بها أعلى معاني السمو الأخلاقي والرفي الروحي لمواجهة تلك التحديات وغيرها.

بل إنهم رسخواها في أجيال الأمة الناشئة، فعاشت أمتنا الإسلامية فترة من الزمان رائدة للعالم وفي مقدمة الدول العالمية، وسطر التاريخ تلك القيم في سير وحياة أولئك الأفاضل.

والقيم تنعكس على مستقبل الإنسان وتكيفه مع الحياة وفق مراد الله، وهذا في الحقيقة راجع إلى أن القيم تمثل محددات نمتلكها.

ومن بين أهم تلك القيم التي يحتاجها كل داعية ومربي، قيمة العدل والإنصاف فبهما تتحقق الكثير من المنافع التربوية والعلمية والدعوية على مختلف المجالات، وعلى مستوى المجتمعات والمؤسسات التربوية والتعليمية والدعوية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف شيئاً من أهم تلك القيم وهما قيمة العدل والإنصاف ودورها في نشر الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي - رحمه الله -.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في تناولها لأحد الموضوعات المهمة - موضوع القيم - وبالتحديد قيمة العدل والإنصاف، وتبرز أهمية الدراسة في بعض الجوانب من أهمها:

1 - يؤكد المتخصصون⁽¹⁾ على أهمية القيم وتعدد مجالاتها، وإعادة دراسة هذا الموضوع كل فترة زمنية؛ لما يحدث عامل الزمن من تغيرات في أنساق القيم وتبدلات في أحوال الناس مما يوجب أن نتوقف لنشهد أثر تلك القيم، وبالتالي تطور دور مؤسساتنا في تنميتها.

2 - أن هذه الدراسة توضح قيمة العدل والإنصاف لدى سلفنا الصالح وكيف كانت سلوكاً ومنهجاً يسيرون عليه.

3 - تبرز الدراسة دور هذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

4 - توضح هذه الدراسة إمكانية ترسيخ هذه القيمة في الواقع المعاصر.

أهداف الدراسة:

1 - بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح.

2 - إبراز مواقف السلف الصالح في ترسيخ هذه القيمة في عقول الناشئة وتربيتهم عليها منهجاً وسلوكاً.

3 - تسليط الضوء على الدور التربوي لهذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

(1) كما يؤكد ذلك د. سعيد إسماعيل في كتابه (جامعات تحت الحصار) دار عالم الكتب، القاهرة، 2008 م، ص 12.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الدراسات السابقة:

لقد اطلعت على بعض الرسائل العلمية والدراسات التي تتحدث عن القيم بمنظور عام وفي مجالات محددة وتطبيقها على فئات معينة مثل:

1 - دراسة (عبدالمجيد العياصرة) المفاهيم والقيم المتخصصة في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، أطروحة دكتوراه من جامعة اليرموك، 2010 م.

2 - دراسة (سمر محمد علي إسماعيل ربايعه) القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان - عليه السلام - وتطبيقاتها التربوية. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2014 م.

وتتفق الدراسة الحالية والدراسات السابقة في تناولها موضوع القيم؛ إلا أنها اختلفت عنها في بعض الجوانب منها:

1 - أن هذه الدراسة تركز على قيمة العدل والإنصاف.

2 - الدراسات الحالية تركز على مواقف وأقوال السلف تجاه هذه القيم.

3 - اتخذت الدراسة أنودجاً تطبيقياً وهو الإمام الذهبي - رحمه الله - وكتابه سير أعلام النبلاء.

4 - اتخذت الدراسة المنهج التاريخي والاستقرائي والاستنباطي منهجاً لها بخلاف الدراسات السابقة.

حدود الدراسة:

سوف تركز الدراسة على تراجم أعلام الأمة الكبار الذين رسخوا هذه القيمة بأقوالهم وأعمالهم وسلوكهم، ودورهم البارز في نشر العلم والدعوة إلى الله عن طريق هذه القيمة التربوية، (الإمام الذهبي - رحمه الله -).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في إمكانية تطبيق هذه القيمة في واقعنا المعاصر وتجاوز التحديات التي تقف أمام ذلك وكيفية الاستفادة منها في تربية الأجيال المسلمة.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

س - ما إمكانية تطبيق قيمة العدل والإنصاف في واقعنا المعاصر؟

س - هل هناك صعوبات وتحديات تواجهنا في تطبيق هذه القيمة؟

س - كيفية الاستفادة من سير أعلام الأمة الذين طبقوا هذه القيمة في حياتهم؟

منهجية الدراسة:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الاستقرائي والاستنباطي، حيث جمعت كثيراً من مواقف السلف الصالح التي تبرز دور هذه القيمة التربوية الحوارية ومن ثم استخلصت القواعد التربوية من هذه المواقف وبينت أثرها في نشر العلم والدعوة إلى الله، مدعماً هذه النتائج والقواعد بنصوص الوحي المقدس وموافقة أهل الاختصاص في هذا المجال.

خطة الدراسة البحثية:

جعلتها في تمهيد ومبحثين وخاتمة :

والتمهيد اشتمل على: التعريف بمصطلحات الدراسة.

والمبحث الأول: قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح - رضي الله عنهم - .

وفيه مطلبان: المطلب الأول: بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

المطلب الثاني: قواعد تربوية مستقاة من هذه القيمة.

والمبحث الثاني: دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان: المطلب الأول: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

المطلب الثاني: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وآخراً.

التمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة.

تتضمن مصطلحات الدراسة الكلمات التالية:

أولاً: القيم:

جمع قيمة وهي واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: قومت السلعة... والاستقامة: الاعتدال، وقومت الشيء فهو قويم، أي مستقيم، والقوام العدل. (1)

ومما سبق يتضح أن مادة (قوم) (2) استعملت في اللغة لعدة منها:

1 - قيمة الشيء وثمنه.

(1) انظر: الصحاح للجوهري (5 / 2017) .

(2) انظر: الصحاح للجوهري (5 / 2017) ولسان العرب لابن منظور (12 / 500) والقاموس المحيط (1152) .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

2 - الاستقامة والاعتدال.

3 - نظام الأمر وعماده.

4 - الثبات والدوام والاستمرار.

والأقرب إلى هذه الدراسة أن المراد بالقيمة هي الثبات والدوام والاستمرار على الشيء، ولذا لا يمكن أن يكون للشيء قيمة إلا إذا داومت عليه وأصبح سلوكاً ومنهجاً.

وفي الاصطلاح: هي: القوامة التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها).⁽¹⁾

وقيل: (حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك).⁽²⁾

وقيل: "مجموعة من الأهداف والقوانين والمثل العليا التي توجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو السماوي".⁽³⁾

وقيل: "مجموعة المفاهيم والتصورات التي يصدرها الفرد بدرجات متفاوتة من التفضيل للأشياء والموضوعات وذلك في ضوء تقديره وتقييمه لهذه الموضوعات".⁽⁴⁾

ولعل الأقرب أن القيم هي مجموعة المبادئ والمعايير التي حددها الشرع المطهر حتى تصبح سلوكاً ومنهجاً لمتبعي هذا الشرع.

ثانياً: العدل

في اللغة: العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، من عدَلَّ يَعِدُّلُ فهو عادل من عُدُولٍ وَعَدَلٍ، يقال: عدَلَّ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عدَلُهُ.⁽⁵⁾

والعدل في الاصطلاح هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه).⁽⁶⁾

(1) انظر: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسمًا علمياً، عبدالله الطريقي وآخرون، (14) ط 1، 1417 هـ.

(2) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع (15) دار الفضيلة، ط 1، 1426 هـ.

(3) انظر: الرائد في اللغة، جبران مسعود (470) مكتبة لبنان، بيروت، 1986 م.

(4) انظر: ارتقاء القيم، عبداللطيف خليفة، (23) سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2007 م.

(5) انظر: الصحاح للجوهري (5 / 2017) ولسان العرب لابن منظور (12 / 500) والقاموس المحيط (1152).

(6) الأخلاق والسير لابن حزم (81).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقيل هو: (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور ديناً) (1) .

وقيل هو: (استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير) . (2)

والمختار من هذه التعريفات أن العدل هو استعمال الأمور في مواضعها ومقاديرها من غير زيادة ولا نقصان.

ثالثاً: الإنصاف

الإنصاف إعطاء النصف من نفسك، (3) وقال الفيروز آبادي: والإنصاف: العدل والاسم: النصف والنصفة محركتين. (4)

وفي الاصطلاح: قال المناوي: الإنصاف: هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله. وقيل: هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة، وهو والعدل توءمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة. (5)

والفرق بين الإنصاف والعدل: أن الإنصاف إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره، ألا ترى أن السارق إذا قطع قيل إنه عدل عليه ولا يقال إنه أنصف، وأصل الإنصاف أن تعطيه نصف الشيء وتأخذ نصفه من غير زيادة ولا نقصان. (6)

ويظهر من أوجز التعريفات للإنصاف: أنه إعطاء الحقوق لأهلها سواء في حالة الرضا أو الغضب أو الحب أو الكره، أو القرب أو البعد.

المبحث الأول: قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح - رضي الله عنهم - .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

(1) التعريفات للجرجاني (187).

(2) تهذيب الأخلاق للجاحظ (28).

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور (332/9).

(4) القاموس المحيط للفيروز آبادي (856).

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، لعبدالرؤف المناوي (65) عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1410 هـ.

(6) انظر: معجم الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري (80).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لقد أرسل الله رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهمية العدل والإنصاف في حياة الناس، قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ [الحديد:25].

ووردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تأمر بالعدل والإنصاف وترغب فيه، وتمدح من يقوم به.

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فتم شرع الله ودينه".⁽¹⁾

والعدل هو الخلق العظيم الذي يجمع محاسن الأخلاق كلها، وبه يستقيم حال الناس، والدعاة إلى الله مأمورون بالعدل التزاماً ودعوة، يلتزمونه سلوكاً ويدعون إليه خلقاً ومنهاجاً. وتتضح أهمية هذه القيمة عند السلف الصالح في النقاط التالية:

أولاً: العدل والإنصاف في الأحكام والأقوال:

بُنِيَتْ شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - على العدل والإنصاف، قال الله تعالى في محكم تنزيله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل:90]

وانظر إلى تميز السلف الصالح - رحمهم الله - في انتهاج هذه القيمة - العدل والإنصاف - في أقوالهم وأحكامهم على الآخرين، ففي ترجمة سعيد بن زيد - رضي الله عنه - يقول الذهبي - رحمه الله -: «فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدرين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة.

فأبعد الله الرافضة ما أغواهم، وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم، وبخسوا التسعة حقهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة؟.

فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تميم، يتجر ويتكسب، لا لرغبة في أمواله، ولا لرغبة من عشيرته ورجاله، ويحك أيفعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوف من

(1) الطرق الحكمية، ابن القيم (19).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في براء الرفض، فإنه داء مزمن، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله»⁽¹⁾.

هذا والله هو العدل مع خيرة هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، وما وقع فيه الرافضة والخوارج من تنقصهم وتجريحهم هو عين الظلم والبهتان، فالبعد عن نهجهم الجائر هو ما أكدته أقوال السلف وأحكامهم في الذب عن الصحابة - رضي الله عنهم - بالغالي والنفيس.

ومن العدل في الأحكام، ما بينه أهل السنة والجماعة في منهجهم تجاه الفرق الضالة، وأن أهل السنة وسط عدل بين الغالي والجافي، وهذا ما أمر الله به نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله: **فَلِذَلِكَ فَادَّعُ^ط وَأَسْتَقِمَّ^ط كَمَا أُمِرْتُ^ط وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ^ط وَقُلْ ءَأَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ^ط بَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ رَبُّنَا^ط وَرَبُّكُمْ^ط لَنَا أَعْمَلْنَا^ط وَلَكُمْ^ط أَعْمَلْتُمْ^ط لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا^ط وَبَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ تَجْمَعُ^ط بَيْنَنَا^ط وَإِلَيْهِ^ط الْمَصِيرُ^ط** [الشورى:15]

قال الطبري: "أمر نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه"⁽²⁾. فهذا هو المنهج الحق وهو العدل في الحكم والتوجه والمسير؛ الذي سار عليه السلف الصالح وما بدّلوا تبديلاً.

ثانياً: العدل والإنصاف أساس الملك والتمكين:

جاء عند الذهبي - رحمه الله - في السير ثناؤه على قضاة العدل، لأن القضاء العادل سبب التمكين والبقاء للملك، فقال في ترجمة عافية بن يزيد: «كان من العلماء العاملين، ومن قضاة العدل»⁽³⁾.

ويؤيد هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"⁽⁴⁾.

وهذا يبين لنا أن العدل أساس الملك والتمكين في الأرض، وما أقيم العدل والقسط في أرض إلا كتب الله لأهلها النصر والتمكين والبقاء.

ثالثاً: انتشار الأمن بالعدل والإنصاف:

العدل سبب الأمن، فإذا أخذ الناس حقوقهم ساد الأمن بينهم، وانتشرت الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار.

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي (1/140_141) ترجمة رقم 6.

(2) الجامع لأحكام القرآن، الطبري (21/517).

(3) سير الأعلام (7/399) ترجمة رقم 145.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (28/146).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذا ما بيّنه الذهبي - رحمه الله - في ترجمة عبد الرحمن الناصر سلطان الأندلس، فقال: «ولم يزل عبد الرحمن يغزو حتى أقام العوج، ومهد البلاد، ووضع العدل، وكثر الأمن،... وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسنها حالاً»⁽¹⁾

بالعدل يعم الأمن، وتخمد الفتن، وتزدهر البلدان بالعمارة والعلم، وتؤمن السبل، ويسود رغد العيش، قال - صلى الله عليه وسلم - : «من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسمه عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا».⁽²⁾

رابعاً: تطبيق الشريعة هو العدل والإنصاف:

إنّ تطبيق شرع الله في الأرض هو العدل والإنصاف الذي قامت عليه السماوات والأرض، ومن تطبيق شريعة الله وإقامة العدل بين الناس، تطبيق الأحكام على القوي والضعيف والشريف والوضيع، ففي ترجمة البرسقي يقول الذهبي - رحمه الله: «وكان ديناً عادلاً، حسن الأخلاق، وصى قاضيه بالعدل، بحيث إنه أمر زوجته أن تدعي عليه بصدقتها، فنزل إلى قاضيه، وجلس بين يديه، فتأدب كل أحد».⁽³⁾

وقد جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فكلمه أسامة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاخترط، فقال: «أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».⁽⁴⁾

بهذا العدل استقرت الدولة الإسلامية عبر العصور المتتالية، ونصرها الله على الأعداء، كما قال الله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج:40].

(1) سير الأعلام (267/8) ترجمة رقم 62.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (112) رقم (300) والترمذي في أبواب الزهد (152/4) رقم (2346) وقال: حسن غريب، وصححه ابن حبان (445/2) رقم (671) وقال ابن حجر في مشكاة المصابيح حديث حسن (15/5)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (408/5) رقم (2318)،

(3) سير الأعلام (512/19) ترجمة رقم 295.

(4) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار (4/ 175) رقم (3475) ومسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود (3/ 1315) رقم (1688).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومن له ذوق في الشريعة، وإطلاع على كمالها،... تبيّن له أنّ السياسة العادلة جزء من أجزاءها، وفرع من فروعها".⁽¹⁾

والدعوة إلى الله جزء من هذه الدولة المنصورة، فمتى قام الدعاة بالعدل سلوكاً ومنهجاً انتشرت دعوتهم، وعم نفعهم البلاد والعباد، وآمن بهذه الدعوة أهل الملل والنحل المخالفة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

المطلب الثاني: قواعد تربوية مستقاة من هذه القيمة.

يتضح من قراءة كتاب سير أعلام النبلاء عدة قواعد تربوية للدعاة وطلبة العلم يمكن الاستفادة منها في حياتهم الدعوية منها:

أولاً: الإنصاف مع المبتدعة:

1 - ذكر مالهم وما عليهم:

قال الذهبي - رحمه الله - في ترجمة معبد بن عبد الله: «أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، وكان من علماء الوقت على بدعته». ⁽²⁾

وقال أيضاً في ترجمة عمران بن حطان: «من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج». ⁽³⁾

والذهبي - رحمه الله - عندما يذكر ما عندهم من العلم وما فيهم من البدع المنكرة يبيّن للدعاة أن هذا منهج الإنصاف خاصة فيمن تحمل أمانة النقل.

ومع عدو السنة يظهر الإنصاف عند الذهبي - رحمه الله - فلم يتعصب لمنهج ولا لشيخ ولا لهوى، بل قال الحق الذي أوجبه الله على العلماء الصادقين، ففي ترجمة أحمد بن أبي دؤاد يقول: «القاضي الكبير،... الجهمي، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم». ⁽⁴⁾

وهذا أكبر شاهد على عدل وإنصاف أهل السنة مع مخالفيهم، وبهذا العدل والإنصاف انتشر العلم وعمت الدعوة أرجاء المعمورة آنذاك.

2 - أن بعض الشر أهون وأخف من بعض:

(1) الطرق الحكمية، ابن القيم (5)

(2) سير الأعلام (158/4) ترجمة رقم 76.

(3) سير الأعلام (214/4) ترجمة رقم 86.

(4) سير الأعلام (169/11) ترجمة رقم 71.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومن قواعد العدل والإنصاف مع أهل البدع التفريق بين البدع فبعضها أهون وأخف من بعض، وأهل البدع أيسر من الكفرة الأصليين وهلم جرا، قال الذهبي - رحمه الله - : " قلت: ومن كفر ببدعة - وإن جلت - ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي، والمجوسي، أبي الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله، واليوم الآخر، وصام، وصلى، وحج، وزكى - وإن ارتكب العظائم، وضل، وابتدع - كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع، وكفر، ولكن نبأ إلى الله من البدع وأهلها». (1)

ثم جاء التأكيد على أن بين أهل البدعة من البون الشاسع ما يجعل الدارس والناظر في أحوالهم لا يحكم عليهم بحكم واحد على حدٍ سواء، ممثلاً على ذلك بمرجئة الفقهاء مع غلاتهم.

ففي ترجمة عبد المجيد بن أبي رواد قال الذهبي - رحمه الله - : «وكان من المرجئة، ومع هذا فوثقه: أحمد، ويحيى بن معين، وقال هارون بن عبد الله الحمال: ما رأيت أخشع لله من وكيع، وكان عبد المجيد أخشع منه.

قلت: خشوع وكيع مع إمامته في السنة، جعله مقدماً، بخلاف خشوع هذا المرجئ - عفا الله عنه - أعاذنا الله وإياكم من مخالفة السنة». (2)

وهذا شأن السلف الصالح مع مخالفيهم من أهل البدع حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله : "قد يكون الرجل على طريقة من الشر عظيمة، فينتقل إلى ما هو أقل منها شراً وأقرب إلى الخير، فيكون حمد تلك الطريقة ومدحها لكونها طريقة الخير الممدوحة، مثال ذلك: ... النحل التي فيها بدعة، قد يكون الرجل رافضياً فيصير زدياً، فذلك خير له، وقد يكون جهمياً قديراً فيصير جهمياً غير قديراً، أو قديراً غير جهمي، أو يكون من الجهمية الكبار، فيتجهم في بعض الصفات دون بعض ونحو ذلك". (3)

وهذا عين الإنصاف والعدل مع المخالفين من أهل البدع.

3- أن المبتدع الذي لا يدعو لبدعته ليس كمن يدعو لها:

ومن قواعد الإنصاف مع المبتدعة أن الداعية لبدعته ليس كمن لا يدعو لها، وهذا قمة الإنصاف والعدل، ففي ترجمة يحيى بن حمزة: «قلت: دام على القضاء ثلاثين عاماً، وكان ثبتاً في الحديث، وإن كان يميل إلى القدر فلم يكن داعية». (4)

وهذا دليل على أن الداعية أشد خطراً من غيره لأنه ينشر مذهبه فيفضل به كثيراً من الناس.

(1) سير الأعلام (202/10) ترجمة رقم 45.

(2) سير الأعلام (9/ 434).

(3) الاستقامة لابن تيمية (464- 465).

(4) سير الأعلام (355/8) ترجمة رقم 99.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثانياً: الإنصاف مع أهل العلم:

تراجم الأعلام وسيرهم في العدل والإنصاف بمثابة قواعد علمية وأطر منهجية يسير عليها الدعاة في التعامل مع العلماء، وقد بلغ سَلْفُ هذه الأمة الذروة من الأخلاق يملكون أوجَهَا وزمامها، حيث حلقوا في سماء التقوى والورع، وحكموا بإنصاف ولو على أنفسهم، وقد جمعت من مواقفهم في الإنصاف والعدل مع العلماء والدعاة، الشيء الكثير الذي لا يتسع المجال لسرده، وسأكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق، وجعلتها كما يلي:

1 - إذا ثبتت إمامة الرجل بيقين فلا تزول وتهدر بزلة واحدة:

قال الذهبي - رحمه الله - عدة مواضع: « إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع». (1)

وقال أيضاً: « والكمال عزيز، وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ولا قوة إلا بالله». (2)

والأئمة معذورون في اجتهادهم وإن أخطأوا، فيغفر لهم ما لا يغفر لغيرهم، ألم تر أن الماء إذا بلغ القلتين لا يحمل الخبث، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعمر - رضي الله عنه - في قصة حاطب - رضي الله عنه - : «وما يدريك يا عمر لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». (3)

وقال الذهبي - رحمه الله - : «ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوخيهِ لاتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه». (4)

وقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». (5)

فيدل الحديث أن العالم إذا أخطأ في اجتهاده وهو مستوفٍ آلة الاجتهاد فله أجر، لبذله الوسع في الاجتهاد، فلا يهدر ويبدع ويضل بسبب اجتهاده ولو خالف الحق في المسألة، وفيه دليل أنها شريعة ربانية ليس لأمزجة البشر

(1) سير الأعلام (448/8) ترجمة رقم 115.

(2) سير الأعلام (285/16) ترجمة رقم 200.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الجاسوس (59/4) رقم (3007) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب (1941/4) رقم (2494).

(4) سير الأعلام (376_373/14) ترجمة رقم 214.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (108/9) رقم (7352) ومسلم في كتاب الأفضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (1342/3) رقم (1716).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وأهوائهم فيها سبيل، كما قال الله تعالى: : **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ**

الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام:115]

2 - التَّيِّبُ وَالتَّيِّبَاتُ مِنْ خِصَائِصِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ:

في ترجمة إسحاق بن راهويه مانصه: «أن أبا داود السجستاني يقول: إسحاق بن راهويه تغيّر قبل موته بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام، فرميت به.

قلت: فهذه حكاية منكرة، وفي الجملة، فكل أحد يتعلل قبل موته غالباً ويمرض، فيبقى أيام مرضه متغير القوة الحافظة، ويموت إلى رحمة الله على تغيّره، ثم قبل موته يبسير يختلط ذهنه، ويتلاشى علمه، فإذا قضى، زال بالموت حفظه.

فكان ماذا؟ أفبمثل هذا يلين عالم قط؟! كلا والله، ولا سيما مثل هذا الجبل في حفظه وإتقانه... ومع حال إسحاق وبراعته في الحفظ، يمكن أنه - لكونه كان لا يحدث إلا من حفظه - جرى عليه الوهم في حديثين من سبعين ألف حديث، فلو أخطأ منها في ثلاثين حديثاً، لما حط ذلك رتبته عن الاحتجاج به أبداً، بل كون إسحاق تتبع حديثه، فلم يوجد خطأ قط سوى حديثين، يدل على أنه أحفظ أهل زمانه». (1)

وهذا دليل على أن المؤمن لا يتسرع في إطلاق الأحكام ولو رواها ثقات، فإذا وُجِدَت الشبهة حينها وجب التحقق.

3- بيان محاسن العالم المتكلم فيه إنصاف وعدل:

ومن قواعد الإنصاف في حق العلماء أن تذكر محاسنهم وفضائلهم ولا يغمط حقهم.

في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس - رحمه الله - قال الذهبي - رحمه الله - : «وقد نعموا على هذا العالم أخلاقاً وآراءً... وكان أول ما أحدث فيهم رأي الصفرية... كان عكرمة من أهل العلم، خرج له مسلم مقروناً بطاووس في الحج، فالذين أهدروه كبار، والذين احتجوا به كبار - والله أعلم بالصواب». (2)

والإنصاف يقتضي هذا البيان، كما قال محمد بن سيرين - رحمه الله - : "ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما رأيت وتكتم خيره". (3)

(1) سير الأعلام (379_377/11) ترجمة رقم 79.

(2) سير الأعلام (34- 19/5) ترجمة رقم 9.

(3) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (275/9).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذا مصداق لقوله تعالى: **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴿١٥٩﴾ [الأعراف: 159]، هذا هو الإسلام وهذا هو الإنصاف في أروع صورته ومقاماته، حيث بينت الآية: أن من قوم موسى - عليه السلام - جماعة عظيمة يهدون الناس بالحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى، ويعدلون به دون غيره إذا حكموا بين الناس، لا يتبعون فيه الهوى... فإن الأمم العظيمة لا تخلو من أهل الحق والعدل، وهذا من بيان القرآن للحقائق، وعدله في الحكم على الأمم. (1)

4- عدم التعصب لشخص أو مذهب إنصاف:

هذا يبين النهج القويم في الحكم على الناس، فمتى حكم الداعية على الناس بهواه، أو متعصباً لشيخه أو مذهبه فقد جاوز الصواب، وحاد عن الحق، ولم يك منصفاً في حكمه بل جائراً فيه.

والحكم على الناس بهوى وعصبية ينكره جميع أهل العلم والفضل، كما ينكره أصحاب الصنعة في نقد الرجال والحكم عليهم، فيكون صاحبه مخالفاً لما عليه سبيل المؤمنين.

وعلى هذا النهج تأتي المحبة والاتباع والأخذ بالأقوال، فما دام أن العالم وافق السنة والحق في المسألة فهو حبيبنا، قال الذهبي - رحمه الله - : «ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن». (2)

قال الشوكاني - رحمه الله - : "فإن وطنت نفسك أيها الطالب على الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب، ولا لعالم من العلماء، بل جعلت الناس جميعاً بمنزلة واحدة في كونهم منتمين إلى الشريعة، محكوماً عليهم بما لا يجدوا لأنفسهم عنها مخرجاً، ولا يستطيعون تحولاً، فضلاً عن أن يرتقوا إلى واحد منهم، أو يلزمه تقليده وقبوله قوله، فقد فرت بأعظم فوائد العلم، وريحت بأنفس فرائده". (3)

5 - الذب عن أهل العلم إنصاف وعدل:

قال الذهبي - رحمه الله - ذاباً عن الإمام أحمد - رحمه الله - ممن انتقصوه: «قلت: أحسبهم يظنونهم كان محدثاً وبس، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا، ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، ومالك، والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره». (4)

(1) تفسير المنار، رشيد رضا (307/9).

(2) سير الأعلام (45/20 - 46) ترجمة رقم 20.

(3) أدب الطلب، الشوكاني (89).

(4) سير الأعلام (321/11) ترجمة رقم 78.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فليس من الإنصاف والعدل أن تنتهك حرمة العالم ولا يذب عنه، بل هذا منهج رباني وتوجيه نبوي، قال رسول الله - رحمه الله - : "من ذب عن عرض أخيه بالغبية كان حقاً على الله أن يعتقه من النار".⁽¹⁾

فمن هنا يتضح أن التزام التخلق بهذه القواعد العدلية المنصفة في حياة الدعاة تصبح لديهم قيمة تربوية لا تنفك عنهم بأية حال، وتؤثر في السلوك والتعامل وانجذاب القلوب إليه.

المبحث الثاني: دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

يمكن الدور المؤثر للتخلق بهذه القيمة التربوية في حياة الداعية وأهل العلم في اتصافهم بهذه المعالم التالية:

أولاً: حفظ مكانة العلماء وتقديرهم :

الإنصاف والعدل مع أهل العلم فيه حفظ لمكانة العلماء ومعرفة منازلهم التي بوأهم الشرع الحنيف إياها، فإن أعظم نشر للعلم بيان هذه المكانة.

فمن علماء الصحابة الذين حفظوا لنا السنة الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - ساق الذهبى - رحمه الله - بسنده راداً على من تنقص حقه ونال منه، فيقول: «... ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلا ما كان حديث جنة أو نار.

قلت: هذا لا شيء، بل احتج المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه، لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدب معه، ويقول: أفت يا أبا هريرة... وأين مثل أبي هريرة في حفظه، وسعة علمه». ⁽²⁾

وأبوهريرة - رضي الله عنه - غلت في كرهه وذمه ونالت منه الرافضة، وافترت عليه، لإرادتهم هدم الدين وتحريف السنة، وذلك بالنيل من حملتها والمبلغين لها، أمثال أبي هريرة - رضي الله عنه -، فجاء هذا البيان تبياناً لمكانة هذا الإمام العظيم والصحابي الجليل، ويكفيه عن ذلك كله، أنه ممن رضي الله عنه، واختاره الله لصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم -، كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها

(1) أخرجه أحمد في المسند(583/45) رقم (27609) بلفظ (لحم أخيه) والطبراني في المعجم الكبير(105/24) والبيهقي في شعب الإيمان (105/10) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1071/2) برقم (6240).

(2) سيرالأعلام (614/2) ترجمة رقم 126.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ". (1)

وبهذا النهج تحفظ مكانة العلماء لأن الطعن فيهم طعن فيما نقلوه لنا من الشرع المطهر فتأكد حفظ مكانتهم وتقديس منزلتهم لتقديس نصوص الوحي لها.

ثالثاً: بيان محاسن العلماء لتلقي الطلاب عنهم:

من العدل والإنصاف بيان محاسن العالم لينتشر علمه ويؤخذ عنه، ففي ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي يقول الذهبي - رحمه الله -: «وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر - نسأل الله العفو - .»

ومع هذا، فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يُعْفَر له زلله، ولا نضلله ونطرحة وننسى محاسنه، نعم، ولا نفتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك». (2)

ويؤيد هذا قوله تعالى: **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [المائدة:8].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مؤكداً منهج أهل السنة في هذه المسألة: "ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجهه ويغض من وجهه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم". (3)

ثالثاً: الثناء على أهل العلم بالتقوى والعبودية:

لا يمدح العالم بتلبسه بالبدع والانخراط في حبائل الأهواء، وإنما يُثنى عليه بما اتصف به من العبودية والتقوى والخوف من الله، ففي ترجمة السمان: «وكان يقال في مدحه: إنه ما شاهد مثل نفسه، كان تاريخ الزمان

(1) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (947/2)..

(2) سير الأعلام (271/5 - 273) ترجمة رقم 132.

(3) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (543/4-544).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وشيخ الإسلام. قلت: وذكر أشياء في وصفه، وأتى يوصف من قد اعتزل وابتدع، وبالكتاب والسنة فقل ما انتفع؟ فهذا عبرة، والتوفيق فمن الله وحده...»⁽¹⁾.

فهذا دليل على دور هذه القيمة التربوية في نشر العلم والأخذ عنهم فهم مصايح الدجى وأئمة الهدى، ولا يمكن لطلاب العلم معرفة العالم الناصح من غيره مالم ننصف مع العلماء الريانيين ونبين محاسنهم وتصلعهم في العلم.

المطلب الثاني: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

يظهر دور هذه القيمة عند الدعاة الملتزمين بها منهجاً وسلوكاً في النقاط التالية:

أولاً: تأييد الحكام والملوك للدعوة:

لا يمكن لأي دعوة أن تنتشر بقوة مالم يكن لها سلطان يؤازرها ودولة تحميها وتقف في صفها، والحاكم المسلم الذي اتصف بالعدل والإنصاف هو نعمة ومنة من الله على أهل العلم والدعوة، وقد كثر الحيف والتفريط في الحكم على ولاة أمر المسلمين منذ عهد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يومنا هذا. وما زالت أفكار أهل الضلال تقذف بالسب والزُعماف سباً وتنقصاً وتكفيراً لولاة الأمور، بل وصل ببعض الطوائف أن تعدت عليهم بالقتل والخروج وتأليب العامة عليهم، فانتشرت الفوضى وعم البلاء.

ومنهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع ولاة الأمور والحكام من المسلمين واضح ومعروف لدى من لديه بصيرة من علم، وهو منهج الإنصاف والحق في الحكم عليهم، سواءً في حياتهم أو بعد مماتهم.

ففي ترجمة معاوية - رضي الله عنه - يقول الذهبي - رحمه الله -: «قلت: حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك.

وإن كان غيره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيراً منه بكثير، وأفضل، وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور، والله الموعود... ومعاوية: من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببريء من الهنات - والله يعفو عنه -»⁽²⁾.

وفي ترجمة يزيد بن معاوية قال الذهبي - رحمه الله -: «ويزيد ممن لا نسبه ولا نجه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه، وإنما عظم الخطب، لكونه ولي بعد وفاة النبي -

(1) سير الأعلام (58/18) ترجمة رقم 26.

(2) سير الأعلام (132/3 - 159) ترجمة رقم 25.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

صلى الله عليه وسلم - بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه، ومن أبيه، وجدته»⁽¹⁾.

فهذا الإنصاف يُظهر لنا وضوح المنهج عند السلف، والعدل في الأحكام، وسلامة صدورهم على من مضى، وإيكال أمرهم إلى الله، فما أعظم الإنصاف!.

ومهما يكن من شئ فبيان حسنات الحاكم وما قدمه للأمة من إنجازات ولو كان فيه ظلماً فهذا هو الإنصاف وبه تنتشر الدعوة والخير ويعم الأمن والطمأنينة في البلاد.

وهذا النهج في الإنصاف مع الأمراء هو ما كان عليه الصحابة - رضي الله عنهم - في التعامل مع أمراء زمانهم، فعن عبد الرحمن بن شماس، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعي الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول في بيتي هذا: «اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به»⁽²⁾.

ثانياً: الألفة والاجتماع بين المسلمين:

الإنصاف والعدل مع المذاهب الإسلامية له دور كبير في نشر الدعوة إلى الله حيث تجتمع القلوب وتتوحد صفوف أهل التوحيد والملة ، بينما الظلم الشنيع في ذكر المساوي وعدم ذكر المحاسن وما قدمته المذاهب الفقهية للأمة من إنجازات يؤخر الدعوة ويترتب عليه انحسارها في صقع دون الآخر.

وقد جاء المثل على هذا النوع في كتاب السير بالإنصاف والعدل مع الظاهرية - أتباع داود الظاهري - ففي ترجمة داود بن علي الظاهري، يقول الذهبي - رحمه الله - : «قلت: للعلماء قولان في الاعتداد، بخلاف داود وأتباعه: فمن اعتد بخلافهم، قال: ما اعتدادنا بخلافهم لأن مفرداتهم حجة، بل لتحكى في الجملة، وبعضها سائغ، وبعضها قوي، وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي، ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حيز العوام، أو هم كالشيعة في الفروع، ولا نلتفت إلى أقوالهم، ولا نصب معهم الخلاف، ولا

(1) سير الأعلام (36/4 - 38) ترجمة رقم 8.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (1458/3) رقم (1828).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يعتنى بتحصيل كتبهم، ولا ندل مستفتياً من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين، أدبناهم، وعزرتناهم، وألزمناهم بالغسل جزءاً⁽¹⁾.

ومن الإنصاف مع المخالفين من أهل السنة اتباع هذا المنهج:

- 1- أن الجماعة لا تهدر ويغبط حقها بسبب خطأ فرد من أفرادها.
- 2- قبل الحكم على الجماعة لا بد من التثبت من أخطائهم لمناصحتهم فيها.
- 3- لا يجوز تكفير جماعة من المسلمين مالم يتيقن وقوعهم في الشرك، فدخولهم الإسلام بيقين فلا يخرجون منه إلا بيقين.
- 4- التحذير من أخطاء الجماعة المسلمة، وبيان ماتحويه كتبهم من أخطاء، هذا نصح للأمة، وإنصاف للجماعة.
- 5- إذا خالفت الجماعة نصاً شرعياً متفق على الاستدلال به، فإنه يبين لها الحق وتلزم به، والحق أحق أن يُسبَح.

وقال المعلمي - رحمه الله -:"وبالجملة فأسلافنا على ثلاث طبقات:

1. من وضع لنا اعتصامه بالكتاب والسنة، فهؤلاء الذين نتولاهم.
2. من وضع لنا تهاونه بالكتاب والسنة، فعلينا أن نتبرأ منهم.
3. قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يعفو عنهم ويعذرهم وعلينا أن نحمدهم فيما أصابوا فيه ونبرأ مما أخطؤوا فيه والله المستعان"⁽²⁾.

وهذه الإشارات التربوية يحسن التخلق بها وجعلها منهج حياة للداعية وطالب العلم كي تبلغ الدعوة الآفاق ويكتب الله لها القبول والانتشار والمؤازرة من المخلصين وأهل الصدق والتقوى.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فهذا البحث المختصر حول موضوع من الأهمية بمكان وقد خلصت لعدة نتائج هي:

أولاً: - النتائج:

(1) سير الأعلام (13/104_105) ترجمة رقم 55.

(2) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المعلمي (2/329).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 1 - إبراز عدة فواعد عدلية منصفة في التعامل مع الآخرين يحسن بالداعية وطالب العلم التخلق بها.
- 2- أن قيمة العدل والإنصاف من أهم وسائل نشر العلم والدعوة.
- 3- أن أعظم وسيلة في ترسيخ القيم التربوية هي إيجاد نماذج حية للأجيال المسلمة يمكنهم الاقتداء بهم.

ثانياً: التوصيات:

وبعد هذه النتائج للبحث فإني أوصي بعدة توصيات:

- 1 - أن يعطى هذا الموضوع عناية فائقة في ظل التغيرات الجديدة في التربية والتعليم.
 - 2 - الاهتمام الأمثل بالتقنيات الحديثة لإيصال مثل هذه القيم لجميع فئات المجتمع.
- وختاماً إن كان من قصور في هذا البحث فهو من طبيعتي البشرية، وإن كنت هديت للصواب فهو محض توفيق رباني عسى الله أن يوزعني شكر نعمته، وهو ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

المصادر والمراجع:

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان)، محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ.
- الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي، ط 2، عام 1399 هـ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1419 هـ.
- أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله يحي السريحي، دار ابن حزم، لبنان، ط 1، 1989 م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1410 هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه - صحيح البخاري - محمد إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الاستقامة، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط 1، 1403 هـ.
- الاعتصام، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1429 هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1418 هـ.
- الرائد في اللغة، جبران مسعود، مكتبة لبنان، بيروت، 1986 م.
- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً علمياً، عبدالله الطريقي وآخرون، ط 1، 1417 هـ.
- القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع، دار الفضيلة، ط 1، 1426 هـ .
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع: 1990م.
- التعريفات ، علي محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1 ، 1983 م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1420 هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1420 هـ.
- جامعات تحت الحصار، د سعيد إسماعيل، دار عالم الكتب، القاهرة، 2008 م،
- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1414 هـ - 1994 م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2، 1384 هـ.د الحديث، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، بيروت، ط 1، 1430 هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة، بيروت، ط 1، 1430 هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة الطبع : 1998م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1421 هـ.
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1422 هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد، مكتبة الرشد، السعودية، ط 1 ، 1413 هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ- 1987م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: نائف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 8، 1426هـ - 2005م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414 هـ.
- مجموع الفتاوى، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1416 هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2 .
- منهاج السنة النبوية، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط 1 ، 1406 هـ، 1986 م.
- التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 2 ، 1406 هـ، 1986 م.

البناء القيمي و التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي

ذة.زواني نزيهة / د.وندلوس نسيمه نسيمه

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة مولود معمري تيزي وزو / الجزائر

ملخص البحث:

هدفت الدراسة التعرف على مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، و الفروق الموجودة في مستوى التوافق النفسي حسب الجنس و الحوار الأسري . كما هدفت إلى التعرف على القيم السائدة لدى هؤلاء المراهقين و الفروق الموجودة في القيم حسب الجنس، الحوار الأسري و مدة استخدام هذه المواقع. لتحقيق هذه الأهداف تم إتباع المنهج الوصفي و تطبيق مقياس القيم الفارقة ل Prince الذي يقيس القيم التقليدية و العصرية و مقياس التوافق النفسي للشناوي و عباس (2014) على عينة تكونت من 203 مراهق و مراهقة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي . أسفرت النتائج على وجود مستوى متوسط للتوافق النفسي مع إتباع المراهقين للقيم التقليدية و بالدرجة الأولى قيمة أخلاقيات النجاح في العمل. توصلت أيضا إلى وجود فروق بين الذكور والإناث في التوافق الشخصي لصالح الذكور و التوافق الأكاديمي لصالح الإناث و عدم وجود هذه الفروق في التوافق الأسري و الاجتماعي و التوافق النفسي بشكل عام. ضف إلى ذلك، هناك فروق بين الجنسين دالة فقط في قيمة الاهتمام بالمستقبل لصالح الذكور، و لا توجد فروق في القيم السائدة حسب الحوار الأسري و مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، التوافق النفسي، القيم، الحوار الأسري .

مقدمة:

لقد أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، نقلة نوعية وثورة حقيقية في عالم الاتصال، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في أرجاء المعمورة كافة، وربطت أجزاء هذا العالم المترامية بفضائها الواسع، ومهدت الطريق للمجتمعات كافة للتقارب والتعارف، وتبادل الآراء والأفكار والرغبات، واستفاد كل متصفح لهذه الشبكة من الوسائل المتعددة المتاحة فيها، و أكدت الدراسات الحديثة هذا المعنى، فقد أشارت دراسة المهوس (2009) نقلا عن الطيار (2014) إلى أن أهم النتائج المترتبة على هذه التقنية فتح مجالات خصبة من التواصل المعلوماتي، وظهر لدى الفرد مفهوم القرية الكونية الصغيرة التي تختفي فيها عناصر الزمان والمكان والمسافات والحدود، لتحديث مواقع التواصل الاجتماعي بذلك نقلة نوعية في العلاقات

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والتفاعلات الاجتماعية، إذ ساعدت الأفراد في تلبية احتياجاتهم المختلفة للاتصال بالآخرين، الحصول على المعلومات، وتكوين الصداقات والعلاقات... وما إلى ذلك بعيداً عن الاتصال المباشر بالعالم الخارجي.

ولقد وجدت كل الفئات العمرية ضالتها في شبكات التواصل الاجتماعي، وخير دليل على ذلك زيادة مرتادي تلك الشبكات، فقد ترتب على انتشار شبكات التواصل الاجتماعي تزايداً مطرداً في استخدامها حتى وصل عدد المستخدمين حوالي 04 ملايين، وهو ما بينه التقرير العالمي سنة 2012 حيث أشار إلى أن الجزائر تحتل الترتيب الرابع عربياً بعد كل من مصر و السعودية و المغرب. و خلال فترة لم تتجاوز اربعة سنوات تضاعف عدد المستخدمين لهذه الوسائط، حيث كشف التقرير الصادر عن الموقع الرسمي للفيسبوك ان عدد مستخدميه في إفريقيا يقارب 127 مليون مستخدم منها 27% في المغرب العربي. وحسب الدول الإفريقية فإن مصر هي الأولى بـ 27.9 مليون مستخدم تليها الجزائر بـ 12.1 مليون مستخدم، ثم المغرب و تونس (يطو و بن شهيدة، 2018) و أمام هذا الارتفاع في نسبة مستخدمي هذه الوسائط التكنولوجية، وجد الباحثون أنفسهم يتابعون مستجدات العصر ومواكبة لأهم التطورات التي تمس المجتمع في كافة جوانبه، فوجهت مجهوداتهم للكشف عن ايجابيات وسلبيات هذه الشبكات، وإبراز مدى تأثيراتها على حياة الأفراد خاصة لدى فئة الشباب الجامعيين التي كانت مستهدفة بشكل كبير على سبيل المثال دراسات (أبوصعيليك و الزبون، 2013؛ أبو عاذرة، 2017) و دراسات (الخولي، 2013، الديبسي و الطاهات، 2013؛ الشهري، 2014؛ الصويان، 2014؛ العتيبي و الراشدي، 2013؛ القدومي، 2012؛ المفوز، 2011) المشار إليها في دراسة الزبون و آخرون (2017).

وتعد القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة، إذ يرى البعض أن مواقع التواصل الاجتماعي الإلكتروني باتت تسيطر في الآونة الأخيرة على أوقات وأفكار الشباب و بالتالي اثرت على العلاقات الاجتماعية وصلة الرحم بشكل سلبي، أما البعض الآخر فيرى ان استخداماتها مفيدة كالتعرف على عادات وحضارات وثقافات الشعوب الاخرى.

ونظرا لكون القيم محددًا هامًا من محددات السلوك الانساني، فقد كان من الضروري إخضاع المنظومة القيمية للشباب للملاحظة، المتابعة و الوقوف على مدى تأثيرها بشبكات التواصل الاجتماعي سلباً أو إيجاباً، وهو ما استهدفته العديد من الدراسات التربوية، النفسية والاجتماعية، كدراسة محمود (2012) نقلا عن الزبون و آخرون (2017) التي كشفت عن جملة من التأثيرات السلبية والايجابية التي طالت المنظومة القيمية لدى الشباب الجامعي المصري. تمثلت التأثيرات السلبية بمساهمة شبكات التواصل الاجتماعي بتزييف وعيهم بقيمة الانتماء للوطن، وتدني قيمة الوقت لديهم، وتجاهلهم للمحافظة على الممتلكات العامة، وتدني ثقفتهم بقيمة المساواة في المجتمع، وضعف تمسكهم بالتقاليد والعادات الاجتماعية، وتقليد الموضات الأجنبية، واضعاف الروابط الأسرية، وانهيار العلاقات الاجتماعية، وتدني ثقفتهم بالمنتج الوطني وغيرها من السلبيات التي أصابت قيم الشباب الجامعي في المجتمع المصري. وأشارت الدراسة أيضا إلى الأثر الايجابي لشبكات التواصل الاجتماعي المتمثل في تعزيز

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى الشباب، ودورها في تكريس قيمة التعاون ومساعدة الآخرين، وأهميتها في احترام الأفراد للنظام العام.

ونفت نتائج دراسة الشارخ (2012) أن يكون لوسائل التواصل الاجتماعي أثر سلبي، كأن تكون بديلاً عن التواصل العائلي لدى الطلبة السعوديين الدارسين في جامعة الدمام، بمعنى أن دورها في إضعاف العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية ضعيف، وذلك لأن للسعوديين صلات القربى وقوة روابطهم العائلية، بالإضافة إلى أن التقاليد السعودية تحول دون ذلك. أثبتت نتائج دراسته أيضاً عدم احتمالية ظهور فجوة محتملة بين الشباب والمجتمع من جراء استخدامهم شبكات التواصل الاجتماعي لأن الدعم الذي يتلقونه من عائلاتهم كافٍ لتقوية علاقاتهم الاجتماعية العائلية.

و لم تكن هاتين الدراستين الواحدتين اللتان اهتمتا بموضوع القيم و مدى تأثيرها باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، بل ظهرت على الساحة العلمية دراسات أخرى كدراسات (لخوالدة، 2014 نقلا عن النيرب، 2016؛ الزبون و آخرون، 2017؛ الطيار، 2014؛ النيرب، 2016؛ مصطفى و آخرون، 2017) و التي توصلت في معظمها إلى ارتفاع الأنساق القيمية المتمثلة في القيم الدينية و القيم السياسية و العملية، أما القيم الاقتصادية و الاجتماعية فكانت بدرجة متوسطة.

تعرف القيم في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات واقعين مختلفين قيم تقليدية أصيلة تمثلها مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة والمساجد، وقيم حداثة ترعاها وسائل الاعلام والاتصال أو الشبكات الاجتماعية.

و لقد تبين من عملية استعراض الأدبيات في البيئة الجزائرية اهتمام بعض التخصصات (علم الاجتماع، الإعلام و الاتصال، العلوم السياسية و علم نفس) بالعواقب المترتبة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كدراسات (نومار، 2012؛ جيدور، 2017؛ هتهات، 2014).

كما تم التوصل أيضا إلى بعض الدراسات التي اهتمت بالنسق القيمي أو المنظومة القيمية بما في ذلك النسق القيمي لدى المراهقين في المرحلة الثانوية. و قد اختلفت أهداف الباحثين في تناول هذا الموضوع، إذ هناك من اهتم بالتعرف على النسق القيمي لدى مختلف الشرائح العمرية و المكانة الاجتماعية (صوكو، 2009؛ سوفي، 2018؛ سي محمد، 2013، عايد، 2017؛) أو من حيث علاقتها ببعض المتغيرات كالطموح الدراسي و المتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية للأسرة (حشلافي و إبراهيم، 2016) و القدرة على التفكير الابتكاري (الزقاي، 2001). أما في علاقتها مع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، فلم يتم الوصول - في حدود البحث - إلا لثلاث دراسات و هي للباحثين يطو و بن شهيدة (2018) التي هدفت التعرف على حجم استخدام المراهقين لمواقع التواصل الاجتماعي و ما يمكن أن تفرزه على الممارسة و القيمة الاجتماعية و الهوية الثقافية. و دراستي الباحث (بومدين، 2010، 2017) الذي اهتم بدراسة العلاقة بين البناء القيمي و استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى فئات عمرية مختلفة أو تأثير هذه الأخيرة على القيم السائدة لدى مستخدميها.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هذا من جهة، و من جهة ثانية، هناك من يرى أن المجتمع الافتراضي الذي توجده مواقع التواصل الاجتماعي تمثل مجتمعا سلبيا يفقد الشخص القدرة على التفاعل والتعامل مع واقع الحياة الاجتماعية ومع الناس من حوله، مما يؤدي إلى تدني مستويات التوافق النفسي لدى المستخدم، إلا أنه قد يكون لها حسب البعض أثر إيجابي على الجوانب الاجتماعية، فالأفراد في هذه المواقع قد يوجدون مجتمعات افتراضية تحقق الترابط والتواصل الاجتماعي بناء على اهتماماتهم وأفكارهم واتجاهاتهم ، كما بينته دراسة Mecheel (2010) نقلا عن الشناوي و عباس(2014) حيث أوضحت أن مواقع التواصل الاجتماعي غيرت أنماط حياة المراهقين، وطريقة تواصلهم الاجتماعي مع مجتمعاتهم الافتراضية والحقيقية.

وكون التوافق النفسي من بين المفاهيم التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بمرحلة المراهقة فقد عمد الباحثون سواء على المستوى العربي أو المحلي إلى دراسته من خلال علاقته ببعض المتغيرات كالوعي الذاتي (الخالدي، 2014) الخبرات الصادمة و استراتيجيات المواجهة(عوض، 2017) إدمان الأنترنت (العصيمي، 2010) إستخدام شبكة التواصل الاجتماعي(شناوي و عباس، 2014) تشكل هوية الأنا و مفهوم الذات (عسيري، 2003) الاتجاهات نحو المدرسة (معاش، 2013)

و في علاقته مع النسق القيمي لم يتم التوصل في البيئة المحلية -في حدود البحث- إلا لدراسة واحدة و هي للباحثة شرقي (2017) التي أجرتها على المراهقين في المرحلة المتوسطة و الثانوية غير مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي. توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود اختلاف ترتيب القيم بين طلبة المرحلة المتوسطة والثانوية، كما أثبتت وجود علاقة ارتباطية موجبة بين القيم (الدينية، النظرية، الاجتماعية) وعدم وجود علاقة دالة بين القيم (الاقتصادية، السياسية، الجمالية) والتوافق النفسي الاجتماعي، وأثبتت عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في القيم (الدينية، النظرية) ووجود فروق في القيم (الاجتماعية والجمالية) لصالح الإناث، والقيم الاقتصادية والسياسية) لصالح الذكور. كما تم إيجاد فروق دالة إحصائية بين طلبة المتوسطة والثانوية في القيم (الدينية، النظرية، السياسية، الجمالية) لصالح طلبة المتوسطة، وعدم وجود فروق في القيم (الاجتماعية، الاقتصادية). و أثبتت وجود فروق بين الذكور والإناث في التوافق النفسي الاجتماعي لصالح الإناث، وعدم وجود فروق دالة في التوافق النفسي والاجتماعي بين طلبة المتوسطة والثانوية. أظهرت النتائج أيضا أن ترتيب القيم لدى ذوي التوافق النفسي الاجتماعي المرتفع ظهر كما يلي: الدينية، الاجتماعية، النظرية، الاقتصادية، السياسية و أخيرا الجمالية، ولدى ذوي التوافق النفسي الاجتماعي المنخفض كما يلي: الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، النظرية، السياسية و الجمالية.

يستخلص مما سبق وجود نوع من التضارب في النتائج بخصوص تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على البناء القيمي لمستخدميه. ضف إلى ذلك، ندره مثل هذه الأبحاث في البيئة العربية و الجزائرية بالخصوص مع فئة المراهقين، و غياب- في حدود البحث الحالي- دراسات تناولت البناء القيمي و التوافق النفسي لدى المراهقين في المرحلة الثانوية مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي. انطلاقا مما سبق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لملا هذه الفجوة العلمية و التعرف على مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي و

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التعرف على البناء القيمي أو بمعنى آخر القيم السائدة لديهم هل هي القيم التقليدية أو العصرية و ذلك على ضوء بعض المتغيرات. وقد تبلورت فكرة الدراسة في التساؤلات التالية:

ما مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي؟ ما هي القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي؟ هل هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للجنس و الحوار الأسري؟ هل هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للجنس، الحوار الأسري و مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي؟ استنادا للأسئلة المطروحة تمت صياغة الفرضيات التالية:

- فرضيات الدراسة

- هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للجنس .
- هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للحوار الأسري.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للجنس.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للحوار الأسري.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى لمدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

- أهمية الدراسة

تتجلى الأهمية النظرية للبحث في محاولة معرفة النسق القيمي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي وترتيب هذه الأنساق ومدى الاختلاف أو الاتفاق أو التقارب في نسق القيم عند عينة البحث، من أجل التنبؤ بسلوك المراهق وتفسير الاختلاف في السلوك وذلك من أجل التوجه نحو الناحية التطبيقية لغرض إعداد البرامج و الخطط أو تغييرها عبر الوسائل والقنوات المختلفة. كما تكمن أهمية البحث في كونه يطرح قضية لا طالما كانت محل نقاشات ألا وهي الحوار الأسري و دوره في تعزيز أو دعم القيم السائدة.

- المفاهيم الإجرائية للدراسة

- **للبناء القيمي**: يقصد به في هذه الدراسة الترتيب الذي تتخذه القيم فيما بينها من خلال النتيجة التي يحصل عليها المراهق في مقياس القيم الفارقة.
- **التوافق النفسي**: هي الدرجات المتحصل عليها من طرف المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على مقياس التوافق النفسي للشناوي و عباس(2014)

- الإطار النظري لدراسة

- القيم

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ظل موضوع القيم بعيدا عن مجال الدراسات النفسية لفترة من الزمن، حيث كان لدى علماء النفس اعتقاد بأن دراسة الأحكام القيمية تقع خارج نطاق البحوث الإمبريقية، كما أنها لا تخضع للقياس وينظر إليها على أنها بمثابة قوى عميقة لا تخضع للمعالجة التجريبية المعملية (خليفة، 1992).

نقلا عن شرقي (2017) يرجع الفضل في دراسة القيم من الناحية النفسية أولا إلى السيكولوجي الألماني Springer الذي قدم عام 1928 كتابا بعنوان "Types of men" بين فيه أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط تبعا لسيادة واحدة من القيم التالية: النظرية، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الجمالية والدينية. وثانيا إلى السيكولوجي الأمريكي Thurstone الذي نشر عام 1954 مقالا بعنوان "قياس القيم: منظور سيكولوجي"، قدم فيه تصوورا لمعالجة القيم في إطار البحث العلمي النفسي، ثم توالى بعد ذلك بحوث لدراسة القيم وخاصة ضمن علم النفس الاجتماعي. فأصبح موضوع القيم جزءا من اهتمامات علماء النفس الاجتماعي مثل (Feertchack، 1996؛ Fischer، 1990؛ Schwartz، 1994؛ Wach و Hammer، 2003).

حسب أمين الحق محمد (2017) نقلا عن الحازمي (2017) تعد القيم من وجهة نظر التربويين هي المعايير الموجهة لحياة الفرد و سلوكه، فهي الأساس في الدافعية و السلوك، ففقدان القيم أو ضياعها أو عدم تعرفها يجعل الفرد يندمج في أعمال عشوائية يسيطر عليه الإحباط التام لعدم إدراك جدوى ما تقوم به من أفعال.

رأى يوسف عبد الفتاح (1990) أن القيم ظاهرة دينامية متطورة، لذلك لا بد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه و الحكم عليها حكما موقفيا و ذلك بنسبتها إلى المعايير التي يضعها المجتمع في زمن معين و بإرجاعها إلى الظروف المحيطة بثقافة المجتمع. و عرف Sagiv و Scgwartz (1995) القيم على أنها أهداف مرغوبة تتباين في أهميتها، و تفيد كمبادئ توجيهية في حياة الإنسان (السيد، 2005)

و تعتبر القيم ضرورة هامة يلجأ إليها الفرد للحكم على أشياء ما و يتضح هذا في تعريف أبو جادو (1998) عندما رأى أنها إهتمام أو إختيار و تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شي ما مهتديا بمجموعة من المبادئ و المعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، و الذي يحدد المرغوب فيه و المرغوب عنه.

تشكل القيم لدى الفرد في منظومة أو نظام تعلوه القيم التي تتصدر الأهمية لدى الفرد - حسب الأولوية أحيانا - أي أن القيم تندرج في سلم شخصي يميز كل فرد عن غيره أي أن لكل فرد نسقه القيمي الخاص به، الذي يشكل من تجاربه وخبراته الذاتية، عن الأشياء والأشخاص والمواضيع والأفكار (سي محمد، 2013).

وتكتسب القيم حسب البطش (1990) المشار إليه في دراسة الزبون و آخرون (2017) أهمية خاصة لدورها الفاعل في توجيه ميول الأفراد واهتماماتهم نحو أيديولوجية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر الفرد عن نفسه، وهي التي تساعده على التبرير المنطقي للسلوكات والاعتقادات والاتجاهات والتصورات غير المقبولة اجتماعيًا. و تلعب القيم أيضا دور في مجال الوقاية، وذلك سواء فيما يتعلق

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بالوقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، أم الوقاية من بعض المشكلات الخطيرة كمشكلة تعاطي المخدرات. و أوضحت نتائج الدراسات أن الحياة المستقرة في ظل القيم الدينية والأخلاقية كانت أحد العوامل الهامة في وقاية الأفراد من الإصابة بالأمراض النفسية حيث كان الدين عاملاً هاماً في مساعدتهم على التكيف (بوعطيط، 2012). كما تحفظ القيم للجماعة روحها وتماسكها داخل أهدافها التي ارتضتها لنفسها وهي تساعد المجتمع بأفراده وجماعاته المختلفة على التمسك بمبادئ ثابتة ومستقرة تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومستقرة (مرسي عبد العليم، 2001).

و نظراً لأهميته اهتم عدد من الباحثين عملية بناء و تطوير القيم، إذ عليها تعقد الكثير من الآمال لتحقيق طموحات وآمال المجتمع. و تعتبر دراسة خليفة (1992) عن "ارتقاء نسق القيم من الطفولة إلى المراهقة لدى تلاميذ المدارس الحكومية بمصر"، من أبرز الدراسات التي هدفت استكشاف الأشكال أو المظاهر التي تتبلور من خلالها هذه القيمة و التغيير الذي يطرأ عليها من مرحلة لأخرى بشكل يفصح عن مسار نموها و ارتقائها عبر العمر . من بين النتائج المتوصل إليها عن طريق إتباع الأسلوب العرضي ، أن مرحلة المراهقة المتأخرة تعرف إرتقاء نسق القيم، إذ يتجه نحو المزيد من التكامل بظهور نسق قيمي يستوعب معظم المظاهر الفرعية للقيم (الإنجاز، المساواة، الصدق، الأمانة و العدالة) . كما تميزت بظهور عامل توجه نحو الآخرين و إقامة علاقة معهم. كان الذكور أكثر توجهها نحو الاستقلال و التفرد، في حين أن الإناث أكثر توجهها نحو التفاعل مع الأصدقاء ، و تميزت الإناث أيضاً بالتوجه الديني.

وتتنوع القيم لتشمل القيم الاجتماعية التي تهتم بالفرد وميله نحو المجتمع والتضحية من أجله والعمل على تحقيق السعادة للآخرين، والقيم الأخلاقية التي تعبر عن خلق الفرد وطبعه في تعامله مع الآخرين في المجتمع الذي ينتمي إليه، والقيم الاقتصادية التي تشير إلى اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع ومفيد والاهتمام بزيادة الإنتاج وعمليات التسويق واستثمار الأموال. أما الجمالية فهي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق، والنظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير لتكوينه وتنسيقه وانسجامه وتوافقه الشكلي (الزبون و آخرون، 2017).

بين كل من (الجماعي، 2010؛ راتب، 2005) المشار إليهما في دراسة مصطفى و آخرون (2017) أن الشباب قد يجد نفسه أمام نوعين من القيم: قيم تقليدية ورثها عن الثقافة السائدة، وقيم جديدة تفد إليه من التطور الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي ومن ثم فإنه لا يبقى أمام الشباب سوى احد الخيارين : اما ان يثور على القديم، وأما أن يتقبل القديم تحت ضغوط العرف والتقاليد وعوامل التربية ويؤدي ذلك في النهاية الى توليد الصراع بداخله بين ما هو تقليدي وما هو جديد. فعدم تأصيل القيم السليمة لدى الافراد والتناقض بين قيم الفرد وما يجده في المجتمع المحيط به يعتبران عاملين رئيسيين في ظهور الشخصية غير السوية التي من ابرز ملامحها عدم التوافق الشخصي وكذلك عدم التوافق مع الآخرين.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

نقلا عن (بوعطيط، 2012) تحتوي القيم على ثلاثة عناصر لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى لأنها تندمج وتتداخل لتعبر في النهاية عن وحدة الإنسان والسلوك، فهي يحتوي على ثلاثة عناصر مثلها مثل الاتجاهات والمعتقدات وهي:

- **المكون المعرفي**: يتضمن إدراك موضوع القيمة وتمييزه عن طريق العقل أو التفكير ومن حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة والتقدير، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن القيمة، أو بمعنى آخر وضع أحد موضوعات التفكير على بعد أو أكثر من أبعاد الحكم.

- **المكون الوجداني**: ويشمل الانفعالات و المشاعر و الأحاسيس الداخلية، وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة، ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز بها، وفي هذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ.

- **المكون السلوكي**: تظهر في هذا الجانب القيمة، فالقيمة هنا تترجم إلى سلوك ظاهري، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي، والقيم بناء على هذا التصور تقف كمتغير وسيط أو كمعيار مرشد للسلوك أو الفعل.

و لقد أشار العديد من الباحثين (التابعي، 1999؛ المعايطه، 2000؛ زهران، 1985؛ محمد شفيق، 1997؛ مرعي، 1984؛ Golfin، 1972) نقلا عن شرقي (2017) أن القيم تتصف بمجموعة من الخصائص. الثبات، إلا أن ثباتها نسبي فهي قابلة للتغير، فكثيرا ما يتفكك النسق القيمي و يعاد ترتيبه من جديد. و تتميز أيضا بالهرمية، أي أن قيم كل فرد تكون مرتبة تنازليا طبقا لأهميتها له من الأهم فالمهم، حيث تسود لدى كل فرد القيم الأكثر أهمية بالنسبة له. ضف إلى ذلك، تنبثق من خلال التطبيع الاجتماعي، فهي تصور اجتماعي الذي يتحدد من خلال معايير المجتمع.

و ترتبط القيم بالأفكار و المبادئ و الاتجاهات المقبولة في المجتمع و من ثم فهي توضح الطرق و الوسائل المختلفة التي يجب أن يسلك في ضوءها الإنسان حتى يحقق أهدافه، كما تعبر عن خصائص حضارية، ففي كل فترة زمنية هناك تصور كامل للقيم و لما هو مقبول و ما هو مرفوض و هي تتضمن خصائص تنبع من الحضارة التي يعيش فيها الفرد. وحسب أبو جادو (1998) القيمة ذات قطبين في الجملة: فهي إما هذا الوجود أو ذاك، إنها حق أو باطل، خير أو شر.

تعتبر القيم ذات أهمية لتحقيق الصحة النفسية للأفراد وتوافقهم مع ذواتهم ومع المحيط الذي يعيشون فيه، وذلك لأن القيم مرتبطة بذات الفرد وتشكل وجهة نظره للحياة وطريقته في التعامل الاجتماعي، وتعبر عن تفضيلاته وسلوكياته داخل الجماعة ومن ثم فهي تساهم في تحقيق التكيف النفسي، كما أن القيم تحدد المعايير الاجتماعية أو ما هو مقبول أو مرفوض في مجتمع معين وثقافة معينة فتشكل سلوك الفرد وتعامله الاجتماعي مما يؤثر في توافقه النفسي والاجتماعي، ويؤدي الصراع القيمي أو عدم اتساق القيم لدى الفرد إلى حدوث اضطرابات في الشخصية وسوء التوافق، فالمضطربين النفسيين مثلا غالبا ما نجدهم مُعادين لقيم المجتمع ويرفضون الانصياع لها

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ويظهرون عدائية اتجاه القيم وخصوصا الخلقية والاجتماعية منها، مما يؤدي بهم إلى الإحساس بعدم الانتماء للمجتمع، لهذا يكون تعديل القيم واحداً من وسائل وأساليب العلاج النفسي.

في هذا السياق أشارت دراسة الجموعي (2013) عن القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الطالب الجامعي على عينة مكونة من 502 طالبا من طلبة السنة الثانية والسنة الثالثة بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة الوادي أن القيم الاجتماعية ترتبط ارتباطا موجبا بالتوافق النفسي والاجتماعي بأبعاده (الانفعالي، الصحي، الأسري، أو الاجتماعي) لدى الطالب الجامعي.

– التوافق النفسي

يعتبر موضوع التوافق من المواضيع الأساسية والهامة في علم النفس كما في أغلب الدراسات الإنسانية، فقد كان وما زال محوراً للاهتمام في العديد من الدراسات والأبحاث فهو يعتبر دليلاً ومؤشراً على الصحة النفسية والسلامة من الاضطرابات والمشاكل النفسية، وحيث إن الإنسان يمر بعدة مراحل للنمو في حياته وكل مرحلة تتطلب من الفرد القيام بأدوار اجتماعية ونفسية معينة بدءاً من مرحلة الطفولة المبكرة وانتهاءً بمرحلة الشيخوخة مروراً بمرحلة المراهقة والنضج، وهذا ما يستوجب تعديلاً مستمراً في سلوكه وتغييره ومتطلبات المرحلة ليصل لحالة التوافق التي تمكنه من العيش بسلام داخلي مع نفسه كما هو مع محيطه الاجتماعي وأداء أدواره بكفاءة وفاعلية.

ولقد تعددت التعبيرات والمصطلحات التي ترمي للتعبير عن حالة الصحة النفسية للفرد من ذلك: الاتزان الانفعالي، السواء، العقل السوي، التوافق.. وهذا الأخير هو الأكثر شيوعاً عند المشتغلين بعلم النفس بل هو شائع لدى المشتغلين بالعلوم السلوكية بصفة عامة (الكحلوت، 2011).

ويشير مفهوم التوافق النفسي حسب كفافى (1990) إلى وجود علاقة منسجمة مع البيئة و تتضمن القدرة على إشباع معظم حاجات الفرد و تلبية معظم المطالب البيولوجية و الاجتماعية والتي ينبغي على الفرد تلبيتها و على هذا الأساس فالتوافق يتم بالإشباع في إطار العلاقة المنسجمة مع البيئة. في نفس الصدد، رأى إبراهيم ناصر (2004) بأن التوافق النفسي هو القدرة على استعادة الفرد لاتزانه الداخلي نتيجة إشباعه لدوافعه الداخلية. و بالتالي يشعر بالرضا و ينتج عن ذلك تقبله لذاته و ثقته بها واعتماده عليها.

عرف القريطي (2003) التوافق بأنه اتزان الفرد مع نفسه أو تناغمه مع ذاته بمعنى مقدرته على مواجهة وحسم ما ينشأ داخله من صراعات ويتعرض له من إحباطات، ومدى تحرره من التوتر والقلق الناجم عنها، ونجاحه في التوفيق بين دوافعه ونوازعه المختلفة، ثم انسجام الفرد مع ظروف بيئته المادية والاجتماعية عموماً بما فيها من أشخاص آخرين وعلاقات وعناصر ومجالات وموضوعات وأحداث.

و من مظاهر التوافق النفسي حسب ما رآه كل من ماسلو (1971) و عبد السلام الغفار (1976) نقلاً عن سني (2015) الرضا عن النفس، الشعور بالسعادة و الراحة النفسية من خلال إشباع الحاجات النفسية الأساسية و تحقيق الذات واستقلال القدرات من خلال فهم النفس و التقييم الواقعي الموضوعي للقدرات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

نقلا عن راشد و عيسى علي (2011) يتكون التوافق الشخصي والاجتماعي والدراسي من مجموعو من الأبعاد متمثلة في :

-الرضا عن الذات:

عرف الرضا عن الذات بأنها نظرة الفرد واتجاهه نحو ذاته ومدى تقدير هذه الذات من الجوانب المختلفة كالدور والمركز الأسرى والمهني ، وبقية الأدوار التي يمارسها في مجال العلاقة بالواقع. و الرضا عن الذات هو الثقة بالنفس والرضا عنها واحترام الفرد لذاته وإنجازاته واعتزازه برأيه وبنفسه وتقبله لها واقتناع الفرد بأن لديه من القدرة ما يجعله نداءً للآخرين.

- الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس:

يتحدد مفهوم الثقة بالنفس من فهم الإنسان لذاته فهماً حسناً، لما له من تأثير كبير في سلوكه، والذي يؤدي بالإنسان إلى النجاح والكفاءة في السلوك بما يتفق مع المفهوم الصحيح للذات، والذي ينشأ من تنشئتها الاجتماعية والتربية السليمة وتكوين الخبرات الشخصية في المواقف التي يعيشها في أثناء عملية تنشئته، في جميع مؤسسات تنشئته الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وأماكن احتكاكه بالآخرين.

- النضج الانفعالي والمقدرة على ضبط النفس:

يقصد بالنضج الانفعالي قدرة الفرد على التحكم بانفعالاته ومرونة التصرف والسيطرة في المواقف الصعبة أو المواقف التي تتطلب قدراً كبيراً من التروي. ويذكر الخطيب(2006) أن الشخص حتى يكون قادراً على الاستقلال في التفكير وعلى التوافق على المستوى الشخصي والاجتماعي لابد أن تكون لديه قدرة عالية على ضبط النفس والتحكم في الذات. كما ذهب الدخيل(2002) إلى أن الطلاب الذين يشاركون في النشاط المدرسي يكونون أكثر قدرة على ضبط النفس.

المهارات الاجتماعية:

تكمن المهارات الاجتماعية هي قدرة الفرد على إظهار الأنماط السلوكية والأنشطة المدعمة إيجابياً والتي تعتمد على البيئة، وتفيد في عملية التفاعل الإيجابي مع الآخرين في علاقات اجتماعية متنوعة بأساليب مقبولة اجتماعياً في كل من الجانب الشخصي والاجتماعي، وفي الاعتماد على نفسه في حياته اليومية.

و حسب (Glass و Castles، 1986) المهارات الاجتماعية هي مجموعة من السلوكيات الصريحة مثل التواصل البصري، الإيماءات والاستجابات اللفظية المحددة للمثيرات الاجتماعية.

المقدرة على التفاعل الاجتماعي:

من خلال التفاعل الاجتماعي لأعضاء الجماعة تنشأ نواتج جماعية مثل المعايير، والقيم، والأفكار النمطية... الخ، التي لا تقلل من أنشطة الأفراد ذلك بأنها تندمج وتُنقل إلى الأفراد.

الإجراءات الميدانية للدراسة

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يتناول هذا الجزء من الدراسة الإجراءات المنهجية التي تم إتباعها لتحديد العينة و خصائصها ، الأدوات المطبقة و الأساليب الإحصائية المستعملة لمعالجة المعطيات .

- منهج الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة الحالية استخدام المنهج الوصفي المقارن الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في الواقع كما هي موجودة ، و يهتم بوصفها بدقة و التعبير عنها كميا و كيفيا . كما يسهم في تحديد إذا ما كان هناك فروق بين المتغيرات، و عليه فإن الغرض من استخدام هذا النوع من المناهج البحثية يتمثل في تحديد وجود فروق أو عدم وجودها بين المتغيرات موضوع الدراسة و يتم من خلالها التعرف على علاقة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالتوافق النفسي و القيم السائدة.

عينة الدراسة

- **العينة الإستطلاعية** : تم اللجوء إليها لمعرفة الخصائص السيكومترية لأدوات البحث، و قدر حجم عينة إستطلاعية 120 مراهق و مراهقة متوسط العمري 17.5 سنة.

- **عينة الدراسة الأساسية** : تم اختيار عينة الدراسة عن طريق المعاينة غير الاحتمالية و بالضبط المعاينة العرضية التي تعرف على أنها الطريقة التي تسمح للباحث بسحب عينة من مجتمع البحث حسب ما يليق به و احتمال اختيار عنصر ما بأن يكون ضمن العينة غير معروف و غير محدد مسبقا (أنجرس ، 2004).

و قد تم وضع شرطين أساسيين لاختيار العينة هما: أن يكون أفراد العينة من الجنسين و من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي .

- **حجم العينة**: تتكون العينة من 203 فرد (100ذكر، 103أنثى) تتراوح أعمارهم من 16 إلى 20 سنة بمتوسط عمري (17.19) سنة وانحراف معياري (0.97).

- خصائص العينة:

يتميز أفراد العينة بالخصائص كما هي موضحة في الجداول التالية:

جدول (01) : توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الإجتماعية (الديمغرافية)

| المتغيرات | الجنس | الذكور | | الإناث | | المجموع |
|-----------|------------|--------|-------|--------|-------|---------|
| | | ت | % | ت | % | |
| الحالة | يعيشان معا | 87 | 42,9% | 182 | 46,8% | 89,7% |
| العائلية | منفصلان | 0 | 0,0% | 1 | 0,5% | 0,5% |
| | مطلقان | 1 | 0,5% | 3 | 1,0% | 1,5% |
| | الأب متوفي | 9 | 4,4% | 11 | 1,0% | 5,4% |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|-------|----|-------|----|-------|----|-------------|------------------|
| 3,0% | 6 | 1,5% | 3 | 1,5% | 3 | الأم متوفية | |
| 2,5% | 5 | 1,0% | 2 | 1,5% | 3 | بدون مستوى | المستوى |
| 11,3% | 23 | 8,9% | 18 | 2,5% | 5 | إبتدائي | التعليمي للأب |
| 16,7% | 34 | 7,9% | 16 | 8,9% | 18 | متوسط | |
| 33,5% | 68 | 20,7% | 42 | 12,8% | 26 | ثانوي | |
| 30,0% | 61 | 11,3% | 23 | 18,7% | 38 | جامعي | |
| 9,4% | 19 | 4,4% | 9 | 4,9% | 10 | بدون مستوى | المستوى |
| 10,3% | 21 | 6,9% | 14 | 3,4% | 7 | إبتدائي | التعليمي للأم |
| 14,8% | 30 | 7,9% | 16 | 6,9% | 14 | متوسط | |
| 36,9% | 75 | 17,7% | 36 | 19,2% | 39 | ثانوي | |
| 26,1% | 53 | 12,3% | 25 | 13,8% | 28 | جامعي | |

جدول رقم (02) توزيع أفراد العينة حسب ظروف استخدام مواقع التواصل الإجتماعي

| المتغيرات | الجنس | الذكور | | الإناث | | المجموع |
|---|------------------|--------|-------|--------|-------|---------|
| | | ت | % | ت | % | |
| مدة فتح | سنة و أقل | 8 | 3,9% | 16 | 7,9% | 24 |
| صفحات مواقع التواصل الإجتماعي | من 2 إلى 3 سنوات | 15 | 7,4% | 30 | 14,8% | 45 |
| مكان تصفح صفحات مواقع التواصل الإجتماعي | 4 سنوات و أكثر | 77 | 37,9% | 57 | 28,1% | 134 |
| صفحات مواقع التواصل الإجتماعي | البيت فقط | 36 | 17,7% | 54 | 26,6% | 90 |
| صفحات مواقع التواصل الإجتماعي | الثانوية فقط | 1 | 0,5% | 1 | 0,5% | 2 |
| عدد ساعات | مقاهي الأترنت | 11 | 5,4% | 3 | 1,5% | 14 |
| | كلها معا | 45 | 22,2% | 33 | 16,3% | 78 |
| | البيت و المقاهي | 7 | 3,4% | 1 | 0,5% | 8 |
| | البيت و الثانوية | 0 | 0,0% | 11 | 5,4% | 11 |
| | أقل من ساعتين | 25 | 12,3% | 22 | 10,8% | 47 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|-------|-----|-------|----|-------|----|------------------|-------------------------------|
| 31,5% | 64 | 13,8% | 28 | 17,7% | 36 | من 2 إلى 4 ساعات | تصفح |
| 45,3% | 92 | 26,1% | 53 | 19,2% | 39 | 5 ساعات و أكثر | صفحات مواقع التواصل الاجتماعي |
| 55,2% | 112 | 31,0% | 63 | 24,1% | 49 | مناقشة الأهل | مناقشة الأهل |
| 44,8% | 91 | 19,7% | 40 | 25,1% | 51 | عدم مناقشة الأهل | |
| 23,6% | 48 | 18,7% | 38 | 4,9% | 10 | 50 و أقل | عدد أصدقاء |
| 16,7% | 34 | 10,3% | 21 | 6,4% | 13 | 100 - 51 | مواقع التواصل الاجتماعي |
| 9,4% | 19 | 5,9% | 12 | 3,4% | 7 | 150-101 | |
| 3,4% | 7 | 2,0% | 4 | 1,5% | 3 | 200-151 | |
| 6,4% | 13 | 2,5% | 5 | 3,9% | 8 | 250 - 201 | |
| 40,4% | 82 | 11,3% | 23 | 29,1% | 59 | 251 و أكثر | |

– أدوات الدراسة

تمثلت الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة فيما يلي:

استبيان المعطيات الديموغرافية: تم بناء استبيان أساس توقعاته تنبثق من المعارف النظرية ، يغطي بعض الخصائص الديمغرافية المتعلقة بالمبحوثين . يتكون هذا الإستبيان من 10 أسئلة، الهدف منها التعرف على البيانات الشخصية و العائلية، كما تهدف التعرف على ظروف استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من حيث مدة فتح صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، عدد الساعات و أصدقاء مواقع التواصل الاجتماعي، مكان تصفحها، القيم المكتسبة من هذه المواقع و مدى مناقشة الوالدين محتوى المعلومات المكتسبة من هذه المواقع.

– مقياس القيم الفارقة: وضع هذا المقياس من طرف Prince و أسماء The Differential Values Inventory و نقله جابر عبد الحميد إلى العربية. يتكون المقياس من 64 زوجا من العبارات تدور حول أشياء قد يرى الفرد أن من الواجب عملها أو الشعور بها أو من غير الواجب عملها أو الشعور بها. يتكون كل عنصر من 64 من عبارتين على المجيب أن يختار واحدة منهما، إحداهما تمثل قيمة تقليدية و الأخرى تمثل قيمة عصرية، و يتحدد إتجاه المجيب عن المقياس و غلبة القيم العصرية أو التقليدية بإختياره لـ 64 عبارة تمثل قيمة من بين 128 عبارة. يقوم المقياس على تصنيف القيم إلى نوعين: قيم تقليدية أو أصلية، و قيم منبثقة أو عصرية، و كل نوع منهما يضم فروعاً أربعة هي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- أخلاقيات النجاح في العمل (قيمة تقليدية) مقابل قيم الاستمتاع بالصحة و الأصدقاء(قيمة عصرية).
- الإهتمام بالمستقبل (قيمة تقليدية) مقابل الإستمتاع بالحاضر (قيمة عصرية).
- إستقلال الذات (قيمة تقليدية) مقابل مسايرة الآخرين(قيمة عصرية).
- التشدد في الخلق و الدين (قيمة تقليدية) مقابل النسبية و التساهل(قيمة عصرية).

بعد أن يختار المبحوث عبارة من العبارتين في كل فقرة إما(أ)، (ب) و يضع علامة (+) أمام العبارة المختارة. يصحح المقياس و تحسب كل عبارة تمثل القيم التقليدية بدرجة واحدة اي أن أعلى درجة في المقياس هي 64 و اقل درجة هي (00) و التي تمثل القيم العصرية. و على الرغم من أن هذه العلامات ممكنة إلا أن الفرد عامة يختار عددا من هذه العبارات و عددا من تلك (السيد، 2005).

- الخصائص السيكومترية للمقياس

لحساب خصائص الإستبيان السيكومترية تم تطبيقه على 120 مراهق و مراهقة متوسطهم العمري 17.5 سنة و ذلك بعد عرضه على مجموعة من أساتذة علم النفس ذوي الخبرة في مجال البحث العلمي بجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-2- و الذي قدر عددهم (13) حيث طلب منهم إبداء الرأي حول بنود الإستبيان من حيث سلامة اللغة و مدى ملائمة كل بند بالنسبة لأفراد العينة . تم حساب نسبة اتفاق المحكمين(80%) لكل عبارة ، ولم يتم استبعاد أي عبارة مع تعديل صياغة بعض العبارات بناء على آراء السادة المحكمين، وبذلك يكون الاستبيان قد خضع لصدق المحتوى أو الظاهري .

بعد التأكد من الصدق الظاهري للإستبيان ، تم حساب صدقه الداخلي الذي يسمح بالحصول على تقدير صدقه التكويني أو البنائي الذي يقصد به مدى تقييم الإستبيان للبناء النظري الذي صمم لقياسه . و قد تحقق هذا النوع من الصدق من خلال حساب العلاقة الارتباطية بين درجة كل بند من بنود الإستبيان و الدرجة الكلية للبعد و العلاقة الارتباطية بين درجة كل بند و الدرجة الكلية للإستبيان. أظهرت نتائج المعالجة الإحصائية لدرجات الأفراد على مقياس القيم الفارقة وجود علاقة إرتباطية دالة بين درجة كل بند من بنود الإستبيان و الدرجة الكلية لكل بعد و الإستبيان ككل . و الجدول الموالي يوضح نتائج ذلك :

جدول رقم (03): معاملات الإرتباط بين كل بند مقياس القيم الفارقة مع الدرجة الكلية لكل بعد و إستبيان ككل

| البند | الإرتباط | البند | الإرتباط | البند | الإرتباط | البند | الإرتباط |
|-------|----------|-------|----------|-------|----------|-------|----------|
| 01 | ** | 19 | 0.802** | 37 | 0.709** | 55 | 0.689** |
| | ** | | ** | | ** | | ** |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | | | | |
|-------|---------|----|-------|---------|----|-------|---------|-------|---------|-----------|
| 0.626 | | | 0.687 | | | 0.732 | | 0.423 | 0.423 | |
| ** | 0.543** | 56 | ** | 0.804** | 38 | ** | 0.777** | 20 | ** | ** |
| 0.439 | | | 0.696 | | | 0.707 | | 0.702 | 0.691 | 02 |
| ** | 0.763** | 57 | ** | 0.559** | 39 | ** | 0.722** | 21 | ** | ** |
| 0.750 | | | 0.504 | | | 0.639 | | 0.704 | 0.713 | 03 |
| ** | 0.732** | 58 | ** | 0.670** | 40 | ** | 0.774** | 22 | ** | ** |
| 0.749 | | | 0.587 | | | 0.631 | | 0.641 | 0.659 | 04 |
| ** | 0.704** | 29 | ** | 0.582** | 41 | ** | 0.787** | 23 | ** | ** |
| 0.623 | | | 0.495 | | | 0.692 | | 0.599 | 0.694 | 05 |
| ** | 0.721** | 60 | ** | 0.782** | 42 | ** | 0.806** | 24 | ** | ** |
| 0.695 | | | 0.730 | | | 0.746 | | 0.728 | 0.791 | 06 |
| * | 0.337** | 61 | ** | 0.760** | 43 | ** | 0.719** | 25 | ** | ** |
| 0.513 | | | 0.721 | | | 0.722 | | 0.708 | 0.800 | 07 |
| ** | 0.487** | 62 | ** | 0.695** | 44 | ** | 0.672** | 26 | ** | ** |
| 0.479 | | | 0.621 | | | 0.655 | | 0.731 | 0.776 | 08 |
| ** | 0.721** | 63 | ** | 0.565** | 45 | ** | 0.483** | 27 | ** | ** |
| 0.602 | | | 0.568 | | | 0.392 | | 0.518 | 0.659 | 09 |
| ** | 0.640** | 64 | ** | 0.724** | 46 | ** | 0.697** | 28 | ** | ** |
| 0.568 | | | 0.585 | | | 0.539 | | 0.549 | 0.681 | 10 |
| | | | ** | 0.450** | 47 | ** | 0.597** | 29 | ** | ** |
| | | | 0.361 | | | 0.368 | | 0.696 | 0.762 | 11 |
| | | | ** | 0.630** | 48 | ** | 0.628** | 30 | ** | ** |
| | | | 0.546 | | | 0.329 | | 0.460 | 0.584 | 12 |
| | | | ** | 0.652** | 49 | ** | 0.716** | 31 | ** | ** |
| | | | 0.644 | | | 0.614 | | 0.622 | 0.617 | 13 |
| | | | ** | 0.595** | 50 | ** | 0.717** | 32 | 0.578** | ** |
| | | | 0.555 | | | 0.739 | | | 0.608 | 14 |
| | | | ** | 0.683** | 51 | ** | 0.661** | 33 | 0.537* | ** |
| | | | 0.681 | | | 0.616 | | | 0.333 | 15 |
| | | | ** | 0.717** | 52 | ** | 0.681** | 34 | ** | ** |
| | | | 0.666 | | | 0.606 | | 0.400 | 0.442 | 16 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | | | |
|----|----|---------|----|----|---------|----|-------|-------|----|
| ** | ** | 0629** | 53 | ** | 0.662** | 35 | ** | ** | 17 |
| | | 0.550 | | | 0.567 | | 0.693 | 0.426 | |
| ** | ** | 0.717** | 54 | ** | 0.670** | 36 | ** | ** | 18 |
| | | 0.625 | | | 0.634 | | 0.625 | 0.619 | |

** قيم الارتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.01 . * قيم الارتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.05

يلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل بند و بين الدرجة الكلية للإستبيان جميعها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) ، مما يعني أن بنود الإستبيان متجانسة مع الإستبيان ككل ، و هذا يدل على التجانس الداخلي له مما يعطي مؤشراً على صدقه . كما يتضح من خلال الجدول أن جميع الدرجات الخاصة بمعاملات الارتباط بين درجة كل بند و البعد الخاص به كانت جميعها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) ، وبالتالي تعطي الثقة في الاستبيان و صلاحيته للتطبيق . ولحساب ثبات الإستبيان، تم الاعتماد على طريقة ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد الاستبيان و الاستبيان ككل.

جدول رقم (04) : حساب الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ .

| الأبعاد | عدد البنود | قيم ألفا كرونباخ |
|---|------------|------------------|
| أخلاقيات النجاح في العمل و يقابلها قيم الإستمناح بالصحة و الأصدقاء) | 16 | 0.87 |
| الإهتمام بالمستقبل مقابل الإستمناح بالحاضر | 16 | 0.88 |
| إستقلال الذات مقابل مسايرة الآخرين | 16 | 0.79 |
| التشدد في الخلق و الدين (تقليدية) مقابل النسبية و التساهل | 16 | 0.71 |
| الدرجة الكلية | 64 | 0.82 |

يتضح من نتائج الجدول رقم (04) الخاص بثبات مقياس القيم الفارقة باستخدام معامل ألفا كرونباخ أن قيم معامل الخاصة بالأبعاد تراوحت من (0.71) الى (0.88) . أما فيما يخص بقيمة ثبات المقياس ككل فقد بلغت (0.82) ، مما يشير إلى أن المقياس تتوفر فيه درجة جيدة من الثبات تناسب غرض البحث العلمي و تعطيه ثقة لدى الباحثين في ثبات نتائجه عند التطبيق .

- مقياس التوافق النفسي : تم استخدام مقياس التوافق النفسي الذي أعده شناوي و عباس (2014) . يهدف هذا المقياس إلى تحديد مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين. يتكون المقياس من 63 بنداً مقسمة إلى

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

04 مقاييس فرعية: التوافق الشخصي و فقراته (1-17)، التوافق الأسري و فقراته (18-33)، التوافق الاجتماعي و فقراته (34-51) و التوافق الأكاديمي و فقراته (52-63).

تكون الإجابة وفقا لسلم ليكرت ذي المستويات الخمسة من "أوافق بشدة" و التي يحصل عندها المبحوث على 5 درجات إلى " لا أوافق بشدة" و التي يحصل عندها المبحوث على درجة واحدة (1) ، و هذا في حالة العبارات الإيجابية و العكس في حالة العبارات السلبية.

- الخصائص السيكومترية لمقياس التوافق النفسي: لحساب خصائص المقياس السيكومترية تم إتباع نفس الخطوات السابقة الذكر أي التأكد من الصدق الظاهري أولا ، ثم حساب صدقه الداخلي و قد من خلال حساب العلاقة الارتباطية بين درجة كل بند من بنود المقياس و الدرجة الكلية للبعد و العلاقة الارتباطية بين درجة كل بند و الدرجة الكلية للمقياس. أظهرت نتائج المعالجة الإحصائية لدرجات الأفراد على المقياس وجود علاقة ارتباطية دالة بين درجة كل بند من بنود المقياس و الدرجة الكلية لكل بعد و المقياس ككل. و الجدول الموالي يوضح نتائج ذلك:

جدول رقم (05): معاملات الارتباط بين كل بند مقياس التوافق النفسي مع الدرجة الكلية لكل بعد و المقياس ككل

| البند | الارتباط | البند | الارتباط | البند | الارتباط | البند | الارتباط | البند | الارتباط | البند | الارتباط |
|--------|----------|---------|----------|---------|----------|--------|----------|---------|----------|---------|----------|
| البعـد | المقياس | البعـد | المقياس | البعـد | المقياس | البعـد | المقياس | البعـد | المقياس | البعـد | المقياس |
| 01 | 0.504* | 0.505* | 21 | 0.684** | 0.554** | 41 | 0.788** | 0.736** | 61 | 0.886** | 0.569** |
| 02 | 0.551** | 0.448** | 22 | 0.591** | 0.540** | 42 | 0.620** | 0.564** | 62 | 0.893** | 0.539** |
| 03 | 0.632** | 0.565** | 23 | 0.583** | 0.485** | 43 | 0.848** | 0.726** | 63 | 0.824** | 0.558** |
| 04 | 0.686** | 0.587** | 24 | 0.783** | 0.620** | 44 | 0.546** | 0.542** | | | |
| 05 | 0.523** | 0.366** | 25 | 0.326** | 0.492** | 45 | 0.448** | 0.404** | | | |
| 06 | 0.688** | 0.622** | 26 | 0.698** | 0.625** | 46 | 0.515** | 0.471** | | | |
| 07 | 0.716** | 0.537** | 27 | 0.665** | 0.394** | 47 | 0.526** | 0.496** | | | |
| 08 | 0.641** | 0.533** | 28 | 0.576** | 0.518** | 48 | 0.655** | 0.559** | | | |
| 09 | 0.522** | 0.521** | 29 | 0.655** | 0.670** | 49 | 0.667** | 0.562** | | | |
| 10 | 0.706** | 0.685** | 30 | 0.486** | 0.371** | 50 | 0.782** | 0.741** | | | |
| 11 | 0.519** | 0.326** | 31 | 0.644** | 0.560** | 51 | 0.707** | 0.643** | | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | | |
|---------|---------|----|---------|---------|----|---------|---------|----|
| 0.441* | 0.373** | 52 | 0.624** | 0.699** | 32 | 0.718** | 0.817** | 12 |
| 0.433** | 0.635** | 53 | 0.669** | 0.743** | 33 | 0.436** | 0.448** | 13 |
| 0.608** | 0.691** | 54 | 0.438** | 0.449** | 34 | 0.684** | 0.753** | 14 |
| 0.467** | 0.306** | 55 | 0.483** | 0.696** | 35 | 0.277* | 0.496** | 15 |
| 0.437** | 0.598** | 56 | 0.520** | 0.616** | 36 | 0.675** | 0.774** | 16 |
| 0.644** | 0.734** | 57 | 0.446** | 0.646** | 37 | 0.586** | 0.763** | 17 |
| 0.754** | 0.788** | 58 | 0.485** | 0.671** | 38 | 0.591** | 0.701** | 18 |
| 0.637** | 0.675** | 59 | 0.599** | 0.654** | 39 | 0.689* | 0.821** | 19 |
| 0.548** | 0.842** | 60 | 0.663** | 0.763** | 40 | 0.680** | 0.753** | 20 |

**قيم الارتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.01 . * قيم الارتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.05

يلاحظ من خلال الجدول رقم (05) أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل بند و بين الدرجة الكلية للمقياس جميعها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) و مستوى الدلالة (0.05) ، مما يعني أن البنود متجانسة مع المقياس ككل ، و هذا يدل على التجانس الداخلي له مما يعطي مؤشراً على صدقه . كما يتضح من خلال الجدول أن جميع الدرجات الخاصة بمعاملات الارتباط بين درجة كل بند و البعد الخاص به كانت أغلبها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) ، وبالتالي تعطي الثقة في المقياس و صلاحيته للتطبيق. ولحساب ثبات المقياس ، تم الاعتماد على طريقة ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد المقياس و المقياس ككل.

جدول رقم (06) : حساب ثبات مقياس التوافق النفسي بطريقة معامل ألفا كرونباخ

| الابعاد | عدد البنود | قيمة ألفا كرونباخ |
|-------------------|------------|-------------------|
| التوافق الشخصي | 17 | 0.79 |
| التوافق الأسري | 16 | 0.84 |
| التوافق الاجتماعي | 18 | 0.88 |
| التوافق الأكاديمي | 12 | 0.82 |
| التوافق النفسي | 63 | 0.83 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الأساليب الإحصائية المستعملة: بعد جمع المعطيات ، فرزها وتفريغها في جداول قصد معالجتها إحصائياً باستعمال برنامج الرزنامة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS 20 ، تم تحليل بيانات الدراسة بالأساليب الإحصائية التالية: معامل ارتباط بيرسون لحساب الصدق الداخلي لبنود الأدوات ،معامل ثبات ألفا كرونباخ لحساب ثبات أدوات الدراسة، التكرارات و النسب المئوية لوصف خصائص عينة الدراسة. كما تم استخدام الاختبار "ت" للفروق و تحليل التباين.

- عرض نتائج الدراسة

- عرض نتائج التساؤل الأول نص التساؤل على مايلي : ما مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي؟ للإجابة على التساؤل تم استعمال المتوسطات الحسابية و الانحراف المعياري، كما هو موضح في الجدول رقم (07)

جدول (07): مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي

| التوافق النفسي وأبعاده | عدد الافراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | المستوى |
|------------------------|-------------|-----------------|-------------------|---------|
| التوافق الشخصي | 203 | 3,42 | 0,51 | متوسط |
| التوافق الأسري | 203 | 3,77 | 0,71 | مرتفع |
| التوافق الاجتماعي | 203 | 3,51 | 0,59 | متوسط |
| التوافق الأكاديمي | 203 | 3,58 | 0,65 | متوسط |
| التوافق النفسي | 203 | 3,57 | 0,44 | متوسط |

يتضح من الجدول (07) أن مستويات التوافق النفسي بأبعاده متوسطة لأن متوسطاتها الحسابية تتراوح بين (3,42 و 3,58) وهذه المتوسطات جاءت قيمها ضمن المستوى المتوسط الذي حدده صاحب المقياس (شناوي و عباس، 2014)، أي بين (2,34 و 3,67) التي باستثناء بُعد التوافق الأسري الذي جاءت قيمة متوسطة مرتفعة (3,77) تتراوح بين (3,68 و 5,00). وبالتالي فان مستوى التوافق النفسي بشكل عام وأبعاده متوسط باستثناء بُعد التوافق الأسري.

- عرض نتائج التساؤل الثاني: نص التساؤل على ما يلي : ما القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي؟ للإجابة على التساؤل تم استعمال المتوسطات الحسابية و الانحراف المعياري، كما هو موضح في الجدول رقم (08).

جدول (08): القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| القيم وأبعادها | عدد الأفراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | القيمة السائدة |
|---|-------------|-----------------|-------------------|----------------|
| أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الإستمتاع بالصحة والأصدقاء (عصرية) | 203 | 0,54 | 0,16 | تقليدية |
| الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإستمتاع بالحاضر (عصرية) | 203 | 0,51 | 0,15 | تقليدية |
| إستقلال الذات (تقليدية) مقابل مسايرة الآخرين (عصرية) | 203 | 0,55 | 0,14 | تقليدية |
| التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل النسبية والتساهل (عصرية) | 203 | 0,53 | 0,15 | تقليدية |
| القيم | 203 | 0,53 | 0,1 | تقليدية |

يتضح من الجدول (08) أن القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي الأنترنت تقليدية، بحيث أن المتوسطات الحسابية للقيم وأبعادها تتعدى القيمة المتوسطة (0,50) بانحرافات معيارية متقاربة فيما بينها. بحيث أن المتوسطات الحسابية تتراوح بين (0,51) في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل مسايرة الآخرين و(0,55) في قيمة استقلال الذات مقابل مسايرة الآخرين. بمعنى أن المراهقين مستخدمي الأنترنت يتميزون بأخلاقيات النجاح والاهتمام بالمستقبل واستقلال الذات والتشدد في الخلق والدين ولا يتميزون بالاستمتاع بالصحة والأصدقاء والاستمتاع بالحاضر ومسايرة الآخرين والنسبية والتساهل.

عرض نتائج الفرضية الأولى : نصت الفرضية : " هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي تعزى للجنس ". للتحقق من هذه الفرضية تم إستخدام إختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (09).

جدول (09): دلالة الفروق في التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي تعزى للجنس (ذكر، أنثى).

| التوافق النفسي | الجنس | عدد الأفراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" | درجات الحرية | الدلالة |
|----------------|-------|-------------|-----------------|-------------------|----------|--------------|---------|
| التوافق الشخصي | ذكر | 100 | 3,54 | 0,52 | 3,46** | 201 | 0,001 |
| | أنثى | 103 | 3,30 | 0,47 | | | |
| التوافق الأسري | ذكر | 100 | 3,82 | 0,64 | 1,02 | 195,85 | 0,31 |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|--|-------|-----|--------|------|------|------|------|
| | | | 0,78 | 3,72 | 103 | أنثى | |
| | 0,57 | 201 | 0,56 | 0,55 | 3,48 | 100 | ذكر |
| | | | | 0,62 | 3,53 | 103 | أنثى |
| | 0,002 | 201 | 3,07** | 0,65 | 3,44 | 100 | ذكر |
| | | | | 0,63 | 3,72 | 103 | أنثى |
| | 0,67 | 201 | 0,40 | 0,41 | 3,58 | 100 | ذكر |
| | | | | 0,46 | 3,55 | 103 | أنثى |

** قيمة "ت" دالة عند 0,01 و 0,05

يتضح من الجدول (09) وجود فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الشخصي والتوافق الأكاديمي ($p < 0,05$)، بحيث جاءت المتوسطات الحسابية لكل منهما متباعدة (3,54 مقابل 3,30) في التوافق الشخصي، و (3,44 مقابل 3,72) في التوافق الأكاديمي. في حين لا توجد فروق بين الذكور والاناث في التوافق الأسري والتوافق الاجتماعي والتوافق النفسي بشكل عام ($p > 0,05$)، والتي جاءت متوسطاتها متقاربة جدا (3,82 مقابل 3,72) في التوافق الأسري، و (3,48 مقابل 3,53) في التوافق الاجتماعي، و (3,58 مقابل 3,55) في التوافق النفسي عامة. وبالتالي توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الشخصي لصالح الذكور والتوافق الأكاديمي لصالح الاناث، ولا توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الأسري والاجتماعي والتوافق بشكل عام.

عرض نتائج الفرضية الثانية: نصت الفرضية: " هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري ". للتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (10).

جدول (10): دلالة الفروق في التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى إلى الحوار الأسري (نعم، لا).

| التوافق وأبعاده | التوافق النفسي | الحوار الأسري | عدد الأفراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" | درجات الحرية | الدلالة |
|-----------------|----------------|---------------|-------------|-----------------|-------------------|----------|--------------|---------|
| التوافق الشخصي | نعم | لا | 112 | 3,48 | 0,50 | 1,70 | 201 | 0,09 |
| | لا | نعم | 91 | 3,35 | 0,51 | | | |
| التوافق الأسري | نعم | لا | 112 | 3,87 | 0,69 | 2,15* | 195,85 | 0,03 |
| | لا | نعم | 91 | 3,65 | 0,73 | | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|-------|-----|--------|------|------|-----|-----|-------------------|
| 0,10 | 201 | 1,63 | 0,56 | 3,57 | 112 | نعم | التوافق الاجتماعي |
| | | | 0,62 | 3,43 | 91 | لا | |
| 0,016 | 201 | 2,44* | 0,65 | 3,68 | 112 | نعم | التوافق الأكاديمي |
| | | | 0,65 | 3,46 | 91 | لا | |
| 0,006 | 201 | 2,75** | 0,43 | 3,64 | 112 | نعم | التوافق النفسي |
| | | | 0,44 | 3,47 | 91 | لا | |

* قيمة "ت" دالة عند 0,05 ** قيمة "ت" دالة عند 0,01

يتضح من الجدول (10) وجود فروق دالة احصائيا في التوافق الأسري والتوافق الأكاديمي والتوافق بشكل عام بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون ($p < 0,05$)، بحيث جاءت المتوسطات الحسابية لكل منهما متباعدة (3,87 مقابل 3,65) في التوافق الأسري، و (3,68 مقابل 3,46) في التوافق الأكاديمي، و (3,64 مقابل 3,47) في التوافق النفسي بشكل عام. في حين لا توجد فروق بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والمراهقين الذين لا يتحاورون في التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي. وبالتالي توجد فروق دالة احصائيا بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون في التوافق الأسري والتوافق الأكاديمي والتوافق بشكل عام لصالح المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم، ولا توجد فروق دالة احصائيا بينهما في التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي.

عرض نتائج الفرضية الثالثة: نصت الفرضية: "هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس". للتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (11).

جدول (11): الفروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس (ذكر، أنثى).

| القيم وأبعادها | الجنس | عدد الأفراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" | درجات الحرية | الدلالة |
|--|-------|-------------|-----------------|-------------------|----------|--------------|---------|
| أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الإستماع بالصحة والأصدقاء (عصرية) | ذكر | 100 | 0,54 | 0,15 | 0,22 | 201 | 0,82 |
| | أنثى | 103 | 0,54 | 0,16 | | | |
| الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإستماع بالحاضر (عصرية) | ذكر | 100 | 0,54 | 0,14 | 2,69 | 201 | 0,008 |
| | أنثى | 103 | 0,49 | 0,14 | | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|------|-----|------|------|------|-----|------|---|
| 0,06 | 201 | 1,86 | 0,14 | 0,53 | 100 | ذكر | إستقلال الذات (تقليدية) مقابل مسايرة الآخرين |
| | | | 0,14 | 0,57 | 103 | أنثى | (عصرية) |
| 0,07 | 201 | 1,83 | 0,16 | 0,51 | 100 | ذكر | التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل النسبية والتساهل (عصرية) |
| | | | 0,15 | 0,55 | 103 | أنثى | |
| 0,75 | 201 | 0,32 | 0,09 | 0,53 | 100 | ذكر | القيم |
| | | | 0,10 | 0,54 | 103 | أنثى | |

**قيمة "ت" دالة عند 0,05 و 0,01

يتضح من الجدول (11) وجود فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل الاستمتاع بالصحة فقط ($p < 0,05$)، بحيث جاء متوسط الذكور (0,54) أكبر من متوسط الاناث (0,49). في حين لا توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في القيم الأخرى؛ أخلاقيات النجاح مقابل الاستمتاع بالصحة، واستقلال الذات مقابل مسايرة الآخرين، والتشدد في الخلق والدين مقابل النسبية والتساهل وفي القيم السائدة بشكل عام ($p > 0,05$). وبالتالي توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل الاستمتاع بالصحة ولا توجد فروق في القيم السائدة الأخرى لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

عرض نتائج الفرضية الرابعة: نصت الفرضية: "هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري." للتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (12).

جدول (12): الفروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري (نعم، لا).

| القيم وأبعاده | الحوار الأسري | عدد الأفراد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" | درجات الحرية | الدلالة |
|---|---------------|-------------|-----------------|-------------------|----------|--------------|---------|
| أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الإستمتاع بالصحة والأصدقاء (عصرية) | نعم | 112 | 0,55 | 0,14 | 0,89 | 201 | 0,37 |
| | لا | 91 | 0,53 | 0,17 | | | |
| الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإستمتاع بالحاضر (عصرية) | نعم | 112 | 0,51 | 0,15 | 0,60 | 201 | 0,55 |
| | لا | 91 | 0,52 | 0,14 | | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | | | |
|------|-----|------|------|------|-----|-----|--|
| 0,39 | 201 | 0,86 | 0,14 | 0,56 | 112 | نعم | إستقلال الذات (تقليدية) مقابل مسايرة الآخرين |
| | | | 0,15 | 0,54 | 91 | لا | (عصرية) |
| 0,59 | 201 | 0,55 | 0,16 | 0,54 | 112 | نعم | التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل النسبية |
| | | | 0,15 | 0,52 | 91 | لا | والنساهل (عصرية) |
| 0,51 | 201 | 0,66 | 0,09 | 0,54 | 112 | نعم | القيم |
| | | | 0,11 | 0,53 | 91 | لا | |

يتضح من الجدول (12) عدم وجود فروق دالة احصائيا بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون في القيم السائدة وأبعادها الأربعة ($p > 0,05$)، بحيث جاءت متوسطات الذين يتحاورون مع أسرهم متقاربة جدا مع متوسطات الذين لا يتحاورون في القيم وأبعادها. فعلى سبيل المثال جاء متوسط المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم (0,55) ومتوسط المراهقين الذين لا يتحاورون (0,53) في أخلاقيات النجاح في العمل مقابل الاستمتاع بالصحة والأصدقاء، ومتوسط المراهقين الذين يتحاورون (0,51) ومتوسط المراهقين الذين لا يتحاورون (0,52). وبالتالي لا توجد فروق دالة احصائيا في القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي حسب الحوار الأسري (يتحاورون، لا يتحاورون).

- عرض نتائج الفرضية الخامسة: نصت الفرضية: "هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي تعزى مدة إستخدام هذه المواقع." للتحقق من هذه الفرضية تم إستخدام تحليل التباين. فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (13).

جدول (13): دلالة الفروق في القيم وأبعادها لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي تعزى إلى مدة استخدام مواقع التواصل الإجتماعي (سنة أو أقل، من 2 إلى 3 سنوات، 4 سنوات أو أكثر).

| القيم وابعادها | مصدر التباين | مجموع | درجات | متوسط | قيمة |
|---|----------------|----------|--------|----------|------|
| | | المربعات | الحرية | المربعات | "ف" |
| أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الإستمتاع بالصحة والأصدقاء (عصرية) | بين المجموعات | 0,015 | 2 | 0,008 | 0,74 |
| | داخل المجموعات | 4,97 | 200 | 0,025 | |
| | الكلية | 4,98 | 202 | | |
| الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإستمتاع بالحاضر (عصرية) | بين المجموعات | 0,104 | 2 | 0,05 | 0,09 |
| | داخل المجموعات | 4,22 | 200 | 0,02 | |
| | الكلية | 4,33 | 202 | | |

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

| | | | | | |
|------|-------|-----|-------|----------------|--|
| 0,34 | 0,02 | 2 | 0,045 | بين المجموعات | إستقلال الذات (تقليدية) مقابل مسايرة الآخرين |
| | 0,02 | 200 | 4,12 | داخل المجموعات | (عصرية) |
| | | 202 | 4,16 | الكلية | |
| 0,75 | 0,007 | 2 | 0,014 | بين المجموعات | التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل |
| | 0,024 | 200 | 4,85 | داخل المجموعات | النسبية والتساهل (عصرية) |
| | | 202 | 4,87 | الكلية | |
| 0,49 | 0,007 | 2 | 0,014 | بين المجموعات | القيم |
| | 0,01 | 200 | 1,99 | داخل المجموعات | |
| | ,008 | 202 | 2,01 | الكلية | |

يتضح من الجدول (13) قيم "ف" غير دالة احصائيا، لذا لا توجد فروق دالة احصائيا بين المراهقين في القيم السائدة حسب مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (سنة أو أقل، بين 2 و3 سنوات، 4 سنوات أو أكثر) ($p > 0.05$) ، بحيث أن مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى المراهقين لا تؤثر على القيم السائدة لديهم.

خاتمة وتوصيات:

تعد القيم القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع و التي تؤدي لتماسك و تطور المجتمع بجانب العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفرادها. و للقيم مكانة مهمة في حياة الفرد و المجتمع، و لها أهميتها بالنسبة للمراهقين فتعمل على وقايتهم من الانحراف و تساهم في بناء شخصيتهم و قدرتهم على التكيف مع الحياة و مشكلاتها.

على الرغم من أن هناك عمل مباشر يجري مع الأبناء في الكثير من الأسر، حيث يكون التفاعل وجهاً لوجه ممكناً ، إلا أنه سيكون مرغوباً للحكومات والمنظمات غير الحكومية المجتمعية أن تقوم بسلسلة من الإجراءات لتعزيز الوعي وتنمية المهارات لمساعدة المراهقين على استخدام الإنترنت في بيئة آمنة. و على ضوء النتائج المتوصل إليها يمكن تقديم بعض التوصيات المتمثلة في :

- إنشاء خطوط متصلة بالإنترنت، من أجل دعم الأولياء و مساعدتهم على الإبلاغ عن الجرائم على الإنترنت المرتكبة على أبنائهم وتقديم المشورة.

- إنشاء مواقع أو منصات إنترنت لتزويد المراهقين و الآباء بقاعدة تعليمية. يكون محتوى هذه المواقع كل ما يتعلق بأمن الأنترنت، إلا أن الأمر يتطلب تحديثه بانتظام نظرا للتغيير السريع للأنترنت بحيث لا يمكن أن تنجح التدابير التكنولوجية إلا بمواكبة وتيرة التطور. و تعتبر التدابير التي تبنى داخل الأسرة الأكثر فعالية وديمومة، والتي تنطوي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على المجتمع والتعليم والتمكين، حتى يتمكن المراهقون من اتخاذ الخيارات الصحيحة والاستفادة من السلطة المتولدة من الأنترنت.

المراجع:

- إبراهيم ناصر (2004). التنشئة الاجتماعية. الطبعة الأولى دار عمار للنشر و التوزيع. عمان.
- أبو جادو، محمد علي.(1998). سيكولوجية التنشئة. دار المسيرة. الأردن
- أبو صعلبيك، ضيف الله عودة و الزبون، محمد سليم.(2013). أثر شبكات التواصل الاجتماعي على اتجاهات طلبة الجامعات في الأردن. مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 28، العدد 07. 323-359.
- أبو عاذرة، أسماء عودة.(2017). المهارات الاجتماعية و التفكير الإيجابي و علاقتهما بإدمان شبكات التواصل الاجتماعي لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة الأزهر- غزة.
- الجموعي، مومن بكوش. (2013). القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الطالب الجامعي. رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي. جامعة بسكرة.
- الحازمي، محمد بن عبد الله.(2017). دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية لدى الطفل في ضوء التربية الإسلامية. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد (6)، العدد (6)، 155 - 166.
- الخالدي، عبد الرحمن بن منيف.(2014). الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية. مشروع بحثي كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التوجيه والإرشاد التربوي. برنامج الدراسات العليا التربوية. جامعة الملك عبدالعزيز. المملكة العربية السعودية.
- الزبون، أحمد محمد ، أبو ملحم، محمد حسني و العواملة، عبد الله أحمد. (2017). درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية على المنظومة القيمية لطلبة كلية عجلون الجامعية. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية. المجلد، 10 ، العدد 3. 331-357.
- الزقاي، نادية مصطفى.(2001). القدرة على التفكير الابتكاري في علاقتها بالقيم و بعض المتغيرات السيكوسوسولوجية الأخرى لدى عينة من طلبة الجذع المشترك بمعهد علم النفس جامعة وهران بالجزائر. جامعة منتوري . قسنطينة. عدد 15 جوان. 35-58.
- السيد، إبراهيم السيد أحمد.(2005). البناء القيمي و علاقته بالتنشئة الاجتماعية و الدافعية للإنجاز. دراسة ميدانية مقارنة على عينة من الطلاب الإندونيسيين و الماليزيين الدارسين بالجامعات المصرية. رسالة دكتوراه. قسم العلوم الاجتماعية. معهد البحوث و الدراسات الآسيوية. جامعة الزقازيق.
- الطيار، فهد بن علي.(2014). شبكات التواصل الاجتماعي و أثرها على القيم لدى طلاب الجامعة" تويتر نموذجاً". دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود. المجلة العربية للدراسات الأمنية و التدريب. المجلد 31. العدد 61. 193-226.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- العصيمي، سلطان عائض مفرح.(2010). إدمان الأنترنت و علاقته بالتوافق النفسي الإجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض. رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية تخصص الرعاية و الصحة النفسية. قسم العلوم الاجتماعية. كلية الدراسات العليا. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- القريطي، عبد المطلب.(2003). في الصحة النفسية. الطبعة 2. دار الفكر العربي . القاهرة
- الكحلوت، أماني حمدي شحادة.(2011). دراسة مقارنة للتوافق النفسي الاجتماعي لدى أبناء العاملات وغير العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. الجامعة الإسلامية- غزة.
- النيرب، نسرین محمود محمد.(2016). الشعور بالوحدة و علاقتها بالنسق القيمي لمدمني مواقع التواصل الإجتماعي من طلبة الجامعات بمحافظة غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج الصحة النفسية والمجتمعية. كلية التربية. الجامعة الإسلامية. غزة.
- بوعطيط، سفيان .(2012). القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي و علاقتها بالتوافق المهني. رسالة دكتوراه علوم في علم النفس العمل و التنظيم. قسم علم النفس و علوم التربية و الأروطونيا. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة منتوري- قسنطينة-
- بومدين، مخلوف.(2017). المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام و الاتصال- الأنترنت بدنية المسيلة نموذجاً-. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص إدارة الموارد البشرية. قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2.
- بومدين، مخلوف.(2010). أثر الأنترنت على القيم الإجتماعية في الوسط الحضري. دراسة ميدانية ببعض نوادي الأنترنت بمدينة مسيلة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع الحضري. قسم علم الاجتماع والديموغرافيا. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية. جامعة محمد بوضياف " المسيلة" .
- جيدور، حاج بشير.(2017). أثر وسائل التواصل الاجتماعي في عملية التحول الديمقراطي في الدول العربية: دراسة مقارنة. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية تخصص تنظيمات سياسية و إدارية. قسم العلوم السياسية. كلية الحقوق و العلوم السياسية . جامعة محمد خيضر . بسكرة.
- حشلافي، أحمد و ماحي، إبراهيم.(2016) علاقة النسق القيمي بالطموح الدراسي في ضوء المكانة الاجتماعية الاقتصادية للأسرة. مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية . العدد 26. 451- 456.
- خليفة، عبد اللطيف محمد (1992). ارتقاء القيم (دراسة نفسية) عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت
- راشد، محمد يوسف أحمد و عيسى علي.(2011). التوافق الدراسي والشخصي والاجتماعي بعد توحيد المسارات في مملكة البحرين (دراسة ميدانية على طلبة المرحلة الثانوية بالمحافظة الوسطى). مجلة جامعة دمشق . المجلد 27 701- 740.
- سني، أحمد.(2015). تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المسن- دراسة ميدانية على عينة من المسنين بمراكز رعاية الشيخوخة-. رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الأسري. قسم علم النفس و الأروطونيا. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة وهران2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- سي محمد، سعدية. (2013). الأنساق القيمية لدى تلاميذ نهاية المرحلة الثانوية. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية. العدد 10. 27-38.

- شرقي، حورية. (2017). النسق القيمي و علاقته بالتوافق النفسي و الإجتماعي لدى طلبة المراحل المتوسطة و الثانوية. دراسة ميدانية بالمدارس المتوسطة و الثانوية لمدينة مستغانم. رسالة مقدمة لنيل دكتوراه في علم النفس تخصص دراسة الجماعات و المؤسسات. قسم علم النفس و الأروطونيا. كلية العلوم الإجتماعية. جامعة وهران 2.

- شناوي، سامي أحمد و عباس، محمد خليل. (2014). إستخدام شبكة التواصل الإجتماعي (الفايسبوك) و علاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين. جامعة. المجلد 18 العدد 2. 75-118.

- صوكو، سهام. (2009). واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية. دراسة ميدانية بثانوية بوحنه مسعود - فرجوة ميلة. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الإجتماع تخصص تنمية و تسيير الموارد البشرية. قسم علم الإجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة منتوري. قسنطينة.

- عايد، كمال. (2017). تكنولوجيا الإعلام و الإتصال و تأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري - الشباب الجامعي لتلمسان نموذجاً - . أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د تخصص علم الإجتماع الإتصال. قسم علم الإجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة ابي بكر بلقايد - تلمسان -.

- عسيري، عيبر بنت محمد حسن. (2003). علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات و "التوافق النفسي و الإجتماعي و العام" لدى عينة من طالبات المرحلة النهائية بمدينة الطائف. بحث مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في الإرشاد النفسي. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.

- عوض، رشا أديب محمد. (2014). آثار استخدام مواقع التواصل الإجتماعي على التحصيل الدراسي للأبناء في محافظة طولكرم من وجهة نظر ربات البيوت. قدم هذا البحث كمشروع تخرج استكمالاً للحصول على درجة البكالوريوس تخصص خدمة اجتماعية. كلية التنمية الاجتماعية والأسرية. جامعة القدس المفتوحة.

- عوض، سمر خليل علي. (2017). الخبرات الصادمة الناجمة عن العدوان الإسرائيلي و إستراتيجيات مواجهتها و علاقتهما بالتوافق النفسي لدى طلبة المرحلة الثانوية في قطاع غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة الأزهر - غزة.

- كباجة، سناء عادل إبراهيم. (2015). التغير القيمي و علاقته بهوية الذات و الإغتراب النفسي لدى طلبة الثانوية العامل في قطاع غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس تخصص إرشاد نفسي. قسم إرشاد نفسي و توجيه تربوي. كلية الدراسات العليا. الجامعة الإسلامية. غزة.

- كفاي، علاء الدين (1990). الصحة النفسية. الطبعة الثالثة. هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان. القاهرة.

- نومار، مريم نريمان. (2012). استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية. دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة. قسم العلوم الإنسانية. جامعة الحاج لخضر - باتنة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- مصطفى حمدي أحمد، عبد الصمد محمد علي، أحمد محمد صالح، يسرى عبد المولى و فتبان ياسين على. (2017). أثر مواقع التواصل الإجتماعي على التغير القيمي لدى الشباب الريفي بمحافظة سوهاج. **مجلة أسيوط للعلوم الزراعية Assiut Journal of Agriculture Sciences**. المجلد 49. العدد 03. 288-311.
- معاش، حياة. (2013). الإتجاهات نحو المدرسة وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي. دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ بعض الثانويات بمدينة بسكرة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص علم النفس الاجتماعي. قسم العلوم الاجتماعية. جامعة محمد خيضر بسكرة.
- هتهات، مسعودة. (2014). المشكلات النفسية و الإجتماعية لدى المراهقين المتمدرسين مستخدمي الأترنت. دراسة ميدانية بمدينة ورقلة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص الصحة النفسية و التكييف المدرسي. قسم العلوم الاجتماعية . كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جلعة قاصدي مرياح . ورقلة.
- يطو، عبد الغني و بن شهيدة، أحمد. (2018). الصورة السمعية البصرية وتأثيراتها على القيم والمماسسات لدى تلاميذ الثانويات (شبكات التواصل الاجتماعي، الفايسوك " Facebook " نموذجاً) دراسة ميدانية تلاميذ الثانويات بلدية عين الترك. مجلة التدوين. العدد 11. 210-218.

التسامح في الإسلام: المفهوم والضوابط

أ.د. علي بن عمر السحيباني

رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم/السعودية

تمهيد:

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن التسامح هو الخلق الأسمى والقيمة العليا لدى البشرية جميعا، وكلما كان الإنسان متحليا بهذا الخلق وموصوفا به كلما كان أقرب من الكمال الإنساني.

التسامح يعتبر من أعظم الوسائل في قوة الترابط بين الإنسان وأخيه الإنسان على المستويين الفردي والجماعي.

ولذلك كان التسامح مطلبا ذاتيا خلقيا، ومطلبا دينيا تشريعا، ومطلبا اجتماعيا سياسيا، فلا نكاد نرى بيانا أو تقريرا أو إشعارا أو حتى حوارا لدي أي جهة -عالمية كانت أو محلية- إلا وهي تحث في مطلعته على أهمية التسامح كمطلب رئيس من شأنه أن يحقق الطمأنينة والأمان ويحفظ الحقوق والحريات.

وقد حث ديننا الحنيف على التحلي بهذا الخلق الكريم، والدعوة إليه، وبوأ أصحابه الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل؛ وفيما يلي استعراض قيمة هذا الخلق ومفهومه وضوابطه من منظور الإسلام.

- المبحث الأول: مفهوم التسامح:

- التسامح لغة.

التسامح في اللغة يأتي على وجهين:

الأول: من "السماح"، و"السماحة" بمعنى الجود والعطاء؛ يقال: "سمح به" أي أجاد وأعطى. الثاني: من "التسامح" بمعنى التساهل في التعامل؛ يقال: "تسامحوا" أي "تساهلوا"⁽¹⁾.

(1) ينظر: مختار الصحاح (ص: 153).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- التسامح اصطلاحا.

هو خلق كريم يعطي صاحبه القدرة على تحمل الآخرين، والعفو عنهم، وبذل الإحسان إليهم؛ يمثله قول الله تعالى: {وَالْكَافِرِينَ الْعَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [ال عمران: 134].

ويتحدد المعنى الاصطلاحي للسماحة من خلال معرفة مدلولها اللغوي الذي يدل على السلاسة والسهولة، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»⁽¹⁾. قال ابن حجر: "السمحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة"⁽²⁾. والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه وصورها لا تنحصر، ففقه الإسلام سمحة وشريعته سمحة، وتمتد صور السماحة إلى المعاملة، قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»⁽³⁾، وبوب البخاري رحمه الله للسماحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: "باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع"⁽⁴⁾، قال ابن حجر: "وفي الحديث: الحث على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"⁽⁵⁾ (6).

- مفهوم التسامح في الإسلام.

إنه مما لا شك فيه أن كلمة التسامح تحمل في طياتها أكثر من مدلول، وتستخدم في أكثر من معنى، ولذلك قد يستعملها البعض بإفراط أو بتفريط فيخرجها عن معناها الذي أرادته الله تعالى، فكان لزاما أن يكون هناك مفهوما معينا ومحددا لهذه الكلمة من خلال المنظور الإسلامي يجعلها واضحة المعالم ظاهرة المعنى.

ولا شك أن هذا المفهوم ينحصر في المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة "التسامح"، فهي تعني القدرة على العطاء بمعناه المادي والمعنوي، كما تعني القدرة على التحمل والتحمل في معاملة الآخرين ومن ثم العفو والصفح عن جهالتهم وتجاوزهم؛ شريطة ألا يؤثر هذا التسامح في الحقوق والواجبات، ولا يمس العقائد والشرائع، ولا يكون كذلك في الحدود التي حددها الله تعالى، ولا في القضاء الذي هو منوط بالعدل والمساواة بين جميع الأطراف، كما يشترط في التسامح ألا يكون سببا في ارتكاب المعاصي والوقوع في المحرمات.

يقول فخر الدين الرازي: "الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم إما أن يجوز إدخال المساهلة والمسامحة فيها وإما أن لا يجوز؛ أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: {حُذِرِ الْعَفْوُ} ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق

(1) البخاري تعليقا (16/1).

(2) فتح الباري (1 / 94).

(3) البخاري (2076).

(4) البخاري (157/3)..

(5) فتح الباري (4 / 217).

(6) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين (ص: 5).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والفظاظة كما قال تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}، ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال تعالى {وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز دخول المساهلة والمسامحة فيه فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف؛ والمعروف هو كل أمر عُرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعفو ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال لكان ذلك سعيًا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز⁽¹⁾.

إذا فالتسامح والعفو في المنظور الإسلامي يكون في المعاشرة والصحبة من خلال المعاملات الشخصية لا في العقيدة والواجبات الشرعية؛ فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضي والتسامح، وإنما يكون في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار، لأن التغاضي عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسماحة معه، واجب شرعي وغاية إنسانية⁽²⁾.

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا الخلق الكريم وجسده لنا حتى أصبح واقعا ملموسا بعيدا عن المثالية والنظرية، وليس هذا بعجيب فقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه من الكمال الإنساني ما لم يبلغه غيره من البشر؛ قالت عائشة وهي تصف سماحة النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْثِم، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمت الله، فينتقم لله»⁽³⁾.

هذا الحديث الشريف يعد أصلا في تععيد مفهوم التسامح من منظور الإسلام، حيث يقرر أن كل شيء من الممكن التسامح فيه والتجاوز عنه، إلا ما يكون من الإثم والحرام الذي يعرض صاحبه لسخط الله وعقابه.

– مفهوم التسامح في الأديان الأخرى.

إن الأديان السماوية السابقة جميعها باعتبار أنها من عند إله واحد تمثل حلقات متصلة ومتماسكة يشد بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا؛ وهي بهذا الاعتبار تبث تعاليمها بهدف إصلاح الخلق جميعا وتنادي فيهم بأن يتبعوا جميعا نداء الحق الذي يأخذ بيد الإنسان من غيابات الظلم والجهل إلى نور العدل والعلم ليرتقي الإنسان إلى أعلى درجات الكمال المسموح له على مستوى بشريته.

وخلق التسامح يمثل السمة البارزة والركيزة الأساسية للوصول إلى هذا الهدف السامي؛ لذلك كان مطلبًا رئيسيًا على مستوى كل الأديان.

(1) تفسير الرازي (23 / 125).

(2) في ظلال القرآن (364/4).

(3) أخرجه البخاري (6786)، ومسلم (2327).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ولم يكن الإسلام أول من نادى بالتسامح، وإنما أشاد به وأقره، ووضع له ضوابط وحدودا في إطار التنبيه على أهميته ومشيرا إلى دوره في نشر روح الإخاء الإنساني؛ ولأن التحلي بخلق التسامح مع الآخرين هو في حقيقة الأمر إحسان إلى النفس باعتبار أن جميع الأنفس مردها جميعا إلى نفس واحدة؛ النفس الأولى التي نشأت عنها جميع الأنفس؛ فالله جلت قدرته خلق جميع الإنسان من نفس واحدة قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [النساء: 1]، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } [الأنعام: 98]، وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } [الأعراف: 189] وقال تعالى: { خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } [الزمر: 6].

ومن ثم نادى جميع الأديان بهذا الخلق؛ فجاء في الكتاب المقدس [اصحاح متى 5: من اية 38-41]: "سمعتم أنه قيل: عين بعين ونفس بنفس، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين" وجاء في إنجيل لوقا [6: آية 73]: "ولا تدينوا فلا تُدانونا، لا تقضوا على أحد فلا يُقضى عليكم، اغفروا يُغفر لكم" وجاء في التوراة: "لا تنتقم مما فعله الآخرين بك، ولا تذكر ابن شعبك بذلك، وأحب لغيرك كما تحب لنفسك".

– مفهوم التسامح من منظور الحضارات الإنسانية.

إن مفهوم التسامح على مستوى الحضارات الإنسانية والتي ترفع شعار التعايش والمواطنة بغض الطرف عن المعتقدات الدينية يختلف إلى حد كبير عن منظوره في الإسلام والأديان السماوية الأخرى، لأن التسامح عندهم يركز على ركنين أساسيين، وهما: الحقوق والواجبات، فعلى كل إنسان أن يؤدي ما عليه، ويطلب الذي له، وفيما عدا ذلك مطلوباً منه أن يكون متسامحا، ولو أدى تسامحه هذا إلى التعايش مع ما يتصادم مع معتقداته الدينية، أو قناعاته الشخصية؛ فالتسامح هو نوع من القدرات التي تحتم على الإنسان العيش مع المتغيرات، والتصرف السوي مع كافة الاختلافات والتداخلات مع تعميم ثقافة احترام تلك الاختلافات، مما يُنتج بيئة تكاملية من التعاملات البشرية القائمة على مبادئ المساواة واحترام الآخر؛ إذ يتضمن التسامح في مجتمعات الغرب السماح لأمر ما أن يحدث أو يُفعل على الرغم من كراهيته كنوع من التعامل مع الاختلافات، ذلك تماماً ما تمثله سلطة تلك الدول تجاه بعض الأمور مثل الخمر، والمخدرات وغيرها من المسموحات التي الأصل فيها المنع.

يقول أحد الدعاة إلى التسامح بهذا المفهوم: "إنَّ التسامح يُعد خطأً حضارياً يقضي بمنح الآخرين حرية التعبير عن الآراء والأفكار التي تُغاير الآخرين، كما يَسمحُ بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات التي لا ندينُ بها سويةً؟ إنَّ التسامح أصبح إذاً مسألة لا يُمكن فصلها عن الحرية وحقوق الإنسان؛ إنَّ التسامح يجبُ أن يشمل الجميع، وكل الأديان على وجه الأرض"⁽¹⁾.

ويقول آخر: "يجبُ على الجميع ترك التعصبات، وأن يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض، لأنَّ اسم الله يُذكر في جميع هذه المعابد مادام الكل يجتمعون لعبادة الله، فلا خلاف بين الجميع، فليس منهم أحدٌ يعبد

(1) جريدة الحياة، عدد 12398 يوم الخميس 1417/9/28هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الشیطان، فيحُقُّ للمسلمين أن يذهبوا إلى كنائس النصارى، وصوامع اليهود، وبالعكس يذهب هؤلاء إلى المساجد الإسلامية"⁽¹⁾

والحاصل: أنهم توصلوا إلى قناعة تصل إلى حد الاعتقاد أنه يستحيل التعايش والمواطنة بدون التسامح مع الآخر، فاتفقوا بذلك مع الإسلام في جانب، وفارقوه في آخر؛ اتفقوا معه في ضرورة التسامح كنوع من أنواع التواصل مع الآخر، وفارقوه في ضوابطه التي وضعها الإسلام باعتباره بصيرا بما ينفع الإنسان وعليما بما يضره.

ومن ثم كان من الضروري دراسة ضوابط التسامح من منظور الإسلام حتى لا يتحول هذا المفهوم العظيم إلى تهاون وتفريط؛ فتضيع بذلك الحقوق وتنتهك الحريات.

- المبحث الثاني: ضوابط التسامح:

1- ضوابط التسامح بين المسلمين.

ينقسم الناس في هذا الخلق الكريم إلى ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط:

- الطرف الأول: أهل الإفراط فيه والغلو؛ وهم الذين يضعون التسامح والعتو في غير موضعه؛ إما أن يتسامح ويعفوا عن من لا يستحق؛ كالظالم والمستهتر والمتكبر الذين لا يزيدهم التسامح والعتو إلا ظلماً وتمرداً وغروراً؛ فمثل هؤلاء لا يصلح في حقهم هذا الخلق السامي، وإما أن يكون العفو عن ذلة ومهانة وعدم قدرة على رد الاعتداء؛ فهذا عفو ليس محموداً، وإنما هو عجز ومهانة، وتضييع للحقوق.

- الطرف الثاني: أهل التفريط والإضاعة؛ وهم الذين فرطوا في هذا الخلق الرفيع وأصبح ليس لهم هم إلا الانتقام من كل من أخطأ في حقهم، ولو كانت الهفوة منه زلة عابرة، أو خطأ غير مقصود؛ فلا يغفرون زلة ولا يصفحون عن ارتكاب في حقهم مذلة.

- الطرف الثالث أهل العدل والإنصاف: وهم الذين وضعوا العفو في موضعه الذي يحبه الله عز وجل ويرضاه؛ فلم يتجاوزوا فيه الحد، ولم يكونوا ممن عفوه ممن عفوه ناشئ عن ذلة ومهانة وعجز لا عن حلم وعفو واقتدار، ولم يفرطوا في هذا الخلق حتى أضاعوه بسبب شهوة الانتقام والانتصار للنفس، بل هم على حظ كبير من هذا الخلق الذي يعفون به عن من ظلمهم أو أخطأ في حقهم ممن لم يكن الظلم مهنته ولا التكبر والغرور صفتة، وإنما هو زلة عابرة أو خطأ غير مكرر أو مقصود⁽²⁾.

يقول تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)} [الشورى: 41-43].

(1) انظر: الفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان (ص: 50).

(2) التوازن والعدل والوسطية في العفو والصفح لعلي بن نايف الشحود- موسوعة البحوث والمقالات العلمية عن الموسوعة الشاملة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تضمنت هذه الآيات ضوابط التسامح بين المسلمين، وقررت بعض الأصول التي يجب مراعاتها عند المسامحة والعتو؛ فالأصل في الجزاء هو مقابلة السيئة بالسيئة؛ كي لا يتبجح الشر ويطغى، حين لا يجد رادعا يكفه عن الإفساد في الأرض فيمضي وهو آمن مطمئن! ذلك مع استحباب العفو ابتغاء أجر الله وإصلاح النفس من الغيظ، وإصلاح الجماعة من الأحقاد، والعفو حينئذ استثناء من تلك القاعدة، ولا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة، فهنا يكون للعفو وزنه ووقعه في إصلاح المعتدي والمسامح سواء، فالمعتدي حين يشعر بأن العفو جاء سماحة ولم يجرى ضعفا يخجل ويستحيي، ويحس بأن خصمه الذي عفا هو الأعلى، والقوي الذي يعفو تصفو نفسه وتعلو، فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا.

ويقول تعالى: {وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}، والذي ينتصر بعد ظلمه، ويجزي السيئة بالسيئة، ولا يعتدي، ليس عليه من جناح، وهو يزاول حقه المشروع، فما لأحد عليه من سلطان، ولا يجوز أن يقف في طريقه أحد، إنما الذين يجب الوقوف في طريقهم هم الذين يظلمون الناس، ويغون في الأرض بغير الحق، فإن الأرض لا تصلح وفيها ظلم لا يقف له الناس ليكفوه ويمنعوه وفيها بغي ولا يجد من يقاومه ويقتص من فاعله، والله يتوعد الظالم الباغي بالعذاب الأليم، ولكن على الناس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطريق.

ويقول تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، فهذا أمر بالتوازن والاعتدال وضبط النفس والصبر والسماحة في الحالات الفردية، وعند المقدرة على دفع الظلم وحين يكون الصبر والسماحة استعلاء لا استخذاء وتجملا لا ذلا.

ومجموعة النصوص في هذه القضية تصور الاعتدال والتوازن بين الاتجاهين وتحرص على صيانة النفس من الحقد والغیظ، ومن الضعف والذل، ومن الجور والبغي، وتعلقها بالله ورضاه في كل حال، وتجعل الصبر زاد الرحلة الأصيل⁽¹⁾. قال ابن القيم «والفرق بين العفو والذل: أن العفو إسقاط حقدك جوداً وكرماً وإحساناً مع قدرتك على الانتقام؛ فنوثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومهانة نفس؛ فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ}، فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم، وتقاضيتهم منها ذلك حتى إذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء ما لهم عليه ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل وندب إليه، والظلم وحرمه، وقال بعض السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستدلوا، فإذا قدروا عفوا، فمدحهم على عفو بعد قدرة، لا على عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سبحانه به نفسه في قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} (النساء: من الآية 149)»⁽²⁾

قال ابن عثيمين: في قوله تعالى {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {آل عمران: 134}: "قد نفهم من هذا الكلام أن العفو مطلقاً محمود ومأمور به، ولكن ليكن معلوماً لديكم أن العفو إنما يُحمد إذا كان

(1) في ظلال القرآن (8/411-412).

(2) الروح: (ص 513، 514) باختصار.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العفو أحمد، ولهذا قال الله تعالى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [الشورى: 40] فجعل العفو مقرونًا بالإصلاح، وهل يمكن أن يكون العفو غير إصلاح؟ الجواب: نعم. قد يكون هذا الذي اجترأ عليك وجنى عليك رجلٌ شرير، معروف بالشر والفساد، فلو عفوت عنه لتمادى في شره، وفساده، فما هو الأفضل حينئذ، أن نعفو أو نأخذ بالجرمة؟ الأفضل أن نأخذ بالجرمة؛ لأن في ذلك إصلاحًا قال شيخ الإسلام: الإصلاح واجب، والعفو مندوب. فإذا كان في العفو فوات الإصلاح فمعنى ذلك أننا قدمنا مندوبًا على واجب. وهذا لا تأتي به الشريعة. وصدق رحمه الله (1).

ويقول الشيخ الشنقيطي: "أما إذا كان رجلاً شريراً لا يزداد بالعفو إلا شراً، ولا يزداد إلا تسلطاً على دماء المسلمين وأذيتهم، كأن قتل فعفي عنه، ثم قتل مرة ثانية، وعرف منه بعد القتل الثانية أنه على حاله، وأنه مصر على بغيه، ومصر على كبره، ومصر على أذيته للناس، فهذا لا يجوز أن يسלט على دماء المسلمين، فالعفو عنه إبقاء لشره، ومن هنا نص جماعة من أهل العلم على أنه لا تشرع الشفاعة في مثل هذا، فمثل هؤلاء لا يعانون على الإضرار بالناس والإضرار بمجتمعاتهم والإضرار بالأبرياء، فهؤلاء إذا عفي عنهم تسلطوا على دماء المسلمين، وتسلطوا على الناس بأذيتهم والإضرار بهم، وليس الأمر خاصاً بالقتل بل إنه شامل لكل عقوبة، بحيث إذا كان الجاني يتسلط ويزداد أذية وبغياً وفساداً فمثله لا يعان على بغيه وفساده" (2).

2- ضوابط التسامح مع غير المسلمين:

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وفطرحهم على توحيده وطاعته { وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ }، وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا }؛ فالله أراد لهم بإرادته الدينية الإيمان والخير، وأراد لهم الشيطان ودعاة السوء الكفر والشر، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) }، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجج، فمن الناس من قبل الحق ودخل الإيمان طائعاً مختاراً، ومن الناس من رفض قبول الحق ودخل في الكفر طائعاً مختاراً .

وقد وضع الله فوارق بين المؤمنين والكفار في الدنيا والآخرة، ونهى عن التسوية بين الفريقين، وجعل لكل فريق جزاءً وأحكاماً في الدنيا والآخرة، ووضع لكل فريق اسماً مُميّزاً، كالمؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والمشرک والموحد، والفاسق والمنافق، والمطيع والعاصي، ونهى عن التسوية بين المختلفين في هذه الأسماء والسلوكيات فقال سبحانه: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }، وقال تعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ }، يعني لا نجعلهم سواء، لأن ذلك لا يليق بعدل الله، وأمر الله المؤمنين بالبراءة من الكفار والمشرکين ولو كانوا من أقاربهم، قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

(1) العلم لابن عثيمين (ص: 183).

(2) شرح زاد المستقنع عن الموسوعة الشاملة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار .جمهورية صربيا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ }، وهذا أصل من أصول الإيمان والدين مُتَقَرَّرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُتِبَ الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ لَا يُمَارَى فِيهِ مُسْلِمٌ، وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَجِدُ الْبَعْضَ تَحْتَ مَسْمَى سِمَاةِ الْإِسْلَامِ وَتَقَارِبَ وَجْهَاتِ النَّظَرِ مَعَ الْآخَرِينَ يَهْدِمُ بَعْضُ أَصُولِ الدِّينِ فِقْرَانًا مِثْلًا فِي بَعْضِ الصُّحُفِ-نَقْلًا عَمَّا دَارَ فِي بَعْضِ الْمَوْثَمَاتِ- مَحَاوَلَةٌ وَقِتْرَاحًا مِنْ بَعْضِ الْمَشَارِكِينَ أَنْ يُتْرِكَ لَفْظُ الْكَافِرِ وَيُسْتَبَدَّلَ بِلَفْظِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِ مُسْلِمٍ، أَوْ يُقَالَ: الْمُسْلِمُ وَالْآخِرُ!! وَهَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكُتِبَ الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ لَفْظِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالْكَافِرِ وَالْمَشْرِكِينَ، فَيَكُونُ هَذَا اسْتِدْرَاكًا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيَكُونُ هَذَا مِنَ الْمَحَادَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؟ وَمِنْ تَغْيِيرِ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ، فَنَكُونُ مِنَ الَّذِينَ حَرَّفُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ، ثُمَّ مَا هُوَ الدَّفَاعُ لِذَلِكَ؟ هَلْ هُوَ إِرْضَاءُ الْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ لَنْ يَرْضَا عَنَا حَتَّى نَتْرِكَ دِينَنَا، قَالَ تَعَالَى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا} وَقَالَ تَعَالَى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَنَا إِرْضَاءُ الْكَافِرِ وَالتَّمَّاسِ مَوَدَّتِهِمْ لَنَا وَهُمْ أَعْدَاءُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}.

وإن كان مُراد هؤلاء المُنادين بتغيير هذه المُسمَّيات الشرعية: التلطف مع الكفار وحسن التعامل معهم فهذا لا يكون على حساب الأصول الشرعية بل يكون ذلك بما شرعه الله نحوهم، وذلك بالأمر التالية:

- 1 - دعوتهم إلى الإسلام الذي هو دين الله الذي شرعه للناس كافة، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، فنحن ندعوهم لصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
- 2 - عقد الصلح معهم إذا طلبوا ذلك، قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، وكذلك إذا احتاج المسلمون إلى عقد الصلح معهم وكان في ذلك مصلحة للمسلمين، كما صالح النبي صلى الله عليه وسلم الكفار في الحديبية، وبموجب الصلح يتم التمثيل الدبلوماسي بينهم وبين المسلمين.
- 3 - عدم الاعتداء عليهم بغير حق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.
- 4 - الإحسان إلى من أحسن منهم إلى المسلمين فلم يُقاتلوا المسلمين ولم يُخرجوهم من ديارهم، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.

5 - التعامل معهم في المنافع المباحة من تبادل التجارة وتبادل الخبرات النافعة والاستفادة من علومهم الدنيوية والمفيدة لنا في حياتنا.

6 - الوفاء بالعهود معهم ، واحترام دماء المعاهدين وأموالهم وحقوقهم، لأنَّ لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين، قال تعالى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ}، وقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ دَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ}، والنفس التي حَرَّمَ الله هي نفس المسلم ونفس المعاهد ، ومَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً" رواه

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

البخاري، ومن قتل معاهداً خطأ فهو كمن قتل مؤمناً خطأً، عليه الدية والكفارة، قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدَيْتُمْ مُسْلِمَةً إِلَىٰ أَوْلِيَّهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (1).

إن دعوة الإسلام إلى المسامحة مع غير المسلمين ليس ذلاً ولا تنازلاً عن شيء من الدين، والكفار لا يُعاملون في الشريعة معاملة واحدة؛ لأنها قائمة على العدل، فهم أنواع، فمنهم كفار محاربون وكفار مسالمون، فالكفار المحاربون لا يجوز أن يُفعل لهم معروف، ولا نوع من البر، ولا الصلة، ما داموا قائمين بالحرب، { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الممتحنة: 9].

وينبغي التفريق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فالمحبة والمودة من أعمال القلوب ولا يجوز أن تجعل لكافر أبداً، وأما المعاملة الحسنة والبر والعدل والإحسان والأخلاق الصالحة: فهذه من أعمال الجوارح التي تبذل لجميع الخلق على حسب مراتبهم وأحوالهم، قال ابن الوزير في مسألة الولاء والبراء، والتكفير، والتفسيق، وما يتعلق بذلك: "هذا كله في الحب الذي هو في القلب وخالصة لأجل الدين وذلك للمؤمنين المتقين بالإجماع، وللمسلمين الموحدين إذا كان لأجل إسلامهم، وتوحيدهم عند أهل السنة، وأما المنفعة، وبذل المعروف، وكظم الغيظ، وحسن الخلق، وإكرام الضيف، ونحو ذلك، فيستحب بذله لجميع الخلق، إلا ما كان يقتضي مفسدة، كالدلة، فلا يبذل للعدو في حال الحرب، كما أشارت إليه الآية: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ } " (2).

ومما يجب أن يُعلم: أن دعوة الكفار بعامّة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلاً بطريق البيان والمجادلة والتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، قال الله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }.

أمّا مجادلتهم، واللقاء معهم، ومحاورتهم لأجل النزول عند رغبتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض غرى الإسلام، ومعاهد الإيمان، فهذا باطلٌ يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال الله: { وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } (3).

3- ضوابط التسامح مع الجماعات والفرق الإسلامية:

عن حذيفة بن اليمان، قال يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. قال حذيفة: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، ويستنون بغير سنتي، تعرف منهم وتكر، فقال حذيفة: يا رسول الله، فهل بعد هذا الخير

(1) ينظر مقال للشيخ صالح الفوزان نشرته جريدة الوطن عدد 1735 في 1426/5/23 هـ.

(2) إينار الحق على الخلق (ص: 371).

(3) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الفتوى رقم 19402 في 1418/1/25 هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما تأمرنا عند ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك (1).

هذا الحديث العظيم يبين لنا أن الواجب على المسلم: لزوم جماعة المسلمين، والتعاون معهم في أي مكان، فمتى وجد المسلم من يدعو إلى الحق ساعدهم وصار معهم، وأعانهم وشجعهم وثبتهم على الحق والبصيرة، فإذا لم يجد بالكلية فإنه يلزم الحق، وهو الجماعة، ولو كان واحدا، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لعمر بن ميمون: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك" (2).

فعلى المسلم أن يطلب الحق، فإذا وجد من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى العقيدة الصحيحة - في أي مكان، فليكن معهم يلتمس الحق ويصبر عليه ويكون مع أهله، هذا هو الواجب على المسلم. فإن الفرقة الناجية: هي الجماعة المستقيمة على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم؛ من توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والاستقامة على ذلك قولاً وعملاً وعقيدة، هم أهل الحق وهم دعاة الهدى ولو تفرقوا في البلاد، فإذا كانوا على طريقة التوحيد والإيمان بالله ورسوله، والاستقامة على دين الله الذي جاء به الكتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم أهل السنة والجماعة.

ولا بد أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى، وأن نعالج مشاكلنا بالعلم والحكمة والأسلوب الحسن، فمن أخطأ في شيء مما يتعلق بالعقيدة، أو بما أوجب الله، أو ما حرم الله، نبهنا عليه بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن، حتى ينصاعوا إلى الحق، وحتى يقبلوه، وحتى لا ينفروا منه، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن لا يتخاذلوا فيطمع فيهم العدو.

وأما من دعا إلى غير كتاب الله، أو إلى غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو دعا إليهما بغير فهم السلف وجماعة أهل العلم المعبرين فهذا ليس من الجماعة، بل من الفرق الضالة الهالكة (3).

فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بين لنا دربا واحدا يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} كما نهى رب العزة والجلال أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن التفرق واختلاف الكلمة؛ لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسلط العدو كما في قوله جل وعلا: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} وقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} فهذه دعوة إلهية إلى اتحاد الكلمة وتآلف القلوب.

(1) البخاري (7084)، ومسلم (1847).

(2) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (160).

(3) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (8/ 179-183).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والجماعات إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى وتنقد أعمالها فإن الضرر بها حينئذ عظيم والعواقب وخيمة؛ فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تجاوز هذا واستمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرض عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرضون على تفريق كلمة المسلمين وتشيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم⁽¹⁾.

والحاصل:

أن أهل السنة لا يجدون غضاظة في التسامح واللين مع كل من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسول الله بفهم سلف الأمة، أما المخالفون لمنهج السلف فالواجب التحذير منهم والتشهير بهم ومجانبة مجالسهم وعدم الحضور معهم والاجتماع بهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم: أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمور في التسليم والانتهاة إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم، فإنهم يلبسون عليك ولا هم يرجعون، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم"⁽²⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "المؤمنُ للمؤمن كاليدين تغسلُ إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلغ الوسخُ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يُوجب من النظافة والنعموة، ما نحمدُ معه ذلك التخشين"⁽³⁾.

وقال ابن القيم: "وكلُّ هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة: غير مأذون فيها، بل مأذون في محققها وإتلافها، وما على الأمة أضرّ منها، وقد حرّق الصحابة رضي الله عنهم جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان رضي الله تعالى عنه لَمَّا خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرُّق بين الأمة"⁽⁴⁾.

(1) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (136/4 - 137).

(2) الإبانة الكبرى لابن بطة (471/2-472).

(3) مجموع الفتاوى (53/28).

(4) الطرق الحكمية (ص275).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقال إبراهيم بن ميسرة رحمه الله تعالى: "من وقرَّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" (1).
وقال الفضيل بن عياض: "المؤمن يقف عند الشبهة، ومن دخل على صاحب بدعة فليست له حُرمة" (2).
وقال عبد الله بن عمر السرخسي رحمه الله تعالى: "أكلتُ عند صاحب بدعة أكلة، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال: لا كلّمته ثلاثين يوماً" (3).

وقال الإمام الصابوني في وصف عقيدة السلف: "ويغضون أهل البدع... ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرّت بالأذان وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها الوسواس" (4).

وقال بكر أبو زيد: "وقد كان السلف رحمهم الله يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعته" (5).

- المبحث الثالث: شبهات حول التسامح:

1- العلاقة بين تسامح الإسلام وبين الأمر بالقتال.

يمكننا الجمع بين سماحة الإسلام والأمر بالقتال من خلال جانبين رئيسيين:

الأول: مشروعية القتال في الإسلام لم يكن من أهدافه حمل الناس بالقوة المسلحة على اعتناق الإسلام؛ لأنه في القرآن العظيم نصاً واضحاً وصريحاً ومحكماً يمنع من هذا الهدف، وهو قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}.

الثاني: القتال في الإسلام يخلو - منهجاً وسيرة - من أن يكون عقاباً على الكفر الأصلي الذي ولد عليه صاحبه ونشأ فالكفر أعظم الذنوب، ومع ذلك فالأمر فيه موكول إلى الله سبحانه يعاقب عليه في الآخرة بالخلود في النار، أما في الدنيا فليس لأحد أن يعاقب صاحب الكفر الأصلي بالقتال عليه أو القتل ودم الكافر كفرة أصلياً مصون كماله وعرضه، إلا إذا حارب المسلمين أو انضم لمن يحاربهم، فيكون هو الذي أهدر دم نفسه ذلكم هو الإسلام، وتلك هي سماحته الرحيمة.

حيث لم تكن شريعة الإسلام أوحدية في مشروعية القتال، فالقرآن الكريم يقص علينا أن كثيراً من الأنبياء مارسوا القتال بإذن الله فقال: {وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}.

والتاريخ النبوي لبني إسرائيل حافل بالمعارك بين الأنبياء ومعارضهم، فليس القتال إذاً مسبة ولا نقیصة؛ لا في الإسلام ولا في غير الإسلام من الرسائل السابقة.

(1) اللالكائي في السنة (139/1).

(2) المصدر نفسه (1/140).

(3) نفس المصدر (139/1).

(4) عقيدة السلف المطبوع ضمن الرسائل المنيرية (131/1).

(5) حلية طالب العلم (ص29).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومشروعية القتال في الإسلام من الضرورات التشريعية التي يلجأ إليها المسلمون حين لا يكون من حيلة إلا القتال، وهو لم يُشرع في الإسلام ليكون وسيلة للبطش والتجبر والقهر، وحباً في سفك الدماء ونهب الأموال والتشفي الأهوج، بل شرع لردع الظلم، وحماية الحق، ورعاية الفضيلة ولرد العدوان، شرع لإقرار التوازن في الأرض، وإشاعة السلام والأمن، والقضاء على الطغيان، وفي هذا الإطار كانت معارك المسلمين في عصر النبوة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن سار سيرتهم من ولاة الأمور.

ومن الأهداف العليا في مشروعية القتال في الإسلام حماية الدين والعقيدة، ودحر الفتنة، وحماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وكل أولئك مقاصد نبيلة، وقيم إنسانية مقدسة يجب أن تحمى وتصان؛ قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}، وقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}

فالقتال في الإسلام ضرورة وإجراء استثنائي له موجباته ودواعيه، فهو كما قال أمير الشعراء شوقي مخاطباً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: والحرب في حقّ لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء.

فالقتال مشروع في الإسلام ليس في ذلك ريب، ولكنه قتال محفوف بقيم وضوابط حتى لا يساء استعماله كما يساء استعمال كثير من الواجبات والحقوق.

يقول تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

هذه الآية اشتملت على أربعة ضوابط للقتال المأمور به:

الأول: أن يكون القتال في سبيل الله أي لنصرة الحق لا في نزوات شخصية أو عنصرية.

الثاني: أن يكون مقصوداً على من قاتلنا فعلاً أو عزم على قتالنا يقيناً أو ظناً قوياً تؤيده قرائن الأحوال الواردة عن

العدو.

الثالث: ألا يكون اعتداءً وتجاوزاً من جانبنا كقتلى الشيوخ والنساء والذرية والضعفاء والرهبان المعتزلين في خلواتهم أو

بيوتهم.

الرابع: التهيب من الاعتداء بعد النهي عنه، بأن الله لا يحب المعتدين.

وقوله: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي في نصرته الحق، سواء أكان هذا الحق لإعلاء كلمة الله بحماية الدين، أو كان للدفاع

عن الضعفاء أو لردع الظلم في أية صورة من صوره، أو لحماية ديار الإسلام أو مقدساته، وقد أفتى الإمام مالك - رضي

الله عنه - بأن من يقاتل دون ماله إذا اعتدى عليه فهو قتال في سبيل الله.

أمثال هذه الظروف تجعل القتال مشروعاً على سبيل الوجوب: فاحتلال الأقطار الإسلامية، والاعتداء على حرمان

المسلمين، والعبث بحرمات نسائه وفتياته، وهدم دور العبادة واعتداء العدو على مقدسات المسلمين، كل هذه الظواهر

تجعل القتال واجباً على كل قادر من المسلمين، لثُصان الدماء وتحفظ الديار، وتحمي الأعراس.

أما الضوابط في السنة وفي سيرة الخلفاء يمكن التعبير عنها بكلمة جامعة وهي: حظر ضرب الأهداف المدنية -

كما هو معروف في الفقه الدولي الحديث - أي أن الجيش حين يخوض حرباً واجبة شرعاً، فعليه أن يقتصر في حربه

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على قتال من حمل السلاح من العدو وجابهنا به، أو شارك فيه بأي لون من ألوان المشاركة، كالتخطيط، ونقل المؤن والعتاد والجنود إلى ميدان القتال، أو المؤسسات الحربية ومركز القيادات وإصدار الأوامر وتدابير شئون القتال. أما النساء والأطفال وكبار السن ورجال الدين والرهبان الذين حبسوا أنفسهم في أديرتهم ومعابدهم ولم تكن لهم صلة بأمور الحرب الدائرة، وكذلك الزروع والماشية والمؤسسات المدنية كمخازن المياه والتموين الغذائي للمدنيين، والطرق غير الحربية، ومراكز الطاقة الحيوية المتصلة بحياة العامة اليومية، والمدارس والمعاهد والجامعات والمستشفيات المدنية، فهذه كلها لا يتعرض لها بسوء أخذاً بسنة صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين، والاعتداء عليها داخل في الاعتداء المنهي عنه في الآية الحكيمه التي تقدم نصها.

هذا هو ما يرجحه كثير من الفقهاء ولكنه مشروط بشرط عادل ومهم وهو: ألا يعتدي علينا العدو بضرب هذه الأهداف لدينا، فإذا اعتدى العدو علينا بضرب الأهداف المدنية جاز لنا ضرب ما تصل إليه أيدينا من منشآت المدنية، معاملة بالمثل، لقوله تعالى: {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} - وضوابط القتال تتنوع ثلاثة أنواع:

الأول - وضوابط قبل بدء القتال؛ منها: ألا نقاتل العدو إلا إذا سُدَّت كل الطرق أمام التوصل إلى عقد اتفاق سلمي حول النزاع الناشب بيننا وبينه.

ومنها ألا نبدأهم بالقتال حتى يبدؤونا هم به مع أخذ الحذر الدقيق منهم، وترقب حركاتهم حتى لا نؤخذ على غرّة. ويجوز مبادأتهم بالقتال في حالات الضرورة.

ومنها أنه إذا كان بيننا وبين العدو عهد بعدم الاعتداء، وبدرت منه بوادر قوية على خيانة العهد وجب علينا أن نعلمه بنقض العهد من جانبنا قبل أن نقاتله، عملاً بقوله تعالى:

{وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.

الثاني - وضوابط في أثناء القتال:

وهي كل ما تقدم في تفسيره الاعتداء المنهي عنه، ونضيف إليها هنا أمرين:

الأول: عدم المثلة بقتلى الأعداء كتقطيع أطرافهم وتعليقهم على حوامل أو أعمدة، أو بقر بطونهم أو تلطخ وجوههم بمواد مشوهة، فقد ثبت النهي عن المثلة؛ لأنها عمل حقير ولا تليق بكرامة الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم.

الثاني: الاستجابة إلى كف القتال إذا طلب العدو ذلك شريطة ألا يكون مخادعاً لنا في التقدم بهذا الطلب، وذلك عملاً بقوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

الثالث - وضوابط ما بعد القتال: وهي ضربان:

الأول: سلوكيات تتعلق بآثار القتال وما نتج عنه، وأبرز هذا الضرب التصرف في الأسرى إن وجدوا، وكان المصير فيهم في أول الأمر أن يقتلوا، كما جاء التوجيه في غزوة بدر الكبرى بعد أن تصرف النبي في أسرى قريش نازلاً على رأي أبي بكر، فأطلق سراحهم بعد أخذ الفدية منهم؛ فنزل الوحي معاتباً: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. ثم عافياً: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (68) فكلُّوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله عفورٌ رحيمٌ}.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ثم جاء التخيير بين الأمن على الأسرى - إطلاق سراحهم مجاناً - وبين أخذ الفدية منهم، والأمر يرجع إلى تقدير إمام المسلمين أين يرى المصلحة كما جاء في قوله تعالى: {فَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَتْهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ}.

وقد توسع الفقهاء في وجوه التصرف في الأسرى، فزاد بعضهم على ماورد في الآية وجهين أو ثلاثة، منها جواز القتل والاسترقاق، والمعول عليه ما ورد في القرآن نفسه، لأنه قطعي الثبوت والدلالة معاً. وعلى كل فإن معاملة الأسرى - وهو في الأسر - يجب أن تكون بالحسنى.

الضرب الثاني: سلوكيات تختص بواقع المسلمين بعد القتال مع إحرار النصر: وهي الالتزام الكامل بمنهج الله من التواضع وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر الله وإتباع هديه في كل شئون الحياة الخاصة والعامة: {الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}.

إن النصر والتمكين في الأرض من أعظم النعم على المسلمين بعد الإيمان بالله، وشكر هذه النعم يكون بطاعة الله ورسوله لا بالسعي في الأرض فساداً، والطغيان على عباد الله، هكذا وجه القرآن المسلمين. وفي هذا الإطار المحكم من التوجيه الإسلامي الخُلقي جرت معارك المسلمين مع أعدائهم في صدر الإسلام، ويمكن تقسيم تلك المعارك والغزوات قسمين:

أ- غزوات كان سببها الدفاع عن حرمة الله وحقوق المسلمين كغزوتي أحد والأحزاب، ومن قبلهما غزوة بدر الكبرى، إذ كان الهدف لقريش وحلفائها من هذه الغزوات هو مدهامة المسلمين في مقرهم الجديد (المدينة) والقضاء عليهم وعلى الإسلام معاً.

ب- غزوات كان سببها تبليغ الدعوة كغزوات الفرس والروم والمناطق الخاضعة لهما.

وفي هذه الغزوات كان القتال هو اختيار العدو لا المسلمين، كما هو معروف من منهج الدعوة (1).

2- العلاقة بين تسامح الإسلام وبين أمره بالحدود والعقوبات:

لقد تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع والقوانين في التشريع الجنائي ووضع العقوبات المناسبة لأفعال الناس التي تضر بالأنفس والأموال والأعراض وغيرها، حيث أضفت الشريعة على هذه العقوبات ألواناً من السماحة واليسر، بحيث تتقبلها النفس الإنسانية في كل أحوالها بل تطالب بها إذا وقعت مثل تلك الأفعال، ويمكن أن نبين هذه السماحة والسعة من خلال بيان عقوبتين فقط، وهما:

أ - عقوبة قتل النفس:

إن قتل النفس بغير حق يعد من أكبر الجرائم وأعظمها عند الله تعالى، يقول الله عز وجل: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

(1) سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة (ص: 151 - 158).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقد جعل الله - تعالى - قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، وإحياء نفس بمثابة إحياء لجميع الناس، يقول الله تعالى: { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا }.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»⁽¹⁾.

فقتل النفس فعل شنيع وجريمة عظيمة، لا بد أن يكون له عقاب يتناسب مع هذا الجرم والفعل، فكان حكم الله القتل مقابل القتل، لقوله عز وجل: { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ }.

ويظهر يسر الإسلام وسماحته في تطبيق العقوبة على القاتل من خلال النقاط الآتية:

- لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، أي أنه لا يعاقب إلا القاتل نفسه، وليس لأهله وذويه وقبيلته شأن في فعله وتطبيق العقوبة عليه، بدون تعسف أو تعد، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية، حيث كانت تشب حروب وتنتهك أعراض، ويقتل بالرجل أكثر من الواحد، كلها بسبب جريمة قتل وقعت لأحد أفرادهم، لقوله عز وجل: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا }.

- إن من يسر الإسلام وسماحته أن جعل المجال مفتوحاً أمام ولي أمر المقتول وخيره بين إحدى ثلاث: القصاص أو الدية أو العفو، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أصيب بدم أو خبل (الخبل الجراح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث: إما أن يقتص أو يأخذ العقل أو يعفو، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه فإن فعل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد فقتل فله النار خالداً فيها مخلداً».

- ومن يسر الإسلام أيضاً وسماحته قبل تطبيق هذه العقوبة أنه يغري أهل المقتول بما عند الله تعالى، إذا تجاوزوا عن القاتل وعفوا عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما عفا رجل إلا زاده الله به عزا ولا نقصت صدقة من مال ولا عفا رجل قط إلا زاده الله عزا»⁽²⁾.

- ومن سماحة الإسلام ويسره أنه اشترط في جواز تطبيق القصاص اتفاق أولياء الدم جميعاً على هذا القصاص، فإذا وُجد من بينهم من عفا عن القاتل وإن كانت امرأة فإن الحكم يسقط، ويمنع القصاص.

وكذلك إذا كان من بين أولياء الدم من لم يبلغ سن التمييز أو كان غائباً، فإنه ينتظر بلوغه أو عودته من غيبته لأخذ رأيه، فإن عفا عن الجاني فإن الحكم يسقط، وقد يأخذ ذلك سنياً وأعواماً، وفي ذلك حكمة ربما ينسى هؤلاء الأولياء حنقهم على دمهم وتتخفف الوطأة عليهم، فيكون العفو حينها أقرب إلى القصاص.

ب - عقوبة الزنا:

(1) أخرجه النسائي (3992)، والترمذي (1395)، وابن ماجه (2619)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (1395).

(2) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (9643)، وأصله في صحيح مسلم (6684).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وجريمة الزنا من الجرائم الأخلاقية التي تفسد الأسر والمجتمعات وتضيع الأنساب وتفشي الضغائن والأحقاد، لذلك كانت هذه الجريمة من الكبائر التي توعدها الله فاعلمها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، لقوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وعقوبة الزاني الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن، وفي هذا يسر وسماحة، وذلك بتناسب العقوبة مع طبيعة الزاني نفسه، فالزاني الثيب أعظم جرماً من الزاني غير المحصن، لذلك جاءت عقوبته أقسى وأشد وهي الرجم.

ومن يسر الإسلام وسماحته في إنفاذ العقوبة على الزاني أنه طلب شهادة أربعة أشخاص على الفاحشة، وهذا من باب التحري الزائد، وتجنباً لتطبيق العقوبة، وحتى لا يقع الناس في أعراض غيرهم، ليس هذا فحسب وإنما حدد عقوبة للذي يقذف الآخرين ويتهممهم بالزنا من غير أن يحضروا أربعة أشخاص فحينها ينال عقوبة القذف، يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمِحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ}.

ومن أجل إقرار هذا المبدأ لدى الأمة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول تجنب تطبيق حد الزاني، ويحاول إيجاد للمعترف بالزنا أعذاراً لعله يتراجع عن اعترافه، فقد «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبك جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فارجموه. قال ابن شهاب: فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله. قال: فكنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلى فلما أدلقتة الحجارة هرب فأدركناه بالحرّة فرجمناه»⁽¹⁾.

وقد عمل الإسلام على تخفيف وقوع الزنا ومحاولة الستر على مرتكبها، وأن تتم التوبة بينه وبين الله تعالى، فالأمر يرجع إلى الله تعالى يوم القيامة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه⁽²⁾.

3- العلاقة بين سماحة الإسلام وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الدائم الذي يقوم به المسلم، وهو أصل مهم من أصول قيام حضارة الإسلام إذ لا قيام لشريعة الإسلام بدونه، وهو قطب الدين الأعظم، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ودليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو سر أفضلية هذه الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وصمام أمن الحياة، وضمان سعادة الفرد والمجتمع، يثبت معاني الخير والصالح في الأمة، ويزيل عوامل الشر والفساد من حياتها، ويقضي عليها أولاً بأول؛ حتى تسلم الأمة وتسد، ويهيئ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتختفي فيه المنكرات والردائل، ويتربى في ظله الضمير العفيف، والوجدان اليقظ، ويتكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها، وأخلاقها وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطاناً هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، ويبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون

(1) البخاري (7167)، ومسلم (4420).

(2) اليسر والسماحة في الإسلام لفالح بن محمد الصغير (ص44).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وهو سبب النصر والتمكين في الدنيا، وسبب النجاة في الدنيا والآخرة، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين، وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثني وفرادى بشرط القدرة والأمن.

وقد ذكر أهل العلم أن المنكر إن كان يندفع بالمرتبة الأدنى فلا ينبغي السير إلى الأعلى؛ فإن كان المنكر يندفع باللسان فلا يجوز دفعه باليد، وإن كان يندفع بالتعريف لم يجز التوبيخ، وهكذا في سائر المراتب.

والضابط في هذا هو "الاقتصار على قدر الحاجة"، وكون العلماء قد نصوا على ذلك فإنهم لم يتركوا ذلك مجرد قواعد نظرية لا علاقة لها بالواقع، بل نصوا على أن من يتعدى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتجاوز القدر المسموح به والمحتاج إليه في دفع المنكر وإزالته، فإنه يضمن ما تجاوز به في النفس والمال، يقول الإمام الغزالي: «أما كيفية الدفع، فيجب فيه التدرج، فإن اندفع بالكلام لم يضرب، أو بالضرب لم يجرح، أو بالجرح لم يقتل، وإذا اندفع لم يُبْع»⁽¹⁾.

فهروب الزاني بعد الزنا يعني أن المنكر قد اندفع ولم يبق إلا العقوبة، وليست لآحاد الرعية، وفي حالة التعدي عليه بالقتل بعد الهروب القصاص على المتعدي؛ لأن عقوبة غير المحصن الجلد لا القتل، فاعتبر القتل تعدياً يلزم فيه الضمان الذي هو القصاص، ويقول الإمام النووي: «ومن اقتصر في إبطالها على الحد المشروع فلا شيء عليه، ومن جاوزه فعليه التفاوت بين قيمتها مكسورة بالحد المشروع وبين قيمتها منتهية إلى الحد الذي أتى به، وإن أحرقها فعليه قيمتها مكسورة الحد المشروع»⁽²⁾.

قال الشيخ عبد القادر عودة: «حكم التجاوز في دفع المنكر: إذا استعمل المدافع في النهي عن المنكر أو تغييره وسيلة تزيد عما يقتضيه الحال فهو مسئول عن هذه الزيادة، وكذلك إذا تعدى الحدود المقررة لوسيلة من الوسائل، فإذا عنف فاعل منكر فقدفه فهو مسئول عن القذف؛ لأن القذف لا يدخل في التعنيف، وإذا كان المنكر يندفع بالتعنيف أو التهديد فاضرب فاعل المنكر أو جرحه فهو مسئول عن الضرب والجرح، وإذا اندفع المنكر بضربة واحدة أو جرح واحد فضربة ثانية أو جرحه ثانياً فهو مسئول عما فعل بعد اندفاع المنكر.

وإذا كان المنكر يندفع بتغييره باليد فليس له أن يتعدى الحدود المقررة للتغيير، فإذا كان المنكر شرب الخمر أو إحرازها فإن تغيير المنكر يكفي فيه إراقة الخمر، فإذا أتلف الموائد المنصوبة في محل الخمار أو الأبواب أو الأمتعة أو أحرقها فهو مسئول عن ذلك.

ولا محل للنهي عن المنكر أو تغييره قبل مباشرة المنكر أو بعد مباشرته؛ لأن مباشرة المنكر هي التي تحل النهي عنه أو تغييره دفعاً للمنكر، فإذا لم يقع المنكر فلا يمكن اعتبار ما يقع على قاصد فعل المنكر دفعاً وإنما هو اعتداء، وإذا

(1) الوسيط في المذهب (531/6).

(2) روضة الطالبين وعمدة المفتين (18/5).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

انتهى فاعل المنكر من فعله فما يقع عليه من أفعال أو ما يوجه إليه من أقوال بسبب فعل المنكر لا يعتبر دفعاً للمنكر وإنما اعتداء على فاعله.

والأصل أن ما يدفع به المنكر مباح ولا يعتبر جريمة ما دام لم يتعد الحدود المقررة لدفع المنكر، لكن إذا تعدت أفعال دفع المنكر إلى الغير وأصابته خطأ اعتبر الفعل بالنسبة للغير خطأ ولو أنه صدر من فاعله متعمداً إياه؛ لأن الفعل المباح ضد فاعل المنكر محرم ضد غيره، فالتعمد لا عبرة به؛ لأنه تعمد فعل مباح والقاعدة أن من تعمد فعلاً مباحاً فأخطأ في فعله يسأل عن نتيجة الخطأ باعتباره مخطئاً لا عامداً»⁽¹⁾.

4- العلاقة بين سماحة الإسلام وبين الحب والبغض في الله.

لقد اشتبه على كثير ممن ينتسب إلى العلم فضلاً عن غيرهم من العامة مسألة الفرق بين التسامح وبين المودة والبغض في الله وكيفية الجمع بينهما، فظن أن أمر الإسلام بالتسامح مع الآخر إنما يعني مودتهم والتقرب إليهم بما يرضيهم. ويتجلى هذا التشابه وهذا اللبس في خطاب أرسله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى شيخ الأزهر بمصر؛ حيث جاء فيه ما نصه: "إلى حضرة الأخ سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر، وفقه الله للخير. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد: فقد اطلعت على مقالة لسماحتكم نشرتها صحيفة الجزيرة السعودية في عددها الصادر في يوم الجمعة 16 / 5 / 1415 هـ بعنوان: "علاقة الإسلام بالأديان الأخرى" ورَدَ في أولها من كلامكم ما نصه: "الإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى هو السلام العام والود والتعاون؛ لأن الإنسان عموماً في نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه؛ يدل لهذا قول الله تعالى في سورة الإسراء: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}، والتكريم الإلهي للإنسان بخلقه وتفضيله على غيره يعد رباطاً سامياً يشد المسلمين إلى غيرهم من بني الإنسان. فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله تعالى في سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} أصبح واجباً عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، والشعوب غير المسلمة؛ نزولاً عند هذه الأخوة الإنسانية، وهذا هو معنى التعارف الوارد في الآية... إلخ.

ولقد كدرني كثيرا ما تضمنته هذه الجمل من المعاني المخالفة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ورأيت من النصح لسماحتكم التنبيه على ذلك؛ فإنه لا يخفى على سماحتكم أن الله سبحانه قد أوجب على المؤمنين بغض الكفار، ومعاداتهم، وعدم مودتهم وموالاتهم، ما في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} وقال سبحانه في سورة آل عمران: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} وقال سبحانه في سورة الممتحنة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(1) التشريع الجنائي الإسلامي (510/1-511).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ { الآية. وقال سبحانه في سورة المجادلة: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ { الآية.

فهذه الآيات الكريمة وما جاء في معناها من الآيات الأخرى كلها تدل على وجوب بغض الكفار، ومعاداتهم، وقطع المودة بينهم وبين المؤمنين حتى يؤمنوا بالله وحده.

أما التعارف الذي دلت عليه آية الحجرات فلا يلزم منه المودة ولا المحبة للكفار، وإنما تدل الآية أن الله جعل بني آدم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، فيتمكنوا من المعاملات العادلة بينهم شرعاً؛ كالبيع والشراء وتبادل السفراء، وأخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس... وغير ذلك من العلاقات التي لا يترتب عليها مودة ولا محبة.

وهكذا تكريم الله سبحانه لبني آدم لا يدل على جواز إقامة علاقة المودة والمحبة بين المسلم والكافر، وإنما يدل ذلك على أن جنس بني آدم قد فضله الله على كثير من خلقه.

فلا يجوز أن يستنبط من الآيتين ما يخالف الآيات المحكمات المتقدمة وغيرها الدالة على وجوب بغض الكفار في الله ومعاداتهم، وتحريم مودتهم وموالاتهم؛ لما بينهم وبين المسلمين من البون العظيم في الدين.

والواجب على أهل العلم تفسير القرآن بما يصدق بعضه بعضاً، وتفسير المشتبه بالمحكم، كما قال الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ { الآية، مع أن الحكم بحمد الله في الآيات المحكمات المذكورة وغيرها واضح لا شبهة فيه، والآيتان اللتان في التعارف والتكريم ليس فيهما ما يخالف ذلك (1).

ولعلي بهذا العرض الموجز أوضحت معنى التسامح وأهم ضوابطه، وبعض الشبهة المثارة حوله.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل صالحاً خالصاً لوجهه. والحمد لله رب العالمين.

(1) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (189/8-193).

رهان القيم وتحديات الحوارات المعاصرة

ذ. أنس بوابرين

جامعة المدينة العالمية-ماليزيا

مقدمة:

الحمد لله حق حمده، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد، فلا جرم أن المشروع النهضوي، الذي قامت عليه الأمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، استمد قوته من وجود نماذج واقعية، ومقامات مشهودة، صدحت بجوهر البلاغ الرباني الأثيل، المترع بالقيم، فتمثلته في أبهى صورة، تعانق فيها الترتيل مع التنزيل، وكان طبيعياً في مسيرة الانتقال من مرحلة النص المؤسس، إلى مرحلة التبصرة والاهتداء؛ من وجود سجل فكري حاد. بيد أن رجالات الاهتداء أنبياء، و مصلحين، لم يستغفلهم جور الأفكار، وانتكاس الأحوال، عن نهج الحوار الأصيل، الممعن في استيعاب المخالف روحاً وفكرة، ومحاجته على النحو الأمثل، قيمة ومنهجاً.

أولاً: مشكلة البحث:

في خضم السجال الفكري، الذي تشهده المجتمعات المعاصرة، والذي آل إلى اندحار الفعل الحضاري المنشود؛ آلت الإنسانية إلى آفاق مسدودة، يغيب فيها الاستيعاب والتعايش المشروع، وفي هذا السياق استحوذ سؤال الخلاص من هذه الورطة على كثير من المقاربات، وكان التساؤل المركزي هو: هل هناك منهج راسخ، ونموذج فريد لحوارات قيمة، تنهض ببعث واقع متسامي، تُبعث فيه الإنسانية من لهيب الصراع الحضاري القائم؟

ثانياً: فرضيات البحث:

ما من ريب أن حضارة المسلمين التي أوعبت في بناء الإنسان بناءً يتناغم مع صميم ما قامت عليه السموات والأرض؛ من قيم فاضلة، قد رسمت في مشهد " البيان " خطة رشيدة، تعتمد تفاصيلها منهجاً قيماً متوازناً دقيقاً، يكفل تديير الخلاف، ويستوعب الاختلاف، ويؤسس للحق بحق، ويكشف الباطل بحجة وبرهان، والمفروض أنه وُجدت نماذج حقيقة في ثنايا هذه الحضارة القيمة، ضمت إلى قوة الحق الذي سعت إلى إعلانه، والدعوة إليه؛ منهجاً متفرداً، يصلح للاستلham، بل واعتماده مصدراً في بناء الحوار القيمي الفعال .

ثالثاً: قضايا البحث:

- ❖ الحوارات القيمة: ثنائية التنظير و التطبيق
- ❖ المصدرية في النموذج الحوارى الإسلامى
- ❖ مركزية القيم في بناء الحوار الحضارى المنشود.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

رابعاً: الأهداف :

- بيان مركزية القيم في ترشيد الحوار الإنساني
- إبراز غنى التجربة الإسلامية في حقل القيم الحوارية.
- الكشف عن المنهج الإسلامي الحوارى الفريد في معالجة صنوف المقولات.
- بناء خطة راشدة لتدبير الخلاف .

خامساً: المنهج:

- المنهج الاستقرائي: حيث عمد الباحث إلى استقراء النصوص المصدرية ذات الخصوصية القيمية في الحوار وتحليل مفردات الخطاب الحوارى في وقائع جزئية لاستخلاص الأسس والقواعد المنهجية الكلية للقيم الحوارية.
- المنهج الاستنباطي : من خلال تحليل كليات المعطيات الحوارية للوقوف على جزئياتها وما تحمله من دلالات مركزية .

سادساً: خطة البحث:

افتتحت بحثي -هذا- بمقدمة، بينت فيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث، خطته، ومنهجه. ولما كان البحث في هذا الموضوع ذا أهمية بالغة، حاولت إبراز الإشكال الذي سعى إلى الإجابة عنه، من خلال نماذج تطبيقية، وأمثلة شاخصة، من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

وقد انتظم هذا البحث أربعة فصول، واشتمل كل فصل على مبحثين، ثم اختتمت بخاتمة، حاولت من خلالها، بيان ما توصلت إليه من النتائج، من خلال ما بُث فيه من القضايا، مبرزاً ما خلصت إليه مما أزعج أنه حل لمشكلة البحث، وأعقبت ذلك بقائمة المصادر والمراجع، ثم ذيلت البحث بفهرس الموضوعات.

الفصل الأول : القيم الحوارية : المفهوم والمنهج

يشكل تفكيك مركب (القيم الحوارية)، مدخلا أساسا لبناء تصور مفهومي دقيق، يتيح لنا تعميق الوعي بالأبعاد الدلالية للمفهوم، لتحديد تشكيلاته المختلفة، وامتداده على المستوى الإنساني العام .

المبحث الأول : القيم والحوار: المفهوم والتاريخ والأسس.

أولاً القيم : سؤال المفهوم :

قد لا تسلم محاولة تحديد هذا المفهوم من تعقيد، لأنه تتجاذبه حقول ابستمولوجية، ومعرفية مختلفة، تجعل سياقاته متباينة، لاسيما مع استحضر معطى التطور المفهومي، بيد أنه لا مناص من بسط التحديدات الأولية، التي شكلت منطلقاً تداولياً لهذا المفهوم .

« القيمة »: هي واحدة القيم، فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول تقاوموه فيما بينهم، والقوام العدل¹، وما لفلان قيمة إذا لم يدم على شيء، والقائم في الملك الحافظ له¹.

¹ الجوهري، الصحاح في اللغة: مادة (قوم) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين : بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ- 1987م، ج2ص102.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالقيمة في أصلها المعجمي دالة على عدة معان منها :

- الثمن
- العدل والاعتدال
- الدوام
- الحفظ

و يقال في اللغة اللاتينية « valeres »؛ وفي اللغة الفرنسية « valeurs »؛ ويقال في اللغة الإنجليزية « values »، ترجع كلمة « valeur » في أصلها الاشتقاقي، إلى الفعل اللاتيني « valeo »، ويعني «أنا قوي»، و«أنا في صحة جيدة». كما تدل على الشجاعة و البسالة vaillance² . ومن خلال ما تقدم، يمكننا القول أن القيم (هي مجموع القواعد والأسس المعيارية التي تتسم بالدوام وتروم الاعتدال) .

ثانيا: الحوار : المفهوم والأسس.

أما الحوار، فقد أشارت المعاجم اللغوية أن الجذر حور دال على التغيير والرجوع عن الشيء أو إليه. يقال: "حور الكلام أي غيرته"³ وكذلك: تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم". ومنه قوله تعالى { إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ } [الانشقاق:14] أي لن يرجع.

و من الناحية الاصطلاحية هو: "حديث بين طرفين أو أكثر، حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة علمية، إقناعية، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية"⁴. و نظرا لما للحوار من "فضائل خاصة أصبحت تعد اليوم عنوانا على وعي الأمة، وتقدمها"⁵ كما يقول طه عبد الرحمان؛ فإنه يقوم على مجموعة من الأسس المترابطة، والمنتظمة على نحو دقيق، تكفل له وجودا موضوعيا، يتناغم مع ما يستشرفه من آفاق إنسانية، وكونية، أقتصر منها على أساسين:

الأساس الأول : ركيزة العلم المفضي إلى الحجة :

العلم مطلب هام، يدفع عن بيئة الحوار العبث واللغظ، ويسمح بالتأصيل، وصياغة مشترك متين أساسه، يتيح للأفكار أن تتوارد في بساطه، ويهيئ ظروف الإقناع، ويوفر شروط التخاطب الملائمة، فإن لم يتحصل الإقناع في النهاية، فلا أقل من أن تغلب قوة العقل، ويسود نور العلم، الذي ينمحي به سواد الاختلاف، المفضي إلى تعميق الهوية بين أطراف الحوار، وذلك أن الجهل صاد عن تقريب المسافات بين المختلفين، وحائل أكيد من بناء قواعد التفاهم، بل

¹ صاحب بن عباد ، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، د.ن، ذ.م، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م، ج 2ص7.

² JOHN. Laird, The idea of value, 1929

³ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، دون تاريخ، ج1، ص212.

⁴ خالد بن محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، ط 1، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 1425هـ، ص 32.

⁵ طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص 20.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الجهل مظنة اللاتفاهم، وعربون الخصومات والنزاعات، وليس المقصود بالعلم هنا، مفهومه العام، ولكن المراد هو العلم بقضية النزاع بين طرفي النزاع، وفقه مآلات الاختلاف في تلك القضية بعينها، وكذا في شواكلها من الأفضية، التي هي محل النزاع، و استعداد العقل لتقليب النظر فيها، و استعداد التأمل في تفاصيلها، وإدراك ما يتحقق من المصالح حال التفاهم الجزئي أو التام .

ولهذا كان العلم أحد الدعائم التي أسس عليها القرآن الحوار، والجدال، كما قال سبحانه {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ} [الحج:8] فإنه المقدمة للاهتداء، وحامل الكتاب المنير، المتضمن للاستدلال، والنظر العقلي، الذي يهتدي به العقل من جميع الجهات، وذلك أن حقيقة الجهل العدم، والعدم خواء، لا يترك أثرا، ولا يخلف علامة للاهتداء، بل كل الآفات عنه انبثقت، وإليه آلت، ولهذا نعى الله على قوم محاججتهم بغير علم فقال: {هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [آل عمران:66]، قال الجصاص: « وفي هذه الآية أوضح دليل على صحة الاحتجاج للحق؛ لأنه لو كان الاحتجاج كله محظورا، لما فرق بين المحاجة بالعلم وبينها، إذا كانت بغير علم»¹.

المحاجة بغير علم، والحوار بلا سلطان، كبر يغمر القلب بحجب الزيف، فيمنع من التأمل والتفكير، كما قال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر:56]. وكثير من الحوارات كان الفشل حليفها؛ لأن أحد أطراف الحوار، يغمره الانتشاء بالذات، والتعالي بالفكرة، ما أسهم في اعتياص المشكلات، وتعميق الأزمات، و اشتداد الخصومات.

الأساس الثاني : التجرد ودرء التحجر

إن الحوارات القيمية، تبنى على التحرر التام من المنطلقات المصلحية، ذات الحدود الضيقة، وتنطلق في قبول الآخر من آفاق واسعة، مستصحبة في ذلك مرونة يقضي بها الوعي العميق بأفاق التفاهم، متجردة عن الأجواء الانفعالية التي تحكم كثيرا من الخطابات في العادة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن حياطة الأفكار والقناعات والمبادئ بسياج الأنانية، والتعالي، والتحجر، يجعلها متهافتة، تبحث لها عن وجود، من خلال تقويض كيان الأفكار والقناعات الأخرى، حتى وإن كانت هذه الأخيرة أسعد بالحجة، والصدقية.

المبحث الثاني : القيم الحوارية : أنماط ومآلات

مما سبق يمكننا تحديد ماهية القيم الحوارية على أنها : (جملة الأصول المعيارية المعتدلة التي تحكم التخاطب الإنساني والهادفة إلى ترسيخ المشترك الكوني بطريقة إقناعية وفقا لمقتضى المصلحة الوجودية).

ويبقى سؤال المنهج في ظل هذا التحديد المفهومي قائما؛ ذلك أن إحدى صور الاستيعاب التي تحف أبعاد كل مفهوم؛ هو منهجه القائم عليه، وفي ظني أن المفاهيم، متى شردت عن مناهج موضوعية تمتلك مقومات الثبات والمصادقية، فإنها حتما تخسر رهان وجودها، وتبقى معزولة عن (بيئة التجلي)، مأسورة في (بيئة التحلي)، فلا تعدو

¹ الجصاص، أحكام القرآن، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م، ج2ص298.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أن تكون زخرفا مصطلحيا ، ينتشي بفنية الصياغة ، ولا يكاد يجاوزها إلى مستوى تنزيل الدلالة إلى واقع وأنماط تتمفصل فيه محددات ذلك المفهوم، وتؤول إليه .

ومامن ريب أن إحدى مناطات القوة في المفاهيم القرآنية ، هو استدعاؤها لمنهج فريد ، يكفل لها التمام ، ويحقق لها الكمال على صُعد عدة ، ومانحن بصدده ، في مفهوم القيم الحوارية ، وبمحاولة استقرائية ، يتضح لنا أن المنهج الذي رسمه الكتاب العزيز ، وشهدت بها الوقائع والأحداث ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ؛ نيط به من علائق السمات ، ودقيق الركائز ، ما لم تعرف الأمم ولا الحضارات مثله ولا قريبا منه . ومن هذه الركائز والسمات على وجه الإيجاز :

أولا : الإذن بالحوار على أعلى مستوى في مشهد التباين ، في المقام العلي :

في أحد مشاهد العظمة؛ على وَهن المحاور، و جلال من يأذن بالحوار يومئذ جل وعز، وهيبة الموقف، ودلالة كافة الملابسات الحافة بهذه الحال ، أن الحوار لا ينهض بتغيير الحقائق بعد أن كشفت، ومع ذلك يُؤذن للعبد بين سيده بالمحاجة في مشهد حوار رهيبي ، يقول الرب سبحانه {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [النحل:111]، هو (القسط الحواري) إذن الذي أمر به الرب جل جلاله، حيث قال: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف:29]، متجليا في أبهى صورته، وأعلى تمثلاته .

"وَالْمُجَادَلَةُ: دِفَاعٌ بِالْقَوْلِ لِلتَّحْلُصِ مِنْ تَبَعَةِ فِعْلٍ"¹، ومن عجب أن تتسع دائرة المجادلة ، لتشمل المؤمن والكافر ، يقول أبو حيان:

(والظاهر عموم كل نفس ، فيجادل المؤمن والكافر ، وجداله بالكذب والجحد)² وذاك لعمري أحد تجليات الإحسان والعدل الذي أمر به الرب سبحانه في {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:90].

ثانيا : تخليد مقول المحاورات بلا تلفيق :

كم حكى القرآن من حوارات الخصوم ؟ بل وخلد ذكرها مع الذكر؟ فتالت آي الكتاب العزيز أواخر على أوائل ، تصور المشاهد الحوارية ، أبداع تصوير وأدقه ، و" لا يخفى على أحد ماجاء به القرآن الكريم من أساليب ونماذج في المحاوراة كثيرة ومتنوعة حسبنا شاهدا عليها ورود مادة (القول) بصيغ صرفية مختلفة في مواضع جد متعددة"³ فمرة بصيغة (قالوا) ، ومرة بصيغة (قال) ، ومرة بصيغة (سيقول) ، وتارة بصيغة (يقولون) وهلمّ جرّا ، وقد يجري في ميدان

¹ الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار التونسية للنشر، تونس، 1984 م، د.ط، ج 14 ص302 .

² أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420 هـ، ج6 ص602.

³ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص21 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الحوار من طيش الأفكار ، وزغل المحاججات ، ما يستنكف المحاور من عرضه ، لاسيما وهو في سياق بيان غلظه ، وتهجين لغطه ، وقد تطيش الدعاوى بأصحابها ، فتحملهم على السباب ، والفجور في الخصومة ، بل والتجني على الجنب العلي ، بصفاقة مقيته ، لامرعاة فيها لأدنى مراتب القيم الحوارية ، بيد أن الكتاب الذي إحدى سماته المركزية عدم الريب ، يصون كلام القائل برغم رداءته ، ويعرضه كما هو من غير افتراء أو تقول على قائله ، كل ذلك صونا لأمانة مابث فيه ، وإمعانا في الإنصاف ، ودفعا للريب أو الشك الذي قد يُدعى عليه .

إننا نقرأ في التشنيع ما حكى الله عن اليهود في قولهم : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } الآية: [المائدة:64].

وقوله : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [آل عمران:181].

ونقرأ في إحدى صور الإقصاء والاستحواذ التي يمارسها البعض في أرض الله ، ويريد ممارستها جورا في جنان الله :

{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة:111] تلك إحدى صور الأدمية الترابية ، الموغلة في الجهل والظلم ، والمحاطة بغيوم الأناية المقيته ، حال كهذه لا يقر فيها للمحاورة قرار ، ولا ينعقد فيها اتفاق بحال .

ونقرأ في إحدى تجليات الآرية الدعية : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [المائدة:18]

ونقرأ في الإفك والافتراء : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } [الأنبياء:26]

ونقرأ في الدعاوى العريضة التي منشؤها سوار الكذب القائم في نفوس المدّعين ، وزغل أولي النعمة المكذبين : { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة:80]

ونقرأ في بلادة الفكرة ، وتحجير العقل :

{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } [يس:78]

ونقرأ في أحد مشاهد الفضول ، والتدخل في مملكة الله :

{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة:142] ، فالمشرق ملك الله ، والمغرب ملكه ، والناس أحرار في تولي الوجهة التي أرادوا بعد أن ارتضوها ، ورضيها لهم ربهم ، وكان الأخرى عدم تحجير اختيارات الناس ، مادام أن اختياراتهم مأذون به من لدن من له الملك المطلق ، ومن جانب آخر هذا اختيار لا يمس الأغيار بضرر يذكر ، ولا يمتد إلى حوزة وجودهم ، فيسطو على ممتلكاتهم ، أو يشغب على شيء هو لهم .

وهكذا هو الحال في كثير من الحوارات التي خلدها القرآن الكريم ذكرا ، برغم شناعتها ، وعدم أهليتها أن تحكى وتذكر ، فيما يبدو أول الوهلة ؛ لكن الممعن في سياقاتها ، وأساليب محاججتها ، يقطع بفرادة المنهج الحوارى القرآني

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومآلاته، لأنه بذلك يفتح بابا عريضا من النقاش والتحاوور والمحاورة والجدال ، ويؤرخ للأفكار في سياقاتها ، ليشغل العقل حول مصداقيتها ، وازنا إياها بمكاييل معقولة ، وليأوي بها إلى حيث الحقيقة المطلقة التي لا يمكن دفعها أو تعميمها ، وعرض حوارات المتحاوورين ، ومقول القائلين على هذا النحو ، ليدرك العاقل بالتأمل والنظر ، كيف ينشئ جسرا آمنا ، تحيا فيه البشرية بأمان ، وتسلم من فوضى الأفكار، وردئ العقائد ، ثم يسعى في مرحلة تالية إلى تضمين العقيدة التي بها التمكين والاستخلاف ، في كل تفاصيل الأدميين وحياتهم ؛ و " تلك هي المعادلة الصعبة ، والممتدة طوال الحياة الإنسانية "1.

فأي منهج هو منهج القرآن ؟ وأي إنصاف أعظم من هذا الإنصاف ؟

ثالثا: تساوي الأطراف الحوارية في امتلاك الصواب مبدأ:

والمقصود بذلك أن الحقيقة من حيث هي حقيقة لا تحابي طرفا على حساب طرف آخر ، بل تفترض أن الخصمين كليهما يمكنهما ادعاء الحق والصواب مبدئيا ، ثم البرهنة تصدق ذلك أو تكذبه ، " فالراجح أن طريق الحق ليس واحدا لا ثاني له، وإنما طرقا شتى لاحد لها "2، وهذه الحقيقة يصورها القرآن من خلال تنزل الرسول الكريم المتكلم بوحى ، والحال أنه المصون براءء العصمة ، المنتزه عن كل غلط ، المتجرد من غرض الزعامة و الادعاء، حيث يقول الله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [سبأ:24]. قال السعدي : (أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه)3.

يقول الماوردي : (فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ بِلِيغِ حَكْمَتِهِ وَعَدْلِ قَضَائِهِ جَعَلَ النَّاسَ أَصْنَافًا مُّخْتَلِفِينَ وَأَطْوَارًا مُّتَبَايِنِينَ لِيَكُونُوا بِالْإِخْتِلَافِ مُؤْتَلِفِينَ وَبِالتَّبَايُنِ مُتَّفَقِينَ) 4.

الفصل الثاني : القيم الحوارية الدينية : النموذج والمنهج.

لاريب أن إحدى مياسم القيم الحوارية في الشريعة الإسلامية ، هو انتهاجها سبيلي التأصيل والنمذجة في آن واحد ، وهو ما اصطلحت عليه في مفتتح هذه الورقة بالانتقال من (بيئة التحلي) إلى (بيئة التجلي) ؛ أي انتقال النص الديني من مجرد التأسيس والتقنين، إلى التوظيف ، ما يجعل النص مفعما بالحياة ، ذا مصداقية ظاهرة ، تهبه مشروعية (المرجعية) .

1 محمد الخطيب ، قيم الإسلام الحضارية، نحو إنسانية جديدة ، ص11

2 طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص20 .

3 ابن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1ص314. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

4 الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، دار النهضة العربية: بيروت، ص3 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وسيماء (النموذج) في الإسلام ، ملمح يفتح للمتلقى آفاق استلهام البلاغ الرسالي ، مثالا ومنهجاً ، ولهذا لم تقف النصوص عند حدود الدعوة إلى الحوار ، وتمكين وُصلة التعارف ، والتقارب ، و ترسيخ مبدأ التناقص، وإنما اعتملت قواعد هذا الحوار وأصوله، وقواعد التقارب وقوانينه ، وفق منهج قيمي خالد ، بنماذج حية شاهدة ، في مقامات مختلفة ، وسياقات متباينة ، حتى يسهل على الناس الاعتبار بها ، ولا يرى أحد في تلك القواعد والأصول تجريداً وضوئاً ، فإنهم متى استناموا إلى ذلك . أوشكوا أن يتخذوه نهجاً لاجباً، وسيرة يأتسون بها، فبذلك يتحقق الغرض من سرد تلك القصص الحوارية ، والمشاهد السجالية .

المبحث الأول : حوار إبراهيم وأبيه : مشهد العاطفة والمحاجة.

من المشاهد الحوارية التي امتزجت فيها ثنائية (العقل والعاطفة) ، حوار خليل الله إبراهيم مع أقرب الناس إليه ، وأعوذه بالفضل بعد الله تعالى عليه ، إنه حوار الولد مع الوالد ، والعادة أن الوالد أرجح عقلاً، وأعلم بمدارك الهلاك والنجاة ، غير أن ذلك لا يطرد في كل حال ، فإننا في هذا المشهد، نلمح الابن في مقام لا يضاهيه فيه الأب البتة ، كيف والأول رسول من أول العزم اتخذ الله خليلاً ، وآزر الوالد موغل في الوثنية ، أحاطت به خطيئة الشرك والصنمية ، وليس من الهين مع تجافي المسلكين، وافتراق الديانيتين ، وتباين المذهبين ، مع اتحاد آصرة القرابة ، وصلة الأبوة ، أن تسهل على سيدنا إبراهيم المهمة ، بل احتداد اللجاج ، مع ما ذكر حتمً لا مدفع له ، غير أن من كان أفلج بحجته ، راشداً في دعوته ، معتدلاً في منهجه ، فالعاقبة لاشك له ، والحق حليفه ، وإن لم ينجع في الخصم حق ولا حجة .

إنه لا يكون درك المُحاور دركاً ، حتى ينهض في تأسيس ما أراد، بأصول محكمة ، تكون في كل حال مرعية ، تقي من الزلل ، وتدرء مغبة الفرط والمجازة ، وتصون الكرامة ، هذا مع صدق في النية، وعزيمة على الرشد ، ورحمة تنبعث من ثنايا الخطاب ، وذاك ملاك التوفيق ، فإن المحاور متى تزود بمثل ذلك ، أوشك أن يُخرج العقلَ من كهوف الوهم ، ويسلك به مسلك الحقيقة التي لا مرية فيها .

ولما كان سيدنا إبراهيم حيزت له من الكمالات البشرية ماتفرق في غيره ، من الإمامة المشهودة ، والرسالة والنبوة ، فضلاً على حُصّ به- إلى جانب محمد سيد البشرية - من الخلعة الكريمة؛ كان في محاورته الأب أحسنَ ما يكون خلقاً ، أوحدياً في طريقتة ، فريداً في منهجه ، ولهذا حث القرآن على التحديث بحاله حال مناظرته ، والتذكير بمنهج محاورته ؛ فقال سبحانه : **{وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}** [مریم:41] والمراد بالذكر هنا التحديث بحال هذا النبي¹ ، لجميل صنعه ، وأصيل منهجه ، حيث مزج بين لغة العقل والعاطفة ، فتعالى صوت الفطرة مع مقتضى الحكمة ، ولذا كان عليه السلام أسعد بالحجة . {والسبب في ذكر قصة إبراهيم هو أنه أبو العرب، وكانوا معترفين بملته ودينه :} **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** { [الحج:78] فنبههم تعالى إلى منهج إبراهيم من خلال حججه مع أبيه آزر² . }

ويمكننا الكشف عن هذا المنهج الرباني العريق أصالة ، المكتسبي مدد التوفيق شكلاً وموضوعاً، من خلال السمات التالية :

¹ ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ- 1984م، ص126.

² وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ ، ج16 ص103.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

حيازة الصديقية وصفا :

لقوله سبحانه: { إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا } [مريم:41] ، وذلك من مقتضيات الفعالية ، و رسم من رسوم الأهلية ، وصون للحوارات أن يتصدى لها من ليس له مصداقية ، وذلك أجدى في حصول المطلوب ، وأجلب للمقصود ، إلا أن يشاء الله مالا يملك رده ، ولله في خلقه شؤون . قال الزمخشري: (والمراد، فرط صدقه وكثرة ما صدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله،... لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصداق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك)¹.

رحاب المؤانسة :

وهو الذي عبر عنه ابن الأثير بالاستدراج، وتقدمة التودد بين يدي المخاطبة ظاهرة، نظمتها أربعة مواضع سلفت مقطع الهجر والبراءة ، وذلك مؤشر على نبل المقصد ، وسلامة الطوية ، وهو المتعين لا سيما مع آصرة القرابة الشديدة ، وإنما كان ذلك كذلك (لأن الله تبارك وتعالى نظم الشكر له بالشكر لذي النعمة من خلقه، وأبي أن يقبلهما إلا معاً؛ لأن أحدهما دليل على الآخر، وموصول به. فمن ضيع شكر ذي نعمة من الخلق فأمر الله ضيِّع، وبشاهده استخف.)². ومن تجليات الشكر المأمور به شرعا ، بسط خطاب الرحمة والمحبة حتى مع تنائي الوجهتين ، أملا في بلوغ المأمول . يقول الزمخشري : (انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة : كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرق مساق ، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن)³.

البعد العقلي في الحوارية:

قد لا يكون الأنسب حال اختلاف المرجعيتين استدعاء المنقول أولا ، ولهذا خاطب إبراهيم عليه السلام في أبيه عقله أصالة ، ليثور فيه داعي الرشد ، ويوقظه من غفلة الغباوة ، قال تعالى : { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } [مريم:42] والاسْتفهام دخله معنى التعجب)⁴. وهذا المقطع مع المقاطع التي تليه استدلالا بامتياز ، وهو هنا من الصنف التفهيري الذي تأتي فيه النتيجة قبل بيان المقدمات⁵.

والوارد العقلي في المحاورات، يؤسس لعمق في النظر، و يحمل تبريرا للمطالبات التي بحويها فحوى الخطاب، ولهذا توسل به سيدنا إبراهيم لتقرير نتيجة حتمية : "من لا يملك ضرا ولا نفعا أبديا، لا يستحق أن يعبد". يقول ابن القيم : (فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه ، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلّق قلبه به ، وحينئذ فلا بُدّ أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده ، أو شريكا لمالكها ، أو ظهيرا ، أو وزيرا ، أو معاونا له ، أو وجيها ذا حرمة وقدر يشفع عنده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كلّ وجه وبطلت انتفت أسباب الشُّرك وانقطعت مواده ؛

¹ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة: 1407 هـ. ج3 ص18.

² الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام هارون، 1964م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1 ص94.

³ الزمخشري ، المصدر السابق، ج3 ص19.

⁴ عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ج3 ص97.

⁵ ينظر : أصول الحوار، لطف عبد الرحمان ص 31.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض ، فقد يقول المشرك هي شريكة لمالك الحق. فنفى شركتها له ، فيقول المشرك : قد تكون ظهيرا أو زيرا ومعاوناً ، فقال : وماله منهم من ظهير ، فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم ، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه¹.

ميسم العلم:

سلف الإقرار بأهمية العلم مطلباً في حومة الحوارية ، وقد بينا فيما تقدم أن العبثية والنزاع واللاتفاهم ، ثلاثتها ترتوي من ثدي الجهل ، وأن العلم على عكس ذلك يقيم إزاء الضفاف المتناهية، فطرة تقرب المسافات أولاً ، وتصل الجانبين ثانياً ، وتدرء حجب الغباوة ثالثاً ، ولهذا أقام سيدنا إبراهيم هذا الجسر مبدأ الكلام ، تذكيراً للوالد بأن المنطلق في بناء تلك القضية العقدية ، علمي برهاني فطري . فقال : **{ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا }** [مریم:43] ، ولازم الإقرار بالمقدمة الأولى (العلم) ، الخضوع للمقدمة الثانية (الاتباع) ، ثم الإذعان للنتيجة المتحتمة ، وهو أن العلم مآله إلى حيث الصراط السوي ، وهذا المسلك في الاستدلال غاية في البرهانية.

التعليلية:

كان من الطبيعي أن يعلل سيدنا إبراهيم موقفه ، لعل التعليل يكون داعياً آخر لتبصر البلاغ ، فعبادة غير الله عبادة للشيطان ، والشيطان عصي للرحمان ، عصي للفطرة ، عصي للعقل ، وهذا النكوص سبب كل شقاء ، فلذا قال : **{ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا }** [مریم:44]

العاطفية:

وها هنا يستدعي الخليل خلة الشفقة ، والخوف على الوالد من سوء المصير ، قال الزمخشري: ربّع عليه السلام بتخويفه سوء العاقبة، وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال. ولم يخل ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصحح بأن العقاب لا حق له، وأن العذاب لا يصق به، ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب. وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه، أكبر من العذاب. وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبتي توسلاً إليه واستعطافاً².

{ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا } [مریم:45]

الطعن والمعارضة:

حين تغيب شمس العقل ، يرفض الخصم أن يعتدل آلة تفكيره ، فإذا فقدت سمة الإنسان الأولى ؛ وهي كونه عاقلاً مفكراً ، جن قراره ، وعلا صوت الهجر والسباب ، وهذا شأن آزر مع الخليل ، كما حكى الله عنه إذ قال : **{ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا }** [مریم:46]

الاستئناف:

¹ ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1408هـ، ج2 ص 461.

² الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثالثة ، 1407 هـ، ج 7 ص 101.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من عظمة هذا الدين أنه لا يجازف بجوهر بلاغه ، فحتى مع تباين وجهات المتحاورين ، وانسداد أفق التقارب ، و بروز لغة العدوانية ، يستأنف الخليل خطاب السلام ، فيقول : { قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } [مریم:47] ، لأن هذا الدين دعوته قائمة على السلام ، مبدأً وانتهاءً ، ولئن جاء حظر الاستغفار ، وذاك حق الرب العلي { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء:23] ، فلقد تقررت دعوة السلام ، لتبقى خالدة ، حتى مع الخلاف .
الاعتراض:

إذا لم يبق بد من الافتراق ، ولم تسعف الحجج والبيانات في تحقيق التقارب المنشود ، فحينها لابد من قرار برفض المواربة ، ليبقى الحق حق ، والباطل باطلا ، فلا تختلط الوسوم ، ولا تشتهب الرسوم ، ولذلك قال الخليل آخر المطاف { وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا } [مریم:48] يقول الماوردي (وأما الحوادث عن العوارض البشرية من أفعال العباد فهي التي يساس فسادها بالحزم حتى تنحسم وبالاجتهاد حتى تنتظم فليس ينشأ الفساد إلا عن أسباب خارجة عن العدل والاقتصاد ولا تنحسم إلا بحسم أسبابها)¹.

المبحث الثاني : حوار النبي صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة : مناهج الاستدلال، و مسالك الفهم

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا - قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه شاء وكيف عنا ؟

وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرن . فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قل يا أبا الوليد أسمع قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه قال : أفد فرغت يا أبا الوليد " ؟ قال : نعم ، قال : " فاسمع مني " قال : أفعل قال : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ) [فُصِّلَتْ 1 -

¹ الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، دار النهضة العربية، بيروت، ص 216.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

[5]، ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال : بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم¹.

أولاً : مناهج الاستدلال :

● القرآن المرجع :

إن النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أن لكلام الله تعالى سطوة على القلوب ، وأبو الوليد ضليع في البيان ، عروف بالفصاحة ، لا يفوت من كان في مثل مقامه أن يلتفت كرها لجزيل ما يسمع ، فلذا كان منطلق الحوار ، كلام تناهى في الجلال والجمال والكمال ، مع هيئة المحدث به وكمال صدقه صلى الله عليه وسلم ، فلم يملك عتبة إلا الاستسلام برغم غفله عن وعي ماسمع ، لكنه أدرك أن الأمر جلل ، وأن ما سمع أرفع وأجل من أن يكون زخرف قول ، أو سحر بيان ، بل هو الفصل ليس بالهزل ، فكانت هذه الانطلاقة مهداً لانتصار الحق ، لأنها انبنت في مرحلتها الأساس على مشترك ، لا بد أن يخضع الطرف الآخر لمقتضياته وإن عاند.

● السنة المعصومة :

كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وحاله، صدق كله ، وقد شهد بذلك المشركون أنفسهم ، ولذا لم يكن كافياً صدق الكتاب المنزل ، وهو المصدر الأول للاحتكام ، بل لا بد مع ذلك من صادق يحمله ، ولذا اقترن صدق المحمول مع صدق الحامل ، ليكون أدعى للقبول ، وأحوط في التبليغ ، وأسعد بالبيان . قال الله تعالى : {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزُّمَر: 33].

● العقل الصحيح :

وذلك أن العقل جعله الله تعالى على الرشد دليلاً ، وإلى الحقائق هادياً ، وللنفس قائداً ، فلذا أوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة إلى عقله ، وأسلمه إلى مروءته فقال : " فأنت وذاك " . وهذا أصل آخر تزدهي به المحاورات النبوية ، وهو عدم التحجير بعد استتباب البيان ، واكتمال الحجة، وربما كان ذلك سبباً لاستجلاب شهادة الخصوم بحق مارأوا وسمعوا طوعاً أو كرهاً .

ثانياً : مسالك الفهم :

¹ ينظر: الروض الأنف للسهيلي (46/2) ، ، والسيرة لابن إسحاق ص92 ، وقد حسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية = ص159 وذكره في فقه السيرة ص 106 ، وقال : حسن.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته المركزية هي البيان ؛ إلا أنه في هذا المشهد الحوارى بينه وبين عتبة ، نهج طريقة الاكتفاء ، فكثافة النص المختار في سياق هذه المحاججة نادرة ، واف بتجلية المراد ، محقق للغرض المقصود من داخله ، بما يكتنزه سياقه الداخلى ، وكذا ما ينطق به سياق الحال . ولذا لم يكن مستغرباً أن يناشد الرحم ، ويطلب التوقف ، لأن هذا البلاغ القرآنى ، أخذ بمجامع قلبه وعقله ولولا الحجب التي تمنع من احتمال مقتضى الانبهار ، لأسلم عتبة ومن معه ، ولكن الطبيعة العنادية تحمل أصحابها على العنت ، و تحول بينهم وبين الرضى والاستسلام .

الفصل الثالث : القيم الحوارية الاجتماعية : ملاحظة الواقع واستشراف المستقبل .

إنه لا مناص من الإقرار بالتردي السافر الذي أضحت تشهده ميادين كثيرة من معمر الآدميين ، ما جعل المجتمعات تعيش انفصاما قيميا تاما على مستوى التقارب ، وصناعة الالتقاء ، وهو واقع أليم ، بلغ فيه الصراع ذروته ، فصارت الشعوب منسلخة من سيماء الآدمية ، تعالت أصواتها ، واحتدت حروبها ، ولم يعد للغة الحوار مكان ، إلا على نطاقات محدودة غير بريئة في كثير منها .

المبحث الأول : حوار شعيب مع قومه: سيماء الصلاح والإفساد.

من المعلوم أن مهمة الأنبياء والمرسلين سياسة العباد بمنهج إصلاحى متكامل عقيدة وشريعة ، ولا ينهض بمثل هذه المهمة إلا من امتدت له يد التوفيق الرباني ، وحاطته العناية الإلهية الكاملة ، وكلما طغا الفساد بأشكاله ، وعمّ طوفان التطفيف بمختلف ألوانه، واتسعت ويلاته ، قوي الإلحاح على تكثيف جهود الإصلاح ، وتحديث مناهج المصلحين ، للحد من استطارة الفساد والمفسدين. ويشكل البعد العقدي أولى مداخل الإصلاح العميق ، فإن فساد العمران من فساد الإنسان ، كما قال سبحانه : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم:41] ، ولهذا جاءت الشريعة بدرء المفاصد وجلب المصالح ، لأن بالصلاح تستعمر الأرض بحق ، ويقوم داعي الاستخلاف والتمكين ، بلا نزاع ولا استحواذ .

وهاهو شعيب يحاور قومه كاشفاً قضيته الأساسية، وهي توحيد الله وعبادته وحده، قائلاً لهم ما حكاه الله عنه {وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأعراف:85]. ولئن كانت دعوة المرسلين والمصلحين قائمة في الأساس على التوحيد ، وتعبيد الناس لله ، ولأجله بعثوا ، ومن أجله أنزلت الكتب ، وقام سوق الجنة والنار ؛ بيد أن منظومة الإصلاح المأمور به، لاتنكح حلقاتها، في كل مجالات الناس وأحوالهم ، في العقائد والديانات والاقتصاد والسياسة والاجتماع وهلم جرا ، ولهذا استأصل شعيب الفساد من جذره ، وحاربه في أصله ، فإن خراب القلوب ، وعدم الوفاء بميثاق الله ، أصل كل نقض ، ومنه تسري ألوان الفساد في كل المناحي ، إذ لاعاصم من البهيمية التوافق إلى الغلبة والاستحواذ ، إلا بتحديد وجهة التولي الصحيحة ، ومتى غاب حق الله عقيدة وممارسة بين الناس ، انتهجت كل وسيلة غير مشروعة ، فلم تُتَوَقَّ المعاطب و المتالف ، ومن تتبع ما حصل في أحوال الشعوب والأمم ، من الأزمات الاقتصادية ، والانتكاسات السياسية ، و المعائر الاجتماعية ، و الاندحارات النفسية ، أيقن أن أصلها هو انتكاسة الفطرة عن تولي الوجهة الصحيحة ، بخيانة الميثاق الأول ، ميثاق العبودية ، وصونها باعث على صون المسؤوليات التي تناط بالأفراد والمؤسسات في الولايات العامة والخاصة .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

واستيعاب هذا المنطلق أساسي في صياغة الحوار المطلوب ، وتحديد آلياته ، ولذا كان هو منطلق سيدنا شعيب في محاوره قومه؛ فبعد دعوته إياهم إلى إصلاح عقائدهم ، قرن ذلك بتصحيح أحوالهم لما لمح من تأهلهم لقبول الشرائع الفرعية التي بها نظام حياتهم . يقول ابن عاشور مبينا القضايا الحوارية بين شعيب وقومه : (وحاصل ما أمر به شعيب عليه السلام قومه، بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول هي حفظ حقوق المعاملة المالية، وحفظ نظام الأمة ومصالحها، وحفظ حقوق حرية الاستهداء)¹. وهذه الأصول ثلاثتها هي الكفيلة بقوة الدول ، ووعليها ترسي دعائم الحضارات .

المبحث الثاني : قصة المجادلة: الأبعاد والدلالات.

أخرج قصتها الإمام أحمد في " مسنده" ، وأبو داود في " سننه" ، ونص أحمد:

(عن خولة بنت ثعلبة، قالت: واللّه فيّ، وفي أوس بن صامت، أنزل الله -عزّ وجلّ-، صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا، قد ساء خلقه، وضجّر، قالت: فدخل عليّ يوماً، فراجعته بشيء، فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ، فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلاً، والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليّ، وقد قلت: ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فوثبني، وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت، حتى جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه صلى الله عليه وسلم، ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: يا خويلة ابن عمك، شيخ كبير، فاتقي الله فيه"، قالت: فوالله، ما برحت، حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان يتغشاه، ثم سُرّي عنه، فقال لي: " يا خويلة، قد أنزل الله فيك، وفي صاحبك"، ثم قرأ عليّ {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:1] إلى قوله: {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة:4] ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : مُرِيه، فليعتق رقبة، قالت: فقلت: واللّه يا رسول الله، ما عنده ما يُعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين"، قالت: فقلت: واللّه يا رسول الله، إنه شيخ كبير، ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر"، قالت: قلت: واللّه، يا رسول الله، ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - فإننا سنعيّنه بعرق من تمر"، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعيّنه بعرق آخر، قال: " قد أصبت، وأحسن، فاذهبي، فتصدقي عنه، ثم استوصي بآبن عمك خيرا، قالت: ففعلت)².

أولا : البعد الحضاري

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس، د.ط، 1984 م، ج 8 ص 24.

² أخرجه الإمام أحمد 46/6، وابن ماجه رقم 188 - في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية - من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، به. وأخرجه النسائي رقم 3460 - في الطلاق، باب الظهار - من حديث جرير عن الأعمش، به. وأخرجه ابن حجر في تعليق التعليق 339/5 بسنده إلى جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، به. ثم قال: هذا حديث صحيح، وتميم وثقه ابن معين وغيره. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي رقم 3237، وصحيح سنن ابن ماجه رقم 155.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لاشك أن الأمة تخوض معركتها الوجودية في مرحلة هي من أخطر المراحل بإطلاق ، إن لم تكن أخطرها لأسباب كثيرة ، لا يتأتى تفصيلها في هذه الورقة البحثية .

وفي هذه المحاوره الرائقة التي عرج صوتها إلى سدره المنتهى ، دليل آخر على أن هذه الأمة عريقة بحضارتها في الحوارات المؤسسة على أصول نبيلة ، والتي يهّب الخصوم اللائكيون في كل نازلة إلى المزايدة علينا - معشر أهل الإسلام- في ذا الجانب وغيره ، في إحدى صور الفجور الممنهج ، لكن التاريخ لا يحايي أحدا ، والشهادة بتجذر هذه الأمة في ميدان الرقي، والكرامة الإنسانية ، تكفله قوانين الزمان والأحداث ، على مدى قرون مديدة .

وفيما نحن بصدده تتهم الحضارة الإسلامية بمعاداتها ل (امرأة النهضة والتقدم)، وكتبت مقالات مغرضة ، باسم (ردة في عالم المرأة)¹، واصطنع قوم الصراع بين الذكورة والأنوثة²، وظهر مصطلح (تحرير المرأة) والذي يقصد به عند التحقيق : حرية التعهر ، وتحرير المرأة من الكرامة الإنسانية ، لتغمس في براثن اللحوم الرخيصة ، شأنها شأن البهائم ، فهي عندهم صورة فقط ، في حين أن الإسلام كانت عنايته بالنفس أي الكينونة والجوهر، " ولذا فرض الستر على المرأة حتى لا تطفئ سيماء الصورة على سيماء النفس التي هي السيماء الحقيقية والتي هي أساس التميز في الإسلام " ³.

وإحدى التجليات الحضارية لهذه الأمة ، تسمية سورة بوصف يختزل أسطرا من البيان والتحليل ، (المجادلة) ، مايعني مركزية المرأة/الأنتى في مجال التعبير، واتخاذ القرار، ولذا جادلت هذه المرأة، وسمع الله صوتها ، وانتصر سبحانه لشكواها ، وُث في التنزيل سورة تحوي محاورتها بتمامها ، وتلك كرامة أي كرامة! !

إن قصة المجادلة تؤسس لمبدأ عظيم ، وهو حق المرأة في الحوار والاعتراض والمجادلة ، شأنها شأن الرجل ، إذ لافرق بين الذكورة والأنوثة إلا فيما يلزم أن يكون فارقا ، وهذا عكس كل المؤتمرات التي أقيمت وتقام باسم المرأة ، وترعاها جهات ذات مقاصد براغماتية ، فإنها سلبت المرأة من كل سماتها ، فبقيت جسدا بلا كينونة ، ودمية يعبث بها باسم الفكر والمفكرين⁴ ، ولم يأذن لها بالحوار إلا وفق دائرة المصلحية للمؤتمرين، وذلك منزلق خطير في تاريخ الحضارة الإنسانية ، لأن مآل هذه المحطات التي تحكمها الشهوانية ، وتحبك تفاصيلها بواعث البهيمية ، أن تستبدل جنسا خلقه الله مكرما بآخر لا انتماء له حتى في سلك الحيوانية ، والقضاء على المرأة / الإنسان ، قضاء على الإنسان .

ثانيا البعد السيميائي :

وأقصد به كونها (أنثى الإنسان) ، بتعبير فريد الأنصاري⁵، وكونها أنثى لها من خصوصية الستر ما ينبغي التقيد به ، والقيم الحوارية في القرآن تجري في فلك منظومي ، فللحوار أدبياته وأخلاقه ، وله أصوله وقوانينه ، وليس من الموضوعية

¹ فؤاد بت عبد الكريم ، قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص35.

² كما فعلت نوال السعداوي في كتابها (الأنثى هي الأصل) .

³ فريد الأنصاري ، سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة ، ط1 ، طوب بريس، منشورات ألوان مغربية، ص 20.

⁴ ينظر: وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة /كوبنهاجن 1980 و المؤتمر العالمي للمرأة/ نيروبي 1985 ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة /بكين

1995

⁵ فريد الأنصاري ، المصدر السابق ، ص21.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

في شئ ان تنهار جدارات الحياء ، لنقيم حوارا ، لا سيما مع المرأة / الأنثى ، لتفردنا بسلمات ، ولأن داعي صون الكرامة ، ملح في استدعاء أسبابها ، ودرء كل القواطع ، والموانع ، التي تجعل الحوار يجري في مجرى آخر ، يهدر فيه حق المرأة ، ويعبث فيه بخصوصياتها . ولذا جنحت هذه المرأة المتميزة في حوارها ، إلى ثوب ساتر "ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت" ، ليكون جو استرجاع الكرامة من خلال المحاورة ملائما ، ولم يكن الظلم والتعدي ذريعة للتكشف ، ولا كان مسوغا لحوار خلو من ظروفه ، وملابساته .

البعد الإنساني :

لما كانت المرأة/المجادلة ذات حق ، وكان وجودها يعني أسرة متوازنة ، وغيابها يعني غياب مفهوم (الأسرة) ، عمد الرسول الكريم ، إلى مخاطبة خولة بنت ثعلبة ، في جانبها الإنساني ، مع مراعاة جانبها الحقوقي ، وذلك ما تقتضيه الحكمة ، فإن سبق المعروف موجب للتقارب ، وإن حصل الخلاف كما قال سبحانه { وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة:237] ، يقول لها عليه الصلاة والسلام : (يا خويلة ابن عمك، شيخ كبير، فاتقي الله فيه)؛ وتقريب المسافة ، أولى من تعميق الخلاف ، والسعي في نبذ الخصومات ، وإحياء أسباب الوداد ، سمة العقلاء ، وذلك أن ما يحصل من الآفات بسبب تنافر الأحوال والأفكار ، عظيم مآله ، وخراب الجماعات ، مبدؤه تنافر الأفراد ، وخراب الدول مبدؤه خراب المؤسسات ، ومؤسسة الأسرة ، تشكل موقعا مركزيا ضمن المؤسسات الأخرى على أهميتها ، فإنه متى خربت الأسرة ، خربت الإنسانية برمتها ، ومفهوم الدولة قائم على سياسة الإنسان ، فإذا غاب (الإنسان) ، غابت (الدولة) ، فلم يعد مجتمع ولا سياسة .

الفصل الرابع : القيم الحوارية الإنسانية : آفاق المشروع القيمي الكوني.

نجاح هذا المشروع ضامن أن تحيا الإنسانية بسلام عادل وشامل ، لكن غياب مفهوم (العدل) ، في واقع الإنسانية المعاصر ، جعل آفاق هذا المشروع مظلمة لدى البعض ، وهذا ما تؤشر عليه كثير من الكتابات الشرقية والغربية ، وبعضها لا يسلم من خلفيات وبواعث يحق التساؤل حول طبيعتها ، ومن أشهر هذه الكتابات "صدام الحضارات، وإعادة تشكيل النظام" عام 1996، والذي ترجم إلى 39 لغة عالمية¹.

المبحث الأول : حديث السفينة : قانون التعايش.

عن التُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"²

¹ لصامويل هنتنغتون ، والذي اتهم بسبب هذا الكتاب بتكريس الهيمنة الغربية والدفاع عن مصالح الحضارة الغربية .

² رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الشركة ، باب: هل يقرع في القسمة...، رقم الحديث(2493) (139/3) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند الكوفيين ، مسند النعمان بن بشير ، رقم الحديث (18361) (310/30) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب:الفتن رقم الحديث (2173) (40/4) ، ورواه البزار في مسنده ، مسند النعمان بن بشير ، رقم الحديث (3251) (211/8).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

هذا التصوير غاية في الإبداع ، ومحال أن تفي صورة أخرى بنحو هذه البراعة تمثيلا ووصفا، ذلك أن هذه السفينة أشبه ما تكون بمنصة الإئتمار حول القضايا المصيرية ، التي لا محيد فيها عن صياغة إعلان مشترك يضم قانونا للتعايش ، لا مجال فيه للمواربات ، ولا للحسابات الضيقة ، يصادق عليه المؤتمرون جميعهم ، ويلتزمون بمقتضياته ، حتى يعيش الكل بسلام ، في إطار مشترك كوني، يراعي الخصوصيات، ويتناغم مع القيم الوجودية، التي قامت عليها السموات والأرض، من العدل والقسط والإحسان، وهذا الحوار كاشف لموقع الحزم حين يتهدد الخطر المجتمع الأرضي بأسره، أو جماعة منه .

القانون الأول : المصلحة الجامعة

القانون الثاني: تدبير الوقائع باختلاف المواقع

القانون الثالث: الحرية المسؤولة

القانون الرابع: العدل

القانون الخامس: التناسح لا التناطح

القانون السادس: الحزم سياسة النجاة

القانون السابع : التلطف لا التعسف

المبحث الثاني : مؤتمرات التعايش : الواقع والامتدادات.

قد يكون من المتعسر تتبع تاريخ مؤتمرات التعايش ، وتتبع مجرياتها ، وتحليل توصياتها ، لكنني سأحاول الاقتصار على آخرائين منها، إلى حين كتابة هذا البحث :

أما الأول فهو "مؤتمر مراكش لحماية حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية"، والذي رعته دولة الإمارات العربية المتحدة، بالشراكة مع المملكة المغربية في يناير 2016، وقد عبر العلامة بن بيه في ورقة تأطيرية عن وجود أزمة حقيقة ، وقال : (الحضارات تمرض وأطباؤها العلماء ، نجتمع هذا اليوم لنناقش هذه الأزمة ، لنشخص المرض ، ولنبحث الحلول ، ونقدم مقاربات لمواجهة عناوين الأزمة الكثيرة المتنوعة، فمنها التكفير ، والمظالم المتبادلة ، والطائفية ، والثارات المزعومة ، والدليل المجتزأ ، والدعاوى ضد مجهول ، والتأويل المفضي إلى الاقتتال العبي حتى لو ألبس لبوس التقوى)¹، وجعل من وسائل هذا التطبيق ؛ "سلوك المنهجية الأصولية ... وتموقع النصوص في بيئتها الأصلية.."² . وحول إعلان مراكش 2016، أكد ابن بيه أنه وثيقة إسلامية أصيلة، تستمد فحواها ومضمونها من صحيفة المدينة المنورة التي عقدها الرسول الكريم مع اليهود في المدينة .

- وأما الثاني فهو "مؤتمر واشنطن للتحالف بين الأديان"، والذي انعقد في 5 فبراير 2019³، بمشاركة رجال دين أميركيين، وعدد كبير من العلماء والأكاديميين والباحثين في الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، وسط

¹ الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

² السابق.

³ كان انعقاده متزامنا مع كتابة هذه الورقة .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دعوات لنشر السلام والتسامح وتعزيز قيم التعايش المشترك، و يستلهم «مؤتمر واشنطن» الدولي أفكار «إعلان مراكش التاريخي» لحماية حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية.

هذا جانب من واقع مؤتمرات التعايش ، ويبقى السؤال الجوهري : هل حققت هذه المؤتمرات الحوارية أهدافها؟ وهل كسبت رهان التقارب والتعايش المنشودين؟ وهل استطاعت أن تحتوي طرفا من النزاعات الإقليمية والدولية ؟ وهل توصياتها تمتلك مقومات موضوعية لأن تجد لها سبيلا لتحقيقها فعليا؟

التفاؤل بأجوبة إيجابية قد لا تسعفه الحالة الوجودية العامة، لاعتبارات متعددة، وفي رأي أن الحضارات تخوض اليوم معركة الوعي بأهمية السلم للجميع، وأن الإنسانية تخسر جوهر سميتها الفارقة، إذا هي استمرت في الاستقواء المرعب، ومن هنا أضحي من اللازم أن تعلق أصوات الحكمة المتجردة من كل الدوائر البراغمية المختلفة.

ولاشك أن إقامة مثل هذه المؤتمرات مطلب مشروع يتسق مع الشريعة في جانبها المقاصدي ، ويتفق مع رسالة القرآن ، في وجوب الإحسان إلى الأغيار ، على اختلاف منابهم ، وتباين أجناسهم ، في ظل مقتضيات عادلة ، وواقع تتساوى فيه أطراف التحاور ، ويعلو فيه صوت العقل والحكمة ، وتساس فيه القضايا بعدالة وقسطاس. والحق أن حضارة أهل الإسلام لا تؤمن بصراع الحضارات الذي دعا له بعض من يحسب على المعسكر الغربي ، بل تدعو إلى تلاقيها في إطار يتفق مع قواعد التعايش التي ذكرنا . وإن من الفخر أن يكون لنا شاهد شامخ على سبق الإسلام إلى بناء ما يتوق المؤتمرون إلى التواصي به ، في مختتم مؤتمراتهم ، فضلا على أن يرونه عيانا . وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم طافحة بأشكال البر والإحسان إلى الآخر ، وواقع المدينة النبوية زمن رسول الله والقرون بعده ناطقة بمياسم التميز في استيعاب الحضارة الإسلامية لكل الأجناس والأفراد والجماعات .

ولا جرم كان هذا الدين عظيما ، ومحل كرامة الإنسان فيه ذات اعتبار وأي اعتبار ، أن يأمر بالقسط والبر مع الآخر ، يقول القرافي رحمه الله "وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفنا منا لهم لا خوفا وتعظيما والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيححتهم في جميع أمورهم في دينهم وديناهم وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانون على دفع الظلم عنهم وإبصالهم لجميع حقوقهم وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق فجميع ما نفعله معهم ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيبهم نبينا صلى الله عليه وسلم)¹.

خاتمة :

إننا نخلص من خلال هذه المحاور المصيرية على ظهر (السفينة/ منصة الإثتمار)، أن التعايش له قوانين تحكمه، والتحاور له قواعد تضبطه ، وإلا كان جورا منظما ، واستحوادا ممنهجا ، يسعى إلى تقزيم الآخر، وجعله حملا وديعا،

¹ القرافي ،أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ج3ص16.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ليجد الفوضيون ، المناخ الملائم لممارسة كل ألوان الاستعباد ، وأشكال الاستقواء المشين ، وفي أحيان كثيرة باسم التقارب ، وباسم الحوار، وباسم أحقية الوصاية .

إن الحضارة الإسلامية أوعبت في بناء حوار راشد ، تأصيلاً وتمثيلاً ، ولا بد من إعادة النظر من أهل الإنصاف من سائر الملل والنحل ، في سماحة هذه الملة ، ونبذ عقلائها وعلمائها ، دينا ودينا لكل أشكال العنف ، والتمرد ، وتدعو في المقابل إلى تأسيس حوار يخلص إلى تأمين الإنسان ، وسلامة العمران .

التوصيات :

- النهوض بمشروع الحوار فرض متحتم ، وواجب يمليه صدق الانتماء لهذا الدين العظيم .
- القرآن الكريم مصدر أثيل في بيان وسائل التحاور ، وآليات التقارب ، وقواعد التعايش .
- السنة النبوية نصوص حية شاهدة على حسن التجاور وقوانينه ، واعتماد الأصول على منصة التحاور وهي مصدر أساس لاستلهام المنهج الفريد الكفيل ببعث الأمة من لهيب الصراع الحضاري ، وجحيم الخطاب العدائي .
- مؤتمرات الحوار ينبغي أن تستوعب كل الأصوات ، لتكتمل الصياغة ، وتحقق الأهداف .
- رسالة القرآن الأولى بناء الإنسان ، قبل تشييد العمران ، وإحدى أدوات البنيان ؛ تأسيس جسر حوار يخطب العقل ويستوعب العاطفة .
- إمكانات السلم متاحة في الأفق ، إذا طمست معالم الأنانية ، وتحررت المقاصد من الدوائر المصلحية الضيقة .
- وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع:

- ابن الجوزي. (1404هـ - 1984م). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. لبنان/ بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن قيم الجوزية. (1408هـ). ، الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، الرياض، المملكة العربية السعودية : دار العاصمة.
- الطبعة الأولى.
- أبو حيان. (، 1420 هـ). البحر المحيط في التفسير . بيروت: دار الفكر.
- الجاحظ. (1964م ،) . الرسائل. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجصاص. (، 1415هـ/1994م). أحكام القرآن . بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- الجوهرى. (1407هـ - 1987م). الصحاح في اللغة: مادة (قوم) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور. بيروت،: دار العلم للملايين.
- الزحيلي. (1418 هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر.
- الزمخشري. (1407 هـ). ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الله، الطبعة: الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي.
- السهيلي. الروض الأنف .
- الصاحب بن عباد. (، 1414هـ-1994م،). المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين،
- الطاهر بن عاشور. (1984). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، . تونس: الدار التونسية للنشر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- القرافي. ،أنوار البروق في أنواع الفروق، . عالم الكتب.
- الماوردي. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، ، . بيروت: دار النهضة العربية.
- خالد بن محمد المغامسي. (1425هـ). الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية . الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- طه عبد الرحمان. (2000م). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الخالق عزيمة. ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ، . القاهرة: دار الحديث.
- فريد الأنصاري. سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة ، ط1 ، طوب بريس، . المغرب: منشورات ألوان مغربية.
- فؤاد بت عبد الكريم. قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام.
- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، ج1، ص212. القاهرة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الدعوة بالحوار بين مبدأ العرض والتخيير في مقام الدعوة وإشكالية الإلزام في مقام الإنكار

(دراسة تأصيلية مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)

د. ناصر بن خليفة اللوغاني

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

ملخص بحث:

تناول البحث حل إشكالية التعارض الفكري (الظاهري) بين حق الحرية الفطري، الذي أولاه الإسلام اهتماما بالغا وتأصيلا محكما، وبين ما يتضمنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خاصية التسلط والإلزام على أفراد المجتمع. من خلال تأسيس نظرية الفرق بين مقام الدعوة والإنكار، وبيان المسوغ الأخلاقي والتشريعي للإلزام، ومحل الحوار من ذلك كله.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفى على أحد العلاقة الوثيقة للحوار بين كل من مصطلح الدعوة ومصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل هما شيء واحد، أو لكل منهما مقامه وماهيته وساحته.

وكيف تجمع الشريعة بين المطالبة بالحوار وبالإنكار في وقت واحد، علما بأن الإنكار متسم بشيء من الإلزام فيما يبدو؟.

كما لا يخفى على المشتغل بعلم من العلوم، المعالج لشيء من مضايقه، ما لوضع مصطلحاته وبيان حدودها من أهمية بالغة، فسلامة للمصطلحات شرط لسلامة المفاهيم والأفكار، وصحة النتائج، فالمدارك المختلفة والنتائج المتباينة لا يمكن أن ترجع إلى غير ضابط، أو تُسند -عند مضايق الترجيح- إلى مُتردّد محتمل غير محدد.

وقد لَمَس الباحث في مصطلحات علم الدعوة قصورا من حيث تمييز المفاهيم عن بعضها على نحو دقيق، كالدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحوار، والمجادلة، والإصلاح، والموعظة، وغيرها، مع كونها مستعملة في القرآن على ضروب مختلفة، مما يستدعي دراسة طبيعة علاقة بعضها ببعض، واستخلاص الفروق

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بينها، لاستعمالها في علم الدعوة في ضوء الاستعمال القرآني، وللمساهمة في تأسيس فرع جديد من فروع علم الدعوة، وهو (علم الفروق الدعوية)، وهذا مما يعين على فهم مقصود الحوار في الإسلام وتصحيح محل وكيفية استعماله من قبل المكلفين.

ولذا سيتناول هذا البحث الحوار من خلال دراسته ضمن أقرب مصطلحين أو قيمتين شرعيتين مرتبطين بالحوار، وهما: الدعوة، والإنكار، وذلك في حدود دراسة موضوعاتهما وخواصهما⁽¹⁾.

منهج البحث:

١. سيُسلَك في هذه الدراسة المنهجين: الاستقرائي المقارن، بغرض التأسيس لعلم الدعوة، إذ المقارنة السليمة تتوقف على الاستقراء السليم.

٢. فأما بخصوص الاستقراء، فأعني به استقراء مصطلحي (الدعوة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الآيات القرآنية على اختلاف تصاريفهما، استناداً إلى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، لمحمد فؤاد عبد الباقي، رحمه الله تعالى، قد تم تفصيله، بحمد الله تعالى، في دراسة سابقة للباحث بعنوان: (الفروق بين مصطلحي: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيثية الشريعة المستهدفة - دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)⁽²⁾، ولذا سيعرض الباحث في هذه الدراسة (في التمهيدي) خلاصة نتائجه للبناء عليه.

٣. ثم سيقوم بتحليل آيات مصطلح (الدعوة) من حيث موضوعاته، وآيات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من حيث موضوعاته كذلك.

٤. ومن ثم ستم المقارنة بين المصطلحين بحسب ما نتج عن التحليل السابق من ملحوظات وقضايا جزئية، لاستخلاص أحكام كلية يمكن أن نوقفنا على أهم الفروق بين المصطلحين من حيث الخصائص والماهية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث إلى لحظة كتابة هذه السطور على دراسة تتوجه لبيان الفروق بين المصطلحين: (الدعوة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وقد فُصِّل الكلام على ذلك في (الدراسات السابقة) وفي المبحث الأول (فرضية البحث وموقف التعريفات العلمية منها) من البحث المعنون ب: (الفروق بين مصطلحي: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيثية الشريعة المستهدفة - دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)⁽³⁾.

(1) سبق للباحث أن قام بدراسة هذين المصطلحين من حيثية الشريعة المستهدفة فقط، في بحث مستقل بعنوان: (الفروق بين مصطلحي: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيثية الشريعة المستهدفة - دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)، منشور في مجلة العلوم الشرعية - جامعة القصيم، المجلد (12)، العدد (3)، (ربيع الآخر، 1440هـ - يناير 2019م).

(2) نشر في مجلة العلوم الشرعية - جامعة القصيم، المجلد (12)، العدد (3)، ربيع الآخر، 1440هـ، يناير 2019م.

(3) ينظر تفصيله في المبحث الثاني من البحث المشار إليه في الحاشية السابقة.

فلا معنى لتكراره.

خطة البحث:

فُسِّمَ هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في دراسة مصطلح الدعوة من آياته القرآنية.

المبحث الثاني: في دراسة مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من آياته القرآنية.

المبحث الثالث: في تحليل نتائج المبحثين السابقين، واستخلاص أهم الفروق بين المقامين.

ثم الخاتمة لعرض أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

تُبنى هذه الدراسة في بعض جوانبها على نتائج مستفادة من الدراسة السابقة الموسومة بـ(الفروق بين مصطلحي: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيثية الشريعة المستهدفة - دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني).

ولذا فيتعين إيراد ما يُحتاج إليه من نتائج وخلاصات تلك الدراسة هنا في هذا التمهيد، والتي تتمثل في المطلوبين

التاليين:

المطلب الأول: التحليل الإحصائي لآيات المصطلحين:

في هذا المطلب نورد نتائج التحليل الإحصائي المنجز سلفاً في الدراسة السابقة المشار إليها، وخلاصته:

١- وردت مادة (د ع و) في القرآن في (٢٠٣) آيات^(١)، على تصاريف مختلفة ومعان متعددة يمكن إجمالها في خمسة معان: النداء، كقوله تعالى: {والرسول يدعوكم في أخراكم} [آل عمران: ١٥٣]، والتسمية أو النسب، كقوله تعالى: {ادعوهم لأبائهم} [الأحزاب: ٥]، والقول والادعاء، كقوله تعالى: {ولكم فيها ما تدعون} [فصلت: ٣١]، وسؤال المخاطب مرغوباً يرجع نفعه للسائل نفسه استعانةً وعبادةً له، كقوله تعالى: {وادعوه خوفاً وطمعاً} [الأعراف: ٥٦]، والخامس: بمعنى استمالة المخاطب إلى شيءٍ وحثه على قصده، كقوله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة} [يوسف: ١٠٨]^(٢).

(١) وذلك بحسب تعداد الباحث له من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقى، وكذا سائر أعداد الآيات الآتية في البحث، ثم هذا العدد بالنظر لعدد الآيات التي وردت فيها مادة (د ع و)، بغض النظر عن تكرار المادة في الآية الواحدة.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (17: 389) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الأولى، (1422هـ - 2001م)، وتفسير البغوي (4: 165)، (5: 235) (7: 173) تحقيق: مجموعة من العلماء، دار طيبة، الرابعة (1417هـ - 1997م)، ومفردات الراغب الأصفهاني: مادة (د ع و) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الثانية، (1418هـ)، والدر المصون للسمين الحلبي (4: 628) (6: 561) (8: 446)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

٢- ومقصود هذه الدراسة هو المعنى الخامس، الذي يمكن حمله على معنى تبليغ الدين للناس واستمالتهم إلى طريق الهداية.

٣- وقد تبين بعد الاستقراء أن الآيات التي جاءت على هذا المعنى هي (43) آية.

٤- وأما مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فحاصل العدد الناتج عن الاستقراء (17) آية، تسعٌ منها تضمنت المصطلح بجزئيه، كقوله تعالى: {الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر} [التوبة: 112]، وأربع اقتصر فيها على الجزء الأول: (الأمر بالمعروف)، كقوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف} [الأعراف: 199]، وأربع اقتصر فيها على الجزء الثاني: (النهي عن المنكر)، كقوله تعالى: {وينهى عن الفحشاء والمنكر} [النحل: 90].

المطلب الثاني: عرض خلاصة نتائج دراسة تعريفات الدعوة وموقفها من التفريق بين المقامين:

سبق في الدراسة السابقة المشار إليها كلاماً مفصلاً حول تعريفات الدعوة وموقفها من التفريق بين مقام (الدعوة)، ومقام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ومحصل ذلك، وبعد تأمل هذه التعريفات، -وهي أكثر من عشرين تعريفاً- تبين أنها تعترف في الجملة بنوع تمايز بين مفهومي المصطلحين، ثم يقف الأمر بك عند هذا الحد، ويبقى ما بعده غائماً من حيث تحديد طبيعة هذه العلاقة، فهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صورة من صور الدعوة، أو نظام من أنظمتها، أو سمة من سمات بعض مراحلها، أو وسيلة من وسائلها أو... الخ؟، آراء مختلفة⁽¹⁾، فضلاً عن أن تعالج العلاقة بين المصطلحين على وجه التحديد، هل بينهما عموم وخصوص مطلق، أو وجهي، وما هي الفروق بين المصطلحين، مما يشعر -بقوة- إلى أن المسألة لم تكن ملحوظة عند أصحاب هذه

تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى (1406هـ - 1986م)، وإصلاح الوجوه والنظائر للدماغاني (ص173)، (ص174) تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الثالثة (1980م)، وتفسير ابن كثير (7: 177) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الثانية، (1420هـ - 1999م)، وتفسير الخازن (3: 190) (4: 248) (6: 111) دار الفكر، بيروت، (1399هـ - 1979م)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٢: ٦٠٠) تحقيق: الأستاذ محمد النجار، لجنة الأعلى التراث الإسلامي، القاهرة، الثالثة، (1416هـ)، والتحرير والتنوير للظاهر بن عاشور (24: 153) الدار التونسية، تونس، (1984م).

(1) ينظر على سبيل المثال: 1- مناهج الدعوة وأساليبها، للدكتور علي جريشة، (ص109) دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الأولى، (1407هـ- 1986م)، والذي قسم الدعوة إلى ثلاث مراحل: النشر والتبليغ، ثم البناء والتكوين، ثم المواجهة والتمكين، ثم عد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمة من سمات المرحلة الثالثة، 2- أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، (ص173) مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، (1411هـ-1990م)، والذي أورد الحسبة كنظام من أنظمة الإسلام: الاجتماعي، والحكم، والاقتصادي... الخ، 3- الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول مشكلاتها وأساليب مواجهتها، للدكتور علي بن أحمد مشاعل، (ص19، 228، و233) دار العصمة، الرياض، الأولى (1414هـ)، والذي أورد تغيير المنكر وإزالته كمظهر من مظاهر نصح العامة ومواعظ الدعاة في ذلك العصر، 4- الدعوة إلى الله، الرسالة - الوسيلة - الهدف، للدكتور: توفيق يوسف الواعي، (ص316) دار البقين، مصر، الثانية، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، والذي ذهب إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هو إلا "وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة"، 5- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة، لمحمد بن حامد الغامدي (ص135، و154) دار الطرفين، الطائف، الأولى، (1420هـ- 1999م)، والذي أورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه صورة من صور البلاغ المبين، يقابله صور أخرى كالعرض والبيان، وكالصدق بالحق، ينظر على وجه التحديد.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التعريفات أو أكثرهم على أحسن الأحوال.

نعم، تبين أن ثمة تعريفا واحدا من بين التعريفات الكثيرة للدعوة الذي صرح صاحبه بالفرق بين المقامين، وهو تعريف عبدالرحمن حبنكة، وحدد وجه الفرق في أن وظيفة الدعوة إنما تكون لغير المسلمين، ويُلحق بهم من أسلم ويُعد عن الدين حتى أصبح بمثابة غير المسلم، وكذا "للمسلمين الذين يُندبون ندبا تطوعياً للارتقاء في درجات الأبرار"، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو وظيفة توجّه "للمسلمين العالمين بالفروض والواجبات الإسلامية"⁽¹⁾، مقتصرًا على ذلك.

المبحث الأول: في جرد موضوعات مصطلح (الدعوة) من آياته

عند تتبع آيات مصطلح الدعوة لاستشفاف متعلّقه، يظهر لنا أن المصطلح قد تعلق بعدة موضوعات ذات ألفاظ مختلفة، وستناولها في مطلبين:

المطلب الأول: الموضوعات التي دلت عليها سياقات الآيات على نحو واضح محدد:

وهي ثلاثة عشر موضوعاً، يبدو أن بين بعضها تداخلاً وبين بعضها الآخر تلازماً، ومع هذا التقارب والتلازم، إلا أنه قد يكون لاختلاف التعبيرات القرآنية أبعاداً دعوية، وحكما وإشارات منهجية، تتطلب من المؤمن التدبر فيها، ليستلهم منها هدايات هذا الكتاب العظيم، في مناهج دعوته وميدان إنكاره.

الأول: الدعوة إلى ذات الله تبارك وتعالى: وقد تكرر هذا الموضوع في تسعة مواضع، كقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف/108]، وقوله تعالى: {فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ} [الحج: 67].

أي ما يتضمن البرهنة على وجود الله تبارك وتعالى، وإقامة أدلة وحدانيته، وبيان وجوب إفراجه بالعبادة، وتنزيهه عن النقائص، وإثبات الكمالات له سبحانه، كما تشمل التعريف بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء، وتحبيب الخلق به سبحانه، ونحو ذلك.

وهذا ما يدل عليه اللفظ بالتضمن، والله أعلم، وأما بالالتزام بالدعوة إلى الله تعالى أعم من ذلك، بل تشمل الدعوة إلى الشهادتين، والإسلام والإيمان، بأركانهما، والإحسان، على نحو مجمل⁽²⁾.

الموضوع الثاني: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك والكفر: وهو أخص من سابقه، وفي هذا

(1) فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، (1: 16)، (1: 63)، (1: 20)، (2: 225). دار القلم، دمشق، الأولى، (1417هـ-1996م).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (15: 157) تحقيق: أنور الباز وعمر الجزار، دار الوفاء، الثالثة، (1426هـ - 2005م)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (13: 66) تفسير سورة يوسف آية (108).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

التخصيص زيادة بالاهتمام به، وقد تكرر في أربعة مواضع، كقوله تعالى: { تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ } [غافر: 42].

الموضوع الثالث: الإيمان: وقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ } [غافر: 10].

ويلاحظ أن هذا الموضوع جاء غير مقيد، فيشمل أركان الإيمان الستة، وعليه فتكون دلالة اللفظية أعم من سابقه، بالنظر إلى مطابقة اللفظ، لا بمجرد اللزوم.

الموضوع الرابع: الدخول في الدين أو الإسلام، وإقامته بشرائعه الكبرى وكلياته، ومنه الاجتماع والألفة ونبد الافتراق فيه: ورد ذلك في موضعين، أحدهما قوله تعالى: { كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } [الشورى/13] ثم قال تعالى بعدها بآية: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ } [الشورى: 15]، فالمشار إليه قد بين في أول الآية الأولى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } [الشورى 13].

الموضوع الخامس: المنهج والصرط المستقيم: ورد في موضعين، قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المؤمنون: 73]، وهو هنا بمعنى المنهج، والله أعلم⁽¹⁾.

الموضوع السادس: الخير: ورد في موضع واحد: { وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ } [آل عمران/104]، وهو من أجمع التعبيرات الكلية، وهو ما يرغب فيه الكل، كالعقل، والعدل، والفضل، والبر، والشيء النافع⁽²⁾.

الموضوع السابع: الهدى: وورد في موضعين: قال تعالى: { وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } [الكهف/57].

ومن اللطائف التي أشار إليها الراغب في مفرداته: أن (الهدى) و(الهداية) في موضوع اللغة شيء واحد، لكن في الاستعمال القرآني قد خص الله عز وجل (الهدى) بما تولاه هو سبحانه وأعطاه، نحو: { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: 2]، وأما (الهداية والاهتداء) فخص بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار ويطلبه، إما في الأمور الدنيوية، أو الآخروية، كقوله: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا }، { فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا } [آل عمران 20]⁽³⁾، وعليه، فالموضوع الدعوي وارد على المعنى الأول فقط، والله أعلم.

(1) ينظر: مفردات القرآن للراغب مادة (سبل)، ومادة (صرط).

(2) ينظر مادة (خير) من: الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، (1407هـ - 1987م)، ومفردات الراغب، وبصائر ذوي التمييز، والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، الأولى، (1410هـ)، وتاج العروس، للزبيدي، تحقيق: د. عبد الستار فراج وآخرين، وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، الثانية (1986م)، وكشاف اصطلاحات الفنون، مادة (خير) تحقيق: رفيق العجم وعلي درجوج، مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، (1996م).

(3) ينظر: مفردات الراغب، مادة (هدى).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الموضوع الثامن: الرجوع إلى كتب الله تعالى السالمة من التحريف، والاحتكام إليها عند اختلاف الناس والأمم: ورد هذا الموضوع في موضع واحد، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} [آل عمران/23].

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: {يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ} فقيل هو القرآن وقيل التوراة، وهذا الخلاف غير مؤثر فيما نحن بصدده، فالمراد: إلى كلام الله تعالى الحق في كتبه المنزلة، ما دام سالما من التحريف⁽¹⁾. قال ابن عاشور: "والمعنى: يُدْعَوْنَ إِلَى اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَالنَّظَرِ فِي مَعَانِيهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيَأْبُونَ"⁽²⁾.

الموضوع التاسع: طاعة المرسلين والاستجابة لأوامر النبيين، عليهم الصلاة والسلام: جاء ذلك في موضعين: منها قوله تعالى: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: 24]، قال الطبري في تعيين متعلق الدعوة: {لِمَا يُحْيِيكُمْ}: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: استجبوا لله وللرسول بالطاعة"⁽³⁾.

الموضوع العاشر: الاستسلام إلى حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في مقام القضاء وفصل الخصومات:

وهذا الموضوع أخص من الموضوع السابق (طاعة الرسل)، إذ مناط هذا الموضوع هو الحكم، أي مقام القضاء والخصومات. وقد ورد في موضع واحد قال تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} [النور/48]، ثم قال تعالى بعد آيتين: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} [النور/51].

الموضوع الحادي عشر: تقوى الله تبارك وتعالى: جاء ذلك في موضع واحد أيضاً، وهي في آيات سورة نوح عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} (10) {نوح: 5 - 10}، والموضوع المذكور قد صرح به في آية: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (٢) {إِنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} [نوح: 2 - 3].

الموضوع الثاني عشر: الاستغفار والتوبة: جاء هذا الموضوع على أنه موضوع دعوي مباشر في موضعين، وجاء جزاءً ونتيجةً للاستجابة - بل غايةً من الدعوة أيضاً - في ثلاثة مواضع أخرى.

من ذلك قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: 10].

الموضوع الثالث عشر: الجزاء الأخروي ترغيباً بالجنة من خلال طاعة الله وأهل الإيمان، وترهيباً من النار

(1) ينظر: تفسير الماوردي (1: 382)، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير ابن كثير (2: 28)، والتحرير والتنوير (3: 210).

(2) التحرير والتنوير (3: 210).

(3) تفسير الطبري (11: 105).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من خلال التحذير من اتباع الشيطان والكفار، والإيمان باليوم الآخر للجزاء والاستيفاء:

وهذا الموضوع يعتبر نتيجة للاستجابة إلى الموضوعات السابقة، بمعنى أنه دعوة إلى أسباب هذه النتائج من التوحيد والدخول في الدين... الخ ما سبق من الموضوعات، والله أعلم.

وورد في خمسة مواضع، منها قوله تعالى في نكاح المشركين والمشركات: {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ} [البقرة: 221].

قال ابن عاشور: "ومعنى الدعاء إلى النار: الدعاء إلى أسبابها... والدعاء إلى الجنة والمغفرة دعاء لأسبابهما"⁽¹⁾.

وقد لوحظ أن حاصل الآيات الخمس المصرحة بالجنة أو النار، هو الإيمان باليوم الآخر يوماً للجزاء والاستيفاء، والله أعلم.

المطلب الثاني: موضوعات دلت عليها سياقات الآيات على نحو محتمل:

أي أنها تحتمل أكثر من موضوع جديد على ما سبق.

وقد وقف الباحث من ذلك على أربعة موضوعات زيادة على ما سبق، وهي الصلاة - بمعناها الكلي - والإنفاق في سبيل الله، والجهاد بقتال قوم أولي بأس، واجتناب الفاحشة.

وقد ترجح لدى الباحث أن اثنين منهما

وهما: الصلاة بمعناها الكلي (المتضمن لكمال التذلل والخضوع)، والإنفاق في سبيل الله.

وصح كون الصلاة موضوعاً دعويًا متعلقًا بغير أهل الإيمان، لأن الأمر بالصلاة هنا راجع لأصل الإيمان، فالمقصود بها هنا تحقيق العبادة بغاية التذلل والخشوع، وليس المقصود في هذا الخطاب الدعوي الأحكام التفصيلية التكليفية المعهودة، والله أعلم.

ودعوة المشركين إلى السجود شأنٌ معهود في القرآن: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم: 59-62].

ودعوة غير المؤمنين إلى الإنفاق والبذل والزكاة أمر قد عهد في القرآن والسنة، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يس: 47]، وفي حادثة أبي سفيان، رضي الله عنهم، مع هرقل، وفيه: قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟. قُلْتُ: يَقُولُ: ((... وَيَأْمُرُنَا

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢: ٣٦٣).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، ...)). وفي رواية: ((وَالصَّدَقَةَ))⁽¹⁾.

وعليه فلا غرابة أن يكون الإنفاق في سبيل الله موضوعا دعويا، يخاطب به الناسُ عموما، مؤمنهم وكافرهم.

وبهذا يخلص لنا من المطلبين السابقين: خمسة عشر موضوعا قد اقترن بمصطلح (الدعوة) في القرآن، ثلاثة عشر منها على نحو واضح، واثنان على نحو راجح.

هذا، وقد كمل لنا فيما سبق دراسته في المطلبين السابقين: (٣٩) آية كريمة من آيات مصطلح الدعوة.

وبقي لنا ثلاثة مواضع، اتسمت بالعموم أو الشمول، يمكن حمل الآية الواحدة منها على عدة موضوعات من الموضوعات السابقة، لكنها - بعد الدراسة - لا تخرج عنها بموضوع جديد، بل يمكن حملها على الدعوة إلى ذات الله تبارك وتعالى، والدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، أو إلى الإيمان، أو الدخول في الدين والإسلام وإقامة شرائعه أو طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ينظر: [إبراهيم: 9 - 10]، و [إبراهيم: 44]، و [فصلت: 5].

المبحث الثاني: في بيان موضوعات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

تقرر سلفا (في التمهيد) أن عدة آيات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) سبعة عشر آية.

وقد تتبع الباحث هذه المواضع السبعة عشر، وخلص بعد دراستها إلى أن مصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق آياته لم يتعلق في القرآن كله بأي موضوع من موضوعاته (المعروفات والمنكرات)، بل المصطلح في جميع آياته ورد خاليا من أي تصريح بشيء من صور أفراد المعروف أو أفراد المنكر.

كقوله: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج/41].

فإن قيل: قد جاء في القرآن ذكر أصحاب السبت، وأن فريقا منهم قد تولى مهمة النهي عن المنكر، وهو منكر مصرح به (الاعتداء يوم السبت بصيد السمك بحيلة فاسدة)؟!.

فالجواب: أن القرآن الكريم لم يعبر في هذه الآية بلفظ (المنكر)، بل استعمل (الموعظة والنهي عن السوء): {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ...} [الأعراف/164]، {فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} [الأعراف/165]، ونحن إنما نبحت في الاستعمال الاصطلاحي، وهذا التعبير مما يلفت النظر ويؤكد دقة القرآن في استعمال المصطلحات، ويضعف جانب الاسترواح إلى القول بالترادف في كثير منها.

والحاصل أن القرآن لم يُتبع مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بشيء من صور أفراده وجزئياته

(1) البخاري (ح: ٧، و: ٢٩٤١)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (1422هـ)، وقوله: (والزكاة) هو في بعض نسخ

البخاري كما يفاد من الطبعة السلطانية (ح: 7).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

في شيء من آياته.

وقد أشكل هذا الأمر على بعضهم وحرار في سببه، أعني به الكاتب الأمريكي (مايكل كوك)، في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي)، فقال: "قد يدفعنا ذلك إلى التفكير بأننا إزاء فريضة عامة ذات مضمون أخلاقي موجهة إلى الأمة الإسلامية أو إلى الناس قاطبة، لكن هذا غير واضح تماماً"⁽¹⁾.

وأقول: ليس الأمر كذلك، بل السبب الذي أشار إليه وجيه، وهو لمن تأمله واضح جلي.

بيانه:

أن آيات مصطلح الإنكار في القرآن الكريم جاءت لأغراض من أجلها: تأسيس وترسيخ فريضة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كمفهوم شرعي وأخلاقي وحضاري لأي مجتمع إنساني، وليس من أغراضها بيان أفراد وجزئيات المعروفات والمنكرات، وذلك لسبب وجيه جدا:

وهو أن حصر أفراد المعروفات والمنكرات على سبيل التنصيص عليها.. أمر متعذر وضرب من العبث، فبعضها منصوص عليه ومفصل في القرآن الكريم والسنة النبوية ضمن بيان الواجبات والمحرمات، وهي جملة وافرة يعسر حصرها وقد لا يمتنع، وبعضها الآخر يرجع إلى القياس على المنصوص، وبعض ثالث يرجع الأمر فيه إلى العرف ومراعاة مصالح العباد، ومادة هذا الأخير هو المباحات، فتأتي الأعراف وتنقلها إلى معروفة أو منكرات شرعية من خلال ما يتواضع الناس عليه مما يُحكّم شؤونهم ومصالحهم الدنيوية فتستحيل بينهم قوانين ناظمة لحياتهم، كأحكام المرور وقيادة المركبات في عصرنا.

وهذان القسمان الأخيران لا يقبلان الحصر كما هو واضح، والأخير منهما يتغير بتغير البيئات والأزمنة، لا لكونه جزئيات اجتهادية، بل لإناطة أحكامه بالأعراف المتواضع عليها بن البشر، وهي متغيرة ومتجددة في كل أين وأن.

فظهر أن إغفال المصطلح من التعلق في سياقاته بشيء من جزئياته.. يتوافق مع طبيعته، ويشعر المتأمل بتنوعه وشموله وتجده، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث في تحليل نتائج المبحثين السابقين واستخلاص الأحكام والفروق بين المقامين من حيثية الموضوع

المطلب الأول: في التحليل الإحصائي لآيات مصطلح الدعوة من حيث الموضوع:

١- تبين من خلال تحليل آيات الدعوة البالغ عددها (٤٣) آية: أنها تعلقت ضمن سياقاتها بخمسة عشر

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، لمايكل كوك (ص 54، 55) ترجمه: د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمي ود. عمار الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الثانية، (2013م).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

موضوعاً، ثلاثة عشر منها قد تعلق بمصطلح الدعوة على نحو صريح، وموضوعان تعلقا بالمصطلح على نحو محتمل راجح لدى الباحث.

٢- تجدر الإشارة إلى أن العدة السابقة لم يحتسب منها ثلاثة مواضع من القرآن، وذلك لصحة حملها على عدة موضوعات مما سبق، لا تخرج عنها.

٣- كما تجدر الإشارة إلى أن موضوع (المغفرة والتوبة) قد أفادت ظاهر آيات سورة إبراهيم، عليه السلام، إلى كونه موضوعاً وارداً لجميع دعوات الأنبياء، من نوح فمن بعده، عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۗ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا ... قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ } [إبراهيم: 9-10].

وقد بدى للباحث حكمتان، على سبيل الجواز والاحتمال، إذ المقام ليس مقام قطعٍ وبتٍ.

الأولى: كون هذا الموضوع يحمل معاني الرجاء والترغيب للدخول في الدين. وهذا هو المقصود الأعظم للدعوة.

الثانية: ارتباط هذا الموضوع بالمقصد من وجود هذا المخلوق (الإنسان). قال صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))⁽¹⁾.

فتوقف كمال هذا المخلوق وتمام مهمته على تحفقه بالتوبة والاستغفار منه، لا توقفاً على صدور الذنب منه، بل عنواناً لعبودية الاختيار والاستسلام.

ولذا كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة⁽²⁾، ويختم مجالسه ويخللها بالاستغفار⁽³⁾، لا لأجل ذنب، بل عنواناً للعبودية إذ صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالوحي.

ولذا أيضاً استحب الاستغفار مع الأعمال الصالحة، كأدبار الصلوات المفروضات، والتهجد في الأسحار.

ومن لطائف شواهد ذلك: أن العبادة الأولى التي صرح بها القرآن وأظهرها على الإنسان، هي التوبة والاستغفار: { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 37]. وتوالت ذريته، عليه السلام، على أنواع الذنوب، فتوالت عليهم أنبياءهم بطلب التوبة والاستغفار.

(1) أخرجه مسلم (ح: 2749) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (ح: 6307)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (1422هـ)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(3) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. أخرجه أبو داود (ح: 1518) دار الكتاب العربي، بيروت، والترمذي (ح: 3434)، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وغير ذلك من الشواهد الدالة على أن تحقق مقاصد خلق الإنسان، بل وتحقيق كمال أعماله وأحواله، مرهون بقيامه وتحققه بهذه العبادة.

المطلب الثاني: في استخلاص المعاني والفروق بين المقامين من حيثية الموضوع من خلال ما سبق من نتائج المبحثين الأولين:

- 1- كَشَفَ الأسلوبُ القرآني عن اختلاف طبيعة المقامين على نحو بديع، وذلك حينما علّق مصطلح (الدعوة) بموضوعاته، وأخلى مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في سياق آياته من التعلّق بشيء من موضوعاته.
- 2- وكَشَفَ أن متعلّق مصطلح (الدعوة) هو الكليات الكبرى والأصول والمقاصد العظمى في الدين، وهي -فيما يظهر- مما يمكن حصره.

وأما (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فمتعلّقه الجزئيات والتفصيلات، التي تتسم بكونها متعذرة الحصر، تتجدد بتجدد الجديان على الإنسان.

- 3- ويُستَرشدُ بهداية الاستعمال القرآن على أهمية التركيز على الأصول والكليات في الحوار الدعوي، والحذر من إدخال المدعّوين في تفصيلات شرعية قبل إحكام الكليات معهم، إذ الاستدراج إلى الإقناع بالفروع قبل إحكام الأصول، قد يعود على الأصول بالإبطال أو يضعف مقامها في الشريعة، فيهدر العملية الدعوية، أو يُعثر بها على أحسن الأحوال، والله تعالى أعلم.

- 4- وفرقٌ ثانٍ بين المقامين، وهو انحصار الحوار الدعوي في الدينيات، في مقابل شمول مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من الشرعيات وشؤون الحياة، مما يناط بمصالح العباد في هذه الدار، مما فوّضته الشريعة لمبدأ الشورى ونحوه، وما تواضعت عليه المجتمعات البشرية من الأعراف المُلمّزة في أبواب المعاملات والتجارات والصناعات والزراعات والسياسات، وغيرها من شؤون تدابير الحياة، حتى سنّ لها أنظمة خاصة، مما لم تتدخل الشريعة في تفصيلاته وإجراءاته، بعد تأسيس مبادئه وكلياته، بل أناطت تفصيلاته للنظر البشري، من أمثلته: أنظمة المرور، وقيادة المركبات.

- 6- ويفسر هذا الفرقُ أمراً آخر ملفتاً للنظر في تراث علم الحسبة أيضاً، وهو ما سلكه ثلّةٌ غير قليلة من علماء أهل السنة في تعريفاتهم لكل من (المعروف) و(المنكر)، حينما ردّوا معيارهما إلى الشرع والعقل معاً، كقول بعضهم في المعروف "ما قبله العقل وأقره الشرع ووافق كرم الطبع، والمنكر بضده" (1)، فلم يقصروه -كما سلك بعض-

(1) إتحاف السادة المتقين (7: 3)، دار الفكر، بيروت، مصورة عن المطبعة الميمنية، القاهرة (1311هـ)، ونحوه في مفردات القرآن للراغب مادة (عرف) و(نكر)، وتفسير البيضاوي (2: 60)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، (1418هـ)، عند قوله تعالى {وقولوا لهم معروفاً} من سورة النساء، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (4: 57) (5: 120)، وتفسير الخازن (2: 326) وتفسير المراغي (9: 148)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى، (1365هـ - 1946م)، ومحاسن التأويل للقاسمي (5: 242)، عند قوله: {خذ العفو وأمر بالعرف}، وتيسير الكريم المنان لابن سعدي (ص 313)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى، (1420هـ - 2000م)، والتحرير والتنوير (9: 225).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

على ما ورد في الشرع فقط⁽¹⁾، ولم يردّوه - كما توهم بعضهم - إلى ما يقره العقل فقط⁽²⁾.

فهذا قد يُظن في الوهلة الأولى أنه نزعة اعتزالية من أولئك العلماء، غير أن شيئاً من التأمل في أعيانهم من جهة، وصريح آرائهم العقدية من جهة ثانية.. كفيل باستبعاد ذلك الاحتمال وردّه من أصله.

وأرجو ألا أكون قد بالغت إن قلتُ بأني لم أجد تعليلاً لمنزع أولئك العلماء في تعريفاتهم، أحسن من أنهم قد لاحظوا تلك السمة الشمولية في فريضة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وقابلية أفرادها للتجدد والاستحداث، والله أعلم.

وقد نتج عن دراسة المصطلح الدعوي في القرآني أن التخيير جزء من ماهية الدعوة وحقيقتها وليس أمراً عارضاً، قال تعالى: { ... أنلزمكموها وأنتم لها كارهون } [هود ٢٨]، وقال تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٥٢﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وفي المقابل فقد ربط القرآن بين السلطة ومفهوم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، قال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [الحج: ٤١]، والتقييد بالسلطة دال على سمة الإلزام في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم.

ولا يتعين أن نقصر الأمر هنا على السلطة (السياسية)، بل تشمل ولاية الرجل على أهل بيته وسلطة العرف العام في المجتمع، ونحو ذلك.

ومما يؤكد ذلك أيضاً أن المرتبة الأولى من مراتب الإنكار والتغيير - بالنظر إلى استطاعة المحتسب - هو التغيير اليدوي، ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده...))، والتغيير اليدوي من أعظم مظاهر الإلزام.

والسبب في ذلك والله أعلم، أن مناط مقام الدعوة ومتعلقها إنما هو الإيمان وما حام حوله، وهو بالدرجة الأولى عمل قلبي من جهة، وقناعة عقلية من جهة أخرى، وهذا مما لا يُصوّر فيه الإلزام، وإذا كان الأمر مناطاً بالقناعات، فإن الدعوة ستكون بالضرورة مرتبطة بالعلم والمعرفة من جهة، وبالحرية الفكرية والحوار المثمر من جهة أخرى، والسماح بعرض جميع الفرضيات ووجهات النظر، والسماح أيضاً بوقوع الخطأ الذي بتصحيحه يتقرر العلم وينمو.

(1) ينظر لهذا المسلك على سبيل المثال: أحكام القرآن للجصاص (٢: ٣٢٢)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1405هـ)، وشرح الأربعين للطوفي (ص 287)، تحقيق: أحمد حاج عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة، الأولى، (1419هـ - 1998م)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١: ١٧٩)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، (1416هـ - 1996م)، والكنز الأكبر (١: ٤٣)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، (1418هـ - 1997م)، والشرح الكبير بحاشية الدسوقي (٢: ١٧٤)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، والتفسير المظهري لمحمد ثناء العثماني (٥: 364)، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، (1412هـ)..

(2) ينظر لهذا المسلك: الكشف للزمخشري (2: 629)، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، (1407هـ)، وزاد المسير لابن الجوزي (1: 312)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، (1422هـ)، وبحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (1: 260)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، وزهرة التفاسير لأبي زهرة (1: 1343)، دار الفكر العربي، بيروت، وعبرة الأول منها: "المنكر: ما تنكره العقول".

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وأما مقام الإنكار، فمناطه السلوك البشري، بل لا يبعد أن نقيده بالسلوك البشري الظاهر غير الخفي، أي الذي له نوع تعلق بالآخرين، أي بحدود حقوقهم المشتركة في المجتمع، إذ من المقرر سلفاً عدم مشروعية إنكار المستور أو التجسس عليه.

ولذا نستطيع أن نقول: إن غرض الدعوة هو الهداية، وغرض الإنكار ضبط السلوك العام.

وعليه فتكون الدعوة شرطاً لصحة الإلزام وتطبيق الإنكار وسلامة نتائجه، وهذا منسجم تماماً مع السنة الإلهية في الخلق والتشريع، أعني سنة التدرج.

وبهذا تترك الشريعة مساحة لإعمال الضمير، ويتحقق مقصد هام من مقاصد الشريعة، وهو إحياء الضمير الإنساني وتقويته، ليرفض بذاتيته المنكرات ولا يحتاج صاحبه لإنكار الغير عليه.

وبهذا يعلم أن الحوار الدعوي ذو طبيعة مختلفة عن الحوار في مقام الإنكار، فالحوار الدعوي جزء أصيل من ماهية الدعوة وحقيقتها، وأما في الإنكار، فهو مدخل ومقدمة لازمة له، أي شرط لتطبيقه.

نتائج البحث وتوصياته:

أثمر هذا البحث عن عدة نتائج، أجمالها في التالي:

1- كشفت الدراسة -من خلال تتبع وتأمل الأسلوب القرآني الكريم- عن الفرق بين المصطلحين، واختلاف طبيعة المقامين من حيث الإجمال، حيث عُلق مصطلح (الدعوة) بموضوعاته، وأُخلي مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في سياق آياته من التعلق بشيء من موضوعاته.

2- وعليه فهذه الدراسة المتعلقة بحيثية الموضوع، تؤكد ما سبق استنتاجه في الدراسة السابقة المتعلقة بحيثية الشريعة المستهدفة، من إثبات أصل الفرق بين المصطلحين ونفي ترادفهما، أو تداخل أحدهما في الآخر.

وأما بخصوص النتائج المتعلقة بإحصاء واستقراء موضوعات مصطلح الدعوة:

3- فقد نتج أن هذا المصطلح قد تعلق في آياته -البالغ عددها (٤٣) آية- بخمسة عشر موضوعاً.

4- وقد وقع ذلك على نحو واضح وصريح في ثلاثة عشر منها.

5- وموضوعان آخران كانا على نحو محتمل، لكنه براجحية عند الباحث، وهما: الصلاة بمعناها الكلي (المتضمن لكمال التذلل والخضوع)، والإنفاق في سبيل الله.

6- واستبعدت الدراسة القتال (قتال قوم أولي بأس شديد)، كموضوع دَعَوِي، لكون لفظ (الدعوة) في آيته كان بمعنى النداء على ما ترجح للباحث.

7- وثمة موضوع أخير، قد توقف فيه الباحث لتعارض الأدلة فيه، وهو (اجتناب الفاحشة).

8- وكان أكثر الموضوعات تكررًا في القرآن الكريم، هو ذات الله تبارك وتعالى، حيث ورد في تسعة مواضع.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

9- يليه موضوع الجزء الأخروي، ترغيباً بالجنة وترهيباً من النار، والإيمان باليوم الآخر يوماً للجزاء والاستيفاء، حيث ورد في خمسة مواضع.

10- ويليهما موضوع عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك، حيث ورد في أربعة مواضع.

11- وثمة خمسة موضوعات تكررت في موضعين من القرآن، وهي:

- الدخول في الدين، وإقامته بشرائعه الكبرى وكلياته، من خلال الاجتماع وترك الافتراق فيه.

- والمنهج والصراف القويم.

- والهدى.

- وطاعة المرسلين، والاستجابة لأوامرهم، عليهم أفضل الصلاة والتسليم.

- ثم التوبة والاستغفار.

12- ثم هناك سبعة موضوعات وردت في القرآن في موضع واحد فقط، وهي:

- الإيمان.

- والخير.

- والرجوع إلى كُتب الله تعالى السالمة من التحريف، والاحتكام إليها عند اختلاف الناس والأمم.

- والاستسلام إلى حكم الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، في مقام القضاء وفصل الخصومات.

- وتقوى الله تعالى.

- والسجود، الأيل معناه إلى الصلاة بمعناها الإجمالي، من كمال التذلل والخضوع.

- ثم الإنفاق في سبيل الله.

13- وتجدر الإشارة إلى أن موضوع (المغفرة والتوبة) -علاوة على مجيئه موضوعاً دعويًا في موضعين- فقد

جاء في ثلاثة مواضع على أنه ثمرة ونتيجة للاستجابة الدعوية، بل أفاد ظاهر آيات أنه كان موضوعاً لجميع دعوات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

وأما فيما يتعلق بتحليل موضوعات الدعوة، من خلال دراستها بذاتها، ثم مقارنتها بمصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

14- فقد تجلت الطبيعة الكلية في موضوعات الدعوة، وأن جميعها من الأصول الكبرى في الدين، بحيث

يمكن أن يُعد ما ذكر في هذه الدراسة: من أهم محاور مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، (من حيث موضوعاتها).

15- وفي هذا إشارة واضحة على أهمية التركيز في مقام الدعوة على الأصول والكليات، والحذر من إدخال

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المدعوين في تفصيلات شرعية قبل إحكام الكليات معهم.

16- كشفت الدراسة أن موضوعات الدعوة مما يمكن حصره، بخلاف متعلقات (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فهي متعذرة الحصر، لكونها جزئيات وتفصيلات، وقابلة للتجدد بتغير الزمان.

17- كما كشفت فرقا مهما بين المقامين، وهو انحصار مقام الدعوة في الدينيات، في مقابل شمول مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من الشرعيات وشؤون الحياة، مما يناط بمصالح العباد وقوّضته الشريعة لمبدأ الشورى ونحوه، مما يفسر طبيعة التأليف في كتب الحسبة العملية، ويبرر من جعل العقل معيارا مع الشرع في معرفة بالمعروف والمنكر.

18- كما تبين أن الحوار الدعوي ذو طبيعة مختلفة عن الحوار في مقام الإنكار، فالحوار الدعوي جزء أصيل من ماهية الدعوة وحقيقتها، وأما في الإنكار، فهو مدخل ومقدمة لازمة له، أي شرط لتطبيقه؛ والله تعالى أعلم.

قائمة المراجع:

- 1- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، بيروت، دار الفكر، مصورة عن المطبعة الميمنية، القاهرة (1311هـ).
- 2- أحكام القرآن: للجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1405هـ).
- 3- الآداب الشرعية، لعبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، (1416هـ - 1996م).
- 4- إصلاح الوجوه والنظائر للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الثالثة (1980م).
- 5- أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، (1411هـ-1990م)،
- 6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت، (1415هـ - 1995م).
- 7- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، لمايكل، ترجمه: د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمي ود. عمار الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الثانية، (2013م).
- 8- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- 9- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (1420هـ).
- 10- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي، تحقيق: الأستاذ محمد النجار، لجنة الأعلى التراث الإسلامي، القاهرة، الثالثة، (1416هـ).
- 11- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: د. عبد الستار فراج وآخرين، وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، الثانية (1986م).
- 12- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمم واليوم، لآدم عبدالله الأتوري، مكتبة وهبة، ومكتبة دار التضامن، القاهرة، الثالثة، (1408هـ-1988م).
- 13- التحرير والتنوير: للشّيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، (1984م).
- 14- تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 15- التبيين في شرح الأربعين، للطوفي، تحقيق: أحمد حاج عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة، الأولى، (1419هـ - 1998م).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 16- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الثالثة، (1419 هـ).
- 17- تفسير البغوي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار طيبة، الرابعة (1417 هـ - 1997 م).
- 18- تفسير البيضاوي، المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، (1418 هـ).
- 19- تفسير الجلالين: للمحلي وللسيوطي، دار الحديث، القاهرة، الأولى.
- 20- تفسير الخازن، المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، (1399 هـ - 1979 م).
- 21- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير، المسمى بجامع البيان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الأولى، (1422 هـ - 2001 م).
- 22- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الثانية، (1420 هـ - 1999 م).
- 23- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية، (1384 هـ - 1964 م).
- 24- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى، (1365 هـ - 1946 م).
- 25- التفسير المظهر، لمحمد ثناء العثماني، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، (1412 هـ).
- 26- تفسير النسفي، المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، (1419 هـ - 1998 م).
- 27- تفسير مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر التيمي الشهير بالفخر الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة (1420 هـ).
- 28- تنوير المقباس، للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 29- التوقيف على مهمات التعريف، للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، الأولى، (1410 هـ).
- 30- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى، (1420 هـ - 2000 م).
- 31- الدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى (1406 هـ - 1986 م).
- 32- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها، د. رؤوف شلي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (1394 هـ - 1974 م).
- 33- الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول، مشكلاتها وأساليب مواجهتها، للدكتور علي بن أحمد مشاعل، دار العصمة، الرياض، الأولى (1414 هـ).
- 34- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة، لمحمد بن حامد الغامدي، دار الطرفين، الطائف، الأولى، (1420 هـ - 1999 م).
- 35- الدعوة إلى الله، الرسالة - الوسيلة - الهدف، للدكتور توفيق الواعي، دار اليقين، مصر، الثانية، (1416 هـ - 1995 م).
- 36- رسالة في الكلام على آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنجم الدين الغزي، تحقيق: نشأت كمال المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الأولى، (1426 هـ - 2005 م).
- 37- روح البيان، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 38- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامية، بيروت، الثالثة، (1412 هـ - 1991 م).
- 39- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، (1422 هـ).
- 40- زهرة التفاسير: للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت.
- 41- سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 42- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- 43- الشرح الكبير على مختصر خليل، لأحمد بن محمد الدردير، مع حاشية محمد بن أحمد الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

- 44- الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، (1407هـ - 1987م).
- 45- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (1422هـ).
- 46- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- 47- فتح القدر للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، (1414هـ).
- 48- فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ عبدالرحمن حسن حينكة الميداني، دار القلم، دمشق، الأولى، (1417هـ-1996م).
- 49- الكاشف عن حقائق السنن، للطبيي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار الباز، مكة، الأولى، (1417هـ - 1997م).
- 50- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، (1996م).
- 51- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، (1407هـ).
- 52- الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبد الرحمن بن أبي بكر الصالحي الحنبلي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، (1418هـ - 1997م).
- 53- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي المعروف بابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، (1419هـ).
- 54- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز واعمر الجزائر، دار الوفاء، الثالثة، (1426هـ - 2005م).
- 55- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، (1418هـ).
- 56- المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، (١٤١٢ - ١٩٩١م).
- 57- معالم القرية في طلب الحسبة: لابن الأخوة، دار الفنون، كمبردج.
- 58- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الثانية، (1418هـ).
- 59- مناهج الدعوة وأساليبها، للدكتور علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الأولى، (1407هـ-1986م).
- 60- المنشور في القواعد، للزركشي، تحقيق: د. تيسير فائق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الثانية، (1405هـ).
- 61- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه، لعدد من الباحثين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الرابعة.
- 62- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لابن بسام، تحقيق: الدكتور حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، (1968م).
- 63- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لعبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: الدكتور السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، الثانية (1401هـ - 1981م).
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، لعلي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، التاسعة (1399هـ-1979م).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطيء في ضوء المنهج النبوي

د. عوض بن عبدالله المنكاع

أستاذ أصول التربية المساعد بكلية العلوم والآداب بشرورة

جامعة نجران - المملكة العربية السعودية

مستخلص الدراسة

هدفت الدراسة إلى بيان دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطيء في ضوء المنهج النبوي، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي، وتوصلت إلى أهم الأدوار المنوطة بالمعلم بتحقيق ذلك الهدف.

أولاً: الإطار العام للدراسة:

إن ميدان التربية والتعليم يختلف عن غيره من الميادين، إذ إنه يتوجه بكليته لرعاية الروح والجسد وتنمية العقل والعناية بالنفس عند المستهدفين من المتعلمين، بل وتعتمد نتائج مخرجاته إلى حد كبير على معالجة الأخطاء السلوكية.

وكلما كان هناك عناية بالجانب السلوكي؛ كان الأثر واضحاً على مخرجاتنا التعليمية. وإن جميع العاملين في الحقل التربوي معنيون بمعالجة الأخطاء السلوكية للطلاب، بيد أن المعلم في المدرسة يعتبر الركن القويم في معالجة هذه الأخطاء، وعليه يركز بقية دور العاملين، في توجيههم وبتث الحيوية فيهم لتحمل مسؤولية معالجة الأخطاء السلوكية.

ومما لاشك فيه أن للمعلم أدواراً متعددة، ومهاماً واسعة، فهو يعتني بالجانب التربوي والتعليمي معاً، فتارة يكون موجهاً للمتعلم، وتارة مقوماً للسلوك.

وإن أعظم معين لنا في عملية التربية الإسلامية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهما المعين الذي لا ينضب، والمنبع الصافي الذي لا يتعكر فكيف لا يهتدي من يستقي من معين مواقف النبي ﷺ؛ إذ أنها منهجٌ مصدره الخالق ﷻ، العالم بما يسعد العبد وما يصلح سلوكه .

وقد حقق هذا المنهج الرباني رسولنا ﷺ فكان واقعاً عملياً؛ فحياته ﷺ حافلة بتصحيح سلوكيات الصحابة، ومعالجة أخطائهم، وإذابة ما يكون قد علق في قلوب بعضهم من شوائب الجاهلية فعالجها عليه الصلاة والسلام بمختلف الأساليب والطرق.

لذا رأى الباحث أن يستنبط بعض أدوار المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية من خلال معالجة النبي ﷺ

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لأحد المواقف النبوية وهو موقف أحد شباب الصحابة الذي طلب الإذن بالزنا، سائلاً الله التسديد في هذا البحث وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

مشكلة الدراسة:

ما من عمل أنفع للأمة من أن ينبري خيار القوم لتقويم سلوك الأفراد، وتعديل مساره، وفي المدرسة يكون الأمر أزم وأوجب؛ إذ لا يمكن للتقدم التعليمي والتطور المعرفي والنهوض التربوي؛ أن ينحرف عن جادة مساره؛ عندما يكون في الكيان التعليمي أقوام قد تربعت على قلوبهم همة الإصلاح وجذوة التغيير نحو الأفضل، مستمدين شعاعها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ العطرة، ويأتي في مقدمة أصحاب هذا الكيان التعليمي المعلم.

والطالب بطبيعة حاله ومرحلته العمرية والمتغير والعوامل المؤثرة فيه؛ معرضٌ للوقوع في العديد من الأخطاء السلوكية؛ ولكن هذه الأخطاء ستؤثر على التحصيل العلمي والتربوي إذا لم تتم معالجتها (الفيفي، 2016، 25).

وقد أثبتت العديد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الأخطاء السلوكية تنتشر بين طلاب التعليم (الشمري، 1422، 73)؛ ولا غرابة في وجود ذلك؛ ولكن المشكلة حينما يغيب دور المعلم التربوي في معالجة هذا السلوك.

لكن الملاحظ كما يشير أحمد جمال (2006، 51) أن بعض المعلمين يوجهون كل جهودهم نحو تزويد الطالب بالمعارف والمهارات، دون أن يكون هناك اهتمام بالجوانب التربوية والسلوكية؛ بل إن بعضهم يظن بأن "وظيفته هي التلقين العلمي فحسب، دون أن يحرصوا على نفع الطلاب في بقية الجوانب.

ومنهج التربية الإسلامية في أهم مرتكزاتها التربية النبوية مليئة بالمواقف النبوية التي تحث وتؤصل على ضرورة معالجة الأخطاء السلوكية ومن هنا أراد الباحث معالجة هذا الأمر من خلال دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية في ضوء بعض المواقف النبوية.

أهمية البحث:

ولعل الباحث يسلط الضوء على أهمية هذه البحث من خلال الجوانب التالية:

1- يشرف موضوع البحث بشرف مصدره، ويعظم بعظم غايته، فإنه يستقي دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية، في ضوء ثاني مصادر التشريع سنة رسول الله ﷺ، وفي ضوء أحد المواقف النبوية، ويشرف البحث من جهة المعني بها والمستفيد منها، فالمعلم هو المعني بالبحث، وفلذات الأكباد وأمل الأمة هم العائد التربوي من هذه البحث.

2- دور المعلم - مع تداخل النظريات والمناهج التربوية الحديثة - بحاجة إلى أن يُربط دوره بسالف عهد هذه الأمة، فيستلهم دوره من ذلك المنبع الصافي، الذي غير أمماً وحول المجتمعات نحو الهدى والحق.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 3- تركز أهمية هذا البحث في كونه يسهم في تأصيل بعض الأدوار والأساليب التي يمكن للمعلم أن يستفيد منها أثناء علاجه لبعض الأخطاء السلوكية.
- 4- يعالج البحث مشكلة شهوانية لا تكاد مدرسة تخل منها ، ولا بد وأن يواجه المعلم شيئاً منها ، فالبحث يسهم في دور المعلم من خلال النظر في جزئيات موقف تفصيلي للنبي ﷺ.

أهداف البحث:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في (بيان دور المعلم في القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطيء في ضوء المنهج النبوي).

ويتفرع من هذا الهدف الرئيس عدد من الأهداف الفرعية.

- 1- بيان نص حديث الموقف النبوي المراد .
- 2- تحليل الموقف النبوي واستباط الأدوار التربوية منه
- 2- توضيح أسلوب الحوار من خلال نص الحديث.
- 3- تجلية أسلوب الإقناع العقلي من خلال موقف النبي ﷺ مع الشاب .
- 4- بيان دور المعلم في استقبال مقترف الخطأ السلوكي وفن التعامل معه.
- 5- إبراز أثر الاحتواء والتقبل لصاحب الخطأ السلوكي.
- 7- وضع أبرز التوصيات والمقترحات لمعالجة أصحاب الأخطاء السلوكية.

مصطلحات الدراسة:

السلوك الخاطيء: في هذه الدراسة هي كل ما يصدر من الطالب من سلوك سواء كان السلوك مخالفاً للشرع أو للأنظمة المدرسية أو غيرها.

وأما المراد بالمنهج النبوي: فالمراد هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا منه صلى الله عليه وسلم

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: دور المعلم في ضوء تحليل موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا.

الدراسات السابقة:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

دراسة مطلق العتيبي (1428هـ) دور المعلم في معالجة المخالفات السلوكية من وجهة نظر مديري المرحلة المتوسطة في ضوء التربية الإسلامية ، هدف هذا البحث إلى توضيح دور المعلم في معالجة المخالفات السلوكية من وجهة نظر مديري المرحلة المتوسطة. واستخدم الباحث المنهج المسحي ، وكان من نتائج الدراسة :عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في محاور الدراسة ترجع لمتغير المؤهل ، وكذلك في محوري المخالفات السلوكية والبرامج المقدمة.

دراسة النعيمي (2007) أثر التوجيه النبوي في تقويم سلوك الفرد : وهدفت الدراسة إلى بحث أثر التوجيه النبوي في سلوك الفرد وخاصة الأطفال ومبادئ التوجيه النبوي ؛ واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي وتوصلت إلى أهم آثار ذلك التوجيه وخاصة السلوك العبادي.

دراسة شادي عبد الرحيم (2010) منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك الأفراد: وهدفت الدراسة لاستنباط المنهجية القرآنية في تقويم سلوك الأفراد وخاصة العصاة في مجال الأمم السابقة والحديث القرآني عنها، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي.

التعليق على الدراسة السابقة:

تتفق الدراسة السابقة والبحث الحالي على أن كل منهما يبحث في دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية. تتفق دراسة العتيبي وهذه الدراسة على الحديث عن دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية وأن نظرة كل منهما للأدوار نابعة من وجهة نظر التربية الإسلامية؛ ولكنها اختلفت عن الدراسة السابقة في أن البحث الحالي يبحث دور المعلم في ضوء حديث نبوي واحد وموقف واحد للنبي ﷺ ، في حين أن الدراسة السابقة تبحث عن دور المرشد كفاعلية من وجهة نظر مديري المدارس.

كما اتفقت الدراسة ودراسة النعيمي وشادي على تأصيل موضوع التوجيه النبوي في معالجة السلوك؛ إلا أن الدراسة الحالية تفردت بمعالجة الأخطاء السلوكية في ضوء الأدوار التربوية للمعلم من خلال الموقف النبوي مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا.

منهج البحث:

يفرض البحث في مجال التربية الإسلامية أن يكون منهجه متميزاً عن غيره من المناهج، وذلك لكونه ينطلق من مسلمات ثابتة يسعى لتحديد أدوارها التربوية والتعليمية وإظهار مفاهيمها وأبعادها ووسائل تنميتها لتجمع بين عمق الأصالة ومعاصرة التربية وفق الثوابت الأصيلة والمتغيرات المعاصرة.

هذه الدراسة تركز على المنهج الاستنباطي: وهو في اللغة مأخوذ من الفعل الماضي (نبط) وقد عُرِف الاستنباط على جهة العموم بأنه: "بذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة(عبدالرحمن صالح وحلمي فودة، 1420، 43) .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الجزء الثاني: نص الحديث المتعلق بالموقف النبوي وتخريجه:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي الرَّثَا؟ قَالَ: فَصَاحَ الْقَوْمُ بِهِ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَفْرُوهُ وَأَذْنُهُ " فَدَنَا حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْجِبُهُ لِأُمِّكَ؟ " فَقَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " قَالَ: " أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " قَالَ: " فَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " - ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الْعَمَّةِ وَالْحَالَةِ كَذَلِكَ - قَالَ: فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدُ.

تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة في مسند الأنصار حديث رقم (22211)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (162/8). وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح (129/1)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (370) (1422هـ، 114/2).

الجزء الثالث: أهم أدوار المعلم في تقويم السلوك في ضوء الموقف النبوي:

هذا شاب تعتمل في صدره نار الغريزة، وفيه قوة ورجولة، وعنده ميل ورغبة، وفيه إيمان وخشية، تحرق الرغبة أوصاله، وتشوش عليه حياته (سليمان قيما، 1432، 146)، في النفس رغائب جامحة، ونوازع قوية، لكن هذه النوازع وتلك الرغائب لم تكن لتدفعه للوقوع في محرّم يوقن بتحريمه قبل أن يأخذ الإذن في مقارفته، فاضطرب أمره فلم يطق صبراً عن إحابة النفس إلى ماتريد، ولم يجد سبيلاً إلى مرادها سوى أخذ الإذن والرخصة من صاحب الرسالة ﷺ.

فجاءه مستأذناً عالماً بالتحريم قطعاً؛ وإنما يطلب إذناً خاصاً من المعلم الأول وهو يرى أنه ليس على وجه البسيطة إنساناً يلاقي من العنت ولهيب الشوق ما يعاني، فقالها في صراحة وجرأة (يا رسول الله، ائذن لي في الرثا) هكذا قالها بغير مقدمات ولا شفيح!!

موقف الصحابة من الطالب وماطلب: الصحابة ينظرون إليه ويسمعون مطلبه فيزجرونه (مه مه)، أتطلب الإذن في النزول من رجل العلو، أتطلب الإجازة في الخبث من رجل الطهر، فلما زجروه حال دونهم المعلم الهادي، صلى الله عليك يا أحسن المعلمين، وصفوة المرين وسلم تسليماً كثيراً، بل طلب منه القرب منه ﷺ ثم بدأ معه الحوار النبوي.

والمتمامل في هذا الموقف النبوي يجد أن من أهم الأدوار المستنبطة لدور المعلم في تقويم السلوك ما يلي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1- الحوار التربوي:

إذ أن الدور الأسمى الذي يأخذه المعلم عند معالجته لأي مشكلة سلوكية، هو مبدأ الحوار على أساس نبوي ، وللحوار عدة تعريفات بعضها مجمل وبعضها مفصل ؛ ومن هذه التعاريف: "أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر"(النحلاوي ، 1424 ، 33)؛ومن أشملها تعريف زمزمي (22،2003)ن الحوار" مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، بطريقة متكافئة فل يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب".

ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في تربيته لأصحابه عن طريق السؤال والمناقشة، يقول النحلاوي(2003، 72): "كان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليم الصحابة بطريق الحوار، وكانت رغبته أشد في أن يكون الصحابة هم البادئون بالسؤال".

ولقد تعددت أشكال الحوار النبوي، ومن هذه الأشكال التي استخدمها النبي ﷺ في معالجة أخطاء أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا الحوار "يقوم على سؤال المتعلم أو المخاطب عما يعرفه بالحس والبداهة، ثم يبيّن السائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر، حتى يصل على الإقناع بكل ما يريد تعليمه إياه أو إقناعه به"(النحلاوي ، 2003 ، 77).

ومن خلال تحليل الموقف النبوي ، وتأمل حديث أبي أمامه وحوار النبي ﷺ مع الشاب يمكن ملاحظة الأدوار الآتية أيضاً:

2- تقبّل النبي ﷺ للشاب كما هو ،فما عنفه ولا وبخه ، بل إنه زجر من صاح به من الصحابة، إذ قال لهم النبي ﷺ (مه مه)، ويُعدّ التقبل من أهم مبادئ عمل المعلم ، وبدونه لا يمكن لعملية العلاج أن تتم ، ولا يمكن لأبعاد المشكلة أن تظهر.

3- ضبط النفس والبعد عن الغضب:مع قبح تلك المسألة ، وأنه يطلب الإذن بانتهاك محارم الله ؛ إلا أن رسول الله لم يغضب ، لمعرفته بما وقر في قلب ذلك الشاب ، وإلا ماكان ليستأذن لولا إيمان في قلبه . وعلى المعلم عند محاولته لمعالجة أخطاء الطلاب ، أن يضبط نفسه وأن يتعد عن الغضب كيلا يحوّل الغضب سلوك تعامله مع طالب العلاج ، نحو طريق مسدود، يقول ابن قدامة-رحمه الله-: "واعلم أنه من قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها وأصمته ؛ لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ ، فيغطي معادن الفكر ، وربما تعدى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه حتى لا يرى بها ، وتسود الدنيا في وجهه."(1413 ، 110)

4- أكرمه النبي ﷺ بأمرين: إكرامه بالطعام وتقديم الضيافة له على قبح طلبه وشين مسألته فقال ﷺ (أُرْوُهُ) ؛ وإكرامه بتقريبه ﷺ من مجلسه ، وإدناؤه له بجواره مع طلبه الفاحش بالإذن بالزنا فقال ﷺ (وَأَدْنُهُ)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

5- إشعاره بأهميته وذلك متمثل في إعراض النبي ﷺ عن غيره ، والتوجه نحو الشاب بكل كليته ، وتوجيه الخطاب له .

6- الرفق بالشاب ، مع غلظة سؤاله ، ونكير مسأله ، فالرفق والرحمة صفتان لا زمان للمرشد الطلابي ، قبل أن تكون أدواراً يقتضي حاله سلوكها وتمثل بها ، فهاتان الصفتان تقتضي إيصال النفع للطلاب، والحرص على تقويم سلوكه ، وتعديل مساره، فقدوته في ذلك نبينا ﷺ في تعامله مع الشاب، ومن قبل ذلك الموقف ؛ فإن رب العز والجلال زكاه بقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء: 107 قال الطبري في تفسيره (2004 ، 335/18) عني بالرحمة هنا جميع العالم المؤمن والكافر .

7- الدنو الجسدي دليل على القرب النفسي: طلب النبي ﷺ من الشاب أن يقترب منه ، بل أدناه منه كما مرّ معنا في إكرامه له ، وفي هذه اللفتة ، تتبين معاني الحب له ، وشديد الحرص عليه ، ومؤانسته بعد ضجة الصحابة به ، ورفع لمنزلته بالقرب منه مع وجود منه أفضل منه من الصحابة ؛ وهذا من أهم أدوار المعلم عند معالجته للأخطاء السلوكية وهو القرب من الطالب جسداً وفكراً ، فلا يصلح العلاج من أبراج عاجية .

8- الإصغاء الجيد: وذلك متمثل كما ذكر خضر الخالدي (2014 ، 96) في ثنايا الحوار واستماعه له ﷺ منذ لحظة دخوله إلى انتهاء الحوار النبوي معه ، وهذا مطلب هام في الحياة ، ودور أهم للمعلم يتمثل في حسن الإنصات والاستماع للطالب ، وترك الحرية للسانه ليطلق كوامن مشاكلة.

9- الإقناع العقلي: ويعتبر الإقناع من أهم أساليب التربية الإسلامية، وهو من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة. يقول مرسى (2003 ، 46) هو "من الأساليب التي تقوم عليها التربية الإسلامية في توجيه ذ4 نحو الحق والخير ... عن طريق العقل والمنطق"؛ ولذا يتضح لنا جلياً أهمية الإقناع العقلي من خلال هذا الموقف النبوي مع الشاب، وكيف حاوره النبي ﷺ حتى اقتنع ، فبعد أن مهد ﷺ - كما سبق في مبحث الحوار- لقاعدة يمكن من خلالها إقناع الشاب ، بدأ بسؤال مثير للانتباه ، وموقظ للحواس في أعلى مستوياتها: فيأتي جواب الشاب سريعاً وحاسماً ومشفوعاً بالقسم بالله العظيم: (لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ) متبوعاً بإعلان محبة (جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ).

والشكل (1-1) يوضح الأدوار التربوية للمعلم في ضوء موقف النبي ﷺ وحواره مع الشاب الذي طلب الإذن

بالزنا:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا



ومن أهم ما يجب على المعلم في ضوء خطوات الإقناع ما يلي:

- الاستعانة بالله عز وجل.
- تحديد الهدف من الخطأ المراد علاجه.
- التركيز على القضية أثناء محادثة الطالب.
- إثارة النفس والعقل تجاه القضية المراد علاجها.
- إعمال العواطف وتحريكها عند معالجة الأخطاء الجنسية.
- مخاطبة صاحب المشكلة على قدر عقليته.
- التأكيد على القضية من أكثر من جهة.
- الدعاء أولاً وآخراً.

الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات والمقترحات:

أهم النتائج:

- الحوار أسلوب ناجع لعلاج كثير من المشكلات السلوكية.
- الإقناع العقلي لا بد منه لعلاج الأخطاء السلوكية المتعلقة بالشهوات والشبهات.
- التقبل للمتربي والرفق به سبيل جيد لاحتوائه، وطريق نافع لأن يتقبل النصح والوعظ.
- أعظم وسائل العلاج للأخطاء السلوكية ربط المتربي بربه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- إثارة العواطف مناسب استخدامها عند الإقناع العقلي.

التوصيات:

- على المعلم الارتباط بربه، واللجوء له قبل الخوض في حل الأخطاء السلوكية.
- على المعلم استعمال أدبيات الحوار كما استعملها النبي ﷺ.
- يجب على المعلم إعطاء فرصة للطالب أثناء الحوار.
- الإقناع العقلي يحتاج لقدرة فائقة من المعلم ، وتمهيد أرضية مشتركة للإقناع
- مبدأ التقبل للطالب مبدأ هام في عمل المعلم، يجب عليه عدم الاستغناء عنه.

المقترحات:

- عمل دراسة حول دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية لعدد من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية في العهد النبوي، وذلك من أجل أن يكون الاستقصاء شاملاً وواقعياً.
- عقد دورات للمرشد الطلابي حول دوره في ضوء بعض المواقف النبوية

وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد شاکر ، مؤسسة الرسالة، بيروت
- الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، تخريج شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة ، بيروت ، 1424هـ
- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1426هـ
- الطبراني ، المعجم الكبير، تحقيق التركي، دار الرسالة ، بيروت ، 1412هـ
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)
- إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق، ط4، 1428هـ، مكتبة الرشد، الرياض
- أحمد بن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، 1413
- أسامة طه حمودة، سلوكيات مرفوضة، 1422هـ، دار اليقين، المنصورة، مصر
- دبور وآخرون، الإرشاد المدرسي بين النظرية والتطبيق ، دار السلام ، 2007م،
- سليمان قيمان ، أسرار الحوار والإقناع ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، 1432هـ

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- سيد مرسى، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي، مكتبة النهضة المصرية 1977م
- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر ، بيروت ،
- عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، د. ت، دار الرسالة، الجزائر
- عبد الرحمن بن أحمد علوش، فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء السلف، ، دار الأندلس الخضراء ، السعودية ،
- عبدالرحمن صالح ، وحلمي فودة ، المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق جدة ، 1412هـ
- علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1411هـ
- فهد بن ناصر العبودي، الحوار منهج وسلوك، ، دار أطلس الخضراء، السعودية ، 1426هـ
- محروس الشناوي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، 1980م
- محمد الرازي ، مختار الصحاح ، دار السلام ، مصر ، 1421هـ .
- محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، الدار المصرية للطباعة والنشر، 1975م
- محمد بن شاکر الشريف ، نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان ،
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1424هـ
- محمد جمل الليل ، أساسيات في الإرشاد النفسي، مكتبة خوارزم العلمية ، ط1، السعودية ، 2010م
- محمد ناصر الدين الألباني : خطبة الحاجة ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي بدمشق
- محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، دار الفكر ، الأردن ، 1422هـ
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، عناية صالح آل الشيخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1422هـ
- مطلق العتيبي ، إسهام المعلم في معالجة المخالفات السلوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، قسم
- نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ، دار الفكر، بيروت ، 1411هـ
- واضحة السويدي، تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية، دار الثقافة بقطر، 1409هـ
- يحيى بن محمد حسن زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار المعالي، عمان، 1422هـ

المواقع الإلكترونية:

<http://khumbarakedu.maktoobblog.com/> منتدى الإرشاد النفسي

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية في القرآن

ذ. خيرة شوية

طالبة دكتوراه بجامعة الوادي، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين / الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين الذي جعل لنا القرآن نورا ومنهاجا للسعادة في الدارين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين وحامل الرسالة للناس أجمعين محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإنسان يعتبر اجتماعيا بطبعه، فلا يمكنه أن يعيش منعزلا عن العالم حوله، ولذلك جعل له المولى عز وجل الحواس ليكتشفه بها، وليتصل بواسطتها بغيره، فكان الكلام وسيلة منها بحيث يتخاطب من خلاله معهم، ويعبر عن آراءه، وأفكاره وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:13) فلا يكون هذا التعارف وتبادل الأفكار والثقافات والخبرات بين البشر إلا بالحوار، الذي بات عنصرا مهما جدا في بناء مجتمعات حضارية متقدمة متطورة كل أمورهم مبنية على التحاور والتفاهم، لا على الغلبة والسيطرة وفرض الرأي على الآخرين. والمتأمل في أحوالنا اليوم وما تعانيه المجتمعات من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية يقف على حقيقة مفادها غياب الحوار البناء. وهذا ليس على مستوى المجتمع وحسب، بل حتى في نواته التي مزقتها المشاكل وفرق بين أهلها في كثير من الأحيان غياب الحوار أو الحوار غير المتوازن، والمخالف لأصوله وآدابه. ولهذا أردنا التعرف على التوجيه القرآني والمنهاج الرباني للحوار، وخاصة الحوارات العائلية، واستخلاص ما فيها من عبر ودلالات، فجاءت الدراسة بعنوان: القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية في القرآن الكريم، في محاولة منا للإجابة عن الإشكال الآتي:

- ما هي الأصول والمبادئ التي بنيت عليها الحوارات العائلية في القرآن الكريم؟

- ما هي الآداب والقيم التي جاء القرآن العزيز يرسخها في الحوارات العائلية؟

ونسعى بهذه الدراسة إعطاء أنموذجا يحتدا به في الحوارات العائلية، وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، وذلك بإبراز الأصول التي يقوم عليها الحوار العائلي، مع ملاحظة الآداب التي يجب التحلي بها أثناء الحوار حتى يكون بناء، وفعالا، وذا نتيجة، وقد كان الأنموذج على أعلى درجات القدوة، وخاصة وأننا مأمورون بالعمل بما في القرآن الكريم، وكذا الاقتداء بالأنبياء والرسل.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وستتبع في هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي، والتحليلي، وذلك بالاطلاع على تفسير الآيات التي هي محل الدراسة في العديد من التفاسير على اختلاف اتجاهاتها، وكذا الاطلاع على عدد من الكتب المؤلفة في الحوار، وستكون خطة الدراسة كالاتي:

مقدمة

1- المبحث الأول: تعريف الحوار.

2- المبحث الثاني: أصول الحوار من خلال الآيات المدروسة.

3- المبحث الثالث: آداب الحوار من خلال الآيات المدروسة.

وخاتمة فيها: أهم النتائج.

الآيات القرآنية التي هي بصدد الدراسة:

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)﴾ (مريم: 48-41)

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102)

المبحث الأول: تعريف الحوار

المطلب الأول: الحوار لغة

الخَوْر: الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه خَوْراً، ومَحَاراً، ومَحَارَةً، وخَوْراً: أي رجع عنه، وإليه، وتقول: كلمته فما أحرار إليّ جواباً، وما رجع إليّ خَويراً، ولا خَويرة، ولا جَوَراً، ولا خَوَراً، ولا خَوْراً، ولا مُحَاورة، ولا مَحْوَرَةً، بضم الحاء بوزن مشورة، أي ما ردّ جواباً، وأحرار عليه جوابه ردّه. وأحرار له جواباً، وما أحرار بكلمة. والاسم من المحاورة، الخوير تقول: سمعت خَويرهما، وجوارهما، والمحاورة: المجاوبة، والتحاوير التجاوب⁽¹⁾.

وتحاووا تراجعوا الكلام بينهم، والمحاورة، والمَحْوَرَة، والمَحْوَرَة: الجواب ومراجعة النطق⁽²⁾.والمحاورة، والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاوير⁽¹⁾.

(1) لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، 1042، 1043/13.

(2) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار العلم للجميع، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، 2/15.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

المطلب الثاني: الحوار اصطلاحاً

عُرّف الحوار بعدة تعريفات منها:

- الحوار: هو الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، والحوار ليس بمعنى المكالمة والقول فقط، بل فيهما معنى الاستمرار أو التكرار والمراجعة وإرادة الإقناع وإثبات الكيان⁽²⁾.
- الحوار: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين أو أكثر دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، بهدف الانتقال من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول وصولاً إلى التصورات الشاملة والمبادئ العليا⁽³⁾.
- الحوار: محادثة بين شخصين، أو طرفين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة، هدفها الوصول إلى الحقيقة، ولو ظهرت على يد الآخر⁽⁴⁾.
- الحوار: هو تجاوب ومراجعة بين طرفين أو أكثر، أيا كان عددهم أو نوعهم، حول موضوع يهم كلا الطرفين أو أحدهما، وبأي وسيلة من وسائل الاتصال المناسبة لأطراف الحوار وظروفه، بهدف الإقناع أو تقريب وجهات النظر⁽⁵⁾.

والتعريف الأخير هو المختار، لظهور المعنى اللغوي للحوار فيه، وهو أكثر ضبطاً وأدق.

وهذا الأخير هو تعريف للحوار بصفة عامة، وإذا ما أردنا تعريفاً للحوار العائلي، أو الأسري فيمكننا القول:

هو التجاوب والمراجعة بين فردين أو أكثر من الأسرة الواحدة بتبادل الأفكار والآراء حول موضوع يهم الأسرة بالأساس أو أحد أفرادها بغية الوصول إلى تقريب وجهات النظر، أو الإقناع، أو اتخاذ قرار.

المطلب الثالث: الحوار في القرآن الكريم

لفظ الحوار والمحاورة بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلاث مواضع⁽⁶⁾ مرتين في سورة الكهف والثالثة في مطلع سورة المجادلة، وهي كالتالي:

- قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف:34)

(1) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط5، 1433هـ/2011م، ص262.

(2) مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية: محمد عدنان علي القضاة، إ: حسن أحمد الحيارى، جامعة اليرموك، الأردن، 1423هـ/2003م، ص13.

(3) منهجية الحوار في القرآن الكريم: محمد عبد اللطيف، عن مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع: 35، 1429هـ/2008م، ص184.

(4) الحوار والمناظرة في الإسلام: إبراهيم بن عبد الكريم السندي، مجلة جامعة أم القرى، ع: 46، 1430هـ، ص21.

(5) حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية: سارة بنت هليل، إ: السعيد محمود السعيد عثمان، جامعة أم القرى، 1428هـ/1429هـ، ص57.

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1364هـ، ص220.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

(وهو يحاوره) أي يجادله ويخاصمه ويفتخر ويتأس⁽¹⁾، والجملة في موضع الحال من القائل أي يراجع الكلام في إنكاره البعث وإشراكه بالله تعالى، وجوّز أن تكون الجملة حالاً من صاحبه فضمير هو عائد عليه، وضمير صاحبه عائد على القائل أي: والصاحب المؤمن يراجع بالوعظ والدعوة إلى الله عز وجل ذلك الكافر القائل له (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً)⁽²⁾، أي: قال لصاحبه المؤمن حين حاوره وراجع الحديث مذكراً له بالإيمان بالله والبعث والقيامة⁽³⁾.

- وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف: 37)

أي يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالاً وولداً وهو يخاطبه، ويكلمه أكفرت بالذي خلقك من تراب⁽⁴⁾.

فالمولى عز وجل يخبر عما أجاب به صاحبه المؤمن واعظاً عما هو فيه من الكفر⁽⁵⁾، "وقفه على جهة التوبيخ على الكفر وقرأ أبي بن كعب⁽⁶⁾ (وهو يخاصمه)"⁽⁷⁾.

- وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة: 01)

جاء في المحرر الوجيز أن "في مصحف عبد الله بن مسعود⁽⁸⁾ (تحاورك في زوجها)، والمحاورة مراجعة القول، ومعاطاته"⁽⁹⁾. أي تراجعك الكلام في شأنه، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، (والله يسمع تحاوركما) والتحاور المرادة في الكلام، وجوز أن يراد به الكلام المردد⁽¹⁰⁾.

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، جيزة، ط1، 1421هـ/2000م، 9/136.

(2) روح المعاني: الألوسي، دار إحياء التراث العربي وإدارة الطباعة المنيرية، بيروت، ط2، (د،ت)، 15/275.

(3) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط1، 1365هـ/1946م، 15/149.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي، هجر للطباعة، ط1، 1422هـ/2001م، 15/149.

(5) تفسير القرآن العظيم: 9/137.

(6) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، شهد العقبة الثانية، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ثم شهد بدرًا، وكان أحد فقهاء الصحابة، وأقرأهم لكتاب الله، واختلف في وفاته بين وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه، وخلافة عثمان رضي الله عنه، والأكثر على أنه مات في خلافة عمر، قيل سنة 19هـ، وقيل سنة 20هـ، وسنة 22هـ. ينظر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، دار الأعلام، (د، م)، ط1، 1423هـ/2002م، ص44.42.

(7) المحرر الوجيز: ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط1، 1422هـ/2001م، 3/517.

(8) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، وهاجر الهجرتين جميعاً، الأولى إلى أرض الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة، فصرى القبلتين، وشهد بدرًا والحديبية، مات بالمدينة سنة 32هـ، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان، وقيل: بل صلى عليه الزبير، وكان يوم توفي ابن بضع وستين سنة. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص411.407.

(9) المحرر الوجيز: 5/273.

(10) روح المعاني: 2/28، 3.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- فيستفاد من تفسير الآيات: أن الحوار يأتي بمعنى المجادلة إلا أنه أوسع منه، باعتبار تضمن كلمة الجدل معنى الصراع، بينما نجد كلمة الحوار تتسع له، ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة⁽¹⁾، وذلك لما جاء من تفسير آية الكهف بالمخاصمة، والمجادلة، وما جاء في القراءة الشاذة لآية المجادلة (تحاورك) بدل (تجادلك). كما أكدت ما تقرر من تعريف للحوار لغة من حيث كونه مراجعة الكلام، ويؤكد هذا كذلك ما ورد من آثار في سبب نزول الآية، وفي مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها الذي ظاهر منها وتشتكي إلى الله، حيث أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة⁽²⁾ تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله، طالت صحبتي مع زوجي، ونفضت له بطني، وظاهر مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُرِّمْتُ عليه". فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُرِّمْتُ عليه". فجعل إذا قال لها "حُرِّمْتُ عليه" هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي، فنزل الوحي وقد قامت عائشة⁽³⁾ تغسل شق رأسه الآخر، فأومأت إليها عائشة أن اسكتي، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السُّبَات، فلما قُضِيَ الوحي قال: " ادعي زوجك"، فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) إلى قوله (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا...) الحديث⁽³⁾.

وكذلك من تعريف الحوار اصطلاحاً وأنه يكون بين طرفين أياً كان عددهم وأنواعهم ومنزلتهم حول موضوع يهم الطرفين أو أحدهما وبأي وسيلة من وسائل الاتصال المناسبة. والقرآن الكريم رغم قلة ورود لفظة "الحوار" فيه إلا أنه استعمل مادة (قول) عوضاً عن الحوار بما يزيد عن ألف وسبعمائة مرة⁽⁴⁾.

وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من المواقف الحوارية التي بمعنى المراجعة، حيث بلغت قرابة مائة وعشرين موقفاً حوارياً، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس آي القرآن، هذا سوى الآيات الخطابية المصدرة ب (يا أيها الناس) و(يا أهل الكتاب) و(يا أيها الذين آمنوا)، وسوى آيات المسائلة، والمحاجة التي لا يعقبها

(1) الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط5، 1417هـ/1996م، ص52.

(2) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق بن أبي قُحافة، أمها أم رمان بنت عامر، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وهي بنت 6 سنين، وقيل بنت 7 سنين، وابتنى بها بالمدينة وهي بنت 9 سنوات، ولم يتزوج بكراً غيرها، وهي من رواة الحديث، وقد نزل القرآن ببراءتها في حادثة الإفك، توفيت سنة 57هـ، وقيل سنة 58هـ، ليلة الثلاثاء ل17 ليلة خلت من رمضان. ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب: 2/545-548.

(3) ينظر في المحرر في أسباب نزول القرآن: خالد بن سليمان المزني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ، ص957. وجامع البيان في تأويل آي القرآن: 22/446، 447. وتفسير القرآن العظيم: 13/446، 447.

(4) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص554-578.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

جواب، وآيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام وإن كانت هذه جميعاً في الواقع تحمل طبيعة الحوار، ولو جرى حسابها لصار القرآن الكريم كتاب حوار⁽¹⁾.

وقد كانت الحوارات في القرآن الكريم متنوعة، من ذلك ما كان بين المولى عز وجل وملائكته، وبينه سبحانه وتعالى وأنبيائه عليهم السلام، وحتى ما كان بينه تعالى والشيطان الرجيم، وفي هذا حث لنا على التحوار مهما كانت الفروق بين المتحاورين واختلاف آرائهم ومللهم.

وكذلك نجد حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم في دعوتهم للحق المبين مع تحملهم وصبرهم في حواراتهم معهم، وكذا تسليحهم بالحجج، وقدرتهم على الإقناع وكذا ما كان بينهم وعوائلهم.

والقصص القرآني عن الأنبياء وأقوامهم هي في الحقيقة حوارات أنموذجية للمسلم الداعية في كل زمان ومكان ليتعلم منها كيف يحاور الآخرين⁽²⁾.

والقرآن الكريم فيه نماذج للحوار العائلي، وهي متنوعة، ومناسبة لكل نمط أسريّ يمكن أن يوجد، وكان الحوار فيها يستخدم للتفاهم بين أفراد الأسرة⁽³⁾.

ومن حوارات القرآن الكريم حوارات جرت بين أنماط من الناس مثل ما كان بين بلقيس وحشمها، وحوار المؤمن مع فرعون وملئه، ناهيك عن الحوارات التي هي كائنة في اليوم الآخر.

وكل هذا يؤكد أن الحوار في المنظور القرآني هو الأصل الذي يجب أن يتخلل كل العلاقات، لأن القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكز على الحجة، والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل ذلك بديلاً للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تُسحق فيها الطاقات، وتهدر فيها الإمكانيات⁽⁴⁾.

ولقد تنزه القرآن عن أن يقول أي شيء غير ذي بال، أو يساق لأي غرض يخالف الأخلاق، بل هو مملوء بالعبر والمواعظ التي تقتزن بالغرض لذا كان حواراً تعليمياً، فالحوار القرآني حوار من نوع خاص، صاغه المولى عز وجل ليكون مثلاً للناس⁽⁵⁾.

وقد كان الحوار في القرآن الكريم بأساليب مختلفة متعددة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار، أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان

(1) الحوار في القرآن والسنة أسسه وأهدافه: أحمد بن عبد الرحمان القاضي، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس "الحوار الثقافي أهدافه ومجالاته"، بمكة المكرمة، 1425هـ/2005م، ص161، 162.

(2) أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره: سعد بن علي الشهراني، بحث مقدم لمؤتم "العالم الإسلامي والغرب الحواجز والجسور"، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 1427هـ/2006م، ص08.

(3) ينظر: أسلوب الحوار في القرآن الكريم: عبد الله الجيوسي، عن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع:2، 1427هـ/2006م، ص8.

(4) منهجية الحوار في القرآن الكريم: ص185.

(5) الحوار في الإسلام: عبد الله الموجان، مركز الكون، مكة، ط1، 1427هـ/2006م، ص46.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

آداب خاصة من آداب الحوار⁽¹⁾. وفي هذا الصدد سنلقي الضوء على الآيات القرآنية التي وردت فيها حوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام العائلية في محاولة منا لاستخراج ما دلت عليه من أصول وآداب للحوار.

المبحث الثاني: أصول الحوار العائلي من خلال الآيات:

الأصل أسفل كل شيء، وجمعه أصول⁽²⁾، فيقال: قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط، وقلع أصل الشجر، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شيء ما استند وجود ذلك الشيء عليه⁽³⁾. والأصل هو ما يبنى عليه غيره⁽⁴⁾، ما يفهم منه أن فقدته يؤدي إلى انعدام حقيقة الحوار حسيماً، بأن لا يسوغ ابتداءً، أو لا يستمر إذا اختل أصل من الأصول، فلا يكون له ثمرة مجدية، ولا نتيجة طيبة⁽⁵⁾.

ويمكن من خلال الآيات استخلاص المبادئ والأصول الآتية:

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى

وهو أصل لكل أمور الحياة وسبيل السعادة في الدارين، ذلك أن الأسرة المؤمن أفرادها، أكثر اتصالاً، وارتباطاً، وألفة، وتفاهماً فيما بينهم، ولما كان إبراهيم عليه السلام ووالده مختلفتين في المعتمد، لم يصل إلى نتيجة من حوارهما، وانتهى إلى ما انتهى إليه من بُعد وفراق **﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾** (مریم: 48) على غرار حوار إبراهيم وابنه عليهما السلام.

فالله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، فلما سأل ربه الولد، وهبه له، فتعلقت شعبة من قلبه بمحبته لولد، فأمر بذبح المحبوب ليظهر صفاء الخلّة، فامتثل أمر ربه، وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد⁽⁶⁾. وكان بلاءً مبيناً قُصد منه إظهار عزم إبراهيم عليه السلام وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه⁽⁷⁾، كما أن الأمر كان مناماً لا يقظة حتى يكون الامتثال أظهر وأدل على كمال الانقياد والإخلاص⁽⁸⁾، وفعلاً كانت نتيجة الحوار الانقياد لأمر العزيز الحكيم وكان جواب ابنه عليه السلام **﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** (الصفات: 102)

فعدل عن أن يقول: (اذبحني) إلى (افعل ما تؤمر) للجمع بين الإذن والتعليل: أي أذنت لك أن تذبحني لأن الله أمر بذلك، ففيه تصديق أبيه، وامتثال أمر الله فيه⁽⁹⁾.

(1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحي زهمي، دار التربية والتراث، مكة، ط1، 1414هـ/1994م، ص48.

(2) لسان العرب: 89/1

(3) تاج العروس، محمد مرتضى، ت: علي هلال، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407هـ/1987م، 27/447.

(4) التعريفات: محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د-ط)، 1985م، ص28.

(5) الحوار أصوله وآدابه: موسى يحي الفيفي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخضير، المدينة النبوية، (د،ط)، 1427هـ، ص121.

(6) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: نخبة من العلماء، إ: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ/2011م، 6/396.

(7) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية، تونس، (د،ط)، 1984م، 23/150.

(8) روح المعاني: 23/129.

(9) التحرير والتنوير: 23/152.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالإيمان هو الذي يغير الإنسان، وينشئه نشأة جديدة، ويفجر الينابيع الكامنة في النفس إذا ذاق حلاوة الإيمان، واطمأنت إليه نفسه وتفاعلت به حركته لأنه نور، نور في القلب، ونور في الجوارح، ونور في الحواس، نور يكشف حقائق الأشياء، والقيم، والأحداث، وما بينهما من ارتباطات، ونسب وأبعاد، فالمؤمن ينظر بهذا النور، نور الله تعالى فيرى الحقائق ويتعامل معها، ولا يتخبط في طريقه ولا يعثر في خطواته⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الاحترام المتبادل

الحوار أسلوب راقٍ للتفاهم بين الأطراف المختلفة للوصول إلى الحق، ولكي يحقق أفضل النتائج لابد فيه من الاحترام⁽²⁾، وهو ما يظهر جلياً في الآيات، فإبراهيم عليه السلام علم أن طبع أهل الجهالة تحقيرهم الصغير كيفما بلغ حاله في الحذق، وبخاصة الآباء مع أبناءهم فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماءً إلى أنه مخلص له النصيحة⁽³⁾، وصدّر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلاً إليه، واستعطافاً، وإشعاراً بوجود احترام الأب، وإن كان كافراً⁽⁴⁾. كما أنه قابل إساءة أبيه له بلطف وإحسان وأنهى الحوار معه بمشاركته بالسلام⁽⁵⁾. ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: 47)

لذا ينبغي في الحوار العائلي التأكيد على الاحترام المتبادل، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلة الابن ومقامه، وعدم المساس بذاته عند السلوك الخاطئ مع تذكر حق البنوة من قبل الآباء لأنهم موضع القوة غالباً، فيخاطبوا أبناءهم بالعبارات اللائقة، والألقاب، والكنى المحببة، والأساليب المهدبة⁽⁶⁾. وها هو إبراهيم عليه السلام يخاطب ابنه ب (يا بني) على سبيل الترحم، فيقابله ابنه ب (يا أبت) على سبيل التوقير والتعظيم⁽⁷⁾. فمناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل على الاحترام والتقدير لشخصه⁽⁸⁾، أما انتقاد الابن بصورة دائمة مستمرة والتربص له أثناء كل حركة تصدر منه أو كلمة يتفوه بها، واستدعاء أخطائه السابقة، يولد لديه إحساساً بأنه مرفوض، ويصيبه بالإحباط وخيبة الأمل، وينزع منه الثقة بقدراته وإمكاناته، ويقتل روح المبادرة عنده⁽⁹⁾.

(1) الحكمة والحوار علاقة تبادلية: عباس محبوب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، (د،ط)، 2006م، ص 210، 211.

(2) الحوار في الإسلام: ص 102.

(3) التحرير والتنوير: 113/16.

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو بركات عبد الله النسفي، ت: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، (د،م)، ط 1، 1419هـ/1998م، 339/2.

(5) التفسير الموضوعي: 4/ 452 بتصرف.

(6) حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص 91، 92.

(7) روح المعاني: 129 /23. بتصرف.

(8) الحوار في القرآن الكريم: معن محمود عثمان ضمرة، إ: محمد حافظ الشريدة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005م، ص 103.

(9) حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص 91.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فعلى المحاور أن يحترم الأطراف التي يحاورها، ويمنحها حقها المستوجب لها من التقدير، والتوقير، دون تملق أو نفاق، أو كذب أو نحوه، فهذا يجعل المحاور أقدر على الإقناع، ويجعل فرصة استماع الآخرين له أفضل⁽¹⁾.

المطلب الثالث: التواضع

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: 43).

أي قال: إبراهيم عليه السلام لأبيه: يا أبت إنني قد آتاني الله من العلم ما لم يأتك، فاقبل مني نصيحتي، أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن التزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه⁽²⁾.

فبعدما سأل إبراهيم عليه السلام أباه عن العلة في عبادة الصنم، ولا يمكن أن يجد جواباً، انتقل معه إلى إخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأتته، ولم يصف أباه بالجهل إذ يغني عنه السؤال السابق، وقال: (من العلم) على سبيل التبعية⁽³⁾، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي شيئاً من العلم ليس معك⁽⁴⁾، تواضعاً مع أبيه، واستمالة له إلى سبيل الرشاد.

كما يظهر تواضع إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم: 48)

فتصدير الكلام بعسى إظهار التواضع، ومراعاة الأدب، والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإثابة، والإجابة بطريق التفضل منه عز وجل، لا بطريق الوجوب، وأن العبرة بالخاتمة، وذلك من الغيوب المختصة بالعلم الخبير⁽⁵⁾.

وكذلك تواضع ابنه عليه السلام حين قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفات: 102) فقله (من الصابرين) دون صابراً وإن كانت رؤوس الآي تقتضي ذلك من التواضع ما فيه⁽⁶⁾، كما قدم المشيئة تأدباً وتواضعاً لله عز وجل، فهو لم يقل ستجدني من الصابرين، ولكنه قدم مشيئة الله سبحانه وتعالى، وهو من الأدب الجم من الابن وهو يستقبل أمر ربه لأبيه بأن يذبحه⁽⁷⁾.

فالفخر والكبر ليسا من شأن أهل الإسلام⁽⁸⁾، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)⁽⁹⁾.

(1) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 265، بتصرف.

(2) تفسير الطبري: 550/15.

(3) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: دار الفكر، بيروت، ط 1413، 1/1993م، 6/182.

(4) تفسير النسفي: 388/2.

(5) روح المعاني: 102/16.

(6) روح المعاني: 129/23.

(7) مواقف إيمانية من قصة الخليل إبراهيم عليه السلام: مهذب محمد عثمان، (د، ن)، (د، م)، ط 1، 2003م، ص 34.

(8) أدب الحوار: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 20.

(9) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الكبر وبيانه، رقم: 91، 93/1.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالمحاور أجدر الناس بالبعد عن الكبر بشتى صورته، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه ازدياداً له، واحتقاراً بالقول، أو الفعل فإن ذلك ينفره منه، ويؤدي إلى كراهته، وكراهة ما عنده من الحق، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهة المتكبرين⁽¹⁾، فعليه دائماً أن يتذكر أنه إنسان فلا يضع نفسه فوق موضعها لئلا ينزلق إلى هاوية الغرور البغيض، فتصبح جهوده غير مثمرة، وذهنه متحجراً لا يقبل المعلومات الجديدة ويفقد بذلك ميزة الاستمتاع إلى آراء الآخرين⁽²⁾.

المطلب الرابع: الموضوعية

من كمال الموضوعية الابتعاد عن التعصب للآراء، أو للأشخاص، أو إلى غير ذلك، ولهذا لما تعصب والد إبراهيم عليه السلام لآلهته، وآثار التقليد على الاستدلال الصحيح، لم يثمر الحوار بينهما ولم يوصل إلى نتيجة. قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: 46) فعندما دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى التوحيد، وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ المقرون باللفظ، قابله أبوه بجواب يضاد ذلك، فقابل حجته بالتقليد فإنه لم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)، فأصر على ادعاء إلهيتها جهلاً وتقليداً، وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتيم، وقابل رفقته بالعنف⁽³⁾، وهذه عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجؤوا إلى استعمال القوة⁽⁴⁾، فكان جوابه بمنتهى الجفاء والعنجهية⁽⁵⁾ بعكس ما في كلام إبراهيم من اللين، والرقّة، فدل على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر⁽⁶⁾.

فالتعصب لوجهة نظر مسبقة، والتمسك بفكرة مع رفض نقضها، أو مخالفتها تباين مع مبدأ الحوار في تبادل الأفكار، وتداول القضايا المطروحة، وسماع الرأي الآخر الذي يمكن أن ينتج عنه فكرة أو أفكار جديدة⁽⁷⁾، فلا يتعصب الإنسان إلى شخص، أو إلى رأي، بل ليبين قوله بأوضح حجة، فلا يكون مراده تعصباً لشخص، أو انتصاراً له، في مقابلة الحق، وإنما يُعرف الحق من خلال دليله، ولا يعرف من خلال المتكلمين الذين يتكلمون⁽⁸⁾.

(1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 170.

(2) المرجع نفسه: ص 174.

(3) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1401هـ/1981م، 228/21، بتصرف.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إ: بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط، ط)، (د، ت)، 361/4.

(5) العنجهية: تعني الكبر والعظمة، ويقال: الجهل والحمق. ينظر لسان العرب: 2830/32.

(6) التحرير والتنوير: 118/16.

(7) منهجية الحوار في القرآن الكريم: ص 217.

(8) أدب الحوار: ص 37.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فالمحاور الناجح شخصية سوية، لذلك فهو لا يتعصب لرأي، وإنما يبحث عن الحق ويدعو إليه ويتمسك به⁽¹⁾. وإن من الموضوعية في الحوار أن يتناول الفكرة بالبحث، والتحليل، والنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والشخصيات⁽²⁾، وهذا كذلك ظاهر في الآيات فقد دعا إبراهيم عليه السلام والده بكل أدب واحترام، ولم يتعرض لشخصه بتجريح أو خدش لمشاعره، بل أظهر له قبح صنيعه بالحجة القاطعة والدليل الساطع. ومن موضوعية إبراهيم عليه السلام أن أعطى الحق لابنه، واستشاره **﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾** (الصفات: 102) لأن إعطاء الطفل حقه، وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلم أن الحياة أخذ وعطاء، وإنه كذلك تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن بتعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له، تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها⁽³⁾.

المطلب الخامس: الرفق واللين والمعاملة بالحسنى

فإبراهيم عليه السلام حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم استعمل المجاملة، واللفظ، واللين والأدب الجميل، وحسن الخلق⁽⁴⁾، فإن قوله في مقدمة كل كلام (يا أبت) دليل على شدة الحب والرغبة في صونه من العقاب، وإرشاده إلى الصواب⁽⁵⁾، ومن تأدبه وترفقه بأبيه لم يصرح له بجهله، وإنما عبر بالأسلوب الذي يحقق المطلوب دون أن يجرح مشاعر أبيه، وينفره من دعوة الحق⁽⁶⁾.

كما قابل عليه السلام غلظة وجفوة أبيه برقة وحنان ورفق ولين **﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾** (مريم: 47) فقابل الهجر والخصام باللين والسلام، ووعدته بأن يستغفر له ربه الذي تعود منه الحفاوة والإكرام⁽⁷⁾، فقوله (سلام عليك) توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة، فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان⁽⁸⁾، وهذا من حلم إبراهيم عليه السلام إذ كانت متاركة أباه مثوبة بالإحسان في معاملته في آخر لحظة⁽⁹⁾.

(1) الحوار في القرآن الكريم: ص 115.

(2) المرجع نفسه: ص 107.

(3) منهج التربية النبوية للطفل: ص 98.

(4) الكشاف: جار الله أبو القاسم الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، (د،م)، ط 1، 1418هـ/1998م، 23/4.

(5) مفاتيح الغيب: 21/227.

(6) التفسير الموضوعي: 4/449.

(7) التفسير الموضوعي: 4/450.

(8) روح المعاني: 16/99.

(9) التحرير والتنوير: 16/121.

8-9 أبريل 2019 - نوفى بازار - جمهورية صربيا

فالواجب على المحاور العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهيجها أشد من استعمال مثلها⁽¹⁾. ويتأكد الرفق واللين بخاصة في حوار الأبناء وتربيتهم، لأن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم - ولا سيما أمام الحاضرين - هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص ... ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية... وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع بيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ⁽²⁾، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية اللين والرفق فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)⁽³⁾.

فالحوار الذي يقوم على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف، وعلى الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق، كانت نتائجه طيبة، وآثاره حميدة لأنه - في الأعم الأغلب - يوصل إلى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار⁽⁴⁾. فنجاح الحوار العائلي متوقف على مراعاة أصوله من توافق المعتقد وهو الإيمان بالله وحده، والاحترام، والتواضع، والموضوعية، والرفق واللين والمعاملة بالحسنى.

المبحث الثالث: آداب الحوار العائلي من خلال الآيات

الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي به لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح⁽⁵⁾. وهو عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ⁽⁶⁾. كما عُرّف بأنه اجتماع خصال الخير في العبد⁽⁷⁾. والآداب جمع أدب وهي تدل في اللغة العربية والشريعة الإسلامية، واستخدام السلف لها على الشيء الذي يجمل بالمرء فعله أو تركه، وهذه الآداب مراعاتها من شأنه أن يضيفي على الحوار الموضوعية والتوازن والاستمرار بفائدة،

(1) الحوار في القرآن الكريم: ص125.

(2) تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان، دار السلام (د، م)، ط1412، 21/1992م، ص210.

(3) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، رقم: 2594، 4/2004.

(4) أدب الحوار في الإسلام: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، (د، ط)، 1997م، ص30.

(5) تاج العروس: 12/2.

(6) التعريفات: ص16.

(7) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم الحوزي، ت: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1416، 3/1996م، 355/2.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

والخروج بنتيجة وثمره⁽¹⁾. وإن فقد أدب من آداب الحوار لا يؤثر على الحوار في أصله وجوهره وإن كان قد يدخل فيه النقص والخلل⁽²⁾.

ويمكن تصنيف الآداب إلى آداب نفسية، وآداب علمية، وأخرى لفظية.

المطلب الأول: الآداب النفسية

وهي الآداب المتعلقة بنفسية المتحاورين، لأنه يمكن أن يطرأ على الحوار ظروف نفسية فتخرج بالحوار العائلي عن مساره الصحيح وتأثر سلبا عليه، لأجل ذلك يجب مراعاتها حتى يحقق الحوار غايته⁽³⁾. ويمكن استخلاص من الآيات الآداب الآتية:

الفرع الأول: الرحمة والشفقة

إن الحوار مبدأ رفيع، ووسيلة للوصول إلى غاية حميدة وهدف سام، والمحاور المسلم المخلص الصادق لا يتصور منه إلا الحرص على إظهار الحق للطرف الآخر، والشفقة عليه من البعد والضلال، والخوف عليه من أن تتفرق به السبل، ورحمته باعتباره إنسانا قامت عليه الحجة، وخاصة إن كان كافرا، فعندها تتأكد الشفقة والرحمة⁽⁴⁾. ولهذا دعا إبراهيم عليه السلام أباه، وحاووه بكل شفقة ورحمة، فتلك المناصحات تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدايته⁽⁵⁾، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربعة بقوله (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا⁽⁶⁾. وها هي الشفقة والرحمة تلف حوار إبراهيم وابنه عليهما السلام فمناداة الأب ابنه (يا بني) نداء رحمة⁽⁷⁾ وشفقة وكذلك رد الابن الحليم ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102) فيه إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفقتة عليه مع عظم البلاء حيث أشار إلى أن لله تعالى عبادا صابرين⁽⁸⁾. وفيه مزيد للطمأنينة في نفس الأب وأنه سيعينه على تنفيذ أمر الله لأنه مستعين بالله على الصبر وعلى طاعة أبيه⁽⁹⁾. وإن الرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله وخاصة عندما يشعر بها ويلمسها، فتخرج ما في نفسه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها. فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتأليف الأفتدة، وكلما

(1) الحوار أصوله وآدابه: موسى يحيى الفيغي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخضير، المدينة النبوية، (د، ط)، 1427هـ، ص 127.

(2) المرجع نفسه: ص 121. بتصرف.

(3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 116، بتصرف.

(4) المرجع نفسه: ص 202.

(5) البحر المحيط: 6/183.

(6) الكشاف: 4/24.

(7) روح المعاني: 23/129.

(8) المرجع نفسه: 23/130.

(9) حوار الآباء مع الأبناء: ص 136.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ظهرت الرحمة على المحاور، واتضحت معالمها، كلما انشرح صدر الطرف الآخر واقترب من محاوره فأوشك على الإذعان والإقناع⁽¹⁾.

وقد قال صلى الله عليه وسلم (جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)⁽²⁾.

فعلى المحاور أن يستقي رحمته من ربه الذي وسعت رحمته كل شيء، ويقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال فيه المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128)

وعلى كل حال فالرحمة أدب مهم جداً في الحوار إذ يجب على المحاور أن يسع لهداية الآخرين، واستقامتهم كما يجب عليه أن ينصح لهم ويجتهد، وأن يشفق عليهم، ويرحم فإن ذلك أدعى إلى استجابتهم وأقرب إلى نجاح الحوار⁽³⁾.

الفرع الثاني: المحبة رغم الاختلاف

فرغم اختلاف إبراهيم عليه السلام وأبوه في المعتقد إلا أن ذلك لم يمنعه من محبته وإرادة الخير له، وحرصه الشديد لهدايته، ويلمس ذلك في مناصحاته له التي كانت بكل رفق ولين وحسن خلق.

فقد ذكرت لفظة (يا أبت) على لسان إبراهيم عدة مرات لتبقي على الجو جانب العاطفة والحرص على أبيه ولو كان كافراً، فهذه اللفظة تشعر أنه يخاطب إنساناً عزيزاً عليه⁽⁴⁾، ومع ذلك قابله أباه بحوار سلطوي. وهو الحوار الذي يستخدم فيه المحاور سلطته في تهديد الطرف الآخر ويظهر فيه إلغاء كيان الطرف الآخر⁽⁵⁾. منطلقاً من الشعور بالسلطة الأبوية التي تسمح للأب بالضغط على الابن، ليسير على خطى أبيه وتهديده بالقوة والطرده والهجران إن خالف ذلك، فلا حوار في علاقتهما، إنما أمر وطاعة، فللأب أن يعلن عن رغبته وللابن أن ينفذ دون تردد أو تفكير، إنها الشريعة السائدة آنذاك التي تجعل من علاقة الآباء بالأبناء علاقة تشبه العبودية⁽⁶⁾، ومع هذا لم يرد الإساءة بمثلاً بل ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: 47) وفي هذا دليل على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج⁽⁷⁾، ويجوز أن يكون دعا له بالسلامة استمالة له⁽⁸⁾، فقد حرص إبراهيم

(1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 207.

(2) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، رقم: 6000، 8/8.

(3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 206.

(4) أسلوب الحوار في القرآن الكريم، ص 19.

(5) المرجع نفسه: ص 4.

(6) الحوار في القرآن: ص 264.

(7) اللجاج والملاحة التمادي في الخصومة. ينظر لسان العرب: 3999/44.

(8) مفاتيح الغيب: 21/ 229.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

العلية على جانب التأثير النفسي، فاستخدام أسلوب تلمس الدعاء له ليكون ضاغطا نفسيا على أبيه لينشغل بهذا الدعاء وما يحمله من معانٍ⁽¹⁾، فبعدهما ودعه بقوله (سلام عليك) ضم إلى ذلك ما دل على أنه وإن بُعد عنه فإشفاقه باقٍ عليه كما كان⁽²⁾.

فعلى المحاور دائما أن لا يخرج من الحوار معلنا الخصومة على محاوره أو موسعا الهوة بينه وبين إخوته مهما كلفه الأمر من اللين والتواضع وخفض الجناح⁽³⁾.

الفرع الثالث: الهدوء والثقة بالنفس

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102)

فهذا الحوار القصير يبرز الحالة النفسية التي استقبل بها كل من الأب والابن أمر الله وهو التسليم والطاعة، وهو منسجم تماما مع الهدوء في أمر الرسالة⁽⁴⁾، فإبراهيم عليه السلام لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب... كلا إنه القبول والرضى، والطمأنينة والهدوء، يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب، وكانت كلماته المالك لأعصابه المطمئن للأمر الذي يواجهه، والوائق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن الذي لا يهوله الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه!... وها هو الابن البار يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه، فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا إشارة، وأن الإشارة أمر، وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب⁽⁵⁾. فكان كلامه كلام من أوتي الحلم والصبر والامتثال لأمر الله والرضى بما أمر⁽⁶⁾، فهو على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم، وفساحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة، والإجابة بذلك الجواب الحكيم⁽⁷⁾، وقوله (من الصابرين) من المبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف بصابر لأنه يفيد أنه سيجده من عداد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به⁽⁸⁾، وأخرج الكلام على وجه لا يشعر بوجود صابر سواه لم يتيسر له الصبر مع أنه لم يهمل أمر الاستثناء⁽⁹⁾.

(1) أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص 19، 20.

(2) مفاتيح الغيب: 21 / 229.

(3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 248.

(4) أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص 20.

(5) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 5، 1386هـ/1967م. 23 / 63، 64. بتصرف.

(6) البحر المحيط: 6 / 355.

(7) الكشف: 6 / 221.

(8) التحرير والتنوير: 23 / 152.

(9) روح المعاني: 23 / 130.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فعلى المحاور أن توحى شخصيته بالهدوء والصفاء والتوازن، وقبل الدخول في الحوار عليه أن يتأكد من قدرته على قيادة نفسه، وضبط أعصابه، إذ لا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحق الذي معه، مهما كان واثقا من صحته وصدق أفكاره، فإنه إن لم يخضع نفسه ويمتلكها، تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الآداب العلمية

وهي التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية وموضوعاته الأساسية، من حيث إيراد المعلومات وترتيبها وتقديرها أو ردها⁽²⁾. وهذه الآداب المستنبطة من الآيات:

الفرع الأول: العلم بموضوع الحوار

العلم بموضوع الحوار من أهم أسباب نجاح الحوار، وبدونه يكون الضرر كبيراً، إذ يصبح تضيقاً للوقت والجهد⁽³⁾. والإحاطة بقضية الحوار قبل البدء فيه تضمن عدم بعثرة الأفكار وضبايتها، وتجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار وكيف ينتهي منه في وضوح وهدوء وقوة⁽⁴⁾، وهذا ما كان من إبراهيم عليه السلام إذ كان حواراً مع أبيه عن علم، علم النبوة فقولته (قد جاءني) يدل على أن هذه المحاور بعد أن نبي⁽⁵⁾، وقد قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 41)

وللمحاور إظهار علمه وتصريحه بأنه أعلم، توثيقاً لقوله، إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور فإن هذا يتنافى مع الإخلاص ولا يستقيم مع العلم⁽⁶⁾، ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: 43)

فإمام المحاور بقضية الحوار يقود إلى الإيجابية والتفاهم... وهذا يقتضي ألا يباشر الإنسان حواراً في موضوع لا يملك حوله المعلومات الكافية والحقائق الثابتة، أو موضوع قد تكون معلوماته فيه ناقصة، أو أفكاره غير صحيحة⁽⁷⁾، إلا أن يكون على سبيل الاستعلام وطلب المعرفة بالمسألة مثلاً، وغالباً ما تكون من الأبناء للآباء، وليس هناك فضاضة في أن يتبع الوالد ولده إذا كان الولد على علم⁽⁸⁾.

(1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 259.

(2) المرجع نفسه: ص 276.

(3) المرجع نفسه: ص 176. بتصرف.

(4) الحوار في الإسلام، ص 77.

(5) المحرر الوجيز: 18/4.

(6) الحوار في الإسلام: ص 78.

(7) الحكمة والحوار علاقة تبادلية: ص 201.

(8) في ظلال القرآن: 41 / 16. بتصرف.

الفرع الثاني: الإقناع بالدليل والتدرج في الحوار

إن ما يشد في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه الطريقة الحكيمة التي سلكها لإقناع أبيه حيث حاكمه إلى مقدمات مسلمة وثابت لا مجال لإنكارها، وذلك من باب النصح والإرشاد النابع من قلب صادق وعاطفة رقيقة وعقل راجح⁽¹⁾.

فقد سلك في دعوته أحسن منهاج واحتج عليه بأبدع الحجج بحسن أدب وخلق لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية في سبيل الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته⁽²⁾، لأن الأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان، وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى، فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان⁽³⁾ "فألقي إليه حجة فساد عبادته في صورة استفهام عن سبب عبادته، وعمله المخطئ، منبها على خطئه عندما يتأمل عمله، فإنه إن سمع ذلك، وحاول بيان سبب عبادة أصنامهم لم يجد لنفسه مقالاً، ففطن بخلط⁽⁴⁾ رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حياً مميّزاً لكان له شبهة ما، وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس إذا قال له ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم:42) فذلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (مريم:42)"⁽⁵⁾

كما أن تفرغ أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقية العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول، لم يزل البشر يتقصون مظان المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتقاء ما يضر⁽⁶⁾.

وقد تدرج إبراهيم عليه السلام في الحوار مع أبيه حيث ابتدأ بالاستفهام الإنكاري، ثم بالتقرير الخبري، ثم بالنهي الصريح، ثم بالترهيب، وذلك لما يعلمه من تشبث أبيه بالشرك والإصرار عليه، ومع التدرج يلمس التنوع في الغرض فمرة يكشف له عن زيف معتقده، وأخرى يقرر له العقيدة الصحيحة، وثالثة يحذره من كيد الشيطان، ورابعة يحذره من غضب الرحمن وعذابه⁽⁷⁾.

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 448/4.

(2) روح المعاني: 97/16.

(3) في ظلال القرآن: 41/16 . بتصرف.

(4) الخطل: خفة وسرعة، والخاطل: الأحمق العجل. ينظر لسان العرب: 1202/14.

(5) التحرير والتنوير: 113/16، 114.

(6) المرجع نفسه: 116/115/16.

(7) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 452/4.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية، والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها للإقناع، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك محاوره، ومستواه العلمي وحالته النفسية فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتسييرها، بسّطها له ويسرّها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله تعالى عقول الناس عليها⁽¹⁾.
فالتدرج في الحوار، والبدء بالأمر المتفق عليها . كالمسلمات والبديهيات - يقلل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين ويشعر كلا منهما أن هوة الاختلاف ضيقة، وهذا له أثره الإيجابي ومردوده النفسي في الحوار⁽²⁾.

الفرع الثالث: الصدق

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 41) أي: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب⁽³⁾، ووصف به إبراهيم عليه السلام لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى، لا يصدده من ذلك ما قد يكون عذراً للمكلف مثل مبادرته إلى محاولة ذبح ولده حين أمره الله بذلك في وحي الرؤيا⁽⁴⁾.
ووصفه عليه السلام بالصدقية قبل وصف النبوة إشارة إلى أن الصدق سجية فيه، وأنه كسائر الأنبياء عليهم السلام عرفوا بين الناس بالصدق قبل بعثهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعي قبل بعثه بالصادق الأمين، فاستقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى قبول دعوته وثقة الناس به⁽⁵⁾.

فلا بد عند الحوار من احترام الحقيقة، والقيام بمسؤولية الكلمة، والحوار الهادف المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما اللجوء إلى الغموض والمراوغة فإنه قلة في الإخلاص، وضعف في النفس، يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثمة إلى فساد الحوار⁽⁶⁾.
والصدق مع كونه أدبا في الحوار، فهو مبدأ إسلامي رفيع وخلق نبيل لا خيار للمسلم إلا التحلي به، ولا يليق به إلا التخلق به، فهو من مقتضيات إخلاصه وتقواه⁽⁷⁾.

المطلب الثالث: الآداب اللفظية

وهي الآداب التي تتعلق بالألفاظ والكلمات المختارة، والعبارات المناسبة والتي تطرح، وتدور في أثناء الحوار من قبل طرفين أو أطراف الحوار⁽⁸⁾.

(1) الحوار في القرآن الكريم: ص 151..

(2) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 228.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 548 / 15.

(4) التحرير والتنوير: 112 / 16.

(5) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 451 / 4.

(6) الحوار في الإسلام: ص 79.

(7) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 342.

(8) المرجع نفسه: ص 426.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وها هي الآداب المستخلصة من الآيات:

الفرع الأول: حسن اختيار العبارات ووضوح الكلام

إن قوة التعبير، وفصاحة اللسان والبيان وجودة العرض من عوامل نجاح الحوار، ويكون له الأثر الأكبر في إيضاح الفكرة، وقبول الطرف الآخر بها، وربما ضاع الحق لسوء التعبير، وظهور الباطل لفصاحة قائلة وبلاغته⁽¹⁾. والمحاور الجيد يناقش بتلطف وأناة، ويقدم لكلامه ويختمه بعبارات تدوب رقة، ولطافة، وتبلغ من الأثر في نفس السامع ما لا تبلغه الحججة الدامغة⁽²⁾، فالكلمة الطيبة تأسو⁽³⁾ جراح القلوب وتندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم⁽⁴⁾.

وإبراهيم عليه السلام في حوار مع أبيه رتب الكلام في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة، واللطف، واللين والرفق، والأدب الجميل والخلق الحسن⁽⁵⁾.

ومن حسن اختياره للعبارات التعبير بالخوف الدال على الظن، دون القطع تأدبا مع الله تعالى، بأن لا يثبت أمراً فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان⁽⁶⁾.

وقد أتى كذلك بلفظ المس الذي هو أخف من المعاقبة، ونكر العذاب، ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان⁽⁷⁾.

وكذلك اختياره كلمة الاعتزال مقابل تعبير أبيه بالهجر، فالهجر أشد من الاعتزال، إذ الاعتزال يعني الابتعاد، وعدم المشاركة والموافقة في الرأي مع تكرار المحاولة إذا سنحت الفرصة، أما الهجر فيحمل معنى القطيعة والجفاء⁽⁸⁾.

ومن العبارة المناسبة حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحب الأسماء إليه أو كنيته أو لقبه، بحيث يشعره بالتقدير وحسن الاهتمام به، أو نحو ذلك مما يقتضيه المقام ويناسب المخاطب⁽⁹⁾، وإبراهيم عليه السلام خاطب أباه بتلطف وناداه بـ (يا أبت) ونادى ابنه بـ (يا بني) وكان كلامه في غاية الوضوح.

(1) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 325.

(2) الحوار في الإسلام: ص 106.

(3) تأسو: من أسأ، والأسأ: المداواة والعلاج. ينظر لسان العرب: 82/2.

(4) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 429.

(5) الكشاف: 23/4.

(6) التحرير والتنوير: 118/16.

(7) البحر المحيط: 183/6.

(8) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 452/4.

(9) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 434.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ذلك أن الوضوح في الكلام يجعل موضوع الحوار مفهوماً ومؤثراً ومقنعاً، ومن الوضوح وضوح اللغة والصوت والألفاظ، وسهولة العبارات المستخدمة، ويجب أن يراع هذا خاصة في الحوار مع الأبناء وذلك بما يوافق المرحل العمرية لهم مع استعمال وسائل إيضاح حسية تقرب المعنى لهم⁽¹⁾.

فاختيار العبارات المناسبة، وانتقاء الألفاظ اللطيفة مع لين الكلام، وطيب المقال من الأدب الرفيع الذي يُطمئن خواطر الآخرين ويستل ما قد يكون في نفوسهم من عناد أو حقد أو مكابرة⁽²⁾.

الفرع الثاني: التعريض والتلميح بدل التصريح

وهو واضح ظاهر في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم:43) فلم يسم أباه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعالم الفائق وإن كان كذلك، بل صور نفسه في صورة رفيق له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق⁽³⁾.

وكذلك في قوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم:45) لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به، بل قال ﴿أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك نقيان - قليل - من عذاب الرحمن) وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، كما أن رضوان الله أكبر من الصواب نفسه⁽⁴⁾.

وحين قال: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم:48) ففي إعلانه هذا الرجاء بين ظهرانيهم، تعريض بأنهم أشقياء بدعاء آلهتهم⁽⁵⁾.

فلفتُ النظر إلى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في التسليم للحق، والرجوع عن الخطأ فالنفوس غالباً لا تتحمل أن تواجه بقوة وصرامة. وهناك من الألفاظ الموحية، والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة⁽⁶⁾.

فالتلميح من بعيد، والتعريض بالخطأ، بدلاً عن التصريح، يجعل من الهين على الشخص الآخر أن يصحح خطأه، ويحتفظ له بكرميائه ويشبع فيه إحساساً بأهميته، ويسلس قيادته، ويدفعه إلى التعاون بدلاً من أن يحفزته إلى الثورة والعناد، وهو أفضل من نقد صريح، وإصدار أوامر بوجوب الاعتراف بالأخطاء والرجوع إلى الحق⁽⁷⁾.

(1) حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص92.

(2) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص436.

(3) روح المعاني: 97/16.

(4) تفسير النسفي: 339/2.

(5) التحرير والتنوير: 123 / 16.

(6) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص445.

(7) المرجع نفسه: 451.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فهذه جملة من الآداب التي على أفراد العائلة مراعاتها فيما بينهم أثناء حواراتهم.

وعلىنا التأسي بسيدنا إبراهيم عليه السلام في حواراتنا، فقد قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (المتحنة:4)، فهو عليه السلام حاور أباه الكافر، ولم يصدر منه إلا الاحترام، والتوقير، وصدق النصح، ورغم لجاج أبيه لم يقابله بالمثل بل أنهى الحوار معه بكل أدب، وطيب. وكذلك حواراه مع ابنه الذي كان على مستوى عال من المثالية، والكمال.

خاتمة:

أهم ما توصلت إليه الدراسة أن القرآن الكريم قد اهتم بالحوار اهتماماً بليغاً، وجعل منه منهاجاً يتبع في كل المجالات، ذلك أنه أسلوب راقٍ للتفاهم بين مختلف الأطراف، والتواصل فيما بينهم. وقد اشتمل القرآن العظيم على العديد من المواقف الحوارية، التي بمعنى مراجعة الكلام والمرادة فيه، وخاصة منها الحوارات العائلية التي تكون بين أفراد الأسرة الواحدة (أب، أم، أبناء)، وهذا لمدى أهمية الحوار في الأسرة التي هي نواة المجتمع وأساسه، وصورتها تنعكس عليه. فالحوار هو منطلق الأسرة السعيدة لأنه من أنجع الأساليب لحل المشاكل فيما بين أفرادها، كما يعدّ صمّام أمان في مواجهة الانحرافات المحتملة، فمن خلاله يوجه الأبناء إلى كل ما هو معتدل وصواب، وتُبنى شخصيتهم، وتزداد الثقة في أنفسهم.

كما بينت الدراسة أن الحوار الأسري لا يختص بموضوعات محددة بل يشمل كل ما فيه مصلحة ومنفعة للأسرة، أو لأحد أطرافها، وأنه يجب مراعات أصوله من مراقبة الله تعالى واحترام متبادل، وتواضع ومعاملة بالحسنى، والالتزام بالموضوعية، فلا تعصب ولا حجر للأفكار، بل ردّ على الأساليب الغير أخلاقية التي من بينها الاستهزاء بالأصغر وعدم احترامه.

كما أبرزت جملة من الآداب التي ينبغي التحلي بها أثناء الحوار العائلي وغيره، وإن كانت آكدة فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم :

برواية حفص عن عاصم.

• السنة الشريفة:

1- الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، (ت،م)، ط1، 1422هـ.

2- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط)، (د، ت).

• التفاسير وعلوم القرآن:

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إ: بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط، ط)، (د، ت).

2- البحر المحيظ: أبو حيان الأندلسي: دار الفكر، بيروت، ط1413، 1993م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 3- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية، تونس، (د،ط)، 1984م.
- 4- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مؤسسة قرطبة، جيزة، ط1، 1421هـ/2000م.
- 5- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط1، 1369هـ/1946م.
- 6- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء، إ: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ/2011م.
- 7- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة، (د،م)، ط1، 1422هـ/2001م.
- 8- روح المعاني: الألويسي: دار إحياء التراث العربي وإدارة الطباعة المنيرية، بيروت، ط2، (د،ت).
- 9- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط5، 1386هـ/1967م.
- 10- الكشاف: جار الله أبو القاسم الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، (د،م)، ط1، 1418هـ/1998م.
- 11- المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط1، 1422هـ/2001م.
- 12- المحرر في أسباب نزول القرآن: خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ .
- 13- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو بركات عبد الله النسقي، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، (د،م)، ط1، 1419هـ/1998م.
- 14- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

• المعاجم:

- 1- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: علي هلال، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407هـ/1987م.
- 2- التعريفات: محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د،ط)، 1985م.
- 3- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار العلم للجميع، بيروت، (د،ط)، (د، ت).
- 4- لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، (د،ط)، (د،ت).
- 5- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية القاهرة، (د،ط)، 1364هـ.
- 6- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط5، 1433هـ/2011م.

• كتب متنوعة:

- 1- أدب الحوار في الإسلام: محمد سيد طنطاوي: دار نهضة مصر، (د،ط)، 1997م.
- 2- أدب الحوار: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز اشبيليا، الرياض، ط1، 1427هـ/2006م.
- 3- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: ابن عبد البر، دار الفكر، بيروت، (د، ط)، 1427هـ/2006م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 4- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، دار الأعلام، (د، م)، ط1، 1423هـ/2002م.
 - 5- تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان، دار السلام، (د، م)، ط1، 1412هـ/1992م.
 - 6- الحكمة والحوار علاقة تبادلية: عباس محبوب، جدار للكتاب العالمي، عمان، (د، ط)، 2006م.
 - 7- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى بن محمد زمزمي، دار التربية والتراث، مكة، ط1، 1414هـ/1994م.
 - 8- الحوار أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه: موسى يحيى الفيقي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخضير، المدينة النبوية، (د، ط)، 1427هـ .
 - 9- الحوار في الإسلام: عبد الله الموجان، مركز الكون، مكة، ط1، 1427هـ/2006م.
 - 10- الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط5، 1417هـ، 1996م.
 - 11- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم الجوزي، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ/1996م.
 - 12- منهج التربية النبوية للطفل: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار طيبة، مكة، ط3، 1421هـ/2000م.
 - 13- مواقف إيمانية من قصة الخليل إبراهيم عليه السلام: مهاب محمد عثمان، (د، ن)، (د، م)، ط1، 2003م.
- رسائل الماجستير والبحوث والمجلات:**
- 1- أسلوب الحوار في القرآن الكريم خصائصه الإعجازية وأساره النفسية: عبدالله الجبوسي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع:2، 1427هـ/2006م.
 - 2- أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره: سعد بن علي الشهراني، بحث مقدم لمؤتمر "العالم الإسلامي والغرب الحواجز والجسور" بال+جامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، تنظيم المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية في الفترة 12-14/08/1427هـ الموافق لـ 5-7/9/2006م.
 - 3- حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية: سارة بنت هليل المطيري: إ: السعيد محمود السعيد عثمان: جامعة أم القرى، السعودية، 1428هـ/1429هـ.
 - 4- الحوار في القرآن الكريم: معن محمود عثمان ضمرة، إ: محمد حافظ الشريدة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005م.
 - 5- الحوار في القرآن والسنة، أسسه وأهدافه: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس "الحوار الثقافي أهدافه ومجالاته"، بمكة المكرمة، 14/12/1425 الموافق لـ 15/01/2005م.
 - 6- الحوار والمناظرة في الإسلام: إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، مجلة جامعة أم القرى، ع: 46، محرم 1430هـ.
 - 7- مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية: محمد عدنان علي القضاة، إ: حسن أحمد الحيارى، جامعة اليرموك، الأردن، 1423هـ/2003م.
 - 8- منهجية الحوار في القرآن الكريم: محمد عبد اللطيف، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع:35، رجب 1429هـ/يوليو 2008م.

الأساليب النبوية في التواصل الأسري

د. العربي لخنيك

أستاذ بجامعة مولاي اسماعيل مكناس المغرب

ملخص:

تشكل الأسرة النواة الصلبة في المجتمع، فهي المحضن الساس لزرع القيم وبناء الشخصية، وعلى قدر نجاح هذه المؤسسة في وظائفها تكون الثمرة والنتائج مرتسمة في مختلف عناصرها، فضلا عن أثر ذلك على محيطها. ولكي تنجح هذه المؤسسة في أداء رسالتها الانسانية والكونية، لا بد لها من قواعد وطرائق في الفهم والسلوك، بمعنى آخر لا بد لها من أن تتسلح بمنظومة مرجعية موثوق بها ومجربة. قوام هذه المنظومة، التجربة التاريخية للبشرية عند الآخر. وهي عندنا -نحن المسلمين- تمسك بما جاء به الوحي بشقيه، واجتهاد بإزائه فهما واستنباطا وتنزيلا.

ومن القيم التي وجب النظر فيها في هذا الصدد، قيمة التواصل والحوار من خلال السلوك النبوي، من حيث كونه بشرا ورسولا مسددا بالوحي. وهذا ما يستدعي استقراء أساليبه صلى الله عليه وسلم في بيت النبوة مع أزواجه وأبنائه وأحفاده.

مقدمة:

شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل بشرا رسولا، لينبئ لحمل رسالته إلى العالمين، ومن فضل الله في ذلك أن تتجسد تعاليمه في شخص نبيه صلى الله عليه وسلم، تربية وسمتا ومنهجا، "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب 21)، والأسوة هي القدوة في كل شيء كما قال المفسرون¹. ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة في كل شيء فإن الفهم والتنزيل العمليين إنما يكون من خلال استقراء قواعد ذلك في أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته. فقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلق رسول القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه². وفي رواية قالت "كان خلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن" ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت بلى،

1 - تفسير البغوي (معالم التنزيل) 336/6 و التفسير الكبير للرازي 222/7.

2 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 1360 وقال حديث حسن.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

قالت فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن¹. كما وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم 4 ، ومعناه عند أهل التفسير: " وإنك يا محمد لعلی أدب عظیم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه². وذكر الرازي في بيان هذه الآية: " الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة. واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة غير ، وسهولة الإتيان بها غير، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق ، ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والغضب والتشديد في المعاملات، والتحجب إلى الناس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران، والتساهل في العقود كالبيع وغيره، والتسامح بما يلزم من حقوق. وهذا الذي ذكر الرازي هو التواصل وجوهه وثمرته³.

لذلك نجد سيرته - صلى الله عليه وسلم - غنية بأساليب تواصله مع غيره من الناس ، وتبرز فيها الصبغة القرآنية في الجوهر والظاهر، حكمة ورحمة وحزما ، مع الأهل وعامة الناس بمختلف حيثياتهم النفسية والاجتماعية والعمرية.

أولا: مفهوم التواصل:

جاءت مادة وصل في المعاجم اللغوية بمعاني الالتئام والملابسة والإعلام والبيان. وهو ضد التصارم والهجران والانقطاع. جاء في مقاييس اللغة الواو والصاد واللام : أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه . ووصلته به وصلا . والوصل : ضد الهجران ... والواصل في الحديث : التي تصل شعرها بشعر آخر زورا⁴. ومن الباب الوصلة : العمارة والخصب، لأنها تصل الناس بعضهم ببعض ، وإذا أجذبوا تفرقوا . والوصيلة : الأرض الواسعة ، كأنها وصلت فلا تنقطع ، "والوصل ضد الهجران وقال ابن سيده : الوصل خلاف الفصل"⁵. "وهو خلاف التصارم"⁶. وبينهما وصلة ، أي اتّصالٌ وذريعة⁷.

وحينما ترتبط هذه المادة اللغوية بجانب العلاقات الانسانية، فإنه يقصد بها علاقة تفاعل بين شخصين أو أكثر بوسائل وأساليب متنوعة، تشمل كل أشكال التعبير والبيان اللغوية الحسية والمعنوية والإشارية . وعلى قدر إحكام هذه الطرائق والفنون يكون الأثر والجدوى.

1 - رواه مسلم 746

2 - تفسير الطبري 530/23

3 - التفسير الكبير 16 / 72.

4 - مقاييس اللغة : مادة وصل.

5 - لسان العرب: مادة وصل.

6 - المعجم الوسيط: مادة وصل.

7 - نفسه.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أما التواصل اصطلاحاً فسأقتصر فيه على الدلالة القرآنية عطفاً على ما ذكرته آنفاً من أن منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الانعكاس العملي لتعاليم الوحي في كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم. وأنه هو يشكل المرجع للأمة من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته.

ومما يندرج ضمن المساحة الدلالية لمفهوم التواصل في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى " ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون "(القصص:52). فقد جاء في تعريف "وصل القول" أنه الإخبار ووصل ذهن السامع بأبناء غيره على سبيل التذكير والعبرة. قال الطبري: "ولقد وصلنا يا محمد ، لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا ، إذ كذبوا رسلنا ، وعمنا نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم ، ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا"¹ .

ويراد بوصول القول تفصيله تفسير الطبري². وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس³. وذهب سفيان بن عيينة إلى أن وصل القول يراد به البيان⁴ .

وفسّر توصيل القول بمعنى اتباع الكلام بعضه ببعض حتى تحصل التذكرة والفلاح⁵ . وقال ابن زيد : وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم في الآخرة في الدنيا وقال أهل المعاني : والينا وتابعتنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضاً : وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ ؛ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا وأصلها من وصل الحبال بعضها ببعض⁶ . وإلى هذا المعنى ذهب الفراء⁷.

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: " والتوصيل : مبالغة في الوصل ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض ، يقال : وصل الحبل إذا ضم قطعه بعضها إلى بعض فصار حبلاً... وللتوصيل أحوال كثيرة فهو باعتبار ألفاظه وصل بعضه ببعض ، ولم ينزل جملة واحدة ، وباعتبار معانيه وصل أصناف من الكلام وعدا ، ووعيدا ، وترغيباً ، وترهيباً ، وقصصاً ومواعظ وعبرا ، ونصائح يعقب بعضها بعضاً ، وينتقل من فن إلى فن ، وفي كل ذلك عون على نشاط الذهن للتذكر والتدبر"⁸.

1 - الطبري: 100/19

2 - نفس المصدر.

3 - الجامع لأحكام القرآن 13 / 229.

4 - نفس المصدر.

5 - تفسير البحر المحيط 7 / 126 .

6 - نفسه.

77 - تفسير البغوي 213/6 تفسير البغوي 213/6

8 - التحرير والتنوير 144/20.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يستخلص من كل هذه الأقوال أن توصيل القول في القرآن الكريم يراد به تكرير القول وتنويع أصنافه وأشكاله بغرض البيان والعبارة لإفهام المخاطب أو إقامة الحجة عليه.

ثانياً وظائف التواصل:

للتواصل وظيفتان رئيستان؛ الأولى تعليمية يراد بها إيصال المعارف والمهارات والقيم إلى المتلقي، والثانية تربوية وجدانية يراد منها إحداث التفاعل الروحي أو العاطفي، أما الوظيفة الثالثة فهي الحوار الفكري المبني على الاقناع والمحاورة. وكل هذه الوظائف لها قواعدها وطرائقها وشروطها التي يتوقف عليها نجاح العملية التواصلية. ومن خلال هذه الوظائف، فإن أساليب التواصل منها ما هو مرتبط بلغة الخطاب ونبرته وألوانه، ومنها ما هو مرتبط بالحمولة الفكرية للرسالة التواصلية، ومنها ما هو مرتبط باللغة الحسية (لغة الجسد). وفي كل ذلك لا بد من مراعاة العناصر السياقية والمقامية فضلاً عن خصوصية المتواصلين.

وترتبط طرق التواصل الناجعة بنوعية المنخرطين في العملية التواصلية، و يمكن تقسيم الناس بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع: نوع تغلب لديهم حاسة البصر في التواصل التقاطاً للرسالة وتعبيراً عنها، وهناك ما يغلب لديهم ما يتبادر إلى السمع على ما يرى أو يلمس، وهناك من يغلب لديهم الجانب الحسي في التواصل على سائر المدخل الأخرى. وبناء على هذا الاعتبار فإن من يغلب عليه الجانب البصري قد تؤثر فيه النظرة الحانية أو الصارمة الحادة حسب السياق والمقام. وكذلك تقاسيم الوجه. فهي خير سفير لهذا النوع من الناس. لذلك جاء في الحديث الشريف "ابتسامتك في وجه أخيك صدقة"¹. أما فئة الناس ذوي الصبغة اللغوية فإن إيصال الرسائل إليهم والتأثير فيهم وإقناعهم يستلزم حشد أفضل أساليب الخطاب إما مشافهة أو كتابة، مع المواءمة بين نوع العبارة وما يقتضيه المقام من مضامين. أما الفئة ذات الصبغة الحسية فإن لغة الجسد تمثل أفضل سفير لتوصيل الرسائل وإقناع الطرف الثاني، ومن ذلك مارواه أبو أمامة رضي الله عنده من قصة الشاب الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم طلباً للرخصة في الزنا فأقبل القوم عليه فزجروه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم، دنا منه قريباً، وهذه أول خطوة لنجاح التواصل، وقصد المدخل الأول وهو، الضرب على وتر العقل، فصور له مشهداً نقله من كونه فاعلاً مستفيداً، إلى الحالة التي تكون فيها تلك الفاحشة منصبة على أعز ما عنده وأكثر من يغار عليهن، وهن الأم ثم البنت كونه فقال: ثم الأخت ثم العمة ثم الخالة، وفي كل ذلك السياق كان يقول: لا والله، جعلني الله فداك، وبعد استنفاد سلاح العقل والمنطق، أعمل صلى الله عليه وسلم المدخل المعنوي فوضع يده عليه، ودعا له: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن قريحته"، فحصل الانقلاب في روع ذلك الفتى وسلوكه فما عاد يتشهى سيئاً من الزنى².

¹ - رواه الترمذي 1956 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 1956 وشعب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان 287/2.

² - رواه أحمد 5/256، والطبراني في المعجم الكبير 8/162، (183)، والبيهقي في شعب الإيمان 4/362 (5415)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/592: رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/129: رجاله رجال الصحيح.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فبعد ان استعمل النبي صلى الله عليه وسلم وسائل الاقناع الفكري والعاطفي دعا لهذا الشاب ومسح على صدره، هذه المسحة المصحوبة بالدعاء أطفأت نار الشهوة وخلصت الشاب من أسرها وجعلت قلبه ينفر من الفاحشة ويتعلق بما صدر من صاحب الرسالة. فالخطاب الشرعي في بعض المواطن قد لا يكون وحده مؤثرا، مع جميع الناس وفي كل المواطن، لذلك لا بد من هذا الفن الذي أسميه بتحقيق المناط الخاص في العملية التواصلية، وهذا ما يحتاج فضلا عن المعرفة بالطرائق والأساليب إلى هذه الملكة التي تكتسب بالتأسي بال نموذج الخالد: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"¹.

وضمن هذا الإطار العام المندرج ضمن سنة النبي صلى الله عليه وسلم بمفهومه الواسع، تندرج أعمال كثيرة جمعها العلماء ضمن شعب الإيمان فنجد صلة الرحم، وحسن معاملة الأهل، والتزاور في الله وعبادة المريض، وحسن الجوار وإصلاح ذات البين، وتبادل الهدايا، ومراعاة حظوظ النفس في ما ليس فيه مخالفة شرعية، وغير ذلك.

وللتواصل الإيجابي فوائد جمة، فهو فضلا عن كونه سبيلا لنيل مرضاة الله وحشد الثواب الجزيل من الله بالدخول تحت سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فبه قضاء الحوائج المادية والمعنوية، وهو قوام تماسك بنيان المجتمع ولبناته، وخصوصا الأسرة.

ثالثا: أساليب التواصل من خلال السلوك النبوي في أهله:

أ- أسلوبه في التواصل مع نسائه:

ويشمل الألوان الآتية:

1- عدم الاسترسال بالحديث والاستئثار به:

اتسم الخطاب النبوي بعدم الاطناب في الكلام، مراعاة لسعة المخاطبين، وقدرتهم على التتبع والاصغاء، فسنته صلى الله عليه وسلم تجمع بين صغر المبنى وغزارة المعنى؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ"².

فقد روت عائشة رضي الله عنها "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه"³ ، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن ميزاته "⁴، حيث يعبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة جامعة

1 - رواه أبو داود 4607، والترمذي 266 وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

2 - سنن أبي داود 93.

3 - صحيح البخاري 3375.

4 - جوامع الكلم، مسلم 853.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

شاملة. ومن ثمرات الإيجاز مع قوة البيان ضمان إصغاء المخاطب ووصول الرسالة كاملة، وتجابو المخاطب معها قبل نفاذ تركيزه.

2- النظر بعين التعظيم وتغليب المحاسن على المساوى في كل شيء:

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم في علاقته بعامه المسلمين وخصوصا مع أهله يوازن بين الحسنات والسيئات ويعظم المور الإيجابية، لأن المدحة تقوي الدافعية نحو الخير وتحفز السلوك الإيجابي. وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر، أو قال غيره".¹ فالوقوف مع السلبيات يحجب الرسالة التواصلية، ويكبح تفاعل المتلقي مع الرسائل والتوجيهات والإشارات التي يريد المرسل إيصالها إلى الطرف الثاني. كما أن النظر بعين التعظيم لأفعال الناس وعدم تسليط الأضواء على الهفوات وتتبع العورات، من شأنه أن ينعكس اثره على صاحب الرسالة، فقها واستثمارا لسلوك المتلقي، فمن نظر إلى الأشياء بعين التعظيم استمد منها وكان أثرها فيه عظيما ومن نظر إلى الأشياء بعين التحقير نالت منه وحرمت من كل فائدة.

3- الإطراء من غير غلو:

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يستعمل أسلوب الإطراء عندما يقتضيه السياق والمقام، فالنفس البشرية بطبعها تحب المدحة، وهي إحدى الحوافز المعنوية لإثارة الطاقات الإيجابية وتوجيه الاهتمام نحو السلوك الإيجابي والتعديل الذاتي والتلقائي لكل فهم أو سلوك غير قويمين. وفي هذا الصدد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الإشادة بأهله وبعامة مخاطبيه من المسلمين وإقرارهم على أفعالهم، وليس غريبا ان تحتل التقارير وموافقات الصحابة جزءا معتبرا من الوحي بشقيه، المتلو وغير المتلو. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر مزايا كل من أهله دون غلو او ظلم، والمزية طبعا لا تعني بالضرورة الأفضلية، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ابغ الأساليب لوضع كل في نصابه، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".²

تعظيم آثار الطرف الآخر:

ومن جمالية الاساليب النبوية في التواصل، تعظيم آثار أكل وشرب أزواجه، حيث كان صلى الله عليه وسلم يتبع آثار في عائشة على الأنية فيضع فمه هناك، بعد أكلها أو شربها، وفي ذلك تعظيم لما قد ينفر منه عامة الناس وهو السؤر وغيره، وفيه إظهار لوجه من أوجه الامتزاج العاطفي بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهله، و إزاحة

1 - صحيح مسلم 1469.

2 - صحيح البخاري 3230.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

للانطباعات المنقّرة ، وهذا مما يسبّب قوة في التماسك، وملابسة بين الزوج وزوجه. فقد روي عن عائشة انها قالت: "كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ، وكنت أتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ"¹.

حفظ الود:

يشكل حفظ الوداد امتداد أثر التواصل الإيجابي في الزمن، حيث تستمر العلاقة حتى ما بعد الموت، من خلال صلة ما كان يصله الطرف الذي غيبته الوفاة، وتقدير ما كان يقدره، وإدامة الود لأهل وده؛ فضلا عن استحضر كل جميل فيه، و بهذا يحس كل طرف الزوج بأن الصلة والرابطة غير مرتبطة بأغراض دنيوية عاجلة، وإنما هي صلة لا يحدها الزمان والمكان. ومن أنصح الأمثلة على ذلك ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في شأن خديجة بعد وفاتها؛ فقد كان يُكثّر من ذكرها حتى غارت السيدة عائشة وصارت تقول له عليه الصلاة والسلام إن الله أبدله خيراً من خديجة وتقصد نفسها، فردّ عليها بما امتازت به السيدة وخديجة وراح يعدد مناقبها فقال لها: "إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد"².

ومن فرط ذكر خديجة وآثارها وحفظ ودها، أن عائشة كانت تشتد بها نار الغيرة من ذلك، فتقول رضي الله عنها: ما غرّت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرّت على خديجة قط، وما رأيتها قط، ولكن كان يُكثّر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يُقَطِّعها أعضاء، ثم يَبْعَثُها في صدائق خديجة³.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَنْتِ؟" قَالَتْ: أَنَا جَثَامَةُ الْمُزَيْنَةِ، فَقَالَ: "بَلْ أَنْتِ حَسَانَةُ الْمُزَيْنَةِ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالِكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟" قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا حَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُفِيلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: "إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"⁴.

ونظرا لقيمة هذا الأمر في ديننا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عدّه من الإيمان، ثم إن هذا السلوك النبوي في حق خديجة رضي الله عنها، فيه إشارة وتعليم، إشارة إلى أهل بيته أنه لا ينسى لهم عهدا ولا ودا، وفي هذا رفع لمنسوب الثقة ودفع لكل الوسوس وكل ما يشوب صفو العلاقة، وفي تعليم للامة، فهذا الأمر ليس لازما للرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله بل يتعداه لكل من كانت له أسوة فيه.

الملاطفة بالتعبير الجميل:

1 - صحيح البخاري 3230 و صحيح مسلم 300.

2 - صحيح البخاري: 3818.

3- صحيح البخاري: 3607 ، صحيح مسلم: 2436.

4 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: 8701، والحاكم في المستدرک، رقم: 40، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

يكتمل سرور النفس وطيبة خاطر بالتفاهم الرقيق، والكلمة العذبة، واختيار الوقت الأنسب، وجمالية التعبير. "فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في الذي لم يرتع منها تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها"¹.

وكان يقول لها: "كنت لك كأبي زرعٍ لأمّ زرع، غير أنني لا أُطَلِّقك"²، وحديث أم زرع مشهور، وفيه أنّ أبا زرعٍ كان يُكرم أمّ زرعٍ أبلغ الإكرام، ويقدم لها من ألوان الكرم واللذائذ، وصنوف السخاء ما جعل الرسول - عليه الصلاة والسلام - يختاره في هذا التشبيه على غيره من العرب.

امتدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه عائشة رضي الله عنها، وبلغ ما اختصها الله به من فضل ورفعة، فقال: "إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". "وقد اختار الرسول ضرب المثل بالثريد لتقريب المعنى وزيادة بيانه، قال ابن القيم: الثريد مرّكب من لحم وخبز واللحم سيد الآدم، والخبز سيد الأوقات، فإذا اجتمعا لم يكن بعدها

الترويح عن النفس والصبر على المباح من اللهو:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ عَلَى فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: "هَذِهِ بَتْلُكَ السَّبَقَةِ"³.

هذا الأمر فضلا عما فيه من إدخال الزوج الفرحة والأنس على أهله، وهي سبقته في المرة الأولى؛ لأنها كانت فتاة شابة خفيفة، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم رغم صغر سنها، فلما جاءت مناسبة أخرى سابقها، وكانت في هذه المرة قد سمنت وثقلت، فسبقها في هذه المرة. وفي جميع الحالات لم يأبه صلى الله عليه وسلم بما يقوله الناس، صلى الله عليه وسلم تطييباً ل خاطرها: "هذه بتلك"، يعني: هذه السبقة مني مقابل سبقتك الأولى لي؛ فحصل التعادل.

جاء في صحيح البخاري: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث⁴."

قد يقول قائل ما فائدة اصطحاب الزوجة في نزهة والمشى معها خارج البيت، فكيف يصدر هذا السمر من نبي، ويأتي الحديث ليدل على أن هذه وسيلة من وسائل توطيد العلاقات بين الزوجين، بعيدا عن الروتين اليومي.

1 - صحيح البخاري: 4789.

2 - صحيح البخاري: 4893.

3 - رواه أحمد (6/ 39)، وأبو داود (2578)، والنسائي في (الكبرى) (5/ 303، 304)، وابن ماجه (1979)، وابن حبان (4691).

4 - البخاري 4913

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وهذا منه صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه مع أهله، وملاطفته لهم، وحسن المعاشرة، وفيه إدخال الرجل السرور على زوجته بما يؤنسها. وهذا من أعظم مفاتيح التواصل.

الممازحة والمداعبة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة قد طبختها له، فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كُلي، فأبت، فقلت: لتأكلن أو لأطحن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة، فطليت وجهها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع يده لها، وقال لها: "الطحي وجهها"، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لها، فمر عمر، فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل، فقال: "قوموا فأغسلوا وجوهكم"، فقالت عائشة: "فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم"¹.

اللين والمطاوعة:

لم تكن الدعوة وقيادة الأمة، وحمل أعبائها، لتشغل النبي صلى الله عليه وسلم عن تخصيص حيز مهم من اهتمامه، وعنايته بأهله، تلطفاً ومطاوعة حتى شهد له بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَحْمَةٌ لَفَاسَدَ السَّيْلُ﴾². وهذه الآية عامة الدلالة، فهي تشمل الأمة جمعاء ومن ضمنها أهله صلى الله عليه وسلم، فاللين وخفض الجناح استطاع النبي صلى الله عليه وسلم العدد الذي انجم تحت من النساء، وذلك لخصوصية فيه صلى الله عليه وسلم، وفيه رسالة لأمته، بأن يتأسوا في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، في معاملة الواحدة من الأزواج، إن خيف عدم العدل، وفي ذلك رعي لما في ما دون مقام الأنبياء من الضعف والنقص. فاللين وخفض الجناح هو اللحمة والناظم لمكونات الأسرة، وفيه ظله تشغل الكوامن وتحرر الطاقات وتنقشع الغشاوات وتصفو الأحوال، وتهدأ النفوس وتطمئن؛ عن جابر رضي الله عنه قال: "ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال: لا"³.

وعن عائشة رضي الله عنها، أنها سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته، فقالت: "كان ألين الناس، وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً"⁴. وعن أبيها أيضاً قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادمًا له قط، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا حير بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمة الله عز وجل، فيكون هو ينتقم لله عز وجل"⁵.

1 - سنن النسائي 8599.

2 - سورة آل عمران: 159.

3 - صحيح البخاري: 6034. و صحيح مسلم: 2311.

4 - رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وذكره الألباني في ضعيف الجامع 4386.

5 - رواه أحمد في مسند النساء، رقم: 25956، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

خدمة أهل البيت:

لما سئلت إحدى نساء بيت النبوة عن البرنامج اليومي للنبي صلى الله عليه وسلم في بيته، قالت: "كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"¹. وفي رواية أخرى "يعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته"².

هذه الأعمال على قلتها، ورغم عدم اضطراب الأهل إليها فيها، من النواظم ما به تزداد الألفة والقرابة والانسجام العاطفي والامتزاج المعنوي، فهي التي تبني المودة وتزرع الألفة، و تزيد في منسوب المحبة وتطيل عمر العشرة، فهذه الأعمال على قلتها وبساطتها لها الوقع الجليل على فكر ونفسية الزوجة، فهي تحس بكنف زوجها، ويزرع فيها الأناس والاطمئنان، فيزيدها حنوه وبساطته قوة وعظمة في عينيها.

الإحاطة بالخصائص النفسية للأهل:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عِنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: "أَمَّا إِذَا كُنْتُ عِنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ". قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ. أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم: 5228.

مراعاته مشاعر أهله:

من رحمته ورقة إحساسه ملاحظة شعور غيره، ؛ ويتبين ذلك بجلاء في سلوكه مع صفة حين قتل أهلها في إحدى المعارك، ومر بها بلال على قتلاها، فقال لبلال: " أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما"³.

فكان عليه الصلاة والسلام يراعي مشاعر أزواجه ويهتم بعواطفهن، فقد كان يوماً مسافراً ومصطحباً معه السيدة صفية رضي الله عنها، فقد جاء في الحديث أنه " في إحدى الغزوات انطلقت القافلة تاركة السيدة صفية سهواً، وكانت صغيرة ومدللة ولا تجيد ركوب البعير، فأبطأت في المسير وجعلت تبكي، فذهب إليها عليه الصلاة والسلام واشتكت إليه أنهم حملوها على بعير بطيء، فأخذ يواسيها ويسكتها ويمسح دموعها عن خديها بيديه الشريفتين. فاستدعى ذلك الموقف ان يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تتركب"⁴. فلم يخجل النبي صلى الله عليه وسلم من أن يرى جنوده هذا المشهد وهو يظهر الحب والمودة لزوجته.

الإنصاف من غير كسر للخواطر:

1 - أخرجه الإمام أحمد، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 670.

2 - رواه أحمد في باقي مسند الأنصار 24813.

3 - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (4 / 232)، وذكره ابن حجر في الإصابة (4 / 346 - 347).

4 - صحيح البخاري 4211.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لم يكن حبُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبعض نساءه ، مانعاً له من إحقاق الحق ومن من إنصاف مَنْ يجب إنصافها منهنَّ، والقضاء لها على مَنْ يَتَّقِصها أو يُسِيئُ إليها؛ فقد أخرج الترمذي وغيره أن صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا: "نحن أكرم على رسول الله منها"، فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ألا قلت: وكيف تكون خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى"¹.

وفي موقف آخر من صراع الأنفس على الاستئثار بقلب النبي صلى الله عليه وسلم ، نبزت عائشة صفية بالقصر، فحضرت البلاغة النبوية في بيان حجم هذا الخطأ ، حيث قال لها "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته"². وفي هذا التهويل جبر لخاطر الخصم المتمثل في صفية رضي الله عنها. والمشهد كله دل بمفهوم الموافقة على أن هذا إن صدر من أمهات المؤمنين، فمن باب أولى أن يصدر ما هو مثله أو أكثر منه من عامة نساء المسلمين، وفي ذلك تربية نبوية لعامة ، باحتمال وقوع هذا النوع من الغيرة، واتباع الأسلوب النبوي في علاج هذا الأمر.

تجميل صبيغ النداء:

ومن صبيغ النداء المعبرة عن الحب والتودد، تجميل صبيغ النداء بتصغير الأسماء وتجويدها، فكان ينادي على عائشة رضي الله عنها " يا عائش" ويقول لها: "يا عائش! هذا جبريل، يقرأ عليك السلام"³، كما كان يناديها بالحميراء، وهي تصغير حمراء الحميراء و هي البيضاء⁴، والعرب تسمي الأبيض أحمر والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة يا حميراء.

وقد ورد وصف عائشة بهذه الصفة في رواية النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة قالت: دخل الحبشة يلعبون فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم. فقلت: نعم"⁵.

عن عائشة قالت: لما وُلد عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم، فتقل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه، وقال: "هو عبدُ الله، وأنت أمُّ عبد الله، فما زلتُ أكنى بها، وما ولدت قط"⁶.

1 - أخرجه أحمد (3 / 135) والحاكم في المستدرک (4 / 9) وقال حديث حسن صحيح.

2 - الترمذي 2502 و أبو داود 4875.

3 - صحيح البخاري 3045.

4 - كما قال ابن منظور في اللسان، مادة "حمر".

5 - سنن النسائي 8628.

6 - صحيح ابن حبان 7272.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار -جمهورية صربيا

ومن الأسرار العجيبة في هذه الكنية ، أن عائشة لم ترزق الولد، وهذا مما يشق نفسيا على المرأة، فكناها النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكنية مواساة لها و تطيبها لخطرها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبها بالموفقة، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَ لَهُ فَرْطَانٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بَهْمَا الْجَنَّةِ"، فقالت عائشة: فمن كان له فرطٌ من أمتك؟ قال: "ومن كان له فرطٌ يا موفقة"، قالت: فمن لم يكن له فرطٌ من أمتك؟ قال: "فأنا فرطٌ لأمتي، لن يُصابوا بمثلي"¹.

حسن الإصغاء:

جاء عن عمرو بن العاص: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهة وحديثة على شر القوم يتألفه بذلك ، وكان يقبل بوجهة وحديثة علي حتى ظننت أنني خير القوم"². وقال صلى الله عليه وسلم: "من أخلاق المؤمن حسن الحديث إذا حدث ، و حسن الاستماع إذا حُذث ، وحسن البشر إذا لقي ووفاء الوعد إذا وعد"³ .
لم يكن صلى الله عليه وسلم يتهم أهله بالثرثرة حين إسهابهن بالحديث، ولا بتضييع وقته الثمين وهو من هو من حيث مكانته وهمومه ومشاغله، ولا بصغر ما تحكيه أمام عظمة ما يشغل فكره وروعه، بل كان يصغي ويتفهم ويقدر كل ما كان يصدر منهن. وكان يلتقط إشاراتهن ، ويتفاعل معهن، حتى كأنه ليس في ذهنه غيرهن.

الجهر بحبه لأهله:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتحرج في التصريح بحبه لأهله حتى أمام الملا ، فقد كان هذا السلوك منه صلى الله عليه وسلم أمرا بديها وطبعيا ومألوفاً، لذلك لم يكن لديه في ذلك أي حرج ، ولا يشكل في حقيقته أي تنقيص من شأن الرجل الزوج، بل فيه تعبير عن قوة الشخصية، ونضج العاطفة، والتربية على امتداح كل ما وافق الشرع والفطرة . فقد كان يكثر مت التعبير عن حبه لخديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها حيث كان يقول: "إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا"⁴.

وسألت عائشة ذات يوم: "يا رسول الله، كيف حبك لي؟"، وكأنها تريد أن تطمئن على وقور ذه المحبة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمه من حولها، فأجابها: "كعقدة الحبل". ولم تكتف أمنا عائشة بهذا، ولعل هذا راجع إلى طبع المرأة وميولها إلى الاستماع الدائم لهذه الكلمات من زوجها، ودوام الاطمئنان على منزلتها عنده، فكانت لا تفتأ تسأله: "كيف العقدة يا رسول الله؟" فيقول: "هي على حالها"⁵. فهذه المطاوعة من

¹ - رواه الترمذي في الشمائل 391، ورواه في السنن كتاب الجنائز 1062، وقال: حسن غريب.

² - رواه الترمذي في الشمائل 339.

³ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي 332.

⁴ - صحيح مسلم 2534.

⁵ - حلية الأولياء لأبي نعيم، باب عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 1496

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

النبي صلى الله عليه وسلم، فيها صبر ذلك منها ثرثرة او حرصا فوق ما يلزم، بل كان يكرمها بتطبيب خاطرها وطمأننتها، ولم يكن ذلك منه مداراة لها بل كان تعبيرا قلبا صادقا، لما رزقه الله من سعة خاطر ورحابة صدر.

وعن أبي عثمان رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مَنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالًا"¹.

المشورة والاستئناس بالرأي:

كان النبي حريصا على مشاركة زوجاته فيما يحدث معه ويحكي لهن، وبدا ذلك واضحا عندما حكى للسيدة خديجة ما حدث معه في الغار عندما نزل عليه الوحي للمرة الأولى واستنجد بها، "لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء لأول مرة، رجع إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها الخبر وقال: "لقد خشيتُ على نفسي!"، فقالت له رضي الله عنها: "كلًا! والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"².

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يستشيرهن تطيبا لخاطرن فقط بل كان يأخذ برأيهن من ذلك استشارته زوجته أم سلمة يوم الحديبية في أمر من أهم أمور المسلمين؛ فقد عاهد النبي - صلى الله عليه وسلم - المشركين على ترك القتال عشر سنين، ووافقهم على شروطٍ ظاهرها غلبة المشركين على المسلمين، فحال ذلك صحابته الكرام، وشق عليهم أن يتحللوا بالحلِّق أو التقصير من إحرامهم بالعمرة والعودة إلى المدينة، ولم يدعن أي واحد منهم لهذا الأمر النبوي الذي لم يسبق مثله، منهم وضي الله عنهم، فعاد إلى أم سلمة يستشيرها، فأشارت عليه بأن يخرج إليهم ويحلق رأسه، ليقصدوا به، وقد كان رأيها سديدا، حيث سارع كل الصحابة إلى اتباعه في فعله صلى الله عليه وسلم، واعتذروا عما صدر منهم³. وفي هذا الموقف عبرة عظيمة، فاستشارة الأهل فيها اثر طيب على المستشار والمستشار، فالمستشير يحصل الرأي، والمدد بالدخول تحت أمره تعالى بالشورى، والمستشار، ينال التقدير والرفعة والدعم النفسي، والاحساس بالقرب والملازمة مع الطرف الاخر. استحسّن رأي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فكان خيرا وبركة على الأمة كلها.

التعامل مع الغيرة باعتبارها أمرا طبيعيا:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع غيرة أهله بما يقتضيه المقام من حكمة ورحمة، فكان يدبر الخلافات ويفصل بينهن دون أن يجح أيا منهن، فقد عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نساءه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام، فضربت النبي صلى الله عليه وسلم في

1 - صحيح البخاري 3662 وصحيح مسلم 2384.

2 - صحيح مسلم: 160.

3 - صحيح البخاري: 2581، وصحيح ابن حبان 4872.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

بيتها يد الخادم، فسقطت الصَّخْفَةُ، فانقلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلقَّ الصَّخْفَةَ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصخفة، ويقول: "غارت أمكم"¹.

فقوله صلى الله عليه وسلم "غارت أمكم" إقرار منه صلى الله عليه وسلم بوقوع هذا العرض، وفي قوله "أمكم" إشارة منه صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذا الذي صدر منه لا يخرجها عن مكانتها ضمن دائرة أمهات المؤمنين، وأن ينظر وأن ينظر إليها بما ينز به إلى الأم حينما يصدر منها بعض من ذلك. ودل بمفهومه على أن هذا السلوك أولى أن يصدر ممن هن دون مقام أمهات المؤمنين وهن عامة نساء الأمة.

الوساطة والتحكيم بالتراضي:

عن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَطْمَئِنَّا ، وَقَالَ : لَا أَرَاكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجُزُهُ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغَضَّبًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اضْطَلَّحَا ، فَقَالَ : لُهُمَا أَذْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَذْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا"².

ب - تواصله صلى الله عليه وسلم مع الأبناء:

تحفل السنة بالكثير من مواقف العناية بالأبناء في جميع مراحلهم والعمريّة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الاهتمام بأبنائه وأبناء الصحابة، ومراعياً لحاجاتهم بحسب مراحلهم عمرهم، وكان يغمرهم بالعطف والحنان والحب، ويحثهم على التحلي بالأخلاق الفاضلة، متجاوزاً عن الكثير من أخطائهم وزلاتهم، مشاركاً إياهم في مجالس الكبار.

الإعلاء من مكانة البنات:

كانت معاملة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الحسنة تعم أهل بيته جميعاً، بما في ذلك أبنائه وبناته وخدمه أيضاً، فقد كان يحب فاطمة رضي الله عنها حبا خاصا، ويحسن إليها، تقول "عائشة رضي الله عنها ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به"³. و لم يكن يخرج من المدينة حتى يكون آخر عهده بها رؤية

1 - صحيح البخاري 5225.

2 - سنن أبي داود 4999، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": 2901.

3 - صحيح مسلم 2424.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فاطمة الزهراء، فإذا عاد من سفره بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم ذهب إلى فاطمة وقد كان يقول فَإِنَّمَا هِيَ بِضَعَّةٌ مِّمِّي ، يُرِيْبِي مَّا أَرَابَهَا ، وَيُؤْذِنِي مَّا آذَاهَا ¹.

الحزن النفيس:

من أشكال التواصل العاطفي، تعبيره صلى الله عليه وسلم عما كان يلّم بأبنائه وأحفاده وعمامة صبيان المسلمين من مصائب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أبي سيف القين، وكان ظنّاً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فقَبَلَهُ وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرّفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: "يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال - صلى الله عليه وسلم -: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"².

زرع قيم الفطرة:

هذه الرحمة بالصغار التي استقرت في قلبه صلى الله عليه وسلم لم تُخرجه عن مقتضيات الرسالة التي جاءت للعالمين، فقد كان يرشدهم إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم، فهذا مقتضى النبوة والرحمة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرّة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ كَيْفَ أَرْمَ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟"³.

وحيثما أتته ابنته فاطمة رضي الله عنها تشتكى مما تلاقيه من عمل المنزل، وتطلب منه خادماً يخدمها، أرشدها النبي صلى الله عليه وسلم إلى التسبيح ثلاثاً وثلاثين، والتحميد ثلاثاً وثلاثين، والتكبير أربعاً وثلاثين، ثم قال لها ولعلي رضي الله عنهما: "هو خيرٌ لكما من خادم"⁴؛ فقد علم صلى الله عليه وسلم بنته إثارة العمل الذي يبقى على العمل الذي يفنى، فلم تمنعه عاطفة الأبوة، وشفقته على ضيق حالها من الموازنة بين مراتب المنافع والمصالح، وترجيح ما هو أعلى مآلاً، وقد كان بإمكانه هو "الأمر بالصرف" بلغة العصر ان يفرض لابنته، ولصهره ما به يستعينون على متطلبات حياتهم المعيشية، وما به ينعمون بالرّفاه، لكنه من موقع النبي المرّبي والمعلم اعطى النموذج الذي به تكون الأسوة والفلاح.

الرأفة بالصبيان:

كان صلى الله عليه وسلم شديد الرحمة والشفقة بالأطفال، يحملهم ويحنو عليهم يرأف بهم، ويضمهم في حضنه الشريف، ويقبلهم، ويعانقهم، ويلاعبهم ويمازحهم ويمسح على رؤوسهم.

¹ - صحيح البخاري 5230، و صحيح مسلم 2449.

² - صحيح البخاري 1303، ومسلم 2315. والقين: الحداد، والظفر: المرضعة غير ولدها.

³ - صحيح البخاري: 1420، وصحيح مسلم: 1069.

⁴ - سنن أبي داود: 2989.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

روى البخاري في باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
"أني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من
بكائه".¹

وكان صلى الله عليه وسلم لا يستثني الصبيان من عيادة المريض، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن ابنة للنبي
صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه . . . فرفع الصبي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع، ففاضت
عينا النبي، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال : "هذه الرحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا
يرحم الله من عباده إلا الرحماء".²

ممازحته ومداعبته للصبيان:

روى البخاري عن محمود بن الربيع قال : "عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم معجّة مجّها في وجهي وأنا
ابن خمس سنين من دلو"³؛ أي أن النبي عليه الصلاة والسلام ملأ فمه بماء دلو ثم أفرغه في وجه الطفل الصغير
محمود بن الربيع من باب المزاح والمداعبة.

وكان لأخ أنس الصغير وكنيته أبو عمير طائر يلعب به، فمات، فحزن عليه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يشاركه شأنه وانشغالاته ويهتم بموهبته على بساطتها، فقد قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان إذا جاء قال : "يا أباعمير، ما فعل النغير؟"⁴.

مداعبته وملاطفته للصغار:

عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يلاعب زينب بنت أم سلمة
ويقول : يا زوينب، يا زوينب مرارا⁵.

وروى الطبراني عن جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فدعينا إلى
الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان فأسرع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمام القوم ثم بسط يده
فجعل -الغلام- يفر هاهنا وهناك، فيضاحكه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى أخذه فجعل إحدى يديه في
ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال : حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن
والحسين سبطان من الأسباط⁶. ودخلت عليه ربيته زينب بنت أم سلمة وهو في مغتسله، فنضح الماء في وجهها،

1 - صحيح البخاري 709، وصحيح مسلم 470،

2 - صحيح البخاري 5655.

3 - صحيح البخاري 77.

4 - صحيح البخاري 4971، وصحيح مسلم 2150، واللفظ لأبي داود 4971، والنغير: طائر يشبه العصفور .

5 - رواه الضياء المقدسي، وصححه الألباني في الصحيحة: 2141 .

6 - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع، : 3146 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

فكان في ذلك من البركة في وجهها أنه لم يتغير، فكان ماء الشباب ثابتاً في وجهها ظاهراً في رونقها وهي عجوز كبيرة¹.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: إن هذا الحديث (الغير) فيه جواز الممازحة وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائز وتكرير زيارة الممزوح معه².

التربية الرحيمة:

أما في مقام التربية فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك سبيل التقريع أو التعنيف فضلاً عن اتباع طريقة الضرب، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رواه الإمام مسلم قالت: " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله "³. وقال أنس بن مالك الذي خدم رسول الله عشر سنين: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا؟ "⁴.

وقال عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله: "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"، فما زالت تلك طعمتي بعد⁵.

وكان عليه الصلاة والسلام يشعر الأطفال بمكانتهم، ويرفع من قدرهم وقوة شخصيتهم، وكان يعطيهم مثل ما يعطي الكبار من الاهتمام، فكان حين يمر على الصبيان يسلم عليهم ويمسح على رؤوسهم، ويشركهم اهتماماتهم، فقد ذكر ابن حجر من رواية النسائي: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم "⁶.

تقبيل الأطفال:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه من لا يرحم لا يُرحم "⁷. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة النهار لا يكلمني ولا

¹ - المواهب الدينية بالمنح المحمدية، شهاب الدين القسطلاني: 2/354.

² - فتح الباري (10/584).

³ - صحيح مسلم 4303.

⁴ - صحيح مسلم مسلم 4277.

⁵ - صحيح البخاري: 5061، وصحيح مسلم: 2022.

⁶ - سنن النسائي: 8291، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم 4947.

⁷ - صحيح البخاري: 5997.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: "أَتَمَّ لُكْعُ، أَتَمَّ لُكْعُ، أين الحسن؟"، فحبسته شيئاً، أحرته، فظننت أنها تلبسه سخاباً (قلادة) أو تُغسِّله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبَّله، وقال: "اللهم أحبه وأحب من يحبه"¹. وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخصص بعضاً من وقته لحفيده، ويُقبِّله.

حسن المواساة:

لما ماتت زينب؛ أشفق النبي صلى الله عليه وسلم على حفيده أمامة، بعد فقد أمها، وحنَّ لها، فكان يخرج بها أحياناً إلى المسجد، فيحملها وهو في الصلاة، فإذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها على كتفه صلى الله عليه وسلم. عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي العاص ابن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"².

التسليم عليهم والمسح عليهم:

عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزور الأنصار، ويُسَلِّمُ على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم³. وعن عبد الله بن جعفر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: مسح رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيده على رأسي، فلما مسح قال: اللهم اخلف جعفرًا في ولده⁴.

وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطار⁵.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل في سيرته صلى الله عليه وسلم منظومة متكاملة لأساليب التواصل الأسري، وأن أفضليته على من سواه في معاملته أهله شملت الجوانب الحالية والمقالية، حيث كان يستعمل أنجع التقنيات وأنفذها في إقناع الطرف الآخر قيادته لما فيه مصلحته المعتمدة. وإن أسلوبه هذا

1 - صحيح البخاري: 2122، و صحيح مسلم: 2421.

2 - صحيح البخاري: 516، و صحيح مسلم: 542.

3 - صححه الألباني في صحيح الجامع : 4947 .

4 - أخرجه الحاكم في المستدرک، (1/372) .

5 - صحيح مسلم: 2329 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لم يقتصر على جنس بعينه أو على فئة عمرية بعينها ، بل كان يشمل أسلوبه الحكيم الرحيم الكبار والصبيان. فقد شكل من خلال مفرداته التواصلية عقدة الحبل التي لا تنفطر والتي بها تماسك الأسر واستمرارها. ومن تلك الأساليب:

1- أسلوب البشر والدعابة؛ ذلك لأن البشر يلطف الأجواء ويطفئ نار الغضب، ويخرج الطرف الثاني عن دائرة العناد ويخلصه من التوتر الذي يحجب التعقل والروية والمطاوعة.

2- غض الطرف عن العثرات دون غفلة، ذلك أن استقصاء الأخطاء : وترصد العيوب، يجعل الطرف المقابل في حالة تأهب مستمر لاستقبال العتاب ، وذلك مما يخرج العلاقة عن دائرة الثقة والتقارب، ويسود جو الندية المفضية إلى السامة والملل و فساد العلاقة، ويولد ردود الفعل المضادة مما يؤثر سلبا على لحياة الأسرية.

3- المزوجة بين الحكمة والرحمة في الحوار: لإقناع الطرف الآخر بعدم صحة تصرف ما أو تصور خاطئ، لا بد من اختيار أفضل الأوقات والمداغل. والحوار في هذا المقام يجب أن يكون متعدد الاتجاهات، مع الصبر في الإصغاء وعدم تبخيس مواقف الطرف الآخر، وانتقاء ما يقتضيه المقام من عبارات وإشارات.

4- أسلوب التذكير: ويستعمل هذا الأسلوب في حال التقصير في أداء الحقوق التي عليها، سواء كانت حقوقا لله تعالى أو حقوقا للعباد. وعندما يكون الأمر متعلقا بالواجبات الأسرية فإن تقدير ذلك يجب أن يكون بالمعروف(تحقيق المناط الخاص).

5- أسلوب العتاب: ويستعمل هذا الأسلوب في المواقف التي تقتضي التقويم، خصوصا حينما يتحول السلوك إلى صورة الطبع المستمر.

6- أسلوب التبيين وتقديم حسن الظن: يجب أن تكون الأحكام متأخرة عن الدليل، هذا هو المنطق، وهذا أفضل أسلوب، في معالجة معظم الخلافات الزوجية، خصوصا التي تمس في طبيعتها ناحية العرض، وقصة الافك خير مثال على ذلك. وللشيطان وأعوانه من المنافقين في مثل هذه المشكلات مجال لا ينحصر من التربصات.

7- أسلوب العدل والانصاف، ويستعمل هذا الأسلوب حينما ينشب خلاف بين طرفين أو أكثر من نفس الأسرة، بسبب غيرة أو صراع أقران أو ما شابه ذلك، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم مع السيدة عائشة عندما كسرت إناء أم سلمة رضي الله عنهما بسبب الغيرة وقال لها صلى الله عليه وسلم: "إناء كإناء".

8- أسلوب الهجر المحدود: وقد شكلت قصة التحريم التطبيق العملي لهذا السلوك، حيث إنه أخف الضررين، ولا يلجأ إليه إلا حين استنفاد ما دونه من حلول، وهو محدود في الزمان والمكان، والغرض منه إعطاء كل طرف فرصة للتروي ولمراجعة سلوكه، وليحس كل طرف بما صدر منه وبمكانة الطرف الثاني منه. وقبل اللجوء إلى هذا الحل لا بد من استنفاد ما قبله من مقدمات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

9- الرفق وتجنب العنف: أثبتت الدراسة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ثبت أن عالج مشكلة من المشاكل الأسرية بالضرب والتعنيف. وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل...".

10- على الرغم من حجم الدعوة التي يقوم بها الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ورغم كثرة المشاغل التي تواجهه والعبادات التي يقوم بها من عبادة وتربية وجهاد وتسيير أمور الدولة الإسلامية إلا أنه جعل له وقتاً لتربية أطفال المسلمين، وهذا الوقت المستقطع يعتبر بحد ذاته مكسباً تربوياً.

11- استخدام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسلوب التكنية للطفل الصغير، وهذه التكنية تشعره، بالنضج وقوة الشخصية.

12- التعامل مع المستوى العقلي والعاطفي للطفل ومراعاته في اساليب التواصل، مما كان يثمر التفاعل بين الرسول والطفل، فالحرمان من هذا الحنو والعطف وخفض الجناح، هو الوافي من مجموع الأمراض النفسية كالانطواء و التوحد وضعف الشخصية وغيرها.

13- ممازحة الأطفال والتصابي لهم.

14- بناء شخصيتهم من خلال إشراكهم في الأمور الجامعة وعدم تحقير دورهم أو رأيهم.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية

أ.د. مزاحم مهدي إبراهيم النجار

جامعة تكريت/العراق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإنه يشرفني ويسعدني أن أكون أحد المشاركين في مؤتمركم وفي المحور الرابع مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية وتحت عنوان (مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل لتواصل والحوار وآثاره الإيجابية والسلبية).

لقد جاءت الشريعة الإسلامية من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية بأحكام تؤكد على أهمية العلم والعلماء بل إن أول آية نزلت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ)، ثم جاءت الآيات القرآنية تحث على طلب العلم وتعلي من مكاتته قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ).⁽¹⁾

وقد أجمع علماء المسلمين على أنه لا تعارض بين الدين والعلم كيف لا وأنه سبحانه وتعالى أمرنا بتعلم العلوم ونشرها.

لقد تطورت العلوم في وقتنا الحاضر تطوراً كبيراً وفي شتى المجالات ومن هذه العلوم علم الاتصال والذي أصبح اليوم من الأمور الضرورية للإنسان ولا يمكن لكثير من الناس الاستغناء عنه، وأصبحت وسائل الاتصال في متناول كل إنسان الصغير والكبير رجالاً ونساءً، ولا يقتصر على فئة دون أخرى حيث أصبح شائعاً لكل إنسان. ومن البديهي أن جميع المخترعات منها ما هو مفيد للإنسان ومنها ما هو ضار له وذلك حسب كيفية استخدام هذا المنتج أو ذلك، بل إن بعض هذه المخترعات أصبح ضررها أكثر من نفعها مما يتطلب من أصحاب العلم والمعرفة دراسة هذه الأمور من أجل الوقوف على هذه الأضرار والمنافع وللحد من هذه المساوئ أو تقليلها حفاظاً على صحة الإنسان، ذلك أن الإنسان هو الهدف الاسمي الذي تسعى الشريعة إلى الحفاظ عليه.

1 : سورة الزمر آية 9

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليبين مساوئ وإيجابيات مواقع التواصل الحديثة كونها من أكثر الوسائل شيوعا واستخداما في وقتنا، لعلنا بهذا ان أوضح للقارئ هذه المساوئ حتى يتعد عنها وبذلك أسهم في حماية الإنسان من الضرر المحدق به من جراء الاستعمال الخاطيء لهذه الوسائل الحديثة.

هذا وقد اطلعت على بعض الابحاث والدراسات الخاصة في هذا الموضوع لكي تغني البحث وقد اقتضت طبيعة البحث ان يكون على مقدمة وخاتمة مباحث وخاتمة لخصت اهم النتائج والتوصيات.

المقدمة وقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب البحث فيه.

المبحث الاول: مفاهيم العنوان.

المبحث الثاني: أهم مواقع التواصل الحديثة.

المبحث الثالث: أصول الحوار وآدابه.

المبحث الرابع: آثار مواقع التواصل الاجتماعي.

المبحث الخامس: الضوابط الشرعية للاتصال.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الاول: مفاهيم العنوان

قبل أن أبدأ بالبحث لابد من أن أوضح مفردات العنوان ليكون البحث واضحا للقارئ .

اولا: مواقع:

تعريف الموقع لغة: الموقع مفرد وجمعه مواقع، قال الليث: موقع : موضع لكل واقع. (1) ، وهو مصدر ميمي من وقع، وجاء في معجم اللغة العربية : اسم مكان من وقع، مواقع الغيث : المطر، مواقع القتال: الجيش مواضعه(2)

ثانيا: وسيلة:

1: الوسيلة لغة: ورد في مقاييس اللغة: الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جدا الاولى: الرغبة والطلب، يقال وسل اذا رغب ، الواسل الراغب إلى الله عز وجل.(3)، والوسيلة : المنزلة عند الملك والدرجة والقرية، وسل إلى الله وسيلة: أي عملت عملا اتقرب به اليه.(4)، والوسيلة: هي ما يتقرب به إلى الغير والجمع وسل ووسائل.(5)

2: الوسيلة اصطلاحا:

هناك تعاريف عدة منها:

عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات ، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواملا غيريا وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف.(1)

1 : تهذيب اللغة، الازهري، 26/3، العين، الفيروز ابادي178/2

2 : معجم اللغة العربية، 2482/3

3 : مقاييس اللغة، 110/6

4 : العين /7 98 ، لسان العرب 724/10، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية5/1841، المحكم والمحيط الاعظم612/8

5 : تاج العروس75/31، المصباح المنير2/660، شمس العلوم 716/11، لسان العرب754/11، المحكم والمحيط الاعظم612/8

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وعرفها آخر: بناء علاقة بين فردين أو دولتين أو مجتمعين ما يحقق المنفعة المتبادلة بين الطرفين.⁽²⁾
وفي الموسوعة الحرة الالكترونية : عملية تبادل الافكار والآراء والمعلومات والقناعات والمشاعر عبر وسائط متنوعة لفظية وغير لفظية كالكلام والكتابة والأصوات والصور والألوان والحركات والإيماءات أو بواسطة رموز مفهومة (ذات دلالات) لدى الأطراف المشاركة.⁽³⁾

ثالثا: التواصل:

تعريف التواصل لغة: الواو والصاد واللام اصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه⁽⁴⁾ والوصل ضد الهجران.⁽⁵⁾، والتواصل ضد التصارم والوصل الرسالة ترسلها إلى صاحبك.⁽⁶⁾

التواصل اصطلاحا: له معنيان:

- 1: مفهوم يعني استمرار العلاقة المتينة بين طرفي العلاقة المشاركين فيها.⁽⁷⁾
- 2: انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد.⁽⁸⁾
- ويعرفها الدكتور عمر نصر الله : أنها علاقة بين فردين على الأقل كل منهما يمثل ذات نشيط.⁽⁹⁾
- ويعرفها ماجد رجب العبد (علاقة بين فردين أو دولتين أو مجتمعين مما يحقق المنفعة المتبادلة بين الطرفين).⁽¹⁰⁾

رابعا: الحوار:

1 الحوار لغة: قال ابن فارس: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها اللون ، والآخر الرجوع ، والثالث ان يدور الشيء دورانا.⁽¹¹⁾
أما الرجوع : يقال حار إذا رجع ، قال تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) (12) (13)
والحور مصدر حار يحور إذا رجع.⁽¹⁾

1 : منتدى [http://ibnhazm.formactif.orgK ,shzg hgj,hwg ,hevih ugn hgtv] ,hgljlu

على الفرد والمجتمع ، عزيز رشيد هندي²

2 : التواصل الاجتماعي انواعه ضوابطه اثاره معوقاته، ماجد رجب العبد العسكر 22، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية 1432هـ

3 : الموسوعة الحرة http://lar.wikipedia.org/wiki

4 : معجم مقاييس اللغة 6/115

5 : لسان العرب 11/726

6 : تاج العروس 31/86

7 : المدخل إلى الاتصال الجماهيري، د عصام سليمان الموسى، 22، مكتبة الكنانى، ط1 1998م

8 : المصدر السابق 25

9 : مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د محمود حسن اسماعيل 30، ط1 2003م، الدار العالمية للنشر والتوزيع

10 : التواصل الاجتماعي انواعه ضوابطه اثاره معوقاته، ماجد رجب العبد العسكر 8

11 : مقاييس اللغة 2:115

: سورة الانشقاق آية 14¹²

13 : الاشتقاق 14

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وقال ابن منظور: الحور الرجوع عن الشيء والى الشيء. (2)

وفي القاموس: تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم. (3)

والتحاور: التجاوب، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم. (4)

والمحاورة: المجاورة، مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. (5)

والحوار: يأتي بمعنى المخاطبة، قال الطبري في قوله تعالى (وهو يحاوره) (6) وهو يخاطبه ويكلمه. (7)

وعرف الحوار ببعض صوره في الأعمال الأدبية: حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي

أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح. (8)

2: الحوار اصطلاحاً: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين. (9) وعرفه بعضهم: نوع من الحديث بين شخصين أو

فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن

الخصومة والتعصب. (10)

وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه. (11)

خامساً: الاجتماعي:

1: تعريف الاجتماعي لغة: الاجتماع على زنة افتعال من المادة الثلاثية (جمع) تدل على تضام الشيء، والفعل

اجتمع مطاوع (جمع) كما قال الرازي جمع الشيء فاجتمع. (12)

2: تعريف الاجتماع اصطلاحاً: عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية تلك الصلات التي يحددها الإدراك

المتبادل بين الجانبين. (13)

1: مقاييس اللغة 117/2، جمهرة اللغة 525/1

2: لسان العرب 217/4

3: القاموس المحيط 1:381

4: المصدر السابق، تاج العروس 11/108

5: لسان العرب 4/215، تاج العروس 11/608، مختار الصحاح 1/84، تفسير الكشاف 4/484

6: سورة الكهف آية 37

7: جامع البيان 15/27

8: المعجم الوسيط 1/205

9: الحوار آدابه وضاباطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي 20

10: في أصول الحوار، 11، الحوار في الإسلام، عبدالله الموحان، 18، آداب الحوار في الإسلام، حامد صقر 12، فنون الحوار والافتتاح، محمد راشد

ديماس، دار ابن حزم، ط2 1420 هـ. 1999م، ص11، الندوة العالمية للشباب 12، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية، خالد المغامسي 20، الحوار في

القران الكريم، معن محمود عثمان، ص3، جامعة النجاح الوطنية 2005م، رسالة ماجستير، الحوار في القران الكريم، معن محمود عثمان، جامعة النجاح

الوطنية 2015م، رسالة ماجستير

11: مناهج الجدال، د ناصر الالمعي 30، الحوار في الإسلام، عبدالله الموحان 18

12: مختار الصحاح 46، الجوهري 3/1498

13: المجتمع الاسلامي، محمد امين المصري 12، دار الارقم، الكويت، ط1 1400 هـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

وبتعريف آخر: الاجتماع أو الامة أو المجتمع مجموعة من الناس يشتركون في التقاليد والعادات العامة وفي المؤسسات الجماعية والمصالح المشتركة.⁽¹⁾

وقال آخر (مجموعة من الأفراد يربط بينهما رابط مشترك يجعلها تحت عيشة مشتركة تنظم حياتها في علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم).⁽²⁾

مواقع التواصل الاجتماعي:

هناك تعريفات عدة ومنها:

منظومة من الشبكات الالكترونية عبر الانترنت تتيح للمشارك فيه انشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات.⁽³⁾

وبتعريف آخر: هي مواقع الشبكة الاجتماعية والخدمات على شبكة الانترنت التي تسمح للأفراد بإنشاء ملفه الشخصي والعام في إطار نظام محدد ووضع قائمة المستخدمين الآخرين الذين يشتركون في التواصل.⁽⁴⁾

ويعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي بأنها: "منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها".⁽⁵⁾

ويعرفها "بريس" « preece » و مالوني كريشمار maloney krichmar (2005) مواقع التواصل الاجتماعي على أنها مكان يلتقي فيه الناس لأهداف محددة وهي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد والمعايير التي تقترحها المواقع وتعرّف على أنها مواقع الانترنت التي يمكن للمستخدمين المشاركة والمساهمة في إنشاء أو إضافة صفحاتها بيسر وبسهولة.

ويعرفها الحسيني 2012 بأنها خدمات يتم إنشاؤها وبرمجتها من قبل شركات كبرى لجمع أكبر عدد من المستخدمين والأصدقاء ومشاركة الأنشطة والاهتمامات وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين يتشاركون معهم بأحدي الاشتراكات الفكرية أو غيرها وتوفر هذه الخدمات ميزات مثل المحادثة الفورية والتراسل العام والخاص ومشاركة الوسائط المتعددة من صوت وصورة وفيديو والملفات وقد استقطبت هذه الخدمات ملايين المستخدمين من شتى بلاد العالم.

ويعرفها "زايد" على أنها تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في مناقشات عبر فترة كافية من الزمن، يجمع بينهم شعور إنساني كاف، بحيث يشكلون مواقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الإلكتروني. وعرفت أيضا على أنها تلك المجتمعات الافتراضية وتجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة

1 : الفيس بوك والشباب العربي، ليلي جزار، 37، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت ط1 2012هـ.

2 : المجتمع الاسلامي المعاصر، د محمد المبارك 7

3 : مواقع التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع 2

4 : الاعلام الجديد في المجتمع واثرها على الشباب الهنود ، الدكتور ايم نيلا مالار و الدكتورة بي شترا، كلية الاعلام، جامعة تشينامي، الهند 3

5 : استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، زاهر راضي (2003)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الانترنت، تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة بحيث يتواصلون فيما بينهم ويشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي.

وعرفها كاتب فارس وعقون دنيا: هي مواقع وخدمات إلكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع فهي مواقع لا تعطيك معلومات فقط، بل تتزامن وتتفاعل معك أثناء إمدادك بتلك المعلومات في نطاق شبكتك وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الأنترنت.⁽¹⁾

خامسا: الأثر:

1: الأثر لغة: له معان عدة منها:

بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه غلته.⁽²⁾

والأثر إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثرا.⁽³⁾

والتأثير إبقاء الأثر في الشيء.⁽⁴⁾

2: الأثر اصطلاحاً: هو التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة أو يعدل اتجاهاته القديمة وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل سلوكه السابق، فهناك مستويات عديدة للتأثير ابتداء من الاهتمام بحدوث تدعيم داخلي للاتجاهات إلى حدوث تغييرات على تلك الاتجاهات ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني.⁽⁵⁾

إجرائياً: مجموعة من التغييرات التي تطرأ على سلوك الشباب وذلك من خلال المضامين المختلفة من معلومات ورسائل وفيديوهات التي يتلقاها من مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.⁽⁶⁾

المبحث الثاني: أهم مواقع التواصل الحديثة

هناك أكثر من عشرين موقعا وسوف أتطرق إلى بعضها والمستخدم في العراق

واذكر أسماء المواقع الأخرى خشية الإطالة⁽⁷⁾

1- الفيسبوك: Facebook شبكة اجتماعية أسسها مارك زوكر بيرغ، بمساعدة كل من داستين موسكوفيتز، وإدواردو سافرين، وأندرو ماركولوم، وكريس هيوز عام 2004م، ويُعد فيسبوك من أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخداماً وأكثرها شهرة أيضاً، يبلغ رواده أكثر من مليار مستخدم من جميع الفئات العمرية وجميع الطبقات الاجتماعية والثقافية ومن حول العالم كله. يقدم فيسبوك لمستخدميه خصائص عديدة

1: أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري، كاتب فارس وعقون دنيا، 34، رسالة ماجستير 2015-2016

2: العين 236/8، لسان العرب 5/4

3: لسان العرب 5/4، المعجم الوسيط 5/1، تاج العروس 13/7، معجم متن اللغة 143/1

4: مختار الصحاح 13/1، لسان العرب 5/4،

5: الموسوعة الاعلامية، محمد منير حجاب 533، مجلد 2، دار الفجر 2003م

6: أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري 33

7: مجلة رواد الاعمال، مواقع التواصل الاجتماعي، محمود سامي، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

ومتنوعة ومتجددة، تمكنهم من سهولة استخدامه، وسهولة التواصل بمن حولهم؛ عن طريق الرسائل النصية أو الصوتية، أو الفيديو وغيرها من خصائص كثيرة تتسم بالسهولة والتطور.

2- اليوتيوب **YouTube** : من المواقع العالمية الشهيرة والمهمة، والأكثر استخدامًا على شبكة الإنترنت في عالم الفيديو. أسس اليوتيوب كلٌّ من “نشاد هيرلي، وستيف تشين، وجاود كريم”، وكانوا “باي بال paypal” يعملون عام 2005 بولاية كاليفورنيا الأمريكية. وقد قامت “جوجل” عام 2006 بشراثة مقابل 1.65 مليار دولار. ويُعد يوتيوب من الجيل الثاني؛ أي من مواقع الويب، وأصبح عام 2006 شبكة التواصل الأولى حسب اختيار مجلة “تايم” الأمريكية.

يتيح لك يوتيوب تحميل مقاطع الفيديو منه أو عليه، وله امتيازات خاصة تخدم المشاركين، ومتاح لكل من يرغب في الحصول على قناته الخاصة به لكل الفئات العمرية والاجتماعية، وفي شتى جوانب الحياة.

3- تويتر **Twitter** : هو ثاني أشهر موقع للتواصل الاجتماعي عالميًا، أطلقه في عام 2006 كلٌّ من جاك دورسي، ونوح غلاس، وإيفان ويليامز بيز ستون. و صاحب فكرة تأسيسه هو جاك دورسي، وهو رجل أعمال أمريكي. يضم تويتر حوالي 500 مليون مستخدم، أغلبهم من المشاهير السياسيين الذين يفضلون استخدامه لإبقاء متابعيهم على علم بآخر أخبارهم ونشاطاتهم. عرف تويتر باستخدام مفتاح الهاش تاج # وهو رمز الكلمات الأكثر تداولًا بين مستخدمي تويتر.

يتيح تويتر لمستخدميه كتابة تغريدات قصيرة بحد أقصى 140 حرفًا، وهو أمر يفضلها غالبية المستخدمين؛ إذ يجبرهم على استغلال تلك المساحة الصغيرة لتدوين ما يرغبون؛ ما يضطرهم إلى تقليص محتوى التغريدة بشكل قد لا يستوعب فكرتهم، ولا يجدون راحة في ذلك بالطبع، لكنهم يتحايلون على ذلك بتكملة التغريدة برابط على فيسبوك يقولون فيه فكرتهم كاملة.

4- إنستغرام **Instagram** : أطلقه مايك كريبجر، وكيفن سيسترون عام 2010، ويضم أكثر من 300 مليون مشترك. وهو موقع لتبادل الصور والفيديوهات عبر الهاتف المحمول أو الكمبيوتر. ويتيح للمستخدم ربط حسابه بأي حساب آخر له كفيسبوك، ومن ذلك الاختيار يمكنه بمجرد نشر صورة له على إنستغرام أيضًا تنشر على باقي المواقع التي تم الربط بها في الوقت نفسه. ومع ظهور إنستغرام، ظهرت سمات عديدة في مقدمتها السيلفي.

5- جوجل بلس **Google plus** : أطلقتها شركة جوجل عام 2011. ويمكن إنشاء حساب عليه، مع قبول عدد غير محدود من الأصدقاء، علاوة على سعة غير محدودة للتخزين، ومن أهم مميزاته خدمة قمت بخيارك لها، و مكالمات hangouts الصوتي والدرشة الاجتماعية.

6- ماي سبيس **My space** : أطلقه توماس أندرسون عام 2003 كأول موقع تواصل اجتماعي على الإنترنت ما أهله لاكتساب قاعدة مشتركين كبيرة، خاصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية يقع مقر الموقع

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار .جمهورية صربيا

في سانتا مونيكا بولاية كاليفورنيا الأمريكية ثم انتقل إلى نيويورك بعد أن اشترته شركة نيوز كوربوريشن؛ ليفقد بعدها الكثير من خاصة زواره عقب ظهور Facebook.

7- واتس اب WhatsApp: تأسست واتساب على يد يان كوم وبرايان اكنن اللذان عملاً معاً في شركة Yahoo حيث بلغ مجموع سنوات خدمتهم عشرين عاماً. انضمت واتس اب إلى فيسبوك عام ٢٠١٤، لكنها استمرت في العمل كتطبيق مستقل مع التركيز على بناء خدمة مراسلة تعمل بسرعة ويمكن الاعتماد عليها في أي مكان في العالم. هنالك أكثر من بليون شخص في أكثر من ١٨٠ بلداً يستخدمون واتساب للبقاء على اتصال مع أصدقائهم وأفراد أسرهم في كل مكان وزمان. واتساب برنامج مجاني يوفر اتصالات ومراسلات فورية ومضمونة وآمنة على الهواتف الخلوية في كافة أنحاء العالم.

ابتدأت مسيرة واتس اب كتطبيق بديل للرسائل النصية القصيرة أما الآن فبات واتس اب يتضمن إرسال واستقبال أنواع متعددة من الوسائط منها الرسائل النصية والصور ومقاطع الفيديو والمستندات والموقع الجغرافي والرسائل الصوتية. إن الرسائل والمكالمات محمية من خلال التشفير التام بين الطرفين أو ما يعرف بـ end-to-end encryption. أكثر ما يدفع فريق واتساب لتطوير كل خاصية أطلقها هو رغبتهم في إبقاء الناس حول العالم على تواصل فيما بينهم ومن دون عقبات..

9- فايبر Viber: هو تطبيق يعمل على الهواتف الذكية متعدد المنصات متواجد لأكثر من نظام مثل الاندرويد ios وبلاك بيري، ويندوز فون، وسيمبيان سيريس، وماك ونوكيا ، يتيح للمستخدمين المراسلة الفورية وإجراء مكالمات هاتفية مجانية وإرسال رسائل نصية، صور، فيديو ورسائل صوتية بشكل مجاني إلى أي شخص يقوم باستخدام هذا البرنامج، تمكن فايبر من تطوير شركة فايبر ميديا في 2 ديسمبر 2010. يعمل على الشبكات الخلوية الجيل الثالث والجيل الرابع والشبكات اللاسلكية و الواي فاي على حد سواء، كما يتوفر البرنامج بـ 10 لغات من بينها اللغة العربية في أبريل 2014 وصل عدد مستخدمي فايبر 600 مليون مستخدم مسجل و 230 مليون مسجل نشط شهرياً.

وهذه أسماء بعض المواقع الأخرى:

كورا quora

ديج Digg

فين Vine

بريسكوب Periscope

تمبلر Tumblr

فليكر Flickr

جود ريدز Good reads

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لينكد إن LinkedIn

بينتريست Pinterest

أوركوت Orkut

بيزوغار، : Bizsugar

سناب شات Snapchat

المبحث الثالث: أصول الحوار وآدابه

المطلب الاول: أصول الحوار

لا بد للحوار من أصول وآداب حتى يكون التحوار مفيدا ومن أصول الحوار:

1: أن يراد به وجه الله تعالى:

أي أن يراد به إظهار الحق والوصول اليه وهذا عند الطرفين المتحاورين، وهذا يتطلب أن يكون الحوار بعيدا عن التعصب خاليا من العنف والانفعال.

2: العلم:

لا بد للمحاور أن يكون عالما بالمسألة التي يتحاور بها، فموضوع الحوار والعلم بتفاصيله والتسلح بالحجج والبراهين المؤيدة له سلاح فعال في يد المحاور الناجح.

3: التكافؤ بين المتحاورين:

أي أن يكونان متقاربين من الناحية العلمية والثقافية وفي العقل والفهم وإلا فإن الغلبة ستكون للجاهل، قال الامام الشافعي (ما نظرت عالما إلا غلبته ، وما ناظرني جاهلا إلا غلبني).⁽¹⁾

4: تحديد موضوع الحوار ونقطة الخلاف:

قد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة ثم يحدث الحوار في مسألة أخرى بدون اتفاق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاوره وبذلك يكون الحوار عائما ولا ينتهي إلى نتيجة.

5: قطعية النتائج ونسبيتها:

من الواجب معرفته أن الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ، وليس من شرط التحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الآخر، فإن اتفقا فهو منتهى الغاية.⁽²⁾

المطلب الثاني: آداب الحوار

علمنا الإسلام بالالتزام بالآداب المرعية في المحاوره لكي ينجح ومن آداب الحوار:

¹ : الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد السيف نقلا عن الحوار في القرآن الكريم، محمد كمال الحويل 24

² : ينظر، الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد السيف، انترنت ، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، احمد الصويان 64،

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1- المحاوره بالحسنى بالقول والمجادلة قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)¹

2- التواضع بالقول والفعل: ومن التواضع ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبر كأن يقول: نرى كذا وعندي كذا ونحو هذه.

3- حسن الاستماع: وهذا يترك أثرا طيبا لدى المقابل فإن أكثر الناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد.

4- العدل والانصاف: على المحاور أن يكون منصفاً بأن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة وهذا له أثره في قبول الحق، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)²

5- الحلم والصبر: على المحاور ان يكون صبورا حلوما، فلا يغضب لأتفه الاسباب فان ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه فان الغضب لا يؤدي إلى اقناع الخصم

والحلم من صفات المؤمنين قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)⁽³⁾.

ومن أعلى مراتب الصبر مقابلة الاساءة بالإحسان

6- أن يكون موضوعيا: الحوار الايجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الحسنات والسلبيات في ذات الوقت، وهو الحوار المتكافئ الذي يعطي لكلا الطرفين فرصة التعبير ويحترم الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الراي بين البشر.⁽⁴⁾

المبحث الرابع: آثار مواقع التواصل الاجتماعي

إن لمواقع التواصل الاجتماعي آثارا على جميع الأصعدة والمستويات، فهناك آثارا إيجابية وهناك آثارا سلبية وذلك حسب طبيعة الاستخدام، وسوف أذكر الآثار الإيجابية أولا ثم بعد ذلك أذكر الآثار السلبية .

المطلب الاول: الآثار الإيجابية

لمواقع التواصل الاجتماعي اثارا ايجابية في مجالات متعددة وهي:

اولا: المجال الاجتماعي:

1 : سورة الاسراء اية 53

2 سورة النساء اية 135

3 : سورة آل عمران اية 134

4 : ينظر، الحوار في القران الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد لسيف، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

1: تسهم مواقع التواصل الاجتماعي في البقاء على تواصل دائم مع الأهل والأصدقاء وإزالة الحدود والمسافات، كما تتيح البقاء على تواصل مع أهم المواقع الإخبارية لمعرفة ما يدور حولنا من أحداث مهمة تؤثر في مسار حياتنا.

2: تسهم مواقع التواصل الاجتماعي على تبادل الخبرات والثقافات حول العالم من خلال نشر ثقافات الأمم والشعوب، وهذا يسهم بصورة كبيرة في نشر مفهوم قبول الآخر من خلال التعرف على عادات الشعوب المختلفة.

3: التأثير في سلوك افراد المجتمع واكتسابهم قيما جديدة تساهم في التنمية المستدامة للأفراد والمجتمع.⁽¹⁾

ثانيا: مجال الثقافة العامة والتعليم

من إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي أنها تساعد على الوصول لكافة البحوث العلمية والاستفادة منها، كما تسهم في زيادة المعرفة والثقافة العامة.

ثالثا: المجال الامني:

1: لمواقع التواصل الاجتماعي دور كبير في استقرار أمن الدولة والمجتمع والفرد.

2: توفر الإرشادات ولوائح العمل لرجال الامن بأقصى سرعة .

3: تقوم بتقريب المسافات بين الإعلام والامن.

4: تقديم النصح للمجتمع لحماية الأفراد والممتلكات.⁽²⁾

رابعا: توفر مواقع التواصل الاجتماعي مزيداً من فرص العمل من خلال تصميم الصفحات الخاصة التي توفر لأصحابها دخلاً ثابتاً، كما يمكن استعمالها للترويج للمنتجات وبالتالي الاستفادة من التجارة الإلكترونية التي أصبحت توفر فرصاً متعددة للعمل.

خامسا: تحاول العديد من مواقع التواصل الاجتماعي نشر السلام بين الأديان عن طريق إنشاء صفحات خاصة للتعايش بين الأديان وتقريب وجهات النظر والأفكار⁽³⁾

سادسا: تحقيق التواصل الاجتماعي السريع وغير المكلف مع الأصدقاء والأقارب.

سابعاً: تبادل الخبرات الحياتية في مجالات الحياة المتعددة وذلك عبر الاطلاع على منشورات الأصدقاء.

ثامنا: اكتساب معلومات موجهة من مصادرها التي توفرها من خلال تسجيلات الاعجاب بصفحات علمية أو سياسية أو دينية أو ما أشبه ذلك.

¹ : وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي،

² : المصدر السابق نقلا عن دور وسائل اعلام المدينة في التوعية، وجدي حلمي عبد الطاهر، موقع جامعة ام القرى

³ : صوت ultra ، مواقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

تاسعا: افساح المجال امام الابداع في رسم اجتهادات فكرية وثقافية وسياسية من خلال التواصل في مجموعات متعددة.

عاشرا: اكتساب الوعي المناسب بما يدور حول الإنسان من أحداث ومستجدات وفي مختلف الميادين.⁽¹⁾

المطلب الثاني : الآثار السلبية

تشير الدراسات العلمية الحديثة رغم قلتها إلى أن لمواقع التواصل الاجتماعي آثار سيئة واضرار تصيب مستخدمي هذه المواقع ، وسبب ذلك أن هذه المواقع تعد حديثة نسبيًا في حياتنا وهذه هي المساوئ التي تصيب الإنسان:

1- التوتر: إن أحد أسباب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي هو للتنفيس عما يدور في داخل الإنسان ، إلا أن من مساوئ استخدام هذه المواقع هو التعليقات من قبل المستخدمين وهذه التعليقات تشبه موجة في الغالب لا تنتهي من التوتر والضغط، ففي دراسة عام 2015 اقامها باحثون بمركز (بيو) للدراسات ومقره واشنطن دي سي بالولايات المتحدة حول ما اذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي تزيد من حدة التوتر لدى المستخدمين وكانت النتيجة أن النساء يشعن بتوتر وضغوط أكثر من الرجال، كما توصل باحثون إلى أن موقع تويتر يعد مساهما قويا في هذا الشعور.

2- الحالة المزاجية: توصل باحثون في النمسا عام 2014 إلى أن المشاركين في إحدى دراساتهم تحدثوا عن تراجع في الحالة المزاجية عقب استخدامهم موقع فيس بوك لمدة 20 دقيقة، وسبب هذا الشعور عندهم لأنهم رأوا أنهم أهدروا وقتهم في استخدام فيس بوك، كما توصل الباحثون إلى أن منشورا واحدا سلبيًا عن حالة الطقس السيء من شخص يعيش في منطقة ممطرة على سبيل المثال أثر على منشورات أخرى لأصدقاء له يعيشون في مدن جافة.

3- الشعور بالقلق والاضطراب: لقد توصلت دراسة نشرت في دورية (الكمبيوتر والسلوك البشري) إلى أن الأشخاص الذين يستعملون سبعة أو أكثر من منصات التواصل يكونون أكثر عرضة لمستويات مرتفعة من القلق بنسبة تزيد على ثلاثة أضعاف مقارنة بأشخاص يستعملون منصة أو منصتين من منصات التواصل الاجتماعي أو الذين لا يستعملونها.

4- الشعور بالاكئاب: توصلت بعض الدراسات إلى أن هناك صلة بين الاكئاب مثل الحاجة المزاجية السيئة والشعور بعدم قيمة للذات واليأس وبين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وقد توصلت دراسة شملت أكثر من 700 مستخدم إلى أن هناك مخاطر بنحو ثلاثة أضعاف للتعرض للاكئاب والقلق بين الأشخاص الأكثر استخداما لمواقع التواصل الاجتماعي.

5- النوم: توصل باحثون إلى أن الاضواء الصناعية التي تحيط بنا ليلا ونهارا يمكن أن تؤثر على إنتاج الجسد لهرمون الميلاتونين والذي يساعد في الأساس على النوم، ويقولون أيضا أن الضوء الأزرق الناتج عن شاشات الهواتف وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأجهزة اللوحية يمكن أن يكون أسوأ شيء لصحتنا وبمعنى آخر، إذا كنت تخلد إلى الفراش ليلا وأنت تتصفح فيس بوك وتويتر، فاعلم أنك مقبل على نوم مضطرب.

¹ : جريدة اللواء، مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي على الشباب، كتبه محرر التحقيقات، 2018،

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 6- إدمان مواقع التواصل: إن إدمان مواقع التواصل الاجتماعي ما هو إلا إدمان الانترنت نفسه، وهو اضطراب مصنف طبيا في الوقت الحالي. وقد ابتكر علماء من هولندا مقياسا للتعرف على أي إدمان محتمل لتلك المنصات. وفي عام 2011 حلل باحثان من جامعة نوتنغهام ترينت بالمملكة المتحدة 43 دراسة سابقة حول هذا الموضوع، وخلصوا إلى أن إدمان مواقع التواصل الاجتماعي يعد مشكلة صحية عقلية قد تتطلب علاجاً.
- 7- الاعتداد بالنفس: لقد باتت وسائل التواصل الاجتماعي مصدراً رئيساً للقلق لما تؤثر سلباً على الاعتداد بالنفس، إذ تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في جعل أكثر من نصف مستخدميها غير راضين عن أشكالهم وفقاً لاستطلاع شمل 500,1 مستخدم أجرته مؤسسة (سكوب) للأعمال الخيرية لخدمة المعاقين، وفي دراسة أجراها باحثون في جامعة (بن ستيت) الأمريكية عام 2016 توصلوا إلى أن رؤية صور سيلفي لأشخاص آخرين يقلل من الاعتداد بالنفس لدى المستخدمين، كما توصلت دراسة أجرتها ثلاث جامعات في الولايات المتحدة وهي جامعة ستراثكلويد واوهايو واياو إلى أن النساء يقارن أنفسهن بشكل سلبي بصور السيلفي التي يشاهدنها لنساء أخريات.
- 8- العلاقات الاجتماعية: نشرت دراسة صغيرة أن مجرد وجود الهاتف يمكن أن يؤثر على علاقاتنا بالآخرين وخاصة عندما نكون نتحدث معهم في أمور ذات أهمية، وقد أثبتت دراسة قام بها باحثون كنديون عام 2009 أن المرأة تشعر بالغيرة أكثر من الرجل، كما خلص الباحثون إلى أنهم يعتقدون أن بيئة فيس بوك خلقت لدى النساء مثل هذه المشاعر، وعززت لديهن مخاوف بشأن مدى قوة علاقتهن بشركائهن.
- 9- الحسد: في دراسة ضمت 600 شخص، قال ثلثهم أن وسائل التواصل الاجتماعي تشكل لديهم مشاعر سلبية وخاصة اليأس، وأن السبب وراء ذلك هو الحسد.
- 10- العزلة والوحدة: في عام 2017 توصلت دراسة نشرت في المجلة الأمريكية للطب الوقائي شملت آراء 7000 آلاف شخص تتراوح أعمارهم بين 19 و 32 عاماً إلى أن الأشخاص الذين يقضون وقتاً أكثر على مواقع التواصل الاجتماعي، يصبحون أكثر عرضة مرتين للشكوى من العزلة الاجتماعية.⁽¹⁾
- وذكر كل من محمد حنفي وماجد المطيري إلى أن هناك أسباب تجعل من مواقع التواصل الاجتماعي سيئة للغاية وهي:⁽²⁾
- 1- التضليل ونشر الأخبار المغلوطة وغير الصحيحة: ليس كل ما يكتب في مواقع التواصل الاجتماعي حقيقة، فقلة هي التي تتميز بالأمانة، فالبعض يكتب الأكاذيب والبعض الآخر يروجها، فهناك عدد كبير من الأخبار غير صحيحة تنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
 - 2- البلاهة: أتاحت مواقع التواصل الاجتماعي الكثير من الناس نشر الأفكار والتعليقات الغبية، التي تنم عن جهل كبير.

¹ : بحث في بي بي سي عنوانه ماذا يقول العلم في أضرار وسائل التواصل الاجتماعي، شباط/2018، انترنت، تأثير سلبي لمواقع التواصل الاجتماعي على المجتمع، يمن سكا، 2015

² : سلبيات لمواقع التواصل الاجتماعي، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 3- الكسل: هذه المواقع تعلم الناس الكسل، ولا تشجعهم على الرياضة، فهذه المواقع لا تتطلب جهداً، يمكنك أن تعلق وأنت في سريرك أو حتى وأنت في الحمام.
- 4- خطر على الأطفال: مواقع التواصل الاجتماعي تحتوي على مواد لا ينبغي للأطفال التعرض لها مثل الأفلام الإباحية.
- 5- لا وقت للتفكير: تنشر المعلومات على مواقع التواصل الاجتماعي في كل لحظة، وهذا لا يمنح المواطن وقتاً للتفكير.
- 6- تقتل الإبداع: تعتمد مواقع التواصل الاجتماعي على تشجيع ردود الفعل بسرعة، وهذه تقتل الإبداع في ذهنك.
- 7- خطر أثناء القيادة: الكثير من الأشخاص ينظرون إلى هواتفهم أو يردون على المكالمات أثناء قيادة السيارة مما قد يؤدي إلى أضرار بالسائق ومن معه.
- 8- لا مهارات حقيقية: إن البقاء ساعات طويلة على الهاتف النقال يحرم الإنسان من التعلم أو تنمية أية مهارات.
- 9- يعرفون كل شيء: لقد خلقت مواقع التواصل الاجتماعي جيلاً يعتقد أن كل ما يقوله على مواقع التواصل الاجتماعي له أهمية كبيرة.
- 10- الهوس بالمشاركة: مواقع التواصل الاجتماعي أصابت الناس بالهوس بالمشاركة بالصورة والكليبات.
- 11- انعدام الخصوصية لمستخدمي الشبكات الاجتماعية: الأشخاص المشاركون في مواقع التواصل الاجتماعي يدونون الكثير من معلوماتهم الشخصية حول السكن والشهادة والوظيفة وغيرها مما يجعل بعض المحتالين استغلال هذه المعلومات.
- 12- الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي يؤثر على درجات الطلاب: أظهرت الدراسات أن الطلاب الذين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي تنخفض نتائجهم بنسبة 20٪. في الاختبارات عن الأشخاص الذين لا يستخدمون مواقع التواصل.
- 13- قطع علاقات الصداقة: من مميزات مواقع التواصل أنها تريد من علاقات الصداقة إلا أنها ربما تكون سبباً في مشكلات تؤدي إلى قطع العلاقات بين الأصدقاء.
- 14- تضييع الوقت: رغم المميزات التي تقدمها مواقع التواصل إلا أنها تؤدي إلى تضييع الوقت وذلك في التواصل مع الأصدقاء والرد على تعليقاتهم بالإضافة إلى قضاء وقت كبير في الألعاب غير المفيدة وقد تكون ضارة.
- 15- تؤثر على المستقبل الوظيفي: أظهرت الدراسات أن 54٪ من المشاركات توضح الضعف اللغوي للمستخدمين و61٪ منها تظهر الالفاظ غير اللائقة لهم بالإضافة إلى المحتويات الأخرى التي تعتبر خارجة ويرفضها ارباب العمل فتؤدي إلى طرد الموظفين من وظائفهم.
- 16- تؤثر على الترابط الأسري: أظهرت الأرقام أن مواقع التواصل الاجتماعي تؤثر على الترابط الأسري فقد ارتفعت نسبة الأشخاص الذين لا يقضون وقتاً مع عائلاتهم من 8٪ عام 2000 إلى 34٪ عام 2011، إضافة إلى أن نسبة 32٪ من الأشخاص يتناولون الوجبات أثناء تصفحهم مواقع التواصل الاجتماعي.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 17- تؤثر على إنتاجية الموظفين في العمل: أثبتت الدراسات أن حوالي 51٪ من الموظفين الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و 34 عاما يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي أثناء العمل مما يؤدي إلى ضعف الإنتاجية.
- 18- مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي عرضة للقرصنة: تتعرض البيانات الشخصية الموجودة على أجهزة الموبايل لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي إلى القرصنة من قبل الكثير من القرصنة.
- 19- استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تعرض المستخدمين إلى المشاكل: مواقع التواصل الاجتماعي تعرض المستخدمين إلى الكثير من المشاكل وذلك أن جميع بياناتهم معروضة ومتاحة للجميع، فيجعلهم عرضة للنصب والاحتيال. (1)
- 20- انتشار العنف بين المراهقين بسبب نشر بعض العادات السلبية بينهم بالإضافة لنشر بعض الافكار التخريبية مثل الترويج لبعض الافكار الارهابية بين الشباب.
- 21- الترويج للأفكار الهدامة وانتشارها بين الشباب بالإضافة لنشر معلومات مغلوطة عن الأديان. (2)

المبحث الخامس: الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي اليوم حاجة ضرورية للفرد في المجتمع ولا يمكن الاستغناء عنها، وبما أن هذه المواقع لها أضرار على المستخدمين سواء كانت صحية أو اجتماعية أو غيرها، ومن أجل التقليل من هذه الأضرار إن لم يكن القضاء عليها فهناك جملة ضوابط لا بد لمن يستخدم هذه المواقع الالتزام بها خدمة لصالحه وهي:

- 1: القصدية والنية: لا بد لمن يستخدم هذه المواقع أن يكون قصده وإرادته من وراء هذا الاستخدام الاستفادة وافادة غيره، فكل عمل في الإسلام مقرون بنيته وعليه يثاب أو يعاقب على قدر نيته قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى). (3)
- 2: حفظ الحواس: في استخدامنا لوسائل التواصل الاجتماعي نوظف بعض حواسنا وهي البصر والسمع والنطق، وهذه الحواس شاهدة لنا أو علينا يوم الحساب، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (4)، فعلى المتصل أن يحفظ البصر من الرؤية إلى ما حرمه الله تعالى أو أن يصور ما حرمه الله، وأن يبسط سمعه فيما يسوء أو يسجل بدون علم الأخ، ولا يتكلم بسوء بل عليه أن يستعمل وسائل الاتصال بما ينفع.
- 3: التبيين في نقل الأخبار: على من يستخدم هذه الوسائل أن يتحرى الصدق فيما ينشر وأن يتأكد من صحة الخبر قبل أن ينشره، وهذا ما أمرنا به سبحانه وتعالى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والآيات والأحاديث واضحة في ذلك خدمة للمجتمع الذي نعيش فيه.

1 : تأثير سلبي لمواقع التواصل الاجتماعي على المجتمع، مجلة يمن سكاى، 2015

2 : صوت ultra ،مواقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انترنت، وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع،

عزيز رشيد هندي،

3 : صحيح البخاري 3/1

4 : سورة الاسراء اية 36

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 4: إعمار الوقت: الكثير من الأشخاص الذين يستخدمون هذه الوسائل يقضي أكثر وقته فيما لا نفع فيه، علما أن الإنسان محاسب على قضاء وقته كما بينه لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه).⁽¹⁾
- 5: كتمان الأسرار: أمرنا الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بحفظ السر وعدم إشاعته وخاصة إذا طلب منه ذلك، فالتستر أمر محمود.
- 6: تجنب الخضوع واللين في القول: لا خلاف بين الفقهاء على جواز محادثة المرأة الرجل الغريب عنها للضرورة وضمن آداب الحديث، وعليه لا يجوز للمرأة عند الحديث مع الرجال الخضوع في القول واللين، والابتعاد عن الكلام الفاحش والبذيء فيه قال تعالى (ولا تخضعن في القول).⁽²⁾
- 7: تجنب الخلوة: كما أمر الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم المرأة بعدم الخلوة مع الرجل كذلك على المرأة ان لا تختلي مع الرجل عند كلامها معه والمقصود بالخلوة هنا أن تتفق مع الخلوة بمعناها الشرعي وأن يكون الكلام بمعرفة الأهل وعلمهم وليس بغرفة مقفلة لا يعرف ولا يسمع ما يقولون.⁽³⁾

الخاتمة:

وتشمل أهم النتائج والمقترحات

اولا: النتائج:

لقد تبين من هذا البحث أمور عدة وهي:

- 1: أن مواقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين: له فوائده وله مساوئ وذلك حسب طبيعة الاستعمال وكيفيته.
- 2: أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.
- 3: التواصل والحوار مطلوب من الجميع ولا يمكن أن يعيش الإنسان بدون أخيه الإنسان، إلا أن هذه الوسائل قد قللت كثيرا من التواصل وجها لوجه مع الأهل والأقرباء والأصدقاء.
- 4: جهل الكثير من مستخدمي هذه المواقع بأضرارها الصحية والاجتماعية والعلمية وغيرها.

ثانيا: المقترحات

- 1: الالتزام بالضوابط الشرعية في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي.
- 2: تأمين الحساب والويب من الدخول غير المسموح والاختراق والتأكد من شخصية من يريد إضافته إلى قائمة الأصدقاء.
- 3: احترام الآخرين والانتباه عند التعليق.
- 4: الاحتياط في وضع الصور والمشاركات على الموقع.

1 : سنن الترمذي 612/4

2 : سورة الاحزاب اية 32

3 : الضوابط الشرعية لاستخدام وسائل التواصل الحديث، الشيخ محمد احمد حسين، 1435هـ، 16.10، الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات

التواصل الاجتماعي، عمر الصوصي، انترنيت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 5: التوعية بأهمية وسائل التواصل الاجتماعي والتعريف بالمستويات الاجتماعية والتعبير عن الأفكار والآراء بأدب واحترام الآخرين.
- 6: عرض تجارب الآخرين الذين تعرضوا للأذى عن طريق هذه الأجهزة.
- 7: الرقابة الأسرية والجهات المزودة للخدمة والجهات الرسمية بضبط تلك المواقع من الناحية الفنية والتقنية.
- 8: تدخل الدولة على مراقبة هذه المواقع وضرورة وضع قانون خاص يحدد طريقة وكيفية استخدام هذه المواقع وغيرها من الأمور المهمة وخاصة حجب المواقع المشبوهة.
- 9: التأكيد على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بضرورة وضع برامج لبيان مخاطر هذه المواقع، وكذلك مسؤولية العلماء والمدرسين وأساتذة الجامعات بذلك.
- 10: ضرورة توجيه الجيل الجديد بالحفاظ على هوية الأمة، وعدم الأخذ بكل ما يشاع وينقل عبر هذه المواقع لأن منها ما لا يتفق ومجتمعنا وعاداتنا وتقاليدينا.

المصادر والمراجع:

- أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري، كاتب فارس و عقون دنيا، رسالة ماجستير 2016
- آداب الحوار في الإسلام، حامد صقر
- الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - الطبعة: الثالثة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع العربي، زاهر راضي
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن بن احمد رمزي، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر، الدمام، رسالة ماجستير 2013هـ
- الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي، عمر صوصي، انترنت
- الاعلام الجديد في المجتمع واثره على الشباب الهنود، الدكتور ايم نيلامالار والدكتورة بي شترا، كلية الاعلام، جامعة تشينامي، الهند
- تأثير سلبي لمواقع التواصل الاجتماعي، مجلة يمن سكاوي، انترنت
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الرّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
- تفسير الكشاف، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م
- التواصل الاجتماعي انواعه ضوابطه اثاره معوقاته، ماجد رجب العبد العسكر، الجامعة الاسلامية، 1432هـ، رسالة ماجستير
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد حسن بن احمد زمزمي، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر ، الدمام، رسالة ماجستير 2413هـ
- الحوار في الإسلام، ا. د عبد الله بن حسين الموحد، الناشر: مركز الكون، ط1 2006 مط الموحد
- الحوار في القرآن الكريم، معن محمود عثمان، جامعة النجاح الوطنية، 2005م، رسالة ماجستير
- الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد بن سيق السيف، انترنت
- الحوار أصوله المنهجية و آدابه السلوكية، احمد الصويان، دار الوطن، ط1 1418هـ
- دور وسائل اعلام المدينة في التوعية، وجدي حلمي عبد الطاهر، موقع جامعة ام القرى
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال
- الفيس بوك والشباب العربي، ليلي جرار، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 2012
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الناشر: دار صادر - بيروت
- مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د محمود حسن اسماعيل، ط1 2003م
- المجتمع الاسلامي، محمد امين المصري، دار الارقم، الكويت، ط1 1400 هـ
- المجتمع الاسلامي المعاصر، د محمد المبارك، دار الفكر ، بيروت، 1971م
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م
- المدخل إلى الاتصال الجماهيري، د عصام سليمان الموسى، مكتبة الكناني، ط1 1988م
- معجم اللغة العربية المعاصرة:، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [1377 - 1380 هـ]
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: 1423 هـ = 2002م.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة
- الموسوعة الاعلامية، محمد منير حجاب، الفجر، 2003م

الانترنت

- جريدة اللواء، انترنت
- مجلة صوت ultra انترنت
- مواقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- مواقع التواصل الاجتماعي، افضل 23 موقع اجتماعي للتسجيل مباشرة، محمود سامي، 2018م، انترنت
- الندوة العالمية للشباب، انترنت
- وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي، مدونة الاستاذ عزيز رشيد هندي، انترنت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

"دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية"

د. هذال بن عبيد عياد الفهيدي

أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم المساعد - كلية العلوم والآداب بشرورة/ جامعة نجران

المستخلص:

تقع هذه الدراسة في ثلاثة مباحث بالإضافة إلى نتائج الدراسة وتوصياتها، حيث يتناول المبحث الأول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالحوار على المستوى اللغوي والاصطلاحي، وكذلك أهمية الحوار، وأهدافه بشكل عام، وأصول الحوار، والخصائص المميزة للحوار، وأيضاً الآداب التي يجب أن يتسم فيها المتحاورون، وعناصر القوة في الحوار، وتوضيح للمعوقات التي قد تحد من فائدة الحوار.

ويلقي المبحث الثاني نظرة موجزة على الحوار في العملية التعليمية من حيث المفهوم، وأهداف الحوار في العملية التعليمية.

أما المبحث الثالث والأخير فيوضح دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية، وذلك من خلال بيان الصفات التي تسعى مناهج العلوم الطبيعية لإكسابها للطلاب، والتي تدعم عملية تنمية القيم الحوارية، وفي هذا المبحث يتم توضيح دور أهداف ومحتوى مناهج العلوم الطبيعية، والتي تؤكد وتعمل على تنمية القيم الحوارية لدى الطلاب، وفي نهاية هذا المبحث تم بيان مفهوم طريقة التدريس الحوارية التي من خلالها يتحقق هدف مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية بشكل أفضل، وكيفية تنظيم الجلسة الحوارية، ومزايا الطريقة الحوارية.

وفي نهاية هذا البحث تم تقديم عدد من النتائج، والتوصيات بناءً على ما تم عرضه من معلومات مختلفة عن الحوار بشكل عام، والحوار في العملية التعليمية، وكذلك الحوار في مناهج العلوم الطبيعية ودورها في تنمية القيم الحوارية.

المبحث الأول: الحوار نظرة عامة

الحوار في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (2008) الحوار يعني "الرجوع عن الشيء، والمحاورة تعني مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والحوار يعني النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال". ص 264.

الحوار في الاصطلاح: يعرفه العبودي (2005) بأنه "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب". ص 12، كما يعرفه زيدان (2008) بأنه: "القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

الآخرين". ص 8، ويعرفه القحطاني (2011) بأنه " تفاعل لفظي أو غير لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها". ص 17.

والحوار مبدأ سام، وطريقة راقية في التعامل مع الآخرين، وثمرة من ثمرات المجتمعات الإنسانية التي أدركت أهمية الحوار في حياة البشر، ودوره الرئيس فيها، وأدركت أن هذا الإنسان يستجيب للحوار، ويتفاعل معه، ويرتاح إليه، و أن الحوار هو السبيل الأمثل لعيش حياة كريمة هانئة يسودها الحب، والتفاهم البناء بين جميع أبناء العالم الكبير على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأديانهم وانتماءاتهم الاجتماعية. (الحسين، 2011)، ويعرفه الجوير (2013) بأنه "محادثة بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة لتبادل المعرفة والأفكار والآراء مدعماً كل طرف رأيه بالأدلة والحجج لمعرفة الحقيقة بعيداً عن التعصب والخصومة والغضب بحيث يراعي كلا الطرفين الأساليب التربوية والعلمية والاجتماعية والاستعداد التام لقبول رأي الطرف الآخر عند اتضاح الحق" ص 37.

بالتالي فالحوار حديث يدور بين شخصين أو أكثر ويأخذ أشكالاً متعددة منها الحوار الشفهي أو الكلام المطبوع أو غيره، ويكون على شكل عرض وجهات نظر مختلفة، أو إضافات أو مداخلات وتعقيبات، وله ركنان هما: وجود أكثر من محاور، ووجود قضية يجري الحوار بشأنها، ويهدف للوصول إلى نتيجة إيجابية في نهاية الأمر. (صليبي، 2010)

أهمية الحوار: تبرز أهمية الحوار في أنه يعد من أفضل الوسائل في الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل وتغيير السلوك إلى الأحسن، فالحوار يؤدي إلى تعويد النفوس على تقبل النقد واحترام الرأي الآخر، ودعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من المشاعر العدائية والقلق من المستقبل كما أنه يعد وسيلة علاجية لكثير من المشكلات التي يصعب حلها بالطرق التقليدية. (السليمان، ٢٠٠٥)

إن الإنسان اجتماعي بطبعه لا يستطيع أن يعيش لوحده دون أن يكون لديه اتصال بالآخرين، وهذا الاتصال يحقق له وجوده وذاته ويسمح له بتبادل الأفكار والخبرات مع الآخرين. (خوجة ١٤٣٠)، وتتمثل أهميته كذلك باستخدام أساليب الحوار البناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في الجماعة، فالحوار يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية، وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين، كما يعكس الحوار الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب، حيث تعلو مرتبته وقيمتها وفقاً للقيمة الإنسانية لهذه الحضارة وتلك الشعوب. (جامعة الجزيرة، 2016)، ولكي يكتمل نمو المتعلم فكرياً فإنه يتطلب من المعلم والمربي أن يستخدم أسلوب الحوار معه من أجل أن يكتسب الثقة بنفسه ويتحول إلى عنصر فاعل ومشارك في العملية التعليمية والتربوية قادر على تحمل مسؤولية نفسه بكل ثقة وقناعة تامة، وهذا لن يتحقق إلا إذا ألم المتعلم بثقافة الحوار ومهاراته. (الجوير، 2013).

أهداف الحوار: إن للحوار أهدافاً عديدة يسعى إلى تحقيقها ومن الأهداف التي يمكن أن يحققها الحوار ما يلي:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- فهم المتحدث واستجلاء مراده.
- التوجيه لسلوك معين.
- تصحيح مفهوم.
- غرس أو تعميق مفهوم.
- التثبت من حقيقة ما أو خبر.
- تحقيق الطمأنينة والأنس للطرف الآخر.
- التعليم.

• الإرشاد لطالب الاستشارة. (زمزمي، 1422)

وتضيف طالب (2016) أن من أهداف الحوار ما يلي:

- يساعد الحوار على عرض الأفكار بين المتحاورين والحجج والأدلة على صحة الطريق الذي يمشون فيه، فهو يدفع الشبهات ويجعل المحاور قادراً على عرض أسبابه وغاياته وتوضيح الأمر.
- طريقه لدعوة الآخر بشكل حضاري وفعال، حيث إنه يقوم بعرض كل ما لديه بشكل مريح.
- يعمل على تقريب وجهات النظر، ويزيل الفجوات بين المتحاورين ويبعد التباغض والتناحر فيما بينهم.
- إظهار الحقائق، وكشف جميع الأكاذيب.
- ينشر المعارف والثقافات، ويعزز من كمية معلومات المتحاورين حول مواضع معينة.
- نشر الألفة والمحبة بين البشر، وصنع العلاقات الجيدة والصدقات.
- يعمل على بيان الخيارات والحلول أمام المحاور، مما يسهل عليه عملية الفهم والاختيار السليم.

أصول الحوار: أصول الحوار هي عبارة عن القواعد الرئيسة الثابتة التي تضبط مسار الحوار، وأما الآداب فهي طريقة الحوار والقواعد السلوكية التي ينبغي مراعاتها قبل الحوار أو أثناءه أو بعده، والتي تساعد على نجاح الحوار (زمزمي، ١٤٢٢)، ومن أبرز تلك الأصول:

1. تحديد الهدف من الحوار.
 2. الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة.
 3. الالتزام بآداب الحوار.
 4. بناء الحوار على الفرضيات والنظريات (فلمبان، 1430).
- خصائص الحوار:** يعدُّ الحوار كغيره من مهارات الاتصال له خصائص مميزة، ومنها كما ذكر زمزمي (1422):

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- الحوار عملية هادفة.
- الحوار عملية عادلة.
- الحوار عملية مستمرة.
- الحوار عملية إنسانية.
- الحوار لغة.
- الحوار وسيلة تقويم.
- الحوار مهارة.

آداب الحوار:

– الآداب النفسية للحوار: ليكون الحوار مقبولاً من الناحية النفسية لابد أن يتسم بما يلي:

- الصدق.
- الحلم والصبر.
- حسن الاستماع.
- الاحترام . (جامعة الجزيرة ، 2016)

– الآداب اللفظية: الإنسان لا بد أن يكون حذراً في التحدث في الحوار لما يتلفظ به من كلمات ويستخدم من ألفاظ. لكي تصل رسالته بالشكل المطلوب، بعيداً عما قد يثير الفتنة والمشاكل، والبعد عن الألفاظ المبهمة.

– الآداب العلمية: لنجاح الحوار لابد أن من الالتزام بالآداب العلمية، ومنها:

- العلم.
- البدء بالأهم.
- الدليل.
- طرح الأمثلة. (كامل، 2011)

عناصر القوة في الحوار: لكي يكتسب الحوار القوة اللازمة التي تجعل منه حواراً هادفاً ومثمراً على المحاور أن يلم بعناصر تجعل حوارهم أكثر جدوى ومن هذه العناصر كما ذكر طاهر (2014) ما يلي:

- 1- معرفة مشكلة الحوار بشكل جيد من جميع النواحي.
- 2- الاستشهاد بالنصوص الدينية، عندما يتعلق موضوع الحوار بذلك.
- 3- استخدام المعلومات التاريخية من أجل تأكيد معلومة معينة، أو دحض معلومة أخرى لدى المحاور الآخر.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 4- استخدام لغة الأرقام والإحصائية الموثوقة، مما يضمن الكثير من المصداقية على حديث المحاور.
- 5- التوضيح بالحجج المنطقية، كلما استخدمها المحاور بوضوح كانت أقوى تأثيراً.
- 6- استمداد الأمثلة من الحياة الواقعية، لشرح وتفسير الحقائق العلمية والنظريات.
- 7- استخدام اللغة العلمية الواضحة.
- 8- إجادة طرح الأسئلة على المحاور.
- 9- عدم إهمال الإجابة على أي سؤال يطرحه المحاور الآخر.
- 10- توافر معلومات كافية عن المحاور.

معوقات الحوار:

- ضعف القناعة بأهمية الحوار كمهارة فعالة للتربية.
- الاستبداد بالرأي.
- تجاهل الحقائق.
- ضعف مهارة الإنصات.
- ضعف اللغة الحوارية.
- تباين الثقافة.
- عدم المرونة.
- سوء الظن بالطرف الآخر.
- اللهجة الاتهامية. (الزهراني ، 2007)

المبحث الثاني: الحوار في العملية التعليمية

مفهوم الحوار في العملية التعليمية: الحوار في العملية التعليمية هو عبارة عن الاتصال الفكري واللغوي بين المعلم والمتعلم من خلال طرح الأفكار والآراء وبيان تفاعلها بين المجموعة الموجودة في حجرة الصف بهدف تحقيق أهداف الدرس. (البصير، 2014)

إن تطبيق الحوار في العملية التعليمية يساهم في تحقيق غايات إيجابية للمتعلم من أبرزها أنه يساهم في تنمية تفكير الطلاب ويساعدهم على تشكيل أفكارهم ومناقشة الطلاب في أي موضوع من الموضوعات ومحاورتهم فيه يساعدهم على تقوية معرفتهم وزيادة قدرتهم على الفهم والتفكير كما أن مواقف الحوار الإيجابية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

داخل المدرسة تدعم المشاعر الإيجابية في نفس الطالب وتزيد من شعوره بالثقة في النفس والفخر والاعتزاز وتحقيق الذات. (جابر ١٩٩٩)

أهداف الحوار في العملية التعليمية: إن للحوار داخل المدرسة عدة أهداف، من أبرزها كما ذكر الحسين (2011) ما يلي:

- 1- تربية الطلاب على منهجية الحوار، وفهم وجهات نظر الآخرين، واحترامها لكي يسلكوا هذا المسلك في حياتهم داخل المدرسة وخارجها.
- 2- تربية الطلاب على منطق العقل، وعلى المنهج العلمي الذي يقوم على الحجة والدليل والقناعة، وليس التسليم المطلق لكل ما يسمع ويقال من قبل المعلم أو غيره.
- 3- تخريج جيل صالح قادر على النقد الهادف والبناء من خلال تشجيعهم على إبداء آرائهم بكل حرية وجرأة.
- 4- غرس القيم في نفوس الطلاب من خلال الممارسة والسلوك وليس من خلال تلقين المعلومات فقط.
- 5- اكتشاف الطلاب المبدعين وتنمية مواهبهم، وبالتالي يتم الاعتناء بهم، ووضع الخطط لصقل هذه المواهب وتوجيهها الوجهة الصحيحة.
- 6- تخريج جيل وسطي معتدل ينبذ العنف والتعصب للرأي.
- 7- الوصول إلى الحقيقة حتى لو لم تتناسب مع رغبة الطالب ورأيه.
- 8- تعزيز ثقة الطالب بنفسه، من خلال منحه الفرص والوقت الكافي للتعبير عن أفكاره، والتخلص من عقدة الخوف ومواجهة الآخرين.
- 9- تنمية روابط الألفة والمحبة بين المعلم والطالب وبين الطلاب أنفسهم.
- 10- تبسيط المعلومات العلمية، وجعلها مفهومة للطلاب.
- 11- تمكين الطالب وإعطاؤه الفرصة للمشاركة في صياغة القرارات المدرسية وقوانينها، وبالتالي احترامها والالتزام بها.
- 12- تهيئة الطلاب وتبصيرهم بخصائص المراحل القادمة التي سيقدمون إليها.

المبحث الثالث: دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية

إن المناهج الدراسية لها دور كبير في تنمية القيم الحوارية من خلال دمج هذه القيم في أهدافها، ومحتواها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم، ويتضح ذلك بشكل كبير في مناهج العلوم الطبيعية

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

لإعتمادها على التعلم النشط واستراتيجياته المختلفة لإيصال المعلومات والمهارات للطلاب واستيعابها لهم بشكل أكبر، وهذا يعتمد على ممارسة القيم الحوارية بشكل صحيح لذا كان لزاماً على مصممي مناهج العلوم الطبيعية الأخذ بهذا الاتجاه، لرفع مستوى العملية التعليمية، وهذا يبدأ من تخطيط المنهج، وقد لاحظ الباحث من خلال تحليل محتوى بعض مناهج العلوم ضعفاً في دمج تلك القيم في تلك المناهج؛ لذلك رأى أهمية بيان كيفية دمج القيم الحوارية في مناهج العلوم الطبيعية لتميزها بالخصائص العلمية، وكذلك تراكم المعرفة العلمية السريع ومستجداتها في عصرنا الحالي، مما يتطلب ضرورة تعريف الطلاب بهذه القيم، وكيفية ممارستها بشكل واقعي من خلال مناهج العلوم، وبالتالي تطبيقها في شتى مجالات الحياة.

ومنهج العلوم الطبيعية بمفهومه الواسع يشمل المحتوى المقدم في المواد العلمية (الأحياء، الكيمياء، الفيزياء، الجيولوجيا) والأهداف والطريقة التي يقدم بها، وكذلك الأنشطة الصفية واللاصفية المصاحبة للتعلم والاختبارات وأساليب التقويم. (سعادة، وإبراهيم، 2004)

لذلك يكون الحوار في مناهج العلوم الطبيعية محصّلة لتضافر جهود جميع المعنيين بمناهج العلوم الطبيعية، بدءاً من فريق إعداد المناهج في وزارة التعليم الذي يرصد الأهداف التعليمية العامة والخاصة للمنهج، مروراً بمؤلفي المنهج الذين يختارون المحتويات بعناية ودقة، وانتهاءً بالمعلمين الذين يدرسون مناهج العلوم الطبيعية، والطلاب الذين يدرسون المنهج، والجهاز الإداري الذي يشرف على سير العملية التعليمية وانتظامها، فضلاً عن مساندة جميع المؤسسات الثقافية والإعلامية في المجتمع. (الحسين، 2011).

ومناهج العلوم الطبيعية تسعى لإكساب المتعلمين صفات تنمي القيم الحوارية لديهم ومن هذه الصفات ما يلي: (زيتون، 1985)

- 1- الموضوعية في التفكير والمناقشة.
- 2- حب الاستطلاع والاستفسار العلمي.
- 3- التحرر من الخرافات والمعتقدات الخاطئة.
- 4- تفتح الذهن والرغبة في قبول الحقائق.
- 5- التأني في إصدار الأحكام، وعدم التسرع في إبداء الرأي.
- 6- الإيمان بقيمة العلم، وتقدير جهود العلماء.
- 7- الأمانة العلمية والتواضع العلمي.
- 8- احترام وجهات نظر الآخرين، وتعديل الرأي في ضوء ظهور أدلة جديدة.
- 9- فهم العلاقة بين السبب والنتيجة.
- 10- الاعتماد على النفس واكتساب روح التعاون.
- 11- البعد عن الجدل المبني على أساس غير علمي.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 12- الإيمان بأن النظريات العلمية قابلة للتعديل أو التغيير.
- 13- عدم التعصب، والبعد عن الجمود العقلي.
- 14- فحص ما يعرض عليه من آراء واقتراحات.
- 15- استخدام الطريقة العلمية في التفكير.

وعند مراجعة أهداف تعليم العلوم الطبيعية نجد أنها تركز على إكساب الطلاب مهارات التفكير المختلفة وتنميتها، وعلى تدريب الطلاب على مناقشة الأمور، والبحث عن الأسباب وذلك لتنمية المنهجية العلمية لديهم للأخذ باليقين، وعدم السير وراء الأوهام والشكوك، وتعويد الطلاب على التجرد العلمي الذي يدعو إليه الإسلام بعيداً عن الهوى والتحيز. (الحصين، 2003)

لذلك لا بد أن يكون عرض محتوى المادة العلمية في صورة حوار يساعد الطلاب على الاستنتاج والتفكير بدلاً من تقديم معلومات جاهزة تعتمد التلقين ومن ثم الاستظهار.

ويعد محتوى مناهج العلوم الطبيعية الأكثر فاعلية في تنمية القيم والمهارات الحوارية لدى الطلاب، ويعود ذلك إلى طبيعة تلك المواد، وموضوعاتها التي لا بد أن تدرس من خلال منهج حوارى تواصلية، وهذه هي السمة الظاهرة في محتوى هذه المناهج لاحتوائه على موضوعات، وأنشطة مختلفة تتطلب أن يتم تدريس هذا المحتوى بالطرق التفاعلية والتي من أهمها الطريقة الحوارية والتي عرفها إبراهيم (1987) بأنها "طريقة تفاعلية تقوم على أساس الحوار بين المعلم وتلاميذه بقصد إيصالهم تدريجياً، وعن طريق الاستجواب إلى كشف حقيقة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فهي ترمي إلى توصيل المعلومات إلى المتعلمين بالمساءلة والمناقشة". ص 16

وإن استخدام معلم العلوم لطريقة الحوار في التدريس يعمل على تنمية القيم الحوارية لدى الطلاب، والحوار طريقة ناجحة في زيادة فاعلية التعلم والتعليم نحو تحقيق الأهداف المعرفية بمستوياتها المختلفة، وجعل المتعلم في موقف المواجهة والتحدي والمشاركة، الأمر الذي يجعله يشعر بأهميته كفرد فاعل ونشيط، ويرتقي به بالعملية التعليمية نحو الأفضل. (صليبي، 2010)

وفي موضوعات العلوم الطبيعية كما ذكرنا سابقاً يكون المجال رحباً للتفاعل والحوار بين المعلم والمتعلمين، حيث يتشوق الطالب للحوار فيها مع المعلم، فيستمتع بلذة الوصول إلى المعارف بنفسه والافتناع بها بعد الحوار، وكذلك توافر القاعدة الجيدة لدى المتعلمين للحوار والتفاعل مع المعلم، وذلك بحكم التصاق موضوعات العلوم الطبيعية بحياة المتعلمين، وبيئتهم وسلوكهم، فطريقة الحوار طريقة تفاعلية تعلم التفكير الموضوعي والنقد مما يحقق تعلماً أفضل، وهذا انعكس إيجابياً على تنمية قيم الحوار وعلى التحصيل المعرفي، ذلك الهدف الذي تسعى إليه العملية التعليمية كهدف قابل للقياس والتقييم. (الحصري، 1995)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

كما أن العلاقة الشخصية الإيجابية بين المدرس والطالب تعد عنصراً مهماً بالتدريس، ولكي تقوم هذه العلاقة لابد للمدرس والطالب من أن يحاور كلٌّ منهما الآخر بطريقة من شأنها أن توجد الثقة والاحترام المتبادلين بينهما، ويتم مثل هذا التفاعل عندما يتبادلان الرأي والعمل المشترك. (القالا، 1990)

تنظيم جلسة الحوار: وتتضمن: (حمدان، 1997)

أ. الإعداد للحوار: ويشمل:

- اختيار موضوع الحوار: يجب أن يكون الموضوع خصباً وغنياً للحوار، ويتم فيه تبادل الأسئلة والأجوبة، وموضوع التغذية فيه مجال جيد للحوار، تتوفر فيه الخبرة الحياتية، ويحدث لبعض معلومات مرحلة التعليم الأساسي.
- تنظيم محتويات الموضوع حسب تسلسل منطقي يتماشى مع الحوار.
- تحديد مصادر موضوع الحوار.
- بيان كيفية إجراء الحوار وتحديد أسلوبه.

ب. تنفيذ الحوار ويشمل:

- الإثارة والتشويق للمتعلمين: وتتم بأشكال متعددة باستخدام الوسائل التعليمية .
- كتابة عنوان الدرس على السبورة، أو السبورة الضوئية.
- يبدأ الحوار بعد ذلك حسب التخطيط المعد، ويستمر الحوار وطرح الأسئلة وتبادلها ليشمل نقاط الدرس كاملة، ويأشرف المعلم.
- التعميم والتقويم.

مزايا الطريقة الحوارية في تدريس العلوم الطبيعية:

تمتاز الطريقة الحوارية بمزايا متعددة منها: (الشهابي، 1992)، (الحصري، 1995)

- تهتم بإثارة التفكير عند المتعلمين وتنمية قدراتهم.
- احترام شخصية المتعلمين وتنميتها.
- التعلم فيها أكثر ثباتاً وديمومة.
- تهتم بتبادل الأسئلة والأفكار.
- جعل التعلم أكثر فاعلية.
- أن الحوار طريقة تفاعلية تحفز المتعلمين على المشاركة، وتحرك دوافعهم، وتثير اهتمامهم.
- تجعل الطالب في موقف المشارك الإيجابي فتساعد على تحقيق الفهم الصحيح.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- تعويد المتعلمين على التفكير والاكتشاف، وتوقظ انتباههم، وتزيد من شغفهم بالدرس.
 - تنمي القيم الحوارية لدى الطلاب ومنها الصدق، التسامح، والعدل، والصبر، واحترام الآخرين.
 - تؤمن التغذية الراجعة الضرورية لتصحيح مسار عملية التعلم.
 - تؤكد الاستقلال الفكري، وترفض التعصب الأعمى.
 - تفسح المجال أمام الطلاب لتأكيد ذواتهم.
 - تدفع الطلبة إلى استخدام النقد والتحليل بدلاً من السلبية في تقبل الآراء أو رفضها بدون أي تعليل منطقي.
 - تشيع بين الطلاب روح الديمقراطية.
 - تخلق عند الطلاب حب التنظيم والقدرة على التخطيط.
 - تضيف جواً من الحيوية على الصف.
 - يصبح المدرس موجهاً وقائداً للحوار بدلاً من كونه ناقل حرفي للمادة والمعارف.
- ومن خلال ما سبق عرضه يكون لزاماً على معدي مناهج العلوم الطبيعية العمل على زيادة المجال للحوار في تلك المناهج لإكساب الطلاب القيم الحوارية، وعلى معلمي العلوم الطبيعية تفعيل قيم الحوار الموجودة في محتوى تلك المناهج لكي يتمثلها الطلاب في ممارساتهم السلوكية، وفي تعاملهم مع الآخرين.

نتائج الدراسة:

من خلال ماتم عرضه في هذا الدراسة نصل إلى النتائج الآتية:

- 1- يعد الحوار من أفضل الطرق في الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل وتغيير السلوك إلى الأفضل.
- 2- أن للحوار أهدافاً يجب أن تحدد قبل البدء بالحوار لتوجيه الحوار بالاتجاه الصحيح، والوصول إلى الغاية من الحوار بأقل جهد ووقت.
- 3- تعمل أصول الحوار على ضبط مسار الحوار وهي عبارة عن قواعد ثابتة.
- 4- أن للحوار آداباً نفسية، ولفظية، وعلمية ينبغي مراعاتها قبل الحوار وأثناءه وبعده، والتي تساعد على نجاح الحوار.
- 5- إن تطبيق الحوار في العملية التعليمية يسهم في تحقيق غايات إيجابية للمتعلم ومنها تنمية التفكير بمختلف أنواعه، وتقوية معرفتهم، ومشاعرهم الإيجابية نحو المدرسة وما يقدم داخلها، وتزيد من شعورهم بالثقة في النفس والفخر والاعتزاز وتحقيق الذات.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار - جمهورية صربيا

- 6- إن المناهج الدراسية لها دور كبير في تنمية القيم الحوارية من خلال تضمين هذه القيم في أهدافها، ومحتواها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم.
- 7- تعد مناهج العلوم الطبيعية الأكثر فاعلية في تنمية القيم والمهارات الحوارية لدى الطلاب، ويعود ذلك إلى طبيعة تلك المواد، وموضوعاتها.

توصيات الدراسة:

- 1- يجب تفعيل ونشر ثقافة الحوار بشكل أكبر داخل المجتمع من خلال مختلف مؤسساته.
- 2- على المؤسسات التعليمية وضع خطط شاملة لتفعيل الحوار في الجامعات والمدارس.
- 3- على معدي مناهج العلوم الطبيعية تضمين القيم الحوارية في هذه المناهج من خلال دمج هذه القيم في أهدافها، ومحتواها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم.
- 4- تقديم دورات تدريبية للمعلمين والطلاب لإكسابهم مهارات الحوار المختلفة.
- 5- تفعيل الطريقة الحوارية في تدريس مقررات العلوم الطبيعية.
- 6- إجراء أبحاث لتقييم واقع تضمين القيم الحوارية في مناهج العلوم الطبيعية، ومدى تطبيق الطريقة الحوارية بشكلها الصحيح في الفصول الدراسية.

المراجع:

1. ابراهيم، جمعة حسن (1987). دراسة فاعلية مجتمعات الوسائل المتعددة لتدريس الكيمياء، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا .
2. ابن منظور (2008). لسان العرب، ط6، م4، دار صادر ، بيروت ، لبنان.
3. البصير ، عمار مفتاح (2014). مفهوم الحوار ودور المحاور في العملية التعليمية والاجتماعية ، مجلة عالم التربية ، س 15 ، ع 48 ، 239-259.
4. جابر، عبدالحميد (1999م) استراتيجيات التدريس الفعال، (ط1) دار الفكر العربي، القاهرة، مصر .
5. جامعة الجزيرة (2016) " مبادرة الجامعة عن الحوار المجتمعي والوطني" السودان ، تم الرجوع اليها بتاريخ 2019/2/29 من الموقع [/http://uofg.edu.sd/incd](http://uofg.edu.sd/incd)
6. الجوير ،عبدالله فراج (2013). واقع ثقافة الحوار لدى طلاب المرحلة الثانوية بمنطقة القصيم وعلاقتها ببعض القيم من وجهة نظرهم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية .
7. الحسين ، بدر محمد (2011). الحوار المدرسي ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
8. الحصري، علي (1995). طرائق تدريس الجغرافية، منشورات جامعة دمشق، سوريا.
9. الحصين ، عبدالله علي (2003) . تدريس العلوم ، ط5 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار -جمهورية صربيا

10. حمدان، محمد زياد(1997). الحوار والأسئلة الصفية، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن.
11. خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣٠هـ) الحوار وآدابه و منطلقاته وتربية الأبناء عليه، (ط٦)، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
12. زمزمي، يحيى محمد (١٤٢٢هـ) الحوار وآدابه مكة المكرمة وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، (ط٢)، دار المعالي، عمان، الأردن.
13. الزهراني، صالح احمد (2007) . الحوار الاسري وعلاقته بإشباع الحاجات النفسية لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بالإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة بالمملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، جامعة أم درمان ، السودان .
14. زيتون ، عايش محمود (1985) . طبيعة العلم وبنيته ، دار عمار ، عمان ، الأردن .
15. زيدان(2008)،الحوار النفسي كيف يؤثر في علاقاتنا الزوجية،الكتب الإلكترونية.
16. سعادة ، جودت احمد ، وإبراهيم عبدالله محمد (2004) . المنهج المدرسي المعاصر ، ط4 ، دار الفكر ، عمان ، الأردن .
17. السليمان، هاني إبراهيم (٢٠٠٥م) كيف تحاور الآخرين، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
18. الشهابي، صالح (1993). طرائق تدريس العلوم الطبيعية ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا .
19. صليبي، محمد سليمان (2010) . أثر الطريقة الحوارية على المستوى التحصيلي في مادة علم الأحياء لطلبة الصف الأول الثانوي ،مجلة جامعة دمشق، سوريا، م26، ع 2+1، 677-704.
20. طالب ، هديل (2016) . أهداف الحوار . موقع الكتروني تم الرجوع له بتاريخ 30 /2/ 2019
https://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1
21. طاهر ، حامد (2014) . الحوار - مفهومه ، أصوله ، وأنواعه، موقع الكتروني تم الرجوع اليه بتاريخ : 30 /2/ 2019
http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=488&Itemid=323 .a
22. العبودي، فهد بن ناصر(2005م). الحوار منهج وسلوك، ط1، دار أطلس الخضراء، للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
23. فلمبان، هلال حسين (١٤٣٠هـ) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، (ط٤)، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
24. القحطاني ، فاطمة مصلح (2011) . الحوار الذاتي مدخل التواصل الإيجابي مع الآخرين، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
25. القلا، فخر الدين ، وناصر، يونس(1990). أصول التدريس، الجزء الأول، منشورات جامعة دمشق، دمشق ، سوريا.
26. كامل، عمر (2011)، آداب الحوار وقواعد الاختلاف ، المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

البيان الختامي للمؤتمر

نظم المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية بشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية بنوفي بازار بصربيا يومي 8/9/2019 أبريل المؤتمر الدولي الثاني في موضوع: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية"؛ وقد انتظم المؤتمر في تسع جلسات علمية فضلا عن الجلستين الافتتاحية والختامية، عرضت ضمنها خمسة وأربعون ورقة بحثية تم انتقاؤها بعد التحكيم العلمي من بين أكثر من مئتي بحث قدمت للمؤتمر.

وقد ركزت المحاور الأساسية للمؤتمر على ما يلي:

1- إبراز أهمية الحوار في تدعيم المشترك الإنساني بين الثقافات.

2- إشاعة ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين المجتمعات.

3- الاهتمام بأهمية الأسرة في ترسيخ القيم وتجاوز التحديات التي تواجهها.

4- الاهتمام بحقوق الأقليات الإسلامية والحفاظ على قيمتها وخصوصياتها.

وقد اقترح المؤتمر مجموعة من التوصيات أهمها:

1- الدعوة إلى تعزيز الاهتمام بالقيم والمحافظة عليها في الأسرة والمدرسة والإعلام والمناهج التربوية والتعليمية.

2- تعزيز التعاون مع المؤمنين من مختلف الأديان لحماية القيم الأخلاقية في مواجهة التحديات التي تهدد الإنسانية. 3- الدعوة إلى العمل على نبد أفكار التطرف والعنف والإقصاء بجميع أشكالها ومصادرها، وتشجيع قيم الحوار والتعاون والتعايش.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر الجزيل لحكومة دولة صربيا، والمشيخة الإسلامية في صربيا، وكلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار على تيسير تنظيم هذا المؤتمر العلمي الدولي المتميز.

الفهرس

| فهرس المجلد الأول | | |
|---|--|--|
| 5 | (رئيس المؤتمر) | كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم |
| 7 | (عميد كلية الدراسات الإسلامية بصربيا) | كلمة الدكتور أنور غيتسيتش |
| 10 | (منسق المجلس الأكاديمي الاستشاري للمركز) | كلمة الدكتور رشيد كهوس |
| 11 | | ورقة تعريفية بالجهتين المنظمتين |
| 12 | | أرضية المؤتمر |
| 15 | | أعضاء الهيئة العليا للمؤتمر |
| 15 | | أعضاء اللجنة التنظيمية |
| 16 | | أعضاء اللجنة العلمية |
| الأوراق البحثية المحكمة المجازة من طرف اللجنة العلمية | | |
| الصفحة | الباحث | عنوان الورقة العلمية |
| 20 | د. أحمد عبد الكريم شوكة الكبيسي | دور القرآن الكريم في تفعيل ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع |
| 40 | أ.د. إدريس اجويلل | الإنسان والقيم في ظل التحديات المعاصرة |
| 50 | د. توفيق العمراني | مركزات الحوار في القرآن الكريم |
| 67 | د. أحمد بن علي الحندودي الغامدي | خلق التسامح في ضوء السنة النبوية |
| 80 | ذ. سيرين دأده ذ. ليلي شبرو | القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في تربية النشء: نماذج مختارة |
| 100 | د. إبراهيم بن عبد الله المعتم | مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار |
| 115 | د. محمد شافعي مفتاح بوشية | وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ وَأَثَارُهَا السَّلْبِيَّةُ عَلَى عَقِيدَةِ الأُسْرَةِ المُسْلِمَةِ وَفِكْرِهِا وَكَيْفِيَّةُ التَّصَدِّي لَهَا |
| 136 | د. بلخير رشيد | ممارسة القيم بنوعيتها التقليدي أو العصري وعلاقتها بتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي |
| 152 | أ.د. عواريب الأخضر | دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار |
| 164 | د. نورية سوامية د. كلتوم صدراتي | تعزيز وتنمية الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالجزائر |

| | | |
|-----|--|--|
| 177 | ذ.إيمان حليم | الوساطة الأسرية بالمغرب رهانات المؤسسة وآليات التفعيل |
| 190 | ذ.ادريس الكاميري | دور التربية الإسلامية في ترسيخ قيم الحوار والوسطية والتسامح: منهاج التربية الإسلامية بالمغرب أنموذجاً |
| 206 | د.ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحياء | منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ: حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج أنموذجاً |
| 221 | د. عبدالله بن عبدالرحمن الميمان | الباعث العقدي للقيم الحوارية: دراسة تحليلية للنصوص من الكتاب والسنة |
| 233 | د. رجاح فريدة زوجة بورويبي ذ. فطيمة شعلال | المناخ الأسري وعلاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات لمقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو الجزائر |
| 257 | د. محمد البويسفي | القيم المؤسسة للمشارك الإنساني في القرآن الكريم دراسة في الخطاب القرآني العام |
| 272 | د. أحمد الفراك | آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح الثقافي والتعايش الإنساني |
| 283 | أ. د. علي لاغا | التسامح حق وليس منّة وكراً |
| 291 | د. أحمد بن محمد التويجري | مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم نموذجاً - دراسة وصفية تحليلية) |
| 311 | د. عبدالله بن فهد اللحيدان | الحوار وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي |
| 319 | ذة. ميموني شهرزاد | دور القيم الاجتماعية و الدينية في تعزيز الارشاد التربوي الأسري وتنمية ثقافة التضامن في المجتمع الجزائري مقارنة سوسولوجية في مدينة معسكر أنموذجاً |
| 359 | د. يوسف العايب | قيمة العدل الإلهي في القرآن الكريم ودورها في تعزيز قيم الحوار الديني |
| 377 | د. عادل بن عبد الله السعوي | أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف |
| 391 | ذ. تامتلت إبراهيم | القيم في المنهاج المدرسي وآليات التطبيق والفعالية الاجتماعية: قراءة استقرائية تحليلية لأنموذج منهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد |
| 407 | د.حسن بن أحمد بن بكري السميري | الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة |
| 440 | د. طالب بن أحمد الهمامي | قيمة العدل والإنصاف ودورها في الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي |
| 463 | ذة. زواني نزيهة د. وندلوس نسيمه نسبية | البناء القيمي والتوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي |
| 492 | أ.د. علي بن عمر السحبياني | التسامح في الإسلام: المفهوم والضوابط |
| 512 | ذ. أنس بوابرين | رهان القيم وتحديات الحوارات المعاصرة |
| 532 | د. ناصر بن خليفة اللوغاني | الدعوة بالحوار بين مبدأ العرض والتخيير في مقام الدعوة وإشكالية الإلزام في مقام الإنكار (دراسة تأصيلية مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني) |

| | | |
|-----|------------------------------|---|
| 550 | د. عوض بن عبد الله المنكع | دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطى في ضوء المنهج النبوي |
| 560 | ذ. خيرة شوية | القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية في القرآن |
| 583 | د. العربي لخنيك | الأساليب النبوية في التواصل الأسري |
| 603 | د. مزاحم مهدي إبراهيم النجار | مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية |
| 622 | د. هذال بن عبيد عياد الفهيدي | "دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية" |
| 634 | | البيان الختامي للمؤتمر |
| 635 | | فهرس كتاب المؤتمر |

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار

وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

9-8 أبريل/نيسان 2019 بنوفي بازار /جمهورية صربيا



الموقع الرسمي للمركز: www.icefs.net

بريد المركز: www.icefs.net

الهاتف: 0044747018865

العنوان 27 Old Gloucester street, WC1N3AX

United Kingdom, London

الموقع الإلكتروني للكلية : <http://fis.edu.rs>

البريد الإلكتروني: sekretar@fis.edu.rs

الهاتف: 0038120316904